

McGill University Libraries



3101389497X

McGill University Libraries



3 101 389 497 X

AP

.M266

INSTITUTE
OF
ISLAMIC
STUDIES

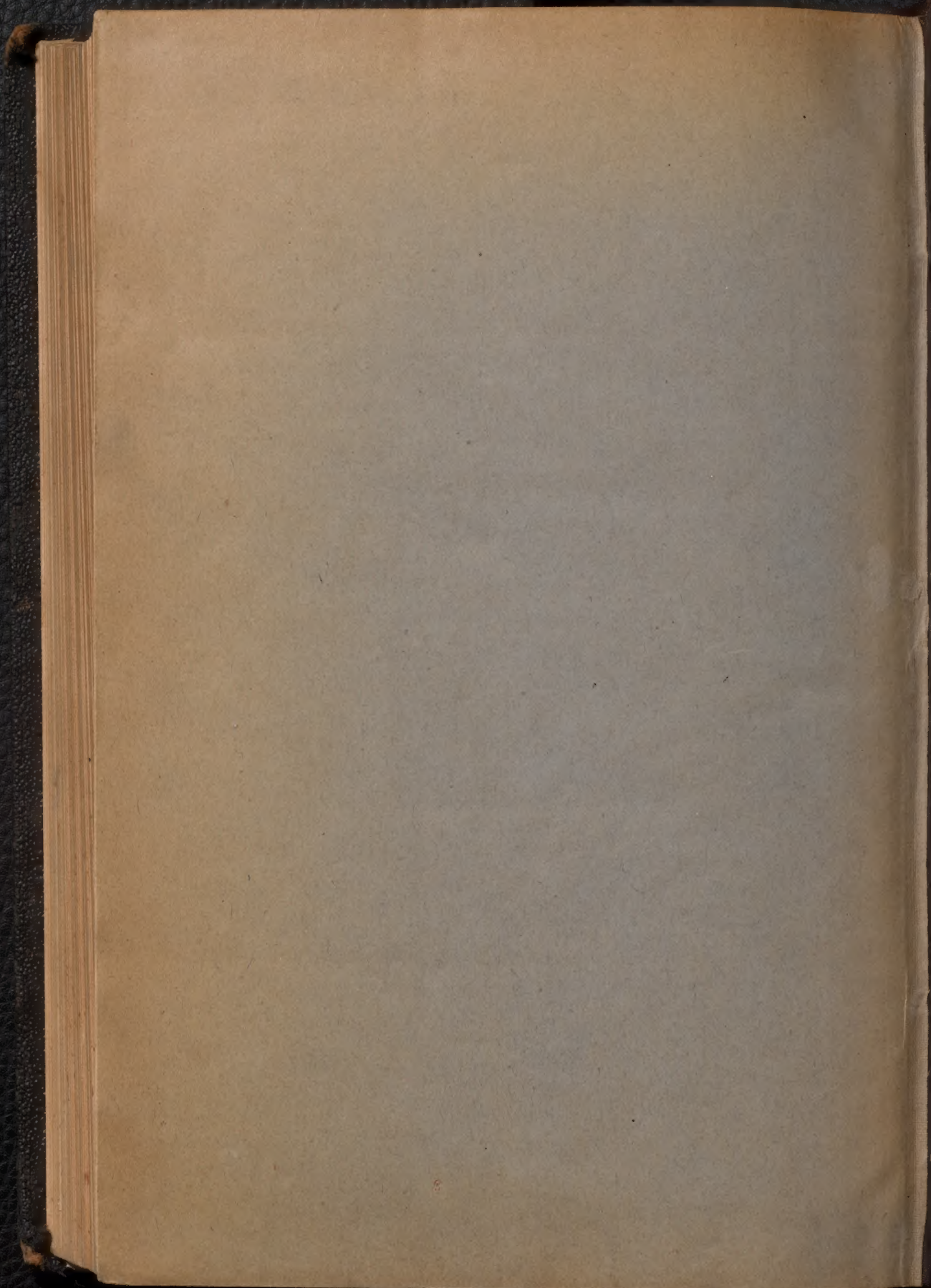
22367

★

v. 13

McGILL
UNIVERSITY

ch 8



المجلة

١٣١٥

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران

« تصدر في كل شهر عربي مرة »

لنشرها

السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ شَيْبَةَ ابْنُ

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر »

مصر — الخميس سلخ المحرم سنة ١٣٢٨ — ١٠ فبراير (شباط) سنة ١٢٨٥ هـ ١٩١٠ م

قيمة الاشتراك عن سنة ستون قرشاً صحيحاً في مصر والسودان
وفي المملكة العثمانية ثلاثة ريالات ونصف وفي الخارج ٢٠ فرنكا
و١٧ شلماً في الهند و٨ دوايل في روسيا والدفع سلفاً

الطبعة الاولى

« حقوق إعادة الطبع والترجمة للكل أو البعض محفوظة للنشر » المجلة

﴿ فهرس عام لجميع المواد التي وردت في المجلد الثالث عشر ﴾

هذا الفهرس يشمل أكثر المسائل المهمة في هذا المجلد . والاصفار التي عن يسار الارقام فيه تشير إلى ان المسألة مكررة في ذلك السياق . ويليه فهرسان : واحد للاحاديث المخرجة والمفسرة والآخر للمطبوعات التي ذكرت في هذا المجلد

صفحة	صفحة	(١)
٢٦٠	الاتحاد والتعليم . أيهما يقدم	٢٤٢
٥٧٠	الاجتهاد ٥٣٠ و ٥٤١ نقده بقدر شروطه ٥٧٠	٥٦٨
٦٧٢	د مفاسد منعه	٣٢ و ٢٢
١٠٤	اجتهاد العامي	٨٨١
٥٦٥	الاجر اللدني	٤٧٣
٠٨٨٥ و ٤٦	الاجماع	٩١٦
٨٢٣	احاديث في الامانة	١٠٤
٨٧٦	الاحتلال في ايران	٥٥٧٠
٤٩٧ - ٤٨٤	الاحسان ومستحقوه	٨٨٧ و ٨٨٣
١٦٧	الاحسان . قصيدة في الزوجة	٤٢٥
٢٠	احمد بدوي النقاش	١١٠ و ١٠٦
٩٣٧	احياء اللغة العربية	٨٢٦
٥٨٥ و ٥٤٠ و ٥٢	الاختلاف الديني	٤٩٣
٤٩٥	الاختيال	٧٩٣
٢٤٣	الاخوة والاخوات . عواطفهما	١٧٣
٣٣٤	الارادة . تأثيرها في التربية	١٢٠
٤٩٥	الارقاء . الاحسان بهم	
		الآباء والابناء . عواطفهما
		الآخرة . الكتمان والاقرار فيها
		آدم ابو البشر
		الآيات في العدل
		د والخوارق
		آياته (تعالى) في خلقه
		أئمة الفقه ومقلدتهم
		د منهم عن التقليد
		الائمة المعصومون
		ابن تيمية وابن دقيق العيد
		ابن حجر الهيتمي وكتبه
		ابن خلدون . رأيه في علماء الملة
		ابن السبيل . الاحسان به
		ابن سعود وابن الرشيد . صلحهما
		ابن عباس . فتواه بالتمعة
		ابو بكر والشورى

صفحة	صفحة
أسرة أمريكانية فيه ٥٩٢ دين العقل	الارمن . عنايتهم بالجندية ٥٤٦
٦٢٢ دين الوحدة ١-٨ و ٩٠٤ شهادة	الارواح . نزولها على الرسل ٣٩٤-٤٠٠
الاوربيين له ٨٥٨ و ٨٧١ ضعفه	الازهر . نظامه الجديد ٨٤٧
بمدينة أوربا ٦٠٣ غربته وعودته كما	الاستاذ الامام . رأيه في السلطان
بدا في الهند ٣١٩ متبعوه وجاحدوه	عبد الحميد ٥٩٥
عند ظهوره ٥٥٨ ليس له زي ٦١	الاستاذ الامام . منزعه في الدين والعقل ٤٢١
١١٢ منع الاكراه فيه ٣٣٨ الاسلام	الاستانة . حالها (وراجع رحلة) ٣١٤ و ٧٦٥
والمسلمون ٨٧١ ومساعدة المحتاج ٢٥٣	الاستبداد . ينافي التوحيد ٧٣٥
اسماء عربية لمسميات عصرية ٤٥٧	استبداد الوالدين بالاولاد ٤٨٦
الاشتركية والاسلام ٢٥٣	الاسترقاق . مفاسده وبطلانه الآن ١٦٨
والكفر ٩١٤	الاستشارة ومدحها بالشعر ١٢٤
الاصلاح الاسلامي . اعداؤه ٥٣٩ و ٥٤٨	الاستقلال . الجناية عليه في الصغر ٤٨٧
٧٩٦ و	الاستقلال الشخصي ٣٣٦ و ٤٩٠
الاصلاح في حكومتنا الدستورية ٧٩٥	استقلال العقل والارادة ٥
اصلاح التعليم الديني ٥٠	الامرئ . التخير فيه ١٦٩
أصول الشريعة والحكومة الاسلامية ٨٨٩	الاسطول العثماني (قصيدة) ١٥٠
الاطفال بمصر وأوربا ٢٦٨	الاسلام . الاختلاف فيه ٥٠ الاستقلال
الاعمال . تأثيرها في النفس ٥٦٤ و ٧٣٩	الشخصي والحرية فيه ٤٩٠ اشتراكه
افتراق المسلمين ٨٩٧	٢٥٣ انتشاره في افريقية ٣١٧ وفي
الافرنج . انتشار الاسلام فيه ١٢٥	امريكا ١٢٧ وفي أوربا ١٢٥ وفي
الاقتصاد ٣٥٥ و ٢٧٨	نيزالانده ٦٠١ بم يتحقق ٥٧٢ تحريمه
الاكثرية . ترجيحها في الشورى ٨٩٣	العصية الجنسية ٣٥٢ ترك الدعوة
الاكراه على الاسلام ٣٣٨	اليه ٥٧٥ تعصب أوربا عليه ٣٨٩
الالحاد . بطلانه ومفاسده ٩١٣ و ٩١٩	٣٩٢ و توحده لامله ٩٠٤ دخول

صفحة	صفحة
٢٩	١٢٦ المانيا . انتشار الاسلام فيها
٥٠٣	٧٣٤ الالهية . حقيقتها
٣٥٩	١٧٧ الاماء تزوجهن
٨٦١ و ٦٠٢ و ١٢٦	١٧٧ و ١٦٣ الاماء . التسري بهن
٨٥٩	١٨٣ « ضعفهن وعقبتن
٥٨٠	١٨٤ « عقابهن على الزنا
٨٨٩ و ٠٨٨٣	٨١٤ الامانات . ردها الى أهلها
٩٠٣ و ٥٢٦	٨١٩ الامانة والخيانة . مباحث
٥٧٢	٨٨٧ الامراء . شرط طاعتهم
٣٩٩	١٢٧ أمريكا . الاسلام فيها
٤٨٣	٠٤٨٥ الام . ظلمها لولدها وعاطفتها
٥٥١	٠٢٥٦ و ٤٧٥ الأمة . تكافلها ووحدتها
٧٥٦	٠٨٨٥ « سلطتها في الاسلام
٣٣٦	٢١٤ « العربية . قصيدة في حالها
٨٥٩ و ٣٩٢ و ٣٨٩	٣٤٣ الامم . كيف تنال حقوقها
٥٨٩	٢٥٢ الأموال . أكلها بالباطل
٣٤٩	٢٨٣ الامومة بمصر وأوربا
٤٥٦	٧٩٢ أمير مكة . إصلاحه بنجد
٦٩٨	٣٩٧ الانبياء . إخبارهم بالغيب
٥٨٧	٥٦٦ « عرض أعمال أمهم عليهم
٨٨٢	٢٥٨ الانتحار . أسبابه
٨٧٦	٧٢٣ الانجيل . ضياع بعضه
٥٠٤	٤٤٩ الانسان . ترقيه والدين
٠٥٠١	٢٥٠ « ضعفه
	الانسان . ما هو
	الاتفاق والايان
	الانكشارية
	انكثرت الاسلام ١٢٦ و ٦٠٢ و ٨٦١
	الانكليز . تعصبهم الديني والمذهبي ٨٥٩
	« اغتسلهم وسببه ٥٨٠
	أهل الحل والعقد ٠٨٨٣ و ٨٨٩
	أهل السنة والبدعة ٥٢٦ و ٩٠٣
	أهل الكتاب . إيمانهم ٥٧٢
	« حجتنا عليهم ٣٩٩
	« الشرك فيهم ٤٨٣
	أوربا . آراؤها في العثمانية ٥٥١
	« اتفاقا علينا ٧٥٦
	« استيلائها على المسلمين ٣٣٦
	« تعصبها الديني ٣٨٩ و ٣٩٢ و ٨٥٩
	« تكافؤ شعوبها ٥٨٩
	« سياستها في عناصر الدولة ٣٤٩
	« عمراتها ٤٥٦
	أوقاف سلفنا على العلم والخير ٦٩٨
	أول البدع في الاسلام ٥٨٧
	أولو الامر ٨٨٢
	إيران . احتلال روسية فيها ٨٧٦
	الايان . تعزيتة في الشدائد ٥٠٤
	« الصحيح والتقليدي ٠٥٠١

صفحة	صفحة	
	٩١٣	الايان وعلماء الكون
	٣٣٤	« وقوة الارادة
٣٦	٢٥٨	« ينافي الانتحار
٣٥٨	٩٢٨	أيمان الباطنية وعهودهم
٦٠٧		(ت - ث)
٩٢٧		التأينس والتدليس عند الباطنية
٩٢٣		تأويلات الباطنية
٨٩٥ و ٦٢٨	٩٢٢ و ٨٣٣ و ٧٩٠	البابية البهائية
٦٣١ - ٦١٤ و ٥٣٤	٩٢٢ و ٨٣٣	الباطنية
٢٥٥	٩٢٦	« ففاقهم بموافقة كل ملة
١١١	٢٥٤	الباطل من أكل الاموال
٥٠٥ و ٤٢٥	٩٠٢ و ٨١٧ و ٥٨٦ و ٥٢٥	البدع . ظهورها
٤١٥	٥٥٢٦	بدعة تكفير المسلم المخالف
٥٤٥	٢٢٦	البرق الباني في الفتح العثماني
٣٧١	١١٣	البرنيطة وزيق الرقة
٣٣٤	٧٨٥	البستاني المبعوث . حفلة وداعه
٢٦٩	٥٧٠	البصيرة في الدين
٥٩١	٨١١	بعث الاجساد
٤٨٥	٥٢٠	بعثة الرسل . شرط لعقاب الكافر
٣٥٣	٦٨٤	البغاه . مضاره ومفاسده
	١٢٣	بقيس . حكمها بالشورى
	٣٩٧	بنو اسرائيل والانبياء
١٨٢ و ١٦٧	١٢٢	بنو مروان . هدمهم للشورى
١١٣ و ٦١	٥٤٩	البهتان العظيم
٩٢٤	٤٤١	بيروت . ارتقاؤها والوفاق فيها
		تشكيكات الباطنية

صفحة	صفحة
٣٢٨	نصحيح ٢٥٩ و ٤٧١ و ٦٦٤ و ٥٥٢ و ٧٩٩
٨-١	تعارض العقل والنقل ٦١٣
٧٢٥	التعاون والتخاذل (مقالة) ٥٣٨
٩٠٦ و ٩٠٥ و ٥٥٠	تعدد الزوجات ٧٤٤ و ٩٠٨
٧٢٩	نقص أوربا ٣٨٩ و ٣٩٢ و ٨٥٩
٧٢٣	التعليم بمحضرموت ٦٠٤
٤٨٤	التعليم المفيد لاتحاد الامة ٢٦٠
٦٦٤-٦٤٩	تقاسير السلف . إثارها ١٠٧
٥٥٩٣	تفاضل الرجال والنساء ٣٣٤
٣٢٦	تفرق المسلمين . هل يزول ٩٠٤
	التقليد ٦ و ٤١ و ٤٤ و ١٠٥ و ١١٢ و ٤٧٦
	٥٨٨ و ٥٠١ و ٥٢٦ و ٥٢٩ و ٥٧٠ و ٥٨٨
	٨٦٨ و ٧٨٠ و
٣٦٤	الجامع الاموي . وصفه ٨٦٨
٧٠٧ و ٣٩٢	جامع الزيتونة والاصلاح ٦٧٤
٨٤٧	الجامعة الازهرية ٥٧١
٩٣٣ و ٨٥٧	التقليد . سببه وعلته ٥٧١
٨٢	التلغراف والتلفون . العمل بخبرها ١٨٧
١٨٢	التكذيب الذي يعد كفرا ٥٣٦
٧٤٧	تكفير السيئات . أسبابه ٣٢٥
٤٠٣	تكفير المسلم ٧٥٧ و ٦٦٧ و ٦٧٢ و ٥٢٥
٩	تكليف المحال ٦٤٣
٨٠٢	النمي للنم والعمل ٥٣٣٢
٥٨٧	التنازع والمنافسة بين الناس ٥٩٨
٦٦٩	رد مسائله الى الله ورسوله ٨٨٤
	التهمة مفسدة ٥٩٣
	الجرح والتعديل

(ج)

صفحة	صفحة
٧٠٩	جريدة إقدام . تعصبها الجفدي ٢١٩
٤٩٢	جريدة العرب ١٤٤ و ١٤٩ و ٥٤٩
	« الوطن القبطية والعرب ٩٠٨
	الجزء بتأثير العمل ٧٣٩ و ٥٦٤
٦٤٤	جزيرة العرب . إصلاحها ٩٥٨
٧٩٨	الجلود . نضجها وتبدلها ١٨٠
٤٩٧	جمال الدين الافغاني ٧٠٨
٦٢	الجمال . حبه ليس مذموما ٤٩٧
٨٤١ و ٧٧١ و ٦٨٩	الجمعة والجماعة . منهم ما بكثرة شروطها ٦٨٨
٣٢٠	جمعية الاخوة الاسلامية بفرنسا ١٢٦
١٨٣	الجمعيات الاسلامية في انكلترا ١٢٦
٣٩	« العلمية والدينية ٧٦٤
٨٢٨	جمعية الشورى العثمانية ٣٨٥
٣٤٤	جمعية العلم والارشاد ٤٦٥
٨٩٨	الجمعية العلمية بالآستانة ٧٥٣
١١٤ و ٦١	جمعية المبشرين في روسية ٨٥٣
١٦٨	« ندوة العلماء بالهند ٧٦٤ و ٩٥٩
٧٤٢	جميل الزهاوي . طعنه بالشرع ٨٤١
٧٣٥	الجنابة على الفرد جنابة على الامة ٢٥٧
٤٩٠	الجنوب . قربه من الصلاة ٦٤٤
٢٧١	الجندية في الدولة العثمانية ٥٤٦
٥٣٩ و ٣٣٧ و ٣٣٢	الجن . انكارهم ٢٩
٨٠٧ و	الجنة . دخولها بالايمان والعمل ٨١٣
٥٦٥	الجهاد . سد بابه ٦٧١
	الحسنات مضاعفتها بالجزاء

(ح)

الحال المفردة والجملة

حامد والى الطيب

حب الجلال

الحب وحشر المرء مع حبيبه

حجاب النساء

الحجاز . العلم فيه

حد الزنا

الحديث . قوله بالمعنى

حديث ان شريعتي جاءت

« الله سيمنع هذا الدين

« ستفترق أمتي

« من تشبه بقوم

الحرب الدينية

الحر . ما يفضل به العبد

الحرية أثر التوحيد

« في الاسلام

حرية الفتيات بمصر

الحسد

صفحة	صفحة
٧٦١	الحسين . ماتم الشيعة له ٣٠٧
٧٥٥	الحضارمة بجاه . عدد دم ورتهم ٦٠٤
١١٤	« دعوتهم الى التعليم ٢٦٢ و ٦٠٤
٢٧٤	الحق لا يكون مع الاكثر دائما ٨٩٣
١٩٦	الحق للقوة (مقالة) ٥٩٧
٥٣	الحكم بالعدل ٨١٧
٧٦٣ و ٦٨٠ - ٦٦٥	حكم تحريم محرمات النكاح ٢٤١ - ٢٥٠
٥٣	الحكمان بين الزوجين ٤١٥
٩٣٣ و ٨٥٧	حكمة إحصان الاماء ١٨٣
١٢١	حكمة تأيد الامانة ٨٢٣
٣٥	« عدم مغفرة الشرك ٧٣٤
٤٧٠	« الله . وجوب ما تقتضيه ٥٦٤
٤٨٩	الحكومة الاسلامية . شكلها وأصولها
٤٧٧	ومقارنتها بالحكومات النياية ٨١٤ - ٨٩١
٨٢٤	المدلة والتصلة أوائل الكتب ٤٢٠
	الحمل والفصال . مدتها ٣١
	الحواشي والتعريبات عند الترك ٥٧
	حياة الزيتونيين بتونس ٧٠٧
	(خ)
	خديجة . سيرتها ٦٤ و ١٥٥ و ٢٣١ و ٢٩٣
	و ٤٧٣ و ٥٥٣
	الخرافات عند نساء أوربا ٢٨١
	« منع الاسلام لها ٨٠٢
	(ذ - ز)
١٣٩	دار الآثار العربية بمصر
٣٨٥	دار الخلافة ببغداد
٣٨٨	دار الشجرة «
٢٣٠	دار العلم والارشاد
٩٠٨	داود . كثرة ازواجه
٩٢٥	درجات دعوة الباطنية
٦٩٧	درس على كتاب الدارس

صفحة	صفحة
٣٣٢	٤٤١ الدستور ببيروت وسورية
٤٠٥	٦٨١ الدستور وإباحة الفسق
١٨٤	٣٣٦ الدعاء بالاستعداد والعمل
٧٤٨ و ٣١٤ و ١٤٥	٨٥٣ دعاة النصرانية في روسية
٢٥٨	٥٥٣ دعوة الاسلام عند ظهوره
٥٢٥	٥٧٤ « شرط بلوغها
٤١٩	١٦٨ الدعوة الى الاسلام
١٩١	٠٩٢٣ و ٨٣٥ دعوة الباطنية
٥٦٧	٠٢ دعوة الاصلاح
٠٢٤٦ و ١١٣ و ٩٥	١٠٠ دفن الميت . تأخير
٢١٥	٦٩٨ دمشق . مدارسها ومعاهدها الخيرية
٤٢٢	٣٤٩ الدولة العلية . شعوبها
٧٤٢ و ١٦٨	٢٤٩ الدين الالهي . وحدته بالمقاصد
٧٦٥	٩١٩ « قوام العمران
٣٩٤	٧١٣ « والاحاد والاشتركية
٣٨٩	٤٢١ « والعقل . تأخيرهما بالاسلام
٣٤٢	٤٥١ ذبح الحيوان
٥٠٠	٤٤١ ذكرى للسوريين والبيروتيين
١٨٣	٣٢٣ الذنوب صغار وكبار
٢٥١ و ١٨٢	٨١٢ ذوق العذاب
٦٨٨ - ٦٨١ و ٨٢ و ٨٥	
٢٧٤	
٤٨٦	

(ر-ز)

الرجال والنساء . تفاضلها

٤٠٧

صفحة	صفحة
٦٦٣	الزواج حقوقه وكفائه ٧٤٧
٣٥٢	« سبب قتله ومفاسدها ١٩
٨٨٧	« في الغرباء ٢٤٤
٥٩٤	« (راجع نكاح) ٤١٥
١٢٠	الزوجان . التحكيم بينهما ٤٠٦
٧٦٣ و ٥٨	« ورياسة المنزل ١٦٧
٥٢٥	الزوجية . للاحصان والاختصاص ٤١٧ و ١٧
٦٢١	« رابطتها وميثاقها ٢٤٢
٩٠٨	« والقرابة . عواطفهما ٦٧٠ و ٦٦٥
٢٢٦	الزبدية ١١١
٤٧٩	الزبي الافرنجي . حكمه
٢٤٩	(س)
٥٩٨	الساعة العربية . الدقاقة . وصفها ٨٦٤
٣٤١	سؤال الله بالعمل والاستعداد ٣٣٦
١١٢	السيابا المشركات . حلن ١٧٩ و ١٦٣
٦٠٣	سبنسر . رأيه في الفضيلة والدين ٩٢٠
١٢٦	السبي . تجهيله ٤٢٥
٤٤١	السراري بالآستانه ١٦٩
٣٤٥	سعادة الدارين ٧٣٥
٥٩٤	السفير ٨٠٩
٥٩١	السفاح والاختدان ١٨١
٢١٣	« ومضاره الاجتماعية ١٦٧
٨٠٩	

صفحة	صفحة
٤٩	شورى القضاء بالاندلس
٥٠٢	الشیطان شر قرین
٣٠٣	الشیعة فی العراق
«	فی القرن الرابع وإعتقادهم فی
٣١٠	القرآن
٧٥٧	« میلم لوفاق
٣٠٧	« والمائم الحسني
	(ش)
	الشافعي • تحریمه التقليد • ومذهبه
	الجديد ٥٥٧٠
	رد ابن الحكم علیه ١٨٩
	شبلې شمیل والزهاوي ٨٤١
	الشرك • أنواعه ٤٨٣
	« حقیقته ومفاسده ٤٨٣ و ٥٧٣
	« وعلة كونه لا یفقر ٧٣٣
	شريف مكة • خدمته للدولة ٧٩٢
	الشرع • أسبابه وتدوینہ ٣٤
	« موافقته لكل زمان ومكان ٤١
	الشرق والغرب • تنازعهما ١٠٣
	الشعر والارتقاء ٩٥٦
	الشعر (راجع قصائد)
	شعر الرأس تزینة ١١١
	الشعوب العثمانية ٥٥١ و ٣٤٩
	الشمال والجنوب • أهلها ٣٥٥ و ٣٣٦
	الشمس • رویتها بعد الفطر فی المنطاد ١٠٢
	« غروبها فی عين حمشة ٨٢٥
	شهادة الانبياء علی الامم ٥٦٦
	الشورى عند العرب الاقدمين ١٢٣
	« فی الاسلام ٤٠ و ١٢٠ و ٨٩٠
	« هدم بني مروان لها ١٢٢
	(ص)
٤٩٣	الصاحب بالجنب • الاحسان به
٧٩٩	صادق المويّد (وفاته)
٤١٩	صالح التونسي • عداوته للإصلاح
٥١٧٢	الصحابي • فهمه غیر حجة
٥٨٣	الصحابه • حفاظ القرآن
٥٣٥	الصحابه • قضاؤهم والمفتون منهم
٤٠	« مراعاتهم المصالح العامة
٣٢٠	صدی العلم بالحجاز
٣٢٠	الصعيد • معناه
٣٠٤	الصفوية • تنكيلهم بأهل السنة
٦٤٣	الصلاة بغیر العربية
٥٧٦	« حكمة توقيتها وجمعها
٤٢٤	« فرضها وسببها
٦٤٢	« فائدتها بالخشوع
	« قربها حال السكر

صفحة	صفحة
(ع)	٦٤٣ الصلاة. وجوب قرائتها
٤٨٢ و ٦٧	٨٣٠ صلاة الظهر بعد الجمعة
٧٨٩	١١١ الصوفية واصطلاحاتهم
٨٧٨	١٨٩ الصيام. إثباته بالتأخراف
٧٤٣	(ط - ظ)
٢٦٢ و ٦٠	٨٨٢ طاعة الله والرسول وأولي الامر
٥٥١ و ٣٧٥	٨٠٣ الطائفون
٥٩٩	٤٢ طبقات الفقهاء
٣٥٣	٦٨١ طرابلس الشام. الفسق فيها
٤٥٣	١٩٢ و ١٠٤ طريقة الشاذلية
٨٢٠	٨٢٨ الطريقة والطرائق في الاسلام
٨٨١ و ٨١٧	٥٤٢ طلاب العلوم. نصيحتهم
١٠٣	١٣٣ الطلاق في الاسلام والافرنج
٢٥٨	١٣٤ طلاق الغضبان
٦٦٨ و ١٠٤	٥٤٩ طلعت بك وجريدة العرب
٩٠٦	٧٣٠ طمس الوجوه وردھا
٦٠٦	١٧٧ الطول المشترط في نكاح الامة
٢٢٩	٨٠٣ الطيرة والطرق بالحصا
١٢٣	٨١٣ الظل الظليل
١٨٠	٥٦٢ الظلم. حقيقته وتنزيهه (تعالى) عنه
٩٣٢	٢٥٨ « في المعاصي
٣٦٤ و ٢٨٥	٤٨٥ ظلم الاقوياء حتى والوالدين
٣٥٢ و ٢٢٩	

صفحة		صفحة	
٣٦	فقهاء الصدر الأول	٨٦٤	الغزالي كلامه في القضاء والقدر
٥٥٠	الفلسفة في الاسلام	٦٥٠ و ٦٤٧	الفلس . مشقته في السفر
	(ق)	٧٣٦	غفران غير الشرك
٧٤٦	القاضي . حكمه بمذهب الخصم	٦٣٢	الغلو والزيادة في الدين
٦٥٧	قانون حق التأليف	١١٥	القنأ . لإباحته
٩٠٩	القبط . طعنهم في الاسلام والعرب	٢٩	الغيب . الايمان به وشبهاته
٢٥٦	قتل النفس . النهي عنه	٣٩٧	الغيب . علم الانبياء به
٣٩٣	القدوة طيعية		(ف)
١٧٢	القرآآت الشاذة تفسير	٣٨٤	الفتن في البلاد العثمانية
٦٧٤	القرآن . ابطال حجته بالتقليد	٤٩٥	الفخر والكبر
٢٨	« أساوبه وإعجازه	٨٣٠	الفرسخ والميل والكيلومتر
٥٣٠	« الاحكام العملية فيه	٩٠١	الفرقة الناجية
٨١٤	« أسباب نزوله	١٢٦	فرنسا . الاسلام فيها
٣٤٣ و ٥٦	« الاستفنا عنه بترجمته	١٦٧	« ضعف الدين والنسل فيها
٥٧١ و ٥٤٩ و ٣٨٤		١٧٥	الفريضة لغة وشرعا
٦٤٩	« أصل الدين الأول	٦٨١	الفسق الطني والدستور
٦٤٥ و ٣٣٤	« إيجازه وبلاغته	٤٠٧ و ٣٣٤	الفضل فطري وكسبي
٦٤٣ و ٥٦٣	« تأويله للمذاهب	٩٢٠	الفضيلة لزومها للدين
٢٠٨	« ترقى اللغة به	٤٤٥	القطرة وأسباب الترقى
٥٦٧	« تلاوته على النبي (ص)	٥٩٣	« وحب الخير
٥٨١	« جمعه وحفظه كله وحفاظه	٤٦	الفقهاء . آراؤهم ليست شرعا
٥٧	« حجته للمسلمين وعليهم	٦٤٩	« قولهم المنافي لبلاغه القرآن
٣٠	« صدقه في كل خبر	١٠٦	الفقهاء المقلدون

صفحة	صفحة
(ك)	القرآن مسائله والدين ٣٠
٤٧٩ الكائنات • العجز عن اكتناها	« في الفونراف ٩٠٦
٣٢٢ الكبار والصغار	« قرنه الوعد بالوعد ٢٥٨
٤٩٦ الكبر وآثاره باقول والعمل	« عقيدة الشيعة فيه ٣١٠
١٩٥ الكبريت المسوك	« مبعثاته وتفسيرها ٢٦
٦٧٤ الكتاب والسنة • إبطال حجتها	« ما يحول دون فهمه ٢٩
١٠٦ « « إثارها على المذاهب	« منه الاكراه في الدين ٣٤٠
٠٨٨٤ « « رد النزاع اليهما	« نزاهته ٠٤٠٨
١٠٦ و ٥٠ « « عمل السلف بهما	القرابة • صلها والراح بها ٢٤٢
١٠٦ و ٥ « « هدايتها	القرامطة ٨٣٩
٦٩٧ كتاب الدارس في المدارس	القربى • الاحسان بأهلها ٤٩٠
٥٢٨ كتاب فيصل التفرقة	قراء السوء ٥٠٢
٩٣٧ الكتب المرية • طبعها	قصائد شعر ٠٢١٤ و ٣٧١ و ٦٧٦
٥٧٠ كتب الائمة والاجتهاد	القصر الحسيني لخليفة بغداد ٣٨٥
١٠٦ « التقليد والكتاب والسنة	القصر ومسافته بالكيلومتر ٨٢٩
٨١٧ تمان العلم	القضاء الشرعي في الدولة العمانية ٨٧٨
١٠٠ الكشف الطبي على الموتى	« والقدر ٨٦٤ و ٤٥٣
٨٢٧ و ٧٤٧ الكفاة في النكاح	قضاء الفرد والجماعة ٣٣
٥٣٦ - ٥٣١ الكفر • حده	قوى النفس والحس • ارتقاؤها ٩٥٤
٥٩٢ الكلام • تأثيره في النفس	القوة • عزتها وأنواعها ٥٩٧
٣٤٨ كيف تال الام حقوقها	قوة الاجتماع والتعاون ٣٤٥
(ل)	قريش وقت البعثة ٥٥٤
١١١ و ٦١ اللباس في الاسلام	

صفحة	صفحة
٧٥٩ مجلة بيان الحق	٨٠٤ الفن الالهي • معناه وغايته
٦٠٢ « تاريخ ومدنية الشرق الاسلامي	٢١٩ اللغة التركية • تقييدها من العربية
١٠٨ « طوالم الملوك	٢٠٥ اللغة العربية • أطوارها
٩٢٣ الجوس ونبوة زرادشت	« نعلم الاوربيين لما ٦٠٢ و ٩٠٩
٨٧٨ و ٨١٨ محاكنا اليوم	« حاجة المسلمين اليها ٥٨ و ٣٤٣
٥٨٩ المحدثون • اقتنائهم بالكلام	« في الدولة العثمانية ٥٥ و ١٤٩
٦٦٩ « انتقادهم بالجرح والتعديل	« قدمها ٥٨
١٦٢ المحصنات وتحريرهن	٥٩ - ٥٦ اللغة والدين
١٤٦ محمد خالص وكيل مدارس الاستانة	٥٤٦ و ٥٦ اللغتان التركية والعربية
١٢٥ محمد عادل • نشره الاسلام بألمانيا	٤٩٤ الققطاع في الاسلام
محمد عبده ٧٠٨ (راجع الاستاذ الامام)	
محمد عبيد الله ٣٣٨ و ٣٨٥ و ٤٦٨ و ٥٤٩	(م)
٦٠٢ المدارس الالمانية في آسيا	٢٨٢ لما تم ونساء مصر وأوربا
٦٩٧ المدارس بدمشق الى القرن العاشر	٣٥٥ المال • تأثيره في السياسة والترقي
١٥٠ و ٥٦ « الدينية بالاستانة	٥٥٨ المؤمنون الاولون
٤٦٨ المدرسة العربية « (مشروعا)	٥٩٨ المباراة والمناقشة
٢٧٢ مدارس البنات	المبتدعة • تكفيرهم لغيرهم ٥٢٦ و ٥٤٠
٦٩٨ المدنية الاسلامية	« وأهل السنة ٩٠٣
٤٤٨ « العلمية الصناعية	٨٥٣ مبشر وروسية في المسلمين
٥٢٦ و ١٠٦ و ٥٢ و ٤٧ اختلافها	المبعوثون في دولتنا ٥٤٧
٨٦٨ و ٥٨٧ و	المتفرجون • فسقهم ٢٥١ و ١٨٢
٦٧٦ المذاهب • براءة عالم منها	« والنساء النواشر ٤١٢
٥٨٩ « التنقل فيها	مجالس النواب • ترجيحها الاثرية ٨٩٣
٨٦٨ « توحيدها ٥٥٠ • حقيقتها	٤٩ مجلة الاحكام العدلية

صفحة	صفحة
٧٥٩ مجلة بيان الحق	٨٠٤ الفن الالهي • معناه وغايته
٦٠٢ تاريخ ومدنية الشرق الاسلامي	٢١٩ اللغة التركية • تنقيحها من العربية
١٠٨ طوالم الملوك	٢٠٥ اللغة العربية • أطوارها
٩٢٣ الجوس ونبوة زرادشت	٩٠٩ • نعلم الاوربيين لما ٦٠٢ و
٨٧٨ و ٨١٨ محاكنا اليوم	٣٤٣ • حاجة المسلمين اليها ٥٨ و
٥٨٩ المحدثون • اقتنائهم بالكلام	١٤٩ و ٥٥ في الدولة العثمانية
٦٦٩ • انتقادهم بالجرح والتعديل	٥٨ • قدمها
١٦٢ المحصنات وتحريرهن	٥٩ - ٥٦ اللغة والدين
١٤٦ محمد خالص وكيل مدارس الاستانة	٥٤٦ و ٥٦ اللغتان التركية والعربية
١٢٥ محمد عادل • نشره الاسلام بألمانيا	٤٩٤ الققطاع في الاسلام
محمد عبده ٧٠٨ (راجع الاستاذ الامام)	
محمد عبيد الله ٣٣٨ و ٣٨٥ و ٤٦٨ و ٥٤٩	(م)
٦٠٢ المدارس الالمانية في آسيا	٢٨٢ لما تم ونساء مصر وأوربا
٦٩٧ المدارس بدمشق الى القرن العاشر	٣٥٥ المال • تأثيره في السياسة والترقي
١٥٠ و ٥٦ • الدينية بالاستانة	٥٥٨ المؤمنون الاولون
٤٦٨ المدرسة العربية • (مشروعا)	٥٩٨ المباراة والمناقشة
٢٧٢ مدارس البنات	المبتدعة • تكفيرهم لغيرهم ٥٢٦ و ٥٤٠
٦٩٨ المدنية الاسلامية	٩٠٣ • وأهل السنة
٤٤٨ • العلمية الصناعية	٨٥٣ مبشر وروسية في المسلمين
٥٢٦ و ١٠٦ و ٥٢ و ٤٧ • اختلافها	٥٤٧ المبعوثون في دولتنا
٨٦٨ و ٥٨٧	٢٥١ و ١٨٢ المتفرجون • فسقهم
٦٧٦ المذاهب • براءة عالم منها	٤١٢ • والنساء النواشر
٥٨٩ • التنقل فيها	٨٩٣ مجالس النواب • ترجيحها الاثرية
٨٦٨ • توحيدها ٥٥٠ • حقيقتها	٤٩ مجلة الاحكام العدلية

صفحة	صفحة
٦٠٢	المذاهب ضررها ٥٨٧ و ٥٦٢ و ٥٢٦ و ٥٢
٣٣٧	« هلاكم بالحسد والتمني ٥٦٤٣ و
٤٤٣ و ١٢٥	« والنصارى ٩٠٥
٤٢٣	« تخريبهم لبيوتهم ٥٨٧
٥٦٧ و ٥٧	« حجة القرآن عليهم ٥٢٦
٢٦٢	« والقرآن ٣١ و ٥٦٢ و ٥٦٤٣ و ٦٤٩
٨٥٣ و ٣٨٩	« والقضاء ٧٤٦
٢٥٤	« المرأة المسلمة (راجع نساء)
٣٩٢	« المرأة المصرية والاوربية ٢٦٥
٣١٩	« المساجد • مرور الجنب فيها ٦٤٦
١٧٩	« المسافرين • رخصه ٦٤٩
٩٠٨	« الساكنين • الاخسان بهم ٤٩١
٥٤٦٥ و ٤٢٢ و ١٤٥	« المسخ في بني امرايل ٧٣١
٧٥٠ و ٤٦٨	« المسلم • استقلاله و ثقته ٣٣٦
١٢٠	« المسلمون • اتحادهم واستعدادهم ٥٣
٨٧٨	« استعدادهم للخير ٧٦٣
٢٤٦ و ٩٥	« تشابه علمهم ٥٩
٣٥٣	« تشبههم بغيرهم ١١٣ و ٦١
٣٥٦	« تفرقهم ٩٠٥ (راجع تفرق وخلاف)
١٦٩ و ٣٧	« تكفير بعضهم لبعض (راجع تكفير)
١٢٨	« خوضهم المثير للبدع ٥٨٧
٥٠٥ و ٤٢٦	« الشرك فيهم ٤٨٢
٦٦٨	« ظلمهم لانفسهم ٤٧
٢٥٨	« عناية ألمانيا بأحوالهم ٦٠٢

صفحة	صفحة
١٧٠	المهر • تسميته اجرا ٦٥١
٠١٧٨ و ١٨	المهر التغالي فيه ١٧٩
٥٧٩	المواطنة والنظام ٩١٤
٤٤٦	المواليد الثلاثة ٦٣٦
٤٠١	الموالي والتركات ٥٢٦
٢١٢	المولى إطلاقه على غير الله ٦٥٧ و ٦١
٠٣٩٨	موسى • بشارته بنينا ٥٢٨
	موسى كاظم (شيخ الاسلام) وأبيه ٦٤٩
٥٠	في المذاهب والتعليم ٢٩
١٧	ميثاق الزوجية ٢٧٢
	المحددون والفضيلة ٩١٩

(ن)

٥٤٢	ناقة المدارس والمكاتب ٨٨٠
٣٠٥	نادر شاه • معاملته للعلماء ٢١١ و ٨٨٠
٨١٠	النار • دوام عذابها ٣٨٥
٣٣٦	الناس • التفاوت بينهم ٤٤١ و ٥٥٠
٧٩٧	النهائي • كتبه ٣١٢
	نينا - إيمان السابقين ٥٧٢ - إيمان ٣١٢
	الكافرين به شرط ٤٧٥ - اتباع سنته ٧٢٤
	ومخالفتها ٥٦٧ - إيذاء قومه له ٤٦٩
	بشارة أشعيا ٣٩٦ - بشارته موسى ١٠٢
	به ٣٩٨ - بكاءه لسماع القرآن ٥٦٧
	تأييد الله له ٥٥٧ - تعدد أواجه ٧٤٦
	٦٠٣

صفحة	صفحة
٧٤٧ و ١٠	٨٠٨ - ثباته ونشر دعوته ٥٥٣ -
٨١٣	دلائل نبوته ٤٧٣ و ٤٨٠ - رواية
٤٨٩	تواجهه ١١٦ - طفولته ٦٥ - عمله
٢٥٥	وسياسته بالشورى ١٢١ - عموم
١٨	رسائله ١٩١ - عناية الله به ٤٨٠ -
٩٠	قول ورقة بن نوفل في نبوته ٣٩٤ -
٣٤٤	لبسه ثياب الروم والمجوس ٦١ -
٥٤٢	نسبة الوصايا المتامية اليه ١٩٤ -
٦٥٩ و ٥٧٩	الوحي اليه ١٥٥ و ٢٣١
٤٦٦	النسبة بالايان والعمل ٥٧٢
٤٤٥	النساء - أزواجهن ٢٧٣ - تزويجهن برضاهن
٨١٤	٤٨٦ - تفرجهن ٢٧٠ - تمنيهن
٦٩	خصائص الرجال ٣٣٣ - دهوى ظلم
١٧٦	الشرع لمن ٨٤٢ - رغبة الرجال
٤٠٨	فيهم وفسادهم لمن ٢٥٠ - ضربهم
١٦٧	للشوز ٤١١ - كرمهم والخير فيه ١٤ -
١٠٠ - ٨٢	كشف الاطباء عليهم ١٠١ - كسبهن
١٨٧ - ١٧٧	٣٣٥ - مبايعتهن للنبى ومشاركنهن للرجال
٧٤٧	٣٣٣ - مساواتهن للرجال ٤٠٥ - منعهن
٣٩٢	من الزواج وأكل مهرهن وأموالهن
٣٥٣	١٥ و ١١ - ميثاقهن الغليظ في الزوجية ١٧
	النساء الصالحات والنواشر ٤٠٨
	نساء الآستانة ٣١٤ و ٧٧٠
	أوروبا ومصر ٢٦٥
	هاجر - بشارتها نفسها ٣٩٧

(هـ - ي)

ق فهارس المجلد الثالث عشر للمنازل

صفحة	صفحة
٦ و ٦٩٨	٤١٠ هجر النساء في المضاجع
٤٢٣	١٠١ الهجرة الى بلاد الاسلام
٤٢٢	٥٨٤ الهدية بالاقتراع
٤٩١	٤٧ هرون الرشيد . علماء عصره
٣٩٥	٦٠ هولنده في جاوه
٠٢٢٣	٤٨٤ الوالدان . الاحسان بها
٩٥٨	٤٨٥ « ظلمها للاولاد
	٥٣٢ الوجود . مراتبه
اليهود . بخلهم وأثرهم ٨٠٥ - ترقيتهم	١٥٥ و ٢٣١ الوحي الى نينا . بدوه
لاوربا ٣٥٥ - خطرهم على الدولة	٣٩٤ ورقة بن نوفل
العثمانية ٧٢٥ و ٧٤٠ - طغيانهم	١٩٤ الوصية النامية المكذوبة
ومساعدتهم للمركبين على النبي	٥٨٨ الوضوء . اليسر فيه
٨٠٣ - عود الملك اليهم ٨٠٦ -	٧٦٧ وعاظ الترك
مقاومتهم ثم موادتهم للمسلمين ٧٢٤	٧٢٢ و ٧٧٩ الوعد والوعيد

٦ فهرس الاحاديث المخرجة والمفسرة في هذا المجلد ٦

« وتركنا ما جاء في بعض رسائل المكاتين لفقد الشرط »

صفحة	صفحة
٥٨٥	تركوني ما تركتكم
٣٢٢	اجتنبوا السبع الموبقات
١٨٤	أحاديث الرجم
٨١٩	اذا حدث الرجل
١١٤	اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة
	(١)
	آخر من يخرج من النار
	آية المنافق ثلاث
	انذني لا فلاح
	الاعمال بالنية

صفحة	صفحة	
١٩	٨١٩	إذا وسد الأمر
٩٤ و ٩١	٧٥٧	أصبت السنة
٨٨٣	٧٤٣	اعتقوها
٠٦٥٢	١٩	اعظم النساء بركة
٦٤٦	٨٩٨	افترقت اليهود
٦٥٦ و ٦٥٣	٨٣٢ و ٧٩٨	أفلق الأعرابي
٨٦	١١٦	افيكم من يفسدنا
٥٣٧	٥٦٧	اقرأ علي
٥٣٥	٣٢٢	ألا أنبشكم بأكبر الكبار
٥٣٦	٢٧٨	النفس ولو خافا
٤١٣	١٢١	أما إن الله ورسوله
	٤١٣	أما يستحي أحدكم
	٢٧	أمرنا أن نحدث
	٧٤٣	إن الله أقدر عليك
٤	٤٩٦	إن الله جميل
٩٠٠	٥٣٥	« خمر طينة آدم
٩٠٤	٤٩٤	« كتب الاحسان
٦٥٣	٣٤٤	« سيمنع هذا الدين
٨٢٣	٩٠٠	إن أهل الكتاب
٥٨٣	٨٧	إن الرضاعة تحرم
٤٩٢	٩٥٦	إن الصعيد الطيب
٥٣٧	٨٢٨	إن شريعتي جاءت
٢٧	٣٢٣	إن من أكبر الكبار
٢٨	١٩	إن من خير النساء
١٠٦		

(ب - ك)

٤	٧٤٣	بدا الاسلام غريبا
٩٠٠	٤٩٦	قتل أمي
٩٠٤	٥٣٥	تأزم جماعة المسلمين
٦٥٣	٤٩٤	التيمن ضربتان
٨٢٣	٣٤٤	ثلاث من كن فيه
٥٨٣	٩٠٠	جمع القرآن على عهد رسول الله
٤٩٢	٨٧	الجبران ثلاثة
٥٣٧	٩٥٦	الحجر الاسود يمين
٢٧	٨٢٨	حدثوا الناس بما يعرفون
٢٨	٣٢٣	حديث الاسودة عن يمين آدم
١٠٦	١٩	« تواجد النبي

صفحة	صفحة
٥٣٧	حديث حديث سهلة في رضاء الكبير ٩٤
٢١٣	« الشفاعة ٢٨
٨٣٠	« القصر في المدينة ٥٧٧
٨٣٠	« معارضة جبريل القرآن ٥٨٢
٠٨٩	« النعي عن قطع الأيدي في الغزو ٣٩
٩٠٤	« الوحي ١٥٧
٥٣٤	خط رسول الله خطأ ٨٢٨
٤٩٦	خير النساء ٤٠٨
٤٢٠	دعها يا أبا بكر ١١٦
٦٦٢	الدين النصيحة ٥٥٢
٢٧ و ٢٣	ستفترق أمي ٠٨٩٨
٩٠	السيد الله ٢١٣
	الشمس والقمر وجوهما ١١٨
	الصلاة وما ملكت أيمانكم ٤٩٥
٨٢٣	صلى النبي بالمدينة سبعا ٠٥٧٧
٣١١	طلق ايها شئت ١٠٠
٨٩	عرضت علي الجنة ٥٣٤
٨٩	هفوا نف نساؤكم ٢٥١
٢١٣	هفوت لكم صدقة ٦٥١
٩٤	عليك بالصعيد ٦٥٦ و ٦٤٨
٨٨٣	فاعزل تلك الفرق ٩٠٤
١٣٤	فأنت من أهل الجنة ٤٩٧
١٧٣	فلا يستخدموها ٧٤٣
١٣٧	قتلوه قتلهم الله ٦٥٩
	(ل)
	لا ايمان لمن لا ٠٥٧٧
	لا تتخذوا قبوري قبلة ١٠٠
	لا تحرم المصة ٥٣٤
	لا تحرم الاماجة ٢٥١
	لا تقولوا للمنافق سيد ٦٥١
	لا رضاء الا ما كان في الحولين ٦٥٦ و ٦٤٨
	لا طاعة لمخلوق ٩٠٤
	لا طلاق ولا عناق ٤٩٧
	لا نذر في غضب ٧٤٣
	لا نذر في معصية ٦٥٩

صفحة		صفحة	
٤٩٣	من كان يؤمن	٤٩٧	لا ولكن الكبر
١٣٨	من نذر ان يطيع	٩٤	لا يحرم من الرضاعة الا ما فتق
٣٢٩	من الذنوب ذنوب	٩٤	لا يحرم من الرضاع الا ما أنبت
		٤٩٦	لا يدخل الجنة
	(ن - ي)	١٣٨	لا يقضي القاضي
٥٦٧	نعم احب ان اسمعه	١٣٥	لا يقل أحدكم اللهم اغفر
٩٠٤	نعم دعاة على أبواب النار	٢١٢	لا يقولن أحدكم عدي
٩٠٤	نعم وفيه دخن	١٣٤	لا يمين في غضب
٨١٤	هات المفتاح	٤١١	لثقتن من زوجها
٨٢٩	هذا سبيل الله	٨٢٣	لن تزال أمني على الفطرة
٤٩٥	هم اخوانكم وخولكم	٦٥٧	لك الاجر مرتين
٩٠٠	هي الجماعة	٧٤٤	لو لم تفعل لفحكت
	وجعل تربتها * وجعل ترابها ٦٥٤ و ٦٦٣	١٩٩	ليأتين على أمني
٦٥٥	وجعلت لي الارض		(م)
١١٨	وكل بالشمس سبعة	٢٧	ما أنت بمحدث قوما
٤١٤	ولن يضرب خيارك	٤٩٢	ما زال جبريل يوصيني بالجار
٦٥٧	يا أسلم مالي أرى . يا أسلم قم	٦٤٨	ما منعك ان تصلي معنا
٨٢٩	يا أهل مكة لا تقصروا	٤٩٧	ما يبيك
٦٥٩	يا عمرو صليت بأصحابك	١١٨	ملك موكل بالسحاب
١١٦	يا معاوية ليس بكريم	١١٣ و ٥٦١	من تشبه بقوم
٩٨	يحرم من الرضاع	٥٣٣	من رأني في المنام
١١٤	يوم الجمعة	٧٤٢	من قتل عبده قتلناه
٥٣٤	يوتي بالموت	٨٣٢	من كان منكم مصليا

﴿ فهرس للكتب والجرائد التي قرظت في هذا المجلد ﴾

صفحة	صفحة		صفحة
٢٩٩	٤٦٤	الانجاء الاسلامي	٤٦٤
٣٠٢	٣٠٢	الاخاء	٣٠٢
١٤١	٢٩٧	أدب اللغة	٢٩٧
٢٩٨	٨٦٤	الاربعين في أصول الدين	٨٦٤
٦٣٤	٣٧٦	إرشاد الاريب الى معرفة الاديب	٣٧٦
٢٩٢	١٤٣	الاستاذ	١٤٣
٢٩٤	٤٦٢	الاستمناء	٤٦٢
٢٩٥	١٤١	الاسلام ومسترسكوت	١٤١
٣٨٣	١٢٣	اغائة الهمان في حكم طلاق الغضبان	١٢٣
٨٧٠	١٤٠	امام غزالي	١٤٠
٢٩٩	٣٠٢	الاتقاد	٣٠٢
٣٠٠	٣٨٢	الانسانية	٣٨٢
٢٩٩	٣٠٢	البيان	٣٠٢
٧٨٤	٧٨٤	تحرير المرأة ترجمة تركية	٧٨٤
٣٠٠	٢٩١	تدبير صحة الحامل والنفساء والطفل	٢٩١
١٤٤	٢٩٥	تقرير الجامعة المصرية	٢٩٥
١٢٣	١٩٠٩	تقرير السير الدين غور وست سنة ١٩٠٩م	١٩٠٩
١٤٤	٤٥٩	العلم (جريدة)	٤٥٩
٣٨٣	٣٨٣	العلم (مجلة)	٣٨٣
١٣١	١٤٢	الجامعة	١٤٢
١٢٣	٣٠٠	جامعة المنقول والمقول	٣٠٠
١٤٣	٧٨٣	حسن الصحابة لشرح شعر الصحابة	٧٨٣
		الفرائد	

صفحة	صفحة	
٩٥٤	٣٧٤	فلسفة النشوء والارتقاء
١٤١	١٣٩	فهرس دار الآثار العربية
١٤٢	٤٦٣	القطار السريع في علم البديع
٢٩٧	١٤٣	الكائنات
٨٦٧	٦٣٥	الكلية الألمانية الفرنسية
١٤٣	١٤٠	لجة النور
١٥٢	٢٩٩	اللطائف الالهية
٢٦٤	٤٦٠	مبادي الفلسفة القديمة
٣٧٨	٣٠٢	مرشد الامة
١٤٢	٤٦٤	معنى الحياة
٧٧٩	١٤٣	المتقد
٩٥٣ و ٣٠٠	١٤٤	المنظر
		منطق المشرقين . منتخبات الباردي
		مفاسد شهادة الزور
		مفردات انكليزية وعربية
		مقدمة السبرمان
		ميزان العمل
		النبراس
		النصائح الكافية
		النصيحة الاحسانية
		النظرات
		الهداية
		هيئة الناسك
		الهيئة والاسلام

فاتحة السنة الثالثة عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعلنا أمة التوحيد ، وجعل ديننا دين التوحيد ،
وسياستنا سياسة التوحيد ، وأعز من استقاموا منا على التوحيد ، وأذل من
انحرف عن محجة التوحيد ، ليعيدنا كما بدأنا إلى التوحيد ، انه هو يُعِدُّ
ويُعِيد * وهو الغفور الودود * ذو العرش المجيد * فعَلَّ لما يُريد *
والصلاة والسلام على محمد خاتم أنبيائه ورسله ، وصفوته من خلقه ،
الذي بعثه بتوحيد الألوهية ، ليحرر الخلق من رق العبودية ، للعوالم السماوية
أو الأرضية ، وبتوحيد الربوبية ، ليعتقهم من رق التقاليد الدينية ، التي ألحقها
رؤساء الأديان بالشرائع الإلهية ، وبتوحيد السياسة ليكون الشعوب والقبائل
أمة واحدة ، تضمها شريعة عادلة واحدة ، وتعارف بلغة واحدة ، ليطلقهم من
قيود الحكومة الشخصية الجائرة ، ويفكهم من أغلال العصبية الجنسية الخاسرة
فاهتدى بكتابه العقلاء المستقلون ، وضل به السفهاء المقلدون ، فمز بائعاه
المؤمنون ، وذل بأعراضهم المعرضون ، وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد * واوجعلنا قرا ناً معجباً ائقوالوا
لولا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ الْعَجْجِي وَعَرَبِي * قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين
لا يؤمنون في آذانهم وقر * وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد *

وبعد فقد تم للمنار اثني عشر عاما ، كان له منها اثني عشر سفرا كبيرا
فهي في هذه الامة كمنقبا بني اسرائيل ، تجوب الاقطار داعية الى ذلك
التوحيد ، مذكرة آخرها بما صلح به أولها ، وانها كالمطر ربا كان الخير
الكثير في آخرها ، وقد وعدنا الله تعالى بالاستغلاف في الارض ،
واظهار دينها على الدين كله ، فلا يعذر في الاسلام اليائسون ، ومن يقط
من رحمة ربه الا القوم الضالون * وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا
وينشر رحمته وهو الولي الحميد *

بدا الاسلام غريبا وسيعود كما بدا ،^(١) ومن تمام التشبيه أن يكون
على غربته شديد القوى ، فيوحد بهداية القرآن المتعددين ، ويجمع بارشاده
المتفرقين ، فيعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم باتباع السنة ، ويعيد اليهم
ما فقدوا من استقلال العقل والارادة ، فيخرجون من جحر الابتداء
والتقليد ، ويظهرون في حلي المجد الطارف والتليد ، أفعينا بالخلق الاول
بل هم في لبس من خلق جديد *

صادفت الدعوة مقاومة من قوم وارتياحا من آخرين ، كما بينا ذلك
في فواتح ما سبق من السنين ، ومن اكبر الآيات المبشرات ، بأننا في
اقبال حياة لافي ادبار ممات ، أن الورقات الخضراء ، في شجرة الامة
الجرداء ،^(٢) تزداد خضرة في كثرة ، لاسقوطا ولا صفرة ، فيالهامن شجرة
طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، حفظت حياتها على طول العهد بانقطاع
الماء ، فكأنك بها وقد أصابها الواابل فأتت أكلها ضعفين ، وأوتي أهيا
أجرهم مرتين ، قل هل تَرَبَّصُونَ بنا الا احدي الحُسَيْنين ، وهل نتربص

(١) اشارة الى حديث مسلم الذي يحتج به اليائسون وهو حجة عليهم (٢) اشارة الى قول الاستاذ الامام :
اننا في هذه الشجرة الجرداء ورقات خضراء فأندري أهى من بقايا الحياة القديمة هي مبدأ حياة جديدة

بانفسنا الا ما وعدنا من سعادة الدارين ، قل ان ربي يقذف بالحق علام
الغيوب * قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد *
قد تمهد طريق الاصلاح ، ونادى مؤذنه حي على الفلاح ، فسمعه
العربي والتركي ، والفارسي والهندي ، والتتري والصيني ، والملاوي والزنيجي ،
الحضري منهم والبدوي ، فأقبل كثير من المرضى ، وعرف كثير من
المنكرين ، ونطق كثير من الساكتين ، ودعا كثير من المبطلين ، وأدعى
كثير من الكاذبين ، فان كان قد آن لمن تمهد لهم الطريق ان يقولوا ، فقد
آن للممهدين ان يسيروا ، ولمن قالوا من قبل ان يفعلوا ، وهذؤوا إلى
الطَّيِّب من القول وهذؤوا إلى صراط الحَمِيد *

هذا ما أعد الله له الأمة ، بعد ان طال عليها أمد الغمة ، رأى أهل
البصيرة من عقلانها ما أصابها من الادواء ، وشعروا بشدة الحاجة الى الدواء
كان مرضها واحدا ، فكان شعورهم كذلك واحدا ، ذلك بأن الاسلام قد
جعلها أمة واحدة في صحتها ، وواحدة في مرضها ، لم يقو على توحيده إياها
اختلاف المذاهب واللغات ، ولا تباعد الجهات وتمدد الحكومات ، فكما
كانت صحتها بالاهتداء بكتابه وسننه ، كان مرضها بالاعراض عن هدايته ،
التي جمعت بين حقوق الروح وحقوق الجسد ، واستقلال العقل والارادة
في العلم والعمل ، ورابطتي الاخوة والفضل والبر والعدل بين جميع الملل
والنحل ، ^(١) وانما العلاج ان يرجعوا من دينهم الى خير ما فقدوا ، وبأخذوا
لمصلحة دينهم أحسن ما وجدوا ، وكذلك فعل المنعم عليهم ، الذين كفوم

١٥ كتبنا في المنار من قبل مقالة في جنسية الاسلام بينا فيها ان الاسلام جاء برابطتين اجتماعيتين
احدهما دنيوية اجتماعية وهي تربط جميع من يعيشون في داره ويخضعون لسلطانه بشرعية العدل والمساواة
والبر والاحسان مهما اختلفت ديانهم . والثانية روحانية تربط الاخذين بعقائده وآدابه بأخوة أخرى

التأسي والاهتداء بهم ، لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد *
 لقد رحضت النوازل هذه الأمة رحضا ، ثم مخضتها النوازل مخضاً ، وقد آن ان تخرج زبدها محضاً ، فقد ظهرت نقطه من زمن بعيد ، وكثرت ذراته من عهد قريب ، ولم يبق الا أن يجذب بعضها الى بعض ، وتتكون في جانب من الزق ، هنالك يظهر خير الاسلام ، ويعرف فضله في جميع الأنام ، وان ذلك لواقع ماله من دافع ، انهم يرونه بعيداً ، وراه قريباً ، سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد *

فالمنار يذكر مردي الاصلاح في هذا العام ، بوجوب التعاون على الاستمداد من هذا الاستعداد العام ، فبادروا الى اغتنام فرص الزمان ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، وماذا الا ان تجتمعوا على حقيكم ، وتعارفوا أنتم ومن يشعر شعوركم ويرى رأيكم ، وتوحدوا طريق التربية والتعليم ، في الجمع بين علوم الدنيا والدين ، قبل ان يغلبكم على الامة أهل التربية المادية المضطربة ، والتعاليم التقليدية المذبذبة ، الذين تحولوا عن التقاليد الاسلامية ، الى التقاليد الافرنجية الصورية ، فهم يدحرجون الامة من تقليد الى تقليد ، ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مردي *

لقد وقف سلفنا العقار والاراضي الواسعة ، وبذلوا الدثور والاموال الكثيرة ، على معاهد العلم كالمدارس والمكاتب ، ومعاهد التربية والارشاد كالباطات والتكاي والزوايا ، وهانحن أولاء نرى الخلف ، قد انشأوا يحبون

سنة السلف ، فهم يبذلون الاموال الكثيرة للاعمال العلمية والخيرية ،
والاحزاب والجمعيات السياسية ، أحسبتم أن الامة تسغو في نهضتها على
الحفظ والمنافع العاجلة ، وتبخل على الاصلاح الاسلامي الجامع بين سعادة
الدنيا والآخرة ؟ تلك اذا كربة خاسرة ، وانا لمردودون في الحافرة ، كلا اننا
أمة قد مكنت فيها ومافارقها الحياة ، وان الاسلام نائم في قلوب العامة فيحتاج
الى الايقاظ ، وقد كثرت صيحات الموقظين ، الا أنهم لا يزالون متفرقين
ومختلفين ، وقد أذن اليوم بينهم مؤذن التوحيد ، وجاءت كل نفس معها سائق
وشهيد . لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد .
ان المجتمعين أجدر بالفلاح من المتفرقين ، وان المتفقيين أحق بالنجاح
من المختلفين ، وان المستقلين أولى بالثبات من المقلدين ، وان الثابتين أقوى
في الجلاء من التزلزليين ، على أننا لانجالد أعداء الاصلاح بسيف ولا سنان ،
وانما نجادلهم بالحجة والبرهان ، ونحاشهم الى السنة والقرآن ، ونصبر على
ما آذونا ، ونحسن اليهم وان أساؤا الينا ، ولكن لا تترك أمر الامة في التربية
والتعليم ، يتنازع التفرنج الحديث والجمود القديم ، فلم دون ذلك ما يشاؤون ،
وليعملوا على مكائدهم انا عاملون ، وليتظروا انا منتظرون ، من عمل صالحاً
فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد

يا أهل القرآن : ان القرآن كان حجة لكم ، فصار اليوم حجة عليكم ،
أخبركم الله فيه أن الارض يرثها عباده الصالحون ، وان العزة لله ولرسوله
وللمؤمنين ، وان حقاً عليه نصر المؤمنين ، وانه وعد الذين آمنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض ، وقال «ولن يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلاً» ، ويبين ذلك بقوله «ما على المحسنين من سبيل ، انما السبيل

على الذين يظلمون الناس ويبيعون في الارض» ، فبال الناس يرثون أرضكم،
ويخلفونكم في ملككم ، وأنتم لا ترثون أرضاً ، بل لا تحفظون أرضاً ، وما بالهم
يسلكون كل سبيل الاقيات عليكم ، وما بالكم تحربون بيوتكم بأيديهم
وأيديكم ، كيف ذهبت عزتكم ، وكيف خضدت شوكتكم ، وكيف كنتم
تأخذون فتحمدون ، فصرتم تعطون فتذمون ، هل رضيتم بأن تكونوا من
الظالمين الباغين ، بعد ان كنتم خير العادلين المحسنين ، أليس منكم رجل رشيد ،
اترضون ان تكونوا ممن نزل فيهم « بأسهم بينهم شديد » ألا تدبرون قوله
تعالى « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه ألم شديد »
يا أهل القرآن : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف

وتنهون عن المنكر » ، وجعلكم الله أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس من
أفرط منهم ومن فرط ، ولكنكم غيرتم ما بأ أنفسكم ، فقير الله ما بكم ، فتنبه
الوثنيون وأنتم غافلون ، واجتمع اليهود وأنتم متفرقون ، وسبق النصارى
وأنتم متخلفون ، وهما أنتم أولاً تستيقظون ، فان سرتهم المويثا فالناس مجدئون ،
وان كنتم لا تزالون تختلفون فهم يتفقون ، فلا يفرقن بينكم جنس ولا نسب ،
ولا لغة ولا مذهب ، ولا سياسة ولا مشرب ، فان تفرقتم فهي القاضية ،
فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية ، اعتبروا بتأريخ من قبلكم ، وبأحوال الامم
في عصركم ، وتدبروا القرآن ، وما بينه من سنن الله في نوع الانسان ، فقد آن
الاولان ، واستدار الزمان ، واتصل القريب بالبعيد ، وامتاز الغوي من الرشيد ،
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

منشيء النار ومحوره

محمد رشيد رضا الحسيني

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٢٣ : ١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَفْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ، وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (٢٤ : ١٩) وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ أَحَدِيهِنَّ قَنَطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٢٥ : ٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنِ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا

قالوا في وجه اتصال الآية الاولى من هذه الايات بما قبلها من اول السورة لما نهى سبحانه فيما تقدم عن عادات الجاهلية في امر اليتامى والاموال عقبه بالنهي عن نوع من الاستئنان بسننهم في النساء انفسهن او اموالهن . وقال الاستاذ الامام وجه الاتصال ظاهر وهو ان الكلام من اول السورة في النساء واليتيم وانما جاء ذكر التوبة استطرادا . واما ماورد في سبب نزولها فقد اخرج ابن جرير وابن ابى حاتم من طريق علي عن ابن عباس قال كان الرجل اذا مات وترك جارية ألقى عليها حميه توبه فمنعها من الناس فان كانت جميلة تزوجها وان كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها . وفي رواية البخاري وأبي داود : كانوا اذا مات الرجل كان

اولياؤه احق بامراته ان شاء بعضهم تزوجها وان شاءوا زوجوها وان شاءوا لم يزوجوها فهم احق بها من اهلها فنزلت هذه الآية في ذلك . واخرج ابن المنذر عن عكرمة قال نزلت هذه الآية في كيشة ابنة معن بن عاصم من الاوس كانت عند ابي قيس ابن الأسلت فتوفي عنها فجئح عليها ابنه فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : لا انا ورثت زوجي ولا انا تركت فانكح . فنزلت . وروي مثله عن ابي جعفر . واخرج ابن ابي حاتم عن زيد ابن اسلم قال كان اهل يثرب اذا مات الرجل منهم في الجاهلية ورث امرأته من يرث ماله فكان بعضهم حتى يتزوجها او يزوجها من أراد فنهى الله المؤمنين عن ذلك . وروي عن الزهري انها نزلت في الرجل يحبس المرأة عنده لا حاجة له بها وينتظر موتها حتى يرثها . قال تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ﴾ اي لا يحل لكم أيها الذين خرجوا من الشرك وتقاليد الجائرة وآمنوا بالله وبما نزل على رسوله (ص) ان تستمروا على سنة الجاهلية في هضم حقوق النساء فتجعلوهن ميراثا لكم كالأموال والعروض والعبيد وتتصرفوا بهن كما تشاءون فان شاء احدكم تزوج امرأة من يموت من أقاربه وان شاء زوجها غيره وان شاء امسكها ومنعها الزواج وذلك هو العزل الآتي ذكره . وقيل المراد لا يحل لكم ان ترثوا اموال النساء كرها بان تمسكوهن على كره لاجل ان تموتوا وترثوهن وقوله « كرها » قرأه حمزة والكسائي بالضم حيث وقع ووافقهما عاصم وابن عامر ويعقوب في الاحقاف وقرأه الباقر بالفتح . وهو بالضبطين مصدر لكره ضد أحب (كما ورد الضعف بضم الصاد وفتحها) وقيل الكره بالضم الاكراه وبالفتح الكراهية وقيل يطلق كل منهما على المكروه وعلى ما اكره المرء عليه . ولذلك اختلفوا في تفسير الكره هنا فقيل معناه لا ترثوهن حال كونهن كارهات لذلك ، وقيل حال كونهن مكروهات عليه ، وقيل حال كونهن كارهين لهن ، وقيل حال كونكم مكروهين لهن وكل هذه المعاني صحيحة . ولفظ الكره ليس قيداً للتحريم وانما هو بيان للواقع . قال الاستاذ الامام : كانت العرب تحتقر النساء وتعدهن من قبيل المتاع والعروض حتي كان الاقربون يرثون زوجة من يموت منهم كما يرثون ماله فحرم الله

هذا العمل من اعمال الجاهلية . ولفظ الكره هنا ليس قيذا وانما هو بيان للواقع الذي كانوا عليه فانهم كانوا يرثونهن بغير رضاهن ﴿ ولا تعضوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ﴾ اصل العضل التضيق والمنع والشدة ومنه الداء العضال اي الشديد الذي لا منجاة منه . والجملة مستأنفة للنهي عن العضل أو معطوفة على ما قبلها بناء على انه في معنى النهي كما هو مفهوم التحريم كأنه قال لا ترثوا النساء ولا تعضوهن . ويجوز ان تكون « لا » لتأكيد النفي و « تعضوهن » معطوف على « لا ترثوا » والمعنى لا يحل لكم ارث النساء ولا عضلن اي ولا التضيق عليهن لاجل أن تذهبوا ببعض ما آتيتموهن أي أعطيتوهن من ميراث أو صداق أو غير ذلك والخطاب لمجموع المؤمنين لتكافلهم فيصدق بما اعطوه للنساء من ميراث ومهر وزواج وغير ذلك وجعله بعضهم للازواج وبعضهم للورثة وكل منهم كان يعضل النساء

وقد اخرج ابن جرير عن ابن زيد قال كانت قریش بمكة ينكح الرجل منهم المرأة الشريفة فلعلها ما تواقفه فيفارقها على ان لا تزوج الا بأذنه فيأتي بالشهود فيكتب ذلك عاينها فاذا خطبها خاطب فان اعطته وارضته اذن لها والا عضلها . وكثيرا ما كانوا يضيقون عليهن ليقنين منهم بالمال ، وليراجع تفسير قوله تعالى (٢ : ٢٣١) واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكنهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكنهن ضرا لاعتدوا (١) وقوله (٢ : ٢٢٩) ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا (٢) وغير ذلك . وخص الآية في الجلائن بالمنع من الزواج ورده الاستاذ الامام قال : ليس معنى العضل هنا ما قاله المفسر (الجلال) من انه المنع من زواج الغير بل معناه لا تضاروهن ولا تضيقوا عليهن ليكرهنكم ويضطررن الى الاقتداء منكم فقد كانوا يتزوجون من يعجبهم حسنهما ويتزوجون من لا تعجبهم أو يمسكنها حتى تقتدي بما كانت ورثت من قريب الوارث أو ما كانت أخذت من صداق ونحوه او المجموع من هذا وذاك وربما كفوها الزيادة ان علموا انها تستطيعها وذلك هو العضل المحرم هنا . اقول وروي نحوه من هذا عن أبي جعفر (رض) وكثير من المفسرين . واقول قد تقدم انهم كانوا لا يرثون

المرأة فليراجع تفسير « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون » من هذا الجزء وهذه السورة وكذلك اسباب الارث عند الجاهلية في أول تفسير آيتي الموارث

﴿ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ الفاحشة الفعل الشديدة القبح وكلمة « مبينة » قرأها ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بفتح الياء المشددة اي بصيغة اسم المفعول والباقون بكسرها اي بصيغة اسم الفاعل أي ظاهرة متبينة أو مبينة حال صاحبها فاضحة له . وقد ورد يئن بمعنى تين اللزم . روي عن ابن عباس وقتادة والضحاك ان الفاحشة المبينة هنا هي النشوز وسوء الخلق . قال بعضهم ويؤيد ذلك قراءة ابي « الا ان يفحش عليكم » وروي عنه وعن ابن مسعود انهما قرءا « الا ان يفحش » دون لفظ « عليكم » وعندي انهما ذكرا الآية بالمعنى فظن السامع انهما روي ذلك قراءة فعنيا لفظ القرآن . وعن الحسن وغيره انها الزنا . ويجوز ان يراد بها ما هو أعم من الامرين . والمعنى لاعتصاها في حال من الاحوال أو في زمن من الازمان الاحال أو الزمن الذي يأتين فيه بالفاحشة المبينة دون الظنة والشبهة فاذا نشزنا عن طاعتكم بالمعروف المشروع ولم ينفع معهن التأديب الذي سيدرك في آية أخرى من هذه السورة وساءت عشرتهن لذلك أو تين ارتكابهن للزنا أو السحاق فلكم حينئذ ان تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صدق وغيره إذ لا يكلفكم الله أن تحسروا عليهن ما لكم في هذه الحالة التي يجي فيها الفحش من جانبهن كافي الآية الاخرى « ٢٢٩ : ٢ » ولا يحل لكم ان تأخذوا ما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا أن لا يقبلا حدود الله » وقد أشرنا اليها آفا

الاستاذ الامام : روي عن بعض مفسري السلف ان الفاحشة هنا هي الزنا وعن بعضهم انها النشوز وعن بعضهم انها الفحش بالقول والصواب عدم تعيينها وتخصيصها بأحد هذه الامور بل تبقى على اطلاقها فتصدق بالسرقة ايضا فانها من الامور الفاحشة المقنونة عند الناس ولكن يعتبر فيها هذا الوصف المنصوص وهو أن تكون مبينة أي ظاهرة فاضحة لصاحبها وإنما اشترط هذا القيد لئلا يظلم الرجل المرأة باصابتها الهفوة واللم ، أو بمجرد سوء الظن والتهم ، فمن الرجال الغيور السيء الظن يؤاخذ

المرأة بالمفوة فيعدها فاحشة . وقد حرم الله المضارة لاجل أن يأخذ الرجل منها بعض ما كان آتاه من صدق أو غيره فلم منه ان المضارة لاخذ جميع ذلك أو أكثر منه حرام بالاولى . وإنما ابيح للرجل أن يضيق على امرأته اذا أتت بالفاحشة الميينة لان المرأة قد تكره الرجل وتميل إلى غيره فتؤذيه بفحش من القول والفعل ليملها ويسأم معاشرتها فيطلقها فتأخذ ما كان آتاه وتزوج آخر تتمتع معه بما لاول وربما فعلت معه بعد ذلك كما فعلت بالاول . واذا علم النساء ان العضل والتضييق بيد الرجال ومما ابيح لهم اذا هن اهتتم بارتكاب الفاحشة الميينة فان ذلك يكفهن عن ارتكابها والاحتيال بها على أرذل الكسب

﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ أي يجب عليكم ايها المؤمنون أن تحسنوا عشرة نساكنكم بأن تكون مصاحبتكم ومخالطتكم لمن بالمعروف الذي تعرفه وتألفه طبايعهن ولا يستنكرن شرعاً ولا عرفاً ولا مروءة فالتضييق في النقطة والايذاء بالقول والفعل وكثرة عبوس الوجه وتقطيعه عند اللقاء كل ذلك ينافي المشرة بالمعروف . وفي المعاشرة معنى المشاركة والمساواة اي عاشروهن بالمعروف وليعاشرنكم كذلك وروي عن بعض السلف انه يدخل في ذلك ان يتزين الرجل للمرأة بما يليق به من الزينة لانها تتزين له والغرض أن يكون كل منهما مدعاة سرور الآخر وسبب هئانه في معيشته . وقد فسر المعروف بعضهم بالنصفة في القسم والنقطة والاجال في القول والفعل وفسره بعضهم تفسيراً سلبياً فقال هو ان لا يسيء اليها ولا يضرها وكل منهما ضعيف وجمل الاستاذ الامام المدار في المعروف على ما تعرفه المرأة ولا تستنكره وما يليق به وبها بحسب طبقتها في الناس وقد اشرنا الى ذلك . وادخل فيه بعضهم وجوب الخادمة لها ان كانت ممن لا يخدمون انفسهن وكان الزوج قادراً على اجرة الخادمة . وقيل يقصر المسلمون فيما يجب للنساء من النقطة بل هم أكثر اهل الملل انفاقاً على النساء واقلمهن إرهاقاً لمن بالخدمة ولكنهم قصروا في أمور أخرى : قصروا في اعداد البنات للزوجة الصالحة بما يجب من الترية الدينية الاجتماعية الاقتصادية الصحية والتعليم المغذي لهذه الترية فعسى ان يرجعوا عن قريب

﴿ فان كرهتموهن ﴾ لعيب في الخلق أو الخلق مما لا يعد ذنباً لمن لان أمره ليس في أيديهن أو التقصير في العمل الواجب عليهن في خدمة البيت والقيام بشئونه مما لا يخلو عن مثله النساء وكذا الرجال في أعمالهم أوليل منكم الى غيرهن فاصبروا ولا تعجلوا بمضارتهم ولا بمفارقتهم لاجل ذلك ﴿ فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ فهذا الرجاء علة لما دل عليه السياق من جزاء الشرط. ومن الخير الكثير بل أهمه وأعلاه الاولاد النجباء فرب امرأة يملأ زوجها ويكرها ثم يحبته منها من تقر به عينه من الاولاد النجباء فيعلو قدرها عنده بذلك وقد شاهدنا وشاهدنا الناس كثيراً من هذا وناهيك به « ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين »

نعم الإله على العباد كثيرة واجلهن نجابة الاولاد

ومنها ان يصلح حالها بصبره وحسن معاشرته فتكون أعظم أسباب هئائه في انتظام معيشته وحسن خدمته لاسيما اذا اصاب بالامراض أو بالفقر والعوز فكثيراً ما يكره الرجل امرأته لبطره بصحته وغناه واعتقاده انه قادر على ان يتمتع بخير منها وأجل فلا يلبث ان يسلب ما لبطره من النعمة ويكون له منها اذا صبر عليها في ايام البطر، خير سلوى وعون في ايام المرض او العوز، فيجب على الرجل الذي يكره زوجه أن يتذكر مثل هذا ويتذكر ايضاً انه لا يخلو من عيب تصبر امرأته عليه في الحال، غير ما وطنت نفسها عليه في الاستقبال، وقد بينا حاجة كل من الزوجين الى مودة الآخر ورحمته ولا سيما في حال الضعف والعجز في مقالات (الحياة الزوجية) قراجع في المجلد الثامن من المنار وربما نودع ذلك في تفسير قوله تعالى (٣٠: ٢٠) ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة

هذا وان التعليل في الآية يرشدنا الى قاعدة عامة تأتي في جميع الاشياء لافي النساء خاصة وهي ان بعض ما يكرهه الانسان يكون فيه خير له متى جاء ذلك الخير تظهر قيمة ذلك الشيء المكروه وهي قاعدة عرف المقلد صدقها بالتجارب ولاجل التنبيه لها قال تعالى «وعسى أن تكرهوا شيئاً ولم يقل وعسى ان تكرهوا امرأة» ثم ان في الصبر على المكروه واحتماله فوائد اخرى غير ما يمكن ان يكون في المكروه

نفسه من الخير المحبوب فالصابر المتحمل يستفيد من كل مكروه بصبره ورويته سواء ترتب عليه في ذاته خيراً أم لا . ومن المكروه الذي يترتب عليه خير القتال بالحق لاجل حماية الحق والدفاع عنه فهو بما فيه من المشقة مكروه طبعاً وناهيك بما يترتب عليه من إظهار الحق ونصره وظهور أهله وخذلان الباطل وحزبه (راجع تفسير ٢١٦: ٢ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ١٥) وللاستاذ الامام كلام حسن هناك في ذلك وليس عندنا شيء عنه في هذه الآية . والحاصل ان الاسلام يوصي أهله بمحسن معاشره النساء والصبر عليهن اذا كرهن الازواج رجاء ان يكون فيهن خير . وانما يبيح مؤاخذتهن بما تقدم من العضل حتى يفتردين بالمال اذا اتين بفاحشة مينة بحيث يكون امسا كن سبباً لمهانة الرجل واحتقاره ، او اذا خافا ان لا يقيم حدود الله كافي آية البقرة . والا وجب على الزوج اذا طلق امرأته أن يعطيها جميع حقها وذلك قوله عز وجل :

﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتن إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ﴾ أي إن أردتم استبدال زوج جديدة ترغبون فيها مكان زوج سابقة ترغبون عنها لكرهتكم لها وعدم طاقكم الصبر على معاشرتها بالمعروف وهي لم تأت بفاحشة مينة وقد آتيتن من قبل إحداهن قنطاراً من المال اي مالا كثيراً (٢) سواء اخذنه وحزنه في ايديهن أو التزمتوه لهن فصار دينا في ذمتكم فلا تأخذوا منه شيئاً بل يجب ان يكون كله لصاحبته لانكم انما تستبدلون غيرها بها لاجل هواكم وتمتعكم بغير ذنب شرعي منها يبيح لكم أخذ شيء منهن كأن تكون هي الطالبة لفراقكم المسببة اليكم لاجل حملكم على طلاقها . فاذا لم تفعل شيئاً يبيح لكم ذلك فبأي وجه تستحلون أخذ شيء من مالها ؟ ﴿ اتأخذونه بهتاناً وانما مينا ﴾ إستفهام انكار وتوبيخ اي اتأخذون ذلك الشيء باهتين إياها كاذبين عليها بنسبة الفاحشة اليها ؟ فالبهتان هو الكذب الذي يبهت المكذوب عليه ويسكته متحيراً يقال بهتت فبهت اي اقترى عليه هذا النوع من الافتراء فأدهشه وأسكته متحيراً والاثم الحرام . قال الأستاذ الامام ان ذكر ارادة الاستبدال مبني على الغالب في مثل

١٦ نحریم اكل مال الزوج المراد استبدال غيرها بها. الافضاء (المارج ١ م ١٣)

هذه الحالة وليس شرطا لعدم حل اخذ شيء من مال المرأة فاذا طلقها وهو لا يريد تزوج غيرها وإنما كره عشرتها أو اختار الوحدة وعدم التقيد بالنساء أو غير ذلك فإنه لا يحل له اخذ شيء من مالها كما يعلم من اشتراط الاتيان بفاحشة مينة

﴿ وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض ﴾ انكار آخر لاخذ شيء من مال المرأة مع إحاشاها بالطلاق والرغبة عنها اكد به الانكار الاول مبالغة في التنفير أو الاستفهام للتعجب من حال من تمتع بامرأته وعاملها معاملة الأزواج وهي اشد صلة حبوية بين البشر ثم رغب عنها واراد فراقها من غير أن تتوصل إلى ذلك أو تلجئه اليه بارتكاب الفاحشة المينة أو عدم اقامة حدود الله ولم يتأثم مع ذلك من أكل شيء من مالها الذي كان آتاه في حال الاقبال عليها والرغبة فيها . يقول كيف تأخذون ذلك الشيء من ما هن والجمال انكم قد افضيتهم اليهن اي خلصتم ووصلتم اليهن ذلك الخلوص الخاص بالزوجين الذي يتحقق به معنى الزوجية تمام التحقق فيلبس كل منهما الآخر حتي كأنهما حقيقة واحدة ولاجله يعبر بها عن كل منهما باللفظ المفرد الدال على التثنية « زوج » وبه يتكون منهما الولد الذي هو واحد نسبته الى كل منهما واحدة ؟ أبعد هذا الافضاء والملابسة يصح ان يكون القاطع للصلة العظيمة طامعا في مال الآخر المظالم ولسان الحال يقول

وبتنا وما بيني وبينك ثالث كزوج حمام أو كفصين هكذا
فمن بعد هذا الوصل والود كله أ كان جميلا منك تهجر هكذا

وقال بعض الفقهاء ان المراد بالافضاء هنا الخلوة الصحيحة ، وان لم تحصل فيها الملازمة المقصودة ، وهم انما يفسرون بما يوافق قواعدهم وان لم يتفق مع الاسلوب العربي البليغ فالجمل من باب الكناية وانما تكون فيما لا يحسن التصريح به ويؤيده تعدية الافضاء بالى الدال على منتهى الاتصال . وهذا من حسن نزاهة القرآن في التعبير وأدبه العالي في الخطاب ومن الدقة فيه ما ذكره الاستاذ الامام من نكتة التعبير بقوله « بعضكم الى بعض » أي مع كون الظاهر أن يقول وقد افضيتهم اليهن أو افضي أحدكم الى الآخر وهي الاشارة الى كون كل واحد من الزوجين بمنزلة

جزء الآخر وبعضه المتمم لوجوده فكان بعض الحقيقة كان منفصلا عن بعضها الآخر فوصل اليه بهذا الافضاء واتحد به

ثم قال ﴿ وأخذن منكم ميثاقا غليظا ﴾ أي عهدا شديدا موثقا يربطكم بهن أقوى الربط وأحكمه . وقد روي عن قتادة وغيره ان هذا الميثاق هو ما أخذ الله للنساء على الرجال بقوله (٢ : ٢٢٩ فامساك بمعروف أو تسريح بإحسان) قال وقد كان ذلك يؤخذ عند عقد النكاح فيقال : الله عليك لتسكن بمعروف أو لتسرحن بإحسان . وعن مجاهد انه كلمة النكاح أي صيغة العقد التي حلت به المرأة للرجل وقال بعضهم هو ما أمر الله تعالى به الرجال من معاشرتهن بالمعروف كما في الآية التي قبل هذه . وقال الاستاذ الامام ان هذا الميثاق الذي أخذه النساء من الرجال لا بد أن يكون مناسباً لمعنى الافضاء في كون كل منهما من شئون الفطرة السليمة وهو ما أشارت اليه الآية الكريمة (٢١ : ٣٠) ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) فهذه آية من آيات الفطرة الالهية هي أقوى ما تعتمد عليه المرأة في ترك أبويها واخوتها وسائر أهلها والرضا بالاتصال برجل غريب عنها تساهمه السراء والضراء ، فمن آيات الله تعالى في هذا الانسان ان تقبل المرأة بالانفصال من أهلها ذوي الغيرة عليها لأجل الاتصال بالغريب تكون زوجاً له ويكون زوجها لها تسكن اليه ويسكن اليها ويكون بينهما من المودة والرحمة أقوى من كل ما يكون بين ذوي القرى فكانه يقول ان المرأة لا تقدم على الزوجية وترضي بأن تترك جميع أنصارها وأحبائها لأجل زوجها الا وهي واثقة بأن تكون صلتها به أقوى من كل صلة وعيشتها معه أهناً من كل عيشة ، وهذا ميثاق فطري من اغلظ المواثيق وأشدّها إحكاماً . وإنما يفقه هذا المعنى الانسان الذي يحس إحساس الانسان ؛ فليأمل تلك الحالة التي ينشئها الله تعالى بين الرجل وامرأته يجد ان المرأة اضعف من الرجل وانها تقبل عليه وتسلم نفسها اليه مع علمها بانه قادر على هضم حقوقها فعلى اي شيء تعتمد في هذا الاقبال والتسليم ؟ وما هو الضمان الذي تأخذه عليه والميثاق الذي توثقه به ؟ ماذا يقع في نفس المرأة إذا قيل لها إنك ستكونين

(المتارج ١) (٣) (المجلد الثالث عشر)

زوجا لفلان ؟ ان اول شيء يخطر في بالها عند سماع مثل هذا القول او التفكير فيه وان لم تستل عنه هو انها ستكون عنده على حال افضل من حالها عندايتها وامها وما ذلك الا شيء استقر في فطرتها وراء الشهوة ، ذلك الشيء هو عقل إلهي وشعور فطري اودع فيها ميلا الى صلة مخصوصة لم تعدها من قبل ، وثقة مخصوصة لاتبجدها في أحد من الاهل ، وحنوا مخصوصا لاتبجدها موضعا الا البعل ، فمجموع ذلك هو الميثاق الغليظ الذي اخذته من الرجل بمقتضى نظام الفطرة الذي يوثق به ما لا يوثق بالكلام الموثق بالعهود والايمان ، وبه تعتقد المرأة انها بالزواج قد اقبلت على سعادة ليس وراءها سعادة في هذه الحياة وإن لم تر من رضىت به زوجا ، ولم تسمع له من قبل كلاما ، فهذا ما علمنا الله تعالى إياه وذكرنا به - وهو مركز في اعماق نفوسنا - بقوله ان النساء قد اخذن من الرجال بالزواج ميثاقا غليظا ، فما هي قيمة من لا يفني بهذا الميثاق وما هي مكاتته من الانسانية اه بتصرف ما

وقد استدل بعض الناس بالآيتين على منع الخلع وهو بضم الخاء طلاق المرأة على عوض تبذله للرجل كأن تترك له ما كانت اخذت منه من صداق وغيره ولذلك قالوا ان ما هنا نسخ لآية البقرة ٢٥: ١٢٩ فان ختم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، وزعم آخرون ان تلك ناسخة لهذه وليس عند أحد الفريقين دليل على ان ما جعله ناسخا هو المتأخر وإنما أعياسهم الجمع بين الحكيم فحكوا بنسخ احدهما بالآخر وآية النسخ التنافي ولا تنافي بين ما هنا وما في سورة البقرة كما علم من التفسير الذي شرحناه آنفا وقد صرح المحققون بعدم النسخ في الموضعين وقالوا ان المحرم هنا هو أخذ شيء من مال المرأة بغير طيب نفس منها والمباح هناك ما افتدت به نفسها برضاها لتعذر الاتفاق بينها وبين زوجها

واستدل بعضهم بذكر القنطار هنا على جواز التغالي في المهور والآية ليست نصا في جواز جعل القنطار مهرا لجواز ان يكون ايتاء القنطار بوجوه متعددة كالهدايا والمنح ولكن روى سعيد بن منصور وابو يعلى بسند جيد عن مسروق أن عمر بن الخطاب (رض) نهى على المنبر أن يزاد في الصداق على اربع مئة درهم ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت : أما سمعت الله يقول « وآتيتهم إحداهن

قنطارا ، قال اللهم عفوا كل الناس اقمه من عمر ! ثم رجع فركب المنبر فقال : اني كنت نهيتكم أن تزيدوا في صدقاتهن على أربع مئة درهم فمن شاء ان يعطي من ماله ما أحب . وفي رواية أبي عبد الرحمن السلمي عند عبد الرزاق وابن المنذر انه قال : إن امرأة خاصمت عمر فخصمته . وفي الموقفيات للزبير بن بكار عن عبد الله بن مصعب قال قال عمر : لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية (أي من الفضة) فمن زاد أوقية جعلت الزيادة في بيت المال ، فقالت امرأة ماذا لك ، قال ولم ؟ قالت لأن الله يقول « وآتيم أحدهن قنطارا » الآية فقال عمر : امرأة أصابت ورجل أخطأ . وتقول نعم ان الشريعة لم تحدد مقدار الصداق للمرأة بل تركت ذلك للناس لتفاوتهم في الغني والفقر فيعطي كل بحسب حاله ولكن ورد في السنة الارشاد الى اليسر في ذلك وعدم التغالي فيه ومنه حديث « ان من خير النساء ايسرهن صداقا » رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن عباس ، وحديث « ان من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها » رواه احمد والحاكم والبيهقي من حديث عائشة . وفي معناها حديثها عند هؤلاء ، اعظم النساء بركة ايسرهن صداقا ، كذا رأيته في بعض كتب التفسير وهو في الجامع الصغير بلفظ « ايسرهن مؤنة »

هذا وان التغالي في المهور قد صار من اسباب قلة الزواج لانه يكلف الرجال ما لا طاقة لهم به وقلة الزواج تفضي الى كثرة الزنا والفساد ويكون الغبن في ذلك على النساء اكثر حتى انه ربما ينتهي بالسنة الالهية في الخلق المعبر عنها برد الفعل الى أن يصير النساء في الاسلام هن اللواتي يعطين المهور للرجال ليتزوجوهن كما هي عادة النصارى . وانك ترى هذه العادة الضارة متمكنة في بعض الناس تمكننا غريبا حتى ان احدهم ليمتنع من تزويج ابنته للكفء الصالح الذي لا يطعم في مثله اذا كان لا يعطيه ما يراه لاثقا بمقامه من الصداق وقد يزوجه لمن لا يرضيه دينه ولا خلقه ولا يرجوها الهناء عنده اذا هو أعطاه المقدار الكثير الذي يخيّل اليه جهله انه لائق بمقامه ، وهكذا تتحكم العادات الضارة والتقاليد الفاسدة بالناس حتى تفسد عليهم نظام معيشتهم وهم لجهلهم او ضعف عزائمهم ينقادون لها صاغرين !

الانتقاد على المنار

نعيد الاقتراح على العلماء المخلصين بأن يكتبوا لنا بانتقاد ما يرونه متقددا في المنار من مسائل الدين وغيرها عملا بما أوجب الله تعالى من التواصل بالحق والتعاون على الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر

ولكننا نشترط ان تكون الكتابة مختصرة بقدر الامكان وان تذكر المسألة المتقدمة و يبين المكان الذي نشرت فيه بأن يقال هي في جزء كذا من مجلد كذا واذا ذكر عدد الصفحة يمكن ان يستغني عن عدد الجزء وان لا يحتاج علينا في المسائل الدينية بأقوال بعض العلماء بل بالكتاب والسنة وكذا الاجماع والقياس فيما هم بحاجة فيه وأن لا يكون في الكلام استطراد الى مسائل أخرى لا تفيد في بيان المراد من الانتقاد . فمن خالف شيئا من هذه الشروط فلنا الخيار في نشر ما يكتبه وتركه أو نشر ملخصه ولو بالمعنى لانه لا يمكن أن نشغل كثيرا من صفحات المنار بالجدل والقليل والقال

انتقاد احمد بدوي افندي

وليعتبر القراء ذلك بانتقاد احمد بدوي افندي النقاش علينا وعلى جميع المسلمين في مسألة القضاء والقدر انتقادا مبهما على غير شرطنا فقد نشرنا كلامه على علاته وأجبنا عنه فانتقل الى الانتقاد علينا وعلى سائر المسلمين في عقيدة القسمة (فريق في الجنة وفريق في السعير) وفي علم الله تعالى بأعمال الناس قبل وقوعها فنشرنا كلامه على علاته ايضا وأجبنا عنه . فأرسل لنا ردا آخر يزيد على ثلاثين ورقة أرسلها الى ادارة المنار وأرسلتها الادارة لنا في القسطنطينية فقرأنا جملا من مواضع منها فاذا هي مملوءة بالتناقض والمسلطة والاعلاط اللغوية حتى في بديهيات النحو . وقد لامنا كثير من القراء على ما نشرناه من قبل فماذا يقولون اذا نشرنا له هذه الرسالة الطويلة العريضة وما وعد بإرساله بعدها لتوضيح مسائلها ؟؟

يقول احمد بدوي افندي انا ظلمناه فيما كتبناه عن انكاره لعلم الله بمجزئيات
أعمال الناس كلها قبل وقوعها وجاء بفقرات من رسالته يحتج بها علينا في ذلك ثم انه
اهاننا بفقرات كثيرة وعبرنا بتقليد الغزالي كما عبرنا من قبل بتقليد ابن تيمية! فليقل
في ذلك ماشاء الله تعالى ونحن نتمنى لو يكون مصيبا ونكون مخطئين فيما فهمناه
من كلامه وللقراء حكمهم في ذلك .

قد انطبع في ذهن احمد بدوي افندي مسائل في فلسفة الدين مخالفة لما
فهمه المسلمون ولما جروا عليه من الصدر الاول الى اليوم وهو يريد بثها في المنار
والمناضلة عنها فيه على كونه عاجزا عن بيانها وعن فهم ما يرد عليها لضعفه في اللغة العربية
وعلى اعجابه بها بحيث لا يطيق قبول شيء يخالفها فنحن لا ننشر له بعد الذي نشرناه
شيئا منها لاسباب (منها) ان المنار لم ينشأ لنشر فلسفة الافراد الشاذة التي تهوش
بعض الاذهان ولا تنفع أحدا لما فيها من البطلان في بعض المسائل والسلطة والخطأ
في العبارة (ومنها) عدم الرجاء في ارجاع صاحبها عن خطأه لاعجابه برأيه وكونه لا يفهم
ما يوجه اليه من الكلام العربي الصحيح فهما تاما . وأوضح الآيات على ذلك انه فهم
من قراءة المنار في الزمن الطويل ان منشئ المنار مقلد لبعض العلماء كالغزالي (وهذا
ما جزم به في رسالته الاخيرة التي لم ننشرها) وانه مع ذلك يدعو الناس الى تقليد
نفسه !!! (ومنها) اضاءة كثير من صفحات المنار فيما نعتقد انه يضر ولا ينفع . فلا احمد
بدوي افندي ان ينشر فلسفته في مجلة ينشئها أو كتب ورسائل ينشرها أو يبحث
عن مجلة غير المنار

هذا واننا بعد هذا كله نحترم استقلال الرجل بفهمه ونعذره من بعض الوجوه
على ما نراه مخطئا به ونقول إنه يجوز ان تكون تخطئنا له في بعض المسائل لضعف
عبارته وكونها لا تؤدي مقصده ولكننا نجزم بأنه على استعداد للفسلفة الدينية قد أخطأ
ويخطئ كثيرا في فهم القرآن وفي النظر والاستدلال ولعله لو اتقن اللغة العربية واطلم
على كتب التفسير والحديث وترك الاعجاب برأيه يحجي منه خبر كثير والله الموفق

﴿ آدم أبو البشر ﴾

جاءنا من السيد محمد البشير النيفر المدرس بجامع الزيتونة في (تونس) ما يأتي

« بسم الله الرحمن الرحيم »

فضيلة العلامة الحكيم السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الزاهر أقامنا
الله وإياه على الطريقة المثلى

انا قرأ في فاتحة كل مجلد من مناركم وخاتمة الدعوة الى انتقاد ما يهيم انتقادهم
من مسائل الدين أو السياسة وذلك « والحمد لله » من أمتن البينات على طهارة
نيتكم وكنا نود لو يرزقنا الله سعة في الوقت حتى نكتب اليكم في شأن ما أشكل
علينا من مسائل قليلة جاءت في التفسير وغيره احياء لشعبه من شعائر الدين أمانها
الجلل بأصوله . وقد رأينا في باب التفسير من العدد السابع من مجلد هذه السنة
(سنة ١٣٢٧) رأيا في أبوة آدم للبشر لا يرتضيه القرآن فيما نرى فبادرنا الى الكتابة
اليكم في ذلك ونحن في يقين من نزاهة ضميركم عن التعصب والله الموفق

قلم ان للاستاذ الامام رأيين في تفسير آية « يا أيها النامس اتقوا ربكم الذي
خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » احدهما أن ليس المراد بالنفس الواحدة
آدم لا بالنص ولا بالظاهر . ثانيهما أنه ليس في القرآن نص أصولي قاطع ينطق
بأبوة آدم للبشر اجمعين . ويظهر لي من جنابكم الرضا عما ذهب اليه « تغمده الله
برحمته » ولكن العبد أشكل عليه الرأيان لما سأين

أما الاول فلأن حمل النفس الواحدة على اصل من اصول العرب لا يرضى
به التعبير بالناس والروايات المستفيضة في مدينة السورة تقعد في طريق من يحمل
الناس على اهل مكة فالظاهر الحمل على العموم . وليست الآية الكريمة كآية
الاعراف « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها يسكن اليها »

الآية لوجهين الاول ان سورة النساء مدنية وسورة الاعراف مكية ثانيهما ان في حل آية الاعراف على العموم مسأ لمقام النبوة فما أبعد ما بين الآيتين !
وأما الثاني فلأن القرآن الشريف والسنة السنية ناطقان بابوة آدم للبشر اجمعين واخراج ما جاء في ذلك عن ظاهره رعيًا لمذهب دارون يشبه أن يكون من تفسير القرآن بالرأي الذي كان يشنؤه الامام « رحمه الله » وجريتم « حفظكم الله » على طريقته في ذلك

نداء القرآن للناس ببني آدم في مقام الوصية باخذ الحذر من وسوسة ابليس وفتنة ومقام التشريع العام ظاهر في أن المكلفين عن بكرة ابيهم ابناء آدم عليه السلام وما قلتموه عن الاستاذ الامام في تأويل ذلك بعيد كما تجلي لفضيلتكم بقليل من التدبر وأية نكتة في توجيه الخطاب الى بني آدم اذا كان التكليف يشملهم وغيرهم ؟
أما السنة السنية فمن أظهر ماورد في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « كلكم من آدم وآدم تراب » وما جاء في حديث الاسراء من الاسودة عن يمين آدم وشماله وأنها نسمة بنه أفكانت ارواح غير الآدميين في مقر آخرام كانت في ذلك المقر ولكن لم يهتم بها آدم عليه السلام ولا النبي صلى الله عليه وسلم « اذ لم يسأل عنها » لأنها ليس لها في الآخرة مقام معلوم . وأصرح من ذلك وهذا حديث الشفاعة « يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيأتون آدم فيقولون انت ابو الناس » الحديث . وفي سمة علمكم بالسنة ما يغني العبد عن حشر أكثر من هذا ان لم تكن الآيات والاحاديث نصوصا قاطعة في الموضوع فهي ظاهرة فيه والظواهر اذا اجتمعت أفادت القطع كما يقول الاصوليون ولو ذهب ذاهب الى أنها لا تفيد أكثر من الظن كان للقاتل بابوة آدم للناس اجمعين ان يسأله عن الوجه في إثبات ذلك الظني على هذا الظني فان كان الوجه عنده درء ما عساه أن يرد على القرآن من شبهات العلماء القائلين بذلك فالذين لا يؤمنون بالغيب أكثر من اولئك عددا واقوى شبها فهل نوول الآيات الواردة في عالم الغيب بما لا يكدر مشربهم وينقض مذهبهم ؟

أما قولكم حفظكم الله تعالى « ان المسألة علمية لادينية - وقولكم - ان المتبادر من

النفس بقطع النظر عن الروايات والتقاليد المسلمات هي تلك الحقيقة الجامعة التي يعبر عنها بالإنسانية - أو قريب من هذه العبارات - فلعلها فيها نظر
أما الأول فلأن ما بين دفتي المصحف دين لا شيء منه يجاز مخالفته وهل يأذن الدين لأحد أن يذهب إلى ما لا يصادق عليه القرآن في تكون الجنين باسم علمية هذا البحث أم هل يأذن لأحد أن يقول بما ينقضه القرآن في تأريخ فرعون باسم إن المسألة تاريخية؟

وأما الثاني فلأن تلك الحقيقة الجامعة التي يعبر عنها بالإنسانية أو البشرية أمر اعتباري لا يصح أن يكون منشأ الخلق والإيجاد هذا ما يتسع له الوقت من البحث وفيما أتى الله فضيلتكم من البسطة في العلم والاستقامة في الرأي ما ينفي عن التذكير بأقل من هذا والسلام عليكم أولا وآخرا . وكتب في ٢٧ رمضان عام ١٣٢٧ (المنار) نشكر لاختنا في الله انتقاده وتذكيره وغيرته على الدين والعلم ونجلي ما ألم به من المسائل بما يأتي :

(١) ان الأستاذ الامام لم ينف كون آدم أبا البشر كلهم ولا قال ان القرآن ينبغي أن يؤول ليوافق دارون أو غيره ولا قال انه قد ثبت رأي الذين ينفون كون آدم أبا لجميع البشر ثبوتا قطعيا حتى نؤول لاجله كما صرحنا بذلك في تفسير الآية ولم يتكلم أيضا في تحقيق المسألة في نفسها (مسألة أبوة آدم) وإنما قصارى رأيه انه اذا ثبت ما يقولون لم يكن ذلك مخالفا للقرآن فيكون شبهة على الاسلام ونحتاج الى التأويل فعلى هذا يكون فهمه رحمه الله للآية ليس من تفسير القرآن بالرأي سواء كان فهمه صوابا أم خطأ لانه لم يحاول ان يرجع القرآن الى رأي رآه أو وافق عليه غيره وإنما فهم الآية وأمثالها فهما لا يرد عليه اعتراض ولا مجال معه للطعن في القرآن في هذه المسألة (٢) قلم انه ظهر لكم انني راض عما ذهب اليه قلم هذا بعد نقل المسألتين فعلم منه انكم فهمتم انني راض عنهما كليهما وقد رأيتم في كلامي الجواب عما استدل به من تنكير ما به من النفس الواحدة من رجال ونساء وتفسير النفس الواحدة بغير ما فسرهما به رحمه الله تعالى وغير ذلك وفيه الوعد بتحقيق مسألة ما يفيد مجموع آيات القرآن المنزلة في خلق الانسان عند تفسير ما ورد من ذلك في سورة الحجر أو سورة المؤمنين ،

فعلم من هذا الوعد اننا لما نرين رأينا فيما يدل عليه مجموع القرآن في خلق الانسان وانما كلامنا محصور في تفسير تلك الآية بحسب ما فهمه الاستاذ الامام وما فهمه هذا العاجز من تلاميذه المستقلين الذين لا يقلدونه تقليدا في شيء ما وما كان يرضى ان يقلده أحد في شيء . ولما كان يحث على الاستقلال . وبعد هذا كله أقول ان ما استظهرتموه صحيح في الجملة وسترون وجهه فيما يلي هذا من الوجوه والمسائل

(٣) ذكرتم ان للاشكال عندكم مثارين : فأما المثار الاول وهو كون السورة مدنية لا يجوز ان يراد بالناس فيها أهل مكة فالخطب فيه سهل فانكم قد رأيتم اننا اعتمدنا كون السورة مدنية وكون الخطاب فيها ليس لأهل مكة خاصة ولكن هذا لا يقتضي كون القول بهذا شاذا فانه معزو الى امام المفسرين ومعولهم وهو ابن عباس (رض) وعبر الرازي عن مقابله بالاصح ومقابل الاصح هو الصحيح ، فان لم يكن الخطاب لاهل مكة جاز ان يكون للعرب عامة ولا يقعد في طريق هذا كون السورة مدنية ولا كون الاسلام ديناً عاماً كما انه لا يقعد في طريق غيره من الخطاب الذي وجه الى العرب أو الى بعض الاقوام أو الاشخاص فان عموم الاحكام الشرعية معتبر فيما كان موردّه خاصاً ولو شخصياً ما لم يعمد دليل على الخصوصية . مثال ذلك في العرب قوله تعالى (١٢٨:٩) لقد جاءكم رسول من أنفسكم) فان تفسير أنفسكم بالعرب لا ينفي كون الرسالة عامة لجميع البشر . ومثاله في الامور الشخصية ماورد في الافاء عقب استفتاء بعض المؤمنين وأستلثم المعبر عنها بمثل يسألونك ويستفتونك كما هو مكرر في سورة البقرة وسورة النساء وكان يكون المخاطب بالجواب هو السائل والحكم عام بالاجماع . على اننا لم نجعل كون الخطاب لاهل مكة هو العمد في الاستدلال على ما فسرنا به النفس الواحدة ولا كونه للعرب وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة

(٤) وأما المثار الثاني للاشكال وهو ماورد من الكتاب والسنة في أبوة آدم لجميع البشر فهو على تقدير تسليمه فيهما معا لا يقتضي كون النفس الواحدة في الآية الاولى من سورة النساء هي آدم اذ يجوز ان يثبت ذلك في آيات غيرها وأحاديث ولا يكون هو المراد منها ولم يقل الاستاذ الامام ولا قلنا ان هذه الآية تنفي كونه أبا لجميع البشر .

ولكم ان تحتجوا بذلك على قوله رحمه الله إنه ليس في القرآن نص أصولي قاطع على أبوة آدم لجميع البشر وستعلمون ما فيه

(٥) انكم قد ذكرتم ان حمل آية الاعراف على العموم لا يصح لأنه يمس مقام النبوة فاذا امتنع هناك أن يكون المراد بالنفس الواحدة آدم فلم لا يجوز ان يتمتع هنا وهو ليس متبادراً من اللفظ العربي بمحذاته حتى نقول اننا أولنا آية الاعراف لتطابق القول بعصمة الانبياء ولا حاجة الى تأويل آية النساء. فالصواب ان عدم حمل النفس الواحدة على آدم في الآيتين ليس تأويلاً لهما لان لفظ النفس ليس مرادفاً لكلمة آدم يوضح ذلك الوجه الآتي

(٦) ان ما يرد في تفسير مبهمات القرآن لا يجعل اللفظ المبهم نصاً ولا ظاهراً في المعنى الذي فسر به في الحديث ولا في القرآن نفسه ان وجد ولكننا قبل ذلك التفسير اذا صح عندنا. مثال ذلك أن يصح في حديث ان المراد بقوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) هو فلان بن فلان فالتفسير على الرأس والعين ولكننا لا نقول ان لفظ رجل في الآية هو نص أو ظاهر في ذلك الرجل المعين لان العربي الذي لاعلم له بذلك الحديث لا يفهم هذا المعنى من اللفظ. ولم يرد في الكتاب ولا في الحديث تفسير للنفس في آية النساء بآدم أثبتة فكيف نقول ان ما ورد في ذلك يجعلها نصاً أو ظاهراً وهو لم يرد تفسيراً لها! وهذا هو مرادنا بما قلناه في (ص ٤٨٦م ١٢) ان الذين فسرُوا النفس الواحدة بآدم لم يأخذوا ذلك من نص الآية ولا من ظاهرها بل من المسألة المسلمة عندهم وهي ان آدم أبو البشر

(٧) استدل صديقنا المتقدم على كون جميع الناس من بني آدم بنداء الله تعالى في القرآن لبني آدم في مقام الوصية بالخذر من فتنة الشيطان ووجه الاستدلال عنده أنه اذا لم يكن المراد ببني آدم جميع المكلفين لا يكون في توجيه الخطاب اليهم نكتة. ويمكن أن يجاب بأن نكتة ذلك في الآية التي أشار إليها هي إقامة الحججة عليهم بما كان من عاقبة وسوسته لا يهيم والعبارة في ذلك لسائر المكلفين الذين لا يعتقدون انهم من ذرية آدم كأهل الصين هي ان الشيطان يردي من اطاعه فيجب أن يحتجوا

طاعته كما يجب ان يجتنبها أبناء آدم . ونظير ذلك اعتبار المسلم بمثل قوله تعالى «يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل» فيعلم انه لا يكون على شيء .
يعتد به من الاسلام حتى يقيم القرآن . وقد أشارت عائشة الى هذا المعنى في حديث
لعن أهل الكتاب الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فقالت «يحذر ما صنعوا» وقد
بيننا آفا ان توجيه الخطاب في القرآن الى قوم أو أناس معينين لا ينافي عموم التكليف
فاذا فرضنا ان بني آدم هم العرب ومن كان يساكنهم من أهل الكتاب وان الخطاب
في مثل تلك الآية خاص بهم لوجود النبي بينهم فلا يمنع ذلك ان يعتبر بالموعظة
التي في الخطاب من يدخل في الاسلام من غيرهم . ومن ذلك خطاب الانصار بقوله
تعالى «١٠٣: ٣» واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وهي هداية لجميع المسلمين
أيضا كما قبلها وبعدها

(٨) بعد هذا يمكن ان يقال اذا كان في البشر ألوف الالوف لا يعتقدون أنهم
أبناء آدم ولم يسموا باسم آدم فما هي نكتة خطابهم ودعوتهم الى الاسلام بنسبتهم
الى آدم والمأثور المقول ان يخاطب الناس بما يعرفون وأن يحمل حديث العاقل
للقوم على ما يهتدون في مثل النداء فان أراد إعلامهم بشيء يخاف لما يعتقدون جاء
به بصيغة الخبر المؤكد كما هي سنة القرآن المطابقة لقوانين البلاغة العليا ويشيرون
الى هذا في أول كتب المعاني وفي صحيح البخاري من حديث علي موقفا «حدثوا
الناس بما يعرفون» يحبون يكذب الله ورسوله ؟ » وفي مقدمة صحيح مسلم عن ابن
مسعود «ما أنت بمحدث قوم حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة» . وورد في
الضعاف المتعددة الطرق عن ابن عباس مرفوعا «أمرنا أن نكلم الناس على قدر
عقولهم» وهذا الوجه أي كون كثير من البشر لا يعرفون آدم ولا يعتقدون أبوتهم هو
العمدة في جزم الاستاذ الامام بعدم حمل آية أول النساء على هذه المسألة المشهورة
عند العبرانيين والعرب مع كون لفظها ليس نصا ولا ظاهرا فيها من حيث لفظها وقد
أجاز ان يطبق كل قوم اعتقادهم عليها

(٩) ان ما أوردتموه من الاحاديث ليس نصا أصوليا في المسألة فان المخاطبين بقوله صلى
الله عليه وآله وسلم «كلكم من آدم» لم يكن فيهم أحد من الصينيين ولا من هنود

أمريكا ولا من أهل ملقا ولكن الحديث يكون هداية لهؤلاء بعد دخولهم في الاسلام على الطريقة التي أشرنا اليها في بعض المسائل السابقة . وكذلك حديث الاسود التي رآها النبي (ص) عن يمين آدم وشماله لاندل على كونه أبا لجميع البشر . ولا يعارض هذا كونه (ص) لم يذكر انه رأى هنالك أوفي مكان آخر نسيم قوم آخرين من البشر كما أن ذكره لبعض الانبياء في ذلك الحديث لا يمنع ان يكون هنالك أوفي مكان آخر أنبياء آخرون فالحديث لم يرد في بيان مقر جميع أرواح البشر والانبياء ولا دليل فيه على كون مارآه يكون دائما حيث رأى فقد ورد في مقر الارواح أحاديث أخرى والظاهر ان مارآه صلى الله عليه وآله وسلم في تلك الليلة قد مثل له حيث رآه لاجل ان يراه والله أعلم حيث يكون في سائر الاوقات ، وقد مثلت له (ص) الجنة في عرض الحائط وهي هي التي عرضها كعرض السماء والارض . وكذلك يقال في حديث الشفاعة فان تحدث ولد آدم بالذهاب اليه هو كتحدث اتباع كل نبي ذكر في الحديث بالذهاب اليه ولا ينافي ذلك ان يكون في البشر أقوام آخرون لا يتحدثون بالذهاب الى أحد أو يتحدثون بالذهاب الى أنبيائهم لرجائهم فيهم « وان من أمة الا خلا فيها نذير »

(١٠) اذا فرضنا ان هذه الاحاديث تدل وحدها أو مع غيرها على كون آدم عليه السلام أبا لجميع من وجد في الارض من البشر بالنص أو بالظاهر فلا يقتضي ان يكون ذلك تفسيراً للقرآن اذا لم يكن لفظه نصا ولا ظاهرا في ذلك والاستاذ الامام لم يتعرض لما ورد من الاحاديث في المسألة وانما اكتفى ببيان كون ما يعتقده كثير من البشر في أصلهم ومنشئهم لاحجة فيه على القرآن إن صح ولا وجه لأن يكون حاثلا دون إيمانهم به ولم يتعرض لمثل هذا في الاحاديث

(١١) نحن نعتقد ان اسلوب القرآن في الاجمال والابهام والاطلاق والعموم هو من أقوى وجوه الاعجاز فيه واسباب تعاليه عن طرق الريب اليه وتحويم الشبهات حوله وليس هذا الاسلوب بالصناعة التي يقدر عليها البشر فاننا نرى أعلم العلماء منهم في علم أو فن يؤولف فيه كتابا فلا يمر عليه الا زمن قليل حتى يظهر له واثيره الاختلاف والخطأ فيه وقد مر ثلاثة عشر قرنا ونيف ولم يظهر في هذا القرآن

الذي جاء به النبي الامي الناشيء في الاميين خطأ ولا اختلاف (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) والاحاديث ليس لها هذه المزية في الاعجاز وكثير منها منقول بالمعنى ومنها ما كان يقوله النبي (ص) عن اجتهاد لا عن وحي ولا سيما المتعلق منها بأمر العالم دون أمور الدين . أفيصعب على بعض المسلمين إظهار هذه المزية لكتاب الله في بعض المسائل على غير الوجه المشهور عندهم وان لم ينقض ذلك المشهور في نفسه !! وكان ينبغي للمتقد أن يذكر ما عنده من الجواب لمن يوقنون بأن البشر من عدة اصول كما تمنينا في (ص ٤٨٨ م ١٢)

(١٢) يقول المتقد ان شبهات الذين لا يؤمنون بالغيب على الآيات الواردة في عالم الغيب أقوى من شبهات الذين ينكرون كون آدم أبا لجميع البشر أو يعتقدون ان لهم عدة آباء فهل نوول آيات عالم الغيب بما لا يكدر مشربهم ولا ينقض مذهبهم ؟ ونقول ان هذه الدعوى ممنوعة فالذين لا يؤمنون بالغيب لا يوردون شبهات على عالم الغيب وانما هم قوم تابعون لحسهم يقولون اننا لا نؤمن الا بما نراه أو نحس به وهم يعلمون ان عدم الاحساس بالشيء أو عدم العلم به لا يقتضي عدمه في نفسه ومن تقوم عنده الحجة منهم على الوحي والنبوة لا يرى اخبار عالم الغيب مانعة من ايمانه وما كنت أظن ان هذا يخفى على المتقد الفاضل ولعله سرى اليه من بعض المارقين الذين كفروا بالله ورسله تقليدا لبعض الافرنج اذ يسمهم أو يسمع عنهم انكار الملائكة والجن فليسألم عن دليل هذا الانكار هل يجد عندهم دليلا او شبهة ؟ لا لا ! وانما يقولون انه لم يثبت عندنا بالحس ولا بالدليل العلمي ! ، ونحن المؤمنين نقول مثل ذلك ونزيد انه ثبت عندنا بخبر الصادق الذي هو اصدق ممن تقون بخبرهم اذا قالوا لكم ان في الكون كذا كذا من الغرائب الطبيعية

(١٣) أذكر المتقد بمسألة لا ينبغي أن ينساها المستقل في العلم الذي يعنيه أن يفهم القرآن فهما صحيحا وقد صرحنا بها في المنار من قبل وهي ان الاصطلاحات الشرعية والفنية الحادثة بعد نزول القرآن والروايات والتقاليد المشهورة في تفسيره - هذان الامران هما اللذان يحولان كثيرا دون فهم القرآن بما تعطيه عبارته الفصحى

ويتبادر من أسلوبه الأعلى فيجب أن يكون القرآن فوق الاصطلاحات والمسلّمات كلها وأن يستعان على فهمه بالروايات الصحيحة التي لا تخل بما يتبادر من عبارته وأسلوبه البليغ وحكمة كونه هداية لجميع البشر في كل زمان ومكان واننا نرى كثيرا من المفسرين يخطئون عند غفلتهم عن هذه القاعدة ويخالفون الروايات الماثورة عن السلف عند تنبيههم لها اذا رأوا الرواية مخالفة لما يقتضيه الاسلوب العربي بحسب فهمهم ومن ذلك ما ستراه في تفسير الجزء الثاني عن ابن جرير شيخ المفسرين الاولين

(١٤) أما انتقاده نفعا الله بغيرته على العلم والدين لقولنا ان المسألة علمية لا دينية فاني أجيبه عنه بالاجاز وان لم أتذكر انني قلت هذا في تفسير الآية ولا أجد وقتا للمراجعة فأقول ان ما يذكر في القرآن من أمور الخلق وعجائبه وأسراره لا يراد به شرح أحوال المخلوقات وبيان ما هي عليه في الواقع تفصيلا لان هذا ليس من مقاصد الدين وانما يذكر على انه من الآيات على قدرة الله وعلمه وحكمته في خلقه ورحمته بعباده ، ومن المنبهات الانتفاع بما في هذه المخلوقات والشكر عليها ، ولذلك يستعمل فيها المجاز والظواهر المتعارفة بين الناس وتحديد المسائل العلمية لا يكون بمثل هذا كقوله تعالى « وجدها تقرب في عين حمئة » فلا يراد به أن ذا القرايين وجد الشمس تنزل من السماء فتقرب في عين حمئة من عيون الارض . ومع هذا كله لا يكون خبر القرآن الا صادقا ولكننا لا نعرف ان أحدا من علماء المسلمين غني كفايتنا وعناية شيخنا الاستاذ الامام بالدعوة الى الاهتمام بالقرآن كله وصرف معظم عنايتهم الى ما كثر الارشاد اليه في آياته كالبحث في خلق السموات والارض وما فيهما من البحار والأنهار والجبال والنبات والدواب وغير ذلك وكالسير في الارض والاعتبار بسنن الله في أحوال الامم بعد معرفة تاريخها ، فاننا نرى علماء المذاهب الدينية فينا قد أهملوا أكثر ما أرشد اليه القرآن وجعلوا الدين كله أو جله محصوراً في الاحكام العملية التي لم يعن القرآن بها وهي أقل ما ورد فيه ولا سيما الاحكام الدنيوية كالبيع والشركات والمخاصمات فلا يقال مثلنا ان كل ما في القرآن دين وإن الدين لا يأذن لأحد أن يقول قولاً لا يصادق

عليه القرآن فنحن الذين ندعو دائما الى جعل حكم القرآن فوق كل حكم وهديه فوق كل هدي وخبره فوق كل خبر وانما يقال ذلك لغيرنا من علماء المسلمين الذين قالوا حتى في الاحكام التي هي عندهم جل الدين ما لم يصادق عليه القرآن كقولهم ان مدة الحمل تكون في الواقع المعتبر شرعا اكثر مما حدده القرآن من مدة الحمل والفصال جميعا وقد رأى صديقنا المتقدم كتبناه في ذلك بالجزء الاخير من المجلد الماضي . فاذا جاز ان يعتمد أئمة الفقه منا على قول بعض النساء اللواتي هن مظنة الخطأ والكذب فيما لا يصادق عليه القرآن وقد نطق بغيره بناء على ان مانطق به يحمل على الغالب المعروف عند جمهور الناس فلم لا يجوز عند اتباعهم ان يعتمد على قول جمهور العلماء الباحثين المدققين في مسألة علمية لم يرد في القرآن نص فيها وإنما ذكرت مبهمة في سياق مقصد من مقاصده كحث الناس على ان يتقوا الله في ذوي أرحامهم والضعفاء منهم لانهم من أصل واحد أو جنس واحد وعبر عن ذلك بالنفس الواحدة ولكنه لم يبين حقيقة تلك النفس . على اننا لم نحمل الآية ولا غيرها من الآيات على ما قاله أولئك العلماء الباحثون في أصول البشر وخلقتهم ولكننا اخترنا ان ندع ما أبهمه القرآن على إيهامه (ص ٤٨٦ م ١٢) وهو تنكير تلك النفس وعدم تعيينها أو فهمها مما يتبادر من اللفظ العربي بصرف النظر عما وراءه من الروايات والتقاليد المسلمات التي ليست بنص عن المعصوم في تفسيرها (ص ٤٨٨ م ١٢)

(١٥) وأما انتقاده الاخير على قولنا في تفسير النفس المتبادر من اللفظ فقد بناه على ذكر لفظ الانسانية في عرض كلامنا وتفسيره إياه بالمعنى المشهور بين العامة ناسيا ما فسرناه به وما عبرنا به في أول العبارة عنه من قولنا هو الماهية أو الحقيقة التي بها كان انسانا . ونعني بذلك الروح الانسانية التي اتحدت بالجسد فصارت مجموعتهما حيوانا ناطقا لولاها لم تكن هذه المواد الترابية التي تكون منها جسد الانسان خلقا آخر حيا ناميا متحركا . فهل يقول ان هذه الحقيقة الانسانية أمر اعتباري ؟ ؟ كلا إنها خلق وجودي مستقل

(١٦) بعد ان طبع تفسير تلك الآية في المنار قمناه وزدنا فيه فوائد

أثبتها في نسخة التفسير التي تطبع على حديثها منها ان بعض الباحثين من المسلمين المصريين رأين آخرين في النفس الواحدة أحدهما انثى ولذلك وردت مؤتة في كل آية وصرح بتذكير زوجها الذي خلق منها في بعض الايات وثانيهما انها كانت جامعة لاعضاء الذكورة والانوثة وذكروا لذلك نظائر أثبتها العلم الحديث . فيراجع هذا في (ص ٣٣١ ج ٤) من التفسير وسيصدر بعد زمن قليل

هذا ما سمح لنا به الوقت من ايضاح المسائل المتعلقة بهذا الانتقاد وصفوة القول ان ما أوردناه في التفسير لا ينفي القول بابوة آدم لجميع البشر وقد وعدنا هنالك بتحرير هذه المسألة في موضع آخر من التفسير

قضاء الفرد وقضاء الجماعة

﴿ في الاسلام ﴾

أيها السادة

كلّمتي اليوم في قضاء الفرد وقضاء الجماعة في الاسلام وحيثما قلت قضاء الجماعة فأنما أريد مدلوله العام أي القضاء والافتاء والتشريع أو التفريع تعلمون ان كفالة العدل الذي هو مناط الراحة والسعادة في كل مجتمع انما هو القانون أو الشريعة التي تصان بها الحقوق وترد المظالم ويعاقب المجرمون المجترعون على انتهاك حرمة الراحة والامن في الهيئة الاجتماعية وهذه القوانين اما أن تكون وضعية أو شرعية وقد عرفها ابن خلدون بقوله :

« إذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وكابر الدولة وبصرائها كانت سياسية عقلية وإذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسية دينية » وتعلمون ان الفقه الاسلامي وأريد به قسم المعاملات لا العبادات هو قانون المسلمين الشرعي ومناط الاحكام التي يفصل بها في المنازعات والخصومات التي تقع بين الناس

أقول القانون الشرعي تجوزاً اذ أن أحكام الشريعة الاسلامية وقانونها الجامع انما هو الكتاب والسنة وهما الاصل أما الفقه فانما يسمونه شرعاً باعتبار ان مأخذه من الكتاب والسنة وعمل الصحابة والاجماع والقياس فاذا انطبق عليه تعريف ابن خلدون فانما ينطبق عليه من هذه الجهة أي ان تلك القوانين لها أصل في الشرع لانها هي بعينها المفروضة من الله

وبما ان أساس التفريع أو التشريع عند الفقهاء هذه الاصول الخمسة فقد سموا

(*) خطبة لرقيق بك العظم المؤرخ المشهور القاها على طلاب مدرسة القضاء الشرعي بمصر

الاحكام الفقهية شرعا وخالفهم في ذلك كثير من أئمة العلم والمحدثين فقالوا كل حكم لا يستند الى دليل او لا يعرف دليله من الكتاب أو السنة فليس بشرع

وليس من غرضي في هذا البحث الحكم بين الفريقين وإنما الغرض منه تقديم مقدمة تساعدنا على الانتقال الى النظر نظرا صحيحا في سير القضاء وتأريخه وكيف كان القضاء والافتاء في الاسلام وما هو ضمان العدالة فيهما وما منزلة قضاء الفرد وقضاء الجماعة من الصواب والخطأ ونستطرد من ثم الى ما تخلل التشريع والقضاء من الشؤون التي لا يخلو بيانها من فائدة وإن كنت لا أستطيع من البيان غير جهد المقل علمنا ان أساس الشرع وأصله في الاسلام هما الكتاب والسنة بمعنى أن الاحكام الدينية أي العبادات والقوانين الدنيوية او السياسية كما سميها ابن خلدون وهي أحكام المعاملات والعقوبات التي وردت في الاصلين المذكورين قد قررهما الشارع الاعظم صلي الله عليه وسلم فصارت شرعا وهذا الشرع لا يدخل تحت مداول قضاء الجماعة المراد به جعل قوة التشريع لافي يد واحد بل جماعة الا من حيث لزوم فهمه على وجوهه التي ارادها الشارع أي إن تفهم الحكم من هذا الاصل وتقريره هو الذي يلزم ان يناط بالجماعة دون الفرد تفاديا من الخطأ والاثم

وتعلمون بالضرورة ان الاحكام التي شرعها لنا الشارع كانت تشريع تدريجيا فكلمنا عرضت له حادثة أو سئل عن حكم شرع له شرعا حتى كان من ذلك في الكتاب والسنة نحو ست مئة وخمسين حكما أو تزيد اعتبرها أئمة الفقه بعد ذلك اساسا للتشريع فوضعوا لنا كتب الفقه التي كانت في الممالك الاسلامية ولم تزل في بعضها مدار الاحكام الشرعية في المعاملات والعقوبات وما يتبعها من قضاء المظالم والحسبة وسياسة الرعية وغير ذلك الى اليوم

ويبدأ تدوين الاحكام الفقهية من أواخر العصر الاول واوائل الثاني فالتشريع إذا له في الاسلام تأريخان: تأريخ تقرير اصول الشريعة والعمل بهذه الاصول، وتأريخ التفريع أو الفقه والعمل به . يتخلل ذلك أيضا تأريخان : تأريخ حفظ الشريعة في الصدور، وتأريخ قيدها في الدفاتر والسطور

وليان ذلك وبيان كيف كان يقضي الصحابة والتابعون أقول :
علمنا ان اساس الاحكام ومدارها وموئل القضاء في الصدر الأول كان على
الكتاب والسنة أما الكتاب الكريم فقد كتب متفرقا في عهد النبوة في خلافة ابي
بكر كما هو معروف مشهور . وأما السنة السنية فقد بقيت محفوظة في الصدور الى
اواخر عهد التابعين او كتب منها في غضون هذه المدة شيء يسير
فكان القضاء في عهد الخلفاء الراشدين ملازما للافتاء بالضرورة لان القضاء
كان الى الخليفة وهو لا يحفظ الاحكام التي وردت عن الشارع كلها بل كان كثير
من الصحابة يحفظ كل واحد منهم شيئا منها فاستفتاؤهم في معرفة الحكم ضروري
واليكم ما روي عن قضاء ابي بكر وعمر

اخرج البغوي عن ميمون بن مهران قال : كان ابو بكر اذا ورد عليه الخصوم
نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به وإن لم يكن في الكتاب
وعلم من رسول الله في ذلك الامر سنة قضى بها فان اعياه خرج فسأل المسلمين وقال
اتاني كذا وكذا فهل علمتم ان رسول الله قضى في ذلك بقضاء فرما اجتمع عليه نفر
كلهم يذكر من رسول الله فيه قضاء . فيقول ابو بكر الحمد الذي جعل فينا من يحفظ عن
نبينا . فان اعياه ان يجد فيه سنة عن رسول الله جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم
فان اجمع رأيهم على امر قضى به وكان عمر يفعل ذلك فان اعياه ان يجد في القرآن
والسنة نظر هل كان فيه لابي بكر قضاء فان وجد ابا بكر قضى فيه بقضاء قضى به
والا دعا رؤوس المسلمين فاذا اجتمعوا على امر قضى به

هذه رواية البغوي عن قضاء ابي بكر وعمر ومنها يتضح أن القضاء في عهدهما
قضاء الجماعة وعليه يقاس قضاء من بعدهما من الخلفاء الراشدين في الدور الاول
لتاريخ القضاء في الاسلام أي الى العهد الذي بدأ فيه التدوين والعمل بالفروع بدليل
انه كن في كل مصر من الامصار الاسلامية نفر من الصحابة ثم التابعين يسمون
الفقهاء لحفظهم الاحكام وثقتهم في الدين وكانوا يستشارون في النوازل عند القضاء
فيها لانهم حفاظ الشريعة والرايون للاخبار الصحيحة فلا مندوحة عن الرجوع
اليهم في القضاء

ومن الفقهاء الكبار في الصحابة علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري وأنس بن مالك ومعاذ بن جبل ومن في طبقتهم ممن يحفظ عن رسول الله قليلا أو كثيرا

وقال ابن القيم ان عدد من حفظت عنهم الفتوى من الصحابة مئة ونيف وثلاثون نفسا ما بين رجل وامرأة . وكان أكثر هؤلاء موزعين في الامصار بالضرورة وهم شوري القضاء حيثما وجد منهم جماعة يستشارون كما أثبت ذلك التاريخ وتلي هؤلاء طبقة أخرى من أصحابهم وهم التابعون صارت اليهم الفتوى في الامصار فكان في المدينة سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وخارجة بن زيد الى غير هؤلاء . وتليهم طبقة أخرى منهم محمد بن شهاب الزهري المشهور وأضرابه وطبقة أخرى فيهم الامام مالك بن أنس صاحب المذهب في المدينة وكان من المفتين في مكة عطاء بن أبي رباح وأبوس بن كيسان ومجاهد بن جبر وغيرهم وتليهم طبقة ثم طبقة الى قيام الامام محمد بن ادريس الشافعي صاحب المذهب في مكة

وكان من المفتين في البصرة عمرو بن سلمة الجرمي وأبو مريم الحنفي والحسن البصري وغيرهم وتليهم طبقة فطقة وعلى هذا تقاس بقية الامصار كالكوكة ومصر والشام وغيرها وكلها كان فيها العدد الجم من التابعين وتابعي التابعين يستشارون في الاحكام ويتناقلون الشريعة حفظا في الصدور الى أن دونت في السطور

إذا أضفنا الى هذا ان رسول الله شرع لهم الاجتهاد عند عدم وجود النص وان أبا بكر وعمر كانا لا يجتهدان في مسألة الا اذا جمعا رؤوس الناس وخيارهم لاستشارتهم وحكمنا ان بقية الخلفاء الراشدين كانوا كذلك وقسنا على ورعهم ورع من بعدهم من التابعين وتابعيهم واتباعهم سنن من قبلهم خوفا من تبعة التفرد بالرأي واعتصامهم بالشورى مع اهل العلم والحديث بدليل ما رواه عن قضاء الجماعة في عصرهم ابن عبد البر في جامع بيان العلم عن المسيب بن أبي داود الاسدي المتوفى سنة ١٠٥ قلى : كان اذا جاء شيء من القضاء ليس في الكتاب ولا السنة سمي

صوا في الامراء فيرفع اليهم فجمع له اهل العلم فما اجتمع عليه رأيهم فهو الحق اذا أضفنا هذا كله الى ما سبق بيانه نتج لنا منه أن القضاء في العصر الاول كان قائماً بالشورى أو هو قضاء الجماعة الذي فيه كفالة الحقوق وتحري العدل والحق وهو خير من قضاء الفرد وأبقى لسعادة الامة وأضمن لبقاء الدول بلا ريب ليس المراد بقضاء الجماعة هو قضاء هيئة مؤلفة من اكثر من واحد فقط كما قد يتبادر الى الذهن بل هي بالمعنى المشترك ايضا جعل قوة التشريع القضائي مصونة عن رأي الافراد وتفردهم بالتشريع منوطة بالجماعة تثبتا من الحكم واطمئنانا للدليل واعتمادا على ما هو الاصلح عند الجماعة اذا تعذر وجود النص

ان مراعاة الاصلح قاعدة من أهم قواعد الشرع الاسلامي التي يدفع بها الحرج وتدرأ المفاسد عن المجتمع حتى لقد كان كبار الصحابة يراعون قاعدة الاصلح عند الضرورة مع وجود النص كما يأتي بيانه بعد ويتنازعون على المسألة الواحدة يجيء بها النص من عدة روايات أو يحتاج الى التفهم الدقيق تثبتا من الحكم ورغبة بمحض الخير للامة والعدل بين المتقاضين وبذلا للجهد في بيان الحقيقة للمستفتين وقد قال ابن القيم: تنازع الصحابة في كثير من الاحكام ولكن لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الاسماء والصفات والافعال . أي المسائل التي تتعلق بالايمان

قلنا إن المراد بقضاء الجماعة قوة التشريع القضائي في حياز جماعة لا فرد لان ذلك اسلم وابتعد عن الخطأ وأضمن للعدل وسببه ان الاحكام التي يرجع فيها الى الرأي والاجتهاد او القياس عند تعذر وجود النص او عند لزوم ترجيح رواية من الروايات تحتاج إلى شروط قلما تتوفر في الفرد الواحد وإن توفرت له فربما لا يتيسر له تحري المصلحة وتطبيق الحكم عليها من كل وجه بحيث لا يخالفه فيه غيره ممن هو في طبقته من اهل العلم

اعتبروا ذلك في أئمة المذاهب المجتهدين فانه مع بذل كل واحد منهم في تقرير فروع المذهب واصوله منتهى الجهد في تحري صحيح الآثار والاخبار وتبني اصول الشريعة فقد اختلفوا في كثير من المسائل واختلف أتباعهم بعد ذلك اختلافهم ايضا فكان من ذلك اقسام القضاء الاسلامي على نفسه حتى وجد في

بعض المصوّر اربعة قضاة لاربعة مذاهب في مصر واحد من الامصار الاسلامية
هذا فضلا عن اختلاف فقهاء كل مذهب أيضا في المسألة الواحدة حتى أصيب
الافتاء بما أصيب به القضاء من التشتت والاقسام واضطرب أمر العدالة أيما اضطراب
مع ان الاصل لهذه المذاهب واحد وهو الدين الاسلامي المبين
لهذه العلة الخطرة كان الصحابة الكرام لا يستنكفون عند الاستفتاء من أحدهم أن
يحمل بعضهم على بعض أو يستشير بعضهم بعضا في تقرير الحكم كما ثبت ذلك في
كتب السنة خوف الوقوع في خطأ يجر الى مظلمة أو اثم ولا سيما فيما يحتاج الى الاجتهاد
ما لم يستشر خاصة المسلمين

قلت فيما سبق ان الشارع الاعظم صلى الله عليه وسلم شرع لئلا مراعاة المصلحة
ولو مع وجود النص واقتدى به الصحابة الكرام في العمل بهذه القاعدة وبياننا
لهذا أقول :

لما كانت الشرائع مبنية على درء المفاسد وجلب المصالح والشرعية الاسلامية
أحرى الشرائع برعاية هذين الامرين فقد سن الشارع ايقاف العمل بالنص مراعاة
للمصلحة ولكن عند الضرورة القصوى وثبت المصلحة ولزومها على وجه لا يقبل
الشك في أن المصلحة التي تترتب على العدول عن النص اكبر من المصلحة التي
تترتب على العمل به واستن بسنته صحابته والخلفاء الراشدون من بعده فكان ذلك
شرعا أيضا فيه تيسير عظيم على المسلمين واليكم الدليل :

في حديث لابي داود أن رسول الله نهى أن تقطع الايدي في الغزو . واتم
تعلون أن القطع حدث من حدود الله لم يستثن النص القرآني منه الغزاة لكن النبي
نهى عن اقامته في حال مخصوصة خشية أن ينشأ عنه مضرة وهي لحاق صاحبه بالعدو
وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم عدة اخبار أخرى من هذا القبيل لا محل اذكرها
هنا وهي مبسطة في كتب الحديث

وقد استن الصحابة بسنته وأوقفوا الحدود في أحوال مخصوصة تدعو اليها

الضرورة

جاء في كثير من كتب الاخبار ان عمر كتب الى الناس ألا لا يجلدن أمير جيش ولا سرية ولا رجل من المسلمين حدا وهو غاز حتى يقطع الدرب ثلاثلحقه حية الكفار

وروى ابن القيم في إعلام الموقعين عن ابن حاطب بن أبي بلتعة ان غلما لايه سرقوا ناقة لرحل من مزينة فأتى بهم عمر فأقروا فأرسل الى عبد الرحمن بن حاطب فجاء فقال له ان غلمان سرقوا ناقة رجل من مزينة وأقروا على انفسهم فقال عمر يا كثير بن الصلت اذهب فاقطع ايديهم فلما ولى بهم ردهم عمر ثم قال أما والله لولا اني اعلم انكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى ان احدهم لو اكل ما حرم الله عليه حل له لقطعت ايديهم وأيم الله ان لم افعل لا غرمك غرامة توجعك ثم قال يا مرنى بكم اريدت منك ناقتك؟ قال بأربع مئة قال عمر (اي لعبد الرحمن) اذهب فأعطه ثمان مئة

وغير هذا فقد أسقط عمر الحد في عام المجاعة للضرورة وتجاوز ابو بكر عن خالد بن الوليد في حادثة مالك بن نويرة اذ قتله دون تثبت من اسلامه كما تجاوز عنه رسول الله قبل ذلك بما صنعه ببني جذيمة لما أرسله داعيا لا محار با فذهب اليهم وحاربهم وقتل وسبي منهم فبرئ رسول الله من عمله الى الله ولم يؤاخذه به وما ذلك الا لحسن بلاء خالد في الحروب وخدمته العظيمة في الاسلام

وكذلك أسقط سعد بن أبي وقاص الحد عن أبي محجن في حرب القادسية في خبر مشهور طويل لا محل لذكره هنا وقال والله لا أضرب اليوم رجلا أبلى للمسلمين ما أبلاهم

والشواهد على هذا من أعمال النبي وأصحابه كثيرة لا يتسع لها مقام الخطابة ولعل هذه القاعدة سوغت بعد لبعض الحكومات الاسلامية التجاوز عن الحدود والعقوبات البدنية كالسن بالسن والعين بالعين واستبدلت بها العقوبات الادبية كالحبس والتغريم مثلا لضرورة تغيير الزمان أو لفشو المنكرات فشوا لم ينجم في تأديب مرتكبها الا حبس حريتهم في السجن أو غير ذلك من الدواعي والاسباب الزمانية ليس فيما ذكر غض من مقام الشريعة أو مس لاصولها المقدسة مادام من اصولها

وقواعدها أيضا العدول عن النص عند ثبوت المصلحة أو درء المفسدة بأقل ضرراً منها والشرعية كما تعلمون مبنية على المصلحة وقد سبق الله تعالى رسوله والائمة من بعده الى تقرير قاعدة مراعاة الاصلح وهو ما يسمونه النسخ وما هو بنسخ وانما هو تقرير حكم اقتضته مصلحة زمان وحال غير حكم آخر في زمان تقدمه وأحوال اقتضته كحكم جهاد المشركين من العرب في مبدأ امر الدعوة لحمايتها وحماية المسلمين من اعدائهم واعدائها وفيه الاذن بقتلهم حتى يقولوا لا إله الا الله ثم تقرير حكم آخر بعده أي بعد ان انتشرت الدعوة وقوي جماعة المسلمين وصاروا في مأمن من غائلة الضعف وهو حكم الدعوة بالتي هي احسن كما في قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقوله (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقوله (افأنت تكفر الناس حتى يكونوا مؤمنين) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة وكحكم النهي عن الصلاة في حال السكر في قوله تعالى (لا تقربوا الصلاة و انتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) وكان هذا في احوال اقتضته ثم جاء حكم التحريم بتاتا في احوال اقتضته ايضا

و بالجملة فان ملخص ما تلوته عليكم ينحصر كله في المقدمات الآتية :

(الاولى) ان القضاء في العصر الاول كان مرجعه نصوص الشريعة أي اصولها التي قررها الشارع واجتهاد الصحابة والتابعين فيما لم يرد به نص

(الثانية) ان الاحكام التي جاءت عن الشارع لم يكن في استطاعة فرد واحد حفظها او يتعذر على الواحد الاحاطة بها فاحتيج في القضاء الى استشارة حفاظها

(الثالثة) ان الصحابة كانوا قد يختلفون في المسألة الواحدة اما في تطبيق النص او مسوغ الحكم اذا كان اجتهدا يثبتان من وضع الشيء في محله جهد الامكان

(الرابعة) انهم كانوا يعدلون عن النص عند الضرورة الداعية وفي احوال مخصوصة تدعو اليها المصلحة التي بني عليها الشرع اقتداء بالشارع

(الخامسة) ان ورعهم وتقواهم وخوفهم من الوقوع في الائم كل هذا كان يدعوهم الى عدم الانفراد بالحكم ومشاركة خيار المسلمين وعلمائهم في تطبيق الاحكام اذا كانت اجتهدية على القياس الصحيح او الرأي السالم من خطأ الفرد

هذه المقدمات تنتج نتيجتين مهمتين أحدهما أن القضاء في الاسلام كان قضاء الجماعة لا قضاء الفرد على نحو ما سبقت الإشارة إليه كثيرا

والثانية أن الشريعة الاسلامية بما تقر فيها من قاعدتي الاجتهاد ورعاية الاصلح كانت من الشرائع التي توافق كل زمان ومكان وتجزل لكل ضرورة حكما يوافق مقتضى المصلحة والحال وان خالف النص مع اعتبار هذه القاعدة شرعا أيضا خلافا لما يتقوله عليها المتقولون من أنها شريعة ضعيفة توافق زمانا غير زماننا هذا ومكانا غير مكان الامم الراقية لهذا العهد فهي اذا صلحت لاهل ذلك العصر لا تصلح لعصر تسير شرائعه مع مقتضيات المدنية الحديثة وحاجاتها سيرا تدريجيا في كل ما يقتضيه ترقى المجتمعات. ومنشأ تقولهم هذا الجهل بحقيقة الشريعة الاسلامية وعدم الوقوف على أصولها وقواعدها وكلياتها يساعدهم على ذلك ما يرونه من تعصب بعض علماء الشريعة المقلدين لما جاء في كتب الفروع دون الاصول وردم لكل ما لم يرد فيها من أسباب التيسير وان ورد في أصول الشريعة وكلياتها مع ان في كتب الفروع من الاحكام التي لا تستند الى دليل قطعي مالا يمد ومبناها الاجتهاد أو الرأي والقياس ومع هذا فانهم يفضلون العمل بهذه الاحكام على الرجوع الى أصل الشريعة مهما كان فيها من التقليد والتضييق على أنفسهم والامة ومهما ترتب على ذلك من التهم الباطلة التي يرمينا بها الباحثون في طبائع الاجتماع

وحجة هؤلاء العلماء في هذا سد الذريعة أو خوف انتشار دعوى الاجتهاد اذا فتح بابه وتطرق الفساد الى الشريعة وهي حجة معقولة ومسلمة لا يخالفهم فيها عاقل لكن فيما لو صارت قوة التشريع أو الاجتهاد الى الافراد وأطلق العنان لكل قائل أن يقول هذا حكم الله ورسوله ولكل حاكم أن يحكم بما يرى ويقول

ومعاذ الله أن يريد هذه الفوضى للشريعة الاسلامية عاقل قط وانما المراد أن ينظر في المسائل التي يقتضيها تغير الزمان وتجدد المصالح والحاجات على شرط عدم الوقوع في ذلك المحذور الذي يخشاه العلماء وذلك بأن تناط قوة التشريع أو الاجتهاد على المسائل الطارئة في كل عصر بجماعة من أهل العلم الواقفين على دقائق الكتاب

والسنة والعارفين بمحاجات الامة ليقرروا لها الاحكام الموافقة لمقتضى الحال ثم تنال هذه الاحكام تصديق أهل الحل والعقد فتصبح قانونا رسميا يتحكم العمل به في الحكومة الاسلامية التي هي في حاجة اليه لا يمدل عنه الى غيره من أقوال الفقهاء والعلماء وان مجتهدين فتضبط بهذا قوانين الشريعة ويؤمن عليها من تطرق الفساد ثم يكون من ذلك ان تحدد هذه القوانين تحديدا يفي عن الرجوع الى كتب الفقه التي تختلف في المسألة الواحدة اختلافا كثيرا يؤدي في كثير من الاحياء الى التهويش على القضاء ويكفي ان تكون تلك الكتب شروحا لقوانين الشريعة المعمول بها يومئذ يرجع اليها عند الضرورة والحاجة الى تفسير نصوص ذلك القانون كما هو الشأن في مجلة الاحكام العدلية المعمول عليها في محاكم الدولة العثمانية دون غيرها ولهذا البحث تنمة سأتي عليها في الكلام على القضاء في دوره الثاني وها أنا ذا متكلم فيه :

* * *

قلت فيما سبق إن القضاء في الاسلام له دوران دور العمل بالاصول ودور العمل بالفروع وانما اخترت هذا التقسيم لاختصار الطريق أو اختصار البحث خوفا من تعب القارئ والسامع مع ان أدواره بعد دور التشريع الاول كثيرة جدا اذا اعتبرنا تقسيمه الى طبقات المفتين والمحدثين من الصحابة واتباعهم ثم الائمة المجتهدين ومن بعدهم من طبقات الفقهاء والمقلدين من اتباع كل مذهب نعتبر ذلك بما قسموا اليه طبقات الحنفية مثلا فقد قالوا انهم ينقسمون الى ست طبقات : الطبقة الاولى طبقة المجتهدين في المذهب كأبي يوسف ومحمد وغيرهما من أصحاب أبي حنيفة القادرين على استخراج الاحكام من القواعد التي قررها الامام .

والثانية طبقة المجتهدين في المسائل التي لا رواية فيها عن صاحب المذهب كالخفاف والطحاوي والسرخسي والخلواني والبزدوي وغيرهم وهم لا يقدرّون على مخالفة امامهم في الفروع والاصول لكنهم يستنبطون الاحكام التي لا رواية فيها على حسب الاصول

والثالثة طبقة اصحاب التخرج القادرين على تفصيل قول مجمل وتكميل قول محتمل من دون قدرة على الاجتهاد
والرابعة طبقة اصحاب الترجيح كالقُدوري وصاحب الهداية القادرين على تفضيل بعض الروايات على بعض بحسن الدراية
والخامسة طبقة المقلدين القادرين على التمييز بين القوي والضعيف والمرجح والسخيف كاصحاب المتون الاربعة المعتمدة
والسادسة من دونهم الذين لا يفرقون بين الفث والسمين والشمال واليمين فلو تتبعنا الكلام على هذه الطبقات والادوار التي مرت على الشريعة بالتفصيل لاحتاج ذلك الى كتاب مطول ورجل اعظم رسوخا مني في العلم ووقوفا على تاريخ القضاء لذا حصرت الكلام على القضاء من الوجهة الاجالية في دورين واذ قد مضى الكلام على الدور الاول فما انا ذا أتكلم على الدور الثاني على قدر ما يمكنني من الاختصار



لما اتسعت دائرة الفتح وانتشر الاسلام في الممالك القاصية وتفرق حفاظ الشريعة ورواتها في الانحاء مع اتساع دائرة القضاء بازدياد وسائل الحضارة واستبحار العمران وتجدد الحوادث التي يقتضيها تشعب المعاملات وحال الامم الداخلة في الاسلام من غير العرب وخيف لهذا من تشدت احكام الشريعة ودخول الفوضى في القضاء والافتاء احتيج بالضرورة الى امرين مهمين : الاول تدوين الشريعة في الكتب . والثاني وضع قواعد للتفريع عن اصول الشريعة لتطبيق الحوادث التي تحدث في احكام المعاملات على قوانين الشرع . وأول من تنبه للحاجة الى هذين الامرين على ما أظن عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل الاموي وسدا للحاجة الاولى أمر الزهري من جلة التابعين وحفاظهم بتدوين الحديث في دفتار وتوزيعها على الامصار في أواخر القرن الاول ففعل كما هو مشهور معروف
أما الحاجة الثانية فقد شعر بها ولكن سدها بعده الائمة المجتهدون بدليل ما روي

عن الامام مالك بن أنس انه قال قال عمر بن عبد العزيز : يحدث للناس من الاقضية
بقدر ما يحدث لهم من الفجور

أدرك هذا عمر بن عبد العزيز وأدركه الائمة المجتهدون من بعده مالك
والشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المذاهب التي لم يبق لها أتباع
لهذا العهد كداود الظاهري وغيره وكأئمة الشيعة الذين يعمل بمذاهبهم الى اليوم
زيد بن علي وجعفر الصادق وغيرهم فلم يكتفوا بتدوين السنة في الدفاتر والكتب
بل رأوا الحاجة تدعو الى البيان والتفصيل والتفريع والترتيب فعمدوا الى النظر
في أصول الشريعة من الكتاب والسنة فاستخرجوا منها الاحكام ووسعوها ورتبوها
ودونوها كل على أصول مذهبه وقواعده وأصول الاجتهاد المعروفة في كتب الاصول
بما لا يسعني بسطه الآن وكلكم أعرف مني به فضبطوا بذلك قوانين الشرع بما
بلغه اجتهادهم وأدى اليه جهدهم فكانت كتب كل مذهب شرعا يعمل به أتباعه
الى اليوم

ولسنا بصدد اطراء هذا العمل الجليل الذي قام به أولئك الائمة الكبار وحسب
هذا العمل أو هذه الخدمة التي خدموا بها الامة والشرع انها تصون منزلة الافتاء
والقضاء عن تناول كل من ادعى أن عنده مسكة من العلم بالدين والوقوف على
السنة هذا لو أحسن العلماء بعد العمل بقوانين الفقه

نعم قد انتقد كثير من أئمة السلف ما صار اليه الحال بعد وضع كتب المذاهب
من ترك أصول الشريعة والذهاب مع التقليد البحت لكن لم يكن هذا الانتقاد موجها
الى الائمة المجتهدين الا فيما أخطأ فيه اجتهادهم وانما كان جل الانتقاد موجها الى من
جاء بعدهم من الفقهاء والمقلدين لتنزيلهم كلام الائمة منزلة اصول الشريعة والعمل
بأقوالهم ما أصاب منها وما أخطأ بلا بحث في الدليل مع أن الائمة انفسهم نهوا عن
العمل بقول من أقوالهم دون معرفة دليله من أصول الشريعة كما تعلمون

أراد الائمة المجتهدون أن تكون طريقتهم في التفريع هي ما يسير فيه العلماء في قياس
الحوادث بعضها على بعض وردھا الى اصولها عند تجديد الحوادث سدا لحاجة
المقاضيین . وأطالوا في الاستقصاء والبيان والتفريع كي لا بدعوا ووجه التهجيم كل أمر

على أصول الشريعة من الكتاب والسنة ليقى بعلم وبغير علم فيصير القضاء الى الفوضى والتشتت بعد اقراض طبقة حفاظ الشريعة من التابعين وتابعي التابعين واتساع دائرة الاسلام اتساعا يفتقر معه المسلمون الى قوانين قرينة التناول من الفهم . لكن أساء من جاء بعدهم من اتباعهم من العلماء فهم الغاية فألقوا بأنفسهم في نفس الخطر الذي أراد اتقاؤه الائمة المجتهدون اذ ساروا في سبيلين متباينين سبيل التضيق على أنفسهم الى ما لا يبلغ بهم أدنى الحد وسبيل التوسع الى ما يتجاوز كل حد !

حرموا في الاول على أنفسهم الاجتهاد ولو في المسائل التي تدعو اليها الضرورة والمصلحة العامة التي هي من قواعد ومقاصد الشرع الاسلامي فكان من ذلك ان أخرجوا الامة والجأوا بعض الحكومات الاسلامية لهذا العهد الى العمل ببعض القوانين المقررة عند الامم الاوربية خصوصا الجنائية والتجارية

وتوسعوا في الثاني حتي ملأوا بطون الكتب بالخواشي والشروح يوثق فيها بعدة أقوال في المسألة الواحدة ولو قافهة أو من قبيل تقدير المستحيل وكل هذه الاقوال تعتبر شرعا أو شريعة وتركوا العمل بالصحيح منها أو الاصح أو المقتى به أو المعول عليه الي رأي القضاة فكان من ذلك ان اطلقوا لقضاء الفرد العنان بلا شرط ولا قيد فوقعوا وأوقعونا فيما أراد دفعه الائمة المجتهدون وحرّم المسلمون من قضاء الجماعة الذي هو كفيل بالعدل وذلك منذ انقضاء العصر الاول الى اليوم

نعم إن اختلاف الاقوال في المسألة الواحدة وكثرة الخواشي والشروح على القوانين والشرائع موجودة عند كل أمة فالقانون الفرنسي مثلا له شراح من المشرعين وأشهرهم دالوز وكاربانتيه وسيريه وغيرهم كثيرون الا أن القضاء عند تلك الامم لما كان بيد الجماعة وقوة التشريع ليست من حق فرد من الافراد بل من حق الامة ونوابها ف دستور العمل عندهم ما أجمعت على وضعه قوة التشريع وصا دقت على قبوله الحكومة فصار قانونا للقضاء لا يعدل عنه الى تلك الخواشي والشروح وآراء المشرعين ويصار اليها الا لتفسير مبهم أو تطبيق الحوادث بعضها على بعض

أشريعة المسلمين أصول وكمليات كما قلنا في صدر الكلام تعتبر أساسا للتشريع ومع أن أحكامها مسلمة فقد كان العمل بها في عهد انصحابه بالشورى بين المتقربين

منهم هذا فيما نص منها على ما يرد عليهم من النوازل فما بالكم فيما أحتاج الى الاجتهاد والتشريع بالقياس على تلك الاصول أو الاستنباط منها وقد سمعتم فيما مر أنهم كانوا لا يحكمون حكما الا بعد استشارة خيار الامة وعلمائهم واقرارهم جميعا على ذلك الحكم حتى اعتبر بعض الأئمة المجتهدين بعض احكام الصحابة لقوتها شرعا أو أصلا من الاصول التي يبنى عليها التفريع سموه عمل الصحابة أو اجماعهم كاسبقت الاشارة اليه وكما ترون ذلك في كتب الاصول

إذا كان اجماع الصحابة على مسألة شرط في صحتها واعتبارها شرعا يلزمنا العمل به فقد لزم من هذا أمران :

الاول ان اجماع الجماعة على تقرير حكم في مسألة شرط في صحة ذلك الحكم واعتباره شرعا لزما العمل به وهو ما تفعله الامم الاوربية في تقنين قوانينها لهذا العهد وقد وجد له اصل في الشرع الاسلامي فتركناه وأصبحنا نغبط الامم الاوربية وقوانينها أو قضاء الجماعة عندها لهذا اليوم

والامر الثاني أن كل اقوال الفقهاء واختلافاتهم الواردة في كتب الفروع ليست بشرع الا من حيث اشتغالها على احكام يرد بعضها الى اصول الشريعة إلا أنه غير متوفر فيها شرط التشريع الذي مر • وإناطة ترجيح قول دون آخر من حيث قربها من الاصل بشخص واحد لا يكسب هذا القول أو الحكم قوة التشريع ليسمى شرعا أو قانونا وجب العمل به الا اذا اتفق عليه وقرره جمهور من المشرعين أو المرجحين وهذا ما أردته من وجوب بقاء الاجتهاد لكن لا ليتناوله من شاء فيمأشأ ! كلا بل ليناط بجماعة من علماء المسلمين تقرير الاحكام التي تدعو اليها المصلحة وتتجدد بتجدد الزمان

ولذا فان اجتهاد الجماعة كما انه لازم في الاصول فهو لازم في الفروع أيضا وذلك لجمع اقوال الفقهاء على اختلاف مذاهبهم مأصاب من تلك الاقوال محجة الصواب والمصلحة ووافق اصول الشريعة من الكتاب والسنة والاجماع والقيام الصحيح في كتاب بعينه يعتبر قانونا في المعاملات مجما عليه من العلماء ليعرف منه كل مسلم ماله من الحقوق وما عليه لا تتقاذفه اقوال الفقهاء من خلاف لآخر ومن قول

لتقيضه فتصير به الى اهواء القضاة والمفتين يحكمون بما ترجح لديهم وبما يشتهون وليس اختلاف المذاهب بما نفع من أن يحكم للشافعي أو عليه بقول للحنفية أو للمالكي بقول للشافعية مثلا اذ كل أتباع المذاهب أبناء دين واحد وكل أقوال كتب الفقهاء مأخذها واحد وهو الشرع والواقع يثبت أن أحكام المعاملات كانت في أكثر الممالك الاسلامية ولم تزل الى اليوم جارية في القضاء على مذهب الدولة الحاكمة وربما كان أكثر الرعية من أتباع مذهب غير مذهبها

ومع هذا فليس نعمة نكبر من العلماء على أهل الدولة فلا سبيل لهم الى النكير على القائلين بلزوم جمع الاقوال الموافقة لمقتضى المصلحة والعصر من كتب المذاهب وجعلها قانونا جامعا في المعاملات للمسلمين بل هذا خير وسيلة لاصلاح القضاء وربما اغفرت للفقهاء ماضي تفريقهم وحدة الامة باسم التعصب للمذهب وكانت خاتمة اضطراب نظام القضاء في الاسلام

ليس اضطراب جبل القضاء في الاسلام بجديد وليس الظلم والعسف الذي لاقاه المسلمون من حكامهم الظالمين وحكوماتهم الجائرة الا نتيجة توكلهم على ضعف القضاء خصوصا ما يتعلق منه بولاية المظالم لا نقص في الدين أو الشريعة بل لنقص في طرق التقنين والتنفيذ

إن الدين الذي ينزل على الظالمين صواعق الانذار وقرن الظلم بالشرك بالله تعالى ويأمر باقامة ميزان العدل ويريد سعادة المجتمع الذي يدين به ما كان ظالما ولن يكون وانما المسلمون أنفسهم يظلمون

ربما يطالبني كلكم أيها السادة بدليل على قولي ان اضطراب نظام القضاء وما نشأ عنه من الجور ليس بجديد في الاسلام وهذا الطلب من حقكم بعد هذا الكلام واليكم دليلا واحدا اكتفي به عن أدلة لو أحصيت لكانت كتابا ليس كالكتب مما تقرؤون

تعلمون أن أحفل العصور الاسلامية بالعلماء والمفتين والفقهاء والمشرعين وأرناها في سلم المدينة الاسلامية عصر هارون الرشيد العباسي اذ الشريعة في إبان

زهوها والتفريع في مبدأ مجده والأئمة المجتهدون هم القائمون بالتشريع والى كتبهم ترجع الفتوى

في ذلك العصر الزاهر بمجد الاسلام وأمجاده العظام يرى أبو يوسف صاحب أبي حنيفة من ضعف القضاء وتسلبت عمال الجور واضطراب نظام ولاية المظالم ما يلجته الى وضع كتاب الخراج لامير المؤمنين هارون الرشيد وليس فيه الا آية أو حديث أو مثال من قضاء الصحابة أي كله من أصول تلك الشريعة الطاهرة يذكره فيه بالرجوع الى قضاء الله ورسوله واصحابه أو قضاء الجماعة المتين قائلا : ارجع يا أمير المؤمنين الى هذه الاصول في سياسة الرعية وجباية الخراج وتوزيع الفيء ، اعد يا أمير المؤمنين بنفسك للمظالم وإنصاف المحكوم من الحاكم ، ادرك الزراع فقد كاد يهلكهم الظلم فقد بلغني عن عمالك انهم يقيمون اهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد وانهم يفعلون بهم ويفعلون مما لا يحل لهم بوجه من الوجوه ١.

هكذا كان الحال في عصر الرشيد وأئمة الشريعة أحياء يرزقون فما بالكم بما جاء بعده من العصور التي صار فيها التشريع الى عدد لا يحصى من المخرجين والمرجحين والفقهاء والمفتين وكلهم يقول قولي أو قول فلان هو شريعة الله المقتي بها والمعمل عليها وما هو الا تفكك نظام القضاء وتشتت قوة الجماعة فلا حول ولا قوة إلا بالله !

والنتيجة أيها السادة أن ضمان العدالة الوحيد انما هو قضاء الجماعة لا قضاء الفرد وأعني ان التشريع وحده غير كفيل بالعدل في القضاء إلا اذا أنيط كلاهما بالجماعة بالوضع والتنفيذ . ولا تظنوا ان هذا «المطر بش» الواقف أمامكم يريد شيئا جديدا في الدين أو قلبا لكيان الاحكام مع انه ليس من علماء الدين ولا أئمة المجتهدين

كلا فليس قضاء الجماعة بمجديد في الاسلام بل هو من عصر الصحابة وهم واضعو أساسه المتين في الدور الاول للقضاء في الاسلام

أما الدور الثاني فالذي أذكره أن دولتين من دول الاسلام تنبها اليه وعولتا

عليه اولاهما دولة الامويين في الاندلس التي جملت في القرن الثالث دارا في قرطبة لشورى القضاء اعضاؤها من جلة العلماء يرجع اليهم في تقرير الاحكام والحق اقول اني لم اظفر بكثير بيان عن هذه الشورى لكن مآريته عنها في ثانيا الكتب التاريخية يكفي للدلالة عليها فقد ورد ذكرها في نفح الطيب في ترجمة بعض العلماء كقوله كان فلان مشاورا وطلب فلان الى الشورى فأبى وتقل الى ثقة عن كتاب من الاسف انه غير موجود بين يدي بل هو في مكتبة دمشق وهو كتاب الاحكام للقرطبي ورد فيه ذكر هذه الشورى بقوله: ان الشورى خالفت الامام مالكا في عدة احكام أخذت فيها بقول أبي القاسم

وفي هذا دليل كاف على انه كان لديهم سلطة في التشريع وان الدولة الاموية ثمة كانت مسددة الاعمال حتى قبيل وهنها وسقوطها حريصة على اجراء قوانين العدل بين رعيتهما

أما الدولة الثانية التي تنبئت الى مثل ماتنه اليه الامويون فهي الدولة العثمانية لهذا العهد فانها جمعت من علماء الامة وقهاؤها الموثوق بفضلهم وعلمهم جماعة ستمتهم جمعية المحلة وذلك من بضع وثلاثين سنة انتخبوا من كتب المذهب الحنفي قانونا جامعا لاحكام المدنية وهو المعروف بمجلة الاحكام العدلية وأقر على العمل به أهل الحل والعقد فصار مرجع القضاء في المحاكم الى اليوم وستجتمع هذه الجمعية أيضا لادخال بعض الزيادة والتحرير عليه مما مست اليه الحاجة ولو بأخذه من غير المذهب الحنفي هذا مجمل تاريخ القضاء في الاسلام وما تخلله من الشئون بسطته لديكم مع رجائي ان تصفحوا عن كل خطأ بدر مني أو تردوه ولو سمح الوقت لاتي على شيء كثير من كيفية تقسيم ولاية القضاء وترتيبها ومحاسن الفقه الاسلامي وما انتقد عليه وانه لو أحسن العلماء العمل به لكان لنا منه قانون جامع لا حسن قوانين الامم المدنية وربما أعود الى هذا البحث في فرصة أخرى ان شاء الله

✽ تصنيف كتب في الكلام ملائمة لحاجة العصر ✽

توحيد المذاهب الإسلامية

✽ اصلاح نظام التعليم في المدارس الدينية ✽

ألقى أستاذنا الفاضل موسى كاظم أفندي العضو في مجلس الاعيان ،
والاستاذ في مدرستي الحقوق والقضاة — محاضرة في هذه الموضوعات الثلاثة ،
فضبطها عنه حضرة الاديب حسين أشرف بك أديب صاحب مجلة «صراط مستقيم»
التركية ، فرأيت أن أترجمها لقراء مجلة المنار النافعة بما يأتي :

كان الراسخون في العلم من أهل الصدر الاول للإسلام يكتفون بظاهر المعنى
الذي دل عليه الكتاب والسنة ، ويرجعون الى صاحب الرسالة في كل ما يشبهون
به من المسائل على عهده . ولهذا لم تضطرهم الحاجة الى وضع المصنفات ومراجعة
الاسفار

ثم ظهر الاختلاف على عهد التابعين ، فأروا أن يدونوا الكتب احتفاظاً بوحدة
الدين من وقوع التفرقة ، وبعدها بها عن مزالق الانشقاق وفقدان القوة — اذا
تشتت آراء ذوي الرأي ، واختافت أنظار أهل النظر ، وهناك الطامة الكبرى ،
والخسران العظيم

فأخذوا يدونون العلم ، وأكثروا مادونوا كان في علم الكلام ، لانه هو منشأ
الخلافا ، فكان لذلك فائدة عظيمة

على أن الفلسفة لم تكن قد دخلت بادىء بدء في المصنفات الاولى ، لان
الامة لم تكن قد عانتها بعد ، بل كانوا يبرهنون على مذاهبهم بنص من الكتاب

والسنة ، وهي طريقة علماء السلف ، ولم يكن ذلك العصر في حاجة الى أكثر من ذلك

ثم انتقلت علوم الفلسفة الى العربية ، فنشبت الآراء طرائق ومذاهب ، وعرف أبناء هذه اللغة لأول مرة ماهية مذهب « الفلاسفة المشائين » وآراء « الفلاسفة الطبيعيين » ، وأخذوا يدخلون فيها ، ويقولون بقول أصحابها على قلة عددهم ، لولا أن المشائين تغلبوا على الطبيعيين من حيث اقبال الطالبين على كتبهم ، حتي اضطر علماء الدين الى مناهضتهم جميعا ، وانقاص ما لهم من السلطة والنفوذ في قلوب الدارسين والمفكرين ، ومن الردود على المشائين والاشراقيين تألف علم الكلام متمزجا بالفلسفة كما قضت الحاجة . لان علماء الكلام كانوا يدرسون كتب الفلاسفة أولا ، ثم يردون عليها ، الى أن كسدت سوق « الفلسفة الاشراقية » ، وكثر انتقاد اقوال المشائين فدالت دولتها ، واقرضت سلطتها ، ولم يبق لها ولي ولا نصير لم تكد تلقي هذه الحرب أوزارها ، حتي كان لعلماء الكلام من ظهور « الماديين » في هذا العصر ميدان آخر للنضال والكفاح . فهو لاء يجب أن نشغل اليوم كما كان اسلافنا يشتغلون بالطبيعيين والمشائين والاشراقيين بالامس

ورب قائل يقول : كيف يجوز لنا أن نزيد من عندنا في علم الكلام ما لم ينص عليه من قبلنا ؟ أوليس من الواجب علينا ان نتبع الاولين في ما قالوه . ونسلك السبيل الذي اتهمجوه ؟

فنجيبه بأن الفلاسفة الذين عني السابقون من المتكلمين بتزييف أقوالهم لم يبق في زماننا من يذهب الى صحة نحلهم ، واذا كانت براهين اسلافنا سلاحا قاطعاً لتلك المزايم ، فأين من يحاربنا لنصده بها ، وهذا الميدان خال منهم على حين نرى جهة أخرى غاصة بأعداء آخرين لا يعمل فيهم ذلك السلاح ، أو هو لا يقابل الاسلحة التي يستعملونها ، والحاجة ماسة الى اختراع سلاح آخر يصلح أن قابلهم به .

لا يوجد اليوم علماء معروفون يقولون إن العالم ثلاث عشرة طبقة كرية الاولى تراب والثانية ماء والثالثة هواء والرابعة نار والافلاك بعد ذلك تسعة متواليات بعضها فوق

بعض وانها أزلية أبدية في نوعها وفي جنسها ، وهي بهذا الاعتبار قديمة .
 فاذا قلنا للفلاسفة اليوم : انكم كنتم تزعمون قبل عصور أن الارض وما عليها
 قديم ولدنيا جميع تدحض مدعاكم وتبرهن على حدوث الارض وما عليها ، أجابونا
 قائلين : كلا نحن لا نقول بقدم الارض ، بل نذهب إلى ما تذهبون اليه من أنها حادثه .
 ومن منهم يصغى الينا إذا قلنا له : إنك تقول برأي بطليموس من أن الافلاك
 تسعة متداخلة أزلية أبدية . وهو يرى أن هذا الفضاء لانهائي ، ولا نهاية لما فيه من
 الاجرام ، وهي حادثه من حيث صورها ، ولا قديم فيها إلا اجزاؤها الفردة ، وربما
 سخرنا عندما نبرهن له على فساد ما لا يعتقد صحته .

فن الواجب علينا إذا اصلاح الدروس الكلامية وفقا لحاجة هذا العصر
 وأهله ، ووضع مصنفات جديدة في دحض مذاهب هذه الازمان . وأن نعلم أن
 الدين لا يناضل عنه اليوم بسلاح الامس ، لما بين العدوين من البون الشاسع
 والفرق العظيم .

كان المشاؤون يعترفون بوجود الله تعالى وأنه العلة الاولى ، وواجب الوجود ،
 ولكنهم كانوا يقولون : هو فاعل مضطر ، لفاعل مختار . أما الماديون في هذه الايام
 فلا تفهم براهيننا على ذلك لانهم لا يسمون بوجود الله سبحانه . وكان الحكماء
 يقولون : ان الله واحد حقيقي . وباطل وصفه بتلك الصفات المتعددة لانها تنافي
 الوحدة . فهو قائم بذاته ، عالم بذاته ، قادر بذاته ، مرید بذاته ، والعلم عين الذات ،
 والقدرة عين الذات ، إلى غير ذلك من الصفات الاخرى ، وبهذا قالت المعتزلة .
 أما الماديون فهم يضحكون منا إذا برهننا لهم على أن الله عالم بعلمه ، قدير بقدرته
 مرید بارادته : لاننا متخالفون معهم من حيث المبدأ الذي يجب علينا ان نقر بهم الينا
 فيه بوضع كتب حديثة تصلح لاقناعهم ، ولا يتسنى لنا ذلك إلا بدرس فتونهم ،
 وإلزامهم بأقوالهم وآرائهم .

وبعد فان الاسلام قد مني باختلافات ذهبت بأهله مذاهب كثيرة باد أكثرها
 وبقي بعضها ، فالشافعية والحنبلية والمالكية يخالفوننا نحن معشر الحنفية بالزورع وإن

كانوا كلهم أهل سنة . فمن الواجب علينا ان لانزل هذا الاختلاف بمنزلة الخصومة فبعد الشافعي خصما لنا ، بل الصواب أن نرى لنا مالا ، ويرون لهم مالم . وربما كان الحق في جانب أحد الطرفين مرة ، وفي الجانب الآخر مرة أخرى . لان المسألة مسألة اجتهاد ، والاجتهاد يبنى على الادلة الظنية التي يستدل بها كلا الطرفين ولا فرق في ذلك بينهما . ولذلك نصوا على ان الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد .

كانت هذه الحال مدعاة للتفرقة وانشقاق القوة ، ومباينة لما أمر الله به من الاعتصام بجبل الانحاد والاجتماع ، وما أشد ضرر التخاصم في المذاهب والفروع ؟ ... وفي الاسلام اليوم غير هذه المذاهب مذهب آخر وهو مذهب الشيعة ، والعداوة بينهم وبين السنين شديدة ، وفي نظري ان هذا العداء أمر منكر يجب إزالته ليتسنى للمسلمين أن يتحدوا وإلا التهمهم الغرب قبل مرور نصف عصر ، وكانت القاضية على المسلمين اجمعين .

اجل ! يجب علينا أن نعتصم جميعا بجبل الله ، ونتعهد مع كل قائل بوحدة الله ، ونبوة رسول الله ، ونحاول بعد ذلك تقويم الاود ، وإرجاع المنحرفة إلى أصلها ، ومجادلة أهل المذاهب الاخرى لا كما يجادل العدو العدو ، بل بالتي هي أحسن ، وذلك بأن يجتمع العلماء من كل فريق ، ويقول بعضهم لبعض : تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم . تجنب ما تقوم الحجة على بطلانه ، ونعمل بما تبرهن الادلة على صحته . وفي يد كلا الفريقين كتاب الله يؤمنان به وبمن أنزله وبمن نزل عليه . وبهذا ينجو المسلمون مما منوا به من التفرقة والانشقاق ، وأنا الكفيل بأن المسلم لا يلبث أن يدعن للحق ولو هما بعد عنه .

واني أقص عليكم هنا تفاصيل مناظرة دارت بيني وبين أحد علماء الشيعة وكان متعصبا وعلى مكانة من الجد في وقت واحد . فبادرته أنا سائلا :

- أين هو موضع النزاع بيننا وبينكم ، وفيه ترتابون من عقيدتنا ؟ فأجابني :
- الخلافة هي موضع النزاع . . . قلت له :
- إن هذه المسألة في رأيي ليست مما يستحق النزاع . قال :
- كلا بل هي ذات شأن عظيم لا ينكر فهي التي قضت على الاسلام ،

وشتت شمل المسلمين ، وقلبت بالدين رأسا على عقب . . . إن الخليفة بعد النبي كان يجب أن يكون عليا . فأجبت :

— تلك دعوى لا نسلم بها ما لم يقم على صحتها برهان ساطع ، فما هو برهانكم على ذلك ؟

وها هنا عدد اشياء كثيرة كانت كلها واهية في نظري . وبعد أن أصغيت إليه كثيرا قلت له :

— ليس كل هذا مما يتألف منه دليل واحد ، لأن ما قلته لا يفيد إلا الظن ، وإن الظن لا يقي من الحق شيئا . أنت سردت على مسامعي قضية هي من المطالب اليقينية ، وأنى لثلمها من مسائل الاعتقاد أن يبرهن عليه بشيء من الظن الذي ربما كان مقنعا في مسائل الفروع

فترك صاحبنا هذه السبيل واتجهج منهجا آخر تكلم فيه أكثر مما تكلم من قبل ولكن هذا أيضا كان واهيا . فقلت له حينئذ :

إني أدعي أنه لم يوثر عن النبي قول يستدل به على تعيين خليفة باسمه ، وبرهاني على ذلك أنه لو كان ثمة قول صريح في هذا الباب لما اختلف الصحابة في ذلك الامر ، وهم على ما هم عليه من التمسك بسنته ، والخنوع لطاعته ، أجل ! لم يصرح النبي بذلك لأن المهاجرين والانصار وقع بينهما على الخلافة اختلاف كان من تيجته أن قال الانصار : « منأأير ومنكم أمير » فدحض الصديق ما طلبوا بحديث « الائمة من قريش » فأجابوه : إذا لم يبق بيننا مدعاة للخلاف بعد هذا . ومن ذلك تعلم أنه ليس ثمة صراحة قولية يستدل بها على تعيين خليفة بشخصه ، وإنما هم رجحوا الصديق لتولية الصلاة بالناس في مرض النبي ولم يرجحوا عليا ، وهذا ما أداهم اليه اجتهادهم .

وكان أبو بكر قد سمي عمر لولاية العهد قبل وفاته ، فلم يبق مجال للنزاع وجعلها عمر شورى من بعده ، فوقع الاختيار على عثمان

ثم تولى منصب الخلافة من بعدهم علي

هذا كل ما في الامر ، فأين ما تذكره من أن هذه المسألة هي التي قضت

على الاسلام ، وقلبت الدين رأسا على عقب . . . هل سلك ابو بكر غير منهج الرسول ؟ كلا . انه لم يفعل ذلك باعترافكم . وهكذا فعل عمر ، وهو الذي افتتح الاقطار ، وعلى يده دخلتم في الاسلام ، وأصبح المسلمون يحكمون بلادا فيها مئة مليون من النفوس . ومع كل ما كان له من النصر ، وللإسلام من المجد ، بقي في آخرته كما كان في أولاه يرضن على قدميه بجذائين يخرج منهما من بيت المال ! فما هو معنى « القضاء على الاسلام » حينئذ ؟

وهنا سكت صاحبنا ولم يفه بينت شقة ، فواصلت كلامي قائلا : نحن قدس هؤلاء لانهم لم يحميدوا عن خطة النبي قيد أكلة ، ومن الواجب على كل من في قلبه ذرة من ايمان أن ينظر اليهم بالنظر الذي ننظر به اليهم . فأجابني :
ان عليا كان على سعة من العلم والفضل ، وواقفا على سر الكتاب . قلت له :
ذلك مما لا ريب فيه . قال :
فلماذا اذا لم يجعلوه خليفة ؟ أجبتني :

انت الآن تخرج عن الصدد . فقد عدلت عن زعمك الاول من أن الاسلام قد قضي عليه ، ورحت تقول الآن : كان الاولى تولية علي لانه كان أعلم وأفضل . فقال لي :
انك يا أخي لاتدع لي مجالا للافصاح عن رأيي . انني أقول : إن عليا واقف على سر الكتاب ولو كان اول خليفة في الاسلام لخدمه خدمات جلي ، ولتعالى الدين أكثر مما شهدنا . قلت له :

أنت غيرت دعواك . ومع ذلك فاني أقول لك : كان من الواجب عليه اذا كان الامر كذلك أن يبين تصوراتيه في اعلاء شأن الاسلام لمن تولى أمر الخلافة من قبله . وفي كل حال انه صار خليفة بعد ذلك ، وكان في وسعه أن يقوم بالخدمات التي تذكرها

وبعد أن أفضت البحث في هذا الباب أذعن مناظري للحق ورجع الى انصافه ثم قال :

الحق أقول ان هذه المسألة مسألة سياسية ، لا مسألة دين ، وما هي الاوسيلة جعلت في القديم لاحداث التفرقة بين فريق وفريق

قضى من هذا أنه مهما كان بين المسلم والمسلم من الاختلاف، يرجع أحدهما إلى الحق بعد ظهوره له، لأن المسلم منصف على كل حال ويأبى شعري كيف يجوز لنا أن نجعل الاختلاف في المذهب سبباً للعداوة ونحن كلنا مسلمون، في حين أن من المحذور على المسلم أن يجعل العداوة في قلبه حتى لغير المسلمين. حقاً إن هذه حال قد سئمتها النفوس، ونتجت منها مضار، أذف الوقت الذي يجدر بنا فيه أن نعلم عن هذه البغضاء الشائنة، ونؤسس فيما بيننا وبين جميع الفرق المسلمة وغير المسلمة وحدة صحيحة، فيكون الاتحاد شعارنا في كل أين وأن. لأن بالاتحاد نجاتنا، وبالأعراض عنه اضمحلالاً.

فمن الواجب علينا أن نضع كتباً في علم الكلام مؤسسة على مبادئ عدة. كأن ندرس مذاهب الفلاسفة المعاصرين، ونجادل أصحابها ولكن «بالي هي أحسن»، فهذا يزول الخلاف، وتلك كانت خطة النبي (ص) في جدله

نحن نفكر اليوم في أمر اصلاح المدارس الدينية، وحسبنا انكم تقدرون هذا الاصلاح حق قدره. (الطلبة:- تلك حقيقة ناصعة فترجوكم ان تثاروا على الاصلاح.) انكم اذا كنتم على غير رأينا في لزوم هذا الاصلاح، فليس في وسعنا ان نأتي بعمل، أما اذا عرقت وجوبه، فهو أهم الاصلاحات في نظرنا.

يجب أن ندخل على نظام المدارس القديم خمسة من الفنون الحديثة أو أكثر، وأن نعدل ذلك النظام تعديلاً هاماً، فنبتل تدريس الحواشي والتقارير بته، ونعلم الطالين المتون فقط، ولكن نعلمها حقيقياً، وتتوسع كثيراً في درس اللغة والادبيات. ترى ماهي الحواشي والتقارير؟ هي انتقادات قواعد لغة لا نعرفها بعد. وأحربنا أن ندرس تلك اللغة نفسها قبل أن نقرأ انتقاد قواعد.

ولعل قائلاً منكم يقول: نحن لا ندرس لغة العرب، بل ندرس كتباً انشئت بلغة العرب، وكان خيراً لنا لو ترجم القرآن إلى التركية، فدرسناه بلغتنا، كما يدرس العرب القرآن واليهود التوراة بلقتهيم (١١١).

فأجيب هذا القائل: إن ترجمة القرآن متوقفة على معرفة اللغة العربية معرفة تامة،

وهذا ماندعوا اليه الطلبة والعلماء ويزيد منهم أن يكونوا ذوي وقوف تام على هذه اللغة ، ولا يكون هذا الا بدرس المتون أولا ، والتوسع بالادبيات بعد ذلك جهد المستطاع . ولا بأس إذا رجع التلميذ بنفسه الى بعض الشروح عند مسيس الحاجة ولست أدري كيف أعرض الطلبة قبلنا عن المتون وتعلقوا بهذه الشروح حتي اذا أتموها شرعوا بقراءة الحاشية فحاشية غيرها ثم بالتقارير فتقارير أخرى . وبعد أن يصرف الطالب أكثر من خمس سنين على هذا المنوال في كتاب واحد تمتحنه فيه فلا تجده على شيء !! ولا يقدر أن يفهم معنى سطر واحد من الشعر العربي . ذلك لانه بدد وقته بمناقشة ماقاله العصام وما نبه اليه عبد الغفور ، وبوجه التفهم من قوله (فافهم) عند ما تعرض مسألة من المسائل .

فكروا ياهؤلاء قليلا : يجتهد عالم بتلخيص القواعد في متن يسهل به على الطلبة سبيل الوقوف على أصول أحد العلوم ، فيجيء غيره ينتقدهما كتبه . وهو حر فيما يعمل . ثم يجي آخر فينتقد الانتقاد !

نحن لا نعترض عليهم لا تنقادهم ، فليبدوا رأيهم في مسائل العلم ، والانتقاد في الحقيقة فلسفة العلوم . ولكن الذي استغربه هو تسابق الشيوخ إلى هذه الحواشي والتقارير مما تجادل به العصام وعبد الغفور ، يجعلونها كتباً مدرسية يقرأونها على الطلبة قبل أن يدرسوا أصول العلم نفسه !

اعترضوا علي ما أقول إذا كان لكم اعتراض !

نعم ! إن هذه الحواشي ليست مما يقرأ قبل درس قواعد اللغة ، وإنها مع ذلك لم تؤلف عبثاً ، فإن أصحابها لاحظوا من تأليفها تربية قوة المناقشة والانتقاد في نفوس الطلبة فصنفوها . وما علينا الا أن نستعملها في الموضع الذي وضعوها له . وقد كان من تحريفنا الأشياء عن مواضعها أننا ظللنا جاهلين اللغة العربية ، وإذا عرض لنا بيت من الشعر ، وقفا أمامه باهتين ، ننظر من عبد الغفور ومن العصام إمداداً فلا نرى من معين ! ثم نسعى لفهم البيت من كتب اللغة فيخفق سعينا لأننا لم ندرس الادبيات العربية . وغاية الامر أن اصلاح المدارس يتوقف على درس متون العربية وكتب اللغة

والادب . ثم يلتفت الطالب الى الفقه والتفسير والحديث ، تلك العلوم التي أهملناها ، لان الحواشي والتقارير استغرقت منا كل وقت .

أتمنى من الطلبة كلهم أن يجتمعوا في مكان واحد ، ويفكروا فيما يحوجهم لاصلاح مدارسهم ، ويستجلبوا برناجات المدارس الدينية في مصر ، فان المدارس الدينية في ذلك القطر قد أصلح نظامها ، فأثمر التعليم فيها ثمرات شبيهة . وبعد الاطلاع على تلك البرناجات يضعون لانفسهم برنامجا يوافق حالهم وحال العصر معا . ويكفل لهم التقدم في اللغة العربية ، ثم يبحثون في أي الفنون الحديثة أكثر لزوما لهم .

أما أمر معاشكم فنحن نكفله لكم . لان لكم أوقافا كثيرة جداً استولت عليها الايدي ، وهي تغل لكل واحد منكم ثلاثة جنيهاً مشاهرة ، لو كان عددكم خمسة آلاف طالب . وعدا ذلك فان الامة لاتنساكم . وما عليكم إلا أن تبرهنوا على كفاءتكم ثم إنكم في حاجة إلى تعلم لغة أجنبية ، وليس في هذا ما يخاف الدين ، لانه ليس للدين لغة خاصة به

هذه اللغة العربية بنت ستة آلاف سنة ، والدين الاسلامي لم يكن إلا منذ ألف عام وزيادة . وهو لاء مسلمو كريد لا يعرفون العربية ولا التركية ، ولقتمهم لغة يونان ، فهل كان ذلك مانعا لاسلامهم . ونحن أنفسنا لغتنا التركية ، فهل تركناها لانها ليست لغة القرآن التي انزل بها . وهل اليهود من العرب مسلمون لان لغتهم عربية ؟ كلا . واذا كانت العربية لسان الدين ولا يجوز للمسلم أن يتكلم بغيرها ، فنحن آثمون لاننا لم نترك التركية . وهذا ما لا يسلم به عقل ولم يرد به نص .

فالتركية من هذا القبيل لافرق بينها وبين الفرنسية والانكليزية ، لان هذه اللغات الثلاث كلها غير العربية ، وعدا ذلك فنحن ندرس في جوامعنا باللغة التركية ، فلماذا لاندرس بالفرنسية أيضا ؟ ولماذا لاتعلم في مدارسنا لغة أجنبية ؟ فاذا قلتم : إن التركية لغة أمة اسلامية . اجيبكم : ان في الصين تركا أكثر منا عدد ادهم كلهم مشركون فتيين من هذا أن اللغة شيء والدين شيء آخر ، وما التعصب في هذا الباب إلا الجهل الذي يسخر من صاحبه الناس اجمعون .

محـب الدين الخطيب بالقاهرة (المآراج) بشت الى ادارة المجلة بهذه المقالة المترجمة واناني الآستانة لاوى

رأيت في نشرها فلما قرأتها رجحت المقتضي على المانع وأذنت بنشرها ، أما المانع فهو انه قد سبق لنا في المنار بيان هذه المسائل الثلاث الاساسية التي بنيت عليها محاضرة الكاظم «تصنيف كتب في العقائد ملائمة لحال هذا العصر» وتوحيد المذاهب الاسلامية واصلاح التعليم في المدارس الدينية » بل هي من مقاصد المنار التي أبدينا وأعدنا القول فيها كثيرا ، وكررهنا تكميلا ، فقرأ المنار لا يستفيدون بنشر ترجمة هذه المحاضرة شيئا جديدا في هذه المسائل التي طرقت مسامعهم وجالت في مباحثها أبصارهم وعلم أكثرهم ما لقي شيخنا الاستاذ الامام من العناية في محاولة اصلاح التعليم في الازهر والمدارس التابعة له . وأما المقتضي فهو ما يستفيده قارىء هذه المقالة من تشابه علل المسلمين وأمراضهم بل وحدتها ومن اتفاق آراء العقلاء وطلاب الإصلاح لها على اختلاف اللغات وتباعد الافكار ، فومى كاظم أفندي من علماء الآستانة قام يطالب في عهد الحرية ما سبقه اليه اخوانه من عقلاء العلماء في مصر والهند من غير تواطؤ بينه وبينهم ولا اطلاع منه على أقوالهم وأعمالهم ، فالمسلمون أمة واحدة مرضهم واحد وعلاجهم واحد وأطباؤهم هم العلماء والعقلاء العارفون بحال العصر الذين يصدق عليهم تعريف الفقيه في أقوال أحد أئمتهم «هو المقبل على شأنه العارف بأهل زمانه»

قد احسن الكاظم في حثه طلاب الترك على تعلم أدبيات اللغة العربية لان اللغة نفسها إنما تعرف بأدبياتها لا بفلسفة فنونها الصناعية وفي حثه إياهم على تعلم بعض لغات العلوم الدنيوية وحجته في هذه المسألة أقرب الى القبول من حجة من يدعوا امثال طلاب الازهر الى تعلم الفرنسية والانكليزية لانه لا فرق بين التركية والفرنسية في نظر الدين وأما العربية فهي لغة الاسلام لا يمكن ان يفهم الاسلام حق فهمه ويكون من علمائه الا من يكون متقنا لها وترجمة القرآن ترجمة تقوم مقام الاصل العربي وتفي عنه في الفهم والاستنباط والهداية هي متعذره كما بينا ذلك من قبل ، ويحتاج في فهم الاسلام الى فهم السنة ومعرفة طرق روايتها الخ الخ ولم يعط الكاظم هذه المسألة حقها من البيان والتحقيق وهي لم تكن موضوع محاضراته وإنما جاءت بالعرض . وقد عرفت الرجل هنا وأرجو ان يكون من خير انصاري على ما أسعى اليه من الخبر للمسلمين الذي يدخل فيه موضوع محاضراته .

﴿ رسالة جمع النفائس ، لتحسين المدارس ﴾

يقول الذين أرسلوا اليها هذه الرسالة ان السيد عثمان بن عبد الله بن عقيل كتبها ليقاوم بها نهضة المسلمين الحديثة لانشاء المدارس وطلبوا منا ان نزين لهم رأينا فيها كما ذكرنا ذلك في الجزء الحادي عشر . وقد تصفحنا معظم الرسالة فظهر لنا ان كاتبها قد كتب ما يعتقد انه النافع كما هو ظننا في سائر مكتوباته وانه لم يقصد تثبيط المسلمين عما هو نافع لهم ارضاء للحكام أو لغير الحكام ولكن الذين فهموا منها تثبيط المسلمين عما ينفعهم معذورون ولا يسوغ لنا ان نقول انهم متحاملون ،

الرسالة مؤلفة من ثلاثة فصول أولها في العلم والتعليم والمدرسة وبذل المال لهذا الامر ونتيجة العلم وقد جاء في ذلك بفوائد ونصائح لا بأس بها وان كان فيما استدل به احاديث ضعاف لا يحتاج بمثلها ولا تطيل في ذلك لما جرى عليه المؤلفون من التساهل في ايراد مثل هذه الاحاديث في فضائل الاعمال ولا سيما الغزالي رحمه الله تعالى ورأيت يذ كر في هذا الفصل كغيره السلف الصالح ويحث على اتباعه وبعد من ذلك قراءة رسائل وكتب احمد بن زين وسالم بن سمير وعبد الله بن علوي الحداد وغيرهم ممن ليسوا من سلف الامة وهم أهل القرون الثلاثة على المشهور فكأنه يعد المتأخرين من أهل حضر موت وغيرهم من السلف ولا أدري ماهي مزيتهم على علماء هذا العصر في الهند ومصر وتونس . وعندي انه لا يعتد برأيه في الكتب النافعة ولا في طريقة التدريس . والفصل الثاني عشرة اسطر في الاتفاق على العمل وبذل المال له ولا بأس به واما الفصل الثالث فهو الذي يثبط همة من تلقاه بالقبول على علاقته لانه ينفو المسلمين من كل ماعليه الاجانب في علومهم وأعمالهم الدنيوية التي بها صاروا اقوى وأعز من المسلمين حتى ان دولة صغيرة في شمال أوربا تستولي على أكثر من ثلاثين ألف ألف مسلم في جنوب آسيا وتتصرف فيهم تصرف السيد في عبيده الضعفاء ولو عملت الدولة العثمانية بمثل هذه الآراء لاستولى عليها الاجانب من زمن بعيد ولم تبق للمسلمين حكومة مستقلة

ومن بلايا تناقض هؤلاء المقلدين انهم يحرمون الاستدلال بالكتاب والسنة على من أهم أهل له ويبيحونه لانفسهم مع اعترافهم بأنه ليسوا من أهله ومن ذلك استدلالهم بحديث ابن عمر « من تشبه بقوم فهو منهم » على تحريم كل شيء نافع سبقتنا اليه أوربا ! والحديث لا يدل على ذلك على ان سنده ضعيف عند رواته وهم احمدوا بوداودو الطبراني في الكبير ، وتصحيح ابن حبان له لا يعتد به لتساهله في التصحيح ومعناه ان من تكلف ان يكون شيها بقوم فان التكليف يصير خلقا بعد تكرار العمل فيصير بذلك من القوم فيما تشبه بهم فيه فان تشبه بهم في الكتب من أمور الصناعة صار صانعا مثلهم وإن تشبه بهم في الاعمال الحربية صار كواحد منهم في ذلك ، وإن تشبه بهم في كل شيء صار مثلهم في كل شيء ولكنه اذا تشبه بهم في بعض الازياء او العادات لا يصير منهم في أمور الصناعة أو الحرب أو الدين واذا تشبه بهم في أعمال الدين فقط لا يصير منهم في السياسة أو الادارة ولا في الصناعة والزراعة . فالمسلمون في العراق موافقون لمسلمي مصر في الدين لا متشبهون وهم ليسوا مثلهم في اقان الزراعة فمن الجهل الفاضح ان يقال ان من تشبه بآخر في شيء يصير مثله في غيره ، ويتفرع على هذا اننا نحن المسلمين اذا تشبهنا بالافرنج في الامور الحربية والسياسية والصحية وطرق الكسب فاننا لانكون معدودين منهم في دينهم وان في بلادنا من هم موافقون لهم في دينهم وكثير من عاداتهم وهم مع ذلك ليسوا مثلهم ولا يعدون منهم في الامور السياسية والحربية مثلاً

وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس الجبة الرومية والطباسة الكسروية (من لباس المجوس) . ولما أخبره سلمان الفارسي (رض) ان المجوس يحفرون الخنادق حول بلادهم اذا هاجمها العدو أعجبه ذلك وأمر بحفر الخندق حول المدينة في غزوة الاحزاب وعمل فيه بنفسه بأبي هو وأمي صلى الله عليه وآله وسلم . فهذا البيان يظهر خطأ السيد عثمان بن عجيل في منعه أن يكون في مدارس المسلمين شيء ما يشبه ما في مدارس الاجانب وخطأ ما أطالت به مجلة « دين ومعيشة » الروسية في بعض المسائل التي جعلت تكتأفها فيها حديث « من تشبه بقوم فهو منهم » وهذه المدارس النظامية في مصر والآستانة والشام على طراز

المدارس الاجنبية ولم ينكر ذلك أحد من العلماء في هذه البلاد وما أظن أن السيد عثمان بعد نفسه في طبقة علماء الازهر

وقد أورد السيد عثمان في هذا المقام حديثاً آخر وهو « من أحب قوماً حشر معهم » وهذا الحديث أورده الحاكم في المستدرک بلا سند فلا يحتج به ولو كان الرجل عالماً بالحديث لاورد ما صح بهناه وهو حديث أنس عند الشيخين « المرء مع من أحب » وفي المعنى حديث « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة وهو ضعيف ولكن حسنه الترمذي وأورده ابن الجوزي في الموضوعات . والمراد بالحب هنا ما يحمل الحب أن يتقرب الي من يحبه ويطيعه ويقتدي به ، وما كل نوع من أنواع الحب يحمل على ذلك وقد أباح تعالى للمسلم أن يتزوج باليهودية والنصرانية والزواج يجب زوجه فلو كان معنى الحديث ان كل محب يكون مع من أحبه في الدنيا والآخرة لاستلزم اباحة نكاح الكناية كفر المسلم الذي يتمتع بهذا المباح ولاستلزم ذلك الترجيح بلامرجح فيما اذا أحب كل من هذين الزوجين الآخر كما هو الغالب وهو محال . وأبلغ من ذلك ان الله تعالى قال في خطاب المؤمنين مع اليهود الذين كانوا أشد الناس عداوة لهم (١١٩: ٣) ها أنتم أولاً تحبونهم ولا يحبونكم) فراجع تفسير الآية في ص ٨٨ ج ٤ تفسير من القرآن الحكيم

ومع هذا كله نقول ان الذين ينظمون مدارسهم على طريقة الاوربيين ويتعلمون علومهم لا يقتضي ذلك أن يحبهم بل نرى من المتعلمين في أوروبا من هم أشد نعصاً من غيرهم وقد ذكرت هذا لبعض العثمانيين هنا (في الآستانة) فقال والمتعلمون منا على الطريقة الاوربية كذلك . فالسيد عثمان ليس مختبراً ولا عارفاً بهذه المسائل وقد علمت ان الحديثين اللذين أوردهما لا يدلان على مراده إن قلنا بأنه يحتج بهما ، وما كتبه ضار جداً وان أراد به النفع بحسب اجتهاده وما هو بأهل للاجتهاد ساعه الله تعالى

ومن تهافته انه بعد أن استدلل بالحديثين على ما لا يدلان عليه لقلة بضاعته في العربية على كونها بضاعة مزجاة - شرع يحذر ترك قراءة كتب السلف الصالحين والاستعاضة

عنها بقراءة كتب التاريخ والجرائد ، وذكر من مضارها انها تورث العقائد الفاسدة ودعوى الاجتهاد والاخذ من الكتاب والسنة . واذا جاز لمثله أن يأخذ من الكتاب والسنة فعلى من يتمتع ذلك ؟ وانني أقل شيئا من كلامه بنصه لثلايتوهم بعض قراء المارانا نرد على عالم مؤلف أخطأ فكبرنا خطأه أو بالغنا في استهجانها . انه حصر عيوب المكاتب والمدارس في ثلاثة أشياء وذكر الاولين منها وهما في المعنى أمر واحد هو التشبه بالاجانب ثم قال مانصه وصورة رسمه :

« والثالث من تلك الفواقر والخسائر ترك قراءة الكتب التي يقرءونها السلف الصالحون التي يكتسبون منها العلوم النافعة وخشية الله والاعمال الصالحة وتبديل تلك الكتب بكتب التواريخ المختلقة والجرائد المعتقدة التي يورث في اللسان اللقطة وفي القلب العقائد الفاسدة وفي الدين اقساهل وتبع الرخص بل تورث دعوى الاجتهاد المشبه بخرط القتاد وذم التقليد بلا تقييد ودعوى استقلال الاخذ من السنة والقرآن مخالفة لما عليه المفسرون الاعيان فاهي الاكراكة التان تظن انها تسابق الفرسان ومضادا لسيرة السلف الصالحين بل استخفافا بهم بأنواع التنقيص وعنادا بالمكابرة والمغالطة بالادلة الساقطة » اهـ

ولا يحسن القارىء أننا اخترنا هذه العبارة اختيارا لركاكتها وكثرة غلطها ووضوح دلالتها على تجرد صاحبها من الفنون العربية كلها بل جميع عباراته كذلك وهو مع هذا يستنبط الاحكام من الآيات والاحاديث فيحرم على الناس ما أحل الله لهم وبجلهم ما حرم الله عليهم ولا سيما القول في الدين بغير علم ثم ينكر على العلماء الراسخين مثل هذا الاستدلال !!

هذا — واننا ننصح لأولئك الابرار الاخيار الذين ينشئون المدارس أن لا يلتفتوا الى هذه الرسالة ولا الى شيء من رسائل هذا الرجل وليختاروا لمدارسهم المعلمين الاكفاء الذين يجمعون لهم بين علم الدين وما يلزم لهم من علوم الدنيا وان يكون لسان حالهم ومقالهم هو لسان القائلين « ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » أولئك لم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب »

الفصل الخامس عشر*)

(بيت خديجة بعد الزواج)

وبدأت السيدة «خديجة» بعد هذا القران السعيد تزداد معرفة بهذا الجوهر الكريم الذي أتاحه الله اليها فألقت الى يد هذا الامين بكل ما تملك ولم يرعها أن الكرم المستحكم في سجايه سيحملة على اخراج نصيب كبير من هذا المال الى الضعيف والمائل فان سيدتنا لم تكن - مع تدبيرها - بالشحيحة الكاظة على المال الفاني بل كانت قد خلقت لتكون مساعدة على الجود . وهل بعد معرفتها بهذا الكفو الشريف ترى لنفسها معه أمراً ينافي أمره ، أو رأياً ينافي رأيه ، وهي تلك العاقلة الحكيمة المستعدة ان تزداد كمالاً كلما أشرق لها من سماء الفيض الالهي نور منه

وأصبح هذا البيت مثابة للمضطرين وأماناً ، فقصدته الايامي ، وشبعت فيه اليتامى ، وخففت فيه أحمال كثيرين ممن حنيت ظهورهم بكثرة الآل ، وقلة المال .

كانت تلك البلاد احياناً تصاب بعسر بل كل بلاد العالم لا تسلم من العسر على الدوام فمساعدة الموسرين في زمن العسر للمعسرين أمر تقضي به الانسانية ولكن قليل من الناس من يكون لهم حظ بالتغلب على شياطين

(*) تابع لما في (ص ١١٥٤٩) من سيرة السيدة خديجة ، وقد كان كاتب هذه السيرة السيد عبد الحميد الزهراوي اضطر الى ارجاء الكتابة لاعماله السياسية الكثيرة في مجلس الامة

الشكوك والالهام التي تنهى عن الاتفاق خشية الاملاق أما سيدتنا فكانت ترى إتفاق زوجها ومساعدته للمسررين وأخذه بيد العائلين من جملة المزايا العالية التي تقرأ بها عنها

وفي احدى الازمات كانت ملائكة الرحمة تحوم في ذلك البيت حول أحد الصبيان وتطوف في آفاق نفسه لتطهرها من كل شر حتى لا يخرج من هذا البيت الا وهو امام للناس في الخير والصلاح

وكان هو لاهيا عما أعده له ، وعابثا بمثل ما يبعث به أترابه ، ولم يكن هذا الصبي يتما بل كان أبوه حيا ولكن أبناء السعادة ، أبناء المجد الابدي ، أبناء المجد السرمدي ، تستأثر العناية الازلية بكفالتهم وتربيتهم بصورة خاصة وظاهرة براهما من استعدت بصائرهم للاطلاع الجيد

لم يكن أبوهذا الصبي ليسمح وهو حي أن يتربي كالايتام في غير بيته لأنه هو ذلك الشهم الشهير والشريف الخطير « أبو طالب » ولكن اشتداد الازمة في احدى السنين اضطره ان يقبل رجاء أخيه « العباس » وابن أخيه « محمد الامين » بأن يأخذ كل واحد منهما ولداً من أولاده تخفيفاً عنه فكان هذا الاسعد الذي أخذه الامين هو علياً الذي صار الامام أباً الائمة ، وبدر سماء السيادة في الائمة

كانت تربية علي في البيت من جملة المكتوب للسيدة « خديجة » من حسن الحظ فان الغيب كان يعده لا مر جليل له علاقة بهذا البيت لعله لم يخطر في بال أهل هذا البيت اذ ذاك أن هذا الصبي الذي يدرج أمامهم فيسرون به سيكون الواسطة الوحيدة لحفظ نسلهم ، ومن أين كانت

(المآرج ١) (٩) (المجلد الثالث عشر)

تعرف السيدة «خديجة» أنه لا يعيش لها من الذكور ولد وأن هذا الصبي الصغير قد أعدّه الغيب ختناً كريماً وبملاصاً لها لبنتها الصغيرة، وكيف تعلم أنه لا يتسلسل لها عقب إلا من تلك الكريمة «فاطمة الزهراء» وأنى يخطر في بالها أنها إنما كانت تربي هي وزوجها جداً لعرة تتصل بهذا البيت سيعدها العالم من أشرف العتر وستبقى مباركة في الأرض دهوراً طويلة عالية المنار، عظيمة الشأن

نعم كل ذلك لم يخطر في البال إذ ذاك ولم يكن الذي في القلب إلا القيام بالواجب الذي يقضي به التضامن

نعم ! نعم ! كل ذلك لم يخطر في البال ولا نوى سيده هذا البيت مكافأة عمه على تربيته التي سبقت له فإن بين ذوي القربى لا توجد المكافأة بل يوجد التضامن ولكن كان هذا البيت المملوء نعماً يتقاضى وجود نفوس كثيرة تشاركه في تلك النعم لأن لا أهله نفوساً لا تعرف الاستئثار، بل تراه من العار والشنار، لا سيما إذا بنس الجار

وقد استفاد من مادة هذا البيت كثيرون كما أشرنا إليه أما علي فأنما خصصناه بالذكور ليعرف من عرفه أو سمع بمناقبه العالية وفضائله الزاكية كيف كان هذا البيت السعيد مسعداً للأرواح، كما كان مسعداً للشباب، وليعرف القاريء بسهولة أن البيت الذي أخذ ابن أبي طالب آدابه فيه منذ كان صبياً قد كان مهدياً لا كرم الآداب وأعلاماً فأن علياً المرتضى هو من عرفه العالم كله، هو ذلك الامام الأكبر الخلق إن يكون مثال القدس وزكاء النفس، هو مجمع المعالي وملق الأسرار العظمى ومظهر الولاية الكبرى فما أكرم هذا البيت السعيد وما أعظم بركاته! قد رأينا الأمين يمجده

مجالاً للتخفيف عن المثقلين ، والتنفيس عن المكروبين ، وفيه وجد القصد صدور ارحبة ، وأيدي مبسوطة ، ولديه خيم الوجود والسخاء ، كما خيم العدل والوفاء ، ومنه اشرفت الآداب العالية ، والترقية الكاملة ، وماذا نرى من بركات هذا اليت بعد ذلك ياترى ؟

الفصل السادس عشر

(العمل الروحي)

أشر فناء الآن على بحر كثيرة لججه ، صمبة مسالكه ، وصلنا الى ساحل هذا البحر ولا بد من جوزه ، وأكثر السفن لا يوثق بها في غمراته ، ولا بسو ثوب الهداية رأس ما لهم الدعوى ، وما حيلة الحائرين غير الرجوع الى الله في الجهر والنجوى

هنا نبأ جليل تحار العقول المستقلة بفهمه ، وتشتاق أن تقف على روحه وحده ورسمه ، هنا قد بلغنا من سيرة هذه السيدة الجليلة أن بعلمها كان من دأبه أن يعبد بعض الاوقات في غار من جبل قرب مكة اسمه « حراء » فها هو هذا التعبد وكيف هو ، وما الذي ساق نفسه اليه ، وأي دين فرضه عليه ؟ هذا هو النبأ العظيم الذي تمسك بنا العقول المستقلة اذ تسممه ولا تدعنا نجوزه الى غيره من غير أن نوضحه ، واذا أخذنا بإيضاحه نخشى أن نبعد بالقارى عن سياق السيرة ، ولكن يقوى عز منا على هذا الايضاح ظننا بأن الراوي الذي يشرح كل دقيقة فيما يمر به من حكايته قد يفيد القراء أكثر ممن يسرد الاخبار سرداً

ان الاديان كلها رسمت أعمالاً اسمها عبادات ولكن بعلم السيدة

«خديجة» لم يكن تابعا اذ ذاك لدين لأن دين قومه كانت عبادته عبارة عن تمجيد بعض الاحجار التي هي عندهم تماثيل أشخاص مقدسين ولم يكن هو قد تعود هذه العبادة التي لهم

العبادة التي عرفت في الاديان كلها هي بحسب الظاهر أعمال وحركات يزسمها رؤساء الدين من أنبياء وغيرهم، أما لبها فأشواق روحية تقوم في نفس العابد أمام معبوده ويصح أن نسميها عملا روحيا حينئذ كان بعل هذه السيدة يأتي في غار حراء بعمل روحي تتوجه فيه روحه تلقاء باري السموات والارض ومشرف مكة وسائق نفوس العرب اذ ذاك اليها، ولم يكن مقيما أعمالا رسمية

ان البحث عن سبب تسمية تلك الاعمال الرسمية عبادة في لغتنا يكلف به مشرح اللغة، والبحث عن اسباب اختيار الاقوام السالفين هذه الصور والاعمال المخصوصة تحت اسم العبادة يكلف به مشرح التاريخ، أما البحث عن الاشواق الروحية أو التعبد المحمدي في «حراء» فيكلف به كاتب سيرة السيدة «خديجة»

العبادة لا تشني الصدر في تجلية هذه المعاني ولكن شدة ارتباط هذا الموضوع بهذه السيرة داعية الى السير في هذا البحر العظيم قد سمعنا في سيرة زوج هذه السيدة أن روحه كانت من أعلى الارواح ونحن نؤمن بهذا ولكن اذا نحن لم نتعرف بالروح ولو قليلا فلماذا يكون معنى ايماننا بهذا؟ لا جرم أن نعرفنا بالروح ضروري في هذه المقامات وهو أمر يشتهي كل امرئ لان كل واحد منا تخطر في باله هذه المسألة :

مانحن ؟

هذا سؤال قد علم الذين بعدَ نظرهم في ماضي البشر أنه من جملة فضل الله عليهم وهو أساس ما يسمى في لغتنا ديناً وديانة وملة وأحد الاصول والاسباب في ترقى هذا النوع الانساني وتكملة هذا سؤال يحيط به محارة طال وقوف العقل فيها . ههنا مرسى سفينة العقل الذي يحاول معرفة نفسه ومنها يبتدىء مجراه لأجل ادراك هذا الجوهر

مواقف الباحثين كادت تتساوى أمام صعوبة هذا السؤال، اذ لا يراهم عقلية قطعية في نفي شيء أو اثبات شيء في جوابه ، ولكن اذا عزّت هذه البراهين لا يمدم عشاق هذا المطلوب آيات كثيرة في الوجودات ومن فضل الله على اهل هذه الصورة البشرية جعل قلوبهم مستعدة لقبول ما تأتي به هذه الآيات من ضياء ولا يُحرّمه الا قليل تُزمن فيهم الحيرة لاسباب محسوسة وغير محسوسة

هذه الوجودات قد ملئت آيات ، فاذا حالت دونها الحجب لجّ العقل في محارات أو عمايات ، واذا بدت لا يحجبها حاجب نهج في هدايات انها لمن تأمل مراتب وصفوف ، ولكل وجود قوة، ولكل قوة أثر ، واختلاف القوى وآثارها ، هو على مقدار أشكال الوجودات وصورها وحيزها، ولما رزق الانسان هذا النطق الواسع وضع أسماء لكل ملاح له من وجود ووطن المسكين أنه بوضع الاسماء أحاط بالحقائق وهي لم ترده عنها الا بعدا الانسان بعض هذه الوجودات وفيه قوى تحتاج حسب عاداته الى

أسماء فالروح للانسان اسم للقوة العظمى التي فيه ، اسم لما يكون به الانسان مستقلا متميزا بقول أنا ويقال عنه هو وان عفا أثره

آمن الناس بهذا الاسم متفقين ولكن فيما يدل عليه قد اشتد تباينهم وحر نظرم في ادراك حقائق هذه القوى التي في الانسان وفي كيفية علاقتها بهذا الجسم البشري الذي متى برحته أصبح لا فرق بينه وبين كثير من صفوف الجمادات والذي يزيد حيرتهم شدة تساوي بعض الارواح كروح من سعدت بقربه سيدتنا صاحبة هذه السيرة

بمحت كالباحثين ، وحررت كالحائرين ، ثم وجدت كالواجدين ، فما ألذها على القلب من حيرة عقباها بلوغ الغاية والحمد لله رب العالمين اليك حديث نفسي بشأنها : أفقت اليوم من النوم ونصل حسي وشعوري من غلافه ، كما نصل هذا الفجر من غمده ، فوجدتني كاني وليد هذه الساعة ، لاني قبل هذه اللحظة لم أكن أرى هذه الا كوان ، ولم احس بما فيها من الاصوات والانوان ، ولم أكن أشعر بلاثماتي ومؤلماتي ، فكانتني كنت غير هذا الموجود الجديد ،

أين كانت لذتي برؤية هذه القبة ، وأنسي بما على هذا البساط ، وأنني كان ابتهاجي بزواهر هذه الزرقاء ، وزواجر هذه الغبراء ... ومن حولي الآن أغاني طيور ، ورقص غصون ، وأريج زهور ، وبدائع نقوش ، وترتيب صنوف ، وحركات نور ، وتجليات سكون ، وفي أنا آثار انفعال من كل هذا قد تحرك بها ما اسمه فكري ثم تحرك بها ما اسمه لساني فسمعتني أقول « سبحانك ربنا ما خلقت هذا باطلا »

سبحانك يا فاطميا يا باري يا مصور ولك الحمد ، أنا متذكر الآن أنني

أبصرت هذه المراثي ، وسمعت هذه الامالي أمس لما بزغ الفجر بزوغه
هذا فأين ذهب ابصاري وسمعي بين ذينك الابصار والسمع اللذين كانا
أمس وبين هذين الابصار والسمع اللذين اتياني الآن وأنا متذكر أن
هذا الامر وقع لي مرارا كثيرة ألوفامن المرات فما هذا الاحتجاب ثم
الظهور ، وأين كان الاحساس محتجبا قبل ان عرفته أول مرة ؟

رباه ! من اسائل عن هذا .. ؟ ان هذه الصوامت التي من حولي لا تجيب !
لعلها لا تسمعي ، أو لعلها لا تسمعها ، أو لعلها لا ذكر لها في هذه المسائل ،
وكيف أصبر على جهلي بشيء يتعلق بي ، كيف لأبحث عن أصل احساسني
وعن احتجابي ! ألا يهمني أن أعرف هل أمره كأمر هذه الشجيرات يتحات
ورقها ثم يعود ثم تيبس مرة واحدة فتصير حطبا ثم رمادا ؟ أم أمره كأمر
هذه الشمس يظهر نورها على جهة ثم يغيب عنها ثم يعود اليها وهو لا يزول أبدا ؟
كيف أقنع للنفس الانسانية بحالة هذه الشجيرات وهي لها من الخواص
والآثار ما ليس لشيء غيرها في هذه الارض . كلا سأسائل ثم كلا سأسائل !
رفعت رأسي الى السماء فألقيت بواهر ولا محجب ، وأهويت به الى

الارض فألقيت بواهر ولا محجب !

فضاء أمامي ، لا أعرف له ساحلا وحدًا ، تارة فيفيض نورا ، وأخرى
يحتجب بالظلمات ، أراني وأرضي محمولين فيه ولا أعرف من هذا المتن العظيم
الاسماء وضوعها له لا تشرح كنهها ولا تؤذن بدلالة كافية

تتلاعب فيه السمات لعلها ناسية أن الامر جدد ، وما هو بالهزل واللعب ،
وتتناغي فيه الاصوات كأنها تحسب أن في كل موجود دماغا يأخذ بحظ
منها ولعل حسابها خائب !

بيني وبين كل ما هو محمول في الفضاء مثلي علاقة قد عرفت بها هذا النور
البازغ، فهل بزغ هذا النور لا عرفها أم لتعرفني وهل كانت لي أم كنت لها أم كنا
جميعا لهذا النور أم كان هو لنا ؟ ولكنني أعرف يا نورانه لولائك لما عرفت شيئا
سلام عليك ايها النور ! يا حامل انعمة المعرفة الينا، وشكرا لمن تسبح
ايها النور بجلاله ، وتهدينا الى آيات جماله

بالنور عرفت ما عرفت ولكن است ادري كيف عرفت ، قد نقشت
السموات والارض على عظمتها في لوح لا يكاد يحس في دماغي ، فهذا اليم
الذي يبعج الآن أمام غرفتي اصبح لاشيء عندي على اتساعه لانه محدود
وهذه الشمس العظيمة التي بدأت تبزغ هذه الساعة قد غدت صغيرة في
عيني لاني احطت بها ، وهذه الارض التي اراها كسريري قد تلاشت
في نظري اذ وجدتها هي وكل بحورها ذرة طافية في ذلك اليم الذي
لا ساحل له، ادركت في هذه الساعة أن هذه الأشياء كلها لها عظم حجمها
فهي كالصفر بالنسبة الى ما لا يتناهي ، فلمت ان ليس فيما أحاط به حسي
ما يدفع عن فكري عطشته

راقني جمال هذه الكائنات ثم حيرني منها انها كلها مسخرة لنا وما
نحن لها بمسخرين فهل نحن على صغر حجمنا اكرم معنى منها ؟

تركت حيرتي ههنا والتفت الى هذه الشجيرات التي اراها تزين
كمراس الانس وسألتها فلم تجب او لم افهم حفيفها ، وانثيت الى هذه
اليامات الراقصة باعناقها فسألتها فلم تجب او لم افهم هديلها ، لكنني
استأنست بهذه وتلك اكثر من استئناسي بالمتحجرات لاشوق يخالط منها
الجنان ، ولا حركة لها الا على يد الانسان ، وطال أنسي بهذه الخضر

المترنحات ، والورق المتغنيات ، حتى كدت أفقه حديثها ، وأفسر تبيانها ،
هذه ذكرتني بمعنى الحياة وأعادتنني الى نفسي وهي ضالتي المنشودة وبها
الهدى الى ماأنشده

لم أجد غير نفسي يجيبني عن نفسي بعد أن ساح حسّي وفكري في
هذه العوالم المحدودة .. أياها ناجيت ، وكلامها وعيت ، فهي التي حدثتني
أني لست الا ذرة صغيرة جداً سابجة في هذا الفلك ، وفي هذه الذرة
الصغيرة ذرات كثيرة كل واحدة منها بالنسبة الى الذرة الجامعة هي كواحد
من ألوف ألوف ألوف ، وفي كل واحدة توجد الحياة ولكن ليست
كلها مركزاً للحياة لاننا نجد أن ألوف ألوف ألوف من هذه اذا أفسد
وضعها لا تزول الحياة ولكن هناك بعض ذرات اذا أفسد وضعها تزول
الحياة كلها من جميع هذه الذرات التي يتكون من مجموعها الجسم فهذه
الذرات القليلة التي هذا شأنها هي مركز الحياة

أعظم مجالي الحياة في نظري هو الادراك الفكري وهو قارئ ذرات
قليلة لا يحاط بها

أدهشني هذا الموقف الذي وصلت اليه ، وهذا المرأى الذي وقفت
عليه ، حيرني من هذه الذرات أن تسم صور السموات والارض وصور
أعمال البشر منذ كانوا الى اليوم ، وحيرني منها أن هذه النتائج العظيمة
التي تصدر عنها انما تصدر اذا كانت بوضعها المخصوص وما أسرع زوال
هذه النتائج اذا اختل وضع الذرات

رأيت هذا الامر العجيب ولكن لا مستقر للفكر عند هذا المرأى اذ قصاره

أني عرفت شيئا صغيراً جداً يسم أشياء لا تحصى مع أنني إنما أبغى أن أعرف ما هو ذلك الشيء ، الصغير مبناه جداً جداً العظيم معناه جداً جداً ؟ ما هو ذلك الشيء الذي بوجوده على حالة مخصوصة يكون هذا الجسم متحركاً حساساً يحيط بالسموات والارض وبتغيره يفتدو هذا الجسم تراباً صامتاً صابراً تحت الاقدام ؟ ما هي تلك الحالة المخصوصة ؟ وما هو تغيرها وكيف نظامها ؟ هل هو في احاطته تلك تابع لهذا النظام أم النظام تابع له ؟ هل هو يحتاج الى هذا النظام بعينه أم يستطيع ان يؤلف نظاماً آخر متى تغير نظامه هذا ؟ وان كان تابعا لهذا النظام بعينه فهل وجدت هذه الصبغة تنزول بأسرع من لمح البصر بالنسبة الى عمر غيرها على ما يتخلل وجودها من الاحتجابات ؟؟ محارات بعد عمارات ، ولكن تلوح خلالها آيات ، اذ قد ملأنا رب الوجود أمثالا ، وأتاحت لنا معرفتنا بالامثال أن حقائق الاشياء محتجبة والظاهر إنما هو آثارها : فهذا النور الذي يملأ الفضاء لا نعلم كنهه ، وهذه الشمس وما حولها لا ندري كيف قامت ، قصارانا أنا عرفنا سببها في هذا الفضاء ، لا يسندها عمد ، ولا يعترها سكون ، وهي مع ذلك سائرة بنظام ، ودائرة بأحكام ، لا تخرج عن مستقراتها ، ولا تحيد عن مجاريها ، ولكن ما هو ذلك السر الذي قامت به هذا المقام ؟ سمو شيئا من ذلك بالجاذبية فهل هذه التسمية دالة على الكنه والحقيقة ؟

إن قصارى ما نعرفه من هذه المركبات أنها قابلة للتحلل فاذا حللتهاها اتينا الى عناصر قليل عددها لا تتحول ولا تتحلل هي الامهات ثم هي تنتهي الى أم واحدة لانعرف من أمرها شيئا ا
المشاهدة هي أكبر وسائط معارفنا ، ولكن الة هذه المشاهدة عاجزة

عن أن ترىنا الاشياء كما هي، ولو اقتصر الامر عليها لكانت علومنا بهذه الكوائن خطأ من أولها الى آخرها

هذه الشمس التي نحن وأرضنا في نظامها الكبير أقل من حبة رمل في جبل عظيم - ليست أمام المشاهدة الخصوصية لكل واحدنا الا كمصباح بسيط يشتعل ساعات وينطفئ ساعات، وما هي الا بحجم كرة مما يلعب بها اللاعبون ! على هذه النسبة من الخطأ نرى كل شيء أقل من حجمه وعلى خلاف وضعه ، فقد نرى واحداً وهو متعدد ، وبسيطاً وهو متركب ، وساكناً وهو متحرك ، وصغيراً وهو كبير ، حتى نصل الى ما هو صغير جداً فلا نراه البتة كما دلتنا التجارب بعد أن اهتمدنا للآلات الصناعية التي تساعد بواصرنا الطبيعية اياماً مساعدة . . بهذه الآلات استطعنا أن نرى أنواعاً من الحيوانات كانت خافية على الابصار دهورا دهارير . ولما كنا سنهتدي الى ما يرينا أصغر من تلك الصغائر . ونحن في مثل هذه الهداياات العظيمة التي جاءتنا هدية من الفاطر على يد التجارب لا نجد ما يمنعنا من الظن بأننا مهما استعنا بالآلات نبقى في مشاهداتنا بعيدين عن كشف الاشياء كما هي وتبقى أشياء كثيرة خافية على ابصارنا وآلاتنا مهما بلغنا بها فما اكرمك يا عيني علي ! أنت أنت كنت سبب ارشادي الى حقيقتي اذ لم تربها لاني عرفت بالتجربة انك مسكينة عاجزة لا ترين كل شيء ولا ترين شيئاً مما ترينه على وضعه وحقيقته فاضطرت ان أقبس وجودي على وجود غيري . . لا جرم ان لي حقيقة مستترة عنك وراء وجودي الجسمي الذي تشاهدينه كما ان وراء النور حقائق مستترة ولا جرم ان حقيقتي هي سبب وجودي كما ان الحقائق المستترة وراء النور هي سبب وجوده

ان الحقيقة العظمى التي هي باطنة من وراء الاشياء كلها، وظاهرة عليها كلها هي حقيقة واجب الوجود، حقيقة من لا بد لوجودنا من وجوده، ولا بد لتشكلنا وتنوعنا من فيض تخصيصه وجوده... هي حقيقة من له الحياة الازلية الابدية لان الحياة التي نعرفها منه صدرت، وله العلم الازلي الابدي لان العلوم التي نعهدها من فضله آتت، وله الارادة الازلية الابدية لان الارادة التي نجدها من لدنه أهديت، وله القدرة التامة الشاملة لان القدرة من عنده نشأت... هي حقيقة من لا مثال له في كمال وجوده، وعنه صدرت امثلة الكمال في الوجودات الظاهرة... هي حقيقة الباري المصور الذي برأ حقيقة مثال كامل حي

سميع بصير مريد وجمل حجاب هذا الهيكل البشري

أصبحت لا أرتاب في أن الحقيقة العظمى هي التي نهدينا بآثارها وبامداداتها الى كل شيء مما نعرفه، ولكن لشدة ظهورها الذي قديما دل البطون ربما تخفى، فاذ نطلب معرفة النفس تظهر آياتها العظمى فسيحان الله من عرف ربه فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه

عرفت الآن من امر نفسي أو روعي أنها لا يعرف كنهها ولم يزدني جهلي بكنها الا ايمانا بحقيقتها الجليلة المستقلة عن الجسد لاني لم أعرف من أمر كل جزء من اجزاء الجسد الا مشابته لهذه الجمادات التي أمامي وليس فيما أمامي شيء يجمع فيه ما تجمعه هذه الروح. وقد حاولت كما يفعل بهضهم أن انسب هذه الخواص الى المجموع المركب من هذه المواد على نظام خاص فلم يسلس له فكري بل جمع عنه كثيراً لتذكره النظام الشمسي وذهابه الى انه انما قام بما يسمونه الجاذبية ولم نقم هي به..

فما نفسنا او روحنا الاجاذية النوع وكهربائية الخصائص والمزايا ، وهي هي مؤلفة الهياكل وناظمتها . لا بدع في ذلك فالكوائن كلهم من اصل لا يرى ولم تنفصل عنه ولا يكون الاصل تابعا للفرع ولا ضرورة لتغير الاصل اذا تغير الفرع . ولا يصعب فهم هذا على من عرف كيف يتجسد ما لا يرى فيصير مما يرى ، وكيف يتلطف ما يرى فيصير مما لا يرى . الصناعة بهذا ضمنية ، والتجربة فيه هادية امينة ، ولا يصعب ايضا على من عرف آيات النفس التي تظهر في بعض الاشخاص لتعلم بها ان لها شؤونا غريبة جدا فوق المهود منها والمألوف من دخولها في قيد الحس ، سبحانه الله كم لها من انطلاق منه يظهر معه ان لا حاجة لها بهذه الآلات العضلية والعظمية والعصبية نحن شاهدنا من هذا كثيرا ، وشاهد مثلنا خلق لا يحصون ، والباحثون المحققون شاهدوا ايضا او نقل اليهم ثقات كثيرون مجموعهم يدفع عن نفوسهم الرب وما علمنا انهم وجدوا لهذا الامتياز الفائق اسبابا جلية ! غاية ما صنعوا انهم وضعوا البعض هذه الامور اسماء وظن القاصرون ان هذه الاسماء تحل الاشكال ، وتحكي حقيقة الحال !

وسمعنا سمعا لا يستطيع الرب معه البقاء ان اشخاصا يشفون امراضا معضلة بغير علاج ولم يقل لنا علماء الابدان في تحليل هذا الامر الا انه شفاء بالوهم فيا عجب ما هو هذا الوهم الشافي ولماذا لا يشفي بالوهم كل شخص !! حالة المنوّم تنويعا مغنطيسيا هي من الادلة الصريحة في هذا الباب على شدة غرابة امر هذا الوجود الصغير الكبير واستعداداته لخرق الحجب الكشفية ، وقد القيود الحسية ، وعمله الاعمال العظيمة من غير حركة يديها او واسطة ياتها !

هذا حديث نفسي وخلاصة ماظهر لي أن الروح خالق مستقل ذو
ظهورات فائقة ، واحتجابات محيرة ، هو اقسام كثيرة ، نصيننا منه
عظيم ، وارتقاء نوعنا لولاه عديم ، هو الحلي السميع البصير المرید
المستعد للظهور والاجتنان ، المصنوع آية كبرى دالة على جامع الاكوان
وظهر لي ان خصائص الروح الشوق ، ولو قلت ان الروح هو الخالق
ذو الشوق لما وجدت هذا غريبا في تعريفها . ولكل روح شوق يناسبها
وعلى نسبة شوقها تكون رتبته وصفها في عالمها الذي هي منه ، وفي عالم
المثال والعيان الذي دفعها اليه شوقها الى الظهور



كانت روح هذا السيد بعل سيدتنا «خديجة» من اعلى الارواح ،
وكان شوقها ازكي شوق واقدسه ، كانت عظيمة الشوق الى رؤية فاطمها
ولكن هل الفاطر عز وجل يرى ؟ لعلها حارت زمنا في هذا الامر ، ولعلها
قالت لو كان يرى لكان محدودا وكيف يدخل في حد من برأ الحدود !
ولعلها عادت الى زيادة التبصر فقالت هل الرؤية مخصوصة بهذه الباصرة ؟
وهل يشترط أن يكون المرئي متشخصا ، أليس القصد من الرؤية العلم ،
ألا يمكن العلم بالناظر مع انه غير متشخص ؟

هذا ما كانت تحوم حوله هذه الروح العلوية التي كان مظهرها وبيتها
الصوري في بيت «خديجة» ومطافها ومطارها ملاكوت الحق ، ملاكوت
الوجود الاعلى

ولعلها يئست من ان تجد فيما حولها ما يروي اوارها من معرفة فاطمها
الذي اشتد شوقها اليه بل لعلها غلب عليها ذلك الشوق حتى اصبحت

زاهدة في كل رؤية وكل سمع لأنها تريد أن ترى وتسمع الذي إليه طارت شوقاً ولذلك رأينا «محمداً» (صلى الله عليه وسلم) قد حببت إليه الخلوة والافتراد ولا سيما إذا شارف الأربعين من سنه وكان لغار «حراء» الحظ من هذه الروح الحائمة على حبسها وطيب شوقها

من ذا الذي يعلم غير الله ما كان يقوله هذا المنقطع في ذلك النار ولكن يصح لنا أن نظن بأنه كان يساقط الدموع ويناجي المقصود المطلوب بقوله: رباه! رباه! كيف الوصول إلى حضراتك؟ كيف السبيل إلى مشاهدات تجلياتك؟ إليك أيها المولى من مزيد حي قياسي وقمودي، وركوعي وسجودي، ومن مزيد شوقي ذرف دموعي، وفرط ولوعي، رحماك رحماك ياربني! كبد تذوب وعين تسيل، وفكر يتدله، وانت انت مطلوبني وانت انت ذو الكرم والجود!



على هذا المثال كانت حاله، وهذا هو العمل الروحي الذي شغل به باله، وقد فهم القريبون من فهم الروح مقدار فوائد هذه النجوى القدسية وأما البعيدون عن هذا الشوق فيعجبون وينكرون، وليتهم يتذكرون محن الناس وتدهاتهم بهذه المتغيرات من صور وأشكال لا تتوقف الحياة عليها، ولا يجدون الطمانينة لديها، هذه المحن والتدهات أقضي بالمعجب لعمري الحق لو كانوا يعقلون. وأما ابتعاد روح عن المحسوسات في سبيل الاقتراب من حضرة من لا تدركه الابصار فسمي وراء مبتغى جليل.

العمل الذي فيه لذة لا مضرة على الغير فيها لا ينكره عقل، ولا رباب الاعمال الروحية لذات لا يستبدلون بها كل لذات المفتونين بالمحسوسات

ففسى أن يتذكر العقل المستقل هذا المعنى فلا يكبر عليه أن يفهم أقل الحكيم في الأعمال الروحية وهي لذة أربابها واتعاشهم وتفتح بصائرهم لرؤية المعالي كما هي فلا يحزنهم شيء بعد في نيلها ولا تقف همهم أمام حزن في طريقها كانت السيدة « خديجة » شديدة الفهم وعظيمة الثقة ببركات هذا العمل الروحي فساعدت عليه ولم تلم صاحبه ولا عتبه، كانت عظيمة الايمان بالقوة العظمى، والحقيقة الكبرى، فلم تر بأسا بل لم تر الا الخير بتوجه وجه زوجها الكريم تلقاء سوانح الامدادات الفائضة من لدن ذلك الملكوت الذي لا حده.. كانت قد عرفت أن هذا الغار في « حراء » الفارغ من كل مشتهى حسي كان حريا أن يكون مثابة لهذا الشبح الشريف الحامل قلبا قد فرغ من كل شيء غير الوله بالمعالي القدسية، والشوق الى الحضرات الربانية. فكانت تبارك على هذا الغار الفارغ وتسأل الله أن يملأه معالي وبركات وقد أجاب الله تعالى كرمه سؤالها وكتب « حراء » في الصف الاول بين الاماكن التي تنوج بتمجيد الناس وتحياتهم ومحامدهم. وكم قد ترجمت قرائع الشعراء عن احترامهم وتكريمتهم لهذا الغار أو لهذا المطلع الذي فاق بدره البدور، قال قائل منهم:

سلامٌ عليك حِراءَ الشَّهير أمطلع ذاك الضياء العظيم
سلامٌ فؤاد ذكور شكور بقدر الذي قد صحبت عليم

لأنت يتيمة عقد الوطن ففبك أضاء السراج المنير
بذكرالك يلقي الفؤاد السكن فذكرالك ذكرى عطاء كبير

أولئك الذين هدامهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الملحمة

١٣١٥

بقرى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كنار الطريق

(مصر الجمعة سلخ صفر ١٣٢٨ - ١١ مارس (آذار) ١٢٨٥ هـ ١٩١٠ م)

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٢٦: ٢١) وَلَا تَسْكِبُوا مَا نَكَحَّ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ
سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (٢٧: ٢٢) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ
أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ
الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضَاعِ وَأُمَّهَاتُ
نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ،
فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ. وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ
الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا

(المأرج ٢) (١١)

الكلام متصل ببعضه ببعض في الاحكام المتعلقة بالنساء وقد كان منها في أوائل
السورة حكم نكاح اليتامى وعدد ما يحل من النساء بشرطه . وفي الآية التي قبل هاتين
الآيتين ذكر استبدال زوج مكان زوج بأن يطلق هذه وينكح تلك فلا غرو أن
يصل ذلك ببيان ما يحرم نكاحه منهن وقد بين ما يجب من المعروف في معاشرتهم ،
وقال البقاعي في نظم الدرر : لما كرر الاذن في نكاحهن وما تضمنه منطوقا ومفهوما
وكان قد تقدم الاذن في نكاح ما طاب من النساء وكان الطيب شرعا يحل على
الحل مست الحاجة الى ما يحل منهن لذلك وما يحرم فقال ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم
من النساء ﴾

أقول قدم هذا النكاح على غيره وجعله في آية خاصة ولم يسرده مع سائر المحرمات
في الآية الاخرى لأنه على قبحه كان فاشيا في الجاهلية ولذلك ذمه بمثل ما ذم به الزنا
للتفريق عنه كما ترى في آخر الآية : أخرج ابن سعد عن محمد بن كعب قال كان الرجل
إذا توفي عن امرأته كان ابنه أحق بها ان ينكحها إن شاء إن لم تكن أمه أو ينكحها
من شاء فلما مات ابوقيس بن الاسلت قام ابنه محسن فورث نكاح امرأته ولم ينفق عليها ولم
يورثها من المال شيئا فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال دارجعي
لعل الله ينزل فيك شيئا ، فنزلت « ولا تنكحوا » الآية . ونزلت ايضا « لا يحل لكم ان
ترثوا النساء كرهاء » أي نزلت هذه الآيات عقب وقوع هذه الحادثة وامثالها وتقدم ذكر
القصة بلفظ آخر عند تفسير الآية الاولى وما هي ببعيد . وقال الواحدي وغيره ممن
تكلم في أسباب النزول إنها نزلت في محسن المذكور وفي الاسود بن خلف تزوج امرأة
أبيه وفي صفوان بن أمية بن خلف تزوج امرأة أبيه فاخته بنت الاسود بن المطلب
وفي منظور بن ريان تزوج امرأة أبيه مليكة بنت خارجة

والنكاح هو الزواج وقد تقدم في تفسير (٢: ٢٣٠) فلا تحل له من بعد حتى تنكح
زوجا غيره) ان النكاح له اطلاقان يطلق على عقد الزوجية وعلى ما وراء العقد وما
يقصد به أي على مجموعهما وهو المراد هناك وقد صرح الفقهاء بأنه يطلق على العقد
وعلى الوطء واختلفوا في أي الاطلاقين هو الحقيقي وأيهما المجازي . والظاهر انه

لا يطلق شرعاً على الوطء من غير عقد وإنما كمال معناه الشرعي العقد وما وراءه كما قلنا وقد يطلق على العقد وحده قال الاستاذ الامام وهو الذي تمكن معرفته وتبني عليه الاحكام في الغالب بخلاف ما قاله الحنفية من أن حقيقة الوطء . ويؤيد ما اختاره الاستاذ تفسير ابن عباس (رض) النكاح هنا بالعقد فقد روى ابن جرير والبيهقي عنه انه قال : كل امرأة تزوجها ابوك دخل بها أولم يدخل بها فهي عليك حرام . وروى ذلك عن الحسن وابن أبي رباح والمراد من الآباء ما يشمل الجدود بالإجماع وقوله تعالى ﴿إلا ما قد سلف﴾ معناه لكن ما سلف من ذلك لا تؤخذون عليه . وقال بعضهم معناه إلا ما قد مات منهم ورووه عن أبي بن كعب وقالوا ان المراد به المبالغة في تأكيد التحريم . وقطع عرق هذه الفاحشة وسد باب اباحتها سدا محكما وهو ليس بظاهر عندي . ﴿انه كان فاحشة ومقتا وساء سييلاً﴾ أي ان نكاح حلائل الآباء كان ولا يزال في الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، وأيدها الشريعة التي هداهم اليها ، امراً فاحشاً شديد القبح عند من يعقل ومقتاً أي ممقوتاً مقتاً شديداً عند ذوي الطباع السليمة حتى كأنه نفس المقت وهو البغض الشديد أو بغض الاحتقار والاشمئزاز ، وكانوا يسمون هذا النكاح في الجاهلية نكاح المقت وسمي الولد منه مقتياً ومقتياً أي مبغوضاً محتقراً ﴿وساء سييلاً﴾ أي بئس طريقاً طريق ذلك النكاح الذي اعتادته الجاهلية وبئس من يسلكه . وقال الاستاذ الامام ان هذا النكاح وان كان سييلاً مسلوكة إلا أنه سبيل سيئ لم يزد السير فيه الا قبحاً ومقتاً . وقال الامام الرازي «مراتب القبح ثلاث : القبح العقلي والقبح الشرعي والقبح العادي وقد وصف الله سبحانه هذا النكاح بكل ذلك فقوله سبحانه فاحشة اشارة الى مرتبة قبحه العقلي وقوله تعالى ومقتاً اشارة الى مرتبة قبحه الشرعي وقوله وساء سييلاً اشارة الى مرتبة قبحه العادي» . أقول والظاهر ان الاخير يراد به القبح العادي أي انه عادة ولكنها قبيحة وما قبله يراد به القبح الطبيعي أي ان الطباع تمقت هذا لاستقباحها إياه والاول كما قال الرازي يراد به القبح العقلي كما أشرنا الى ذلك عند تفسير العبارات وفاته هو ذكر القبح الطبيعي . وأما ما في ذلك من القبح الشرعي فالتما يعرف بورود الوحي

بتحريمه فهو مرتبة رابعة فالله تعالى قد حرم نكاح حلائل الآباء وعلمه بما فيه من هذه القبائح الثلاث .

هذا ما جرى عليه الجمهور في تفسير الآية وقال بعضهم ان « ما » في قوله « ما نكح آباؤكم من النساء » مصدرية أي لا تنكحوا النساء أيها المؤمنون كما كان ينكح آباؤكم في الجاهلية بتلك الطرق الفاسدة كالنكاح بدون شهود ونكاح الشغار وهو المبادلة في الزواج بأن يزوج الرجل من له الولاية عليها رجلا آخر على ان يزوجه هذا موليته ولا مهر لواحدة منهما بل كل منهما تكون كهر للآخرى

وعبارة ابن جرير بعد نقل الروايات في تفسير الجمهور للآية ونقل قول ابن زيد ان المراد بذلك الزنا هذا نصها : قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب على ما قاله أهل التأويل في تأويله ان يكون معناه ولا تنكحوا من النساء نكاح آباؤكم الا ما قد سلف منكم فمضي في الجاهلية فانه كان فاحشة الخ ثم قال فان قال قائل وكيف يكون هذا القول موافقا قول من ذكرت قوله من أهل التأويل وقد علمت ان الذين ذكرت قولهم انما قالوا انزلت هذه الآية في النهي عن نكاح حلائل الآباء وانت تذكر أنهم إنما نهوا ان ينكحوا نكاحهم ؟ قيل له وانما قلنا ان ذلك هو التأويل الموافق لظاهر التنزيل اذ كانت « ما » في كلام العرب لغير بني آدم وانه لو كان المقصود بذلك النهي عن حلائل الآباء دون سائر ما كان من من نكاح آباؤهم حراما ابتداء مثله في الاسلام بنهي الله جل ثناؤه لغيره ولا تنكحوا من نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب اذ كان « من » لبني آدم و « ما » لغيرهم ولا تقل (اي حينئذ) « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء » فانه يدخل في « ما » ما كان من من نكاح آباؤهم التي كانوا يتناكحونها في جاهليتهم . فحرم عليهم في الاسلام في هذه الآية ما كان أهل الجاهلية يتناكحونه في شركهم . ومعنى الا ما قد سلف الا ما قد مضى الخ ما قال

ثم بين لنا سبعانه أنواع المحرمات في النكاح لعل ثابتة تنافي ما في النكاح من الحكمة في صلة البشر بعضهم ببعض وهذه الانواع داخلة في عدة أقسام القسم الاول

ما يحرم من جهة النسب وهو النوع الاول الاصول وذلك قوله تعالى ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم ﴾ أي حرم الله تعالى عليكم أن تزوجوا أمهاتكم ، فإسناد الفعل الى المفعول مع العلم بأن الله تعالى هو المحرم للإيجاز ، والمراد انه حكم الآن بتحريم ذلك ومنعه فهو إنشاء حكم جديد ، وأمهاتنا هن اللواتي لهن صفة الولادة من أصولنا - ولفظ الأم يطلق على الاصل الذي ينسب اليه غيره كأم الكتاب وأم القرى - فيدخل فيهن الجدات ، وكذلك فهمه جميع العلماء وأجمعوا عليه . فهذا هو النوع الاول

النوع الثاني الفروع وذلك قوله سبحانه ﴿ وبناتكم ﴾ وهن اللواتي ولدن لنا من أصلابنا وان شئت قلت من تلقيحنا أو ولدن لأولادنا وأولاد أولادنا وان سفلوا فيدخل في ذلك كل من كنا سببا في ولادتهن وأصولاً لهن . وهل يشترط ان تكون ولادة البنت بعقد شرعي صحيح ؟ قال الشافعية نعم وقال غيرهم لا فيحرم على الرجل بنته من الزنا وهذا هو الظاهر المتبادر في حق من علم انها بنته وان كانت لآثره الا اذا استلحقها لان الارث حق تابع لثبوت النسب وانما يثبت النسب بالفراش أو الاستلحاق وولد الزنا ليس ولد فراش فلا نسب له ولا إرث مالم يستلحق اذ لا يمكن اثبات نسبه بالينة . والدليل على اعتبار الحقيقة في ذلك اذا عرفت هو إجماع الامة على ان ولد الزانية يلحقها ويرثها للعلم بأنها أمه . ولم يعرف عن أحد من الصحابة انه أباح ان ينكح الرجل بنته من الزنا . والظاهر انه يجب على الرجل استلحاق ولده من الزنا مع العلم بانه ولده بأن يكون زنى بامرأة ليست بذات فراش في طهر لم يلامسها فيه رجل قط وبقيت محبوسة عن الرجال حتى ظهر حملها ومما يدل على حرمة البنت من الزنا حرمة البنت من الرضاة بل تحريم بنت الزنا أولى . هذا وان الفساق لا يبالون اين يضعون نطفهم ولا اين يضعون نسلهم فمنهم من يزني بذات الفراش فيضيع ولده ويلحق بصاحب الفراش من ليس من صلبه فتكون له جميع حقوق الاولاد عنده عملاً بالقاعدة الشرعية المقولة في بناء الاحكام على الظاهر وهي « الولد للفراش » ومنهم من يفسق بمن لا فراش لها فيحملها على قتل حملها عند وضعه أو على إلقائه حيث يرجي ان يلتقطه من يريه في بيته ليجعله خادماً كارقيق أو في بيت من البيوت التي تربي فيها اللقطاء .

في بعض المدن ذات الحضارة العصرية ، ولا يبالي الفاسق أخرج ولده شقيا أم سعيدا مؤثما أم كافرا !! فلن الله الزناة ما أعظم شرهم في جماعة البشر ولن الله الزواني ما أكثر شرهم وأعظم بهتانهم فان الواحدة منهم لتحمل ما لا يحمله من يفجر بها من العناء والشقاء وتويخ الضمير ، فهو يسفح ماء لا يدري ما يكون وراءه وهي التي تعلق بها المصيبة فتعاني من أثقال حملها ما تعاني ثم تلقي حملها على فراش زوجها ولا يمكنها ان تنسى طول الحياة انها ألقت بين يديها ورجليها بهتانا اقترته عليه ، وأعطته من حقوق عشيرته ما ليس له ، أو تلقيه الى يد غيرها وقلبها معلق به قلق عليه لا يسكن له اضطراب إلا ان يسلبها الفسق أفضل عاطفة وشعور تتحلى بهما المرأة ومنهن من تستعمل الادوية المانعة من الحمل فتضر نفسها وزبما أفسدت رحمها

النوع الثالث الحواشي القرية وذلك قوله عز وجل ﴿ وأخواتكم ﴾ سواء كن شقيقات لكم أو كن من الأم وحدها أو الاب وحده

النوع الرابع الحواشي البعيدة من جهة الاب والنوع الخامس الحواشي البعيدة من جهة الأم وذلك قوله تبارك اسمه ﴿ وعماتكم وخالاتكم ﴾ ويدخل في ذلك أولاد الاجداد وان علوا وأولاد الجدات وان علون وعمه جدته وخالته وعمته جدته وخالاتها للابوين أو لاحدهما اذ المراد بالعمات والخالات الاناث من جهة العمومة ومن جهة الخوالة . والنوع السادس الحواشي البعيدة من جهة الإخوة وهو قوله تعالى ﴿ وبنات الاخ وبنات الاخت ﴾ أي من جهة أحد الابوين أو كليهما وسيأتي بيان الحكمة في ذلك كله

القسم الثاني ما حرم من جهة الرضاعة وهو أنواع كالنسب يتنها تعالى بقوله

﴿ وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة ﴾ فسمى الرضعة أما للرضيع وبتها اختاله فأعلمنا بذلك ان جهة الرضاعة كجهة النسب تأتي فيها الانواع التي جاءت في النسب كلها وقد فهم ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال لما أريد على ابنة عمه حمزة أي ان يتزوجها « إنها لا تحل لي : لأنها ابنة أخي من الرضاعة ويحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب » رواه الشيخان من حديث ابن عباس ، ورويا من

حديث عائشة عنه (ص) انه قال «ان الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة» وفي صحيحيهما أيضا انه (ص) قال لها «انذني لافلح أخي أبي القعيس فانه عمك» وكانت امرأته أرضعت عائشة . وعلى هذا جرى جماهير المسلمين جيلا بعد جيل فجعلوا زوج المرضعة أبا للرضيع تحرم عليه أصوله وفروعه ولو من غير المرضعة كأنه صاحب اللقاح الذي كان سبب اللبن الذي تغذى منه الرضيع ، فروي عن ابن عباس انه سئل عن رجل له جارتان أرضعت أحدهما جارية (أي بنتا) والآخرى غلاما أيحبل للغلام أن يتزوج الجارية ؟ «قال لا! اللقاح واحد» رواه البخاري في صحيحه ولولا هذه الأحاديث لما فهمنا من الآية إلا أن التحريم خاص بالرضعة وينتشر في أصولها وفروعها لتسميتها أما وتسمية بنتها أختا ولا يلزم من ذلك أن يكون زوجها أبا من كل وجه ، بأن تحرم جميع فروعه من غير المرضعة على ذلك الرضيع كما أن تسمية أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمهات المؤمنين لا يترتب عليه جميع الأحكام المتعلقة بالأمهات فالتسمية يراعى فيها الاعتبار الذي وضعت لأجله ، ومن رضع من امرأة كان بعض بدنه جزءا منها لأنه تكوّن من لبنها فصارت في هذا كأمه التي ولدته وصار أولادها أخوة له لأن لتكوين أبدانهم أصلا واحدا هو ذلك اللبن ، وهذا المعنى لا يظهر في أولاد زوجها من امرأة أخرى إلا من بعد بأن يقال ان هذا الرجل الذي كان بلقاحه سببا لتكوّن اللبن في المرأتين قد صار أصلا لأولادهما إذ في كل واحد منهما جزء من لقاحه تناوله مع اللبن فاشتركا في سبب اللبن او في هذا الجزء من اللبن الذي تكوّن بعض بدنهما منه فكانا أخوين لا يحل أحدهما للآخر اذا كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى ولهذا المعنى قلنا فيما سبق ان حرمة الرضاعة تدل على حرمة بنت الزنا على والدها بالاولى

وقد روي عن بعض الصحابة والتابعين عدم التحريم من جهة زوج المرضعة دونها فقد صح عن أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة أن أمه زينب بنت أم سلمة أم المؤمنين أرضعتها أسماء بنت أبي بكر الصديق امرأة الزبير بن العوام . قالت زينب وكان الزبير يدخل عليّ وأنا أمتشط فيأخذ بقرن من قرون رأسي ويقول: أقبلني عليّ لخذي ثوبي ، أرى انه أبي وما ولد منه فهم أخوتي ، ثم ان عبد الله بن الزبير أرسل

الي يخطب أم كلثوم ابنتي على حمزة بن الزبير وكان حمزة للكلبية قتل لرسوله
 وهل تحل وانما هي ابنة أخته؟ فقال عبدالله انما أردت بهذا المنع من قبلك أما
 ما ولدت اسماء فهم اخوتك وما كان من غيرها فليسوا لك بأخوة فارسلني فاسألني
 عن هذا . فأرسلت فسألت واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون
 فقالوا لما ان الرضاعة من قبل الرجل لا تحرم شيئاً . فأنكحها اياه فلم تزل عنده حتى
 هلك عنها وقالوا ولم ينكر ذلك الصحابة رضي الله عنهم . وروي القول بهذا أي بأن
 الرضاعة من جهة المرأة لا من جهة الرجل عن الزبير من الصحابة وعن بعض علماء
 التابعين منهم سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن وسليمان بن يسار وعطاء
 بن يسار وأبو قلابة فالمسألة لم تكن إجماعية . وقد حمل الجمهور قول المخالفين في ذلك
 على عدم وصول السنة الصحيحة اليهم فيه أو على تأويل ما وصل اليهم لقيام ما يعارض
 حمله على ظاهره عندهم ويقال على الاول ان من حفظ حجة على من لم يحفظ وعلى
 الثاني انه اجتهد منهم عارضته عندنا النصوص الظاهرة ومتى ثبتت السنة الصحيحة
 امتنع العدول عنها لاجتهاد المجتهدين وهذا ما جرى عليه علماء الاسلام في هذه المسألة
 وغيرها ، فقد روي عن الاعمش انه قال كان عمارة وابراهيم واصحابنا لا يرون بلبن
 الفحل بأساً حتى أتاهم الحكم ابن عتبة بنخبر أبي القعيس ، أي فاخذوا به ورجعوا عن
 رأيهم الاول

فالذي جرى عليه العمل هو ان المرضعة أم لمن رضع منها وجميع اولادها اخوة له
 وان تعددت آباؤهم وأصولها اصول له فتحرم عليه أمها كما تحرم بنتها وأخوتها خوثة له
 له فتحرم عليه أخواتها . وأن زوج هذه المرضعة اب للرضيع اصوله اصول له وفروعه
 فروع له وأخوته عمومة له فيحرم عليه أن يتزوج أمه كما يحرم عليه أن يتزوج أبة
 بنت من بناته سواء كن من مرضعته أو غيرها فان أولاده من المرضعة اخوة أشقاء
 للرضيع ومن غيرها اخوة لأب كما أن أولادها هي من زوج آخر غير صاحب لقاح
 اللبن الذي رضع منه الرضيع اخوة لأم . ويحرم عليه أن يتزوج أحدا من بنات
 هؤلاء الاخوة أو الاخوات من الرضاعة . وكذلك تحرم عليه عماته من الرضاعة
 وهن أخوة ابيه بالرضاعة ، فالسبع المحرمات ، بالنسب وقد ذكرن بالتفصيل محرمات

بالرضاعة أيضا . وأما أخوة الرضيع وأخواته فلا يحرم عليهم أحد ممن حرم عليه لأنهم لم يرضعوا مثله فلم يدخل في تكوين بنيتهم شيء من المادة التي دخلت في بنيتهم فيباح للأخ أن يتزوج من أرضعت أخاه أو أمها أو بنتها ويباح للأخت أن تتزوج صاحب اللبن الذي رضع منه أخوها أو أختها أو أباه أو ابنه مثلا

ومما يجب التنبيه له ان الناس قد غلب عليهم التساهل في أمر الرضاعة فيرضعون الولد من امرأة أو من عدة نسوة ولا يعنون بمعرفة أولاد الرضعة وأخوتها ولأولاد زوجها من غيرها وأخوته ليعرفوا ما يترتب عليهم في ذلك من الاحكام كحرمة النكاح وحقوق هذه القرابة الجديدة التي جعلها الشارع كالنسب فكثيرا ما يتزوج الرجل أخته أو عمته أو خالته من الرضاعة وهو لا يدري

وظاهر الآية أن التحريم يثبت بما يسمى ارضاعا في عرف أهل هذه اللغة قل أكثر ولكن ورد في الحديث المرفوع « لا تحرم المصّة والمصتان » وفي رواية « لا تحرم الإملاجة والإملاجان » - والإملاجة الارضاعة - والحديث رواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة وزوى عنها أيضا أنها قالت : كان فيما نزل من القرآن « عشر رضعات معلومات يحرمن » ثم نسخن بخمس رضعات معلومات يحرمن فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهي فيما يقرأ من القرآن . وقد اختلف علماء السلف والخلف في هذه المسألة فذهب بعضهم الى الأخذ بظاهر الآية من التحريم بقليل الرضاعة ككثيرها ويروى هذا عن علي وابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن والزهري وقتادة والحكم وهما والاوزاعي والثوري وهو مذهب أبي حنيفة ومالك ورواية عن أحمد . وذهب آخرون الى ان التحريم لا يثبت بأقل من خمس رضعات ويروى هذا عن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن الزبير وعطاء وطاوس وهو احدى ثلاث روايات عن عائشة وهو مذهب الشافعي واحمد في ظاهر مذهبه وابن حزم . وذهب فريق ثالث الى قولين القولين وهوان التحريم إنما يثبت بثلاث رضعات فأكثر لأن النبي (ص) قال « لا تحرم المصّة والمصتان » فانحصر التحريم فيما زاد عليهما . وروي هذا عن أبي ثور وابي عبيدة وابن المنذر وداود بن علي وهو رواية عن احمد . وهناك (المناج ٢ م ١٢) (المجلد الثالث عشر)

مذهب رابع وهو ان التحريم لا يثبت الا بعشر رضعات ويروى عن حفصة أم المؤمنين وهو الرواية الثانية عن عائشة. ومذهب خامس وهو انه لا يثبت بأقل من سبع وهو الرواية الثالثة عن عائشة .

ورواية الخمس هي المعتمدة عن عائشة وعليها العمل عندها وبها يقول أكثر أهل الحديث ويرون ان العمل بها يجمع بين الاحاديث ولا يحتاج فيه الى القول بنسخ شيء منها فهي تتفق مع حديث منع تحريم المصتين والإيملاجاتين ويعد قييدا لنص القرآن وللأحاديث المطلقة كحديث الصحيحين عن عقبة بن الحارث انه تزوج أم يحيى بنت أبي هاب فجاءت أمة سوداء فقالت قد أرضعتكما فذكر ذلك لني (ص) فقال « كيف وقد زعمت أن قد أرضعتكما » قالوا بقييد المطلق بيان لانسح ولا يخصيص قال الذاهبون الى الاطلاق أو الى التحريم بالثلاث فما فوقها ان عائشة قتلت رواية الخمس نقل قرآن لا نقل حديث فهي لم تثبت قرآنا لأن القرآن لا يثبت الا بالتواتر ولم تثبت سنة فنجعلها بيانا للقرآن ، ولا بد من القول بنسخها لئلا يلزم ضياع شيء من القرآن وقد تكفل الله بحفظه وانقذ الاجماع على عدم ضياع شيء منه والاصل أن ينسخ المدلول بنسخ الدال الا ان يثبت خلافه وعمل عائشة به ليس حجة على إثباته وظاهر الرواية عنها انها لا تقول بنسخ تلاوته فيكون من هذا الباب ويزاد على ذلك أنه لو صح أن ذلك كان قرآنا يتلى لما بقي علمه خاصا بعائشة بل كانت الروايات تكثر فيه ويعمل به جماهير الناس ويحكم به الخلفاء الراشدون وكل ذلك لم يكن بل المروي عن رابع الخلفاء وأول الأئمة الاصفياء القول بالاطلاق كما تقدم . واذا كان ابن مسعود قد قال بالخمسة فلا يبعد انه اخذ ذلك عنها وأما عبد الله بن الزبير فلا شك في ان قوله بذلك اتباع لما لاثنها خالته ومعلمته واتباعه لما لايزيد قولها قوة ولا يجعله حجة . ثم ان الرواية عنها في ذلك مضطربة فاللفظ الذي أوردناه في أول السياق رواه عنها مسلم كما تقدم وكذا ابوداود والنسائي وفي رواية لمسلم « نزل في القرآن عشر رضعات معلومات ثم نزل ايضا خمس معلومات » وفي رواية الترمذي « نزل في القرآن عشر رضعات معلومات فنسخ من ذلك خمس رضعات الى خمس رضعات معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر على ذلك » وفي رواية ابن ماجه « كان

فما أنزل الله عز وجل من القرآن ثم سقط: لا يحرم الا عشر رضعات أو خمس معلومات، فهي لم تبين في شيء من هذه الروايات لفظ القرآن ولا السورة التي كان فيها الا ان يراد برواية ابن ماجه ان ذلك لفظ القرآن . وقولها في رواية الترمذي ان النبي (ص) توفي والامر على ذلك ظاهره ان الحكم والعمل كان على ذلك وقد علمت انه ليس عندنا قتل يؤيد ذلك كما انه ليس عندنا قتل يؤيد الرواية الاخرى القائلة ان النبي (ص) توفي وآية الخمس الرضعات مما يتلى من القرآن ويحتمل ان يراد بالامر التلاوة ولكنه يتبعه الحكم والعمل ، وظاهر رواية ابن ماجه ان العشر والخمس ذكر في آية واحدة ووصف الخمس بالمعلومات قال ثم سقط أي نسخ فبطل حكم الخمس بذلك ، وهذا يخالف مذهبا وهو العمل بتحريم الخمس ولها فيه حديث سهلة بنت سهيل وسيأتي قريبا وفيه أنه واقعة حال وأن العدد لا مفهوم له وانه ليس فيه ما يدل على الحصر وانه مخالف لروايتها في حديث الصحيحين «إنما الرضاعة من الجماعة» وستأتي وانه مخالف لما جرى عليه الجماهير سلفا وخلفا فلا يعمل به القائلون بالخمسة كالشافعية . ووصف الخمس بالمعلومات في رواية ابن ماجه دون العشر مخالف لما رواه سالم وأصحاب السنن الثلاثة من وصف العشر بها أيضا فانه لا يصح ان يقال ان المراد عشر رضعات معلومات أو خمس معلومات لان ذكر العشر حينئذ يكون لغوا وهو غير جائز فلا بد من تقدير وصف للعشر يتفق مع السياق ويرتضيه الاسلوب . فلم مما تقدم ان الروايات مضطربة يدل بعضها على بقاء التلاوة وبعضها على نسخها وبعضها على ان حكم العشر والخمس نزل مرة واحدة في جملة واحدة وبعضها على ان حكم العشر نزل أولا ثم تراخى الامر والعمل عليه حتي نزل حكم الخمس فاسخا لما زاد عليه .

واذا رجحنا هذا الاخير برواية مسلم والثلاثة له فلا بد أن نقول ان هذا كان في سياق بيان محرمات النكاح لانه قامه اللائق به ولا يوجد سياق آخر يناسب أن توضع فيه تلك العبارة ثم تحذف منه ، فالاقرب في تصوير ذلك إذا أن يكون أصل الآية «وأما نكح اللاتي أرضعنكم عشر رضعات معلومات» ثم نزل بعد طائفة من الزمن عمل فيها الناس بقصر التحريم على عشر - استبدال لفظ «خمس» بلفظ «عشر» وبقي الناس يقرءونها هكذا الى ما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه

كالحنفية وهي عند مسلم من رواية عمرة عن عائشة أو ليس رد رواية عمرة وعدم الثقة بها أولى من القول بنزول شيء من القرآن لا تظهر له حكمة ولا فائدة ثم نسخه أو سقوطه أو ضياعه فإن عمرة زعمت أن عائشة كانت ترى أن الحنس لم تنسخ! وإذا كان الأمر كذلك فالتحريم بقليل الرضاع وكثيره إلا المصصة والمصتان إذ لا تسمى رضعة ولا تؤثر في الغذاء وبمعناها الاملاجة والاملاجتان فإنه من ملبج الوليد الثدي إذا مصه واملجته إياه جعلته يملجه فإن رضع رضعة تامة ثبتت بها الحرمة وبهذا يجمع بين الأحاديث

وفي الرضاع المحرم للنكاح بحث آخر يتعلق بسن الرضيع فقد ذهب بعض علماء الأئمة إلى أن الرضاع لا يؤثر إلا في سنة ومدته المحدودة بقوله تعالى (٢: ٢٣٢) والوالدان يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) وصح هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر من علماء الصحابة وهو مذهب الشافعي وأحمد وصاحبي أبي حنيفة أبي يوسف ومحمد ورواية عنه، ومذهب جمهور الظاهرية. وروي عن جماعة من علماء التابعين كسعيد بن المسيب والشعبي. وقال بعضهم إن الرضاع المحرم ما كان قبل الفطم فإن فطم الرضيع ولو قبل السنتين امتنع تأثير رضاعه وإن استمر رضاعه إلى ما بعد السنتين ولم يفطم كان رضاعه محرماً وصح هذا القول عن أم سلمة من أمهات المؤمنين وعن ابن عباس في الرواية الأخرى وروايته عن علي لم تصح وقال به من التابعين الزهري والحسن وقطادة وهو مذهب الأوزاعي على تفصيل له في الفطام لحول ثم الرضاع في أثناء الثاني قال إن تمادي فيه كان محرماً والأفلا. وقال بعضهم إن الرضاع يؤثر في الصغير دون الكبير ولم يذكروا تحديدا وهذه الأقوال متقاربة

وذهب بعض السلف والخلف إلى التحريم برضاع الكبير وإن كان شيخاً وهذا مذهب عائشة ويروى عن علي أيضاً وقال به عروة وعطاء واليث بن سعد وأبو محمد ابن سعد وعندهم في ذلك حديث عائشة عند مسلم وأبي داود في واقعة سهلة بنت سهيل بن عمرو القرشي وهو مروي بعدة ألفاظ مختصرة في مسلم ومفصلة في سنن أبي داود وفي التفصيل فائدة تبين مافي الواقعة من الاجمال وتجلي ما قاله العلماء فيها فيعرف

أمثلها وهو ان ابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس كان تبنى سالما وهو مولى لامرأة من الانصار وأنكحه ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة فكان يدعى ابنه فلما حرم الاسلام التبنّي صار سالم اجنبيا من أبي حذيفة وأهله فشق عليهم فراقه وشق عليه وصار من الحرج دخوله على بيت ابي حذيفة كما كان يدخل وامراته في مهنتها لاتستغني عن ابداء شيء من زيتنها التي حرم الله ابداءها لغير المحارم فجاءت النبي (ص) تسأله فقالت يا رسول الله إنا كنا نرى سالما ولدنا وكان يأوي معي ومع أبي حذيفة في بيت واحد ويراني فضلاً (أي في فضل الثياب التي تلبس وقت الشغل والنوم) وقد انزل الله فيهم ما قد علمت فكيف ترى فيه ؟ هذا سياق ابي داود وفي لفظ لمسلم انها قالت : وفي نفس أبي حذيفة منه شيء وفي رواية اني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم تعني من حل دخوله بعد تحريم التبنّي لامن الرية وسوء الظن في عفته فانه كان منهم مكان الابن على ما كان من قوة دينه وتقواه في الاسلام . وكذلك كانت هي وهي من المهاجرات الفاضلات . فأمرها النبي (ص) أن ترضعه فأرضعته خمس رضعات فكان بمنزلة ولدها من الرضاعة . قال بعضهم لعل المراد انها سقته لبنها في إناء يعارض هذا الحديث في معناه مأخذ به الجمهور حديث عائشة في الصحيحين ان النبي (ص) قال « إنما الرضاعة من الجماعة » وحديث أم سلمة الذي صححه الترمذي وهو قوله (ص) « لا يحرم من الرضاعة الا ما تقي الامعاء في الثدي وكان قبل الفطام » ومعنى « في الثدي » في زمنه أي سن الرضاعة ، وحديث ابن مسعود عند ابي داود وهو قوله (ص) « لا يحرم من الرضاع الا ما أنبت اللحم وأنشز العظم » يروى انشز بالراء أي بسطه ومدده وانشز بالزاي ومعناه رفعه ، وبسط العظام وارتقاءها كلاهما يكونان بنموها ، والكبير لا تنمو عظامه وترتفع بالرضاع وان كان له فيه شيء من الغذاء - وحديث ابن عباس عن النبي (ص) « لا رضاع الا ما كان في الحولين » رواه الدارقطني في سننه باسناد صحيح . وافق بذلك غير واحد من علماء الصحابة قال بعض الذاهين الى عدم تحريم الرضاع في الكبر لاسيما بعد الحولين ان حديث سهلة بنت سهيل منسوخ لأنه كان في أول الهجرة حين حرم التبنّي وان خفي نسخته عن عائشة ، وقال بعضهم إنه خاص بسالم ، والتخصيص موهوم في كل الحكومات

المقيدة بالقوانين ويسمونه الاستثناء . وقال ابن تيمية ليس حديث سهلة بمنسوخ ولا مخصوص بسالم ولا عام في حق كل أحد وإنما هو رخصة لمن كان حاله مثل حال سالم مع ابني حذيفة وأهله في عدم الاستغناء عن دخوله على أهله أي مع انتفاء الرية . ومثل هذه الحاجة تعرض للناس في كل زمان فكم من بيت كريم يثق ربه من أهله أو من خدمه قد جرب امانته وعفته وصدقه معه فيحتاج الى إدخاله على امرأته أو إلى جعله معها في سفر ، فإذا أمكن صلته به وبها بجعله ولدا لها في الرضاغة بشرب شيء من لبنها مراعاة لظاهر أحكام الشرع مع عدم الاختلال بحكمتها ألا يكون أولى ؟ بلى وإن هذا اللين ليحدث في كل منهم عاطفة جديدة

(القسم الثالث محرمات المصاهرة) أي التي تعرض بسبب الزواج ونحوه الانواع

الآتية قال تعالى ﴿ وأمهات نسائكم ﴾ يدخل في الامهات أم المرأة التي يتزوجها الرجل وجداتها ، ويدخل في النساء من يدخل بها الرجل بملك اليمين كما تدخل في مثل قوله تعالى (٢٢٢: ٢) نسائكم حرث لكم) وقوله (١٨٦: ٢) أحل لكم ليلة الصيام الرفث الي نسائكم) وقوله (٢١: ٤) ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء) وإن لم تدخل في قوله (٢٣٠: ٢) وإذا طلقتم النساء) ولا قوله (٢٢٥: ٢) للذين يؤولون من نسائهم) لأن الطلاق والايلاء خاص بالزوجات ، ولا يشترط في تحريم أم المرأة دخوله بها لأن القرآن لم يشترط الدخول هنا كما اشترطه في بنتها كما يأتي وهي بمجرد العقد تكون من نسائه وبهذا قال جمهور الصحابة ومن بعدهم من علماء الملة ومنهم أئمة الفقه الاربعة . وروي عن بعض الصحابة ان من عقد على امرأة فماتت أو طلقها قبل ان يدخل بها جازله ان يتزوج أمها ؛ منهم ابن عباس وزيد بن ثابت في احدى الروايتين عنهما . وأما المملوكة فلا تعد من نسائه الا اذا استمتع بها وحينئذ تحرم عليه أمها

وقوله عز وجل ﴿ وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ﴾ يدخل فيه تحريم بنات امرأة الرجل عليه اذا كان قد دخل بها والمراد بالدخول بالمرأة يعرفه كل عربي حتي عامة المولدين ويدخل في ذلك بنات بناتها وبنات أبنائها وإن سفلن لانهن من بناتها في عرف اهل اللغة ولا يدخل في هذا التحريم

أم زوجة الابن وبنتها . والرائب جمع ربيبة وريب الرجل ولد امرأته من غيره
سمي ربيبا له لانه يرثه كما يرث ولده أي يسوسه فهو بمعنى مربوب والقاعدة أن
يقال في موثته ريب كذكره وإنما قيل ربيبة لانه جعل اسما . والجاهير على ان
قوله تعالى « اللاتي في حجوركم » وصف لبيان الشأن الغالب في الربيبة وهو أن
تكون في حجر زوج امها (والحجر بالفتح والكسر الحضيض وهو مكان ما يحجره
ويحوطه الانسان أمام صدره بين عضديه وساعديه) كما قال (١٧ : ٣١) ولا تقتلوا
أولادكم خشية اطلاق (لان الغالب انهم لم يكونوا يقتلونهم الا من خشية الفقر أو
من الفقر وذلك ليس قيدا للنهي فلو قتلوه بسبب آخر كان محرما ايضا . ويقال
فلان في حجر فلان أي في كفنه ورعايته قالوا وهو المراد في الآية وفيه مع ذلك
إشارة الى جواز جعل الربيبة في الحجر حقيقة أو تجوزا كأن تكون في غاية القرب
من زوج امها يخلو بها ويسافر معها ويعاملها بكل ما يعامل به بنته . وقال الاستاذ
الامام : ذكر هذا الوصف لاشعار الرجل بالمعنى الذي يوضح له علة التحريم ويقررها
في نفسه وهو كون بنت زوجته في مكان بنته لأن زوجته كنفه ففرعها كفرعه
فهو وصف يحرك عاطفة الابوة في الرجل وهو كون الربيبة في حجره يحنو عليها حنوه
على بنته . وليس عندي عنه في هذه الآية غير هذه العبارة . وقال الظاهرية ان
هذا الوصف قيد وان الرجل لا تحرم عليه ابنة امرأته اذا لم تكن في حجره . وروي
هذا عن بعض الصحابة فقد روى عبد الرزاق وابن أبي حاتم بسند صحيح عن
مالك بن أوس قال كان عندي امرأة فتوفيت وقد ولدت لي فوجدت عليها (أي
حزنت) فلقيني علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) فقال مالك ؟ قلت توفيت
المرأة فقال : لها بنت ؟ قلت نعم وهي بالطائف ، قال كانت في حجرك ؟ قلت لا ،
قال انكحها ، قلت فأين قوله تعالى « وربائبكم اللاتي في حجوركم » ؟ قال انها لم
تكن في حجرك إنما ذلك اذا كانت في حجرك . ويروى أن ابن مسعود كان يقول
بذلك ثم رجع عنه . ويمكن أن يقال ان التي لا تكون في حجره لا تكون ربيبة له
في الواقع لانه لا يرثها ولا يسوسها ويمكن أن يقال أيضا انه لا يجد لها في نفسه
عاطفة الابوة التي تفنى فيها أولا تجتمع معها عاطفة الشهوة فالاحتياط عندي أن

لا يتزوجها ولا يخلو بها ولا سيما اذا لم يجد لها في نفسه عاطفة الابوة . وقد استدل بعضهم بقوله تعالى ﴿ فان لم تكونوا دخلتم بها فلا جناح عليكم ﴾ على ان الريبة تحرم وان لم تكن في حجر الزوج لانه تفريع لبيان مفهوم ما قيد به التحريم فلو كان الكون في الحضور قيدا ايضا لقال : فان لم تكونوا دخلتم بها اولم تكن رباثين في حجبكم فلا جناح عليكم ، والجناح فسروه بالاثم وعندي ان تفسيره بالتضييق والاذى احكم وأولى ، قال صاحب اللسان « والجناح ما تحتمل من الهم والاذى ، انشد ابن الاعرابي :

ولا قيت من جمل وأسباب حبها جناح الذي لا قيت من تربها قبل
وقال أيضا : وقيل في قوله « لا جناح عليكم » أي لا اثم عليكم ولا تضييق . اهـ
والحاصل ان الرجل اذا عقد نكاحه على امرأة ولم يدخل بها لا يحرم عليه بناتها
وذهبت الحنفية الى أن من زنى بامرأة يحرم عليه اصولها وفروعها وكذلك اذا
لمسها بشهوة او قبلها او نظر الى ما هنالك منها بشهوة بل قالوا ايضا اذا لمس يد ام
امراته في حال الشهوة ولو خطأ فان امراته تحرم عليه تحريما موبدا ، وألحقوا ذلك
بحرمة المصاهرة بالقياس وتوسعوا في ذلك توسعا ضيقا فيه تضييقا ، ورد عليهم بأن
الزنا ومقدماته ليس فيها شيء من معنى المصاهرة التي جعلها الشارع كالنسب في بعض
الاحكام وبأن لفظ الآية يتنافى ذلك فاللواتي يزني بهن أو يلمسن أو يقبلن أو
ينظرهن بشهوة لا يصرن من نساء الزناة او المتمتعين منهن بما دون الزنا فعبرة
القرآن لا تدل على ذلك بنصها ولا فحواها ، وحكمة حرمة المصاهرة وعلتها لا تظهر
فيها ، ثم ان ما ذكره من الاحكام في ذلك هو مما تمس اليه الحاجة وتم به البلوى
احيانا ، وما كان الشارع ليسكت عنه فلا ينزل به قرآن ولا تمضي به سنة ولا يصح
فيه خبر ولا اثر عن الصحابة . وقد كانوا قريبي العهد بالجاهلية التي كان الزنا فيها
فاشيا بينهم فلو فهم احد منهم ان لذلك مدركا في الشرع او تدل عليه عللة وحكمة
لسألوا عن ذلك وتوفرت الدواعي على قتل ما يقتون به

ثم قال سبحانه ﴿وحلائل ابناءكم الذين من اصلا بكم﴾ الحلائل جمع حليلة وهي الزوجة ويقال للرجل حليل واللفظ مأخوذ من الحول فان الزوجين يحلان معا في مكان واحد وفراش واحد وقيل من الحل بالكسراي كل منهما حلال للآخر وقيل من حل الازار (بفتح الحاء) ويدخل في الحلائل الإماء اللواتي يستمتع بهن واللفظ يصدق عليهن بكل معنى قيل في اشتقاقه . ويدخل في الابناء ابناء الصلب مباشرة وبواسطة كابن الابن وابن البنت فحلائلها تحرم على الجد . ولا يدخل فيه الابن من الرضاعة لانه ليس من صلبه لا بالذات ولا بالواسطة فهو يخرج بهذا القيد بحسب المتبادر منه وبذلك قال بعض علماء الملة ولكن المروي عن أئمة الفقه الاربعة - الا ماروي من قول للامام الشافعي - ان ابن الرضاع تحرم حليلته إما لدخوله في الابناء هنا وجعل القيد لخراج الدعي الذي يقبني وإما لما تقدم من انه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب . ورد عليهم الآخرون بأن حرمة امرأة الابن لا تحرم بالنسب وانما تحرم بالمصاهرة فهذا حجة عليكم وبأن الدعي ليس ابنا فيحتاج الى اخراجه لاحقية كما هو بديهي ولا شرعا ولا عرفا فان الله تعالى لما أنزل (٣٣:٤) وما جعل ادعاءكم أبناءكم (بطل هذا العرف في الاسلام . قال الامام ابن القيم في تقرير حجة المخالفين للمذاهب الاربعة في هذه المسألة مانعه :

« وأما قوله (ص) : يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » فهو من اكبر ادلتنا وعمدتنا في المسألة فان تحريم حلائل الآباء والابناء إناها هو بالصهر لا بالنسب والنبي (ص) قد قصر تحريم الرضاع على نظيره من النسب لا على شقيقه وهو الصهر فيجب الاقتصار بالتحريم على مورد النص . (قالوا) والتحريم بالرضاع فرع على تحريم النسب لا على تحريم المصاهرة فتحريم المصاهرة أصل قائم بذاته والله سبحانه لم ينص في كتابه على تحريم الرضاع الا من جهة النسب ولم ينص على التحريم به من جهة الصهر أثبتة بنص ولا إجماع ولا إشارة والنبي (ص) أمر ان يحرم به ما يحرم من النسب وفي ذلك ارشاد وإشادة الى انه لا يحرم به ما يحرم بالصهر ، ولولا انه أراد الاقتصار على ذلك لقال يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب والصهر (قالوا) وايضا فالرضاع مشبه بالنسب ولهذا أخذ منه بعض أحكامه وهو الحرمة والمحرمية فقط دون التوارث والافتاق وسائر

أحكام النسب، فهو نسب ضعيف فأخذ بحسب ضعفه بعض أحكام النسب ولم يقو على سائر أحكام النسب وهي الصق به من المصاهرة مع قصوره عن أحكام مشبهه وشقيقه. وأما المصاهرة والرضاع فانه لا نسب بينهما ولا شبهة نسب ولا بعضية ولا اتصال (قالوا) ولو كان تحريم الصهرية ثابتا لينه الله ورسوله بيانا شافيا يقيم الحجة ويقطع العذر فمن الله البيان وعلى رسوله البلاغ وعلىنا التسليم والالتقياد. فهذا منتهى النظر في هذه المسألة فمن ظفر فيها بحجة فإيرشد اليها، وليدل عليها، فانالهامقادون، وبها معتمدون، والله الموفق للصواب، اه كلامه

ولما بين تبارك اسمه ما يحرم بالاسباب الثابتة وقدم الاقوى في علته وحكمته على غيره بين بعد ذلك ما يحرم بسبب عارض اذا زال يزول التحريم فقال ﴿ وان تجمعوا بين الاختين ﴾ أي وحرّم عليكم الجمع بين الاختين في الاستمتاع الذي يراد به الولد سواء كان بقصد النكاح أو ملك اليمين. هذا ما عليه جمهور الصحابة وعلماء التابعين ومن تبعهم وهو المتبادر وروى عن بعضهم الخلاف في الجمع بين الاختين بملك اليمين مع إطلاق إباحة الاستمتاع بما ملكت الايمان على الإطلاق وروى عن عثمان انه قال أحلتها آية وحرمتها آية. وحجة الجمهور ان سائر ما في الآية من المحرمات عام في النكاح والملك فلا وجه لاستثناء هذا وحده منها. وان إطلاق إباحة ما ملكت الايمان إنما هو بيان لسبب الحل دون شروطه التي تعلم من نصوص أخرى فمن ملك إحدى محارمه لا يحل له الاستمتاع بها ولو جاز الجمع بين الاختين في استمتاع الملك لجاز الجمع بين الام وبناتها في ذلك! ومن يقول بذلك والمذاهب الاربعة متفقة على تحريم الاستمتاع بالاختين في ملك اليمين وكذلك الجمع بينهما بالنكاح والملك كأن يكون مالكا لأحدهما ومتزوجا الاخرى فيحرم عليه ان يستمتع بهما معا ويجب عليه ان يحرم احدهما على نفسه كأن يعتق المملوكة أو يهبها ويسلمها للموهوبة له والتفصيل في كتب الفقه. ويدخل في ذلك الاختان من الرضاعة. وقد فهم النبي (ص) من تحريم الجمع بين الاختين تحريم ما في معناه وهو الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها. قال العلماء والضابط في هذا انه يحرم الجمع بين كل امرأتين بينهما قرابة لو كانت احدهما

١٠٠ فتاوى المنار . الكشف الطبي على الموتى وتأخير الدفن (المنار ج ٢ م ١٣)

ذكرنا الحرم عليه بها نكاح الأخرى وهو الذي تظهر فيه العلة ، وتنطبق عليه الحكمة ،
نم قال عز وجل ﴿ إلا ما قد سلف ﴾ أي حرم عليكم ما ذكر لكن ماسلف
لكم قبل التحريم لا تؤخذون عليه . وكانوا يجمعون بين الاختين في الجاهلية
وقيل إلا ما سلف في الشرائع السابقة . وورد في حديث أحمد وإبي داود والترمذي
وحسنه وابن ماجه عن فيروز الديلمي أنه ادركه الاسلام وتحتة اختان فقال له النبي
(ص) « طلق إيتهماشت » . ﴿ إن الله كان غفورا رحيما ﴾ لا يؤخذكم بما سلف
منكم في زمن الجاهلية اذا أنتم التزمتم العمل بشريعته في الاسلام ، فمن مغفرته أن
يمحو من نفوسكم أثر تلك الاعمال المنكرة التي تنافي سلامة الفطرة ومن رحمته بكم
أن شرع لكم من احكام النكاح ما فيه المصلحة لكم وتوثيق روابط القرابة والصهر
والرضاع بينكم لتتراحموا وتتعاطفوا وتتعاونوا على البر والتقوى فتنالوا تمام الرحمة في
الدنيا والآخرة

فَتَاوَى الْمَبْتَلَانِ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين
اسمه ولقبه وبلده ومهله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة
بالتدريج غالبا ورمبا قد منأخرنا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنأغير مشترك لمثل هذا ولمن
مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ الكشف الطبي على الموتى وتأخير الدفن ﴾

(س ١) من صاحب الامضاء الرمزي بالجليل الاسود

الى حضرة الاستاذ الفاضل والفيلسوف الكامل السيد محمد رشيد رضا

في هذه الايام صدر الامر من نظارتنا (الجليل الاسود) : اذا مات انسان ان
لا يدفن قبل أربعة وعشرين ساعة مسلما كان أو غيره ومن أراد دفنه ينبغي أن يأتي

بحكم (دوقتور) يجري المعاينة للجنابة ذكرًا كان أو أنثى (وهذا لا يجوز للنساء)
والأفالسجن من يوم الى عشرة أيام أو الجزاء في حق التقدي من خمسة الى مئة
كودون في أول مرة

فنحن المسلمين مضطرون من هذا الامر لأن نعتقد أن تأخير الجنابة ٢٤ ساعة
لا يجوز شرعا فانا على قدم الخروج والهجرة من بلادنا وترك أوطاننا بسبب ذلك
فأرجو من حضرتكم ان تبينوا رأيكم العلي في أسرع وقت يمكنكم الجواب
لازلم هادين مهدين خادمين للشريعة المطهرة المحمدية ح . ح

(ج) لقد سبق لنا الاقفاء في هذه المسألة (ص ٣٥٨ م ١٠) فليراجعه السائل
على ان الظاهر من السؤال انه يعلم ان السنة تقضي بتعجيل الدفن بعد تحقق الموت
فاذا كان هنالك ارتياب في الموت وجب تأخير الدفن الى ان يتحقق الموت والشرع
لا يمنع الاستعانة بالطبيب على ذلك واذا جاز كشف الطبيب على المرأة المريضة اذا
لم يوجد امرأة طيبة نقي عنه فانه يجوز أيضا ان يكشف على المرأة الميتة لأجل العلم
بتحقق الموت اذا كان هنالك أدنى ارتياب فيه لئلا تكون مغى عليها فتدفن ثم يزول
الاعضاء بعد الدفن فتموت أشنع ميتة وقد وقع مثل هذا كثيرا ولولاه لما عانيت
الحكومات التي ارتقت في علم الطب وكثرت فيها التجارب بالكشف على الموتي
وتأخير دفنهم . وهب ان بعض المسلمين علم أن ميتة قد توفاه الله حتما بحيث صار
تأخير دفنه عدة ساعات مخالفا للسنة فهل كراه الحكومة إياه على هذا التأخير لأجل
المصلحة التي تعتقدها لا لأجل مصادرتة في دينه يوجب عليه الهجرة مطلقا وإن كان
يترتب عليها إضاعة ماله وذهاب شيء من عقاره وترك ذلك لغير المسلمين كما هو
الغالب فيمن يهاجرون الآن من مثل الجبل الأسود ؟ المسألة فيها نظر . فان لم يكن في
الهجرة ضرر على المهاجرين من مثل تلك البلاد فليهاجروا الى البلاد العثمانية فان فيها
أرضا واسعة تحتاج الى مثلهم والدولة تعزز بهم ويسهل عليهم إقامة دينهم في بلادها
الآن ولم يكن يسهل في زمن الاستبداد اذ كان المسلم مضطهدا أكثر من غير المسلم .
ولما أريد بهذا القيد ان لا يستفهم الغيظ من الكشف الطبي فيحمله على ترك ارضهم
وعقارهم أو يهاتن بنحو لا أجل التمعيل بالهجرة

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

﴿ غروب الشمس والافطار ﴾

(م ٢) من صاحب الامضاء في (سنن الفقيه)

الى مطلع النور المنير حضرة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا متع الله المسلمين بحياته سيدي : اختلف أهل طرفنا فيما اذا غربت الشمس رأى العين في البحر فأفطر من الساحل وصلى المغرب ثم صعد في منطاد (بالون) الى علو بعيد ورأى الشمس من ثم يضاء قبة لم تغرب هل يبطل صومه او بغروبها في نظره يجب عليه الصلاة ثانيا للمغرب ولو كان لم يصل العصر فصلاها حينئذ في منطاده هل تقوم اداء أم قضاء ؟ وفيما اذا كان على الساحل بناء شامخ كبرج « ايفل » بفرنسا أو بنايات نيويورك فان الشمس ترى من اعلاها بعد تحقق الغروب عند من هو بالحضيض فهل لكل حكم أم حكمها واحد ؟ أم يختلف الحال قبل وجود تلك العاللي نحكم بالغروب بمجرد اختفاء قرص الشمس تحت الافق في نظر من بالساحل وبعد وجودها لانحسار الغروب الا بعد اختفاء قرص الشمس عن نظر من يكون باعلا تلك القنن ! واذا كان بقطر واحد ساحل غربي يجاوره جبل عال كجبال هملايا فهل يتعد وقت الغروب عند من بالساحل ومن بالقنن أم يختلف ويكون اختلاف العلو كاختلاف المطالع وهل لذلك من ضابط ؟ افيدونا بما تروونه الصواب محمد بن سالم الكلالي

(ج) المعتبر في غروب الشمس شرعا هو ان يغيب قرصها تحت الافق ويذهب شعاعها عن جدران المباني والجبال ولكل أحد حكمه بحسب ما يشاهده في ذلك ومن أفطر وصلى المغرب بعد غروبها ثم ارتفع في المنطاد فرآها لا يفسد صومه يومه ذاك ولا يجب عليه إعادة المغرب فيما يظهر لنا لأنه لا يكلف في يوم واحد تكرار فريضة واحدة وقد مضت الاولى على الصحة فلا يؤثر في صحتها ما يطرأ بعدها وقريب من ذلك الشك في الصلاة قبل السلام يؤثر ويترتب عليه حكمه وبعده لاحكم له لأن الصلاة انتهت على الصحة . واذا فاتته صلاة العصر بغير عذر يكون عاصيا ولا يرفع عنه

المعصية روية الشمس في المنطاد بل تجب عليه التوبة وان حسبته له صلاتها في المنطاد
أداء كما ان الذي يفطر يوما من أثناء رمضان ثم يسافر الى بلد تختلف مطالعه عن مطالع
بلده فيجد أهله قد صاموا بعد أهل بلده بيوم وأكلوا عدة رمضان ثلاثين يوما فوافقهم
وصام الحادي والثلاثين فكان هو الثلاثين له

* * *

﴿ عدة الوفاة ﴾

(س ٣) من صاحب الامضاء في (حماء : سوريه)

الاستاذ الشيخ رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي المنير أمتع الله بعلومه المسلمين
نظرا لعلنا انكم وقفتم حياتكم على خدمة الدين وتمحيص الحقائق وحل
المعضلات جئت بالسؤال الآتي ارجو منكم جوابه على صفحات المنار الاغر
ولكم الفضل

امرأة كانت تحيض ثم اقطع حيضها وبعد شهرين من اقطاعه توفي زوجها
ومضى عليها بعد وفاته سبع سنين ولم تحض وهي الآن لا تزال قتيه وتريد أن
تزوج والمشايع يمنعونها من الزواج بحجة الاستبراء قائلين لها لا يصح أن تزوجي
الابعد أن تبلي سن اليأس فهل يجوز في الدين الحنفي أن تبقى هذه الفتاة المسكينة
بحسرة النكاح مدة عمرها وهي لم تأت ذنبا . واذا كان ما افتاها المشايخ به صحيحا
فأهي الحكمة التي يترجح بها جانب الظلم على كفة العدالة في هذه المسألة ؟ افتونا
مأجورين ولكم الفضل .

احمد جمال

(ج) عدة من يموت عنها زوجها اربعة اشهر وعشر ليال بنص القرآن فان
كانت حاملا فعدتها أن تضع حملها بالنص ايضا وتقدم بيان ذلك في تفسير سورة
البقرة وقد مضى على المرأة المستول عنها الزمن الذي علم فيه انها لم تكن حاملا منه
على جميع اقوال الفقهاء في اكثر مدة الحمل فلا مانع يمنع من زواجها على ذلك
والحكم لله العلي الكبير

﴿ طريقة الشاذلية ﴾

(من ٤) من احد علماء سرنديب (سيلان — Ceylan)

ماقولكم يا علماءنا الاعلام شيد الله بكم مباني الاسلام :

ان بعض اقوام يذكرون الله بالرقص والتواجد ويسمون هذه طريقة شاذلية
فهل هذا القول صحيح أم لا ؟ افتونا مأجورين

(ج) اننا وأينا كما رأيتم اقواما يأتون ما ذكرتم واكثر مما ذكرتم من البدع
وينسبون انفسهم الى الشيخ ابي الحسن الشاذلي ولو رآهم ابو الحسن لتبرا منهم .
وقد سبق لنا في المنار انكار هذه البدع مرارا كثيرة ونشرنا في مجلد السنة الماضية
(ص ٢٧٣ م ١٢) فتوى لطائفة من علماء الازهر في الانكار الشديد على ذلك فلتراجع

﴿ عذاب القبر ﴾

(س ٥) من الشيخ حسن أبو احمد مأذون الشرع بنقيطه (المنصورة)

في مطرية المنزلة خلاف بين طائفتين في عذاب القبر هل هو ثابت بصرح
القرآن والسنة الصحيحة أم لا ؟ ارجو التكرم بايفاء هذا الموضوع حقه من غير احالة
على اعداد مضت لأنني وعدتهم بذلك وعرفتهم بقولك الفصل ولكم الفضل
(ج) قد سبق لنا بيان هذه المسألة في المنار ونقول الآن انها لم يصرح بها في
القرآن ولكن ورد فيها احاديث صحيحة مشهورة وليراجع ما كتبناه من قبل
(ص ٩٤٦ م ٥) و (ص ٢٥٦ م ٨)

(الأئمة الاربعة ومقدم واجتهاد الماي)

(س ٦) من صاحب الامضاء الرمزي في سورا كاراتا (جاوه)

حضرة سيدي الاستاذ الكامل السيد محمد رشيد رضا المحترم حفظه الله تعالى آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فاني أقدم الي سعادتك سؤالا خطري
بيالي وليس يحيني غيركم عنه وهو هذا :

ماقولكم رضي الله عنكم في الأئمة الاربعة ومقلديهم من عصرهم الى هذا الزمان
هل مادونوه في كتبهم وتبعهم عليه اتباعهم هل أخذوه عن الكتاب والسنة أم من
تلقاه أنفسهم وهل مقلدوهم في الاحكام الشرعية على هدى أو في ضلال؟ وهل الأئمة
المتأخرون مثل ابن حجر المكي ومن هم في طبقته دونوا كتب الفقه على ما جاء به
الكتاب والسنة أو يخالف لها؟ فان كانوا وضعوها على خلاف السنة والكتاب فالمطلوب
من فضلكم بيان ما يخالف الكتاب والسنة لاجل أن نجتنبه ونعمل بما يوافق الكتاب
والسنة ونعلم بخطأهم لان كتبهم معتبرة في الاحكام الشرعية ويحكمون بما قرروه
فيها في الحاكم الاسلامية

افيدوني بالجواب الشافي لاني رجل عامي اخذتني الحيرة لما وقفت على السؤال
الذي ورد اليكم من بتاوى وجواكم عنه في الجزء الثامن من المجلد ١٢ سنة ١٣٢٧
صفحة ٦١٤ من المنار فلماذا رفعت اليكم هذا السؤال أرجو من فضلكم الجواب الشافي
ولكم من الله الاجر والثواب ولا تقدموا عذراً في ذلك وهذا سؤال آخر ملحق بما تقدم
ماقولكم في العامي المقلد هل يجوز له الاجتهاد المطلق ويترك مذهب امامه أم لا؟
وكيف يبلغ رتبة الاجتهاد من لا يعرف قواعد مذهب امامه؟ افيدوني مأجورين

س . ب . د

(ج) كان الأئمة الاربعة رحمهم الله تعالى على هدى من ربهم يتبعون ما فهموه
من كتاب الله عز وجل وهدى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وما أجمع عليه سلف الامة
الصالحون من علماء الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، ولم يجدوا فيه
قلا يتبع قاسوه على نظيره مما ورد من آية أو حديث فهم مجتهدون مأجورون على
ما أصابوا فيه امرتين وعلى ما أخطأوا فيه مرة واحدة كما ورد في الحديث ومن حذا من
أتباعهم حذوهم هذا وجرى على طريقته في اتباع الكتاب والسنة واجماع سلف الامة

كمحمد بن الحسن من اصحاب ابي حنيفة والمزني من اصحاب الشافعي (مثلا) فهم مثلهم على هدى من ربهم

وأما المتأخرون كابن حجر المكي فهم ليسوا من الأئمة الذين ينظرون في الكتاب والسنة ابتداءً ويقدمون ما يفهمون منهما على قول كل أحد ورأيه وإنما هم ينظرون في كتب السابقين من أهل المذهب الذي انتموا اليه ويأخذون موثقاتهم منها إما بتلخيص واختصار وإما ببسط وإيضاح كل بحسب فهمه وقدرته على الكتابة وما يذكرونه فيها من الأدلة منقول من تلك الكتب أيضاً فالواحد منهم لا يتحرى في المسألة كل ما ورد في الكتاب والسنة وهدي السلف فيأخذ بالراجح بل منهم من يظهر له الدليل على خلاف مذهبه فلا يكتبه في كتابه بل ربما تمحل في الرد على من أخذ بذلك الدليل الراجح من أهل المذاهب الأخرى اقتصاراً لمذهبه ، بل يفعل هذا من هم في طبقة أعلى من طبقة ابن حجر كالنووي فإنه في كتبه الفقهية يستدل على صحة المسائل التي يعلم أنها مرجوحة من مسائل المذهب اذا وزنت بميزان الكتاب والسنة وقد يصرح هو نفسه بذلك في غير كتب الفقه كما يقول النووي رحمه الله تعالى في شرحه لصحيح مسلم أحياناً: الأصح من حيث الدليل كذا ومن حيث المذهب كذا ! وقد يقول في بعض مسائل المذهب انه لا يقوم عليها دليل ومن ذلك - ان لم أكن واحداً فيما أتذكره وأنا بعيد عن الكتب - مسألة الفسل من نجاسة الخنزير سبع مرات إحداهن بالتراب . وقد نقل الفزالي عن بعض الفقهاء - دن وصولاً الى مرتبة الاجتهاد المطلق انهم كانوا يقتنون على مذهب الأئمة الذين اشتهروا بالاتباء اليهم ويعملون بخلاف ما أفتوا به ويعتدرون عن ذلك بأن السائل انما سألم عن الحكم في مذهب الامام فأجابوه عما سأله من باب الامانة في النقل وانه لو سألم عن مذهبهم لأفتوه به !! تلك الكتب التقليدية لا يقال إنها وضعت على أصل الكتاب والسنة كما يقال في مثل كتاب (الام) للامام الشافعي رضي الله عنه لانها وان كان الغرض منها بيان أحكام مذهبه لم تؤخذ من الكتاب والسنة مباشرة ولم يلتزم موثفوها ذلك لانهم يعتقدون في أنفسهم انهم ليسوا أهلاً للاخذ من الكتاب والسنة ، ولا يقال انها وضعت على خلاف الكتاب والسنة لانه لم يقصد بها ذلك الخلاف . ومطالبنا ببيان

ما فيها من مخالفة الكتاب والسنة لأجل ان يحتجب من الاعانت فان من يريد ترك تقليد تلك الكتب واتباع الكتاب والسنة مباشرة لا يحتاج الى قراءتها على طولها وصعوبتها وبيان ما يوافق الكتاب والسنة منها وما لا يوافقه بل الاولى والاسهل له ان يقرأ الكتاب والسنة ابتداء ويعمل بهما . فان كان لا يفهمهما بنفسه ويقول أريد أن أستعين على فهمهما بكلام العلماء يقال له اقرأ التفسير وشرح الحديث ولا سيما تفاسير السلف كابن جرير ومثل شرح الشوكاني لاحاديث الاحكام وكتاب المهدي النبوي لابن القيم واستعن بها على ذلك فان اختلف المفسرون والشارحون فاعمل بما يظهر لك انه الحق من كلام المختلفين ، ومن لا يريد ترك تقليدها فلا يسمع لك فيها قولاً وان اقت له عليه ألف دليل

وأما العامي المقلد فلا يجوز له ان يتصدى للاجتهد المطلق مادام عامياً ليس له من العلم ما يؤهله لذلك بل عليه ان يستقي في المسائل التي يجمل حكمها أهل العلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فتدبروا له في المسألة نصاً صحيحاً وجب عليه العمل به فان لم يفهم النص استعان بهم على فهمه . وان العوام الذين يسألون في الوقائع التي تعرض لهم عن قول مثل ابن حجر فيها لا يفهمون أقوالهم بل يعتمدون على المفتي في إيفاءهم إياها فاذا كانوا محتاجين للمفتي في كل حال فلماذا يستعينون به على فهم قول مقلد قد تبع في كتبه أمثاله ولا يستعينون به على فهم كلام الله تعالى وسنة رسوله (ص) وحديثه؟ الجواب عن هذا السؤال سهل على المقلدين مشهور بينهم يقولون إنه لا يوجد في هذه العصور من يقدر على فهم الكتاب والسنة بنفسه وانما قدر على ذلك في القرون الاولى أفراد معدودون وفهم كلام هؤلاء أفراد دونهم وهكذا كان أهل كل عصر يفهمون كلام من قبلهم مباشرة فيجب على المتأخر أن يأخذ بكلام مثل الباجوري الذي أخذ من مثل الرمي وابن حجر اللذين أخذوا من مثل الشيخ زكريا الذي أخذ عن مثل النووي الذي أخذ عن مثل الغزالي - الى ان يصلوا الى الشافعي ١١٠ ويحييهم أهل السنة بأن كلام الله ورسوله أفصح الكلام فهو أسهله فهماً وان الأئمة المجتهدين حرموا الاخذ بكلامهم من غير معرفة مأخذه من الكتاب والسنة ، وبغير ذلك مما يبيانه في محاورات المصلح والمقلد وفي مواضع أخرى

١٠٨ أسئلة من سنغافوره . حكم مجلة طوالم الملوك (المار ج ٢ م ١٣)

من النار وهي تبلغ مئات من الصفحات فلا يمكن تلخيصها في هذا الجواب ، والله الهادي والموفق للصواب

﴿ أسئلة من سنغافوره ﴾

(من ٧ و ٨ و ٩) من س . س . ي . في سنغافوره

سيدنا الرشيد المرشد صاحب المنار الاغر أفدنا أدامك الله فعا للانام

(١) ما حكم مجلة طوالم الملوك وما حكم الاعلان عنها والقات الناس الى ترهاتها وهل ذلك من خدمة الدين والوطن ولماذا سكنت عنها وعن ما يقال فيها علماء مصر ؟ أقولهم بنفعها أم لعدم كثرائهم بما يتعلق بالدين والمصالح العامة أم لجهلهم بحالها ؟

(٢) بينوا لنا حال الشيخ ابن حجر الهيتمي ومنزلته في العلوم ومنزلة كتبه فاني رأيتها كثيرة التعقيد وعباراتها سيئة التركيب وكثير منها يسهل على طالب العلم المتوسط الحال أن يجمع ما حوته من المعاني في أقصر منها وألسس وأوضح ويظهر لي انه شديد التعصب للصوفية يتعسف في أويل طامات بعضهم ثم هو يندم ويسب شيخ الاسلام ابن تيمية وينبزه بتكفير المسلمين ولعل من كفره ابن حجر في كتابه « الاعلام بقواطع الاسلام » أضعاف من كفره ابن تيمية ويظهر لي ايضا انه سامحه الله يتعصب ضد اهل البيت مع تظاهره بحبهم ويتأول لاعدائهم بما هو بديهي البطلان او قريب منه حتى خلت انه مقلد محض وآل حضر موت يقدسونه

(٣) إن سيدي له إلمام ومعرفة باحوال الصوفية فاهي حقيقة التجزي الذي يزعمونه وهل له شاهد او دليل عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم وهل عرفه الصدر الاول ام لا ؟

حكم مجلة طوالم الملوك والترغيب فيها بالاعلان

(المار) جاءتنا هذه الاسئلة في العام الماضي فلم ننشرها بل قدمنا عليها بعض

ما عندنا من الاسئلة الكثيرة عملا بتقديم الالم على الملم وقد اعاد السائل علينا اسئلته من عهد قريب وألح في طلب الجواب فنقول : اما مجلة طوالم الملوك فاننا لم نقرأها نرى ما فيها فلا نرسل النار الى صاحبها ولا هو يرسلها لنا ومن البديهي اننا لا ننشرها ولكننا سمعنا بعض من اطلع عليها من اهل الفضل يقولون انها مجلة عرافة وكهانة وتنجم وروحانيات وطلسمات ، ورأينا في بعض الجرائد وصفها بنحو من ذلك في باب الاعلان ولا عجب فان الجرائد لا تنزه عن الكسب باعلان المنكرات وترويجها كترغب الناس في الخمر ورقص النساء المتهتكات وبعض ضروب القمار فاذا صح ما سمعناه من وصف هذه المجلة فحكم قراءتها كحكم قراءة الكتب المشتملة على مثل ما تشتمل عليه وهو يختلف باختلاف قصد القارىء فان كان يقرأها ليأخذ بأقوالها ويعمل بما فيها مما يحظره الشرع قراءته إياها محظورة حظرا شديدا وقد بينا من قبل بعض ما قاله العلماء في هذا الباب ومن شدد فيه ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثة . ويقرب أن يكون تصديق ما فيها من الاخبار عما وقع اوسيقم كتصديق العرافين والكهان وفي حديث مسلم « من أتى عرافا فسأله وهو يصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد » صلى الله عليه وآله وسلم ، وان كان يقرأها ليعرف ما فيها ويحذر الناس مما فيه من مخالفة الشرع فهو مثاب على قراءتها ، ولا يخفى حكم سائر المقاصد وسكوت علماء مصر عنها يحتمل ان يكون سببه عدم الاطلاع عليها لأنه قلما يوجد فيهم من له عناية بالوقوف على امثال هذه المطبوعات ، ولكن هذا الاحتمال بعيد والغالب أن يكون قد اطلع عليها بعضهم دون بعض ، فيوشك أن يكون منهم من اطلع على جزء أو أجزاء لم يستنكر منها شيئا ، وأن يكون المستنكر لبعض ما فيها قد نهي عن قراءتها أو عن نشرها بالقول دون الكتابة في الجرائد ، وأن يكون منهم من لم ينه صاحبها عن نشرها ولا الناس عن قراءتها مع اعتقاده بطلان ما فيها وتحريم نشره وتصديقه لان المنكرات قد كثرت وآلف العلماء وغيرهم ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا قليلا منهم ، ولا سيما الانكار بالكتابة والنشر في الجرائد . ولكن هذا الذنب لا يصح اسناده الى علماء مصر كافة لما ذكرناه من الاحتمال والغالب في المسألة

ابن حجر الهيتمي وكتبه

وأما ابن حجر الهيتمي فخاله في العلم قديناها في الفتوى السادسة من هذا الجزء فهو
مؤلف الفقهاء الشافعية في مرتبة الذين يرجحون بعض اقوالهم على بعض وكتبه من أحسن
كتب متأخريهم ولكنها لا تبلغ كتب النووي في انسجامها وسلامة عبارتها ، ولا
كتب الماوردي في أسلوبها وبلاغتها ، ولا كتب الغزالي في بسطها وفصاحتها ،
ومع هذا نرى السائل قد بالغ في هضمها إذ ادعى انه يسهل على طالب العلم المتوسط
الحال جمع ما حوته من المعاني في كتب اخصر منها واسلس واوضح ، وقد بينا
رأينا فيما شنع به على شيخ الاسلام ابن تيمية في (ص ٦٢٢ م ١٢) فليراجعه
السائل ، نعم إنه يتعصب للصوفية لانه تربى من صغره على الخضوع والتسليم
للمتسبين الى التصوف والمعروفين بالصلاح والتأويل لهم فيما يخالفون فيه الفقه الذي
هو عنده فوق كل علم لقوله في فتاويه : إن اقوال الفقهاء اذا تعارضت مع اقوال
المفسرين او المحدثين فالمرجح ان الذي يجب العمل به هو ما يقوله الفقهاء !! ، ولكن
لا يظهر لي ما ظهر للسائل من تعصبه على آل البيت وإن تأول لاعدائهم كما قال ،
ولكنه مقلد كما خال ، ومن شأن الذين يضعون الكتب في المسائل الجزئية أن
يتمحلوا ويتعسفوا ويأتوا بالضعيف واللغو الذي لا يفيد المراد ولا يؤيد المقصود ،
فهذا أحد سببين في تهافت ابن حجر في كتابه (تطهير اللسان والجنان) الذي يشبر
اليه السائل ، والسبب الثاني هو الانتصار لقوم على قوم ومن كان كذلك لا يظهر
له الحق في المسائل كما هو لانه لا ينظر اليها من كل جانب بل يوجه كل قواه
المدركة الى البحث عما يوافق غرضه من تأييد رأي وتقنيده آخر فيكبر الاول ويصغر
الثاني ان هو أدركه ، وتقديس اهل حضرموت له سببه انهم مقلدون لعلماء الشافعية
وقد جعلوا كتبهم عمدتهم في المذهب كما اشتهرت كتب الشمس الرملي من اهل
طبقته في مصر

التجزي عند الصوفية واصطلاحاتهم

لأنكتب في المار شيئا من حقيقة التجزي الا اذا علمنا ان في الناس من يفهمونه
فها ضارا في الدين وترجي هدايتهم بالمنازل ولكننا نقول انه ليس من الامور الدينية
وانما هو من قبيل الاصطلاحات الفنية وهكذا نقول في اكثر اصطلاحات الصوفية
كالفروق والجمع والسكر والصحو . فالقوم قد استعاروا لانفسهم الفاظا من اللغة أخرجوها
عما وضعت لاجله وعبروا بها عن أذواقهم ومعارفهم كما فعل غيرهم من أهل الفنون
اللغوية والشرعية والعقلية والطبيعية فلا يشترط في إباحة ذلك لهم أن يكون كل
ما يقولون به قد نطق به الشرع من قبل . وغاية ما ينكر عليهم في ذلك أمران أحدهما
ان يجملوا بعض عرفهم واصطلاحهم من الدين والشرع بغير دليل شرعي وثانيهما
ان يكون في ذلك ما ثبت بالدليل انه مخالف للكتاب والسنة الثابتة بلا نزاع وذلك
انهم فلاسفة يدينون بالاسلام ، مع الاجتهاد والاستقلال ، إذ الصوفي الحقيقي لا يكون
مقلدا الا في بداية سلوكه فانه حينئذ يقلد استاذه ومربيه دون غيره

﴿ تزيين شعر الرأس والزي الاوربي ﴾

(م ١٠ و ١١) من صاحب الامضاء في (تلمسان - الجزائر)

حضرة الاستاذ الحكيم الشيخ العظيم سيدي السيد محمد رشيد رضا صاحب
مجلة المنار القراء ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تعممكم وتم جميع دائرتكم
ثم أطلب من فضلكم فتواكم في العدد الآتي في مجلتكم عن تزيين شعر الرأس
واللحية مثل الاوربيين أيجوز شرعا أم لا ؟ وكذلك اللباس الاوربي أيجوز أم لا ؟
أرجوكم الايضاح عن هذين السؤالين ولكم جزيل الفضل والمعرفة والسلام
خودره تلميذكم مصطفى الباجي

(ج) ورد في السنة طلب تزئين شعر الرأس والحية بالمشط والدهن والطيب وفي الشمايل النبوية الشريفة أحاديث في فرق النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لشعره وسدله له ، فن زين شعره من المسلمين فليقصد بذلك اتباع السنة السنية سواء وافق ما عليه الاوربيين ام خالفهم ولا يبالي باقوال الجاهلين الذين يخوضون في عرض كل من يفعل شيئا يوافق ما عليه الافرنج وان كان من المحاسن التي سبق الاسلام الى طلبها وعمل النبي (ص) والسلف الصالح (رض) بها فاننا لا نترك محاسن دين الفطرة اذا اخذ بها غيرنا بل نسربا اتباع الناس لا آداب ديننا وفضائله وان لم يدينوا به وفي ذلك فوائد كثيرة ليس هذا المقام بمحل لشرحها . وأما من يقصد بتزئين شعره تقليد الافرنج فهو وضع ضعيف العقل والنفس لانه مقلد لمن يراهم لخسته أشرف منه وأكمل . وهكذا شأن كل تقليد فان من يثق بمعرفة الحق أو الفضيلة أو الادب الصحيح لا يقلد في شيء من ذلك غيره تقليدا ، فالتقليد هو شأن الاطفال مع الكبار والاستقلال هو شأن العقلاء المستقلين والعامل انما يعمل ما يعتقد انه الاولى بالدليل العقلي في الامور العقلية والدليل الشرعي في الامور الشرعية وهكذا . والجاهلون يتمسكون بالعادات ويجعلونها ديناً ينكرون على مخالفهم فيها

وأما المسألة الثانية فيعلم حكمها مما تقدم فن المعلوم ان الاسلام لم يحرم على أهله زيا ويفرض عليهم زيا آخر بل ترك الازياء لاختيارهم وفي السنة السنية ما يدل على ذلك فقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبس الجبة الرومية من أزياء الروم والطياصة الكسروية من أزياء المجوس ولم يقصد تقليد القوم وانما جيء بذلك فلبسه . وانما نهى عمر (رض) جيشه في بلاد الفرس عن زي الاعاجم لئلا يغرم ماغنموه من اللباس النفيس فيمتعوا بنعمته ويغاب عليهم الترف فيضعفوا عن الجهاد وحفظ البلاد ولذلك أمرهم في كتابه ذلك الى القائد عتبة بن غرقد بان يخشوشوا ويتمددوا ويداموا على التمرن على رمي السهام ويبرزوا للشمس فقال عليهم بالشمس فانها حمام العرب ولهذا اختلفت أزياء المسلمين في مشارق الارض ومقاربها وخليفة المسلمين واكبر امراءهم يلبسون زي الافرنج في هذا العصر لاستحسانه

﴿ الرضاة من كناية - لبس البرنيطة ﴾

﴿ حديث « من تشبه بقوم » - الزنار و « اربطة الرقة » ﴾

(س ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥) من صاحب الامضاء الرمزي في (سببس برنيو الغريه - جاوه)

(١) هل يثبت الحرمة رضاء بين الكافر والمسلم مع مراعاة الشروط المدونة في كتب الفقه ؟ كما لو رضع مسلم لكافرة او كافر لمسلمة
(٢) هل يجوز لمسلم لبس البرنيطة (القبعة) لحاجة كالالتقاء من الشمس أو لغيرها ؟

(٣) ما حكم التشبه بالافرنج في الملبس وغيره بحيث لا يمكن التمييز بعلامة ما . فهل يجوز ام لا ؟ لان ذلك مما عمت وطمت به البلوى خصوصا عند الطبقة العليا فانهم يلبسون البرنيطة فوق الكوفية المعتادة لهم

فمن الناس من قال انه حرام وحجته قوله عليه السلام « من تشبه بقوم فهو منهم » . وبعضهم قال انه جائز لا بأس به وحجته انه لم يرد في كتاب الله ولا في سنن رسله وانيائه أمر لا منهم باتباع ملابسهم او تغييرها بزى معلوم او نهى عن ذلك بل ربما ورد أن بعض الصحابة لبس شيئاً من ملابس الكفار في الصدر الاول للاسلام ولم ينكره احد من الصحابة

(٤) الزنار « اربطة الرقة » فالمشهور من بعض الافاضل المتقدمين ان لبسه حرام باتفاق ولكن المشاهد في عصرنا هذا شيوع استعماله في مسلمي الدنيا . هل هو حرام أم لا ؟ ينونا لنا رأيكم ورأي علماء مصر المصري ليسكت المخرج والمرج فلكم منا جزيل الشكر والامتنان .

م . ب . ج . م . ع

(المجلد الثالث عشر)

(١٥)

(المار ج ٢)

(ج) اما الجواب عن الاول فنعم فمن رضع من كناية حرم عليه ان يتزوج احدا من اصولها أو فروعها وقد رأيت التفصيل في احكام الرضاعة في تفسير هذا الجزء. واما الاسئلة الثلاثة الاخر فعنها واحد وتعرفون حكمها من الفتويين العاشرة والحادية عشرة في هذا الجزء. ومما كتبناه عن حديث « من تشبه بقوم فهو منهم » في الجزء الماضي . ولكن الزنار غير « اربطة الرقبة » التي فسرتموه بها واذكر منه في كتب الفقه يراد به زنار الرهبان والقسيسين الذي هو من تقاليدهم الدينية ولا يجوز للمسلم ان يتبع تقاليد دين من الاديان بل يتبع في الدين كتاب الله وسنة رسوله (ص) وأما الازياء والعادات التي ليست من اديانهم فهي التي يتبع الناس فيها مصالحهم ان لم تخالف نصا شرعيا . ولا نص في تحريم ازياء المخالفين لنا في الدين التي هي من العادات لما علمت من لبس النبي (ص) لبعض ازياء الروم والمجوس

﴿ الكلام وقت خطبة الجمعة ﴾

(س ١٦) من صاحب الامضاء الرمزي في (سمبس برنيو)

حضرة العالم العلامة سعد الملة وفخر الامة سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر متعني الله بشريف وجوده آمين .

بعد اهديكم أطيب التحية والاحترام أرجو ان تفيدوني بالاجابة عن هذه الاسئلة واشكركم سلفا ، إنه قد جرت عادة في بعض بلاد جاوه يقرأ المؤذن او المرقى عند صعود الخطيب على المنبر لقراءة الخطبة آية: إن الله وملائكته الآية او شيئا من الاحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم « اذا قلت لصاحبك والامام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت » أه الجامع الصغير فهل يسن ذلك ام لا ؟ وبما قاله (المؤذن او المرقى) روي عن ابي هريره (رض) أن يوم الجمعة سيد الايام وحج الفقراء وعيد المساكين والخطبة فيها مكان الركتين . فاذا صعد الخطيب على المنبر فلا يتكلمن أحدكم ومن يتكلم فقد لنا ومن لنا فلا الجمعة له اه فهل صح أن

هذا الحديث رواه ابو هريرة (رض) او غيره ، او هو من اقوال العلماء ؟ وفي اي كتاب يذكر ؟ هذا والمرجولسيدي من فضيلتكم ان تحيوني واكون ذا كراً لكم جميل الذكر وحسن الثناء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

م . ب

(ج) هذه العادة معروفة في مصر وسورية أيضا وما هي بسنة مأثورة تتبع وانما هي عادة كما ذكرتم والحديث الاول متفق عليه في الصحيحين ولا بأس بذكره قبل الخطبة بقصد النصيحة والتذكير ولكن لا ينبغي ان يداوم عليه بكيفية مخصوصة توهم أن تلاوته سنة مأثورة واما الحديث الثاني « يوم الجمعة سيد الايام » الخ فلا يصح وأوله ذكر في بعض كتب الموضوعات

﴿ اباحة الغناء ﴾

(س ١٧ و ١٨) من صاحب الامضاء في روسيا

سيدي متع الله الانام بطول بقائكم وافهمم بأفيد كلامكم ، ان لي مسألتين نشأت الى ياتهما ونحتاج الى ايضاحهما أرجو توضيحهما في احد اجزاء مجلة المنار ولكم الاجر ان شاء الله

(١) قال في التفسيرات الاحمدية في تفسير الآيات المتعلقة للاحكام في سورة لقمان: ومن الحجج الدالة على اباحتها (اي التغني) ما ذكر في العوارف فمن الآيات ما ذكر في العوارف قوله تعالى (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وقوله (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وقوله تعالى (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) الآية ومن الاحاديث ما قال اخبرنا الشيخ الطاهر بن ابي الفضل عن ابيه الحافظ المقدسي قال اخبرنا ابو بكر القاسم الحسن بن محمد الخوافي قال حدثنا ابو محمد عبد الله بن يوسف قال حدثنا أبو بكر بن وثاب قال حدثنا عمر بن الخطاب (رض) قال حدثنا الازاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة ان ابا بكر دخل عليها وعندها جاريتان

تغنيان وتضر بان بدفين ورسول الله متسج بثوبه فانهما ابو بكر فكشف رسول الله عن وجهه وقال « دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد » وسقط هنا في الين حديثان اسقطهما قصدا وفيه ايضا قال اخبرنا ابو زرعه طاهر عن والده ابي الفضل الحافظ المقدسي قال اخبرنا ابو منصور محمد بن عبد الملك المظفري السرخسي قال اخبرنا ابو علي فضل بن منصور بن نصر الكاغذي السمرقندي اجازة قال حدثنا الهشيم بن كليب قال حدثنا ابو بكر عمار بن اسحاق قال حدثنا سعد بن عامر عن شعبة عن عبد العزيز بن صهيب عن انس رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انزل جبرائيل عليه السلام فقال يا رسول الله ان قراء امتك يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمس مئة ففرح رسول الله عليه السلام فقال: أفیک من ينشدنا؟ قال بدوي نعم أنا يا رسول الله، قال: هات، فانشد البدوي

قد لست حية الهوى كبدي فلا طيب لها ولا راق

ان الحبيب الذي شغفت به فعنده رقتي وترياق

فتواجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواجد الاصحاب معه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فلما فرغوا اوي كل احد منهم مكانه قال معاوية بن ابي سفيان ما احسن لعبكم يا رسول الله ! فقال: يا معاوية ليس بكريم من لم يهتز عند سماع ذكر الحبيب. ثم قسم رداؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم علي من حاضرهم باربع مئة قطعة، وهذا الحديث اوردناه مسندا كما سمعناه ووجدناه اه ارجوكم ان تفيدوني عن هذه الآيات التي ذكرت هل هي دالة على ما ادعاه وما وجه الدلالة ونحن لا نصلح ولا نفهم وجه دلالة عليه وما الاحاديث التي اوردها وسردها هل هي معتبرة ومأخوذة عند المحدثين ام من الخرافات التي انشدها واحدها المخترعون؟؟ افيدوني ياسيدي ولكم الاجر ان شاء الله

(٢) ولودفع الى الفقير من مال حرام شيئا يرجو الثواب يكفر ولو علم الفقير بذلك الحرام فدعا للمعطي كفر (خادمي شرح الطريقة في الجالد الاول في النوع الثالث من الكفر الحكم منه ٤٤٥ في نسختنا)

أقول من المقرر في كتب الفقهاء والفتاوى كالحجيط وابن عابدين وغيرهما ان

من كان عنده مال خيىء حرام كالظالم وكرج المغصوب والامانة والمبيع ييما فاسدا
يجب التصديق به ، فيكون مأمورا بالتصدق فمن أتى بالمأمور به كيف يكون كافرا؟
وايضا الداعي انما يدعو لمن أتى بالمأمور به فكيف يكون كافرا بالدعاء له؟ بينوا ياسيدي
توَجَّروا الامام الديني أحسن بن شاه احمد الكاظمي

(ج) ليس في القرآن شيء يدل على التقي وصاحب العوارف انما يستدل بما ذكر
من الآيات على السماع المعروف عندهم وهو يكون سماع قرآن وسماع شعر أو غناء
لأجل تحريك شعور النفس من خشوع أو حزن أو وجد لا على مطلق التقي
والاستدلال بالآيات على سماع الشعر أو الغناء تكلف مردود واما الحديثان فالولها
وهو حديث عائشة صحيح لا نزاع فيه وثانيهما وهو حديث سماع النبي (ص)
وتواجه موضوع لا نزاع في كذبه تزونه في كثير من كتب الموضوعات والمشهورات
على السنة العامة . وقد بينا احاديث اباحة السماع وحظره بالتفصيل في أول المجلد
العاشر

وأما ما ذكره الخادمي من كفر من يتصدق بالمال الحرام وكفر من يدعوه
فهو تشديد ظاهر البطلان لا حاجة الى الاطالة في بيانه وسنكتب في المكفرات
شيئا نافعا ان شاء الله

﴿ علم الهيئة والسنة النبوية ﴾

(ص ١٩) من احد المشتركين في دمشق الشام

الى حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد افندي رشيد رضا متعنا الله بطول بقاه
لدينا كتاب مخطوط عنوانه «هيئة الاسلام وحكمة اهل الايمان» لمؤلفه ابراهيم
القرماني الآمدي افتحه بمقدمة قال فيها بعد البسملة والمجدة ما ملخصه :
« لما طالعت كتاب الهيئة على اعتقاد اهل السنة والجماعة للولي العلامة أبي الفضل
جلال الدين السيوطي وجدت مباني مباحثها مطابقا لمضمون الاحاديث والآثار

مواقفاً لمفهوم كلام التابعين الاختيار انتخبت منه ومن الكتب المتبعة نحو تفسير الامام أبي الليث السمرقندي وتفسير الامام القرطبي وتفسير الامام البغدادى وتفسير الامام الثعلبي والقشيري وعثمان الداري وابن الجوزي وابن أبي طالب المكي وابن كثير والكرمانى والوسيط والسمرقندي والصنهاجي والسمرقندي والفتاوى الكبرى والشافا وشرح العقائد للفتازاني ما هو لازم اعتقاده مرتباً على ابواب وفصول »

ثم يلي ذلك كلام في تقديم الكتاب الى السلطان محمد خان ابن السلطان ابراهيم العثماني ثم ابواب الكتاب وفصوله وهي بوجه الاختصار : في عدد السماوات والارضين . في المسافة بين كل اثنتين منها . في الثخن والكثافة . في مادة السماء في العرش والكرسي والروح والقلم . بعض عجائب السماء . مكان الجنة والنار . مستقر الارواح . مستقر الشمس بعد الغروب . جبل قاف . كون الارض بسيطة . بيان بعض عجائب الارض . بيان الصخرة المذكورة في القرآن . أحوال الشمس والقمر . الخسوف والهلل والليل والنهار والكواكب . الرياح والامطار والقوس والرعد والبرق والصاعقة . الخ الخ ويلي ذلك احاديث يستشهد بها المؤلف على ما تضمنه الباب أو الفصل وأكثر هذه الاحاديث اذا لم نقل كلها لا ينطبق على الحقيقة ونحن لعدم تضلعنا من علم الحديث لانعلم مكانها من الصحة ولذلك نقل هنا شيئاً منها لتقفوا عليه قال تحت عنوان أحوال الشمس مانصه : قال العلامة السيوطي أخرج الديلمي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشمس والقمر وجوههما الى العرش وقفاهما الى الناس » وأخرج الطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله (ص) « وكل بالشمس سبعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم ولولا ذلك ما أصابت شيئاً الا احرقته » . وقال في الكلام على الرعد : أخرج احمد والترمذي عن ابن عباس ان اليهود قالوا يا رسول الله اخبرنا عن الرعد ما هو ؟ قال « ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله » قالوا فما الصوت الذي نسمعه ؟ قال « زجره حتي ينتهي الى حيث أمر » قالوا صدقت والكتاب كله على هذا النمط وقد بلغني ان هذا الكتاب ترجم الى اللغة التركية وطبع في الآستانة منذ عشرين سنة تحت اسم (هيئت اسلاميان) فضل به كثيرون

من تلامذة المكاتب وغيرهم لانه مخالف لما تلقوه من المبادي المقررة في علم الهيئة والاحداث الجوية التي لا يشكون فيها لقيام الادلة عندهم عليها فاقولكم رحمكم الله في هذا الكتاب وامثاله؛ تكموا بالجواب ولكم الاجر والثواب

(ج) اكثر ماورد في هذا الباب من الاحاديث يدخل في باب الموضوعات المكذوبة قطعاً أو الواهيات التي تقرب منها وسنين ذلك في مقال خاص بعد إلقاء عصا التسيار والاستقرار في مقام العمل ان شاء الله تعالى

﴿ حركة الأرض ودورانها ﴾

« والاستدلال على ذلك من القرآن »

(س ٢٠) من الشيخ عبد القادر نور الله معلم مدرسة (بانياس) الابتدائية

سألنا عن دلائل حركة الأرض ودورانها وعن استدلال بعض الناس على ذلك بقوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرر السحاب) وقد سبق لنا بحث طويل في هذه المسألة فليراجعه السائل في (ص ٢٦٠ م ٧) اذ لا سبيل الى إعادته والادلة العلمية في ذلك مبسطة في كتب الجغرافية ومن يرى الآية التي أشار اليها دالة على دوران الأرض يرد على من يقول ان المراد بها حركتها عند خراب العالم بقيام الساعة بقوله تعالى بعد ما تقدم آنفاً « صنع الله الذي اتقن كل شيء » واقتان الصنع يناسب الانشاء والتكوين لاضدهما. وهناك آيات أخرى ذكرناها في الموضع المشار اليه وسألنا أيضاً عن مسألة مشكلة في كتاب (تنبيه الافهام) لرفيق بك العظم وسنجيب عنها عند ما يتيسر لنا مراجعة ذلك الكتاب بعد انتهاء سفرنا

المشورة (*)

قضت سنة الله في خلقه ان سلطة شرع الاحكام وتصريف الاوامر والزواجر لا تستقل وحدها برده الخليفة وقيادتهم الى سابلة العدالة فكثير من الناس من يجري مع اهوائه بغير عنان ولا يدخل بأعماله الاختيارية تحت مراقبة العقل على الدوام ألا ترى الى جملة من احكام الشريعة كيف بنيت على رعاية الوازع الطبيعي وتغلبه على الوازع الشرعي كرد شهادة العدو على عدوه وعدم قبول شهادة الرجل لابنه أو لايه واقارده في حال مرضه لصديق ملاطف أو وارث قريب . فلا بد اذا من سلطة أخرى لتنفيذ تلك الاحكام المشروعة بالوسائل المؤثرة وان كره المبطون كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رسالة القضاء لابي موسى الاشعري : وانفذ اذا تبين لك ، فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له . وتسمى هذه السلطة بالسلطة القضائية وكان زمامها في عهد نزول الوحي بيد النبي صلى الله عليه وسلم يتولى الحكومة على الجاني ويباشر فصل التوازل بنفسه من غير ان يدور في حسابان مسلم مطالبته باعادة النظر في القضية أو استئنافها لدى غيره وما كانوا يرون قضاءه الاحكاما مسطايته بقونه بأذن واعية وصدر رحيب لعلمهم يقينا كعمود الصبح انه حكم الله الذي لا يقابل بغير التسليم قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم) وان تعجب فلا تعجب لهذا فان الوازع الشرعي قد يتمكن من النفوس الفاضلة الى ان يصير بمنزلة الطبيعي أو اقوى داعيا ، وسهل اقياد العرب على ما كانوا عليه من الاففة وصعوبة المراس وانصاعوا الى قانون الشريعة مجالا ومفصلا من جهة ان الدين معدود من وجدانات القلوب فالأقياد لاحكامه من قبيل الاقياد الى ما يدعو اليه الوجدان وليست

(*) بقدر الشيخ محمد الحضر بن الحسين من العلماء المدرسين بجامعة الزيتونة بتونس في مساهمته « الحرية في الاسلام »

الشرائع الوضعية بهذه الدرجة فان الناس انما يساقون اليها بسوط القهر والغلبة ويحزمونها ابقاء للدب والعقوبة ولا يتلقونها بداعية من انفسهم الا اذا أدركوا منها وجه المصلحة على التفصيل

وانما ورد من فصل قضائه صلى الله عليه وسلم قدر يسير بالنسبة الى مدة حياته لما كانت عليه حالة المسلمين يومئذ من الاستقامة والتنام العواطف القاضية بأن تكون معاملاتهم خالية من الدسائس خالصة من المشا كل وهكذا ماساد الادب وانتشرت الفضيلة بين أمة الا اتبعوا شرعة الانصاف من عند انفسهم والتحفوا برداء الصدق والامانة بمجرد بث النصيحة والموعظة الحسنة فيخفت ضجيج الضارعين وصخب المبطلين ولا تكاد تسمع لهما في اجواف المحاكم حسيسا . وضم صلى الله عليه وسلم الى السلطة القضائية فيما يخص الحق المدني سلطة التنفيذ فيما يختص بحقوق الامم كاشهار الحرب و ابرام الصلح وتلافي أمر الهجوم ولم يكن مع يقينه باستماتة اصحابه في طاعته وقائي مهجهم في محبته لينفرد عنهم بتدبير هذه السلطة بل يطرحها على بساط المحاورة ويجاذبهم اطرافها على وجه الاستشارة عملا بقوله تعالى (وشاورهم في الامر) وقد يترجح بعض الآراء بوحى سماوي كما نزل قوله تعالى (وما كان لنبي أن يكون له اسرى حتى يشخن في الارض) مؤيدا لرأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أسارى بدر

اذن له صلى الله عليه وسلم بالاستشارة وهو غني عنها بما يأتيه من وحي السماء تطيبا لنفوس اصحابه وقريرا لسنة المشاورة للامة من بعده . اخرج البيهقي في الشعب بسند حسن عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم داما ان الله ورسوله لغنيان عنها (اي المشورة) ولكن جعلها الله رحمة لأمي فمن استشار منهم لم يعدم رشدا ومن تركها لم يعدم غيا »

وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه من العلم بقوانين الشريعة والخبرة بوجوه السياسة في منزلة لا تطاولها سماء ومع هذا لا يبرم حكما في حادثة الا بعد ان تتداولها آراء جماعة من الصحابة واذا قل له احدهم نصا صريحا ينطبق

على الحادثة قال : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا .
وعهد بأمر الخلافة الى عمر بن الخطاب بعد استشارة جماعة من المهاجرين
والانصار مثل عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان واسيد بن حضير وسعيد بن
زيد وغيرهم وانما لم يبق الامر شورى بينهم كما صنع الخليفة الثاني او يتركه لآراء
المسلمين عامة كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم اعتمادا على ما تفرسه في عمر من
الكفاءة والمقدرة وحذرا من أن يتنازعا ذوو الاهلية فتثور ثائرة الفتنة ويرتخي جبل
الاخوة في ايدي المسلمين

ونحا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الجادة شبرا بشبر وذراعا بذراع
قال من خطبة ارسلها في هذا الغرض : كذلك يحق على المسلمين ان يكونوا وامرهم
شورى بينهم وبين ذوي الرأي منهم - ثم قال - ومن قام بهذا الامر فانه تبع لاولي
رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم . وهذا ايماء الى الحكم التبايني ويدل له من كتاب
الله قوله تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر وأولئك هم المفلحون) وضع الاسلام اساسه وبنى عليه الخلفاء سياستهم
ثم انتقض بناؤه في دولة بني مروان ومذ شعرت الامم الآخذة بمذاهب الحرية
بانه الضربة القاضية على الساطة الشخصية طفقوا يهرعون الى اقامة حكوماتهم على
قاعدته المتينة

واخذ عمر بقاعدة الشورى في أمر الخلافة من بعده ففوض امرها الى ستة من كبار
الصحابة ليختاروا رجلا منهم وقال لهم : ويحضركم عبد الله بن عمر مشبرا وليس له
من الامر شيء ! وضمه عبد الله بن عمر الى الستة وتشريكه لهم في الرأي وارد
على ما ينبغي في مجالس الشورى من جعل نظامها مؤلفا من العدد الفرد ليمكنهم
ترجيح جانب الاكثر عند الاختلاف ويلوح الى هذا بطرف خفي قوله تعالى
(ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من
ذلك ولا اكثر الا هو معهم) فذكر العدد الفرد صراحة والاقتصار عليه دون الزوج
في ضمنه اشارة الى ما ينبغي مراعاته في المجالس المؤلفة للمناجاة
هذا هو الاصل في الشورى وقد تواف من عدد زوج ويعتبر احد افراد

اللجنة بمنزلة رجلين اثنين ويسمى رئيسا لها فيرجح به الجانب الذي ينحاز اليه عند التساوي والدليل على صحته شرعا قول عمر بن الخطاب لأبي طلحة الانصاري: ان الله قد اعز بكم الانصار فاختر خمسين رجلا من الانصار وكن مع هؤلاء حتى يختاروا رجلا منهم - ثم قال له - وإن رضي ثلاثة رجلاً وثلاثة رجلاً فحكموا عبد الله بن عمر فان لم يرضوا بعبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف

والمشورة سنة متبعة عند بعض الامم من قديم الزمان ووردت في قصة بلقيس حين دعاها وقومها رسول الله سليمان عليه السلام ان لا يعلاوا عليه ويأتوه مسلمين قال الله تعالى (قالت يا أيها الملأ افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون * قالوا نحن اولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين * قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) ووردت الشورى في قصة موسى عليه السلام مع فرعون وملائه قال الله تعالى (وقال الملأ من قوم فرعون إن هذا الساحر علم * يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فاذا تأمرون * قالوا ازيجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين) وكأن قاعدة الشورى بين فرعون وملائه لم تطرد على اساس صحيح بدليل ماسام به بني اسرائيل من العذاب الممين وقطع مجلس الشورى عند فرعون رأييه وابرم في النازلة حكمه لأنه فوض اليهم ذلك بقوله « فاذا تأمرون » وليس له من الامر شيء سوى تنفيذ اعمالهم والعمل بما يشيرون بخلاف مجلس الشورى عند ملكة سبأ فلم يزدوا على ان عرضوا عليها رأيهم بطريق التلويح حين « قالوا نحن اولو قوة وأولو بأس شديد » يشيرون الى اختيار الحرب ثم اوكلوا الامر اليها بقولهم « والامر اليك فانظري ماذا تأمرين » لانها لم تفوض اليهم الحكم في القضية وانما طلبت منهم ان يصرحوا بأرائهم ويوضحوا بافكارهم فقط بدليل قولها « ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون » اي إلا بمحضركم وقولها « افتوني في امري » أي اذكروا ما تستصوبون فيه ولائها زيفت رأيهم واشعرتهم بأنها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان عليه السلام حدودهم فيسرع الى افساد ما يصادمه من اموالهم وعماراتهم فقالت « ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها »

لا تكون قاعدة الشورى من نواصر الحرية واعوانها الا اذا وضع حجرها

الاول على قصد الحنان والرافة بالرعية واما المشاركة في الرأي وحدها ولا سيارأي
من لا يطاع فلا تكفي في قطع دابر الاستبداد
واهم فوائد المشورة تخلص الحق من احتمالات الآراء وذهب الحكماء من
الادباء في تصوير هذا المغزى وتمثيله في النفوس الى مذاهب شتى قال بعضهم :
اذا عنَّ أمر فاستشر فيه صاحباً وان كنت ذا رأي تشير على الصاحب
فاني رأيت العين تجهل نفسها وتدرک ما قد حل في موضع الشب
وقال غيره :

اقرن برأيك رأي غيرك واستشر فالحق لا يخفى على الاثنين
والمرء مرآة تریه وجهه ويرى قناه بجمع مرآتين
وقال آخر :

الرأي كالليل مسودّ جوانبه والليل لا ينجلي الا بمصباح
فاضم مصابيح آراء الرجال الى مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح
ولا يدخل في وهم امری سمع قولهم (انما العاجز من لا يستبد) ان اقتداه
بسنة الشورى يشعر الناس بمعجزه وحاجته اليهم فتسقط جلالته من أعينهم ويفوته
الفخر بالاستغناء عنهم فان الناصح الامين لا تجده يحمل الفخار محورا يدير عليه
سياسته فيلقي له بالا وانما يبني اعماله على مصالح يجلبها او مفاسد يدرؤها ومن كان
يريد التمجيد والثناء فنعمته بعدم الانفراد بالرأي أخر لذكره وأشرف لسياسته من
وصفه بصفة الاستبداد قال تعالى في الثناء على الانصار (والذين استجابوا لربهم
وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم) اي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وروي
ان هذا دأبهم من قبل الاسلام ولعله هذا هو الوجه في مخالفة اسلوب الوصف
به لما قبله وما بعده حيث اورد في جملة اسمية للدلالة على الثبوت والاستمرار
ومن فوائدها استطلاع افكار الرجال ومعرفة مقاديرها فان الرأي يمثل لك
عقل صاحبه كما تمثل لك المرأة صورة شخصه اذا استقبلها

الاسلام في البلاد المسيحية (*)

كان المسلمون في الازمنة الغابرة لا يقصدون البلاد المسيحية الا للفتح والاستيلاء عليها . وكان يندر جدا من يقصدها لغير هذا الغرض . والسبب في ذلك أن حوائج المسلمين الدينية والاجتماعية والاقتصادية كانت لا تقضى على ما يرام في غير بلادهم . ولذلك كان القاطنون في الديار المسيحية من المسلمين أندر من الكبريت الاحمر مع وجود ملايين من المسيحيين في البلاد الاسلامية

إن كثيرا من المسلمين أجلوا في العصور الماضية عن اوطانهم الى البلاد المسيحية جزاء لمطالبتهم بالاستقلال : من ذلك ان حكومة هولاندا اجلت في القرن السادس عشر من آسيا الشرقية (من جزائر جاوه و بورنيو وصوماترة) عدة آلاف من المسلمين المتبعين لجنس « ملايو » الى كابلانده في جنوب إفريقيا . وفي ذلك العصر نفسه أرغمت الحكومة البولونية كثيرا من التتر على الهجرة الى بولونيا . فبقايا هؤلاء وان أضعوا قوميتهم بمعناها الاوربي أي وان نسوا لغتهم الاصلية واستبدلوا بها لغة البلاد التي استوطنوها فانهم لا يزالون يحتفظون بدينهم ويتمسكون به شديد التمسك واما اختلاط المسلمين بالمسيحيين بحسن اختيارهم وارادتهم فقد بدأ منذ زمن غير بعيد . ففي بادئ الامر اخذ الطلاب المسلمون يقصدون أمريكا وانكلترا وفرنسا بقصد التعلم بمدارسها العالية . ثم اضطرت بعض الاحوال السياسية والاقتصادية المسلمين أن يغادروا بلادهم ويهاجروا الى أوروبا فاجا . فكان هذا الاختلاط هو السبب الرئيسي لانتشار الاسلام في الممالك الغربية

ويوجد الآن في المانيا رجل يسعى سعيا متواصلا الى نشر الاسلام فيها ألا وهو محمد عادل بك « اشميتس - دورمولين » . وكان من امره أنه قضى عشرين عاما مهندسا في الشرق ثم اتحل الاسلام وتزوج فتاة مسلمة من أسرة كبيرة . فلما

(*) ترجمها بالعربية من جريدة (وقت) النافذة صنعة الله افندي بيكبولاط من نوابغ الطلاب القازانيين بالازهر وهي منقولة من جريدة (و برلاند اوندماي) النمسية

عاد الى وطنه « المانيا » طفق يدأب على نشر الاسلام بين أهل وطنه والدفاع عنه وعن المسلمين فألف في ذلك مؤلفات عديدة من أشهرها « الاسلام » « في الحرم » « الاستانة - بلدة الاسلام » وقد اثبت عادل بك في مؤلفاته هذه ان الاسلام قريب جدا من النصرانية الحقيقية وان ما عليه العالم المسيحي الآن من التقاليد والعادات مفسدة كبيرة ومدعاة الى الشهوات البهيمية والفقر المدقع وغير ذلك من المصائب والأمراض الاجتماعية

ومن مشهوري الذين يجهدون في نشر الاسلام في أوروبا غير عادل بك عمر رشيد بك وقرينته مادام « يلينا فولاو » في مدينة مونخين

وقد أسست في فرنسا في هذه الايام الاخيرة جمعية « الاخوة الاسلامية » ومن أعضائها الآنسة الفرنسية « عزيزة روشه لرون » التي انتحلت الاسلام منذ أربعة أشهر . وهي تخدم في هذه الجمعية من غير ملل ولا ضجر ، وقد أنشأت هذه الآنسة مجلة سمتها « النظر الى الشرق » مبدؤها تفهيم الاسلام لفرنسيين ومعاونة المسلمين على ارتقايتهم وحضارتهم

وأما البلاد الانكليزية فان انتشار الاسلام فيها أظهر وكلمته أعلى . وتوجد فيها الآن جمعيات عديدة أشهرها « الاخوة الاسلامية » و « الهلال » و « اتحاد الاسلام » اسسها المهاجرون اليها من مستملكات انكلترة والذين انتحلوا الاسلام من الانكليز انفسهم . وقد شيد باجتهاد هؤلاء جوامع فخمة في لندره وليفر بول وغيرها من المدن الانكليزية واسست دواوين وملاجي لالايتام وكتاتيب لتعليم الصبيان وانشئت عدة من الجرائد والمجلات .

وأعظم الجمعيات المقدمة الذكر جمعية « اتحاد الاسلام » وهي تعد مركزا لجميع مسلمي إنكلترة . ومن أهم مقاصدها معاونة المسلمين في ترقية شؤونهم الاقتصادية وتهذيب أخلاقهم وترقية العلوم والمعارف في العالم الاسلامي . وهي تتخذ التدابير اللازمة لمنع المعلومات الكاذبة عن المسلمين والاسلام في بلاد الغرب .

ومن أشهر أعضائها العاملين ، محمد عبدالله المأمون السهروردي المحامي الشهير وهو هندي الاصل . وقد ألف هذا الرجل مع حداثه سنه مؤلفات عديدة في الاسلام

باللغة الانكليزية منها « احاديث محمد » ، « اساس الحقوق الاسلامية » ، « شكسيير وأدييات الشرق » ، « دلائل كراه في الاسلام » وغيرها . وهو يصدر الآن مجلة تبحث في شؤون الاسلام والمسلمين .

ويمكنني ان اعد من الذين انتحلوا الاسلام وهم ينتسبون الى الدوائر الكبيرة هؤلاء : لورد استينلي عبد الهادي باركنسون من اعضاء مجلس اعيان انكلترا ، مازوريا المحامي الشهير ، براونينغ ، كالت شالدراك ، وغيرهم . ومن النساء : مادام ولباست من مشهورات عالمات الموسيقى ، ومادام شلورنيت الرسامة ، وميسس بيبس ، وغيرهن . ومن أشهر هؤلاء النساء مادام « كويليام » التي انتحلت الاسلام هي وأبنائها وبناتها جميعا ، وقد عين احد ابنتها وهو احمد كويليام معتمدا سياسيا للدولة العلية في لوفر بول والآخر وهو عبد الله كويليام شيخ الاسلام في انكلترا وهو ينشيء الآن جريدة ومجلة اسبوعية وله مؤلفات عديدة أشهرها « الدين الاسلامي » « التعصب والمتعصبون » وغيرها . وهل كان يدور في خلد احد ان الاسلام تخفق اعلامه في ربوع امريكا ؟ مع انه ليس فيها بأقل انتشارا منه في أوربا وان شيخ الاسلام في تلك البلاد « محمد اسكندر روفيل ووب » يدأب دائما في توسيع نطاق الاسلام هناك ويذل نفسه ونفيسه في هذا الشأن . وهو يرمي في خطبه ومحاضراته ومؤلفاته الى غرض واحد وهو تفهيم الاسلام للامريكيين وتعريفهم بسيرة محمد (ص) . وجريدته المسماة « ته مسلم وورلد » في غاية الرواج والانتشار

وقد اخذ مسلمو نيويورك في تشييد جامع فخم جدا في الايام الاخيرة وليس امر الاسلام في اوستراليا مما يستهان به فقد أخذ في تشييد جامع ثان في مدينة « آديلايد » وخلاصة القول : ان الامر الذي كنا نعهده من قبيل المستحيل من قبل صار من اقرب الممكنات . والذين كانوا يزعمون ان الاسلام لا يصلح أن يوضع في ميدان الحياة اخذوا يتمسكون به ويقدمون النفس والنفيس في الذود عنه ونشره بين الانام فهذه الامور هي اكبر برهان وأعظم دليل على ان الاسلام اكبر مساعد للحياة وأن له قابلية عظيمة للانتشار

آثار علمية ادبية

المطلقة (*)

بدت كالشمس يحضنها الغروب فتاة راع نضرتها الشحوب
 منزهة عن الفحشاء خود من الخفريات آنسة عروب
 نوار تستجد بها المعالي وتبلى دون عفتها العيوب
 صفا ماء الشباب بوجنتها فحامت حول رونقه القلوب
 ولكن الشوائب أدركته فعاد وصفوه كدر مشوب
 ذوى منها الجمال الفض وجدا وكاد يحف ناعمه الرطيب
 أصابت من شيبتها الليالي ولم يدرك ذواتها المشيب
 وقد خلب العقول لها جبين تلوح على أمرته النكوب
 الا ان الجمال اذا علاه نقاب الحزن منظره عجيب



حليلة طيب الاعراق زالت به عنها وعنه بها الكروب
 رعى ورعت فلم ترقط منه ولم يرقط منها ما يريب
 توثق حبل ودهما حضورا ولم ينكت توثقه المغيب

• قصيدة للشيخ معروف الرصافي الشاعر العراقي الشهير ينتصر فيها لمذهب
 الامام ابن القيم في كتابه « اغاثة اللفهان في حكم طلاق الفضبان »

فقاضب زوجها الخلطاء يوما
 فاقسم بالطلاق لهم يمينا
 وطلقها على جهل ثلاثا
 وافق بالطلاق طلاق بت
 فبات عنه لم تأت الدنيا
 فظلت وهي باكية تنادي
 لماذا يا نجيب صرمت حبلي
 ومالك قد جفوت جفاء قال
 ابن ذني الي فذلك نفسي
 أما عاهدتي بالله ان لا
 لئن فارقتي وصددت عني
 وما ادماء ترتع حول روض
 فما لقت اليه الجيد حتى
 فراحت من تحرقها عليه
 تشم الارض تطلب منه ريحا
 وتمزع في القلاة لغير وجه
 بأجزع من قوادي يوم قالوا
 فأطرق رأسه خجلا وأغضى
 نجية ا أقصري عني فاني
 وما والله هجرك باختياري

بأمر للخلاف به نشوب
 وتلك اليّة خطأ وخوب
 كذلك يجهل الرجل الفضوب
 ذوو فتيا تعصبهم عصب
 ولم يعلق بها الدام الميعب
 بصوت منه ترتجف القلوب :
 وهل أذنت عندك يا نجيب ؟
 وصرت اذا دعوتك لا تجيب ا
 فاني عنه بعدئذ أتوب ا
 يفرق بيننا الا شعوب ؟
 فقلبي لا يفارقه الوجيب
 ويرتع خلفها رشاً ريب
 تحطفه بأزمته ذيب
 بداء مالها فيه طيب
 وتخب والبنام هو النحيب
 وآونة لمصرعه تؤوب
 برغم منك فارقت الحبيب
 وقال ودمع عينيه سكوب :
 كفاني من لظى الندم اللبيب
 ولكن هكذا جرت الخطوب

فليس يزول حبك من فؤادي وليس العيش دونك لي يطيب
ولا أسلو هواك وكيف أسلو هوى كالروح في آله ديب
سلي عني الكواكب وهي تسري بجنج الليل تطلع أو تغيب
فكم غالبتها بهواك سهدا ونجم القطب مطلع رقيب
خذي من نور (رفجن) شعاعا به للعين تنكشف الغيوب
والقيه بصدري وانظريني تري قلبي عليك به ندوب
وما المكبول التي في خضمي به الامواج تصمد أو تصوب
فراح يقطه التيار غطا الى أن تم فيه له الرسوب
بأهلك يا بنة الاعداد مني اذا أنا لم يعد بك لي نصيب

ألا قل في الطلاق لموقعه بما في الشرع ليس له وجوب
غلوتم في دياتكم غلوا يضيق ببعضه الشرع الرحيب
أراد الله تيسيرا واتم من التفسير عندكم ضروب
وقد حات بامتكم كروب لكم فيهن لالهتم الذنوب
وهي جبل الزواج ورق حتى يكاد اذا تفخت له يذوب
نحيط من لعاب الشمس أدلت به في الجو هاجرة حلوب
يمزقه من الافواه نفت ويقطعه من النسم المبوب
فدى (ابن القيم) الفقهاء كم قد دعاهم للصواب فلم يجيبوا
ففي (اعلامه) للناس رشد ومزدجر لمن هو مستريب
نحا فيما أتاه طريق علم نحاها شيخه الخير الاريب
وبين حكم دين الله لكن من الغالين لم تبه القلوب
لعل الله يحدث بعد أمرا لنا فيخيب منهم من يخيب

تقریظ المطبوعات الجديدة

﴿ غرائب الاغتراب ، وزهة الالباب ﴾

تألیف السيد محمود افندي الآلوسی الحسینی . صفحاه ٤٥١
طبع بمطبعة الشابندر بغداد سنة ١٣٢٧

لا نرى حاجة لتعريف قراء المنار بالمؤلف الجليل ، وهو صاحب تفسير روح المعاني الشهير ، الذي يندر من لم يستفد منه من ممارسي العلوم الاسلامية . وللمؤلف كثير من المصنفات كانت ظلمات الاستبداد الحالكة مانعة من انبلاج نورها ، حتى اذا اشرفت شمس الدستور عقد العزم آل الالوسي الفضلاء على نشر تلك الآثار ومنها كتاب غرائب الاغتراب .

الكتاب هو مجموع محاضرات ادبية ، وقرات وصفية ، ومقالات في التراجم ومناظرات في علم الكلام والفقه والتصوف ، كتبها المؤلف فيما رأى ومن رأى في رحلته من بغداد الى القسطنطينية

تصفحننا صفحات من الكتاب فتمثلت لنا روح المؤلف قمية طيبة كأرواح أسلافنا الاولين : نزاعة الى الحق ، وثابة على الباطل ، لا تطبي أنصار ذاك بزخرف القول ، ولا تدهن ارباب هذا بقول الزور . أما اسلوب الكتاب او الكاتب فقد طبع على غرار اهل القرون الوسطى : سجع تحتف به الصنعة البديعية ، ولكن يخال قارئه أنه لا تعمّل فيه ولا تكلف ، وقد يغلو من يستنكر هذا النمط من الانشاء فان لكل عصر اسلوباً ، وانما الكلم الطيب البليغ هو ما اذّى المراد بدون تعسف ولا تكلف ، ولا ضير على قائله بعد هذا سواء اكان مترسلاً ام جانحاً للسجع . قلت هذا لاني ارى اكثر ادباء عصرنا يستنكرون السجع كثيراً ، حتى لا يعد أن تكون

أذواقهم صارت تمجده في مثل كلام امام البلاغة جدنا المرتضى عليه السلام ، وهذا من غرائب اتكاس الطباع ومرض الاذواق !

﴿ الفرق بين الفرق ﴾

« تأليف الامام ابي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي من اهل القرن الخامس ، وقد وقف على طبعه وضبطه وتعليق حواشيه محمد بك بدر المتخرج في جامعة (بن . المانيا) صفحاته ٣٥٤ طبع بمطبعة المعارف بمصر ويباع بها بمكتبة المنار بعشرين قرشاً صحيحاً »

لقد سررنا سرورا عظيما بنشر هذا الكتاب ، لا لأن الامة محتاجة الى الاطلاع على آثار اسلافنا العاملين ، بل لأن واحداً من سررة ابنائها اهل الثراء اختاران تكون حياته حافلة بالعلم والعمل ، هازناً بسير اترابه المتقطعين الى اللهو والترف ، فبعد أن ابتعد عن أسرته وخطائه اعواماً قضاها ينتاب فيها دور العلوم بأوربا عاد وهو صحيح العزيمة على ان يعمل بما علم و « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » وغرض المؤلف من كتابه بيان مذاهب الفرق الثلاث والسبعين التي ورد ذكرها في الحديث ، وقد افاض في ذلك كثيراً فذكر فرقاً مزقتها عوادي الايام ، ولولا ذكر مثل المؤلف لما عرف اهل هذا العصر أنها وجدت في هذه الدنيا ، لأنها لم تترك أثارة من علم ولا نبأة من حالها

والكتاب مفيد في بابه ، بليغ في اسلوبه ، قوي الحجته ، وطبعه في غاية الجودة ، ومن محسناته فهرسان للاعلام والكنى وضعهما له ناشر الكتاب ، ورتبهما على حروف المعجم ، وقد كتب له مقدمة متينة التركيب بليغة الاسلوب فنثني عليه اطيب الثناء

﴿ اغاثة اللفهان ، في حكم طلاق الفضبان ﴾

تأليف الامام شيخ الاسلام ابي عبدالله محمد بن ابي بكر الشهير بابن قيم الجوزية وقد عني بتصحيحه وتخرجه احاديثه وتعليق حواشيه الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي صفحاته ٤٨ طبع بمطبعة المنار بمصر ويباع بمكتبة المنار بثلاثة قروش صحيحة

الطلاق من ضرورات الاجتماع التي لا بد منها ، ولا مندوحة عنها ، وقد اعترف

كثيرون من عقلاء الفرنجة والامريكان بذلك ، بل ان بلاد امريكا اصبح الطلاق فيها اكثر شيوعا منه في سائر البلاد الاسلامية ، والسبب في ذلك تفريطهم وافراطهم ، فقد احكموا في الاول عقدة النكاح إحكاماً ، صبروا به حلها جانية وأثاماً ! وقد بالغوا في الثاني في حلها حتى صارت او هي من بيت العنكبوت !

اما المسلمون فيرون الطلاق رخصة من الرخص التي يصار اليها عند الاضطرار كما ارشدهم الى ذلك دينهم ، وهكذا يكون شأن الامة الوسط : لا تفريط ولا افراط وهذه هي الخطة التي تحوم حولها القلوب ، وتهفو اليها النفوس ، لان تحريم الطلاق تحريماً قطعياً من الحرج الذي لا يطاق ولا تستقيم معه حال الاجتماع ، وابعاده اباحة عامة من دون شرط ولا قيد من العبث المحل المفسد لنظام الاسر والبيوتات

ولقد يظن كثيرون من الفرنجة والمتفرنجين الذين ينظرون الى الاسلام بعيون خول ان الطلاق يقع بالكلمة تقذفها بادرة غضب فتصبح عقدة النكاح المحكمة مفككة محلولة ، وتسمي الزوج التي لم تجن ذنبا اجنبية غير حليلة ، ويرون ان ذلك ليس مما يلتزم مع الحكمة ، او يتفق مع المصلحة ، وقد يكونون معذورين في هذا القول الذي يتفق مع اقوال كثير من الفقهاء ، ولو انهم اطلعوا على الكتاب الذي تقرظه اليوم لأبوا معترفين للاسلام بأنه دين المدنية والفضيلة والعمران

استهل الامام المؤلف كتابه بالحديث الشريف « لا طلاق ولا عتاق في اغلاق » ثم بين معنى الاغلاق او الفلاق من كلام الأئمة وان معناه الغضب او من معانيه ثم طفق المؤلف يدلي بالحجة تلوا الحجة ويأتي بالدليل بعد الدليل من الكتاب والسنة والمأثور عن أئمة السلف الناطقة كلها بعدم وقوع طلاق الغضبان ، وأفاض المؤلف في ذلك أيما افاضة شأنه في كل الموضوعات التي كتب فيها ، ونصب ميزان التعارض وال ترجيح ، فأظهر أثابه الله الرغوة من اللبن الصريح . قال في استدلاله من السنة على أن طلاق الغضبان لا يقع :

« فأما دلالة السنة فمن وجوه^(١) احدها حديث عائشة المتقدم وهو قوله «لا طلاق ولا عتاق في اغلاق» وقد اختلف في الاغلاق فقال أهل الحجاز هو الا كراه، وقال أهل العراق هو الغضب، وقالت طائفة هو جمع الثلاث بكلمة واحدة، حكى الاقوال الثلاثة صاحب كتاب مطالع الانوار، وكان الذي فسر به بجمع الثلاث أخذه من التعليل وهو ان المطلق غلق طلاقه كما يفاق صاحب الدين ماعليه، وهو من غلق الباب فكأنه أغلق على نفسه باب الرحمة بجمعه الثلاث فلم يحمل له الشارع ذلك ولم يملكه اياه رحمة به، انما يملكه طلاقا يملك فيه الرحمة بعد الدخول وحجر عليه في وقته ووضع وقدره فلم يملكه اياه في وقت الحيض ولا في وقت طهر جامعها فيه، ولم يملكه ان يبينها بغير عوض بعد الدخول فيكون قد غير صفة الكلام وهذا عند الجمهور، فلو قال لها: أنت طالق طلقة لارجمة لي فيها أو طلقة بائنة لغا ذلك وثبتت له الرحمة، وكذلك لم يملكه جمع الثلاث في مرة واحدة بل حجر عليه في هذا وهذا وكان ذلك من حجة من لم يوقع الطلاق

(١) ذكر من وجوه دلالة السنة ثلاثة وبقي رابع وهو «الاعمال بالنية» الذي استدل به البخاري على عدم وقوع طلاق الغضبان كما تقدم نقل عبارته وكلام ابن حجر في شرحها وقد أشار اليه في الوجه التاسع الآتي (وجه خامس) وهو حديث ابن عباس مرفوعا «لا يمين في غضب» أخرجه ابن جرير والدارقطني كما حكيناه قبل (وجه سادس) وهو حديث «كل طلاق جائز إلا طلاق المعتوه والمغلوب على عقله» رواه الترمذي عن ابن هريرة مرفوعا وقال غريب ضعيف، والمغلوب على عقله وإن فسر بالسكران إلا أنه يتناول الغضبان أيضا بل هو أولى كما ستراه للمصنف موضعا في الوجه الثاني من ترجمة (فصل واما آثار الصحابة)

المحرم ولا اثلاث بكلمة واحدة^(١) لانه طلاق محجور على صاحبه شرعا وحجر الشارع يمنع نفوذ التصرف وصحته كما يمنع نفوذ التصرف في المقود المالية فهذه حجة من أكثر من ثلاثين حجة ذكروها على كلام وقوع الطلاق المحجور على المطلق فيه ،

والمقصود هاهنا ان هؤلاء فسروا الاغلاق بجمع الثلاث لكونه أغلق على نفسه باب الرحمة الذي لم يغلقة الله عليه الا في المرة الثالثة (وأما الآخرون) فقالوا الاغلاق مأخوذ من اغلاق الباب وهو ارتاجه واطباقه فالامر المغلق ضد الامر المنفرج والذي أغلق عليه الامر ضد الذي فرج له وفتح عليه فالمكره^(٢) الذي اكراه على امر ان لم يفعله والا حصل له من الضرر ما اكراه عليه - قد أغلق عليه باب القصد والارادة لما اكراه عليه فلاغلاق في حقه بمعنى اغلاق ابواب القصد والارادة له فلم يكن قلبه منفتحاً لارادة القول والفعل الذي اكراه عليه ولا لاختيارها فليس مطلق^(٣) الارادة والاختيار بحيث إن شاء طلق وان شاء لم يطلق وان شاء تكلم وان شاء لم يتكلم بل اغلق عليه باب الارادة الا للذي قد اكراه عليه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن ايعزم المسألة فان الله لا مكره له^(٤) » فبين النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يفعل الا اذا شاء

(١) يرى الواقف على كتاب زاد المعاد واغائة اللهفان الكبرى واعلام الموقعين ادلة ذلك وحججها سابعة الذيل واسعة الاطراف فمن أراد التوسع فعليه بمراجعتها وكلها للامام المؤلف مطبوعة بحمده تعالى متداولة (٢) مبتدأ خبره قد أغلق عليه الخ (٣) خبر ليس (٤) رواه البخاري عن أبي هريرة

بخلاف المكره الذي يفعل ما لا يشاؤه فانه لا يقال يفعل ما يشاء الا اذا كان مطلق الدواعي وهو المختار ، واما من الزم بفعل معين فلا ، ولهذا يقال : المكره غير مختار ويجعل قسم المختار لا قسما منه ، ومن سماه مختارا فانه يعني ان له ارادة واختيارا بالقصد الثاني فانه يربد الخلاص من الشر ولا خلاص له الا بفعل ما أكره عليه فصار مريدا له بالقصد الثاني لا بالقصد الاول

والفضبان الذي يمنعه الغضب من معرفة ما يقول وقصده فهذا من اعظم الاغلاق وهو في هذا الحال بمنزلة المبرسم والمجنون والسكران بل اسوء حالا من السكران لان السكران لا يقتل نفسه ولا يلقي ولده من علو والفضبان يفعل ذلك ، وهذا لا يتوجه فيه نزاع انه لا يقع طلاقه والحديث يتناول هذا القسم قطعا

وحينئذ فنقول الغضب ثلاثة اقسام^(١) (احدها) ان يحصل للانسان مبادئه واوائله بحيث لا يتغير عليه عقله ولا ذهنه ويعلم ما يقول ويقصده فهذا لا اشكال في وقوع طلاقه وعتقه وصحة عقوده ولا سيما اذا وقع منه ذلك بعد تردد فكره

(القسم الثاني) ان يبلغ به الغضب نهايته بحيث ينغلق عليه باب العلم

(١) بهذا التقسيم يرد على ابن المرباط حيث قال : الاغلاق خرج النفس وليس كل من وقع له فارق عقله ولو جاز عدم وقوع طلاق الفضبان لكان لكل أحد أن يقول فيما جناه كنت غضبانا ، نقله الحافظ في فتح الباري ووجه الرد أن الغضب ليس على اطلاقه كما فهمه والمرء يدئن في ذلك كما حققه المؤلف في الوجه الجادى عشر والرابع عشر ومواضع آخر

والارادة فلا يعلم مايقول ولا يريد فهدا لا يتوجه خلاف فى عدم وقوع طلاقه كما تقدم والغضب غول العقل فاذا اغتال الغضب عقله حتى لم يعلم مايقول فلا ريب انه لا ينفذ شيء من أقواله فى هذه الحالة فان أقوال المكاف انما تنفذ مع علم القائل بصورها منه ومعناها وارادته للتكلم بها (فالاول) يخرج النائم والمجنون والمبرسم والسكران وهذا الغضبان (والثاني) يخرج من تكلم باللفظ وهو لا يعلم معناه البتة فانه لا يلزم مقتضاه (والثالث) يخرج من تكلم به مكرها وان كان عالما بمعناه

(القسم الثالث) من توسط فى الغضبان (?) بين المرتبتين فتعدى مبادئه ولم ينته الى آخره بحيث صار كالمجنون فهذا موضع الخلاف ومحل النظر والادلة الشرعية تدل على عدم نفوذ طلاقه وعقوده التي يعتبر فيها الاختيار والرضا وهو فرع من الاغلاق كما فسر به الاثمة وقد ذكرنا دلالة الكتاب على ذلك من وجوه

(وأما دلالة السنة) فن وجوه (احدها) حديث عائشة وقد

تقدم ذكر وجه دلالة

(الثاني) ما رواه احمد والحاكم في مستدركه من حديث عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا نذر في غضب وكفارة كفارة يمين» ^(١) وهو حديث صحيح وله طرق، وجه الاستدلال به أنه صلى الله عليه وسلم ألغى وجوب الوفاء بالنذر اذا كان في حال الغضب

(١) رواه النسائي عن عمران ورواه الامام احمد واهل السنن عن عائشة

بلفظ: لا نذر في معصية. الخ

مع أن الله سبحانه وتعالى آثني على الموفين بالنذور وأمر النبي صلى الله عليه وسلم الناذر لطاعة الله بالوفاء بنذره وقال «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه»^(١) فإذا كان النذر الذي آثني الله على من أوفى به وأمر رسوله بالوفاء بما كان منه طاعة قد أثر الغضب في انعقاده ليكون الغضبان لم يقصده وإنما حمله على بيانه الغضب فالطلاق بطريق الأولى والآخرى (فان قيل) فكيف رتب عليه كفارة اليمين (قيل) ترتب الكفارة عليه لا يدل على ترتب موجب ومقتضاه عليه والكفارة لا تستلزم التكليف ولهذا تجب في مال الصبي والمجنون اذا قتل صيدا أو غيره وتجب على قاتل الصيد ناسيا أو مخطئا وتجب على من وطئ في نهار رمضان ناسيا عند الأكثرين فلا يلزم من ترتب الكفارة اعتبار كلام الغضبان، وهذا هو الذي يسميه الشافعي نذر الفراق، ومنصوصه عدم وجوب الوفاء به اذا حلف به بل يخير بينه وبين الكفارة وحكي له قول آخر بتعين الكفارة عينا، وقول آخر بتعين الوفاء به اذا حنث كما يلزمه الطلاق والعناق وهذا قول مالك وأشهر الروايتين عن أبي حنيفة

(الثالث) ما ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال «لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان»^(٢) ولولا ان الغضب يؤثر في قصده وعلمه لم ينه عن الحكم حال الغضب، وقد اختلف الفقهاء في صحة حكم الحاكم في حال غضبه على ثلاثة أقوال سند كرها بعد أن شاء الله .

(١) رواه الامام احمد والبخاري واهل السنن عن عائشة

(٢) قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الخبير متفق عليه من حديث أبي بكر

والكتاب كله على هذا النمط من الايضاح والتبيان، وقوة الدليل والبرهان، وفي آخره قصيدة عنوانها « المطلق » للشيخ معروف الرصافي الشاعر العراقي المشهور قالها انتصاراً لمذهب الامام، وقد نشرناها في غير هذا المكان من هذا الجزء

﴿ فهرس مقتنيات دار الآثار العربية ﴾

١ « ولعة في تاريخ فن المعمار وسائر الفنون الصناعية بمصر »

تأليف مكس هرتس بك ناظر دار الآثار العربية، وترجمه بالعربية علي بك بهجت وكيل دار الآثار العربية . صفحاته ٣٣١ بالقطم الصغير ورسومه ٦٣ طبع بالمطبعة الاميرية بمصر

دار الآثار العربية هي القسم الادنى من البناء المشمخر في باب الخلق، والقسم الاعلى خاص بدار الكتب، وهاتان الداران انشئتا حديثا في مصري منذ ثلاثين سنة ونيف، ولا نريد بهذا البناء الجديد الذي نقلت اليه الآثار من عهد غير بعيد بل نريد المحتويات والآثار، ويسوئنا ان دار الآثار العربية لم تنشأ الا بعد أن عبث ايدي الاجانب بأكثر تلك الآثار، ونقلوها الى بلادهم من هذه الديار، ولولا أن المهندس سلسمان المشهور رغب الى الخديو اسماعيل باشا بجمعها وانشاء دار لها وتحقيق هذا لرغبته لضاعت البقية الباقية من الآثار العربية التي نراها اليوم فالفضل في ذلك للطالب والمعجب

وقد اهدي لنا « فهرس مقتنيات دار الآثار العربية » فألفيناه مرتبا ترتيباً جيلا، مزينا بالرسوم الكثيرة، افتحه المؤلف بكلام عن انشاء دار الآثار حقيرة وارتقاؤها في زمن قصير، ثم تقابل بما سيكون لها من الشأن العظيم، ثم أتى بخلاصة تاريخية للدول الاسلامية في مصر وما كانت عليه الصناعات في ايامها وذكر أن فن المعمار كان له المقام الاول في تلك الازمان . قال « لان البنائيات الفخيمة (؟) التي نرونها اليوم فضلا عن أنها تحدثنا بأزمان انقضت هي من آثارها تشهد ان العمارة كانت الفن الاجل عند العرب وانها بلغت لديهم ما لم تبلغه عند الامم الغربية » وبلي ذلك الكلام عن الآثار الموجودة وبيان انواعها وتاريخها وغير ذلك من الفوائد فتني على المؤلف والمترجم ثناء كثيرا

﴿ لجنة النور ﴾

خفت صوت الموسوس المغرور أحمد مبرزا غلام الذي سعى نفسه بالمسيح حيناً من الزمن قلنا فيه لعله ثاب الى رشده ، اورجع الى عقله ، فعلم ان السخافات ليست مما يدوم الخلداع فيها ، ثم حملت إلينا الانباء انه قضى نحبه ، ولقي ربه ، قلنا قد استراح وأراح ، وما كنا نخال انه استخلف من بعده واحدا من ضعفاء العقول الذين استهوهم حتى حمل إلينا يريد الهند كتابا هذه طرته « لجنة النور — الى علماء العرب والشام والبغداد (٤) والعراق والخراسان (٥) لتجري انهار الايقان والعرفان في زروع الايمان ١١ » وهذا الكتاب الذي ينشره خليفة ذلك الموسوس المغرور من وحي مستخلفه يعرف القاري ما فيه من الخلط والخطأ والعلطة من طرته التي في اوله وقد قلناها بنصها . وفي الكتاب كثير من النفاق والدهان للانكليز شأن ذلك المسيح الكذوب في كل كتبه ، وقد كان يفعل هذا حتى لا يصدّه الانكليز عن دعوته ، ولا يحملوه عن نبذ الاحتفاظ بسخافته ، فما هذه النبوة التي يحتف بها النفاق والدهان ، وتعلو بالخلط والمهذيان ١١

امام غزالي

رسالة باللغة التتيرية ذات ٩٦ صفحة كتبها رضاء الدين افندي بن فخر الدين من لجنة علماء روسيا النافعين ، وهي ترجمة حافلة للامام الغزالي رحمه الله تعالى ، وقد اثبت على صفحتها الاولى هذه الفقرة الحكيمة للامام الغزالي « استحق من لا يحسد ولا يقذف ، واستصغر من بالكفر او الضلال لا يعرف ، فاي داع اكل واعقل من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقد قالوا انه مجنون من المجانين ، واي كلام اجل واصدق من كلام رب العالمين وقد قالوا انه اساطير الاولين ، واياك أن تشغل بخصامهم ، وتطمع في إغاثهم ، فتطمع في غير مطعم ، وتصوت في غير مسمع . »
والرسالة تباع بمكتبة الشرق بأورنبورغ

الاسلام ومستر سكوت

رسالة صفحاتها ٧٧ بالقطع الصغير . تأليف الشيخ علي احمد الجرجاوي طبعها مؤلفها بمصر وجعل ثمنها ثلاثة قروش . وقد كتبها ردّاً على مزاعم افترطها للمستر سكوت في الدين الاسلامي في كتاب له كان يقرأ دروساً في مدارس الحكومة المصرية ! ثم قررت نظارة المعارف منع تدريسه اذنبتهما الصحف الى ذلك ، وليس بعجيب ان يلزم المسلمون بدراسة كتاب معظمه مطاعن في دينهم مادام المستر دانلوب راسخ القدم في نظارة المعارف ، بل العجيب كيف تمكن سعد باشا زغلول رجل المقدرة والعمل من القيام بالاصلاحات العظيمة في المعارف ومستر دانلوب مسيطر على كل ما يراد عمله فيها !

حياة اللغة العربية

مسامرة للشيخ السيد محمد الخضر بن الحسين من علماء جامع الزيتونة العاملين النافعين الذي يرى له القراء في (ص ١٢٠) من هذا الجزء قطعة من مسامرتة (الحرية في الاسلام) وقد قسم مسامرتة هذه الى اقسام منها « تأثير اللغة في الحياة الاجتماعية ، اطوار اللغة العربية ، تعدد اساليبها ، طريق اختصارها ، اتساع وضعها » الى غير ذلك . وهي في ست وخمسين صفحة مطبوعة على ورق جيد ، ويسرنا كثيراً أن نرى من اخواننا علماء تونس هذه النهضة العالية فهي خير ما يبعث النفوس على التفكير ، ويستفزها الى العمل ، ويسوئنا ان لا يضارعهم في ذلك الازهريون ، وسننشر في المنار فصلاً او فصولاً منها

مفاسد شهادة الزور

كراسة صغيرة الحجم ، كبيرة الفائدة والنفع ، جمع فيها كاتبها صديقنا الشيخ احمد عمر المحمصاني الآيات والاحاديث الناطقة بقبح شهادة الزور وكونها من اكبر الكبائر ، وتقل اقوال ائمة الصحابة وجمهرة من الفقهاء فيها ، ثم عقد فصلاً بيان « اضرار شهادة الزور في الشاهد نفسه وفي الهيئة الاجتماعية » وكل ذلك صريح في استنكارها

١٤٢ مفردات انكليزية وعربية. مملكة جهنم. الجامعة. الهداية (الناشر ١٣٢٢م)

واستبكارها ، ولو قلها الجرائد العربية لافادت أحسن فائدة ، وأثرت في كثير من القلوب القاسية

مفردات انكليزية وعربية

اهدانا عبده افندي عيد ناظر مدرسة الاتحاد الوطني بيولاقي نسخة من هذه الرسالة ورسالة اخرى في التعريفات الانكليزية وكتاها تأليف وهبه افندي عبد الله المدرس بمدرسة الاتحاد الوطني واهدانا مصورا (خريطة) للقطر المصري من رسم وهبه افندي ، والرسالتان جيدتا الطبع ، سهلتا المآل والوضع ، والمصور دقيق الرسم حسن التلوين فنتي على المهدي والمؤلف

مملكة جهنم

الكونت لاون تولستوي من مشهورى فلاسفة هذا العصر الذين كتبوا وافادوا ، وبماز تولستوي على كثير من الفلاسفة بكونه عمليا لا نظريا فقط ، وروح فلسفة تولستوي هي الرجوع بالناس الى سذاجة الفطرة ، وترغيبهم بالهدوء والأثني بل اسرف في ذلك حتى حث على احتمال الاهانة والاستخذاء للشر ، ومبادئ الرجل قريبة من مبادئ بعض متصوفة الاسلام . وقد ترجم له في هذه الآونة سليم أفندي قبعين الضليع في اللغة الروسية والشهير بنقل آثاره الى العربية - قصة اسمها «مملكة جهنم» وجعل ثمنها اربعة قروش صحيحة وياحبذا لو اتاحت لنا مطالعتها لنكتب رأينا فيها

الجامعة

عاد فرح افندي انطون من امريكا الى هذه الديار واصدر مجلته منذ ثلاثة اشهر ، وقد جاءنا الجزء الاول والثاني من سنتها السابعة فألفيناها حافلين بالمقالات النافعة ، والبحث المفيد ، مطبوعين طبعا نظيفا على ورق جيد ، وعدد صفحات كل جزء منها ٦٥ وقيمة اشتراكها ٦٠ قرشا صحيحا في مصر . فترحب بالجامعة في حياتها الجديدة

الهداية

اصدر الشيخ عبد العزيز جاويز مجلة بهذا الاسم وجعل شعارها هذه الفقرة

(المنار ج ٢ م ١٣) النبراس، المتقدم، العرفان. الكائنات. الفرائد. الاستاذ ١٤٣

« مجلة دينية علمية ادبية اجتماعية » وقد قال بعد ان ذكر الموضوعات التي تبحث فيها المجلة « هذه هي ابواب الهداية وقد يستغرق مانعه لعدة ابواب ما كان معدا من الفراغ لباب أو أكثر، على اننا سنجد في الانحلي جزءا من باب منها وسنصدرها شهرية في هذه السنة » وقد تصفحنا الجزأين اللذين صدرتا منها فاذا هما حاويان لاكثر الموضوعات الموعود بها فترجو للهداية انتشارا وشيوعا، وصفحات الجزء من اجزائها ٧٢ وقيمة اشتراكها ستون قرشا صحيحا في مصر

النبراس، المتقدم، العرفان

حمل الينا بريد سورية هذه المجلات الثلاث فاذا بهن قد خطون خطوات واسعة في الارتقاء بعد دخولهن في العام الثاني من حياتهن : فموضوعات نافعة، واديات رائعة، وطبع جميل، وورق صقيل . فترحب بهن ونرجوهن فلاحا ونجاحا

الكائنات

مجلة ذات ١٦ صفحة بالقطع الكبير لمنشأها « الارشمنديريت باسيلوس » وموضوع المجلة ديني تاريخي وتحتوي على رسوم لكثير من القسيسين وقيمة اشتراكها ٨٠ قرشا صحيحا في مصر

النرائد

« مجلة علمية أدبية اجتماعية روائية » يصدرها في سان باولو (البرازيل) ابراهيم افندي شحاده فرح . تصفحنا الجزء الاول منها فاذا فيه مقالات مختصرة مفيدة فترحب بهذه المجلة ونرجوها حياة طيبة

الاستاذ

مجلة يصدرها في بونس ايرس (الارجنتين) يوسف افندي خوري . جاءنا الجزء الاول منها يحتوي على فصول عمرانية ونبد سياسية فسررنا سرورا عظيميا بهذه المجلة كما سررنا بمجلة الفرائد، وصدرت المجلات في الامة سواء في بلادها أو في دار هجرتها من أكبر دلائل حياتها العلمية، فنثني أطيب الثناء على اخواننا المهاجرين الذين يتوفرون على احياء لغتهم الشريفة في تلك الاصقاع النائية

العلم

جريدة يومية سياسية مديرها اسماعيل بك حافظ وقد جعلها رئيس الحزب الوطني لسان حال حزبه بعد أن تنصل من جريدة اللواء ونفض يده منها . صدر منها إلى وقت كتابة هذه السطور بضعة أعداد قرأناها فإذا هي على غلط الجرائد الأخرى إلا أن لهجتها أشد، وعسى أن تكون أكثر توفيقاً للخدمة العامة من اللواء فيما مضى وقيمة اشتراكها ١٨٠ قرشا صحيحا في القطر المصري

المناظر

عاد صاحب هذه الجريدة العاقلة صديقنا نعوم افندي لبكي من البرازيل إلى بلاده سورية وأصدر في بيروت جريدته التي كان يصدرها هنالك . أصدرها بثاني صفحات مملوءة بالفوائد، ممتازة بالبحث النافع ، والمناظر في نظارنا من أمثل الجرائد أن لم يكن أمثلها ، يشارك غيره في كل ما تقوم به الجرائد ، ويمتاز بصراحته ورويته وإنصافه ، وبدل اشتراكه في الخارج عشرون فرنكا ، فنحت كل شقوف بقرأة الجرائد على الاشتراك فيه

العرب

جريدة عربية اسبوعية أصدرها في القسطنطينية محمد عبيد الله افندي مبعوث ازميز ، قرأنا مقدمتها فلفيناها بحكمة الانشاء ، غالية الاطراء ، وقد قال صاحبها إنه أنشأها لخدمة العرب ! ورأيناه يقول فيها « فنحن إذا اردنا أن نعين حقوق العرب بالنظر إلى هذه الحقائق الراهنة قلنا ان حق العرب هو ايقاظ المسلمين وارشادهم » ويقول معرضا فيمن يطالبون بحقوقهم السياسية من العرب في بلاد الدولة « هذا وإني لأشك في عربية بعض المدعين الذين يظنون حقوق العرب عبارة عن وجود عضو منهم أو عضوين في الوزارة العثمانية وتوجيه بعض المناصب إلى رجال منهم » فكان عبيد الله افندي يرى أنه ليس للعرب حقوق سياسية بته !! بل أن حقوقهم لا تتعدى أن يكون منهم واعظون ومرشدون ! فلتحمد العرب هذا الخادم الناصح فقد اشعرهم طريق النجاح والفلاح !! وليترنموا بقوله « ان العرب هم الحاكون وان الترك هم الخادمون » فانه من لحن القول ولذيذ الاحلام !

حسين وصفي رضا

باب الخبيرة والآراء

رحلة صاحب المنار الى القسطنطينية

(٢)

ذكرت في النبذة الاولى التي كتبها لتشر في (ج ١١ م ١٢) فنشرت في (ج ١٢ ص ٩٥٦) اني رحلت الى عاصمة الدولة للسعي في أمرين عظيمين : إنشاء معهد علمي اسلامي ، وحسن التفاهم بين عنصري الدولة الاكبرين العرب والترك ، وأشرت الى مصادفته من الارتياح للعلمين كليهما عند وزارة حسين حلمي باشا ولكن استقلت تلك الوزارة قبل ان يتم على يدها ما وعدتني به من المساعدة على إنشاء المعهد العلمي الاسلامي والعناية باللغة العربية وأهلها . وكنت أظن ان وزارة ابراهيم حتمي باشا تنجز ما كانت عزمته عليه وزارة حسين حلمي باشا لوجود بعض أعضاء الوزارة الأولى في الثانية فكنت أرجع بعض هؤلاء الاعضاء فأسمع كلاما حسنا ووعدا جميلا وعناية شخصية بالدعوة الى الطعام والسمركا لقيت من الصدر الأول ولكن طال الامر على ذلك فرأيت أن أرفع أمر المساعدة على إنشاء المعهد الاسلامي لتخريج المرشدين الى الصدر الاعظم رئيس هذه الوزارة ففعلت ووجدت ان عنيته بالمشروع ليست دون عناية سلفه بل أعظم . نعم قال لي ان ما كان من السعي على عهد الوزارة السابقة قد ذهب بذهابها وانه ينظر في ذلك من جديد ولكنه مأرجأ ولا سوف بعد ذلك بل أحائي على شيخ الاسلام وناظر المعارف ووعدني وعدا جازما بتنفيذ ما يتفقان معي عليه وكنت قد مهدت السبيل الى ذلك امام هذين الركنين العظيمين

(المار ج ٢) (١٩) (المجلد الثالث عشر)

لعلوم الدين والدنيا في الدولة فلما لقيتها بعد ان عهد إلي وإيهما الصدر الاعظم بالمذاكرة شرحت المشروع لكل منها فصادفت منها منتهى الاصغاء والارتياح كنت ذكرت المشروع لمولانا شيخ الاسلام بالاجمال فاهتم به وقال لا بد لنا من تخصيص ليلة للبحث التفصيلي فيه ثم انه دعاني الى الطعام والسمر عنده قبل ان يعهد اليه الصدر الأعظم بالبحث معي في المشروع ثم تكلم في ذلك واتفق أن قابلت الصدر يوم موعد دعوة الشيخ فأخبرني بما عهد اليه - وذكر ذلك بلفظ الرجاء - وكان الشيخ قد دعا في تلك الليلة خالص افندي وكيل الدرس في المشيخة ليشاركنا في البحث . والمراد بوكيل الدرس مدير المدارس الدينية الذي ينظر في شئونها بالوكالة عن شيخ الاسلام الذي هو الرئيس العام لهذا القسم وغيره من اقسام باب المشيخة . وقد كان سبق لي الاجتماع بوكيل الدرس اكثر من مرة فرأيت في مقدمة علماء الترك علما وفضلا وهمة ومروءة وسعة اطلاع في الآداب العربية بل لم أرفي علماء العاصمة مثله في هذا ولما لقيته للمرة الاولى قال لي بعد التحية والثناء في حضرته الغاصة بالعلماء : لا تقول في مناركم كما قال ابو الطيب المتنبي

على لاحب لايهتدي بمناره

بل تقول ان مناركم بهتدي به العالم الاسلامي كله . وقد ذكرت الآن ما تفضل به مولانا شيخ الاسلام عند ما لقيته أول مرة في المنار، قال رفع الله منار العلم والدين على يده ولسانه : لاني أعني لو كان كل احد يعرف العربية لقرأ المنار . ولسان الشيخ حفظه الله قد صقل اللغة العربية باقامته زمنا طويلا في بلاد اليمن ، وقد استنسخ منها كتب نفيسة في العلوم الشرعية واللغة والتاريخ والادب لا يوجد لها نظير في الآستانة ولا في مصر فضلا عما دونهما من الامصار ، وله عناية عظيمة بنفائس الكتب فهو قد انفرد باطلاع لم يشاركه فيه احد ممن نعرف من علماء هذه البلاد ولا علماء مصر والشام كان بدء سمرنا بالفكاهات الادبية ثم اتقلنا الى البحث في المشروع فشرحت لها ولمن حضر السامر وسائله ومقاصده ، ومقدماته ونتائجه ، فرأيت الوجوه تندي تهلا ، والاسارير تبرق بشرا وسرورا ، ووافقني الشيخان حياهما الله تعالى ، وزادهما انصافا وكالا ، علي كل رأي رأيت ، وكل اقتراح اقترحت ، حتي خروج مدرسة دار

العلم والارشاد» من دائرة المدارس التي تحت رياستها، بحيث لا تكون تحت ادارتهما ولا مراقبتهما، على أننا لانستقي في ذلك عن الاستضاءة برأيهما المنير، والاستفادة من علمهما الغزير، ولكن بصفتها الشخصية، لا مكاتبتها الرسمية، ومن ثم وعدتهما باطلاع خالص افندي على نظام المدرسة الاداري وترتيب الدروس التي تقرأ فيها وعلى قانون الجمعية أيضا

وقد حدثني خالص افندي انه كان منذ سنين سمع من بعض فضلاء مسلمي روسية انني عازم على إنشاء هذه المدرسة الاسلامية العليا في مصر فسر بذلك سرورا عظيما ولما سافر الى الحجاز في آخر زمن الاستبداد عرج على مصر واراد أن يزورني متكررا ليتحدث معي في ذلك ولكنه بصر عن جنب بعين من عيون عبد الحميد «السلطان المخلوع» يتبعه أينما سار فكان هذا هو المانع له من الزيارة فهذه آية من آيات اغتباط هذا الاستاذ بهذا المشروع الذي هو خدمة عامة للاسلام والمسلمين تقوي رجاءنا في دوام مساعدته الثمينة له. واذكر له على سبيل الاستطراد خلقين آخرين من أعلام الاخلاق ولا سيما للعلماء وهما الانصاف والشكر وآيتهما انني زرته مرة فرأيتته ساخطا على ناظر الاوقاف خليل حماده باشا لتأخير اصلاح بعض المدارس التي يريد تنفيذ النظام الجديد للمدارس الدينية فيها، فقلت له ان هذا الناظر محب للاصلاح ولا يرضيه هذا التأخير وانا ذاهب الآن لمراجعته في ذلك وأضمن على همته ان يأمر في الحال بانجاز العمل. وقت من حضرته فركبت مركبة اوصلتني الى نظارة الاوقاف وذاكرت ذلك الناظر الحازم في ذلك فأمر من ساعته بالاسراع بانجاز اصلاح تلك المدارس وبلغ المشيخة ذلك. واني لم أرخالص افندي بعد ذلك في مكان إلا وكان يشكر لي ذلك ويحدث به الناس قائلا ان فلانا قد ساعدني في مسألة المدارس مساعدة عظيمة... وذكر هذا مولانا شيخ الاسلام وغيره. فما أئمن وأجل مساعدة من كان متخلقا بهذه الاخلاق ومتصفا بهذه الآداب!

ومن اطلع على حقيقة المشروع من أركان المشيخة الاسلامية الشيخان الجليلان ومن اصحاب الدرجة العليا في علماء العاصمة ولا سيما علوم العقول محمود أسعد

افندي ناظر الدقتر الخاقاني واسماعيل حقي افندي المناستري وموسى كاظم افندي كلاهما من الاعيان والمدرسين في المكاتب العالية — كل واحد من هؤلاء الاساطين قد اقرّ المشروع بل أعجب به كل الاعجاب فهو يعد من خير الاعوان والمساعدين عليه فان مشروعا دينيا كهذا المشروع لا يمكن تنفيذه في عاصمة السلطنة والخلافة اذا كان رؤساء العلماء واساطينهم معارضين له او غير راضين عنه

هؤلاء هم العلماء الاعلام الذين اسعدني التوفيق بلقاؤهم ومذاكرتهم في المشروع وصادفت عندهم من العناية والقبول فوق ما كنت اظن واكثرهم قد كمل ولاية الامور ورغبتهم في إنفاذه في الوزارة السابقة والوزارة الحاضرة

ومن ساعدني في هذا العمل بمجد وإخلاص الصديقان الفاضلان احمد نعيم بك بابان مدير المكاتب الرشدية بنظارة المعارف ويوسف ضياء بك في قلم الترجمة بنظارة الخارجية فهذا كان الترجمان يذني وبين الصدر الاعظم وغيره من الوزراء وله سعي آخر يشكر وان لم يذكر . واما احمد نعيم بك فمساعدته لا تقدر قيمتها ولا يستغنى عنها بسواها ، وان ما يرجى منه في المستقبل من المساعدة على التأسيس لأجلّ والكبر مما كان في الماضي من المساعدة على التمهيد، فأسأل الله عز وجل ان يكافي بكرمه وجوده جميع المساعدين ، ويوفقنا جميعا لخدمة الملة والدولة والدين ، ما له حيلة سوى حيلة العا جز لما توسل أو دعاء

واني ابشر قراء المنار في جميع ارجاء العالم الاسلامي بانه سيشرع في شهر ربيع الاول ، الذي ولد فيه المصلح الاعظم صلى الله عليه وسلم ، بتأسيس مدرسة (دار العلم والارشاد) العالية التي يتربى فيها المرشدون الذين يقفون نفوسهم على خدمة الدين من الطريق الذي يجمع بينه وبين العلم والمدنية الصحيحة ويدفع عنه الشبهات بحيث يجمع المسلمون بين حقوق الروح والجسد وحسني الدنيا والآخرة وربما ننشر في الجزء الآتي نظام هذه المدرسة العليا . واسرع الآن بذكر شئ منه: يتربى ويتعلم في هذه المدرسة طائفة من الطلاب على نفقة المدرسة فهي تنفق عليهم لا يكتفون طعاما ولا شرابا ، ولا لباسا ولا كتابا ، ومما يشترط فيهم أن يكون لهم المام باللغة العربية والنحو والفقه ، وأن تكون سببتهم حسنة في أخلاقهم

وأدابهم وعبادتهم . وسيكون من الشدة في المحافظة على الاخلاق والفضائل في المدرسة ان الكذب يكون موجبا للطرد منها . ويشترط فيها أيضا حفظ القرآن ولكن يتسامح في هذا الشرط الآن ويكون للمدرسة سنة تمهيدية لحفظ القرآن ولبعض العلوم والفنون التي تقرأ في المدارس الابتدائية . وادارة المدرسة هي التي تختار هذا القسم الداخلي من طلاب المدرسة وتفضل بعضهم على بعض بالامتحان

اللغة العربية في البلاد العثمانية

وأما مسألة العناية باللغة العربية وتقوية الرابطة بين الترك والعرب التي سميت لها سعيها منذ قدمت دار السلطنة فقد بلغني من الثقات أن رئيس الوزارة الحاضرة ابراهيم حقي باشا يقدرها قدرها ، ووعد بأن يهتم بها واني لم اوفق الى مذاكرته في ذلك بنفسني ولكنني ذاكرت غيره من أولي الشأن

وقد ذكرت جريدة العرب التي نشرت حديثا في العاصمة انه تقرر ان تكون اللغة العربية رسمية في الدولة كاللغة العثمانية بحيث يكون للدولة لغتان رسميتان وسمعت أكثر من واحد من الناس هنا يقولون ان هذا صحيح واستدل عليه بعضهم بوضع مبلغ من المال في ميزانية المعارف للسنة المالية القادمة لمعلمين للعربية وهو لا يدل عليه واني متبع لهذه المسألة وواقف على أطوارها فقد كانت النظارة تذاكرت في توظيف عشرة معلمين ثم في خمسة عشر معلماً للغة العربية ثم استقر الرأي على خمسة فقط سيعهد اليهم تعليم اللغة نفسها على اسهل الطرق الحديثة لصنفين من الناس احدهما بعض المرشحين للتعليم في المدارس وثانيهما بعض عمال الحكومة الذين يراد ارسالهم الى البلاد العربية لان الحكومة اقتنعت بان من لا يعرف لغة قوم لا يستطيع ان يقيم العدل والنظام فيهم واكثر المرشحين لاعمالها من الترك الذين لا يعرفون العربية فهي تريد أن تعلم هذه اللغة لمن تريد ان ترسلهم الى البلاد العربية . نعم ان في تعليم هذه اللغة لطائفة من المرشحين للتعليم في نظارة المعارف تمهيدا لتعليمها على وجهها وقد كان تعليمها مقررارسميا من زمن الاستبداد ولكنه لم يكن ينفذ بل كان ولا يزال يصعد إلى من لا علم لهم بهذه اللغة أن يكونوا مدرسين لها في مكاتب الدولة حتى في البلاد العربية فترى المعلم التركي او الادمني يعلم النحو العربي لا بناء العرب باللغة التركية !!!

المدارس الدينية في الآستانة

تألفت في العام الماضي لجنة من العلماء للنظر والبحث في إصلاح التعليم في المدارس الدينية الاسلامية وقد رغب اليّ الصدر الاعظم للوزارة الماضية أن أكون عضوا فيها وقال انه يكلم شيخ الاسلام في ذلك فاعتذرت لاسباب منها اني لم اكن اريد المكث في الآستانة اكثر من شهر . وقد أتمت هذه اللجنة عملها بهمة خالص افندي وكيل الدرس وكان من الاصلاح الجديد التوسع في اللغة العربية وفنونها وزيادة الفنون الرياضية والحكمة الطبيعية والتاريخ وتقويم البلدان . وقد سرأهل الآستانة سرورا عظيما بهذا الاصلاح . وقد احتفل بالشروع في هذا الاصلاح احتفالا حضره الصدر الاعظم وشيخ الاسلام وكثير من العلماء والوزراء والاعيان والمبعوثين فنسأل الله تعالى ان يوفق لانفاذه على وجهه المؤدي الى احياء علوم الدين والدنيا

الاسطول العثماني *

بالذي اجراك ياربج انخرامى
واجمي من كل دوض زهرة
وانشري رياك في ذاك الحى
ملك للشرق في ايامه
أيها القائم بالامر لقد
جرد الرأي فكم رأي اذا
وابعث (الاسطول) ترمي دونه
يكلأ الشرق ويرعى بقعة
وشغوراً هن أبهى منظرا
خصها الله بأفق مشرق .
حي يامشرق أسطول الاولى
ضربوا الدهر بسوط فاستقاما

(*) انشدنا محمد حافظ افندي ابراهيم لنفسه هذه القصيدة في الليلة الموسيقية التي احييت برعاية رؤف باشا المتمدن العثماني هنا ورياسة الامير محمد علي حليم ليخصص ربهما للاسطول العثماني

ملكوا البر فلما لم يسمع
 بجوار منشآت كالدمى
 كلما أوفت على أمواجه
 كان بالبحر إليها ظمأ
 فهي في السلم جوار تجتلى
 وهي في الحرب قضاء سابع
 ما يحوم الرجم من أبراجها
 من مراميها بأنكى موقعا
 وهي بركان اذا ما هاجها
 جبل النار لقد رعت الورى
 أنت في البر بلاء فاذا
 فاقوا الطود مكينا راسيا
 حملت حربا فكانت حقة
 خافها العالم حتى أصبحت
 بث المشرق من مرقده
 ايها الشرقي شمر لا تنم
 وامط العزم جوادا للعلی
 واذا حاولت في الافق مني
 لا تضق ذرعا بما قال العدى
 سابق الغربي واسبق واعتصم
 جانب الاطماع وانهج نهجه
 طلبوا من علمهم أن يعجزوا
 وأرادوا منه أن يرفعهم
 قتل الانسان ما أكفره
 أخرج الغيب الى أن برّه

مجدهم فالوا من البحر المراما
 اينما سارت صبا البحر وهاما
 سجد الموج خشوعا واحتشاما
 وعجيب يشتكي البحر الاواما
 تبهر العين رؤاء ونظاما
 يدع الحصن قللا ورجاما
 اثر عفريت من الجن ترمى
 لا ولا أقوى مراسا وغراما
 هائج الشر عدا وخصاما
 أنت في حالك لا ترعى ذماما
 ركب البحر غدا موتا وزواما
 واتفوا الطود اذا ما الطود عاما
 نذرا للموت يحتاج الاناما
 رسلا تحمل أمانا وسلاما
 بعد حين جل من يحجي العظاما
 وانفض العجز فان الجد قاما
 واجعل الحكمة للعزم زماما
 فاركب البرق ولا ترض الغماما
 رب ذي لب عن الحق تعامى
 بالمروءات وبالأس اعتصاما
 واجعل الرحمة والتقوى لزاما
 قادر الموت وأن يثنوا الحماما
 فوق هام الشهب في الغيب مقاما
 طاول الخالق في الكون وسامى
 سره بزا ولم يخش انتقاما

قوة الرحمن زينا قوى وافضي في بني الشرق الوثاما
افرغي من كل صدر حقه املا التاريخ والدنيا كلاما
اسأل الله الذي الهنا خدمة الاوطان شيئا وغلاما
ان اري في البحر والبر لنا في الوغي انداد (توجو) و (أوياما)

✽ كتاب النصائح الكافية ، لمن يتولى معاوية ✽

يلج علينا المتناظرون والمتعادون في هذا الكتاب من اهل سناغوره وجاوه بأن
نبدي رأينا فيه ويقولون في كتبهم اليانا منهم ينتظرون ذلك عاجلا . وظن بعضهم
أن ما كتب عنه على غلاف المجلة لنا وانه رأي غير صريح فطلبوا ما هو أصرح منه
وجوابنا للجميع أننا لم نجد فراغا قرا فيه الكتاب لنبدي رأينا فيه وانا قد سافرنا
إلى دار السلطنة في أواخر رمضان لأجل خدمة الاسلام بما هو اجل وافنع من
قراءة ذلك الكتاب وشغلنا بذلك عن كل شيء إلا كتابة مالا بد منه للنار وان
ذلك التقرىظ أو الاعلان ليس لنا وانما هو كسائر الاعلانات التي تنشر على غلاف
المجلة يكتبها مدير مكتبة الممار وانا ننصح للمختفين أن يتقوا العداء واتباع الاهواء
لأجل اختلاف الآراء ، فتعادي المسلمين ذنب اكبر وأضر من جرح معاوية
وتعديله وكنا تنسمنا أن سيكون لهذا التأليف فتنة عند ما أعلن المؤلف عزمه عليه
بعد أن وقع الخلاف هناك بينه وبين آخرين في لعن معاوية واستفتينا في المسألة
فأفتينا بعدم اللعن ، فان المؤلف يومئذ كتب اليانا يقول انه مخالف لنا فيما أفتينا به
وانه سيبين رأيه في كتاب حافل يوثقه ويطنعه . وأتذ كر أنني كتبت اليه ان من
رأني أن لا يفعل ولكنتي ما عاديته ولا أعاديه لانه خالفني في هذه المسألة وهو
لا يعاديني كذلك . وهذا هو الواجب على كل مسلم فقد نهينا عن التحاسد والتباغض
والتدابير وامرنا أن نكون اخوانا ، ولم يشترط المرشد الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم
في هذه الاوامر والنواهي أن نكون متفقين في كل مسألة لان هذا من المحال . فائقوا
الله أيها المسلمون في انفسكم وليعذر بعضكم من يخالفه وان جادله فليجادله بالتي
هي احسن ولا يجعله اقل من اهل الكتاب الذين نهينا أن نجادلهم الا بالتي هي
أحسن الا اذا ظلموا بالحرب والقتال ، ولا كلام لنا مع اهل السفه والطيش والضلال .

﴿ الى مشتركى المنار ﴾

كلمة شكوى

لقد رأينا من مطل كثير من المشتركين في السنين الاخيرة عجا ! ولئن كان قولنا يشمل كل بلد فيه مشتركون للمنار فانه موجه بنوع خاص الى مشتركى القطر التونسي الا قليلا منهم ، والى معظم مشتركى الجزائر . هؤلاء واولئك نكتب لهم في المجلة التذكير تلو التذكير فلا يبالون ولا يتذكرون ! حتى اننا في الآونة الاخيرة وضعنا لهم فقرة دائمة على غلاف المجلة ! وكتبنا لهم كتابات خاصة فيها بيان لما عليهم فلم يحقق أحد منهم لنا أملا ! وما كنا نحسب أن قارئنا يقرأ المنار وكله عظات ونذر وحث على التأمي بأسلافنا الكرام بأعمالهم — يسهل عليه ان يكون من أهل اللي والمطل ، والاعراض عن التذكير بأداء الحقوق !

اننا نعيذ أهل هذين القطرين أن يكونوا متعمدين لهذا السكوت الطويل الذي لم نستطع له تأويلا ، وحاشاهم أن يكونوا ممن يأكلون أموال الناس بالباطل وفيهم العلماء والقضاة والمحامون وكبار موظفي الحكومة ، وهؤلاء هم عنوان ارتقاء الامة وانموذج المجد فيها ، وانه ليسهل علينا ان نتلمس لهم في كل يوم عذرا دون أن نرميهم بمرجات الظنون ، فعسى أن يكونوا عند حسن ظننا بهم وأن تكون هذه الفقرة أخرى كلمات الشكوى منهم ، وأن يكون ما بعدها أولى كلمات الشكر لهم !

واننا لنأسف أن يصبح مشتركو روسيا ممن يشتكى منهم وهم الذين لم يذكروا في الماضي الا بالشكر والثناء ! فلقد مرت سنين ثلاث وكثيرون منهم لم يبعثوا الى ادارة المجلة بما عليهم ! هؤلاء هم الذين كنا نباهي بهم ونعد مسارعهم الى اداء الحقوق عنوانا على احتفاظهم بكثير من الفضائل الاسلامية ، ولقد يعز علينا أن يتزلزل اعتقادنا فيهم فاننا بننا في حيرة من امرهم ولا سيما بعد أن كتبنا لهم تذكرة في جريدة « وقت » التي تصدر في اورنبورغ مرتين فلم يزد ذلك أكثرهم الاعراضا وتصامما !

١٥٤ الى مشتركي المنار - كلمة شكوى . التاريخ الهجري الشمسي (المنار ج ٢ م ١٣)

وكذلك كانت الحال مع مشتركي جنوبي إفريقية والبرازيل والصين وبلاد فارس وفريق من مشتركي جاوة والهند وسنغافورة فلقد كتبنا اليهم مذكرتين ميتين لهم ما عليهم فلم تنفع الذكري الا الاقلين منهم !

ثم ما بال مشتركي السودان ارتضوا لانفسهم في العهد الاخير ما كنا نجلبهم عنه ؟ فلقد كانوا من افضل المشتركين وفاء ، واحسنهم اداء ، حتى اننا في السنين الماضية ما كنا نبعث لأحد منهم بتذكير خاص ، بل كان من عادهم المبادرة الى الارسال في اول شهر من شهور السنة ، وكنا نعد من جملة الشواغل الكثيرة في الحرم التوقيع على حوالات مشتركي السودان ! ولكنهم في هذا العام وفي العام الماضي خالفوا سنتهم المحمودة ، فبعثنا اليهم بكتوبات خاصة مطالبين لهم بما عليهم فلم يستجب لنا الا القليلون !

اما مشتركو مصر فما زلنا نحمدهم على اعتدالهم فلقد كانوا ولا يزالون على وتيرة واحدة : يتذكرون اذا ذكروا ، ويعطون اذا طولبوا ، ولكننا نشكون بعضهم ومن أهل الأقاليم ولا سيما مشتركي الوجه القبلي ومديرتي البحيرة والشرقية ومحافظات دمياط والسويس وبورسعيد ، فلقد مرت سنوات وهم لم يوثدوا الى المجلة حقاً ! فحسب ان يكون لهم اسوة حسنة بأهل العاصمتين مصر والاسكندرية

واما مشتركو سورية وفلسطين فهم من احسن الناس وفاء ، واننا نشكرلو كلاً مدنيهما الكلمة ، فانهم قد خدموا المنار أجل خدمة ، وعسى أن يكون مشتركو بيروت وطرابلس الشام وحصن الكراد وبغداد وجبل عامل ادوا ما عليهم للوكلاء ، ومن ليس لديهم وكلاء فليبعثوا الينا بما عليهم مباشرة فنكون لهم من الشاكرين هذا وان في كل ما ذكرناه من البلاد ناساً سباقين إلى الخيرات يبعثون بقبية اشتراك كل سنة قبل دخولها ، فإلى هؤلاء نوجه عاطر الشاء ، ونخصهم بالتقريظ والاطراء

حسين وصفي رضا

(التاريخ الهجري الشمسي) طبعت الكراسة الاولى من هذا الجزء وبقي فيها هذا التاريخ على ما كان عليه خطأ لأن سنة ١٢٨٥ تصرمت ودخلت سنة ١٢٨٦

الفصل السابع عشر (*)

(بين روح وروح)

أو

(بدء الوحي)

في « حراء » حدثت الحادثة الاولى من التأريخ الجديد الذي سنرى فيه بعل السيدة « خديجة » فائقا فواقا عظيما مدهشا : وهذه الحادثة العظمى التي هي مبدأ هذا التأريخ هي أن روح محمد (صلى الله عليه وسلم) اجتمع هناك في « حراء » بروح غير بشري وأبلغه هذا الروح الغريب رسالة شأنها عظيم

نحن في الفصل السابق ذكرنا من أمر الروح ما فيه كفاية ، ذكرنا فيه ما لعل القاريء ينشرح به صدره الى القول بوجود موجودات ذات حياة على أنواع شتى ولا يشترط في بعضها أن تكون لها أشباح كالأشباح البشرية . وهذا قد سبقنا البشر كلهم الى القول به ولم يشذ عنه الا قليل وم كلهم قائلون ان بين الروح الذي هو انسان وبين الارواح الاخرى اتصالات ، فأنا كاتب هذه السطور لست بمبتدع خبرا ليس له مثال بذكر هذه الحادثة التي قد يراها غريبة من يحبون التباعد عن الروحانيات ،

(*) تابع لما نشر في (ص ٦٤ م ١٣) من سيرة السيدة خديجة

ومن يؤمنون بها أحيانا ويكفرون بها أحيانا من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون

هذه حادثة عظيمة في السيرة التي نحن آخذون بتحريرها ، ونحن مقتنعون بوقوعها ، ولا يدعونا الى استماع هواجس المنكر الا الحرص على القيام بحسن المرافقة . فان كان المنكر ينكر عالم الروح من حيث هو فالحق أن حيلتنا البيانية معه قليلة ، ولكنني اظن أن محادثتنا اياه بهذه المسألة في الفصل السابق قد تجديده . وان كان ينكر العلاقة بين الروح الذي هو الانسان والارواح الأخرى فليس لنا ما تتوسط به الى ابلاغه هذا المشهد غير نفسه ، فليرجع اليها كثيراً وليدقق في حديثها جيداً . وان كان ينكر صدق محمد (صلى الله عليه وسلم) في تحديثه بهذه الحادثة مع أنه لا ينكر وقوع مثلها لغيره فالخطب في مذاكرته سهل

كان « محمد » صادقاً شديداً الحرص على الصدق واشتهر منذ حداثة بلقب « الأمين » ، قد عرفنا صدقه كما عرف الناس شجاعة أناس من الشجعان ، وكرم أفراد من الكرماء ، وعلم جماعة من العلماء ، وكما عرف بنو اسرائيل صدق الانسان موسى الذي كان قد سمع الكلام الآتي ، وظهرت له الارواح العلوية ، وكما عرف النصراني صدق الانسان عيسى الذي كان روحاً من الله ، وكما عرفوا صدق ثلاثيهم وأنصاره الذين حكوا حكايته وبشوا بشارته

هذا الصادق الأمين رجع ذات يوم من حراء مقتنع اللون ، مرتجف الصدر ، يعلوه اضطراب الوجل الحائر ، وخشوع المحبت الصابر ، فما وقع نظر السيدة « خديجة » عليه حتى عرفت أن أمراً عظيماً قد ألم به .

نخفق لا أول وهلة قلبها ، وساءلت بسرعة البرق نفسها : ماذا أصاب حبيبي ؟ ماخطب ذلك القلب الذي لا تقزعه الرجال ، ولا تجزعه الاهوال ؟ ما بال ذلك الصدر المبسوط تثنيه الرجفات ، وما بال ذلك الطرف القريب تكاد تبادره العبرات ؟ رباه ! رباه ! ماذا اصاب حبيبي ؟ قل لي أي الخيب ما ذا أصابك ؟ حنانيك قل لي ا قل لي !

— ذروني . ذروني

— لا صبر لي عن معرفة الامر الآن فقصه علي

— بينا أنا في حراء اذ جاءني روح فقال لي اقرأ قلت له « ما أنا بقارىء »

فأخذني وغطني غطة * وقال لي « اقرأ » قلت « ما أنا بقارىء » ثم غطني الثانية وقال لي اقرأ فقلت « ما أنا بقارىء » . قال لي : « اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الاكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم * »

— ألم تسأله من أنت ، ومن جاء بك ، وماذا تريد مني ؟

— سمعته يقول أنا جبريل جئت ابلك رسالة ربك

* *

هذه هي الاولى من الكلمات التي سمعها محمد (صلى الله عليه وسلم) من ذلك الروح الذي ظهر له باسم جبريل وهو من النوع المسمى ملائكة والآن قد فتح لصاحب « حراء ، بابان : باب حيرة جديدة وباب هدى ، فأما الحيرة فظاهرة يكاد يراها كل من سمع هذه الحادثة فان ظهور الارواح غير البشرية لافراد النوع الانساني ليس من المألوف ، فاذا صادف أحد

(*) ضمنى بشدة وضغط

الافراد شيئاً من هذا القليل لا يقوى طبعه البشري لأول وهلة على تحمل مواجهته والانس به . كل واحد منا يعرف هذا من مفاجأة الامور التي لم تكن تخطر في باله مع أنها من الامور التي تقع كثيراً فكيف الحال بالامور التي وقوعها نادر الى حد أن بعض الناس لا يصدق بوقوعها

انه ليخيل الينا أن صاحب « حراء » قد دهش لما سمع صوت ذلك الروح يناديه « اقرأ » ، يخيل الينا أنه قال في نفسه : رباه ما هذا الذي اسمع ؟ رباه ليس ههنا من بشر فهل يتكلم غير البشر ؟ رباه ماذا يراد بي ؟ انني أعلم أنني في نقطة لاني منام ، وانني اسمع كلاماً لا ريب فيه ، وانني أحس بضغوط يضغطني ولا عهد لي بمثل هذامن قبل ! رباه ان هذا أمر يدهش فكن اللهم عوني ، وخذ بيدي ، وثبت فؤادي ، وقوتي على مواجهته اذا عاودني .

نعم انه ليخيل الينا أن المفاجأة بذلك الروح هكذا كان يتناجى في نفسه ويناجي ربه بمثل هذه الكلمات وهو ذاهب الى خديجة فلما اقيها قال « دثروني دثروني » واختصر لها الحديث اختصاراً

دثرته « خديجة » وجعل المرق يتصبب منه . وقد عاوده الروح بعد ذلك . وقال له « يا أيها المذثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر * »

ان من يفاجأ بمثل هذا جدير بالحيرة وهذا ما أثرنا اليه هنا ولكن مع هذه المفاجأة قد أونس باسم ربه فكان هذا الاسم الجليل حرياً ان يكون دواء شافيا من تلك الحيرة وكافيا أن يفتح باب الهدى والطمأنينة

الروح «جبريل» يقول له أنا من عند ربك ، جئت أبلغك رسالته ،
جئت ألقى عليك وحيا من عنده ، وفي هذا الوحي الذي جاءه به مفتاح
لتلك المغالق التي اشرنا اليها آنفا التي كانت تقف أمامه دائما . في هذا الوحي
مبدأ ارشاد وتريف له بربه خالق الانسان ، في هذا الوحي اهاية بفكره
لتناول معارف عليا ، وتعاليم عظمى ، في حقائق الوجود

كانت الحيرة تردفها الحيرة . وأما هذه الحيرة فان الهدى يردفها
لأن العناية الالهية ظهرت أنم ظهور ، والعطاء الرباني سلّم جليا لتلك اليد
التي كانت مرفوعة في « حراء » تلقاء السماء

وكان أول معراج عرج بصاحب هذه اليد عليه الى تلك الحضرات
القدسية هو اعلامه علم اليقين بأرواح عالية تتكلم هي غير الارواح
الانسانية الحالة في هذه الصور البشرية وذلك بجمل واحد من هذه
الارواح واسطة بينه وبين مفيض الحياة والعلم والارادة

هذه عنابة كبيرة جدا لم يروا تاريخ وقوع مثلها الا لقليلين : منهم النبي
ابراهيم ، والنبي موسى ، والنبي عيسى (عليهم السلام)

يقول له الروح «جبريل» «اقرأ باسم ربك الذي خلق * خالق الانسان
من علق» فهذا القول العربي الجليل يصور له من النشأة المادية في خلق
الانسان صورة يتجلى فيها عظيم قدرة الباري المصور ، وعظيم ضعف
هذه الصورة البشرية لولا روح الله الممد لها

بقول له الروح «جبريل» «اقرأ وربك الاكرم * الذي علم بالقلم *
علم الانسان ما لم يعلم» وهذا القول المجيد يصور له من النشأة الروحية
في كون الانسان صورة يدesh الالباب فيها عظيم صنع الله في ترقية

الانسان بواسطة قصبة لا يؤبه لها لدى النظر . نعم بواسطة قصبة نفي بها القلم كان الرقي العظيم العقلي لهذا الكائن الذي خصت العناية الازلية نوعه بمزيد خصائص

وغريب في الامر أن المواجهة بهذا الخطاب لم يكن من ارباب اليراعة بل كان أميا لا يعرف القراءة ولا الخط بالقلم فما معنى أن يكون أول وحي يوحى اليه هو الامر بالقراءة والتنويه بالقلم لا بدع . لا بدع . ان معنى ذلك هو تكرم الله عز وجل على البشر باعطائهم آية أخرى يفقهون بها أنه قادر أن يعلم من لدنه بغير ما عرفوا من الوسائط من شاء ما شاء إذا شاء . وأن يجعل غير القارئ قارئاً ولكنه يقرئه بالروح صحفا ربانية قد أنزلها الله على قلوب البشر بأساليب شتى أجلها وأعلامها هذا الاسلوب



ما أجل هذه العناية وما أجدر « خديجة » بالسرور الذي ليس فوقه بها ولكن هل عرفت هذا السر الرباني تماما ؟ نعم كان قلبها القوي خليقا أن لا يفزع أمام هذه الحادثة التي هي غريبة في ظاهرها بيد أنها كانت محتاجة أن تطرق تفسير هذا السر وهذا المظهر الجديد من أبوابه



أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

خير الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

مصر الاحد ٣٠ ربيع الاول ١٣٢٨ - ١٠ ابريل (نيسان) ١٩١٠ م

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٢٣ : ٢٨) وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَدَّاهُ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ، فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَاغَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ، إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (٢٤ : ٢٩) وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ،

(المجلد الثالث عشر)

(٢١)

(التاراج ٣)

فَأَنكِحُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتَوْهُنَّ أَجُودَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ
غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَخَدِّاتٍ أَخْدَانٍ ، فَإِذَا أَحْصَنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ
بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ، ذَلِكَ لِمَنْ
خَشِيَ اللَّهَ فَمِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

في هاتين الآيتين بيان بقية ما يحرم من نكاح النساء وحل ماعداه وحكم نكاح
الإماء وما فصلناها عما قبلها إلا لأن من قسموا القرآن الى ثلاثين جزءا جعلوها
في أول الجزء الخامس وقدراعوا في هذا التقسيم المقادير من اللفظ دون المعنى وكان
المناسب للمعنى أن يجعلوا أول الجزء الخامس قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا
أموالكم بينكم بالباطل » كما هو ظاهر

فقوله تعالى ﴿ والمحصنات من النساء ﴾ عطف على ما قبله من المحرمات أي
وحرمت عليكم المحصنات من النساء ان تنكحوهن . والمحصنات جمع محصنة بفتح
الصاد اسم مفعول من « أحصن » عند جميع القراء وروي عن الكسائي كسرها في
غير هذا الموضع فقط وقيل لا يصح الفتح عنه . والإحصان من الحصن وهو المكان
المنيع المحمي ففيه معنى المنع الشديد ويقال حصنت المرأة (بضم الصاد) حصنا
وحصانة أي عفت فهي حاصن وحاصنة وحصان وحصناء (بالفتح فيهما) قال الشاعر:

حَصَان رَزَان مَأْتَرَنٌ بِوَيْةٍ وتصبح غرني من لحوم الغوافل

ويقال أحصنت المرأة اذا تزوجت لانها تكون في حصن الرجل وحمايته
ويقال احصنها أهلها إذا زوجها ومن شأن المتزوجة أن تحصن نفسها فتكتفي
بزوجها عن التطلع الى الرجال لاجل حاجة الطبيعة وتحصن زوجها عن التطلع الى
غيرها من النساء فعلى المرأة المعول في الإحصان حتى قبل ان لفظ المحصنة (بفتح
الصاد) اسم فاعل نطقت به العرب على خلاف عاداتها فقد روي عن ابن الاعرابي
أنه قال « كل أفعل اسم فاعله بالكسر الاثلاثة احرف : أحصن ، وأفنج اذا ذهب
ماله ، واسهب اذا كثر كلامه » وروي مثله عن الازهري . وعن ثعلب ان المرأة

العفيفة يقال لها محصنة (بفتح الصاد) ومحصنة (بكسر ها) وأما المرأة المتزوجة فيقال لها محصنة بالفتح لا غير . وجاهير السلف والخلف ومنهم أئمة الفقه المشهورون على أن المراد بالمحصنات هنا المتزوجات وقيل هن الحرائر وقيل عام في الحرائر والعفاف والمتزوجات . وقد يقال هن الحرائر المتزوجات وسيأتي عن الاستاذ الامام ما يرجحه . ولماذا قال « من النساء » وصيغة الجمع مغنية عن هذا القيد ؟ قال بعضهم النكته في ذلك تأكيد العموم ولم يرقوله كافيا وافيا وصرح بعضهم بعموض النكته في ذلك . قال الاستاذ الامام : قد استشكل ذلك المفسرون حتي روي عن مجاهد انه قال : لو كنت اعلم من يفسرها لي لضربت اليه أ كباد الإبل ، اي لسافر اليه وان بعد مكانه . وعندني ان هذا القيد يكاد يكون بديها فان لفظ المحصنات قد يراد به العفيفات او المسلمات فلو لم يقل هنا « من النساء » لتوهم أن المحصنات انما يحرم نكاحهن اذا كن مسلمات فأفاد هذا القيد العموم والإطلاق أي ان عقد الزوجية محترم مطلقا لافرق فيه بين المؤمنات والكافرات والحرائر والمملوكات فيحرم تزوج أية امرأة في عصمة رجل وحصنه

واما قوله تعالى ﴿ الا ما ملكت أيمانكم ﴾ فالجمهور على انه استثناء من المحصنات اي الا ما سبتم منهن في حرب دينية تدافعون فيها عن حقيقتكم ، او تؤمنون بها دعوة دينكم ، رأيتم من المصلحة ان لاتعاد السبايا الى ازواجهن الكفار في دار الحرب فعند ذلك ينحل عقد زوجيتهن ويكن حلالا لكم بالشروط المعروفة في الشريعة فقد روى مسلم من حديث ابي سعيد الخدري (رض) انه كان سبب نزول هذه الآية تخرج الصحابة من الاستمتاع بسبايا (أوطاس) واخرج الحديث ايضا أحمد وأصحاب السنن وفي هذه الروايات التصريح باشتراط الاستبراء بوضع الحامل حملها ، وحيض غيرها ثم طهرها ، وقد صرح بعض العلماء كالحنفية وبعض الحنابلة بأن من سبي معها زوجها لا ينحل لغيره فاعتبروا في الحل اختلاف الداردار الاسلام ودار الحرب . وبعضهم يقول ان اختلاف الدار لا دخل له في حل السبايا وإنما سببه أن من سبيت دون زوجها فانها إنما تحل للساني بعد استبراء رحمها للشك في حياة زوجها أي وعدم الطمع في لحوقه بها إن فرض أنه بقي حيا إلا على سبيل

الندور الذي لاحكم له . وهذا ينطبق على الحكمة العامة في حل الاستمتاع بالملوكات وهي انه لما كان الشأن الغالب ان يقتل بعض ازواجهن ويفر بعضهم الآخر حتى لا يعود الى بلاد المسلمين وكان من الواجب على المسلمين كفالة هؤلاء السبايا بالاتفاق عليهن ومنعهن من الفسق كان من المصلحة لهن وللبينة الاجتماعية ان يكون لكل واحدة منهن أو أكثر كافل يكفيها هم الرزق وبذل العرض لكل طالب ولا يخفى ما في هذا الاخير من الشقاء على النساء . فان قيل اليس الخير لهن ان يرجعن الى بلادهن فمن كان زوجها حيا عادت اليه ومن كان زوجها مفقودا تزوجت غيره أو كان شرفسقا على قومها ؟ قول ان الاسلام مافرض السبي ولا اوجبه ولا حرمه أيضا لانه قد يكون فيه المصلحة حتي للسبايا انفسهن في بعض الاوقات والاحوال ومنها ان تستأصل الحرب جميع الرجال من قبيلة محدودة العدد مثلا . فان رأى المسلمون ان الخير والمصلحة في بعض الأحوال ان ترد السبايا الى قومهن جاز لهم ذلك او وجب عملا بقاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد . وكل هذا اذا كانت الحرب دينية كما قيدنا فان كانت الحرب لمطامع الدنيا وحظوظ الملوك فلا يباح فيها السبي . وقد نبه على ذلك الاستاذ الامام وهذه عبارته في تفسير الآية :

المحصنات المتزوجات وما ملكت الايمان بالسبي في حرب دينية وأزواجهن كفار في دار الحرب ينفسخ نكاحهن ويحل الاستمتاع بهن بعد الاستبراء . فاذا قيل ان ما ملكت الايمان يشمل المملوكة المتزوجة في دار الاسلام وهي محرمة على سيدها ان يفترشها بالاجماع ! فالجواب ان العموم هنا مخصوص بالمسيات وسكت عن المملوكات المتزوجات لأن التزوج بالملوكات خلاف الاصل وهو مكروه في الشرع والذوق والعقل فهو كالتنبيه الى انه لا ينبغي أن يكون ولذلك شدد فيه كما يأتي ويزاد على هذا انه أمر لم يكن معروفا عند التنزيل . اهـ

أقول والذي تبادر إلي فهمي أن المراد بملك ايمانكم هنا نشوء الملك وحدوثه على الزوجية لأن الفعل الماضي في مقام التشريع لا يراد به الاخبار وانما يراد به الانشاء فالمعنى وحرمت عليكم المحصنات أي المتزوجات الا من طرأ عليهن الملك وانما يطرأ الملك على المتزوجة بالسبي بشرطه الذي أشرنا اليه وأما المملوكة التي زوجها سيدها

فالزواج فيها هو الذي طرأ على الملك بجعل المالك ماله من حق الاستمتاع الزوج . فاذا أخرجها المالك الذي زوجها من ملكه بنحو بيع أو هبة كان بائنا أو واهبا ما يملكه وهو ما عدا الاستمتاع الذي صار حق الزوج . وروي عن بعض الصحابة ومنهم ابن مسعود أن الملك الجديد يبطل نكاحها فتطلق على زوجها وتحل للملك الجديد عملا بعموم الآية . ويقال إن عليه جمهور الامامية ولولا ما اختاره الاستاذ الامام من عدم الاعتداد بزواج الامة حتى كأنه غير موجود وما يبينه من كون البائع أو الواهب إنما باع أو وهب ما يملك لكان هذا القول أرجح من مذهب جمهور أهل السنة الا من قال ان المحصنات هن ايم ذوات الازواج والعفيفات والحرائر ، وملك اليمين بعم ملك الاستمتاع بالنكاح والاستمتاع بالتسري ، والمعنى حينئذ : وحرمت عليكم كل أجنبية الا بعقد النكاح وهو ملك الاستمتاع أو بملك العين الذي ينבעه حل الاستمتاع . وروي هذا عن سعيد بن جبير وعطاء والسدي من مفسري التابعين وقهاتهم وعن بعض الصحابة أيضا واختاره مالك في الموطأ وفيه من التكلف ما ترى وأما اذا كانت الامة المتزوجة كافرة وسباها المسلمون بالشروط المتقدمة فبطلان نكاحها بالسبي أولى من بطلان نكاح الحرة به

ثم قال تعالى ﴿ كتاب الله عليكم ﴾ أي كتب الله عليكم تحريم هذه الانواع من النساء كتابا مؤكدا أي فرضه فرضا ثابتا محكما لا هوادة فيه لان مصلحتكم فيه ثابتة لا تتغير وسيأتي بيان ذلك في تفسير قوله تعالى « يريد الله ليبين لكم »

﴿ وأحل لكم ما وراء ذلكم ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم « وأحل » بضم الهمزة بالبناء للمفعول وهو المناسب في المقابلة لقوله « حرمت عليكم أمهاتكم » فيكون معطوفا عليه كما قال الزمخشري ، وقرأه الباقون بفتح الهمزة على البناء للفاعل فجعله الزمخشري معطوفا على « كتب » المقدرة الناصبة لقوله « كتاب الله » ترجيعا لجانب اللفظ ولا مانع من عطفه على « حرمت » ومن المعلوم بالبداهة أن المحرم هناك هو المحل هنا وهو الله عز وجل . والمراد بما وراء ذلك المين تحريمه هو ما لا يتناوله بلفظه ولا فخواه ، فهو لكونه لا يدخل فيه بنص ظاهر ، ولا قياس واضح ، جعل وراءه

خارجا عن محيط مدلوله وإفادته ، فالجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها ليس وراءه كما
اشرنا الى ذلك عند تفسير « وأن تجمعوا بين الاختين » وكذلك كون محرمات
الرضاع سبعا كمحرمات النسب

الاستاذ الامام : ذكر فيما مرأ كثر المحرمات من النساء وبقي من المحرمات
بالرضاعة غير الامهات والاخوات ومثل الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها وقد قال
انه أحل لنا ما وراء ذلك فربما يقال انه يدخل فيه ما ذكر آفا ونحوه من المحرم
إجماعا أو بنصوص أخرى كالمطقة ثلاثا والمشرقة والمرتدة ، والجواب ان بعض
ما ذكر يؤخذ مما تقدم فان الله تعالى قد ذكر من كل صنف من المحرمات بعضه
فدخل في الامهات الجدات وفي البنات بنات الاولاد الخ وبعضها يؤخذ من آيات
أخرى كتحریم المشرقات والمطقة ثلاثا على مطلقها في سورة البقرة . وقد يقال ان
ما ذكر هنا من المحرمات مجمل يمتنه السنة والسر في النص على ما ذكر انه كان واقفا
شائعا في الجاهلية فهو يعلمنا بالنص على الواقع ان لا تعرض الامور الوجودية وان
الامور المفروضة والمتخيلة لا ينبغي الالتفات لها ولا الاشتغال بها

وأقول ان هذا القول ينظر الى ما تقدم عن ابن جرير في تفسير « ولا تنكحوا
ما نكح آبائكم » فيكون مابعد هذه الآية من التفصيل بيانا لها في التحريم والتحليل
فلا يدخل فيه ما حرم لسبب آخر كتحریم المشرقة . وسواء كان ما ذكر شائعا في
في الجاهلية أم لا فقد بين الله تعالى لنا ههنا جميع ما يحرم علينا من انواع القرابة والرضاعة
والصهر وهو ما يحتاج اليه لذاته في كل زمان ومكان ولما قال بعد ذلك « وأحل لكم
ما وراء ذلكم » فهم منه انه يحل من هذه الانواع كل ما لا يتناوله لفظ المحرمات
بنص أو دلالة كبنات العم والخال وبنات العمه والخالة الخ ولا يدخل في عموم
حل ما حرم في نصوص أخرى لسبب عارض يزول بزواله كنكاح المشرقة والزانية
والمرتدة . مثال ذلك أن تقول للتعلم عند ما تقرأ له كتاب الطهارة لا تلبس ثوبا
متجسما ثم تقول له عند قراءة كتاب اللباس لا تلبس الحرير ولا المنسوج بالذهب
أو الفضة واللبس كل ما عداهما من الثياب فلا حرج عليك فيها . فهل تدخل في عموم
هذا القول الثوب المتجسس ؟ لا لا . ان اللفظ العام يتناول كل ما يسمح له السياق والمقام

أن يقنوله فاذا كان السياق في نوع له جنس أو أجناس بعضها أعلي من بعض فلا يفهم أحد من أهل اللغة خروج العام عن سياق النوع وتناوله جميع افراد الجنس السافل او العالي لذلك النوع فاذا قال صاحب البستان للفعلة الذين يقطعون الاشجار غير المثمرة لتكون خشبا لا تقطعوا الشجر الصغير واقطعوا كل ماعداه من الاشجار الكبيرة فانهم يفهمون ان مراده من الكلية افراد ذلك النوع من الشجر الكبير لا جنس الشجر الكبير الذي يعم المثمر . ومثل الثياب الذي اوردناه آفا اشبه بما نحن فيه

وقوله تعالى ﴿ أن تبتغوا بأموالكم ﴾ معناه احل لكم ماوراء ذلكم لاجل أن تبتغوه او ارادة أن تبتغوه أي تطلبوه بأموالكم او المعنى أحله لكم أن تبتغوه أي أحل لكم طلبه بأموالكم تدفعونها مهرًا للزوجة قيل أو ثمنًا للامة وهو يقتضي انه يجب قصد إحصان الامة كما يجب قصد إحصان الزوجة لقوله ﴿ محصنين غير مسافحين ﴾ فان الحال قيد للعامل وحذف مفعول محصنين ليفيد العموم اي محصنين أنفسكم ومن تطلبونها بأموالكم باستثناء كل منكما بالآخر عن طلب الاستمتاع المحرم فان الفطرة تسوق كل ذكر بداعية النسل الى الاتصال باثني وكل اثنى الى الاتصال بذكر ليزدوجا وينتجا والإحصان عبارة عن الاختصاص الذي يمنع هذه الداعية الفطرية أن تذهب كل مذهب فيتصل كل ذكر بأية امرأة واتته وكل امرأة بأي رجل واتاها بأن يكون غرض كل منهما المشاركة في سفح الماء الذي تفرزه الفطرة لإيثار اللذة على المصلحة فان مصلحة البشر ان تكون هذه الداعية الفطرية ساقطة لكل فرد من أفراد احد الجنسين لأن يعيش مع فرد من الجنس الآخر عيشة الاختصاص لتكوّن بذلك البيوت ويتعاون الزوجان على تربية أولادهما . فاذا انتفى قصد هذا الإحصان انحسرت طاعة الداعية الفطرية في قصد سفح الماء وذلك هو الفساد العام الذي لا تنحصر مصائبه في مجموع الامة . وهذه أمة فرنسا قد قلّ فيها النكاح وكثر السفاح بضغف الدين في عاصمتها (باريس) وامهات مدنها قتل نسلا ووقف نماؤها وفنك النساء ومسّن الرجال وضعفت الدولة فصارت دون خصمها

حتى اضطرت الى الاعتزاز بمخالفة دولة مضادة لها في شكل حكومتها ومدنيتها وهي الدولة الروسية ولولا الثروة الواسعة والعلوم الزاخرة والسياسة المبنية على اصول علم الاجتماع والعمران لاسرع اليها الهلاك كما أسرع الى الامم التي كنتمترفوها ففسقوا فيها فحق عليها القول الثابت في سنة الاجتماع فدمرها الله تدميراً ، وما اراها الا أول دولة تسقط في اوربا اذا ظل هذا الكفر والفسق على هذا النماء فيها

وقد خص بعض المفسرين قصد الاحصان بالرجال وخصه الاستاذ الامام بالنساء فقال معناه ان يقصد الرجل إحصان المرأة وحفظها أن يتألم أحد سواه لكن عفيفات طاهرات ولا يكون الزوج لمجرد التمتع وسفح الماء وارقته وهو يدل على بطلان النكاح الموقت وهو نكاح المتعة الذي يشترط فيه الاجل اه وقد علمت أن اللفظ يفيد العموم وهو الذي تقتضيه الحكمة وتم به المصلحة وانما بين الاستاذ ما قصر فيه غيره من المفسرين . ومعلوم ان الاحصان إنما يكون باعطاء المرأة حظها من الاستمتاع فيجب ذلك على الرجل ولا يحل له تعمد التقصير فيه ولا سيما اذا كان سبب ذلك الفسق فان في ذلك إفساد البيوت الذي يترتب عليه إفساد الامة . والفقهاء يقولون إنه لا يجب عليه لملاوكته ما يجب عليه من ذلك لزوجته وهم متفقون على انه يجب عليه منعها من الزنا فهل يكفي هذا المنع في إحصان الامة دون إحصان الزوجة أم يقولون ان شراء الاماء لاجل الاستمتاع لا يدخل في مفهوم قوله تعالى «وأحل لكم ماوراء ذلكم ان تبثقوا بأموالكم محصنين غير مسافحين» وإلا فكيف يصح قولهم ويكون موافقاً للنص ومنطقاً على حكمة الشرع ؟؟

الحق : ان الاسترقاق فيه مفاسد كثيرة وهو مناف لمحاسن الاسلام وحكمه العالية ولكنه قد كان مما عمت به البلوى بين الامم فلذلك لم يمنعه منها باتا ولكنه خفف مصائبه ومهد السبل لمنعه حتى اذا جاء وقت تقتضي فيه المصلحة العامة منعه مع عدم وجود مفسدة تعارض المنع وترجح عليه كان لا ولي الامر منعه فان المصلحة أصل في الاحكام السياسية والمدنية يرجع اليه في غير تحليل المحرمات أو إبطال الواجبات . وقد علمت ان محل اباحة الاسترقاق الحرب الدينية التي يماربنا فيها الكفار ونحاربهم لاجل ديننا كنمننا من الدعوة اليه أو إقامة شعائره وأحكامه وقد خير الله

تعالى أولي الامرنا في أمرى هذه الحرب بقوله (٤٧ : ٤ : فاما منّا بعد وأما فداء) اي فاما ان تمنوا عليهم وتطلقوهم فضلا وإحسانا وإما أن تأخذوا منهم فداء (حتى تضع الحرب أوزارها) قال البيضاوي اي آلاتها وأثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكرع اي حتى تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او مسلم اه والمسلم من لا يحارب المسلمين لاجل دينهم . فاذا جاز لنا ان نمن على الاسرى من الرجال المحاربين الذين يخشى ان يعودوا الى حربنا افلا يجوز لنا أن نمن على النساء اللاتي لا ضرر من إطلاقهن وقد يكون الضرر في استرقاقهن؟ وناهيك بالتنفير عن الاسلام ، وتأريث الفتن بين اهل وسائر الاقوام، فان ضرره في هذا الزمان فوق كل ضرر، ومفسدته شر من كل مفسدة

هذا ولا بد من التنبيه هنا الى مسألة يجهلها العوام ، وقدسكت عن بيان الحق فيها جماهير العلماء الاعلام ، ومرت على ذلك القرون لا الأعوام ، وقد سبق التنبيه اليها من قبل في المنار ، وهي ان الاسترقاق الشائع المعروف في هذا العصر والعصور غير شرعي سواء ما كان منه في بلاد السودان وما كان في بلاد البيض كبنات الشراكسة اللواتي كنّ يُبعن في الآستانة جهرا قبل الدستور وكلهن حرائر من بنات المسلمين الاحرار ومع هذا كنت ترى العلماء ساكتين عن بيعهن والاستمتاع بهن بغير عقد النكاح وذلك من اعظم المنكرات حتى لو سألت الفقيه عن حكم المسألة بعد شرحها له لافتاك بأن هذا الاسترقاق محرم إجاءا وربما قال لك وإن مستحل ذلك يكفر لأنه لا يعذر بالجهل وعلل ذلك بما يعللون به مثله وهو انه يجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة .

وقد ذكرت هذه المسألة لاحد اهل الآستانة وأنا أكتب هذا وسألته هل بقي لهذا الرقيق الباطل أثر هنا بعد الدستور؟ فقال نعم ولكنه خفي وغير رسمي ويقال انه يوجد في الحجاز أيضا ، وماذا يمكن ان نعمل وراء بيان حرمة هذا العمل وبراءة الاسلام منه

(فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة) الاستمتاع بالشئ هو (المنار ج ٣) (٢٢) (المجلد الثالث عشر)

التمتع او طول التمتع به وهو من المتاع اي الشيء الذي ينتفع به ومنه قوله تعالى « فاستمتعتم بخلاقكم » اي نصيبكم الخ الآية قال بعضهم ان السبن والتاء في استمتعتم للتأكيد ولا يجوز ان تكون للطلب الذي هو الغالب في معناها والصواب انه لا مانع يمنع من جعل الصيغة للطلب كما سألينه . والاجور جمع اجر وهو في الاصل الثواب والجزاء الذي يعطى في مقابلة شيء ما من عمل أو منفعة ثم خص بعد زمن التنزيل أو غلب فيما هو معلوم . والفريضة الحصة المفروضة اي المقدرة المحددة من فرض الخشبة اذا حزها وكانت العرب غير العرب من الناس ولا يزالون يقدرون الاشياء من المقاييس والاعداد بفرض الخشب . وأقرب شاهد عندي على هذا ما يفرض علي من ثمن اللبن كل صباح حيث اقيم الآن في القسطنطينية فبائع اللبن بلغاري وأصحاب البيت الذي اقيم فيه من الأرمين وهم الذين يشتررون لي منه ويفرضون كل يوم فرضا في خشبة وفي كل طائفة من الزمن بحاسبوني وبحاسبونه بهذه الفروض ويطلق الفرض والفريضة على ما أوجبه الله من التكاليف إيجابا حتما لان المفروض في الخشب يكون قطعيا لا محل للتردد فيه والمعنى فكل امرأة أو أية امرأة من اولئك النساء اللواتي أحل لكم ان تبتغوا تزوجهن بأموالكم استمتعتم بها أي تزوجتموها فأعطوها الأجر والجزاء بعد ان تفرضوه لها في مقابلة ذلك الاستمتاع وهو المهر وقد تقدم في تفسير « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » أنه ينبغي للزوج ان يلاحظ في المهر معنى أعلى من معنى المكافأة وال عوض فان رابطة الزوجية أعلى من ذلك بأن يلاحظ فيه معنى تأكيد المحبة والمودة . وأقول ان تسمية المهر هنا اجرا أي ثوابا وجزاء لا ينافي ملاحظة ما في الزوجية من معنى سكون كل من الزوجين الى الآخر وارتباطه معه برابطة المودة والرحمة كما بين الله تعالى ذلك في سورة الروم ، كما لا ينافي ما بينه في سورة البقرة من حقوق كل من الزوجين على الآخر بالمساواة (ص ٣٧٧ ج ٢ تفسير) ولكنه لما جعل للرجل على المرأة مع هذه المساواة في الحقوق درجة هي درجة القيامة ورياسة المنزل الذي يعمرانه والعشيرة التي يكوئانها بالاشتراك وجعله بذلك هو فاعل الاستمتاع اي الانتفاع وهي القابلة له والموانية فيه فرض لها سبحانه في مقابلة هذا الامتياز الذي جعله للرجل جزاء وأجرا تعطيب به نفسها ، ويتم به

العدل بينها وبين زوجها ، فالمهر ليس ثمنا للبضع ولا جزاء للزوجة نفسها وإنما سره وحكمته ما ذكرنا وهو واضح من معنى الآية مطابق للفظها جامع بينها وبين سائر الآيات وقد فتح الله عليّ به الآن ولم يكن خطر على بالي من قبل على وضوحه في نفسه

وهل يعطى هذا الأجر المفروض والمهر المحدود قبل الدخول بالمرأة أو بعده؟
إذا قلنا ان السين والتاء في « استمتعتم » للطلب يكون المعنى فمن طلبتم ان تتمتعوا وتنفعوا بتزوجها فأعطوها المهر الذي تفرضونه لها عند العقد عطاء فريضة أو حال كونه فريضة تفرضونها على انفسكم أو فرضها الله عليكم ، وإذا قلنا انها ليست للطلب يكون المعنى فمن تمتعتم بتزوجها منهن بأن دخلتم بها أو صرتم متمكنين من الدخول بها لعدم المانع بعد العقد فأعطوها مهرها عطاء فريضة أو افرضوه لها فريضة أو فرض الله عليكم ذلك فريضة لا هداية فيها ، أو حال كون ذلك المهر فريضة منكم أو منه تعالى . فالمهر يفرض ويعين في عقد النكاح ويسمى ذلك إيتاء واعطاء حتى قبل القبض يقولون حتى الآن عقد فلان على فلانة وأمهرها بألف أو اعطاها عشرة آلاف مثلا ، وكانوا يقولون أيضا فرض لها كذا فريضة ولذلك اخترنا ان الذي فرض الفريضة هو الزوج بتقديمه في التقدير ويؤيده قوله تعالى (٢ : ٢٣٦) ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة) وقوله (٢ : ٢٣٧) وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم) فالمهر يجب ويتعين بفرضه وتعيينه في العقد ويصير في حكم المعطى والعادة أن يعطى كله أو أكثره قبل الدخول ولا يجب كله الا بالدخول لأن من طلق قبل الدخول وجب عليه نصف المهر لا كله . ومن لم يعطه قبل الدخول يجب عليه إعطاؤه بعده . ومن قال من الفقهاء لا تسمع دعوى المرأة بمعجل المهر بعد الدخول لم يرد انه لا يجب لها أو انه يسقط بالدخول بل اراد ان هذه الدعوى على خلاف الظاهر المهود فيغلب ان تكون باطلة

(ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة) أي لا حرج ولا تضيق عليكم منه تعالى اذا تراضيتن بعد الفريضة على الزيادة فيها أو النقص منها أو حطها

كلها فان الغرض من الزوجية ان تكونوا في عيشة راضية ومودة ورحمة تصلح بها شوؤنكم ، وترتقي بها امتكم ، والشرع يضع لكم قواعد العدل ، ويهديكم مع ذلك

الى الاحسان والفضل ، ﴿ ان الله كان عليا حكيما ﴾ فيضع لعباده من الشرائع بحكمته ما يعلم ان فيه صلاح حالهم ما تمسكوا به ومن ذلك أن أوجب على الرجل ان يفرض لمن يريد الاستمتاع بها أجرا يكافئها به على قبول قيامه ورياسته عليها ثم اذن له ولها في التراضي على ما يريان الخير فيه لهما والائتلاف والمودة بينهما

هذا هو المتبادر من نظم الآية فانها قد بينت ما يحل من نكاح النساء في مقابلة ما حرم فيما قبلها وفي صدرها وبينت كيفيته وهو ان يكون بمال يعطى للمرأة وبأن يكون الغرض المقصود منه الاحصان دون مجرد التمتع بسفوح الماء . وذهبت الشيعة الى ان المراد بالآية نكاح المتعة وهو نكاح المرأة الى أجل معين كيوم أو اسبوع أو شهر مثلاً واستدلوا على ذلك بقراءة شاذة رويت عن أبيّ وابن مسعود وابن عباس (رض) و بالاخبار والآثار التي رويت في المتعة . فأما القراءة فهي شاذة لم تثبت قرآناً . وقد تقدم ان ما صحت فيه الرواية من مثل هذا آحاداً فالزيادة فيه من قبيل التفسير وهو فهم لصاحبه وفهم الصحابي ليس حجة في الدين لاسيما اذا كان النظم والاسلوب يأباه كما هنا فان المتمتع بالنكاح الموقت لا يقصد الإحصان دون المسافحة بل يكون قصده الاول المسافحة . فان كان هناك نوع ما من إحصان نفسه ومنعها من التقل في دمن الزنا فانه لا يكون فيه شيء ما من إحصان المرأة التي توجر نفسها كل طائفة من الزمن لرجل فتكون كما قيل

كرة حذفت بصوالجة فتلقها رجل ورجل

ثم إنه ينافي ما تقرر في القرآن بمعنى هذا كقوله عز وجل في صفة المؤمنين (٢٣: ٥) والذين هم لفروجهم حافظون ٦ الا على ازواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ٧ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون (اي المتجاوزون ما أحله الله لهم الى ما حرمه عليهم وهذه الآيات لا تعارض الآية التي نفسرهابل هي بمعناها فلا نسخ والمرأة المتمتع بها ليست زوجة فيكون لها على الرجل مثل الذي له عليها بالمعروف كما قال الله تعالى

وقد قل عن الشيعة انفسهم أنهم لا يعطونها احكام الزوجة ولوازمها فلا يعدونها من الأربع اللواتي تحل للرجل ان يجمع بينها مع عدم الخوف من الجور بل يجوزون للرجل ان يتمتع بالكثير من النساء . ولا يقولون برجم الزاني المتمتع اذ لا يعدونه محصنا وذلك قطع منهم بأنه لا يصدق عليه قوله تعالى في المستمتعين « محصنين غير مسافحين » وهذا تناقض صريح منهم ، ونقل عنهم بعض المفسرين ان المرأة المتمتع بها ليس لها ارث ولا نفقة ولا طلاق ولا عدة . والحاصل ان القرآن بعيد من هذا القول ولا دليل في هذه الآية ولا شبه دليل عليه البتة

وأما الاحاديث والآثار المروية في ذلك فمجموعها يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يرخص لاصحابه فيها في بعض الفزوات ثم نهام عنها ثم رخص فيها مرة أو مرتين ثم نهام عنها نهيا مؤبدا ، وأن الرخصة كانت للعلم بمشقة اجتناب الزنا مع البعد عن نسائهم فكانت من قبيل ارتكاب أخف الضررين فإن الرجل اذا عقد على امرأة خلية نكاحا موقتا وأقام معها ذلك الزمن الذي عينه فذلك أهون من تصديه للزنا بأية امرأة يمكنه ان يستميلها . ويرى أهل السنة ان الرخصة في المتعة مرة أو مرتين يقرب من التدرج في منع الزنا منعاً باتاً كما وقع التدرج في تحريم الخمر وكلتا الفاحشتين كانتا فاشيتين في الجاهلية ولكن فشوا الزنا كان في الاماء دون الحرائر . وروي عن بعض الصحابة أن الرخصة بالمتعة لم تنسخ أو ان النهي عنها انما كان في حال الإقامة والاختيار ؛ لافي حال العنت والاضطرار ، الذي يكون غالباً في الاسفار ، واشهر علماء الصحابة الذين كانوا يقولون به عبد الله بن عباس (رض) وقد روي أنه لما رخص فيها قال له مولى له : انما ذلك في الحال الشديدي وفي النساء قلة أو نحوه قال ابن عباس نعم . وعن ابن جبير انه قال قلت لابن عباس لقد سارت بفتياك الركبان وقال فيها الشعراء . قال وما قالوا ؟ قلت قالوا

قد قلت للشيوخ لما طال مجلسه يا صاح هل لك في فتوى ابن عباس
هل لك في رخصة الاطراف آتسة تكون مثواك حتى مصدر الناس
فقال سبحان الله ما بهذا افتيت ! وما هي الا كالميتة والدم ولحم الخنزير ولا تحل
الا للمضطر . فعلى هذا لا يمجيزها إلا لمن خشي العنت وعجز عن التزوج الذي مبنى

عقده على الدوام ورأى انه لا مفر له من الزنا الا بهذا الزواج الموقت . ورووا أن عليا كرم الله وجهه خطأ ابن عباس في رأيه هذا فرجع عنه ولكن ثبت في صحيح مسلم ان ابن عباس كان يقول بذلك في خلافة عبدالله ابن الزبير . وروى عنه الترمذي والبيهقي والطبراني أنها كانت في أول الاسلام كان الرجل يقدم البلد ليس له به معرفة فيتزوج المرأة بقدر ما يرى انه مقيم فتحفظ له متاعه وتصلح له شأنه حتى نزلت الآية (٢٣: ٦٠) الا على أزواجهم او ما ملكت أيمانهم (فكل فرج سواهما فهو حرام . وهذه الرواية معارضة بالروايات الصحيحة عند مسلم وغيره في ان التمتع كانت في أواخر سني الهجرة وبأن الآية التي أشار إليها مكية وبما هو معلوم في التأريخ من ان المسلمين في أول الاسلام لم يكن الرجل منهم يسافر الى البلد فيقيم فيه كما ذكر في الرواية فانهم كانوا مضطهدين معرضين للقتل أينما تقفوا ، نعم ان وقوع ذلك منهم ليس محالاً ولكنه خلاف الظاهر ولم ترد به رواية معينة عن أحد مع ان ظاهر العبارة انه كان شائناً . فعبارة هذه الرواية تم عليها وتشهد أنها لفتت في عهد حضارة المسلمين بعد الصحابة . فالانصاف ان مجموع الروايات تدل على إصرار ابن عباس (رض) على فتواه بالتمتع لكن على سبيل الضرورة وهو اجتهاد منه معارض بالنصوص ويقابله اجتهاد السواد الاعظم من الصحابة والتابعين وسائر المسلمين

والعمدة عند أهل السنة في تحريمها وجوه أولها ما علمت من منافاتها لظاهر القرآن في أحكام النكاح والطلاق والعدة إن لم تقل لنصوصه ، وثانيها الاحاديث المصروفة بتحريمها تحريماً مؤبداً الى يوم القيامة وقد جمع متونها وطرقها مسلم في صحيحه فمن احب الاطلاع على ذلك فليرجع اليه والى شرح النووي له وكذا شرح الحافظ ابن حجر للبخاري ، وثالثها نهي عمر عنها في خلافته واشادته بتحريمها على المنبر واقرار الصحابة له على ذلك وقد علم انهم ما كانوا يقرون على منكر وأنهم كانوا يرجعون اذا أخطأ ومنه ما مر قريباً في تفسير قوله تعالى « وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » (ص ٦٢ ج ٤ من التفسير) فقد خطأته امرأة فرجع الى قولها واعترف بخطأه على المنبر ومثل هذا ينقض قول من يقول من الشيعة إنهم سكتوا تقية . وقد تعلقوا بما ورد في بعض الروايات من قول عمر (رض) « انا محرمها » فقالوا إنه حرمها من قبل نفسه ولا يفتد

بتحريمه ولو بني ذلك على نص لذكره . وأجيب عن ذلك بأنه أسند التحريم الى النبي صلى الله عليه وسلم كما في رواية ابن ماجه وابن المنذر والبيهقي فيظهر أن من روى عنه ذلك اللفظ رواه بالمعنى فان صح انه لفظه فعناه أنه مبين تحريمها أو منفذ له . وقد شاع عند الفصحاء والعلماء اسناد التحريم والایجاب والاباحة الى ميين ذلك فاذا قالوا : حرم الشافعي النبيذ وأحلّه أو أباحه أبو حنيفة . لم يعنوا انها شرعا ذلك من عند انفسهما وانما يعنون أنهم ينوّه بما ظهر لهم من الدليل . وقد كنا قلنا في محاورات المصلح والمقلد ، التي نشرت في المجلدين الثالث والرابع من المنار ان عمر من المتعة اجتهدا منه واقفه عليه الصحابة ثم تبين لنا ان ذلك خطأ فنستغفر الله منه . وانما ذكرنا ذلك على سبيل الشاهد والمثال ، لا التمهيص للسألة على طريق الاستقلال ،

وتقول الشيعة إن لديهم روايات عن آل البيت عليهم السلام قاطعة بإباحة المتعة . ولم نطلع على هذه الروايات واسانيدنا لنحكم فيها فأين هي ؟ ولكن ثبت عندنا ان إمام أئمة آل البيت عليا كرم الله وجهه حرم المتعة مع المحرمين لها من الصحابة رضوان الله عليهم ويقول بعض الغلاة في التعصب منهم اننا لا قبل هذه الرواية عنه لانها رواية الخصم ولان شيعته أعلم بأقواله . ويحجب أهل السنة عن مثل هذا الكلام بأنه تمويه ومغالطة فان المسألة ليست من الاصول التي كانت الشيعة بها شيعة وأهل السنة هم أهل السنة وانما هي من أحكام الفروع العملية التي بهم كل مسلم ان يجرّد الرواية فيها عن علماء الصحابة ولا يشك أحد من أهل السنة في كون علي في مقدمتهم . ثم إن رواية الاحاديث المدونة في دواوين أهل السنة المشهورة قسما منهم الاولون الذين لم يكونوا يلتزمون مذهبا فيتموها بتأييده بالروايات وانما يتبعون ما صحت روايته عندهم فالرواية هي الاصل والى ما صح منها يذهبون ، ومنهم الذين كانوا متبعين للمذاهب بعد حدوثها وقد كان عدولهم يروون ما يوافقها وما يخالفها لأنهم يدينون الله بالصدق في الرواية ويكفون الى فقهاءهم بيان معناها وترجيح المتعارض منها بل لم يمتنعوا عن رواية بعض الاحاديث التي لا تخلو من طعن في بعض أصول الدين التي لا تختلف فيها المذاهب . فعدالة الرواة هي العدة فيرجع فيها الى قواعد الجرح والتعديل وتراجم الرجال وتمحيص ما قيل

في جرحهم وتعديهم . ولا يستطيع احد ان ينكر ان المذاهب كانت سببا للوضع والكذب في الرواية وان قد الرواة المقلدين هو أهم مسائل هذا الفن ولكن مسألة المتعة لم تكن في عصر الرواية من هذا الباب . وقد عدل المحدثون من أهل السنة كثيرا من الشيعة في الرواية ، ولا سعة في التفسير لهذه المباحث بل أخشي أن أكون خرجت بهذا البحث عن منهاجي فيه وهو الاعراض عن مسائل الخلاف التي لا علاقة لها بفهم القرآن والاهتداء به ، وعن الترجيح بين المذاهب الذي هو مثار تفرق المسلمين وتعاديهم ، على اني أبرأ الى الله من التعصب والتعيز الى غير ما يظهر لي انه الحق والله عليم بذات الصدور . وقد بدأت بكتابة هذا البحث وانا انوي ان لا أكتب فيه الا بضعة اسطر لاني لا أريد تحرير القول في الروايات هنا وليس عندي حيث اكتب شيئا من كتب السنة فأراجعها فيه ولكن ما كتبه هو صفوتها وصفوة مآقالوه فيها ، فان اطلعنا بعد ذلك على روايات أخرى للشيعة بأسانيدها فرما نكتب في ذلك مقالا نمحص فيه ما ورد من الطريقين ونحكم فيه بما نعتقد من قواعد التعارض والترجيح وننشر ذلك في المنار

هذا وان تشديد علماء السلف والخلف في منع المتعة يقتضي منع النكاح بنية الطلاق وان كان الفقهاء يقولون ان عقد النكاح يكون صحيحا اذا نوى الزوج التوقيت ولم يشترطه في صيغة العقد ولكن كتماننا اياه يعد خداعا وغشا وهو اجدر بالبطالان من العقد الذي يشترط فيه التوقيت يكون بالتراضي بين الزوج والمرأة وولها ولا يكون فيه من المفسدة الا العيب بهذه الرابطة العظيمة التي هي اعظم الروابط البشرية ، واثير التنقل في مراتع الشهوات بين الذواقين والذواقات ، وما يترتب على ذلك من المنكرات ، وما لا يشترط فيه ذلك يكون على اشتماله على ذلك غشا وخداعا يترتب عليه مفسدات أخرى من العداوة والبغضاء وذهاب الثقة حتى بالصادقين الذين يريدون بالزواج حقيقة وهو احصان كل من الزوجين للآخر واخلاصه له وتعاونهما على تأسيس بيت صالح من بيوت الامة

ومن لم يستطيع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم

من فتياتكم المؤمنات في الاستطاعة ان يكون النسيء في طوعك لا يتعاصي على قدرتك وهو اوسع من الاطاقة ، والطول الغنى والفضل من المال والحال او القدرة على تحصيل المطالب والרגائب ، والمحصنات فسرت هنا بالحرارة خاصة بدليل مقابلتها بالفتيات ومن الاماء والحرية كانت عندهم داعية الاحصان والبقاء شأن الاماء قالت هند للنبي (ص) او تزني الحرة؟ وفي التعبير عنهن بهذا اللقب إرشاد إلى تكريمهن فان الفتاة تطلق على الشابة وعلى الكريمة السخية كأنه يقول لا تعبروا عن عبيدكم وإمائكم بالالفاظ الدالة على الملك بل بلفظ الفتى والفتاة المشعر بالتكريم ، ومن هنا اخذ مبلغ القرآن ومبينه صلى الله عليه وآله وسلم قوله « لا يقولن احدكم عبيدي أمي ولا يقل المملوك ربي ليقول المالك فتاي وفتاتي وليقل المملوك سيدي وسيدتي فانكم المملوكون والرب هو الله عز وجل » رواه الشيخان وفيه إجماع أيضا الى زيادة تكريم الارقاء اذا كبروا في السن بتقليل الخدمة عليهم أو إسقاطها عنهم

والغني ومن لم يستطع منكم طولا في المال او الحال لنكاح المحصنات او من لم يستطع استطاعة طول او من جهة الطول نكاح المحصنات اللواتي أحل لكم ان تبتغوا نكاحهن بأموالكم وأمرتم أن تقصدوا بالاستمتاع والاتقاء بنكاحهن الإحصان لمن ولا أنفسكم فلينكح امرأة من نوع ما ملكتم من فتياتكم أي إمائكم المؤمنات . وهذا يؤيد ما قررناه تبعا لجمهور السلف والخلف من كون الاستمتاع في الآية السابقة هو النكاح الثابت ، لا المتعة التي هي استئجار عارض ، وتقديم ان الاستمتاع بالاتقاء ومنه قوله (ص) للرجل الذي شكاه من امرأته ولم تسمح لنفسه بطلاقها « فاستمتع بها » رواه ابو داود والنسائي ، ولو كانت تلك الآية تميز المتعة بالحرارة لما كان لوصل هذه الآية بها فائدة وأي امرىء لا يستطيع المتعة لعدم الطول حتى يتزوج الأمة فيجعل بها نسله مملوكا لمولاه ؟ فان قيل انه ربما لا يستطيعها لعدم رغبة النساء فيها لانها من العار . قلنا ان صح ان هذا من عدم استطاعة الطول فهو لا يفيد هذا القائل لان سبب عدم المتعة عارا في الغالب هو تحريمها ومن لا يحرمها كالشيعة

فإنما يبيحونها في الغالب اعتقادا وجدلا ، لا استحسانا وعملا ، فكأنها محرمة عليهم بالفعل لغلبة شعور سائر المسلمين واعتقادهم في ذلك عليهم ، ولا شك ان عار الزنا المطلق اشد عندهم وعند سائر الناس من عار المتعة وقلما يتركه أحد لعدم استطاعة الطول وإنما يتركه من يتركه تدينا في الغالب وخوفا من الامراض التي تنشأ منه عند بعض الناس . ومن قدر على الزنا كان على المتعة أقدر . ومن الغفلة ان تقيد الاحكام بعادات بعض الناس واحوالهم الاجتماعية لتوهم ان كل الناس كذلك في كل زمن حتى زمن التشريع

الاستاذ الامام : فسروا الطول هنا بالمال الذي يدفع مهرا وهو تحكم ضيقوا به معنى الكلمة وهي من مادة الطول بالضم فمعناها الفضل والزيادة ، والفضل يختلف باختلاف الاشخاص والطبقات وقد قدر بعضهم (كالحنفية) المهر بدراهم معدودة فقال بعضهم ربع دينار وقال بعضهم عشرة دراهم وليس في الكتاب ولا في السنة مايؤيده بل ورد أن النبي (ص) قال لمريد الزواج « التمس ولو خاتما من حديد » (رواه البخاري بلفظ تزوج ولو بخاتم من حديد وهو في الصحيحين والسنن) وروي ان بعضهم تزوج بتعليم الزوجة شيئا من القرآن مهرا (والحديث في الصحيحين والسنن وهو الذي أمره النبي بالتمس خاتم الحديد) وتزوج بعضهم بنعلين (واجازه النبي (ص) صححه الترمذي) ولم يقيد السلف المهر بقدر معين . وتفسير الطول بالفي لا يلائم تحديد المحددين فانه لا يكاد احد يجد امة يرضي أن يزوجها سيدها باقل من ربع دينار او عشرة دراهم او نعلين . وفسره أبو حنيفة - أوقال بعض الحنفية - بأن يكون عنده حرة يستمتع بنكاحها بالفعل ، اي ومن لم يكن منكم متزوجا امرأة حرة مومنة فله ان يتزوج امة فخالصه عدم الجمع بين الحرية والامة (قال) والطول أوسع من كل ما قالوه وهو الفضل والسعة المعنوية والمادية فقد يعجز الرجل عن التزوج بحرة وهو ذوالمال يقدر به على المهر المعتاد لنفور النساء منه لعب في خلقه او خلقه وقد يعجز عن القيام بغير المهر من حقوق المرأة الحرة فان لها حقوقا كثيرة في النفقة والمساواة وغير ذلك وليس للامة مثل تلك الحقوق كلها ، فققد استطاعة الطول له صور كثيرة . والمؤمنات ليس بقيد في الحرائر ولا في الإماء أيضا وان

قبل به وإنما هو لبيان الواقع فانه كان نكاح المشركات في سورة البقرة
وهن اولئك الوثنيات اللواتي لا كتاب لقومهن وسكت عن نكاح الكتايات والنهي
عن نكاح المشركات لا يشملهن (كما تقدم في تفسير سورة البقرة ص ٣٥٥ ج ٢
تفسير) فكان الزواج محصورا في المؤمنات فذكره لأنه الواقع اي ولائهم
لم يكونوا معرضين لنكاح الكتايات ثم صرح بحل زواجهن في سورة المائدة وهي
قد نزلت بعد سورة النساء بلا خلاف . وفي الوصف بالمؤمنة إرشاد الى ترجيحها
على الكتاية عند التعارض

أقول في هذا أحسن تخرج وتوجيه لما عليه الحنفية وهم يبنونه على عدم الاحتجاج
بمفهوم الشرط ومفهوم اللقب والا فظاهر الشرط أن من قدر على نكاح الحرة المؤمنة
لا يحل له أن ينكح الامة المؤمنة بله غير المؤمنة . وظاهر وصف الفتيات بالمؤمنات
أنه لا يحل نكاح الامة غير المؤمنة . وقد أحل الله في سورة المائدة نكاح
المحصنات من الذين أوتوا الكتاب وهن الحرائر في قول مجاهد وغير واحد من
مفسري السلف وقال غيرهم هن العفاف وعلى هذا تكون آية المائدة دليلا على أن
الوصف هنا لا مفهوم له أو ناسخة لمفهومه أو مخصصة لعمومه أن قلنا انه عام وسيأتي
انه خاص . وعندني أن مفهوم الصفة تارة يكون مرادا وقارة لا يكون مرادا فاذا قلت
وزع هذا المال أو نسخ هذا الكتاب على طلاب العلم الفقراء . تعين أن لا يوزع
على الاغنياء منهم شيء منه . لان الصفة مقصودة لمعنى فيها كان هو سبب العطاء واذا
قلت وزع هذه الدراهم على الخدم الواقفين بالباب جاز أن يعطى منها للواقف منهم
والقاعد لان الصفة ههنا ذكرت لبيان الواقع المعتاد لا للمعنى في الوقوف يقتضي العطاء .
فبالقرآن تعرف الصفة التي يراد مفهومها والصفة التي لا يراد مفهومها . وقد يقال إن من
القرينة على اعتبار مفهوم الوصف بالمؤمنات هنا انه لم يكن عندهم في مقابلته الا المشركات
وهن محرمات بنص آية البقرة فلولا القيد هنا لتوهم نسخ ذلك التحريم . ولم يذكر
مثل هذا القيد في قوله تعالى « والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم » ففهم منها
أن المسييات المشركات حلال فاستمتعوا بهن يوم أو طامس فاللفهوم هنا خاص
بالمشركات والصواب أن المشركات المحرمات في آية البقرة هن مشركات العرب

كما رواه ابن جرير عن بعض مفسري السلف فحرم نكاحهن حتي يؤمنن لان للاسلام سياسة خاصة بالعرب وهي عدم إقرارهم على الشرك ليكونوا كلهم مسلمين . وأما اهل الكتاب فانه يقرهم على دينهم ويرضى من الداخلين في ذمة المسلمين منهم ان يؤثروا الجزية ولذلك اجاز للمسلمين في موادتهم ان يواكلوهم ويتزوجوا منهم وكذلك أقر المجوس على دينهم ومن كان مثلهم فله حكمهم كالبراهمة والبوذيين والله اعلم وأحكم

ويدل على اعتبار مفهوم الصفة ايضا قوله تعالى ﴿ والله اعلم بايمانكم بعضكم

من بعض ﴾ فهو يبين أن الايمان قد رفع شأن الفتيات المؤمنات وساوى بينهن وبين الاحرار والحرار في الدين وهو اعلم بحقيقة هذا الايمان ودرجات قوته وكاله فرب أمة أكمل إيماناً من حرة فتكون افضل منها عند الله تعالى أي فلا يصح مع هذا ان تعدوا نكاح الامة عارا عند الحاجة اليه فأنتم أيها المؤمنون أخوة في الايمان بعضكم من بعض كما قال تعالى (٣ : ١٩٥) فاستجاب لهم أني لأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) وقال (٩ : ٧٢) والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) وقال في غيرهم (٩ : ٦٨) المناقون والمنافقات بعضهم من بعض) الخ وقيل بعضكم من بعض في النسب وهو ضعيف كما ترى فالإيمان هو المراد اذ لا ينبغي للمؤمن ان ينكح من اجتمع فيها قصص الشرك ونقص الرق

﴿ فانكحوهن باذن اهلن ﴾ أي فاذا رغبتم في نكاحهن لما رفع الايمان من شأنهن فانكحوهن باذن اهلن . قالوا إن المراد بالاهل هنا الموالى المالكون لهن . وقال بعض الفقهاء المراد من لهم ولاية التزويج ولو من غير المالكين فلا بل أو الجد أو القاضي أو الوصي تزويج أمة اليقيم وفي هذه المسائل تفصيل وخلاف في الفقه والمراد هنا ان الامة كالحرّة في تزويج أولياتها لها وعدم تزويجها بنفسها بل هي أولى من الحرّة في الحاجة الى إذن أولياتها . والظاهر أنه لا بد بعد رضا المولى بتزويجها من تولي وليها في النسب للعقد ان كان والا فالمولى أو القاضي يتولى ذلك

﴿ وآتوهن أجورهن بالمعروف ﴾ أي واعطوهن مهرهن التي تفرضونها لهن فلمهر حق للزوجة على الزوج وان كانت أمة فهو لها لاملولها وبذلك قال مالك

وخالفه أكثر الفقهاء وأولوا الآية بأن المراد وآتوا أهلن أجورهن على حذف مضاف أو بأن قيد باذن أهلن معتبر هنا وذلك ان هذا المهر عندهن هو حق المولى لانه بدل عن حقه بالاستمتاع . ومن يقول ان المهر لها لا ينكر ان الرقيق لا يملك لنفسه وكون ملكه لسيده وانما يرى أن المهر هو حق الزوجة تصلح به شأنها ويكون تطبيقا لنفسها في مقابلة رياسة الزوج عليها فان شاء سيد الامة التي يزوجها أن يأخذ منها بحق الملك فعل ، وان شاء أن يتركها لها تصلح به شأنها فهو الافضل والاكمل ، ويمكن أن يقل أيضا اذا عرف من الشرع أن الله تعالى جعل للرقيق أن يملك لنفسه شيئا معينا كملك الامة المتزوجة لمهرها فمن يستطيع أن يمنح ذلك برأيه أو قواعد فقهه ؟ والمولى مخير مع خضوعه لحكم ربه ان شاء أن يزوج أمته بل فئاته بغير عوض مالي مكتفيا بما قدره له الفقهاء من امتلاك ذريتها وان شاء طلب من الزوج عوضا ماليا وهذا هو الذي اعتقده . وقوله تعالى بالمعروف جملة بعضهم متعلقا بإتياء الاجور وبعضهم بقوله فانكحوهن أي وما عطف عليه والمراد المعروف ينكم في حسن التعامل ومهر المثل واذن الامل ، وقال الاستاذ الامام إتياء الاجور بالمعروف معناه بالمتعارف بين الناس ولم يقل هنا كما قال في الحرائر « فريضة » لان المودة فيه أخف والامر اهون والتساهل في اجور الاماء معهود بين الناس . ولا إشكال في إعطائها المهر مع كونها لا تملك لان المملوك يقبض وان كان لا يملك وقد نقل ابو بكر الرازي عن بعض أئمة المالكية - أو قال اصحاب مالك - ان السيد اذا زوج جاريته فقد جعل للزوج ضربا من الولاية عليها لا يشاركه هو فيه فأتأخذ من الزوج يكون في مقابلة ما أسقط السيد حقه منه فلا يكون له حظ منه بل يكون لها وحدها وهذا هو الصحيح

وقوله تعالى ﴿ محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان ﴾ قيد لقوله فانكحوهن أو لقوله وآتوهن أجورهن وعلى الاول يكون المراد بالمحصنات العفاف وعلى الثاني يكون معناه المتزوجات أي أعطوهن أجورهن حال كونهن متزوجات منكم لاستأجرات للبقاء جهرا وهن المسافحات ، ولا سرا وهن متخذات الاخدان

فالخدن هو صاحب يطلق علي الذكر والاثني وكان الزنا في الجاهلية على قسمين سر وعلانية وعام وخاص فالخاص السري هو ان يكون للمرأة خدن يزني بها سرا فلا تبذل نفسها لكل أحد ، والعام الجهري هو المراد بالسفاح كما قال ابن عباس وهو البغاء وكان البغايا من الاماء وكن ينصبن الرايات الجمر تعرف منازلهن . وروي عن ابن عباس ان أهل الجاهلية كانوا يحرمون ما ظهر من الزنا ويقولون إنه لوئم ، ويستحلون ما خفي ويقولون لا بأس به ، ولتحريم القسمين نزل قوله تعالى « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » والمراد بتحريمهم زنا العلانية استباحه وعد من يأتيه لثيما . وهذان النوعان من الزنا معروفان الآن وقاشيان في بلاد الافرنج والبلاد التي تقلد الافرنج في شرور مدينتهم كمصر والآستانة وبعض بلاد الهند . ويسمي المصريون الخدن بالرفيقة والترك يطلقون لفظ الرفيقة على الزوجة ومثلهم التتر في روسيا فليتنبه لهذا العرف . ومن هؤلاء الافرنج والمتفرنجين من هم كأهل الجاهلية يستحسنون الزنا السري ويبيحونه ، ويستقبحون الجهري وقديمغونه ، ومنهم من هم شر من الجاهلية لانهم يستبيحون الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولكن المنسويين الى الاسلام منهم يستبيحونها بالعمل دون القول !! ومن هؤلاء من تخدعه جاهليته فتوهمه انه يكون على بقية من الدين اذا هو استباح الفواحش والمنكرات بالعمل فواظب عليها بلاخوف من الله ولاحياء ، ولالوم من النفس ولاتوبيخ ، بشرط ان لايقول هي حلال !! وقد أنكر أحد الامراء مرة على بعض الفقهاء قوله في بعض صور المعاملات انها ليست من الربا وقال انني أنا آكل الربا لأنكر ذلك ولكنني مسلم لا اقول انه حلال !! فكان الاسلام قد جاء يعلم الناس ان يعترفوا بأنه حرم الفواحش والمنكرات من غير ان يجتنبوها . وبأنه فرض الفرائض واستحب المستحبات من غير ان يؤدوها ، ويجهل هؤلاء الضالون ان غير المسلمين يقولون ايضا ان الاسلام حرم هذه المحرمات ، وأوجب تلك الواجبات ، فهل صلحت بذلك نفوسهم واحوالهم الاجتماعية وصاروا أهلا لرضوان الله وثوابه ؟

وجملة القول انه تعالى فرض في نكاح الاماء مثل ما فرض في نكاح الحرائر من الاحصان وتكميل النفوس بالعفة لكل من الزوجين واختلف التعبير في الموضعين

فقال في نكاح الحرائر « محصنين غير مسافحين » لأن النساء الحرائر عامة والابكار منهن خاصة أبعد من الرجال عن الفاحشة فلما كان الرجال أكثر تعرضا لخدش العفة ، واثقيادا لطاعة الشهوة ، وكانوا مع ذلك هم الطالين للنساء والقوامين عليهن جعل قيد الإحصان وعدم السفاح من قبلهم أولا وبالذات كما تقدم . ولما كان الزنا هو الغالب على الإماء في الجاهلية وكانوا يشترونهن لأجل الاكتساب يبعثن حتى ان عبد الله بن أبي (رأس النفاق) كان يكره إماءه بعد ان أسلمن على البغاء فنزل في ذلك قوله تعالى (٢٤ : ٣٣) ولا تكرهوا فتيا تكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) - ولما كن أيضا مظنة للزنا لذهن وضعف نفوسهن وكونهن عرضة للانتقال من رجل الى آخر فلم تتوطن نفوسهن على عيشة الاختصاص مع رجل واحد يرى لمن عليه من الحقوق ما تطمنن به نفوسهن في الحياة الزوجية التي هي من شأن الفطرة - لما كان ذلك كذلك جعل قيد الإحصان في جانبهن فاشترط علي من يتزوج امة ان يتحرى أن تكون محصنة مصونة من الزنا في السر والجهر . واذا جعلنا لفظ المحصنة مشتركاً بين اسم الفاعل واسم المفعول كما تقدم عن رواية اللغة في تفسير « والمحصنات من النساء » يكون المراد انكحوهن محصنات لكم ولا أنفسهن غير مسافحات يمكن من أنفسهن أي طالب ، ولا متخذات أخدان وأصحاب - او رقاء كما يقول المصريون - تختص كل واحدة منهن بصاحب

ثم قال ﴿ فاذا أحصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من

الغذاب ﴾ أي فاذا فعلن الفعل الفاحشة وهي الزنا بعد إحصانهن بالزواج فعليهن من العقاب نصف ما على المحصنات الكاملات وهن الحرائر اذ زنين ، وهو ما بينه تعالى بقوله (٢٤ : ٢) الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة) فالأمة المتزوجة تجلد اذا زنت خمسين جلدة وأما الحرة فتجلد مئة جلدة . والحكمة في ذلك ما تقدم آنفا من كون الحرة أبعد عن دواعي الفاحشة والأمة عرضة لها وضعيفة عن مقاومتها فرحم الشارع ضعفها فخفف العقاب عنها . واذا كان الغذاب في هذه الآية هو الحد الذي بينه في تلك الآية آية الجلد كما قال المفسرون كافة

وفقا لقاعدة « القرآن يفسر بعضه بعضا » فظاهرهما ان الامة لاتتحد الا اذا كانت محصنة واما الحرة فظاهر آية النور انها تجلد مئة جلدة سواء كانت محصنة أم أتما وسواء كانت الايم بكرا أم ثيبا لان الآية مطلقة ولولا السنة لكان لذهاب أن يذهب الى ان الآية التي تفسرها خصصت الزانية الحرة بالمحصنة للمقابلة فيها بين الاماء اللواتي أحصن و بين المحصنات من الحرائر وقد تقدم تفسيرهم لقوله تعالى « والمحصنات من النساء » بالحرائر المتزوجات ولكنهم لاجل ماورد في السنة فسروا المحصنات في هذه الآية بالحرائر غير المتزوجات قالوا بدليل مقابله بالاماء وليس بسديد فانه في مقابلة الاماء المحصنات لا مطلقا . ثم قيدوا المحصنات هنا بقيد آخر وهو كونهن أبكارا لانهم يعدون من تزوجت محصنة بالزواج وإن آمت بطلاق أو موت زوجها والوصف لا يفيد ذلك فان المحصنة بالزواج هي التي لها زوج يحصنها فاذا فارقتها لا تسمى محصنة بالزواج كما انها لا تسمى متزوجة كذلك المسافر اذا عاد من سفره لا يسمى مسافرا والمريض اذا برى . لا يسمى مريضا . وقد قال بعض الذين خصوا المحصنات هنا بالابكار انهن قد أحصنهن البكارة ولعمري ان البكارة حصن منع لاتصدي صاحبه لهدمه بغير حقه وهي على سلامة فطرتها وحياتها وعدم ممارستها للرجال وما حقه الا ان يستبدل به حصن الزوجية . ولكن ما بال الثيب التي فقدت كل واحد من الحصنين تعاقب اشد العقوبتين اذ حكموا عليها بالرجم ؟ هل يعدون الزواج السابق محصنا لها وما هو الا ازالة لحصن البكارة وتعويد لممارسة الرجال فالمعقول الموافق لنظام الفطرة هو ان يكون عقاب الثيب التي تأتي الفاحشة دون عقاب المتزوجة وكذا دون عقاب البكر أو مثله في الاشد . وقد بلغني ان بعض الاعراب في اليمن يعاقبون بالقتل كلامن البكر والمتزوجة اذا زنتا ولا يعاقبون الثيب بالقتل ولا بالجلد لانهم يعدونها معذورة طبعا وان لم تكن معذورة شرعا

وأما السنة فقد ثبت في الصحيحين انه صلى الله عليه وآله وسلم حكم بجرم اليهودي واليهودية عند ماتهما كم اليه اليهود في أمرهما اذ أتيا الفاحشة . والحديث صريح في انه حكم في ذلك بنص التوراة قال العلماء ويجب اتباعه فيما حكم به مهما كان سبب الحكم لانه لا يحكم الا بالحق واستدلوا بذلك لان الاسلام ليس شرطا في الاحصان

خلافاً لمن اشترطه . وروي عن ابن عباس (رض) انه قال : الرجم في كتاب الله لا يفوض عليه الا غواص وهو قوله تعالى (١٦:٥) يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب) فهو يريد ان هذا مما بينه لهم وحكم به فصار مشروعا لنا . وتمة الآية (ويعفو عن كثير) اي مما تخفون من الكتاب . ثم ذكر الله تعالى بعد ذلك القرآن ووجوب اتباعه وروى عنه ابو داود انه قال ان آية الرجم نزلت في سورة النور بعد آية الجلد ثم رفعت وبقي الحكم بها . وفي الصحيحين وغيرهما عن عمر (رض) ان الرجم في كتاب الله حق على من زنى اذا أحصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة او كان حمل او اعتراف .

وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم برجم ما عزالاسلمي والغامدية لا اعترافهما بالزنا ولو كننه أرباً المرأة حتى وضعت وأرضعت وفطمت ولدها رواه مسلم وابو داود من حديث بريدة ورويا وكذا غيرهما من أصحاب السنن عن عمران بن حصين رجم امرأة من جهينة وفي الموطأ والصحيحين والسنن من حديث ابي هريرة جلد الغلام العسيف (الأجير) الذي زنى بامرأة مستأجرة ورجم المرأة : وفي الصحيحين عن أبي اسحاق الشيباني قال سألت ابن أبي أوفى هل رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قل نعم . قلت قبل سورة النور ام بعدها ؟ قال لا أدري . وظاهر هذا السؤال والجواب أن السائل يريد ان يعلم هل كان الجلد ناسخاً للرجم الذي ربما كان عملاً بحكم التوراة ام كان الرجم مخصصاً لعموم الجلد بمجمله خاصاً بغير المحصنين والمحصنات بالزواج . وروى البخاري عن الشعبي ان علياً (رض) حين رجم المرأة ضربها يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة وقال جلدها بكتاب الله ورجمها بسنة رسول الله (ص) وهو يدل على أن علياً لا يقول بأن الرجم نزل في كتاب الله ولا انه يدل عليه . ولا أذكر اني رأيت حديثاً صريحاً في رجم الائمة الثيب . وسألت جميع الروايات عند تفسير آية النور وأحرر المسألة من كل وجه ان انسا الله تعالى في العمر . وورد أن الائمة غير المحصنة تجلد اذا زنت لكن يجلدونها سيدها قيل حدا وقيل تعزيراً مئة جلدة أو اقل : أقوال ووجوه . وأما العبيد فيعلم حكمهم من الآية بدلالة النص فعليهم ما على الاماء بشرطه

وقيل كالأحرار ثم قال ﴿ ذلك لمن خشي العنت منكم ﴾ العنت المشقة والجهد والفساد قيل أصله انكسار العظم بعد الجبر . أي ذلك الذي أباح لكم من نكاح الإماء عند المعجز عن الحرائر جائز لمن خشي على نفسه الضرر والفساد من التزام العفة ومقاومة داعية الفطرة ، ذلك بأن مقاومة هذه الداعية التي هي أقوى وأرسخ شئون الحياة قد تفضي الى أمراض عصبية وغير عصبية اذا طال العهد على مقاومتها . وذهب الجمهور الى ان المراد بالعنت لازمه وهو الاثم بارتكاب الزنا قال بعضهم إن العنت يطلق على الاثم لغة ونقول إن الاثم في أصل اللغة ليس بمعنى المعصية الشرعية بل هو الضرر فيقرب من معنى العنت إلا أن العنت أشد . ويدل على ذلك ما روي عن ابن عباس (رض) ان نافع ابن الاثرق سأله عن العنت فقال الاثم قال نافع وهل تعرف العرب ذلك فقال نعم أما سمعت قول الشاعر

وأيتك تبغني عتي وتسعى مع الساعي علي بغير ذخل

﴿ وأن تصبروا خير لكم ﴾ أي وصبركم بحبس أنفسكم عن نكاح الإماء مع العفة خير لكم من نكاحهن وان كان جائزا لكم ، لدفع الضرر عنكم ، لما فيه من العلل والمعائب كالذل والمهانة والابتذال ، وما يترتب على ذلك من مفاسد الأعمال وسريان ذلك منهن الى أولادهن بالوراثة ، وكونهن عرضة الانتقال من مالك الى مالك فقد يسهل على الرجل أن يكون زوجا لفتاة فلان الفاضل المذهب ولا يسهل عليه أن يكون زوجا لأمّة فلان اللئيم او الفاسق الزنيم ، ومن كانت للفاضل اليوم قد تكون للفاسق غدا . وروي عن عمر (رض) انه قال : اذا نكح العبد الحرة فقد أعتق نصفه واذا نكح الحر الأمّة فقد أرق نصفه . وهذه الحكمة مبنية على ما بيناه غير مرة من معنى الزوجية وهوانها حقيقة واحدة مركبة من ذكر وأنثى كل منهما نصفها ولذلك يطلق على كل منهما لفظ « زوج » لاتحاده بالآخر وان كان فردا في ذاته . وروي عن ابن عباس أنه قال : ما تزحفنا كح الأمّة عن الزنا إلا قليلا . وقال الشاعر

اذا لم تكن في منزل المرء حرة تدبره ضاعت مصالح داره

وقال الاستاذ الامام : وان تصبروا خير لكم لما فيه من تربية الارادة وملكة العفة وتحكيم العقل بالهوى ومن عدم تعريض الولد للرق ، ولفساد الاخلاق

بالارث ، فان الجارية بمنزلة المتاع والحيوان ، فهي تشعر دائما بالذل والهوان ، فيرث أولادها إحساسها ووجدانها الخسيسين . وليس عندي عنه في هذه الآية غير هذا وما تقدم قريبا . واذا كان كل هذا يترتب على نكاح الأمة وكانت لم تحل الا عند المعجز عن نكاح الحرة فكيف تكون المتعة جائزة ؟؟

﴿ والله غفور رحيم ﴾ يغفر لمن لم يصبر عن نكاح الأمة رحيم به كذا فسروه وقالوا انه نزله منزلة الذنب للتفجير عنه والامر في مثل هذه الامماء الالهية التي تختم بها الآيات أوسع من ان تخص بما تتصل به ففي الآية ذكر أمور كثيرة يكون الانسان فيها عرضة للهفوات واللمم كعدم الطول واحتقار الاماء المؤنات والطعن فيهن عند الحديث في نكاحهن ثم عدم الصبر على معاشرتهن بالمعروف وسوء الظن بهن . فلما كان الانسان عرضة لامثال هذه الامور ومنها ما يشق اتقاؤه ذكرنا الله تعالى بمغفرته ورحمته بعد بيان احكام شريعته لئلا نكرنا بأنه لا يؤاخذنا بما لانستطيعه منها

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس طامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج فالباور بما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا ففاله

﴿ العمل بخبر التلفون والتلغراف في الصوم والفطر ﴾

(س ٢١) من السيد محمد بن الخوجه رئيس قلم المحاسبة بالوزارة في (تونس)

سيدي الاخ الكريم والعلامة الجليل

حدث عندنا تناقض بسبب هلال الفطر (في رمضان الماضي) فان بعض البلاد التونسية افطروا يوم الخميس الموافق لاربع عشر اكتوبر وحيث تأخر ورود صك الروية على

قاضي الحاضرة الى ما بعد عصر الخميس فان الاعلان بالفطر لاهالي مدينة تونس لم يقع الا مع غروب الشمس بحيث أنهم صاموا يوم العيد كله لان القواعد الشرعية التي عليها عمل فقهاء تونس لم تجوز للمسلمين بهذه البلاد ان يعتمدوا ما يبلغهم من مشاهدة هلالي الصوم والفطر على طريق التلغراف او التلفون لان التلغراف بيد غير المسلمين والتلفون برد عليه « ان الصوت يشبه الصوت » كما ان « الخط يشبه الخط » ومن اجل هذا طلبنا لعلائنا ان يلتمسوا لنا من وجوه الفقه ما يساعد على العمل بالتلغراف لا سيما وان الرية في التبليغ تقتضي اذا جعلنا الاشعار بالروية في اطراف المملكة لا تكون الا بالطريقة الرسمية اي بواسطة تلغراف يرد من الحكومة المحلية اي الجهة التي شوهد فيها الهلال الى مركز الحكومة بتونس وان يكون المخاطب بالتلغراف مأموراً مسلماً كما ان المخاطب به من المسلمين

وعسى ان فضيلتكم تتوفق للتأمل في هذه المسألة العويصة وتنتشر لقراء المثار ما يعينهم على الاهتداء لحل عقالها سواء كان ذلك بتونس او بالبلاد الاخرى

(ج) ارسل هذا السؤال الى مصر ومنها البنا في القسطنطينية والمخطب عندنا في المسألة سهل لولا ان اكثر المسلمين صاروا لا يجحون السهولة والبسر في الدين وهو من اصول الاسلام بنص الكتاب والسنة فالعمدة في الشرع على ما يحصل به التصديق والاطمئنان من الاخبار او العلامات التي تدل على ثبوت اول الشهر وكل من التلغراف والتلفون طريق من طرق التصديق والاطمئنان وقد بينا ذلك في المثار غير مرة وقد اطلعنا في هذه الايام على فتوى في المسألة لشيخ الازهر وهو ا كبر علماء المالكية واشهرهم بمصر واكثر أهل تونس من المالكية فنحن نورد لهم الفتوى بنصها وهي :

« صاحب الفضيلة مولانا الاكبر شيخ الجامع الازهر حفظه الله

« اتشرف بان أقدم لكم دام النفع بعلمكم فيما يسأل عنه أهل السودان المالكيون وهو انه قد جرت العادة عندهم في هذه السنين ان يرسل اليهم بواسطة التلغراف من الديوان الخديوي باسم بعض رؤسائه انه قد ثبت شرعا ان اول رمضان يوم كذا وربما لم ير أحد منهم الهلال مع الصحو فمنهم من يعتمد على التلغراف وبصبح صائماً ومنهم من يزعم ان الصوم منوط بروية الهلال فيصبح مفطراً واذا مضى بعد

وصول الخبر اليهم ثلاثون يوما ربما لا يرى احد منهم هلال شوال ليلة احدى وثلاثين مع الصحو ولا يأتهم فيها خبر بالتلفراف عما ثبت شرعا بمصر وايضا ربما كان حكم الحاكم المخالف بثبوت الصوم مبنيا على شهادة عدل واحد أو كان حكمه بالصوم مبنيا على رواية عدلين واذا لم ير هلال شوال ليلة احدى وثلاثين مع الصحو لا يرى تكذيبهما بل يرى تكميل العدد ثلاثين بعد رؤيتهما هلال رمضان وكذلك حكمه بثبوت الصوم بناء على تمام شعبان الذي ثبت أوله برواية عدلين ولم ير غيرها هلال رمضان ليلة احدى وثلاثين من منذ (٩) رؤيتهما هلال شعبان وكل ذلك مخالف للمذهب المالكي فاذا يصنع أهل السودان في صومهم وافطارهم حتى يكون عملهم موافقا للشرع والحال كما ذكر في السودان افيدونا مأجورين

كاتبه الفقير اليه

ابو القاسم احمد هاشم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين قد نص قهاؤنا على ان يكون الصوم عند الحاكم وان لم يحكم بالفعل وحكمه بالثبوت كل منهما يوجب الصوم على كل من قل اليه سواء قل بعدلين أو جماعة مستفيضة ولو كان الناقل عدلا واحدا لان هذا من الخبر الصادق لا الشهادة ولو كان المقول اليهم ممن يعتنون بأمر الهلال

« ونصوا ايضا على الاكتفاء في الثبوت بالامارات التي جرت العادة بها في اشهاد الثبوت كتعليق القناديل الموقدة على المنائر حيث جرت العادة انها لا توقد الا بعد الثبوت الشرعي وكضرب المدافع كما هي العادة عندنا بمصر ومن هذا القبيل ارسال الخبر في السلك التلفرافي بل هو في زماننا أدل وأقوى وعليه اعتمدت الملوك والحكام في تبليغ احكامهم ومخاطباتهم واقى العلماء بكفايته في ذلك وهو في ايامنا هذه لا يرسل الا باذن الحاكم الشرعي باشهار حكمه في جميع الجهات فهو كرسول ارسله لتبليغ حكمه فيجب الصوم على كل من بلغه من أول رمضان كما يجب الفطر على من بلغه به ثبوت رواية هلال شوال ومن خالف بعد بلوغه بصوم وافطار فهو مخالف للحق

والصواب الذي اقي به العلماء . ولا عبرة باختلاف المطالع على ماهو المذهب إلا أن يمد جدا كخراسان من الأندلس فان كل قوم يعملون بما عندهم لا يجري عليهم حكم الآخرين كما حكى ابن عبد البر الاتفاق عليه . واحتمال ان الحاكم المخالف بني الحكم على رؤية شاهد واحد في الغيم نادر جدا . وعلى فرض من حصوله وتحقيقه ففي المذهب قولان في لزوم الصوم وعدم لزومه يجوز العمل بكل منهما أو تقليد مذهب الحاكم والعمل عليه

« وأما البناء على تمام العدد من ابتداء رؤية العدين ولولم ير الهلال ليلة احدى وثلاثين مع الصحو لكون المخالف لا يرى التكذيب فان كان قد حكم بالفطر لزوم الافطار وان كان لم يحكم الا بثبوت الصوم بروية العدين فليس ذلك حكما بالافطار الا ان يحكم حين الرؤية بموجب لزوم الصوم فيجب العمل به في الافطار وايضا كما يجب العمل بكمال العدد ان كانت ليلة احدى وثلاثين مغيبة . ومثل ذلك حكم بالصوم بكمال شعبان الذي ثبت أوله بروية عدين ولم ير غيرهما هلال رمضان ليلة احدى وثلاثين مع الصحو لكونه لا يرى التكذيب فيجب به الصوم قطعا أو كان قد حكم بموجب ثبوت أول شعبان حين حكمه بثبوته فانه يتضمن الحكم باعتبار تمام العدد من ابتداء الرؤية

« وأما مسألة عدم رؤية هلال شوال مع الصحو ليلة احدى وثلاثين مع عدم ورود خبر من مصر اليهم فانهم يصومون يوم الحادي والثلاثين احتياطاً للخروج من العبادة . والغرض عدم الرؤية مع الصحو فان كان غيم اكتفوا بكمال العدد واذا جاءهم خبر الافطار اثناء النهار افطروا ولهم ان يقلدوا الحاكم في مذهبه ويعملوا على الكمال دون التكذيب ويعملوا على رؤيتهم ان تباعد جدا كما سبق عن ابن عبد البر حكاية اتفاق اهل المذهب عليه والذي اراه ان الايسر في مثل هذه الامور تقليد مذهب الحاكم المخالف او اعتبار البعد جدا ان تحقق والله تعالى اعلى وأعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . »

الفقيه اليه تعالى

شيخ الجامع الازهر

سليم البشري

﴿ رسالة النبي الى الناس كافة ﴾

(من ٢٢) من صاحب الامضاء في (فاقوس)

حضرة الفاضل الاديب من شاع صيته في حل المشكلات صاحب الدراية التامة الشيخ رشيد افندي رضا لازال مصدرا لفك المضلات

بما ينهي لفضيلتكم انه حصل في ناحية فاقوس البحث بين طائفة ممن يعتنون في البحث عن امور الدين وتجولوا في مسألة التبليغ وهل دعوة نبينا عليه السلام بلغت الى كافة الاقاليم التي من ضمنها قارة امريكا ام لا ؟ وهل هذا الاسم كان تلك القارة قديما او حدث فيما بعد ؟

فقال بعض الحاضرين ان دعوة نبينا بلغت كافة الاثم مستندا الى قوله تعالى له (وما ارسلناك الا كافة للناس) فعموم هذه الآية يشمل امريكا وغيرها من كافة الاقاليم

وحيث انه عليه السلام مرسل لكافة الناس فيجب عليه تبليغ العموم ولا شك انه عالم بكافة المرسل اليهم وان بعدت جهاتهم

وقال البعض الآخر ان امريكا اكتشفت حديثا وانه لم يوجد تأريخ من التواريخ يدل على ان احدا من الصحابة ذهب الى تلك الاقطار لتبليغ الدعوة وان عدم اكتشاف القارة المذكورة في زمن المصطفى لا ينافي كون النبي صلى الله عليه وسلم ارسل للناس كافة لأن حكمها كحكم من كان في جبل ولم تبلغه الدعوة في زمن المصطفى وبلغته بعد وفاته فيكون ممن دخل في حكم الآية الشريفة

ولتقتنا بأن فضيلتكم ممن يعتني بمثل هذه الامور نطلب كشف هذا الامر وتوضيحه على وجه تام ولكم مزيد الشكر .

علي محمد الصواف

الكاتب بمحكمة فاقوس

(ج) ليس الاثر بالمشكل الذي يحتاج الى الايضاح فان بعثة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الى الناس كافة أمر مجمع عليهم معلوم من ديننا بالضرورة ومن المعلوم

بالضرورة عقلا موثدا بالنقل ان تبليغ الدعوة للعرب كان بالتدريج وهم قومه وأهل
لقلته وسكان بلاده فهل يمكن ان يكون مكلفا ان يبلغ البشر كلهم دعوته دفعة واحدة
ثم انه بلغ من يقرب من بلاده كالروم والفرس والقبط وما ارسل بلاغا الى أهل
الهند والصين ولا أهل اوربا وغيرهم من الأمم التي كانت معروفة حتى يقع الاشكال
في أهل امريكا التي لم تكن معروفة وقد امره الله تعالى ان يقول (واوحى الي هذا
القرآن لاندركم به ومن بلغ) فكل من بلغه القرآن فقد بلغته الدعوة وتجب على
المسلمين دعوة من لم يتسع عمر النبي (ص) لدعوتهم وكذلك فعل السلف الصالحون
وقصر الخلف الطالحون

﴿ طريقة الشاذلية الدرقاوية ﴾

(س ٢٣) من السيد مصطفى منصور في (السلفية: دسوق)

حضرة الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأرجوكم أن تفيدنا عن الفتوى الآتية :
انتشر عندنا وفي أنحاء البلاد طريق من طرق الصوفية وسمي طريقة الشاذلية
الدرقاوية نسبة الى مولاي العربي الدرقاوي وهذه الطريقة من شعائرها الاجتماع
صباحاً ومساءً على تلاوة الاوراد والاذكار الا ان من اعماهم في حال الذكركم
قيام التأوه بقولهم (آه آه) معتقدين ان هذه الكلمة اسم من اسماء الله تعالى
وقد رفع هذا السؤال الى حضرة الشيخ عبد العزيز جاويز فانكر ذلك في
لواء يوم ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٢٧ قائلا بأنه ليس من أسماء الله تعالى ولم يرد في
كتاب ولا في سنة صحيحة واسماء الله توقيفية وليس لله الا الاسماء الحسنى وسفه
رأي القائلين بأنه من اسماء الله

فرد عليه احد شيوخ تلك الطريقة الاستاذ الشيخ محمود حجابي بقوله انه من
اسماء الله تعالى مستندا في ذلك على حديث وارد في الجامع الصغير في حرف الدال
(خ) للبخاري و (ت) للترمذي عن أبي هريرة قال الشارح الفريزي وكذا رواه

مسلم (دعوه) أى المريض (يثن) اي يقول (آه) (فان الاثنين اسم من اسماء الله تعالى يستريح اليه العليل) وسبب هذا الحديث كما في الكبير عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا مريض يثن قلنا له اسكت فقال (دعوه) الخ رواه الرافعي في تاريخ قزوين عن عائشة وهذا الحديث مرتبته الحسن كما قال بذلك سيدي محمد السمراني الشهير بالواعظ ومستندا في ذلك ايضا بما كتبه الباجوري والامير كلاهما على جوهرة اللقاني عند قوله * حتى الاثنين في المرض كما نقل * وقال وأما دعوى الشيخ جايوش بان ليس لله الا الاسماء الحسنى فمردود باجماع المسلمين على ان لله اسماء كثيرة غيرها منها الرب وهو وارد في القرآن في مواضع كثيرة ومنها ملك وهو وارد في القرآن عند قوله تعالى (عند ملك مقتدر) ومنها الحنان والمان وستار وسيد وكلها ثابتة بالسنة وما يؤخذ من حديث (إن لله تسعا وتسعين اسما) لا يفيد الحصر وحيث اننا في حاجة الى بيان ما عليه هذه الطائفة فلتتمس منكم الفتوى الشرعية في ذلك جعلكم الله منارا للحق ونبراسا للهدى

(ج) ظهرت الطريقة الدرقاوية في أوائل هذا القرن في بلاد سورية اخذها خلق كثير عن شيخ مغربي كان في عكا اسمه الشيخ علي نور الدين فقامت عليه وعليهم قيامة العلماء ونسبوا اليهم القول بالحلل والاتحاد وبعض المكرات العملية كالجمع بين النساء والرجال بل قيل ان بعضهم مرقوا من الدين وصاروا لإباحين وجعلوا شيخهم على نور الدين البشريطي مشار هذه الضلالات كلها ولكنني رأيت بعض الشيوخ الصالحين يثني على شيخهم ويقول انه برىء من كل ما خالفوا الشرع فيه ومن هؤلاء المبرزين له شيخنا الشيخ محمد القاوقجي الشهير وقد نشر هذه الطريقة في طرابلس الشام الشيخ نجيب الحفار أحد علمائها المشهورين فلم نرم من تلايمه من الفسق ولم نسمع عنه أو عنهم القول بالحلل والاتحاد فالظاهر أن هذه الطريقة كغيرها من الطرائق المشهورة يتبع تأثيرها حال المشايخ الذين يتصدون لنشرها فان كانوا جاهلين ضالين أضلوا العامة بها وإن كانوا على علم وهدى نفعوهم بتمني اليهم

(المجلد الثالث عشر) (٢٥) (التار ج ٣)

بقدر ما يصل اليه علمهم واخلاصهم . وقلنا تسلم طريقة في هذا العصر من البدع ، وبعض الشر أهون من بعض ، والشيوخ هم العمدة . والذكر بالاسماء المفردة لم يرد في الشرع الامر به ولا العمل كما يتنا ذلك من قبل ، على أن الخطب فيه سهل

﴿ الوصية المنامية المكذوبة ﴾

(م ٢٤) من صاحب الامضاء في (دمشق الشام)

حضرة الاستاذ الكامل « السيد رشيد رضا » رافع « منار » الحقيقة في الاسلام وعاك الله

ماقول الاستاذ الرشيد ؟ في الشيخ احمد الداعي نفسه :- خادم الحرم الشريف - وما يذيعه في انحاء البلاد الاسلامية في كل سنة منذ بضع سنين غير قليلة - من الرسائل التي يدعي بها كل مرة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم من الروى الشبيهة بالوحي !! وعنها يروي الوصايا الجمة التي يرى فيها المطلع عليها من الانباء المعين وقوعها من زمن مخصوص ! والمغيب أمرها عن الخلق ! واسقاطه فروض من الدين عن كاتب وصيته أو مستأجرها وغفر ذنوبه و... و... واتيانه على لعن من لم يصدقها ويؤمن بها !! الى غير ذلك من الفظائع باسم الدين كما يتضح لكم ذلك في رسالته هذه الاخيرة التي بعثنا بها اليكم : افيدونا ذلك أدامكم الله نجما للهداية ورجاء لارباب الفؤاية وسيفا قاطعا لرقاب المبتدعين وكهفا للمستهدين والسلام عليكم ياسين قضماني

(ج) أتدكر انني رأيت في صغري وصية مثل هذه الوصية ارسلت الى والدي رحمه الله تعالى وقد سألت بعض الحجازيين هنا في (القسطنطينية) عن الشيخ احمد الذي ينشر هذه الوصية منذ عشرات من السنين فلم يعرفه أحد ويجوز ان يكون مقتجر الوصية الاولى قد مات وان الذين ينشرونها في هذه السنين قد أعجبهم ذلك فهم يعيدونه بتصرف فيه معزو الى اسم الشيخ احمد . وهذه الوصية ينطبق بعضها

على الشرع دون بعضها الآخر وعندنا من كتاب الله وصحيح احاديث رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ما يفي عن وصايا الروي إن صدق الرائي فيها فكيف اذا قام الدليل على عدم صدقه كدعي هذه الرويا التي تشهد بخلافه بعض ما فيها للثابت من الشرع وغلط أفاظها على براءة الرسول (ص) منها

﴿الكبريت المسوكر﴾

(ص ٢٥) من صاحب الامضاء في (فوه)

سيدي حضرة العلامة الفاضل السيد محمد رشيد رضا الحسيني صاحب مجلة المنار الفراء

بعد السلام والتحية نبدي لفضيلتكم انه الآن حصل خلاف بين بعض علماء بندرفوه بخصوص مسألة الكبريت ولا سيما المسوكر فمنهم من قال بنجاسته وان الحامل لشيء منه لا تصح صلاته ومنهم من قال بطهارته وقد انضم لكل من هؤلاء احزاب وضاعت الحقيقة بين الطرفين . نتمس الاقادة ولسيادتكم من الائمة الاسلامية مزيد الشكر والثناء . امين صندوق جمعية الاصلاح بفوه

محمد عبد الحميد

(ج) بينا غير مرة في المنار ان النجس هو الشيء القذر الشديد القذارة والذي يؤخذ من مجموع كلام فقهاء المذاهب ان الشيء المتنجس يطهر بما يزيل القذارة كالماء والنار والشمس والذبغ والاستحالة . وكل ما قالوه في ذلك حق ومجموعه هو حكم الشرع في طهارة المتنجس وان كان بعضهم لا يعترف بما يخالفه به الآخر ولا يلتفت الى دليله فيه لانه مقلد . والكبريت ليس قدرا في نفسه ولا نعلم ان فيه شيئا من الاقدار النجسة . وسمعت بعض الناس يقول انه نجس لان فيه شيئا من مادة السيرتو او الكحول وقد بينا من قبل في المنار (ص ٥٠٠ و ٨٢١ و ٨٦٦ م ٤) ان الكحول او السيرتو لا يقوم دليل على نجاسته . والحاصل ان الاصل في الاشياء الطهارة لاسيما اذا كانت لا قذارة فيها

ولم يقم في الكبريت دليل ينقض هذا الاصل فلماذا نضيق على المسلمين ونوقمهم في الحرج بما لا يزيدهم صلاحا في نفوسهم ولا نظافة في ابدانهم مع علمنا بأن الشرع ما حثنا على الطهارة وأمرنا باجتنب النجاسة إلا لأجل ان يكون المؤمن دائما نظيفا ومن زعم انه كلفنا ذلك لأجل إعانتنا وإخراجنا فكتاب الله حكم بيننا وبينه قال تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون)

باب المقالات

اصلاح الخط العربي

مزية الخط العربي الكبرى التي يمتاز بها على الخط الافرنجي وغيره هي الاختصار فالكلمة الافرنجية تأخذ من مساحة الصحيفة مثل ما تأخذ الكلمة العربية مرتين او مرات كما ترى في اسم (محمد) ويرسم هكذا بحروف الطبع عندهم (Mohammad) ولكن في الخط العربي قصا لا تشفع له هذه المزية ولا أضعافها من المزايا لو وجدت وهو ان معرفته لا تكفي لصحة قراءته بل يحتاج عارفه الى عدة علوم وفنون وحفظ الكثير من المفردات والفروق لأجل ان يصحح قراءته فكلمة «ملك» على صفرها قرأ على وجوه كثيرة

مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ مَلِكٌ
مِلِكٌ مِلِكٌ مِلِكٌ مِلِكٌ مِلِكٌ مِلِكٌ مِلِكٌ مِلِكٌ مِلِكٌ مِلِكٌ
على وجوه أخرى ليس لها كلها معان مستعملة في هذه اللغة لأن الميم فيها ثلاثة اوجه الفتح والضم والكسر واللام فيها هذه الثلاثة مع التخفيف ومع التشديد وفيها السكون والكاف فيها الوجوه الثلاثة مع التنوين والتشديد وعدمها فيحصل من ضرب وجوه الميم وهي ثلاثة في وجوه اللام وهي سبعة ٢١ صورة

تضرب في وجوه الكاف وهي ١٢ يحصل ٢٥٢ ولك ان تضيف اليها السكون مع التشديد وعدمه فتلك ستة تضربها في ٢١ يحصل لك ١٢٦ فالمجموع زهاء ٤٠٠ صورة .١ ويكفي في الخلال ان تشبه الكلمة بوجهين فقط كالمختب بكسر الخاء ونحها بأن لا يخطر في بال قارئها ضبط آخر لها

نرتب على هذا الخط مفاسد كثيرة اهمها جعل اللغة العربية وعلومها عسرة التحصيل وكتبها عرضة للغلط والتحريف وكون قرائها كثيري الغلط والاعن حتى انه لا يكاد يوجد الآن في علمائها من يقرأ بدون لحن ولا غلط قط فاما بالك بغير العلماء . ولولا هذا العيب في خطنا لكان اكثر العامة الذين يتعلمون القراءة والكتابة قومي اللسان بهذه اللغة وان لم يتعلموا النحو والصرف ويكثروا المراجعة في المعاجم ولكانت ملكتها قوية فيهم وفهمها يسيرا عليهم فكيف كان يكون شأن العلماء منهم؟ وفي هذا الخط عيب آخر ضار وهو تشابه حروفها الذي كان سبب كثرة التصحيف والتحريف في كتبها حتى انك ترى الالوف من أسفارها المكتوبة في القرون الخالية لا يوثق بها او لا يستفاد المراد منها او يحتاج فيها الى المراجعة وإطالة النظر ليعرف الاصل الصحيح منها

قد اهتمدى بعض الاذكياء من أوائلنا الى هذين العيين في خطنا فوضعوا النقط للفرقة بين الحروف المتشابهة وكانت تكتب من غير نقط ووضعوا الشكل لأجل ضبط الكلمات لتكون القراءة صحيحة لالحن فيها ولا غلط ، ولكن هذين الملاجين لم يشفيا العلة ، ولم يرويا العلة . فاما النقط فمع التزام اكثر المتقدمين وجميع المتأخرين له يكثر التصحيف في مخطوطاتهم فان نقطة الفاء اذا جاءت كبيرة ولو بغير تعدد قرأ قافا وقطبي القاف اذا كتبتا صغيرتين او ذهب جزء منهما بسبب ما قرئ القاف فاء ، ويقال مثل ذلك في الباء مع الياء والتاء مع النون . وكثيرا ما يوثر الكاتب النقطة عن مكانها من الحرف او يقدمها قليلا فتشبه الكلمة بكلمة اخرى ولا سيما في الحروف التي تكون في أول الكلمة او وسطها بيرة دقيقة وهي الباء والتاء والتاء والنون والياء فكلمة يني من البناء تصير بتقديم وتأخير قليل لنقطتي النون والياء «يني» من الإبناء . وبمثل ذلك تشبه الانباء بالابناء وعلى ذلك تقس

وأما الشكل فيحصل فيه مثل هذا التقديم والتأخير الذي يكون في النقط لدقته وقرب الحروف بعضها من بعض فيترتب على ذلك الخطأ القطعي أو الاشتباه وكلاهما شر. وهو مع ذلك عسير كأن الكاتب يكتب الكلمة مرتين مرة بحروف كبيرة ومرة بحروف دقيقة جدا ولذلك تركه الناس في غير المصاحف الا قليلا. وهو يعسر في الطبع كما يعسر في الخط ولذلك تكون أجرة طبع المشكول مضاعفة، وأدوات الشكل يسرع اليها الكسر في المطابع لدقتها فيفسد الشكل أو يزول في اثناء الطبع، وقلا نجد نساخا يضبط لك شكل كتاب ينسخه لك فيجيء صحيحا، واندر من ذلك من يستطيع ان يشكّل كتابا لم يكن مشكولا فان هذا عمل لا يقدر عليه الا المتمكنون من فنون اللغة كلها مع التمكن من العلم الذي يتضمنه ذلك الكتاب وفهم كلامه بالقرآن والاستعانة على ذلك بمراجعة كتب اللغة وغيرها

إذا أصلح الخط العربي بكتابته مضبوطا غير متشابه الحروف يكون ذلك مزيدا في أعمار العرب والمسلمين الذين يكتبون بحروفهم ولا يفهمون في أقل من نصف المدة التي يتعلمون فيها الآن، ومزيدا في ثروتهم لانهم لا ينفقون حينئذ على التعليم ونسخ الكتب وطبعها الا بعض ما ينفقونه الآن، ويكون سببا لسرعة ارتقائهم في العلوم والفنون والمدنية لان هذا يتوقف على سهولة التعليم وتعميمه. وبذلك تنتشر اللغة العربية بين المسلمين من الاعاجم بسرعة عظيمة فيقوى فيهم الاسلام نفسه فتسبي به آدابهم وفضائلهم ويؤمنون من نزغات الاحاد التي تدخل عليهم الآن من كل باب من أبواب التعليم على منهاج الافرنج فتحل روائطهم الاجتماعية وتفسد آدابهم الملية فيفسد فيهم الفسق والخيانة اذ لا يكون لهم هم الا في الاستكثار من المال لاجل التمتع بلذات الدنيا التي ليس وراءها حياة عندهم.

إن المسلم الذي لا يفهم القرآن فهما صحيحا ولا يعرف السيرة النبوية معرفة حقيقية يسهل تحويله عن الاسلام بالتعليم الافرنجي وان كان من العرب الذين فسدت ملكتهم العربية كأهل بلادنا كلهم فكيف اذا كان أعجميا، كنت في مجلس فرأيت أحد الضباط الشبان يحادث طيبا صديقا لي بجانبه فكان مما قاله له انه يعجب أن يراه متدينا مع تلقيه للعلوم العالية واصل هذا الدين وأساسه القرآن! (قال) وهو كتاب لم

أر مثله كتابا ريكما معسلا يسرع الملل الى قارته !!! قال لي الطيب يقول هذا هو
لا يفرق بين الاسم والفعل في العربية ولا يفهم آية فهماصحيا ! فقلت له ان هذا
أحد السببين في مله من القرآن ، والسبب الثاني هو كفرة المادي التقليدي الذي
حبب اليه الشهوات والانطلاق من قيود التقوى وكرهه اليه الايمان والعمل الصالح ،
ومثل هذا القول لا يصدر عن عربي موثمن ولا كافر فهمما كان حظ العربي من اللغة
ضعيفا يفهم في الجملة علو القرآن على سائر الكلام . قال الدكتور شبلي شميل وهو
فيلسوف مادي مشهور في النبي صلى الله عليه وآله وسلم

إني وإن أك قد كفرت بدينه هل أ كفرن بمحكم الآيات
أو ماحوت في ناصع الانفاظ من حجج روادع لهوى وعظمت
وشرائع لو أنهم عقلا بها ما قيدوا العمران بالمعادات

وأثبت الاستاذ جبرضومط معلم البلاغة في المدرسة الكلية الامريكانية بير-وت
في كتابه (الخواطر الحسان في المعاني والبيان) ان القرآن معجز ببلاغته وأسلوبه .
وما يؤثر عن مشركي العرب البلاء في ذلك مشهور لا محل لشرحه هنا وانما قول
ان اشهر وصف به القرآن هو كونه لا تمل تلاوته « ولا يخلق عند أهل التلاوة
كثرة التريد » ويظن بعض الناس ان اعتقاد حقيقته والاجر على تلاوته هو السبب
في عدم الملل فاننا نعتقد حقية الاحاديث الصحيحة والاجر في مدارسها ولكننا
اذا قرأنا صحيح البخاري كما نقرأ القرآن دائما على تمادي الايام والسنين نمل من
قراءته ولا نستطيع أن نواظب عليها مع النشاط واللذة كما نواظب على تلاوة القرآن .
والسبب الحقيقي لعدم الملل من تلاوة القرآن هو أسلوبه الغريب في مزج الحكم
والاحكام والقصص والامثال والعظمت والبيانات ووصف محاسن المخلوقات وسنن
الله في الاقوام والالهيات وأصول الايمان - مزج كل هذه العلوم بعضها ببعض في
جميع السور في عبارات بليغة عالية مؤثرة كما يثبت ذلك في العقيدة التي وضعها
المتوسطين من طلاب العلوم والفنون وانما اطلت في هذا الاستطراد لانه على أن
الجهل بالعربية وعدم فهم القرآن هو الذي يهد طريق الاحاد ومنه يعلم خطأ الذين

يقولون بترجمة القرآن كعبيد الله افندي من علماء الترك وصاحب جريدة العرب التي
يبت فيها هذا الفكر ليقنع به قراءها ومأم بالذين يقتنعون
ونعود الى اصل الموضوع فنقول ان اذكاء المسلمين من العرب والترك واذكاء
نصارى العرب من السوريين قد فكر وفي مسألة اصلاح الخط العربي في أواخر القرن
الماضي وأتذكر ان شيخنا الجسر رحمه الله تعالى قد أطلعني في أيام الطلب على حروف
رسمها بعض الاذكاء قد جعل الشكل فيها متصلا بالحرف فيكون للحرف عدة
أشكال مع حفظ صورته الاصلية ولم يكن هذا مرضيا لمن اطلع عليه من الباحثين وببحث
مجلة المقتطف في هذه المسألة فكان من رأي الباحثين فيها ان يكتب العرب لغتهم بالحروف
اللاتينية التي يكتب بها الافرنج واستحسن اصحاب المجلة هذا الرأي ان لم تكن ذاكري
مخطئة - ولكن لم يستحسنه ولن يستحسنه المسلمون . وقد تصدى بعض الافرنج
كالانكليزي ويلمور الذي كان قاضيا في مصر لترويج هذا الأمر والاقناع باختيار
اللغة العامية على اللغة الفصحى ويرى المطلعون على المجلد الاول من الناصر مقالا
طويلا منشورا في موضعين (ص ١٠١ و ١٢٠) في مقابلة هذا الرأي عنوانه (صدمة جديدة
على اللغة العربية) سببه ان بعض الدعاة الى إقناع العرب باختيار الحروف اللاتينية
قد نشر مع بعض الجرائد اليومية بمصر منشورا يدعو فيه الى كتابة اللغة العامية بهذه
الحروف وعين جوائز مالية لمن يفعل ذلك . ومن البديهي ان غرض هؤلاء الدعاة
هدم اللغة العربية والاسلام جميعا وما ذلك بالامر المستطاع ولو أفقوا في سبيله جميع
ما في اوربا من الذهب

واخترع جميل افندي الزهاوي من اذكاء بغداد خطا جديدا هو أمثل من
الخط العربي ومن الخط الافرنجي وعرضه على الناس في مجلة المقتطف فلم يحفل به
أحد لان المسلمين هم اصحاب الشأن في هذا الامر ولا يرضون بأن يتغير الخط
الذي هو من مقوماتهم المالية وقد كتبت به مصاحفهم وأسفار سلفهم ولا سيما اذا كان
التغيير بالانتقال الى خط أعدائهم السياسيين الذين يريدون إزالة سلطانهم من
الارض وجعلهم أجراء مسخرين لخدمتهم وهم الافرنج
ذا كرت احمد مختار باشا الغازي في هذه المسألة بمصر منذ سنين فكان مما

قاله لي انا فكرنا في هذه المسألة من قبل وتذا كرت انا وناظر المعارف وغيره من كبار رجال الدولة في وجوب اصلاح خطنا ليقراء صحيحا كل قاري . فان ضرر هذا الخط علينا عظيم ولا سيما في العسكرية فاننا نرسل الضباط من اركان الحرب لخرت بعض المواقع وضبط اسماء معاهدنا وطرقها وقرأها فيكتبون لنا اسماء لاقرأها صحيحة وقد يكون الغلط والاشتباه فيها سببا للفشل في الحرب اذا وقعت فيها فكان من رأيي أن تكون نظارة الحربية أول من يستعمل الخط المضبوط في جرافيتها فذلك لا يؤثر في التعليم الديني والادبي ولا يهيج علينا المتعصبين من العلماء لكل قديم . ولكن لم يكذب ينشر بين الناس خبر هذا كرتنا في ذلك حتي لفظ به الناس وعدوه جناية على الاسلام وبلغني ان بعضهم قال نحن لا نعتب على فلان باشا وفلان باشا اذا قالوا مثل هذا القول لقلة مبالاهم بالدين ولكن نعتب على احمد مختار باشا (او قال مختار بك لانه لم يكن يومئذ باشا) الذي كنا نظن انه مسلم متدين . ثم قال لي بهذه المناسبة

« ان الاصلاح لا يمكن ان يأتي من تحت الطربوش بل لابد أن يكون من تحت العمامة فاذا لم يوجد في علماء المسلمين من يقوم بالاصلاح فلا يصلح حالهم حتي ان الخليفة الذي هو امام المسلمين ورئيسهم الديني لا يمكنه وقد خرج من الهيئة العلمية الدينية ان يأتي باصلاح جديد للمسلمين ما لم يفقه في ذلك شيخ الاسلام »

هذا - واقفي في السنة الماضية قد رغبت الى المفكرين في الاصلاح اللغوي من اعضاء نادي دار العلوم بمصر ان يبحثوا في هذه المسألة وأن يراجعوا فيها انواع الخط الكوفي وغيره من الخطوط الاسلامية القديمة ويختاروا منها حروفا لا يشبه بعضها بعض ولو بالتلفيق وان يبحثوا ايضا في طريقة كتابتها مضبوطة بغير هذا الشكل الدقيق العسر . وكان بعض المفكرين من الفرس وغيرهم رأى ان تكتب الحروف العربية المشهورة الآن مقطعة ويجعل الالف بعد الحرف المفتوح

(المار ج ٣) (٢٦) (المجلد الثالث عشر)

والواو بعد الحرف المضموم والياء بعد الحرف المكسور وان يكتب الحرف المشدد مرتين كما هو الاصل فيه ولذلك يسميه الصرفيون مضاعفا ورأيت كتابا مطبوعا على هذه الطريقة ولكن فيها اشكالات ومعاييب ولم يرضها اكثر المطلعين عليها

ولما جئت القسطنطينية في العام الماضي عرفت فيها الطيب امما عيل حقي افندي الميلاسلي فرائته مهتما بهذه المسألة أشد الاهتمام وقد وضع فيها كراسة لإصلاح هذا الخط على ان يكتب حروفا مقطعة ويكتب بجانب كل حرف من حروف الكلمة حرفا لضبط حركته يقرب من حروف العلة لانه يرسم بتغيير ما فيها وازاد حروفا جديدة لضبط الخط التركي لأن في اللغة التركية من الاصوات ما لا مثل له في العربية . وهو يوزع هذه الكراسة على من يرجو منهم العناية بهذا الاصلاح جزاء الله خيرا ولكن هذا الخط يحتاج الى تعليم جديد ولا ينطبق على القديم من كل وجه وفيه علل أخرى فلا أرى ان الجمهور يقبله كما هو

ورأيت هنا (في القسطنطينية) أيضا بحثا وجدالا بين الارنوط في المناظرة بين الحروف العربية والحروف اللاتينية فكان بعضهم يرجح الحروف اللاتينية لأن لغتهم تتأدى بها أداء صحيحا لان حروفهم واصواتهم عين حروفها واصواتها ولأنها هي الاصل المستعمل عندهم . وخالفهم الا كثرون محتجين بأن تلك الحروف تبعد عن الاسلام والحروف العربية تقربهم منه وقد نفذ رأي الا كثيرين بعد ان انتصر لهم اكثر المبعوثين منهم وصدر أمر الحكومة باعتماد الحروف العربية في تعليمهم وكانوا يتعلمون لغتهم في بعض مدارس الحكومة بالحروف اللاتينية . وقد ذكرت امما عيل كمال بك اشهر مبعوثيهم في هذه المسألة وقلت له اذا ترجح عندكم استعمال الحروف العربية فيحسن أن تستعملوها على طريقة إصلاحية اذ لا صعوبة في ذلك عندكم كما يصعب على ان من ألفوا الطريقة القديمة التي يكثر خطأها وتحريفها . فقال انه لا يمكن ان يكون بدء هذا الاصلاح من شعب اسلاوي صغير بل يجب ان يبدأ بمثل هذا العرب انفسهم وسائر المسلمين يبعونهم فيه هذا ملخص ما أتذكره الآن من شعب هذه المسألة المهمة وان لي رأيا في هذا الاصلاح كنت أريد ارجاءه الى الوقت الذي يسهل فيه إيضاحه ورجي قبوله

ولكن قويت الداعية الى التنويه به الآن وسأوضحه في فرصة أخرى بعد سبك الحروف على الوضع الذي يتضح به

أرى انه يمكن اصلاح هذا الخط إصلاحاً يحافظ فيه على أشكال الحروف المعهودة، وشكلها المعروفة، أو ما يقرب منها، ولا يحتاج فيه الى تعليم جديد للتعلمين، ولا الى ابطال كتب السابقين، ويؤمن فيه مع ذلك من الاشتباه والتحرير والتصحيح والغلط الكثير، من غير إضاعة لما فيه من مزية الاختصار بالمرّة، وليبدأ هذا الاصلاح بالطبع فهو من مسهلاته مع قلة النقطة. وانا نشير الى ذلك بالابحاز ثم نشرحه عند ما ييسر لنا سبك حروف جديدة له عند عودتنا الى مصر الا أن يفهمه ابراهيم بك رمزي صاحب مسبك التمدن بمصر أو بعض ذوي العناية هنا فيعملوا بسبك الحروف له فيكونوا من السابقين الى الاصلاح الذي نحمد له ونشكرهم عليه

أرى ان تكون الحروف متفرقة فهذا شرط لا يتم الاصلاح بدونه ولكن الحروف التي تتصل بغيرها تكتب على حداثها بالصورة التي تكون عليها اذا كانت في أول الكلمة الا ما اشتبه بغيره منها وكان المميز له النقط فقط فيترك على وضعه المفرد من غير تغيير او بتغيير قليل لا يخفى به على أحد ولا يحتاج معه الى تعليم جديد ولا يكتفى بالتمييز بالنقط. وذلك ان تكون الباء دائماً هكذا (ب) والتاء مثلها ولكن نبرتها أو سنّها تكون من الاسفل كما ترسم في خط الثلث (ت) والهاء والنون والياء هكذا دائماً (ث، ن، ي) والجيم هكذا (ج) والحاء مثلها ولكن يلتقي الطرفان الايسر ان منها اللذان كضلي الزاوية او تجعل كذلك هكذا (ح) وأما الخاء المعجمة فتكون هكذا (خ) بزيادة نبرة من الطرف الايسر. ويفرق بين الدال والذال بجعل أحدهما على الصورة التي يكتب بها المغاربة اي بزيادة شخوب فيكون قريباً من الكاف الصغيرة في أول الكلمة ولا يشبه بذلك على أحد. ويفرق بين الراء والزاي كما يفرق بينهما في قاعدة الثلث (ر، ز) وبين السين والشين كذلك بجعلهما هكذا (س، ش) - وبين الصاد والضاد هكذا (ص، ض) وبين الطاء والظاء بجعل عمود أحدهما معقوفاً كما يرسم في الخط الديواني - وبين العين والغين بجعل أحدهما ذات شخوب كما ترسم في

الخط الثالث أحيانا - وبين الفاء والقاف هكذا (ف ، ق) ولا بأس بجعل نقطة الفاء من
الاسفل ونقطة واحدة للقاف من الاعلى كما يكتب المغاربة . وتكتب سائر الحروف
هكذا (ك ، ل ، م ، ن ، ه ، ء ، و) والرسم الثاني للهاء يخص بالمشاركة بين التاء
الهاء . وهمزة الوصل تكتب ألفا بغير علامة أو بالعلامة المشهورة هكذا (أ) وهمزة القطع
هكذا (آ) والممدودة هكذا (آ) وأما ألف المد فيبقى على صورته (ا) إن جعلنا همزة
الوصل ذات علامة والاجعلناه هكذا (با) وواو المد يكون هكذا (و) وياء المد
هكذا (ع)

هذا ما نكتبه الآن في وصف هذا الضرب على اصلاح الحروف بالاختصار
ونرجى التفصيل وبيان الجزئيات الى ان تسبك الحروف على الوضع الذي أشرنا اليه
وأما الشكل الذي يضبط به الكلام وهو الهم فيمكن ان يستغنى فيه عن
علامة الفتح لانه هو الأكثر ويوضع للرفع والكسر هذه الاداة المعروفة في طباعتنا
الآن (ء) ويفرق بينهما بكيفية وضعها هكذا (و - ء) واذا كان الحرف منوَّنا
توضع مزدوجة هكذا (و - ء) والحرف المفتوح المنون يوضع له علامة أخرى
إما العلامة المشهورة وإما غيرها كعلامة التعجب المشهورة في المطبوعات العصرية
مكررة مرتين فقط (١١) وعلامة السكون المعهودة في شكلنا نجعل كبيرة وتبقى على
حالتها . وأما الحرف المشدد فاما أن نبقى له علامته المشهورة مع تكبيرها قليلا واما
ان نكتبه مرتين كما هو الاصل فيه

هذا ما أعرضه الآن موجزا مجملا على نادي دار العلوم بمصر وعلى محبي الاصلاح
من العلماء وأصحاب الجرائد والمطابع والمسابك ليعتدوا فيه ولهم ان يختاروا بعض
الاشكال والشكول على بعض ولكن لا ينبغي أن يطول السكوت على هذا الخلل
العظيم والله الموفق

اطوار اللغة العربية (٢٠)

لم يأت الباحثون عن مبدأ اللغة في ادلتهم بما تطمئن اليه النفوس ويحل منها محل القطع او الظن القريب منه، على ان اختلافهم في تعيين الواضع هل هو الله تعالى او البشر مما لا ترتب عليه فائدة في العمل تقتضي العناية بترجيح احد المذهبين ومن ثم صحح المحققون ان ادخال هذه المسألة في علم الاصول من الفضول، وزعم بعضهم ان قلب الالفاظ التي يؤدي تغييرها الى فساد في احكام الشريعة كنسبة الثوب فرسا والفرس ثوبا يرجع حكمه الى اصل ذلك الخلاف فيمتنع القلب على القول بان اللغة كلها وقعت بتعليم من الله ويجوز على القول بانها وضعت باصطلاح البشر وليس هذا البناء بمستقيم فان مجرد اسناد الوضع الى الله تعالى وان ثبت بالحجة القاطعة لا يقتضي الوقوف عند حد ما ورد منه والامساك عن تغييره باصطلاح جديد

واقعي ما ثبت في التاريخ ان هذه اللغة كانت في قبائل من ولد سام بن نوح عليه السلام وهم عاد وثمود وجرم الاولى ووبار وغيرها وقد اقترضت اجيال هؤلاء الاقباقا متفرقين في القبائل ولا يصح شيء مما يروى عنهم من الشعر، وقد انكر العارفون على من كتب في السيرة اشعارا كثيرة ونسبها الى عاد وثمود. ثم انتقلت الى بني قحطان وكانوا يتكلمون باللسان السكليداني لسان اهل العراق الاصليين واول من انعدل لسانه الى العربية يعرب بن قحطان وبعد ان نشأت منها الحيرية لغة اهل اليمن انتقلت الى اولاد اسماعيل عليه السلام بالحجاز، ولم تكن لغة اسماعيل عربية بل كان عبرانيا على لسان ابيه ابراهيم عليه السلام، ثم انخرط في شعوب العرب بمجاورتهم ومصاهرته لجرم الثانية حين نزل بمكة فنطق بلسانهم وورثه عنه اولاده فأخذوا يصوغون الكلام بعضه من بعض ويضعون الاءاء بحسب ما يحدث من

(*) بقلم الشيخ محمد الحضر بن الحسين من العلماء المدرسين بجامعة الزيتونة بتونس في مساهمته « حياة اللغة العربية »

المعاني الى ان ظهرت اللغة في كامل حسنها وبيانها وصار لها شأن عظيم وتأثير بليغ
ويدلك على عنايتهم بامر الفصاحة ما وصل اليها من نتائج افكارهم وبدائع
خطبهم وقصائدهم في سوق عكاظ وسوق مجنة اذ يفدون عليها في موسم الحج
ويقومون في عكاظ ثلاثين يوما وفي مجنة سبعة ايام يتناشدون ما وضعوه من الشعر
ويتفاخرون بمجودة صناعة الكلام وعند احتفالهم يضر بون قبة للشاعر العظيم في
وقته كالنابغة الذبياني ويعرضون عليه منتخبات اشعارهم ، وكان بعضهم يهدد بعضا
بنظم الهجاء وتسييره في ذنك الموضعين قال امية بن خلف يهدد حسان رضي الله عنه
ألا من مبلغ حسان غني مغفلة تدب الي عكاظ
وقال حسان في جوابه

اتاني عن امية زور قول وما هو في المغيب بذي حفاظ
سأشعر ان بقيت له كلاما يفسر في المجنة مع عكاظ
ومن شواهد هذا ان الحارث بن حلزة الاشكري كان شاعرا حكيما ولكنه ابتلي
بوضح (برص) ومن اجله كان عمرو بن هند ملك الحيرة يكره النظر اليه وبأبي ان
يستمع إلى خطابه الامن وراء ستار، فدخل عليه يوما واشد بين يديه قصيدته الممدودة
في الملقات

آذنتنا بينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء
وتعرض فيها الى شيء من الصلح بين بكر وتغلب فبهرت عمرا برائهم نظما
واستولت على لبه بسحر يانها فأخذته هزة وارتياح ولم يتمالك ان امر يرفع الستار
ما بينهما

واقتضت عناية العرب لذلك العهد بالابداع في القول والتنافس في مقام الفصاحة
أن ظهرت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم في بلاغة ما انزل عليه من القرآن ، كما جاء
عيسى عليه السلام يبرئ الاكاه والابرص ويحيي الموتى باذن الله لما ارسل الى
قوم توفرت عندهم العناية بعلم الطب ، وكما بعث موسى عليه السلام الى امه انتهى
السحر فيها الى غاية فانهم في مقام المعجزة بابدع ما يكون في قلب الاعيان وإدراكها
في غير صورتها الاولى

ثم ارتقت اللغة في صدر الاسلام الى طورها الاعلى ودخلت في اهم دور يحق علينا ان نسميه عصر شبابها فنمت عروقا واثمرت غصونها بالوان مختلفة من الاساليب ومن ماثر هذه الحياة الراقية ان كان كلام الناشئين في الاسلام من العرب احلى نسقا واصفى ديباجة من كلام الجاهلية في شعرهم وخطبهم ومحاوراتهم

والاسباب التي ارتقت بها اللغة حتي بلغت اشدها واخذت زخرفها امور ثلاثة : أحدها ما جاء به القرآن الحكيم من صورة النظم البديع والتصرف في لسان العرب على وجه يملك العقول فانه جرى في أسلوبه على منهاج يخالف الاساليب المعتادة للفصحاء قاطبة وان لم يخرج عما تقتضيه قوانين اللغة واتفق كبرا وهم على اصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه اللائق به وان تفاضل الناس في الاحساس بلطف بيانه تفاضلهم بسلامة الذوق وجودة القرينة

ومن الناحية من يحكم على بعض استعمالات يرد عليها القرآن بعدم القياس عليها كما قصروا حذف حرف المصدر ورفع المضارع بعده على السماع بعد ان أو ردوا في مثاله قوله تعالى «ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا» الآية . ولا أدري كيف يتفق لهم هذا مع علمهم بأنه صاحب البلاغة التي ليس وراءها مطلع ، وإنا لنعلم قولهم في أصول العربية أن ما قل في السماع ان كان مقبولا في القياس صح القياس عليه وان وجد ما يعارضه في القياس يوقف على السماع فنسلم لهم اجراء هذه القاعدة في كلام العرب لاحتمال ان تزيع السنتهم عن القصد فيحرفون الكلمة عن اصل استعمالها غلطا ولا نسلم لهم تحكيمها في كتاب الله الذي أخرس بفصاحته لسان كل منطبق

ثانيها ما تفجر في اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم من ينابيع الفصاحة وما جاء في حديثه من الرقة والمثانة والابانة عن الغرض بدون تكلف: روي ابابكر الصديق رضي الله عنه قال لقد طفت في احياء العرب فما رأيت احدا أفصح منك يا رسول الله، قال « وما يمنعني وانا قرشي وارضعت في بني سعد وبنو سعد أفصح قبيلة في العرب بعد قریش »

وانما اغضى علماء اللسان النظر عن الاستشهاد بالحديث لان رواته لم يجمعوا عنايتهم على ضبط الفاظه كما كانوا يثبتون في قله على المعنى ولو تحقق أهل العربية

من رواية حديث بلفظه كالأحاديث المنقولة للاستشهاد على فصاحته صلى الله عليه وسلم لاستندوا اليه في وضع احكامها يقينا

ثالثا ما فاضه الاسلام على عقولهم بواسطة القرآن والحديث من العلوم السامية وبما نتج عن تعارف الشعوب والقبائل والتسام بعضها ببعض من الافكار ومطارحة الآراء ومعلوم ان اتساع العقول وامتلاءها بالمعارف مما يرقى مداركها ويزيد في تهذيب المعيتها فتقذف بالمعاني المبتكرة وتبرزها في اساليب مستحدثة فان كثرة المعاني ودقتها تبعث على التفنن في العبارة والتأنق في سياقها ويوضح لكم هذا ان الناشئين في الحواضر نجدهم في الغالب اوسع غاية في اجتلاب المعاني الفاتحة واهدى الى العبارات الحسنة ممن يعادلهم في جودة القريحة وفصاحة المنطق بفطرته لاشمال المدن على معان شتى ينتزع الذهن منها هيئات غريبة لا طريق لتصورها الا المشاهدة

ولما فارقت العرب الحجاز لا بلاغ دعوة الاسلام وبث تعاليمه بين الامم اقتضت مخالطتهم لمن يحسن لفهم ضعف ملكاتها على السنتهم ودخول التغير عليها في مبانيها واساليبها وحركات اعرابها وابتداء التحريف يسري الى اللغة في عهد الخليفة الرابع علي بن ابي طالب رضي الله عنه فاشاع على ابي الاسود الدؤلي بوضع علم النحو ولم يزل ائمة العربية يحوطونها باستنباط القواعد حتى ضربوا عليها بسياج يقبها عادية الفساد ويحول بينها وبين غوائل الضياع والاضمحلال وحين انتشرت المخالطة وتفشي داء اللحن امسك العلماء عن الاستشهاد بكلام معاصريهم من العرب ويعدون اول المحدثين الذين لا يستشهد باقوالهم بشار بن برد المتوفى سنة ١٦٧ واحتج سيدي به بشيء من شعر بشار بدون اعتماد عليه وانما اراد مصانقته وكف اذيته حيث هجاه لتركه الاحتجاج بشعره كما استشهد ابو علي الفارسي في كتاب الايضاح بقول ابي تمام من كان مرعى عزمه وهمومه روض الاماني لم يزل مهزولا

وليس من عادتهم الاستشهاد بشعر أبي تمام لان عضد الدولة كان يعجب بهذا البيت وينشده كثيرا

واستشهد صاحب الكشف عند قوله تعالى (واذا اظلم عليهم قاموا) بيت من شعر ابي تمام وقال وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من

علماء العربية فاجعل مايقوله بمنزلة ما يرويه . فيؤخذ من صريحه انه يرى صحة الاحتجاج بكلام المحدث اذا كان من أمة اللغة وليس مذهبه هذا بسديد وقياس ما يقوله ابو تمام على ما يرويه غير صحيح فان التكلم بالعربية الصحيحة لعمد ابي تمام ناشئ . عن ملكة تستفاد من تعلم صناعتها ومدارسة قوانينها فعلى فرض ان لا قوته معرفة بعضها قد يذهل عن ملاحظة تلك القوانين فلا يأمن ان يزل به لسانه في خطأ ميين . وابو تمام نفسه صدرت عنه ايات كثيرة خرج فيها عن مقاييس العربية قال ابن الاثير لم اجد احداً من الشعراء المقلين سلم من الغلط فاما ان يكون لحن لحننا يدل على جهله بمواقم الاعراب واما ان يكون اخطأ في تصريف الكلمة ولا اعني بالشعراء من تقدم زمانه كالمثني ومن كان قبله كالبحتري ومن تقدمه كأبي تمام ومن سبقه كأبي نواس

اما العربي القح فإنه يطلق العبارة بدون كلفة في اختيار الفاظها او ترتيب وضعها فقع صحيحة في مبانيها مستقيمة في اعرابها ولا يكاد يلحن في اعراب كلمة او يزيلها عن موضعها اذا ترك لسانه وسجيته ومن ثم كان قرص الشعر كالخطابة على الارتجال والبدية شائعا عند العرب نادرا في عصر المولدين ، ولا يعترض هذا بان كثيرا من العرب يطيل المدة في عمل القصيدة كما فعل زهير في حويلاته لأنه يستوفيه في امد قريب ويتمها على شرط الصحة ولكنه لا يخرجها للناس اذا فرغ من عملها الا بعد التروي واعادة النظر في تقويم معانيها وحسن النسق في بنائها وإحكام قوافيها لا ليخلصها من اللحن ويطبق عليها اصول العربية كما هو شأن المحدثين

ثم نشأ بهذا التعريف الذي طرأ على اللغة مرض آخر انجر اليها بسبب من اسباب حسننها هو ان مسلم بن الوليد وابا تمام امعنا النظر في اشعار الفصحاء وخطبهم وحسروا اللثام عن وجه بيانها فابصروا فيها محاسن من فنون البديع كالاستعارة والجناس والتورية فشغفوا بها وثابروا على ايرادها في منظوماتهم توفيرا لحسنها واستزادة من التأنق فيها فكان الناس يقولون ان اول من افسد الشعر مسلم بن الوليد وسمع اعرابي قصيدة ابي تمام التي يقول في طالعها :

« ملل الجميع اراك غير حميد »

فقال ان في هذه القصيدة اشياء افهمها واشياء لا افهمها فاما ان يكون قائلها اشعر من جميع الناس واما ان يكون جميع الناس اشعر منه . وما تعاصى فهمها على الاعرابي الا لكونه سمع شعرا حشوي بوجوه من البديع خرجت به عن الاسلوب المألوف فقل تأليفه وبعد عن الافهام تناوله

واتبع طريقهما كثير من الادباء وربما انتهى بهم الاعجاب بمحاسن البديع الى مخالفة قانون العربية وتغيير بنية الكلمة من اجلها كقول بعضهم

انظر الي بعين مولى لم يزل يولي الندى وتلاف قبل تلامي
فكأنه زاد في مصدر تلف القايم له الجنس مع قوله تلاف ولا نعرف في كتب اللغة من ذكر التلاف مصدرا لتلف وانما يوردون في مصدره التلف بدون الف

ولم تقف سببة الا كثار من البديع عند حد الشعر بل تعدى وباوها الى النثر ايضا فطفق كثير من الكتاب يملأون رسائلهم بوجوه التحسين: الاستعارة والجناس ونحوها، واجتهدوا ان لا يفوتهم الشعراء بواحد منها حتى اذا ما تلقيت صحيفة من هذا القبيل واقيت فيها نظرك ليطوف عليها بالمطالعة ادركته عند كل فقرة حبسة والتوت امامه طرق فهمها وان كانت معاني مفرداتها جليلة فتحنس به كيف ينتقل من كلمة الى اخرى بخطوات ضيقة كأنما حمل على قيد من حديد، وأكثروا لا بهملون النظر الى جانب المعنى والمحافظة عن اقامته واستيفائه وهذا ما بعث الشيخ عبد القاهر الجرجاني حين قام ينادي باسبط عبارة ان الالفاظ خدم للمعاني وان المعاني مالكة سياسة الالفاظ ، وأقام الحجة في كتابه دلائل الاعجاز واسرار البلاغة (١) على ان مزية الفصاحة انما استحققتها الالفاظ ووصفت بها من جهة معانيها وازال كل شبهة عرضت لمن اعتقد انها مزية استحقها اللفظ بنفسه

وادرك غالب المحررين اليوم ان تتبع هذه الحسنات ومواصلة العمل بها في نظم الكلام يبدلها سيئات تشتمل منها قلوب الذين يستمعون القول فيتبعون

(١) يباع كل واحد منهما بعشرين قرشا صحيفا باداة النار واجرة البريد ثلاثة

احسنه بيانا فاقلموا عن الاكثار منها لاسيما في خطابات الجمهور وزهدوا فيها الا ما
 سمح به الخاطر عفوا ورمته الطبيعة بدون كلفة ظاهرة
 وكانت اللغة في خلال الاعصر الماضية تملو وتضعف وتنتشر في انحاء المعمورة
 على حسب كرم الدولة وعناية رجالها بالفنون الادبية فارفع ذكرها حين كان الامير
 سيف الدولة يباحث ابا علي الفارسي في غوامض علم النحو وينقد شعر ابي الطيب
 المتنبي بذوق لطيف وبجاذبية وغيره من الشعراء بغير حساب
 وارتقى شأنها يوم قام القاضي منذر بن سعيد في مجلس الملك الناصر لدين الله
 عند احتفاله برسول ملك الروم في قصر قرطبة وشرع يخطب من حيث وقف ابو
 علي البغدادي واقطع به القول فوصل منذر افتتاح ابي علي بكلام عجيب واطال
 النفس في خطبة مرتجلة فخرج الناس يتحدثون بيديته المعجزة وارتواء لسانه من
 اللغة الفصحى ولا مرية في ان كرم الدولة باعث على ارتقاء حال اللغة عند من التفت
 الى التاريخ واقام الوزن بين الشعراء الناشئين في زمن اجواد العرب وملوك آل جفنة
 وملوك خلم كزهير والناطقة وبين من تقدمهم من الشعراء

باب الانتقاد على المنار

﴿ السائل والمستول - كلمة مولى ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الشيخ المكرم ناصر السنة وقامع البدعة العالم العامل السيد محمد رشيد
 رضا المحترم ادام الله بقاءه آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد قرأت في المنار الاغر لازالت راياته
 منشورة ، وآياته ظاهرة منصوره ، في (ص ٨١٤ جزء ١١ من المجلد ١٢) سؤالاورد

من محمد علي افندي من موظفي كرك يافا ذكر فيه انه قد اطلع على كتاب يدعى صيانة الانسان عن وساوس ابن دحلان قال فرأيت فسر كلمة مولى بما معناه : ان كلمة مولى مشتقة من اسم الجلالة فلا يجوز والحالة هذه اطلاقها على نبي الانسان كأن يقال مثلا مولانا فلان فكل انسان قالما لانسان غيره يشرك بالله . الى آخر السؤال فاجبت على هذا السؤال بقولكم : الجواب قد غلاصاحب ذلك الكتاب في قوله الذي تقتسموه غلوا كبيرا وأخطأ خطأ ظاهرا الى آخر الجواب ، وحيث ان الداعي لتحريرى هذا هو التنبيه لا طلب التخطئة فأرجوكم ان تسمحوا لي من حيث انى أنه على غلط السؤال والجواب ليتبين وجه الصواب ، فأقول :

من الواجب ان يتنبه المستول لمورد السؤال فلا يعتمد نقل السائل اذا كان يعزو الى كتاب معين سواء كان حكى اللفظ او المعنى كهذا السائل الذى لا يفهم منهما شيئا ان لم يكن عنده سوء قصد فحيث ان موضوع الكتاب المسمى بصيانة الانسان رد على ما اقتراه دحلان على الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الكذب والبهت في رسالته التي مماها بالدرر السنية في الرد على الوهاية فقد اقام الله تعالى لرد باطله ذلك العالم الجليل صاحب صيانة الانسان الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السندي حتى زيف مالفقه من الزور والبهتان وابدى عوداته لكل انسان فجزاه الله عن نصرة الحق واهله خير الجزاء وهذا ما قاله دحلان مما وقع في صفحة ٥١١ من الكتاب المذكور « ويرى ان من قال لاحدنا مولانا وسيدنا فهو كافر الى آخر ما هذى به » فهذا جواب صاحب صيانة الانسان ننقله بالحرف الواحد قال في صفحة ٥١٣ « واما مسألة قولنا لاأحدنا مولانا وسيدنا فنذكر ماورد في الباب ، منها ما اخرجه مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايقول احدكم عبدي فكلكم عبيد الله ولكن ليقل فتاي ولا يقول العبد ربي ولكن ليقل سيدي - وفي رواية له - ولا يقل العبد لسيدى مولاي . وزاد في حديث ابى معاوية : فان مولانا كم الله عز وجل - وفي رواية له - ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي ولا يقل احدكم عبدي أمي وليقل فتاي غلامي . واخرج هذا الحديث ابو داود ايضا واخرج ابو داود عن مطرف قال قال ابى انطلقت

في وفد بني عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلنا انت سيدنا فقال : السيد الله . قلنا وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا قال : قولوا بقولكم او بعض قولكم ولا يستحريكم الشيطان . واخرج ابو داود عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقولوا للمنافق سيد فانه ان يك سيدا فقد اسخطتم ربكم عز وجل . انتهى

قد علم من تيك الاحاديث ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اطلاق لفظ السيد والمولى على احدنا ورخص فيهما أيضا ووجه التوفيق بأن للسيد والمولى معاني فالتنهي باعتبار بعض المعاني والرخصة باعتبار البعض الآخر ، قال في النهاية في مادة السود : السيد يطلق على الرب والمالك والشريف والفاضل والكریم والحليم ومتحمل اذى قومه والزوج والرئيس والمقدم . انتهى وقال في مادة الولي : وهو اسم يقع على جماعة كثيرة فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحِب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتق والمنعم عليه . انتهى فالتنهي عن اطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله محمول على السيد والمولى بمعنى الرب ، والرخصة محمولة عليهما بمعنى آخر من سائر المعاني فان ثبت ان الشيخ قد منع من اطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله فراده السيد والمولى بمعنى الرب ، واما بالمعنى الآخر فكيف يتصور ان يمنح الشيخ منه فانه عقد بابا في كتاب التوحيد بهذا العنوان باب (لا يقول عبدي وأمتي) واورد فيه حديث ابي هريرة المروي في مسلم الذي تقدم ذكره آنفا وفيه هذا اللفظ : وليقل سيدي ومولاي . فهذا اللفظ صريح في جواز اطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله بالمعنى الآخر ، انتهى المقصود منه . وله تنمة ساق المصنف فيها احاديث كثيرة في جواز اطلاق السيد والمولى على غير الله بمعنى غير الرب يطول ذكرها قال في آخرها : فعلم من هنا ان اطلاق السيد والمولى بمعنى غير الرب على الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين لا وجه للمنع منه ، فانظر حفظك الله من أين فهم السائل ان صاحب الكتاب فسر كلمة مولی بأنها مشتقة من اسم الجلالة الى آخر ما ذكره حينئذ تعلم ان السؤال والجواب ، قد حاد عن

طريق الصواب ، وختم كتابي قديم ازكى سلامي ولاثق احترامي ودمتم محروسين
دمشق الشام
كاتبه

فوزان بن سابق

(المتارج) لا نسلم للكاتب قوله انه يجب على المسئول ان لا يعتمد على قفل
السائل فكلام الناس وقلمهم يحمل على الصدق مالم يبين كذبه او يدل عليه شيء
واذا كان الجواب مبنيًا على السؤال وكان حقا على تقدير كون السؤال في محله فلا
لوم على المجيب اذا كان السؤال غير منطبق على الواقعة . وكان النبي (ص) يجب بل
يحكم للناس بحسب الظواهر كما هو معلوم

اثار علي بن ابي طالب

الى الامة العربية

هو الليل يغري بي الاسى فيطول	ويرخي وما غير المهموم سدول
أيت به لا الفاربات طوالم	علي ولا اللطاعات أفول
وينشر فيه الصمت لبدا مضاعفا	فتطويه مني رنة وعويل
ولي فيه دمع يلذع الخد حره	وحزن كما امتد الظلام طويل
بكيت على كل ابن اروع ماجد	له نسب في الاكرمين جليل
يلبع من الضيم المذل بفرة	لها البدر ترب والنجوم قبيل
من العرب اما عرضه فموفر	مصون واما جسمه فهزيل
له سلف عزوا فبزوا نباهة	ولم تغورهم قرة وخول
وساروا بنهج المكرمات قلمهم	قلانس من سعي لهم وخول
وكانوا اذا ما أظلم الدهر اشرفت	به غرد من مجدهم وحول

أولئك قوم قد ذوى روض مجدهم
وقد أعطشته السحب حتى لقد علت
رعى الله من أهل الفصاحة معشرا
ترامى بهم ريب الزمان كأنما
قامست من العمران خلوا بلادهم
وعادت مفاتيح العلم فيها دوارسا
وقوّضت الايام ببيان مجدها
فلم تسر فيه نسمة وقبول
على الزهر منه صفرة وذبول
لهم كان فوق الفرقدين مقيل
له عندهم دون الانام ذحول
فهنّ حزون قفرة وسهول
تجرّ بها للرامسات ذبول
فربح المعالي ينهن محول

* * *

نظرت الى عرض البلاد وطولها
ولم تبد لي فيها معاهد عزها
نظرت اليها من خلال ذوارف
فكنت كراء من وراء زجاجة
ولم اتين ما هناك من على
هناك حنيت الظهر كالقوس رابعا
واوسعت صدري للكتابة فاغدت
وارسلت دمع العين فأنهل جاريا
أأمنع عيني أن تجود بدمعها
فان تصجبوا أن سال دمي لأجله
وما عشت اني قد تناسيت عهده
وان امرا قد اقل الهم قلبه
أفي الحق ان انسى بلادتي سلوة
أقول لقومي قول حيران جازع
مني ينجلي يا قوم صبح ظلامكم
وينطق بالمجد الموثل سعيكم
تريدون للعليا سيلا وهل لكم
فأراق لي عرض هناك وطول
ولكن رسوم رثة وطول
من الدمع طرفي ينهن كليل
بصفيه كيا يستين ضئيل
لكثرة ما قد دب فيه نحول
بكفي على قلب يكاد يزول
بارجائه تحت الضلوع نجول
له بين اطلال الديار مسيل
على وطني؟ اني اذا لبخيل
فان دمي من اجله سيسيل
ولكن صبري في الخطوب جميل
كقلمي ولم يلق الردى لحول
ومالي عنها في البلاد بديل
تهيج به اشجانه فيقول:
وتذهب عنكم غفلة وذحول
فيسكت عنكم لأنهم وعذول
اليها واتم جاهلون سبيل

اناشدكم ابن المدارس انها
 وابن الغني المرتجى في بلادكم
 بلاد بها جهل وقر كلاهما
 اجل انكم انتم كثير عديدكم
 ولوان فيكم وحدة عصبية
 ولكن اذا مسفتهض قام بينكم
 واي فريق قام للحق صده
 وان كان فيكم مصلحون فواحد
 على ان لي فيكم رجاء وان كن
 السهم من القوم الاولى كان علمهم
 لهم هم ليس الظباة تفلها
 الا نهضة علمية عرية
 ويشجع وعديد ويعتز صاغر
 فان لم قم بعد الاناة عزائم
 على الكون فيكم والحياة دليل
 يجود على تشيدها وبطول
 اكل شروب الحياة قتول
 ولكن كثير الجاهلين قليل
 لما ن عليكم للرام وصول
 تلقاه منكم بالعناد جهول
 فريق طلوب للمحال خذول
 فمول والف في مداه قوول
 الى اليأس احيانا اكاد أميل
 به كل جهل في الانام قتيل
 وان كان منها في الظباة قوول
 فتعش ارواح بها وعقول
 وينشط للسعي الخيول كسول
 فعتي عليكم والملام فضول
 معروف الرصافي

رعاية الاطفال

شبحا أرى أم ذاك طيف خيال ؟
 أمست بمدرجة الخطوب فما لها
 حسرى تكاد تعبد فحمة ليها
 ما خطبها عجا وما خطبي بها
 دانيتها ولصوتها في مسمي
 وسألتها: من أنت؟ وهي كأنها
 لا بل فتاة بالمرء حياي
 راع هناك وما لها من وال
 ناراً بأنات زكين طوال
 مالي أشاطرها الوجيمة مالي
 وقع النبال عطفن اثر نبال
 رسم على طلل من الاطلال

فتملكت جزعا وقالت: حامل
 قد مات والدعا ومات أمها
 والى هنا حبس الحياء لسانها
 فلفت ما تخفي الفتاة وانما
 ووقفت أنظرها كأنني عابد
 ورأيت آيات الجمال تكفلت
 لا شيء أفضل في النفوس كقامة
 أو غادة كانت تريك اذا بدت
 قلت انهضي، قالت اينهض ميت
 فحملت هيكل عظمها وكأنني
 وطفقت أنهب الخطى متيما
 أمشي واحمل بانسين فطارق
 أبكيهما وكأنما أنا ثالث
 وطرقت باب الدار لا متيما
 طرق المسافر آب من اسفاره
 واذا بأصوات تصيح: ألافتحوا
 واذا بأيد طاهرات عودت
 جاءت يسابق في المبرة بعضها
 فتناوت بالرفق ما أنا حامل
 واذا الطيب مشمر واذا بها
 جاؤا بأنواع الدواء وطوفوا
 وجنا الطيب يحس نبضا خافقا
 لم يدر حين دنا ليلو قلبها
 ودعها وتركها في أهلها
 لم تدر طم النفض منذ ليل
 ومضى الحام بعها والخال،
 وجرى البكاء بدمعها المطال
 يحنو على أمثالها أمثالي
 في هيكل يرنو الى تمثال
 بزوالهن فوادح الانتقال
 هيفاء روعها الامى بهزال
 شمس النهار فأصبحت كالآل
 من قبره ويسير شن بالي؟
 حملت حين حملت عود خلال
 بالليل دار رعاية الاطفال
 باب الحياة وموذن بزوال
 لها من الاشفاق والاعوال
 أحدا ولا منقبا لسؤال
 أو طرق رب الدار غير مبال
 دقات مرضى مدالجين عجال
 صنع الجليل تطوعت في الحال
 بعضا لوجه الله لا للمال
 كالأم تكلا طفلها وتوالي
 فوق الوسائد في مكان عال
 بسرير ضيفهم كعفن الآل
 ويرود مكن دأبها القتال
 دقات قلب أم ديب نعال
 وخرجت مفشرا رخي البال
 (الجلد الثالث عشر) (٢٨) (الناظر ج ٣)

وعجزت عن شكر الذين تجردوا
لم ينجلوها بالسؤال عن اسمها
خير الصنائع في الأنام صنعة
واذا النوال أتى ولم يهرق له
من جاد من بعد السؤال فانه

لله درهم فكم من بائس
ترمي به الدنيا فن جوع الى
عين مسهدة وقلب واجف
لم يدر ناظره اعرىانا يرى
فكأن ناحل جسمه في ثوبه
يا برد فاحمل قد ظفرت باعزل
يا عين سحي يا قلب تفتري
لولا لم تقضي عليه شقاؤه
لولا لم كان الردى وقفا على
لله در الساهرين على الألى
القائمين بخير ما جاءت به
اهل اليتيم وكفه وحماته

لا تهملوا في الصالحات فانكم
لانى أرى قراءكم في حاجة
قتسبوا الخيرات فهي امامكم
والمحسنون لهم على احسانهم
وجزاء رب الحسين يحل عن

لا تهملون عواقب الازمال
لو تعلمون - لقائل فمال
ميدان سبق للجواد النال
يوم الاثابة عشرة الامثال
عد وعن وزن وعن مكيال

محمد حافظ ابراهيم

باب الاخبار والآراء

﴿ العرب والترك ﴾

قد علم قراء المنار ان السعي في حسن التفاهم بين العرب والترك قد كان أحد القاصدين الجليين من رحلتنا الى دار السلطنة في آخر الخريف حيث يعود المصريون منها ومن سائر البلاد التي يصطافون فيها لقضاء فصل الشتاء بمصر التي لا يفضل شتاءها شتاء ، وعلموا أيضا انه كان من السعي زيارتنا لصاحب جريدة (إقدام) ومعاتبته على ما كتب في شأن العرب وعرض مقالات عليه في حسن التفاهم بين العنصرين الذين هما قوام الدولة العثمانية ووعدته بنشرها ولكن أكثرهم لا يعلمون أن صاحب إقدام نشر ثلاثا من تلك المقالات وامتنع عن نشر ثلاث: نشر المقدمات وامتنع عن نشر المقصد الذي فيه بيان أسباب سوء التفاهم وطرق تداركها وتلافيتها ومنها مسألة تنقيح اللغة التركية وحذف الالفاظ العربية منها وما سمم عن جريدة إقدام من سوء التعبير فيها . قال في بيان سبب امتناعه عن نشر المقالة الرابعة إن هذه أمور ملية تتعلق بنا (أي بالترك) فليس له حق في البحث فيها !!

وقد استمر على نفاته الجنسية بقله وقلم اعوانه حتى نشر مقالة من مقالات عن اليمن بامضاء (خليل حامد) وهو امضاء مستعار لأحد الضباط هنا وقد جاء في هذه المقالة من الطعن في العرب انهم - في زعم الكاتب - بمقتضى طبيعتهم يبيعون بالمال كل شيء حتى أعراضهم !! . . . وقد قامت لهذه العبارة قيامة العرب الذين هنا حتى ان بعض الشبان استفزتهم حمية الغيرة على العرض التي لا يداني العرب فيها شعث من شعوب الارض فدفعتهم عند قراءة هذه العبارة والدم العربي يتبيخ في أجسامهم الى إدارة جريدة إقدام وإهانة صاحبها وتحقيره على نشر هذه السفاهة حتى قيل انهم بصقوا في وجهه ولا عجب فصاحب الغيرة على العرض قد يقتل من يطعن في عرضه عند ما يفاجئه ذلك

والقوانين تعذر من تدفمه الحدة المارضة للدفاع عن عرضه اذا أطاعها من فوره ولا يسد هذا الدفاع منكرا قبيحا كسائر أنواع الاهانات الا من لم يعرف للغيرة على العرض معنى

نحن لا نقول ان الاعتداء أو الاقنيات على الحكومة في القصاص أمر حسن مشروع وانما نقول ويقول المقلد كافة ان فرقا عظيما بين اعتداء مبتدأ لا يدفع له الطبع وبين مواخذة فورية لم توطن عليها النفس

وكيف يستنكر من فتيان العرب مثل هذه الغيرة التي لا رأي لهم فيها ولا روية وقد اضطربت لهذا الطعن اعصاب الكهول والشيوخ من المبعوثين كغيرهم حتى أن بعضهم اصابه الصداع ولم يستطع في ذلك المساء تناول الطعام وذهب وفد منهم الى الصدر الاعظم وكان في مجلس الوكلاء فأرسلوا اليه فخرج اليهم ووعدهم هو وناظر المدلية بتدارك الأمر وإحالة أحمد جودت بك مدير إقدام على ديوان الحرب العرفي لتعطيل جريدته ثم محاكته في المدلية وقد حكم الديوان بتعطيل جريدة إقدام الى أجل غير مسمى ولكنه لم يلبث أن أصدرها وكتب فوق كلمة اسمها كلمة (يكي) اي جديدة او الجديدة ، وناهيك بهذا من عقوبة !! وحكم عليه أيضا بمئة ليرة غرامة غرمها . وقد علم ديوان الحرب ان الناس صاروا يسخرون من تعطيل الجرائد لأن من عطلت جريدته صار يصدرها باضافة لفظ (يكي) اليها فقرر أنه لا يجوز لمن يحكم هو بالفاء جريدته ان يصدر جريدة ما الا باذن منه ولكن هذا القرار لم ينفذ على جريدة إقدام !

وقد كتب احمد بك جودت مدير إقدام عند ما عطلت جريدته مقالة نشرها في جريدة (طنين) اعتذر فيها عن نفسه ولكن كان عذرا أقبح من ذنبه فانه فث فيها سموم التغاير والتدابير بين العرب والترك بايهاهه القارئ لما ان العرب يسمونه بأنه مندفع لعداوة العرب بحجسته التركية ويرون أن الترك اعداء العرب وانتقل من هذه الدسيسة الى الامتنان على العرب بفضل الترك عليهم وذكر من هذا الفضل ما يلزم هوانه في غير محله فالظاهر انه يريد بذلك ان يقوم كتاب العرب للرد عليه وإنكار ما قاله مخالفا للتأريخ ليقسني له ولا مثاله حينئذ ان يوسعوا الخرق ويقولوا ان

العرب يحترقون الترك . ونحن لم نسمع أحدا من العرب يقول ان مدير إقدام يذم العرب باغواء الترك أو رضاهم

ادعى صاحب (إقدام) في مقاله هذه ان جريدته هذه ليست جريدة عنصرية ولا ترجع الترك على غيرهم من العثمانيين وان جميع الاجناس يعترفون له بذلك . والمشهور خلاف ذلك وانه ما وجدت جريدة تركية أساءت الى العرب أو أغضبتهم كما أغضبتهم جريدة إقدام فهي أشهر الجرائد في التعصب الجفندي ولاجل هذا التعصب لم تنشر مقالاتنا التي طالبنا فيها بانصاف العرب وحسن التفاهم بينهم وبين إخوانهم الترك والا فها هو عذره ولماذا أخفنا وعده ؟

قال بعد تلك المقدمة التي مدح بها نفسه وبرأها كما شاء . فاقول بأن التركية هي التي دفعت جريدة إقدام لكتابة تلك الفقرة هو اتهام لترك كلهم ، فانظر الى هذه النتيجة المخاطة من تلك المقدمات الباطلة ،

ثم قال . نعم ان الترك فدوا في اليمن وغيرها مئات الالوف من أولادهم فهذا الفداء ليس لأجل ان يترقوا عن العرب بل بالعكس يقتضي محبة الاتحاد معهم !! والتأريخ يشهد لنا بأن الذي خلص جزيرة العرب من استعمار الاجانب لها في أيام الصليبيين انما هي دماء الترك وذلك خدمة للاسلام ، والعرب لا تقدي ذلك الى يوم القيامة !

د وتقدر أن تقول بعبارة عامة ان الترك بذلوا أرواحهم في سبيل العرب !! بناء على ذلك كيف يكون الترك خصماء للعرب وسالكين سبيل الحاكية العنصرية؟ فهل هذه التهم هي مكافئة على الدماء التي أراقها الترك في سبيل العرب ؟ وهل بعد هذا يكون القول بأن صاحب إقدام عدو للعرب موافقا للمنطق ؟ اه

الترك أخوة العرب في الدين وفي تكوين هذه الدولة التي هي نراث الاسلام في الحكم والسultan فإذا قلنا ان صاحب إقدام جنى على التأريخ بزعمه ان الترك اقتلوا جزيرة العرب من الصليبيين لانكون باطلال الباطل نا كثير للقتل الذي جعلنا مع الترك أمة واحدة . وكل من يعرف التأريخ يعلم ان جزيرة العرب كانت

طول الزمان في امان من الافرنج وأما ماأخذوه من سواحل سورية فقد اتقده منهم
المسلمون كافة لا الترك خاصة .

واذا قلنا ان سوء سياسة الدولة في سفك دماء العرب في البين لايعمدنة للترك
على العرب لانكون مخلين بحقوق هذه الاخوة لا لأن الدماء التي سفكت هناك بأمر
قواد الترك وحكامهم هي دماء العثمانيين من الترك والعرب والارناؤوط والكرد
بل لأن سفكها كان من جهل أولئك القواد بالسياسة وحسن الادارة وقد خربت
بلاد العرب ولم تعمر بلاد الترك على ان البلاد كلها مشتركة لان الامة واحدة
كان من فضل الاسلام ان الترك بعد ان تشرفوا به لم يكونوا يعملون لأجل
عنصرهم ولا لأجل عنصر العرب ، وإنما يعملون لأجله كما أخذوا عن اساتذتهم
العرب حتى قام أمثال صاحب إقدام من متفرنجي هذا العصر يصخون الآذان كل
يوم بما يثير العصبية الجنسية ويضعف الرابطة الاسلامية وهم يجنون على دولتهم
من حيث يدرون أو من حيث لا يدرون ويخشى ان يعلموا سائر العناصر العصبية
الجنسية وقد ظهرت بوادر ذلك وهو اكبر خطر على هذه الدولة فنسأل الله تعالى
ان يقيها من شرور هؤلاء الاشرار بمنه وكرمه

ثم ان صاحب إقدام اورد بعد بيان هذه المن التي في رقاب العرب للترك
موازنة بين ماشره عن ذهول (كما ادعى) من الطعن في أعراض العرب ماضيهم
وحاضرهم وآتيهم وبين إهانة بعض طلاب العرب له في ادارة جريدته وزعمه
انهم اهانوا عند ذلك الامة التركية كلها اهانه لم يسمع بأن ملة من الملل اهينت
بمثلها ولم يقع من عنصر من العناصر العثمانية اهانة لعنصر آخر بمثل ذلك !! وكبر هذه
الدعوى وهول فيها . ماشاء وأشار بالنقط هكذا . . . الى ان ما طواه من ذلك
وأغضى عنه هو فوق ما قاله قصر يحا وتلو يحا . ولو كان يجب الاتحاد والانفاق بين
العنصرين كما ادعى في هذه المقالة لما نشر خبر هذه الاهانة المزعومة بين الترك
في جريدة هي أوسع من جريدته انتشارا ، لان ذلك يوغر صدور من يصدقون هذه
الدعوى من الترك فتفزع مسافة الخلف . فمقالته هذه شر من مقالة (خليل حامد) وأضر ،
وأدهى وأمر ، ولا يظهر لنا علة لنشر هذه الدعوى والتهويل بها غير تعمد لقاء الشقاق

بين الاختين الشقيقتين : الترك والعرب . فان ادعى انه يريد بذلك تربية المعتدين عليه يقال له كان يكفي في ذلك ان تذكر ما وقع للمحكمة العرفية او العدلية من غير ان تنفث في جريدة طنين سموم التفرق والخلاف ، وما انت بالمقصر في الشكوى وتعقيب الدعوى ثم انه بعد إثارة هذه الفتن ، وإيقاد نار الشقاق والاحن ، أخذ يسخر من العرب بطريقة اخرى غير الامتنان عليهم بمذابح المين وتخريبها في عصور الاستبداد التي رجوان يبدانا الله تعالى بها عصر العمران والنور في ظل الدستور تلك الطريقة هي استدلاله على اخلاصه وحبه لإرضاء العرب بدليلين هما من أغرب ضروب الاستدلال التي لم يبين مثلها في باب السفطة من علم المنطق (أحدهما) انه قال لناظر الداخلية عندما بلغه خبر تعطيل جريدة «إقدام» ان عنده رخصة باسم «يكي اقدام» ولكنه لا يصدرها لأجل ان يرضى العرب وتطمئن نفوسهم لحسن نيته . قال لأن تعطيل الجريدة لا يقصد به ورقة مخصوصة او اسم مخصوص وانما الغرض منه إبطال هذه الادارة او تخريبها وأنا أتحمّل هذه الخسارة لأجل ان تطمئن قلوب العرب وترضى خواطرهم !! - وذكر ان ناظر الداخلية قد أعجب بهذه الاربحة وسرّ وشكر وانه يظن ان سائر الوكلاء مثله في ذلك

لو صدق في قوله لناظر الداخلية ولم يصدر جريدته باسم «يكي اقدام» لما شك أحد من العرب . في صدقه بما ذكر من السبب ، وهو ابتغاء رضاهم واستماتهم ولكنه قال هذا القول ولم يلبث ان خالفه وأصدر الجريدة فظهر انه قال ذلك ليسخر من العرب وينبه الغافل منهم الى ان حكم ديوان الحرب بابطال جريدته لم يكن عقوبة ولا خسارة وإنما كان عبارة عن زيادة كلمة (يكي) في الجريدة !!!

وأما الدليل الثاني فهو انه كان عزم على اصدار جريدة عربية واستحضر أشهر شعراء العرب وأكبرهم من بغداد لأجل تحريرها وكلمه كلاما حسنا ثم لم يصدرها . وهذا الدليل أغرب من الدليل الاول وان كان يشابهه ويقابله في كون كل منهما عبارة عن وعد وعهد به وأخلف وقول قاله ولم يصدق فيه . ويختلفان على تقدير الصدق في القولين والوفاء بالوعدين اذ لو وفى بالاول لكان دليلا على حبه للترضية كما قال وان لم يكن دليلا على التأليف بين العنصرين . ولو وفى بالثاني لما كان مجرد الوفاء

به دليلا على حب العرب ولا على التأليف بينهم وبين إخوانهم الترك بل كان يجوز ان تكون جريدته العربية أشد تنفيرا للعرب من جريدته التركية فالعرب بمقدون الآن بأن جريدته متمصبة هاضمة لحقوقهم مهينة لهم ويقل من يراها منهم أو يعلم بما ينشر فيها فلو نشر جريدة عربية وقال فيها انه يجب على الترك تطهير لسانهم من الالفاظ العربية ، أو نشر فيها تلك المقالات عن السنوسية ، أو مقالات (خليل حامد) أو غير ذلك مما ينشر أحيانا في إقدام من العبارات التي ترمي الى العصية الجنسية ، لما كانت الاشرآلات التحليل لهذا الجسم الواحد الذي يحيا بروح واحد وإن كان مركبا من عنصرين يسمى احدهما العرب والآخر الترك

لما ظهرت في العام الماضي أسباب سوء التفاهم بين العرب والترك كان من أقواها ما ينشر في جريدة إقدام واشتهر ذلك في سورية ومصر ولكتني على سماعي هذا من الكثيرين لم أكن أسمى الظن بصاحب « إقدام » ولذلك سميت اليه وأحييت ان انشر في جريدته ما أريد ان أكتبه من المقالات لازالة سوء التفاهم وتأكد الوقائق والاتحاد بين العنصرين ولكنه أخلف فيما وعدني به من كل ما أكتبه كما تقدم فساء ظني فيه وأكد سوء الظن بمقالته التي نشرها في طين وما فيها من موقظات الفتنة التي أشرنا اليها

كدنا ننجح في سميننا ونزيل تلك الاسباب التي احدثت سوء التفاهم بما كتبناه من المقالات هنا وفي النثار ومن المكتوبات الخاصة للادباء والفضلاء في البلاد العربية فجاءت هذه الحادثة المشنومة فاعادت المسألة جذعة وكان صاحب إقدام عذيقها المرجب وجذيلها المحكك ولم تنته شرورها الى الآن فديوان الحرب العربي لا يزال يطلب الافراد والثبات من طلاب العرب ورجالاتهم لتحقيق في مسألة اهانة صاحب إقدام لأنه البسها ثوب التعصب الجنسي

ان المقالة الاخيرة المتضمنة للظمن في اعراض العرب قد طير البرق خبرها الى المدن العربية الكبرى وخاضت فيها الجرائد وكان لها من سوء التأثير فوق ما يظن أولياء الامور هنا فاذا كانت تبيجها هنا ان يعاقب كثير من الطلاب بالجلس

اوغير الحبس او يتوسل بها الى اقبال «المتدى الادبي» الذي يجتمع فيه جمهور اولئك الطلاب للدراسة والمذاكرة وتعلم اللغات القومية والأجنبية لينموا من أسباب الترقى كما يظن المتطهرون من الناس ويكتفى من معاقبة صاحب لإقدام باضافة لفظ «يكي» الى جريدته فلا يعلم الا الله ماذا يكون لذلك من سوء التأثير عند الامة العربية وعند كل المحلصين لهذه الدولة

مع هذا كله أكرر في المنار وغير المنار وما قلته للعرب في هذه الديار انه لايجوز لنا بحال من الاحوال ان نجعل ذنب الافراد ذنباً للامة أو أن ننسى ان الشعب التركي الخالص المتدين يحب العرب حب عبادة وان العرب يحبونه حب الاخوة الخالصة . ويجب ان تنقي الافعال من كلام بعض المتفرنجين الفاسقين أو الملحدن الذين يحركون العصبية الجنسية ليقوموا الشقاق بين العنصرين فان حدث مايجرك الافعال طبعاً فيجب ان تنقي فيما نقول وما نكتب كل مايبعد أحدالعنصرين عن الآخر ونجعل انتقادنا على أشخاص المفسدين المفرقين فان التفرق والتعادي بين الترك والعرب يجلب الخطر عليهما معا وعلى الدولة وان جهل المتعصبون، ونجاهل المفسدون،

﴿ اليمن ودماء العثمانيين المهدورة فيه ﴾

اتنا بعد أن كتبنا تلك العجالة في الرد على صاحب جريدة «إقدام» ونخطئته في التفرقة بين الترك والعرب وتوسله الى ذلك بالاقتراء على التأريخ في مسألة الحرب الصليبية والمخاتلة في مسألة اليمن أينا ان رجع الى التأريخ فنقتبس منه قسماً يضيء سبيل الحق فيما أشرنا اليه هناك من كون الدماء التي سفكت في اليمن لم تكن دماء الترك وحدهم ولم يكن فيها شيء لمصلحة العرب لانها خربت بلادهم ولم تعمرها وبدئت بالفساد والظلم والتخريب واستمرت على ذلك الى اليوم، ولا لمصلحة الترك لانهم لم يستفيدوا في مقابلة تلك الدماء التي سفكوها والاموال التي افقوها من خزانة الدولة فائدة

مادية ولا معنوية كما نوه بذلك مجلس المبعوثين في احدى جلسات الشهر الماضي
اذ قال عبد الحميد افندي الزهراوي مبعوث حماه : لو عصرنا تراب البين قطر دماء
عثمانيا فماذا استفدنا من ذلك ؟ ؟

ويظن بعض الناس ان معظم هذه الدماء سفكت في عهد السلطان عبد الحميد
الذي انتهى اليه الاستبداد في هذه الدولة وأقله في زمن السلطان عبد العزيز قبله.
وقد ذكرت هذه المسألة هنا فقال بعض الناس انها بنت نصف قرن قلت بل هي
بنت أربعة قرون ثم رجعت الى التاريخ فبحثت منه بالشهيد الآتي
جاء في (كتاب البرق اليماني في الفتح العثماني) اي فتح البين لقطب الدين
الحنفي المكي الذي قال في مقدمته انه خدم به سدة السلطان سليم بن السلطان
سليمان . (وفي مكتبة كوبريلي زاده محمد باشا نسخة منه كتب في طرته بالذهب
انها اهديت الى خزانة كتب الصدر الاعظم محمد باشا في عصره)

ان ابتداء التصدي لفتح البين كان في عهد السلطان سليمان (القانوني) فانه
لما بلغ السلطان استيلاء الافرنج من البرتغال على بلاد الهند أمر باعداد اسطول في
مصر ونجهز عسكر فيه لمحاربتهم وجعل قائد هذا العسكر ييكلار بكى مصر سليمان
باشا الخادم وهو احد ممالك السلطان سليم خان بن بايزيد خان الذي لم تعلم
من اخلاق سيده غير الفتك ، ولم يستقر في باله مما شاهده منه غير اراقة الدماء والسفك ،
فاحتال قبل سفره بالاسطول على الامير جانم الحزراوي الذي كان من اعظم
الناصحين في خدمة السلطنة وأمر بذبحه فقطعت رقبته بسيفه وهو يقول لا آله الا
الله محمد رسول الله ! ثم قطع رقبة ولده يوسف امير الحج وانما قتلها بعد ان كتب
الى السلطان بأنه شتم من الامير رائحة العصيان ويخشى ان يطيعه العسكر لاحسانه
اليهم فكتب اليه السلطان « ادفع شرهما » ونسي السلطان ان هذا الامير هو الذي
كان سبب اصلاح المملكة عند عصيان أحمد باشا وانه لم يوافق على العصيان .
ثم أمر الباشا بسلخ الوالد والولد وحشوهاما تبنا وتعليقهما على باب زويله !! *

(قال المؤلف) «ثم ان سليمان باشا بعد قتله لجانم الحزايي تملح ايضا بصلب الامير داود بن عمر أمير الصعيد من غير جرم آتاه ، ولا ذنب سواه ، غير كثرة أمواله ، وبذل يده وسعة حاله ، فطمع الباشا سليمان ، فطلبه الى الديوان ، فلما جاء أخذ هداياه أولا ، ثم عاقبه لقصد قتله معللا ، فقال ترسل الينا قمحا غير نظيف ؟ فقال أنا ما جئت الا بقمح مثل الجوهر اللطيف ، فأمر به الى باب زويله وعلق في عنقه مندبلا فيه قليل قتح وصلبه هناك وأحاط بجميع أمواله وخزائنه ، وظفر بكنوزه ودفائنه ، وقتله وهو مظلوم ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وكان احسن امراء الصعيد كثير البر والصدقات ، محبا للخيرات والحسنات ، يحسن كل عام الى كل واحد من علماء جامع الازهر ، والمشايخ المسلمين في ذلك القطر الازهر ، بالتحس مئة من الذهب فما دونها ، الخ ما ذكر من فضائله وفواضله

ثم سافر سليمان باشا الى جده ومنها الى عدن ، وكان صاحبها يومئذ عامر بن داود بقية بني طاهر ملوك اليمن سابقا . . . فلما بلغه وصول سليمان باشا للغزو في سبيل الله ، وقطع جادة الافرنج عن الاضرار بعباد الله ، فتح له باب عدن ، وأمر أن تزين ، وجمع له من البلاد ، ما أراد من الازواد ، وتوجه هو ووزيره للسلام عليه الى الغراب (نوع من المراكب) الذي هو فيه فبمجرد ان رأى سليمان باشا باب عدن قد فتح أمر عسكره بدخول عدن وأخذها فلما وصل اليه عامر ألبسه ومن معه خلعا ثم أمر بصلبهم على الصاري في الغراب الذي هو فيه ونهب العسكر داره ثم شرعوا في نهب البلد ، وعد البلد من فتوحاته وأقام فيها نائبا وكتب على بابها انه فتحها سنة ٩٤٥ ثم ذكر المؤلف وصول خبر غدر الباشا الى أهل الهند فنفر منه الناس وكانوا استعدادا لنصره وجمع العسكر له ثم كادوا له حتى رجع عنهم الى اليمن قال « وكان سليمان باشا خوفا ارا خوفا لم يهد منه شجاعة ولا إقدام وإنما كان يفتك بمن وقع في يده مأسورا مر بوطا ، فركبه من ذلك (أي مما بلغوه اياه كيدا له وإيهاما وليس هذا محل شرحه) خوف عظيم وتفرقت عساكره وصاروا يخدمون خوانين الهند طمعا في كثرة العلوقة »

ثم ذكر خبر وصوله بمن بقي معه من العساكر الى « مخا » وغدره بصاحب اليمن قال « وأرسل الى الناخود احمد بخلعة ومرسوم فيه الامان وأن يكون نائباً عن السلطنة بمملكة اليمن كما كان وان يصل بنفسه يدوس البساط ، ويحصل له كمال الشرف والانبساط ، فلما وصل اليه المرسوم استشار أخصاء فكلهم أشار عليه بعدم المواجهة وقالوا له انه لم يكن عنده شيء من الخيل ونحن عندنا سبع مئة حصان فان قاتلنا قاتلناه ، وان رضي منا بالاطاعة أطعناه ، فلم يستصوب هذا الرأي وركب اليه للملاقاة هو وخاصة عبيده وكانوا نحو الخمس مئة ووصل اليه طائفاً لا بساخلة هو وولده وولد اسكندر رموز وهما صبيان دون المراهقة وقدم اليه من هدايا اليمن ما قدر عليه. فلما دخل عليه أمر بقتله في الحال وذلك في ثامن شوال سنة خمس وأربعين وتسعمائة. فقتلت عبيده فنادى فيهم مناد من أراد من العبيد السود العلوقة السلطانية عند الوزير فليات ! فاجتمعوا بأسرهم ودخل معهم من ليس منهم طمعه في العلوقة وأدخلوا حوشاً كبيراً له باب واحد وصاروا يخرجونهم اثنين اثنين ويكتب اسمهما الكاتب بحضوره ويبرز بهما الى خارج الباب فيرمي رقابهما ولم يشعر بهما أحد منهم ممن داخل الحوش ولم يعلموا ما يفعل بهما عند الباب الى أن قتل الجميع !! »

ثم ذكر عوده وحجه وما فعل في الحرم من الالحاد والظلم والنهب والسلب من أهل عرفات الحجاج ومن أمير الحج الشامي والمصري ثم عودته الى مصر واقتضاره امام الوزير لطفي باشا زوج أخت السلطان سليمان بفتحواته لعدن واليمن واتصاره ولا ندري على أي الاعداء اتصر وما كان صاحباً عدن واليمن الا فرحين به مستأمنين له من غير ضعف ولا خوف : ثم قال المؤلف رحمه الله مانصه وهو الحكمة البالغة والعبرة الموثرة :

« ولو نظروا في حقيقة الحال ، وتدبروا ماسيوئول اليه في المآل ، علموا انهم كانوا في غنى عن هذا العنا ، وتيقنوا أنه جرّ اليهم مخناً وإحناً ، ولقد سمعت المرحوم محمد حلي المقتول دقتر دار مصر يفاوض المرحوم داود باشا في حدود سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة فقال : مارأينا مسبكاً مثل اليمن لمسكرنا كلها جهزنا اليه عسكراً ذاب ذوبلن الملح ولا يمود منهم الا الفرد الزاد ولقد راجعنا الدفاتر في ديوان مصر

من زمن ابراهيم باشا الى الآن فرأينا قد جهز من مصر الى البين في هذه المدة ثمانون ألفاً من الصكر لم يبق منهم في البين ما يكمل سبعة آلاف نفر، اه كلامه (قال المؤلف) قلت وقد تجهز بعد ذلك الى هذا الزمان أضعاف ما ذكره محمد بك رحمه الله تعالى وهلمّ جرا الى آخر الزمان . وهذا سر إلهي لا يعلم حقيقته الا الله تعالى . والذي يلوح للخاطر أن سبب نقصان بركتهم ، وتقهر عددهم ، ما يرتكبونه من ظلم العباد ، وما يتصاعد من المظلومين من الأدعية التي تصدر عن قلوب منكسرة ليس لها ناصر الا الله تعالى ، والله سبحانه يلهم حكامنا وامراءنا العدل والانصاف ، ويعدل بهم عن الجور والاعتساف ، انه مجيب الدعوات ، ومقبل العثرات ، اه

(المنار) إن أعجب ما في هذه النبذة التي اقتبسناها من هذا التاريخ قوله « وهلمّ جرا الى آخر الزمان » فلهذا المورخين إن أشعة بصائرهم لتخترق حجب القرون ، فتبصر ما وراءها وتخبر بمضمرات الغيوب ، فقد صدقت حوادث هذه القرون الاربعة قول الرجل وما أراه الا كان يعتقد بعله خفية لهذا الخذلان في تلك البقعة لهذه الدولة التي كانت في تلك الايام أقوى دول الارض ولعلها هي ما أشار اليه في مقدمة الكتاب من الاحاديث الصحيحة الواردة في البين الناطقة بأن الايمان يمانى والحكمة يمانية وأن نفس الرحمن يأتي من جهة البين على ان الرجل كان متعصبا للدولة على الزيدية مفتخرا بما كان يحصل لها من الانتصار ، متأثرا بما كان يحدث لها من الانكسار ، ذاماً للزيدية مشنعا عليهم بالبدعة ، مادحا للدولة وعسكرها بنصر السنة ، ولم تكن عنده نفرة جنسية عربية فان الاسلام نزع من قلوب العرب هذه العصبية الجاهلية فلم تعد اليهم حتى اليوم بل يرى المؤلف يذم عرب البين احيانا مع التعبير عنهم بالعرب ، ويمدح الترك معبرا عنهم بالترك ، وبينهج بنصرهم ويدعو لهم وهذا شأن العرب الى اليوم في كل البلاد يفرحون بنصر الدولة على عرب البين وان ظلمت هناك العباد ، وخربت البلاد ، حتى انهم كانوا يقولون في السلطان عبد الحميد

لا أزال الإله دولته الفراء (م) وان كان قد طفى ونجبر
وقد قرأنا في جريدة الاصلاح التي تصدر في سنغافوره كتابة من عهد قريب
لبعض عرب حضرموت يتمنون فيها ان تعجل الدولة باحتلال بلادهم والاستيلاء
عليها . ولكن متعصي فروق امثال صاحب جريدة لإقدام مجدون في التفريق فهم
الذين يعيدون بأقوالهم وأفعالهم الى العرب عصبية الجنس الا اذا تدارك رجال
السياسة هذا عاجلا كما نصحناهم أمس حين جئنا العاصمة ، ولما يستبينوا النصح
في ضحي القد

أقوا الله ياساسة الدولة وانزعوا هذا الوسواس من صدوركم ، أقوا الله واصلحوا
ذات بينكم ، أقوا الله فانكم تقولون اتنا في حاجة الى المساواة والاتحاد مع جميع
العناصر العثمانية ، وكيف يكون الاتحاد اذا لم يكن قبل كل شيء بين العرب والترك ؟
أقوا فنحن في أشد الحاجة الى الاعتصام بالاخوة الاسلامية مع جميع المسلمين
والاخوة العثمانية مع جميع العثمانيين ، فلا يهدم السفهاء ما بينه الحكماء ، فان الهدم
أسهل وأسرع من البناء ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح العقل على الهوى

* * *

﴿ دار العلم والارشاد ﴾

رجوت في النبذة الثانية من رحلي أن أنشر في الجزء الثالث من المئارج نظام
مدرسة « دار العلم والارشاد » بناء على الرجاء في الشروع بالعمل في ربيع الأول .
وقد حدث بعد أن كتبت ما كتبت ما أيا سني من مساعدة الحكومة بعد وعددها
القطعي أو كاد . ثم عادت المياه الى مجاريها والمرجو من فضل الله تعالى ان يكون
الشروع في شهر ربيع الآخر وقد تمت المقدمات في ربيع الاول والله الموفق
وهو المستعان

﴿ تصحيح ﴾ سقط من (ص ١٤٧ ج ٢ م ١٣) سطر كامل موضعه قبل
السطر الاخير ونذكر نصه ليكتب بالقلم وهو :

« اسعد أفندي أمين الفتوى ومصطفى أفندي اودوهيلي مستشار المشيخة »

الفصل الثامن عشر *

(عظم المنة بانساع المنة)

كان محمد (صلى الله عليه وسلم) قوي القلب جدا تدل على ذلك سيرته كلها من أولها الى آخرها . ولكن مهما قوي قلب أمام الحوادث المعتاد وقوع أمثاله بين الناس فلا يدل ذلك على انه لا تأخذه روعة أمام صوت غير بشري ، يهيب به الى أمر غير حسي . لذلك لا ينبغي أن نستغرب الروعة التي أخذت لأول وهلة ذلك القلب القوي العظيم فانه دعي من لدن الحق بواسطة الروح الى وظيفة تنوء بحملها المنن ، ويجب بحسب حدودها قلب الشئن

أي لعمر الحق لا غرابة في روعة تنقض الظهر ، اذا حدثت لمن نودي هذا النداء بهذا الامر ، وبديهي احتياج هذا المأمور الى شرح الصدر ، والتأييد ورفع القدر ، ولا بدع اذا ضمن له كل تأييد من أراد أن يكون قلبه محلا لتنزلات وحيه الأعلى

نعم أملت الروعة بقلب صاحب « حراء » لما نزل عليه الروح بما نزل به عليه وقد صرح الخديجة بذلك وقال لها « لقد خشيت على نفسي » ولكن التأييد حاف به ، والايناس صاف من حوله ، وناهيك أن في منزله

(*) تابع لما نشر في (ص ١٥٥ م ١٣) من سيرة السيدة خديجة

الذي اليه يثوب روحا شريفا كأن الله قد أوجده خاصة لتأييده وشرح صدره بأديء بده هو روح السيدة « خديجة »
 لم تكن هذه السيدة أقوى منه من بعلها الكريم ولكن هو واجهته
 روائع الجلال مواجهة ، فأخذته بين حيرة وشوق وخشية عجز عن القيام
 بالوظيفة . وأما هي فسمعت بالامر سماعاً ، ووجدت للتفكر فيه مجالاً ،
 ولإيناس الرفيق مقالا

ولو بدت امرأة بما بدت به هذه السيدة من هذا النبأ العظيم
 وكان ينقصها ما حلاها الله به من الفطنة وبعد الادراك وسلامة الفطرة
 وما أعطاها من قوة التمييز في وزن الامور ومعرفة مقاييسها لتراخت
 مفاصلها ووهت قوتها أمام هذا الحادث الغريب . ولكن العناية الازلية
 التي لها اليد في اظهار هذا المظهر الاعلى قد أتت العمل من أوله الى آخره
 ونسقت على أحسن منوال فلا بدع بما نراه في هذه السيدة من الصفات
 التي تساعد على استقبال أمور عظيمة لانها خلقت لتكون زوجة لذلك الرجل
 الذي سيأتيه أعظم الامور ويأتي به

تفكرت « خديجة » في هذا الامر وأخذت تسائل نفسها بنفسها
 وللأمل ههنا وجه وللخوف وجه : فالأمل يقول لها ان الامين لصادق
 وان روحه لركية قوية لاسلطان لروح الشر عليها والروح الذي جاءه انما
 بلغة باسم ربه أنه اصطفاه رسولا والله على هذا قدير ، وباختصاص من شاء
 بما شاء جدير ، وأي شيء يمنح رب العالمين اذا أراد أن يتكرم على هذا
 البيت بازال وحيه فيه فيغدو بعد الآن مشرقا لاتضاهيه المشارق ،
 يفيض النور على القبائل والشعوب ، انت الهم على هذا قادر اذا أردت

ولا مانع لما أعطيت ، والوجل بقول لها ما هذه الحال التي أخذت حبيب قلبي فراغت ، اني لا أخشى ان يكون أمراً جسمانياً محتاجاً كما قد يعرض للأفراد ، اني لا أخاف أن يصبح هدفاً لرمي الاضداد . ولكن سرعان ما غلب الأمل على الوجمل ، والمُنَّة على الضعف ، وشكأن ما تبدت لها وجوه الادلة على أن ما أنى بعلمها الكريم هو بريد خير عظيم ، ومقدمة فلاح عميم ، وكانت أدلتها على ذلك عقلية ونقلية تقدمت العقلية منها على الثانية

الفصل التاسع عشر

(الادلة العقلية)

لما قال « محمد » (صلى الله عليه وسلم) لخديجة « لقد خشيت على نفسي » قالت له « كلا والله ما يخزيك الله أبداً . انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المدوم ، وتقري الضيف ، وتأمين على نوائب الحق ، وتصدق الحديث ، وتؤدي الامانة »

ان هذا الكلام الذي صدر منها على الفور هو نتيجة معرفة سابقة ، هو نتيجة تفكير جميل قد أعطى النمرة سريعا ، هذا الكلام الوجيز يؤلف استدلالاً عقلياً من أعظم الاستدلالات فانه قد أتى ساذجاً نظيفاً لا غبار عليه من التكلف ، ولا شيء منه بواقف أمام الذهن ، هو قياس باهر النتيجة ، مطوي بمض الحواشي ، ومن أبدع الاقيسة نظماً ، ومن أجملها وقماً ، بيد أن الافهام كدأبها في التفاوت ، وعلى سنتها في التخالف ، لا

يستغني كثير منها عن تشرح هذا القياس لتطلع على قلبه وأعضائه واحدا واحدا . فحينئذ يلوح لها انطواء الافادات الغزيرة ، في هذه الكلمات الوجيزة ، وتعلم من قريب أن الحكمة بيد الله يؤتيها من يشاء

(١)

ينخرج من كلام هذه السيدة أن النوع الانساني محل لعظيم تجليات رب الانواع كلها . ولذلك يحب كل ما يؤدي الى تسامي هذا النوع ويخلق الاسباب لذلك يأخذ بيدها لتقلب على ما اظهره بحكمته التي لا نعلمها من أضدادها

(٢)

وينخرج من كلامها ان الله عز وجل مطلع على اعمالنا ومجاز عليها وأنه يحب منا أعمالا ويكره أخرى وأن الذي يحبه منا على حسب تفكرها هو الاستقامة ومساعدة بعضنا لبعض ولا سيما مساعدة الضعفاء

(٣)

وينخرج منه أن من يفعل الخير لا يأتيه الا الخير . والخير الذي نعبر عنه بهذا اللفظ قد جاء في عبارة السيدة بتفصيل اعمال كلها من باب مساعدة الانسان للانسان فهذه المساعدة في نظرها كل خير أو هي كل الخير فهل يكافيء الله فاعل الخير بغير الخير ؟ ان هذا لا يكون على حسب تفكرها

(٤)

ونتيجة قياسها أو أقيستها ان هذه رسالة ربانية فيها الخير لا الضير وأن الله عز وجل سيتفضل بتأييد هذا المأمور في حمل هذه الامانة على ثقلها وصعوبة تأديتها لقوم ينكرونها ولا يعرفونها

الفصل العشرون

(شرح حكمة السيدة خديجة)

ان عيط جلال الله الذي ليس له حد لا تبلغ سفن العبارات شيئا من سواحل التعريف به حق التعريف . وانما هي لتستعين النفس على بث حبها له عز وجل وتعبيدها اياه وليرداد شوق النفوس الى الكمال ، وتعبيدها لذلك الجلال ، لقد عزت صفات واجب الوجود عن أن ترسمها اللغات ، كما عزت ذاته عن أن تحدها الجملات ، وان حقيقة لمي فوق المجاز والاستعارات لكن الانسان خلق عظيم الشوق الى تصور ربه ، وغير صبور عن الاشارة الى وصفه ، وليت شعري أني يبلغ الواصفون صفة من كنهه عجب في خزائن الغيب الاعظم ؟

لقد نقد صبر الانسان في هذا الامر من قديم الازمان وأقدم على وصف ربه فلم يجد غير الاستعارة حيلة فوصفه بما يتصف به الانسان نفسه ولذلك وقع تناقض كثير في أوصاف الواصفين لأن رب العالمين غير حادث ولا تشبهه الحوادث تعالى عن ذلك علوا كبيرا

ولقد ظهر بين البشر رجال منهم أتهم الارواح وكلتهم من عند الله فأيد كلام الله بواسطة الروح ما درج عليه الناس من الاستعارة فأصبح هذا الامر عاما لا فرق بين الناس فيه الا فيما اختلفت فيه عباراتهم .

والافكار المستقلة تؤدي الى قبول هذا الاسلوب أيضا لان التفاهم في هذه الابواب لا يستغنى عنه ولا يمكن الا بالعبارة

الى الله سبحانه يرجع كل شيء فهو أنشأ الانسان على هذا المثال ، وهو علمه ما قد عرفه الى الآن ، وخلاصة ما عرفناه من ظواهر التكوين أن الباري المصور عز وجل لما أراد أن يكون هذا الانسان مميذا عليما أظهر الاشياء أمامه مبنية على التضاد ، وجعل تميز الاشياء بأضدادها ، وأودع فيه ضدين جعل عليهما مدار سيرته كلها في حياته هما الاستحسان وضده ، وجعل مع الاستحسان الشوق والحب ، ومع ضده النفرة والبغض . واقتضى ناموس التضاد الذي عليه مدار تمييز الانسان أن يتخالف أفراد هذا النوع في الاستحسان وضده فكثرت أسباب تخالفهم فنشأ بينهم الضدان المسمى أحدهما خيرا والآخر شرا . واحتاجوا الى جواذب تجذب الخير ودوافع تدفع الشر فرجعت كل معارفهم الى معرفة هذه الجواذب والدوافع . ومن غمي منهم علمه بها وسما عمله على موجب هذا العلم سموه حكيما وهل جائز أن يكون بعض افراد الانسان حكيما والباري غير حكيم ؟ كلا ، ثم كلا . بل ليست حكمة الانسان الا من الله ، والله هو العالم الحكيم . نعم بيد أننا نفقه معنى حكمة الانسان لاننا نميزها بضدها وليس لعلم الله وعمله وارا دته جل جلاله من ضد

انظر تجدنا نعرف الاسرار في كل دقيقة من الدقائق التي يؤلف الانسان منها شكلا من الاشكال لان الانسان انما يصنع ما يصنع للاحتياج والاستفادة وأما الذي اراد ظهور الاشياء بهذا التنوع فلم يرد هذا الحاجة او جدوى تعود عليه . ثم انظر تجد أننا نسمى ما يصنعه الانسان لافائدة عبثا ولا نسمي عمل المستغني عن الفائدة عبثا مع اننا لا نرى فائدة في عمله لاله لاستغنائاه وتقديسه ، ولاله المصنوع من معدن ونبات وحيوان وغيرها

فاذا أمعنت النظر يظهر لك أننا لا نستطيع أن نعلم ماهي حكمة الله في ظهور الاشياء على ماهي عليه ولكن نقص هذا العلم لم يمنعا عن القول بأن له حكمة في كل شيء وتعلم من هذا وضوح عجز العبارة في كشف خدور هذه الحقائق مع عدم الاستغناء عنها

ثم اذا رجعنا النظر الى علاقة هذه الظاهرات بالانسان يبدو لنا أمر يحمل على مزيد التفكير والتذكر ذلك أن كل شيء منها يفيد الانسان حكمة اذا تصدى لقراءته على صفحات الاعتبار ، ان الانسان يرى اذا تأمل نظاماً بديماً في هذه الظاهرات ويرى له نصيباً في كل شيء منها فمن هذا الوجه قد يصح لنا القول بأن من جملة حكم الله تعالى في هذه الظاهرات تجلي الآلة وكرمه بجعل علاقة النفع والانتفاع بين هذه الانواع والصنوف التي لا تحصى وبين هذا الكائن الصغير الجرم هذه العلاقة ظاهرة يكاد يراها كل من تأمل في استفادتنا معشر البشر من كل هذه الظاهرات . أما عجب الحكمة فيعمقون نظرم ويتلمسون الاسرار في تشكلاتها وتألفاتها على هذه الوجوه والاضاع . ولو فرضنا أنها جاءت على غير هذه الوجوه لتوجهت انظارهم الى استجلاء فوائدها ثمة أيضاً لأنها كلها من الله ، وما من الله لا يكون عبثاً بل يستفيد منه الانسان حكمة أو شيئاً آخر فكان الانسان أكرم من كل هذه الظاهرات وكأنه هو المقصود بأن تنكشف له الحكيم والاسرار الربانية

هذا هو الاساس الذي أقيمت عليه قواعد حكمة الانسان وهو مبدأ سيره لمعرفة حكمة الله الحكيم الاعلى جل وتقدست اسماؤه

حكمة الانسان في الحقيقة هدية ربانية يختص بها مرجع الاشياء من أراد اظهاره سليم الفطرة ، حاد الفكرة ، فهو يكون كثير الذكر ، قليل النسيان ، والكائنات كلها عبر ، وتعليم لمن تذكر . وليست حكمة الانسان تلقينا يقدم له كل مرء ، ويؤتاه كل احد في كتاب يكتب ، او خطاب يخطب ، لكن مع أنه لم يكن أحد مستعداً أن ينال الحكمة نجد الحكمة ذات بركة شاملة تزور بيوت غير الحكماء ايضا فتملأها فوائد كثيرة من غير أن يشعر أربابها بحركتها وحركة حاملي لواثها

كانت السيدة « خديجة » ذات نصيب من هذه الهدية العليا الربانية هدية الحكمة ، وقد رأى القارئ آتفا شيثاً من حكمتها وجميل تفكرها وتذكرها ونحن في هذا نشرح ذلك الاجمال ، ونزيد المقام حظاً من ذلك الاجمال :
(١) فهي رأت ان النوع الانساني محل لعظيم تجليات رب الانواع وأنه سبحانه يحب كل ما يؤدي الى تسامي هذا النوع . وحق ما رأت فان اظهار هذا النوع على هذا المثال هو أوضح ضياء يرى به المدلج أن الله سبحانه أحب أن يُعرف فاقترضت ارادته ظهور هذا النوع مستعداً للمعرفة وعظيم الشوق اليها . والانسان في ظهوره جسماً وروحاً وتفاوت أفراده بالارواح تفاوتاً عظيماً قد أصبح دون ريب من أكبر الآيات في هذا الباب على ذلك الشأن العظيم من المراد الالهي ، وأضحى بجمع أسرار وكنز حقائق لا يماري فيها الا من جعل النسيان بينهم وبين الملوكوت الاعظم حجبا
ومن المشاهد أن الباري عز وجل يخلق الاسباب المساعدة على ترقى هذا النوع ويأخذ بيدها لتتغلب على ما أظهره بحكمته التي لا نعلمها

من أضرارها . اتنا قد شامدنا ماجرى ويجري من الدفاع والجدال بين
جواذب الانسان الى حنادس الجهل ، وجواذبه الى مشارق العلم ، فوجدنا
الغلبة للثانية على الاولى ، وحسبك ان الانسان بعد ان كان كسائر الحيوان
لا يفقه غير حاجته الى عشب يصد به ألم جوعته ، وماء يرد به ألم عطشته ،
أصبح يعرف الفوامض من أمور الكواكب ، وبحسب من حر كاتهما
هو أقل من ملح البصر حتى تسنى له بذلك ان يعرف متى يكون الخسوف
والكسوف ، ددع عنك معرفته بما فوق الثرى وما تحته ، ودع عنك توصله
الى استخدام الروح الساري في هذه الظاهرات الدنيا نفني به الكهرباء
ودع عنك استفادته من الارواح العليا . واتيانه بواسطتها بالانباء
البميدة والمحجوبة

(٧) ورأت السيدة «خديجة» أن البارئ عز وجل مطلع على أعمالنا
ومجاز عليها وأنه يحب منا أعمالا ويكره أخرى . . . ومن تذكر ما حررناه
في مقدمة هذا الفصل يعرف أن مثل هذا التمييز يقصد به تصوير معاني
من كمال الله تعالى فهو سبحانه محيط بالوجودات كلها وقد جعل لها سفنا
من جملتها أن جعل أفراد النوع الانساني محتاجين الى ارشاد بعضهم لبعض
ومعاونة بعضهم لبعض ولا تنس أن الله سبحانه قضى بالتضاد ليميز به
الانسان فما قرب من سننه محبوب عنده ، وما بعد عنها مكروه لديه .
هيات ! هيات أن نعرف ما معنى محبته سبحانه وكراميته لانه سبحانه
لا ضد له ، ولكن هذا المعجز لا يثنينا عن الاعتقاد بأنه يحب ما ينفعنا ويكره
ما يضرنا كما هو مقتضى حكمته ورحمته بحسب ايماننا وانما خلق الضار
والمكروه مع النافع والمحبوب ليتم ناموس التضاد الذي قضت به حكمته

ومن أضمن النظر بكل ماسلف هنا يتبين له أن في مقدمة المحبوب لديه مساعدة بعضنا لبعض ولا سيما مساعدة القوي للضعيف. ومن يرزق هذا الروح لا يكون الا سليم الفطرة ، طيب القلب ، غير متعصب لنقص حظ ، ولا متعال بزياده نصيب ، فلا يكون الا محبوا تأتية المساعدة من قبل عالم الغيب وعالم الحس والشهادة

(٣) على هذا ترى هذه السيدة أن الله سبحانه لا يكافى فاعل الخير بغير الخير في هذه الحياة ، وأهل الملل يقولون هذا القول باعتبار ما يلقى المرء في الحياة الثانية التي انما تكون لنيل الجزاء ، وأما في هذه الحياة فمنهم من يذهب هذا المذهب الذي ذكرناه ومنهم من يقول ان فاعل الخير يتلى في هذه الحياة بشروط

ونحن لا ينبغي ان ننسى أن مذهب هذه السيدة مشوق لفعل الخير لان المجازاة عليه في هذه الحياة والحياة الاخرى مما يزيد محبيه حبا فيه . واليه أذهب ، وبه أثق ، ولا عبرة بمن يشذ عن قاعدة هذا المذهب ممن ظاهروا الخير والله أعلم بسرائرهم

هذا بعض تفصيل لما جاء مجملا في حكمة السيدة «خديجة» ولم نسوغ الزيادة على هذا المقدار خشية تعب الرفيق القارئ ومنه يعلم رفيقنا أن هذه الاستدلالات العقلية كافية لمن كان له قلب سليم كقلب سيدتنا أن يعرف معرفة تدفع الرب أن الروح الذي وافى معدن الخير محمداً (صلى الله عليه وسلم) إن هو الا روح خير وسلام ، وفلاح ونعمة واکرام ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

فبما كثر ما يذكر من يؤمن بالحكمة فقد أوتي

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر الاثنين سلخ ربيع الآخر ١٣٢٨ - ٩ مايو (ايار) ١٢٨٦م ١٩١٠م ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٢٩ : ٢٥) يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَ الَّذِي فِيكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الْمَعَارِفِ مِنَ
قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٣٠ : ٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ
أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا
(٣١ : ٣٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا

مضت سنة القرآن الحكيم بأن يعلل الأحكام الشرعية ويبين حكمها بعد بيانها
وفي هذه الآيات بيان لما تقدم من أحكام النكاح . قال الاستاذ الامام : قوله تعالى
﴿ يريد الله ليعين لكم ﴾ الخ استئناف بياني كأنه قائل يقول ماهي حكمة هذه الأحكام

(المارج ٤) (٣١) (المجلد الثالث عشر)

وقد تدنت لنا وهل كلف أمم الانبياء السابقين لها فلم يبح لهم أن يتزوجوا كل امرأة وهل كان مأمرا به ونهايا عنه تشديدا عليها أم تخفيفا عنها ؟ فجاءت الآيات مينة أجوبة هذه الاسئلة التي من شأنها ان نخطر بالبال بعد العلم بتلك الاحكام . وقوله « ليين » معناه ان يبين فاللام ناصبة بمعنى ان المصدرية كما قال الكوفيون ، ومثله « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم » أقول ويجعل البصريون متعلق الارادة محذوفا واللام للتعليل او العاقبة اي يريد الله ذلك التحريم والتحليل لأجل أن يبين لكم به ما فيه مصلحتكم وقوام فطرتكم ولهم في هذه اللام أقوال أخرى

وقد حذف مفعول ليين لتوجه العقول السليمة ، الى استخراجها من ثنايا الفطرة القويمة ، وقد اشار الاستاذ الامام الى بعض الحكم في تحريم تلك المحرمات عقب سردها ورأينا أن نؤخر ذكرها فنجعله في هذا الموضع ليكون بيانا لما وجهت اليه النفوس هنا بحذف المفعول ، وانما كتبنا عنه في مذكرتنا بيان عاطفة الاب الساقطة الى تربية ولده وهي تذكر بغيرها من مراتب صلات القرابة واننا نذكر ما يتعلق بهذا المقام بالايجاز ومحل الاسهاب فيه كتب الاخلاق

ان الله تعالى جعل بين الناس ضرورا من الصلة يتراحمون بها ويتعاونون على دفع المضار وجلب المنافع ، وأقوى هذه الصلات صلة القرابة وصلة الصهر ، ولكل واحدة من هاتين الصلتين درجات متفاوتة ، فأما صلة القرابة فأقواها ما يكون بين الاولاد والوالدين من العاطفة والارحية ، فمن اكتنه السر في عطف الاب على ولده يجد في نفسه داعية فطرية تدفعه الى العناية بربيته الى أن يكون رجلا مثله ، فهو ينظر اليه كنظره الى بعض أعضائه ويعتمد عليه في مستقبل أيامه ، ويجد في نفس الولد شعورا بأن أباه كان منشأ وجوده ومد حياته وقوام تأديبه وعنوان شرفه وبهذا الشعور يحترم الابن أباه ، وتلك الرحمة والارحية يعطف الاب على ابنه ويساعده . هذا ما قاله الاستاذ ولا يخفى على انسان ان عاطفة الأم الوالدية أقوى من عاطفة الاب ، ورحمتها أشد من رحمته ، وحنانها أرسخ من حنانه ، لأنها أرق قلبا وأدق شعورا ، وان الولد يتكون جنينا من دمها الذي هو قوام حياتها ، ثم يكون طفلا يتغذى من لبنها ، فيكون له مع كل مصة من ثديها ، عاطفة جديدة يستلها من قلبها ،

والطفل لا يجب أحدا في الدنيا قبل أمه ثم انه يحب أباه ولكن دون حبه لأمه ، وان كان يحترمه أشد مما يحترمها ، أفليس من الجناية على الفطرة أن يزاحم هذا الحب العظيم بين الوالدين والاولاد حب استمتاع الشهوة فيزحه ويفسده وهو خير ما في هذه الحياة ؟ بلى ، ولجل هذا كان تحريم نكاح الامهات هو الاشد المقدم في الآية ويليّه تحريم البنات ، ولولا ما عهد في الانسان من الجناية على الفطرة والعبث بها والافساد فيها لكان لسليم الفطرة أن يتعجب من تحريم الامهات والبنات لأن فطرته تشعر بأن النزوع الى ذلك من قبيل المستحيلات ،

وأما الاخوة والاخوات فالصلة بينهما تشبه الصلة بين الوالدين والاولاد من حيث أنهم كأعضاء الجسم الواحد فان الاخ والاخت من أصل واحد يستويان في النسبة إليه من غير تفاوت بينهما ثم انهما ينشآن في جحر واحد على طريقة واحدة في الغالب ، وعاطفة الاخوة بينهما متكافئة ليست أقوى في أحدهما منها في الآخر كقوة عاطفة الأمومة والأبوة على عاطفة البنوة فلهذه الاسباب يكون انس أحدهما بالآخر أنس مساواة لا يضاويه أنس آخر اذ لا يوجد بين البشر صلة أخرى فيها هذا النوع من المساواة الكاملة ، وعواطف الود والثقة المتبادلة ، ويحكي ان امرأة شفعت عند الحجاج في زوجها وابنها وأخيها وكان يريد قتلهم فشفعها في واحد منهم وأمرها ان تختار من يبقى فاخترت أخاها فسألها عن سبب ذلك فقالت ان الاخ لا عوض عنه وقد مات الوالدان وأما الزوج والولد فيمكن الاعتياض عنهما بمثلها . فأعجبه هذا الجواب وعفى عن الثلاثة وقال لو اختارت الزوج لما بقي لها احدا ، وجملة القول ان صلة الاخوة صلة فطرية قوية وان الاخوة والاخوات لا يشتهي بعضهم التمتع ببعض لأن عاطفة الاخوة تكون هي المستولية على النفس بحيث لا يبقى لسواها موضع ماسلمت الفطرة فقضت حكمة الشريعة بتحريم نكاح الاخت حتى لا يكون لعنّي الفطرة منفذ لاستبدال داعية الشهوة بعاطفة الاخوة

واما العمت والخالات فهن من طينة الاب والام وفي الحديث « عم الرجل صنو أبيه » اي هما كالصنوان يخرجان من أصل النخلة وتقدم هذا في تفسير (٢ : ١٣٣) ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا

٢٤٤ الحكمة الروحية والجسدية لتحريم محرمات النكاح (المنار ج ٤ م ١٣)

نعبد الهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحق (فعدوا إسماعيل من آبائه لأنه أخ لآسحق فكأنه هو . ولهذا المعنى الذي كانت به صلة العمومة من صلة الابوة وصلة الخوثة من صلة الأمومة - قالوا إن تحريم الجدات مندرج في تحريم الامهات وداخل فيه . فكان من محاسن دين الفطرة المحافظة على عاطفة صلة العمومة والخوثة والتراحم والتعاون بها وان لا تنزو الشهوة عليها وذلك بتحريم نكاح العمت والخالات وأما بنات الاخ وبنات الاخت فهما من الانسان بمنزلة بناته من حيث ان أخاه وأخته كنفسه وصاحب الفطرة السليمة يجد لهما هذه العاطفة من نفسه وكذا صاحب الفطرة السقيمة الا ان عاطفة هذا تكون سقيمة ، نعم ان عطف الرجل على بنته يكون أقوى لكونها بضعة منه نمت وترعرعت بعنايته ورعايته ، وانسه بأخيه واخته يكون أقوى من أنسه ببناتهما لما تقدم . وأما الفرق بين العمت والخالات ، وبين بنات الاخوة والاخوات ، فهو ان الحب لهؤلاء حب عطف وحنان ، والحب لآولئك حب تكريم واحترام ، فهما من حيث البعد عن مواقع الشهوة متكافئان ، وانما قدم في النظم الكريم ذكر العمت والخالات ، لان الادلاء بهما من الآباء والامهات ، فصلتهما أشرف وأعلى من صلة الاخوة والاخوات ،

هذه هي انواع القرابة القرية التي يتراحم الناس بها ويتعاطفون ، ويتعاونون ، بما جعل الله لها في النفوس من الحب والحنان ، والعطف والاحترام ، فحرم الله فيها النكاح لاجل ان توجه عاطفة الزوجية ومحبتها الى من ضمت الصلة الطبيعية أو النسبية بينهم كالغرباء والاجانب ، والطبقات البعيدة من سلالة الاقارب ، كأولاد الاعمام والعمات ، والاخوال والخالات ، وبذلك تتجدد بين البشر قرابة الصهر ، التي تكون في المودة والرحمة كقرابة النسب ، فتتسع دائرة المحبة والرحمة بين الناس ، فذه حكمة الشرع الروحية في محرمات القرابة

ثم أقول ان هنالك حكمة جسدية حيوية عظيمة جدا وهي ان تزوج الاقارب بعضهم ببعض يكون سببا لضعف النسل فاذا تسلسلت واستمرت يتسلسل الضعف والضوى فيه الى ان ينقطع . ولذلك سببان أحدهما وهو الذي أشار اليه الفقهاء أن قوة النسل تكون على قدر قوة داعية التناسل في المزوجين وهي الشهوة وقد قالوا

انها تكون ضعيفة بين الاقارب ، وجعلوا ذلك علة لكرهية التزوج بينات العموبات
العمة الخ وسبب ذلك ان هذه الشهوة شعور في النفس يزاحمه شعور عواطف القرابة
المضادة له فاما ان يزيله واما ان يزلزله ويضعفه كما علم مما بيناه آفا

والسبب الثاني يعرفه الاطباء وانما يظهر للعامة بمثال تقريبي معروف عند الفلاحين
وهو أن الارض التي يتكرر زرع نوع واحد من الحبوب فيها يضعف هذا الزرع
فيها مرة بعد أخرى الى ان يتقطع لقلة المواد التي هي قوام غذائه وكثرة المواد
الآخرى التي لا يتغذى منها ومزاحمتها لغذائه أن نخلص له ، ولو زرع ذلك الحب في
أرض أخرى وزرع في هذه الارض نوع آخر من الحب لنما كل منهما . بل ثبت عند
الزراع ان اختلاف الصنف من النوع الواحد من انواع البذار يفيد فاذا زرعوا
حنطة في ارض وأخذوا بذرا من غلتها فزرعوه في تلك الارض يكون نموه ضعيفا
وغلته قليلة واذا أخذوا البذر من حنطة أخرى وزرعوه في تلك الارض نفسها
يكون أمي وأزكى . كذلك النساء حرث كالارض يزرع فيهن الولد وطوائف الناس
كانواع البذار واصنافه فينبغي ان يتزوج افراد كل عشيرة من أخرى ليزكو الولد
وينجب فان الولد يرث من مزاج أبويه ومادة اجسادهما ويرث من اخلاقهما
وصفاتهما الروحية ويأينهما في شيء من ذلك ، فالتوارث والتباين سنتان من سنن الخليفة
ينبغي أن تأخذ كل واحدة منهما حظها لاجل ان ترتقي السلائل البشرية ويتقارب
الناس بعضهم من بعض ، ويستمد بعضهم القوة والاستعداد من بعض ، والتزوج
من الاقربين ينافي ذلك - فثبت بما تقدم كله انه ضار بدنا ونفسا ، منافع للفطرة مخل
بالروابط الاجتماعية عائق لارتقاء البشر .

وقد ذكر الغزالي في الاحياء أن من الخصال التي تطلب مراعاتها في المرأة ان
لا تكون من القرابة القريبة ، قال فان الولد يخلق ضاويا أي نحيفا وأورد في ذلك حديثا
لا يصح . ولكن روى ابراهيم الحربي في غريب الحديث أن عمر قال لآل السائب :
اغربوا لا تضوا . أي تزوجوا الغرائب . وعلل الغزالي ذلك بقوله : ان الشهوة
إنما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر أو اللمس وانما يقوى الاحساس بالامر الغريب

الجديد فاما المعهود الذي دام النظر اليه فانه يضعف الحس عن تمام ادراكه والتأثر به ولا تتبع به الشهوة . اهـ

وأما حكمة التحريم بالرضاعة فقد بينها في تفسير «واخواتكم من الرضاعة» ،
 ويزيده ما قلناه آنفا في حكمة محرمات النسب تبينا فمن رحمته تعالى بنا أن وسع لنا
 دائرة القرابة بالحاق الرضاع بها وقد ذكرنا ان بعض بدن الرضيع يتكوّن من لبن
 المرضع وقتنا ان نذكر هناك انه بذلك يرث منها كما يرث ولدها الذي ولدته
 وأشرنا ايضا الى حكمة تحريم محرمات المصاهرة بما ذكرناه في حكمة تحريم
 الربيبة وهي بنت الزوجة ، وأما أولى بالتحريم لان زوجة الرجل شقيقة روحه بل
 مقومة ماهيته الانسانية ومتممتها فينبغي أن تكون أمها بمنزلة أمه في الاحترام ، ويقبح
 جدا أن تكون ضرة لها فان لحمه المطاهرة كلحمه النسب فاذا تزوج الرجل من عشيرة
 صار كأحد أفرادها وتجددت في نفسه عاطفة مودة جديدة لهم فهل يجوز أن يكون
 سببا للتغاير والضرار بين الأم وبنتها ؟ كلا ان ذلك ينافي حكمة المطاهرة والقرابة ،
 ويكون سبب فساد العشيرة ، فالموافق للفطرة الذي تقوم به المصلحة ، هو ان تكون
 أم الزوجة كأم الزوج وبنتها التي في حجره ، كبنته من صلبه ، وكذلك ينبغي أن
 تكون زوجة ابنه بمنزلة ابنة ، يوجه اليها العاطفة التي يجدها لبنته ، كما ينزل الابن
 امرأة ابيه منزلة أمه ، واذا كان من رحمة الله وحكمته أن حرم الجمع بين الاختين
 وما في معانها لتكون المصاهرة لحمه مودة ، غير مشوبة بسبب من اسباب الضرر
 والنفرة ، فكيف يعقل ان يبيح نكاح من هي أقرب الى الزوجة كأنها أو بنتها
 أو زوجة الوالد للولد وزوجة الولد للولد ؟ وقد بين لنا أن حكمة الزواج هي سكن
 نفس كل من الزوجين الى الآخر والمودة والرحمة بينهما وبين من يلتحم معها
 بلحمه النسب فقال (٢١:٣٠) ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا
 اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) ففقد سكن النفس الخاص بالزوجية ولم يقيد المودة
 والرحمة لأنها تكون بين الزوجين ومن يلتحم معها بلحمه النسب ، وتزداد وتقوى
 بالولد ، كما بينا ذلك بالاسهاب في مقالات (الحياة الزوجية) التي نشرناها في
 المجلد الثامن من المئارج

فهذا ما فتح الله به علينا في بيان المراد من قوله تعالى «يريد الله ليبين لكم» من حيث إنه لم يذكر معمول «ليبين» لئلا يمتدح من سنن الفطرة بمعونة ارشادنا الى كون ديننا دين الفطرة بقوله (٣٠: ٣٠) فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون (قد جاءت هذه الآية بعد آية الزوجية بثمان آيات . وقال تعالى (٢٠: ٥١) وفي الارض آيات للموقنين ٢١ وفي انفسكم أفلا تبصرون) وقد هدانا بذلك جلت حكمته الى الاستقلال في طلب العلم والحكمة ، وتزكية النفس بالأدب والفضيلة ، ولا غرو فالقرآن هدى للمعتقين ، لأقوانين وضعية للتكليفين ، ولا رسوم عرفية للجامدين ،

بعد كتابة ما تقدم ذهبت الى احدى دور الكتب (في القسطنطينية) حيث انا فراجعت كتاب حجة الله البالغة للشيخ احمد المعروف بشاه ولي الله الدهلوي فاذا هو يقول في حكم محرمات النكاح «والاصل في التحريم أمور (منها) جريان العادة بالاصطحاب والارتباط وعدم إمكان لزوم الستر فيما بينهم وارتباط الحاجات من الجانبين على الوجه الطبيعي دون الصناعي فانه لو لم تجر السنة بقطع الطمع عنهن والاعراض عن الرغبة فيهن لماجت مفاصد لا تحصى ، وانت ترى الرجل يقع بصره على محاسن امرأة اجنبية فيقول بها ، ويقتحم في المهالك لاجلها ، فما ظنك فيمن يخلو معها وينظر الى محاسنها ليلا ونهارا . وايضا لو فتح باب الرغبة فيهن ولم يسد ولم تقم اللائمة عليهم فيه افضى ذلك الى ضرر عظيم عليهن فانه سبب عضلهم إياهن عن برغبين فيه لأنفسهم فانه يدهم أمرهن واليهن إنكاحهن ، وان لا يكون لهم ان نكحوهن من يطالبهم عنهن بمحقوق الزوجية مع شدة احتياجهن الى من يخاصم عنهن » ونظر لذلك بمسألة عضلهم لليتامى الغنيات كما تقدم في أوائل السورة

قال (ومنها) الرضاغة فان التي ارضعت تشبه الام من حيث انها سبب اجتماع امشاج بنيتها وقيام هيكله غير ان الام جمعت خلقته في بطنها وهذه دوت عليه سد رمقه من أول نشأته فهي ام بعد الام وأولادها أخوة بعد الاخوة ، وقد قاست في حضانتها ما قاست ، وقد ثبت في ذمتها من حقوقها ما ثبت ، وقد رأت منه في صغرها ما رأت ، فيكون تملكها والثوب عليها مما تمجده الفطرة السليمة ، وكم من بهيمة عجماء

لاتلقت الى أمها او الى مرضعها هذه اللفتة ، فما ظنك بالرجال (وأیضا) فان العرب كانوا يسترضعون أولادهم في حي من الاحياء فيشب فيهم الولد ويخالطهم كخالطة المحارم ويكون عندهم للرضاعة لجة كلحمة النسب ، ثم ذكر الحديث في هذا المعنى والرضاع المحرم وتكون الاصل في مقداره عشر رضعات والخمس للاحتياط

قال (ومنها) الاحتراز عن قطع الرحم بين الاقارب فان الضرتين تنحاسدان وينجر البغض الى اقرب الناس منهما والحسد بين الاقارب أخنع وأشنع . وقد كره جماعات من السلف ابتي عم لذلك فما بالك بامرأتين ايهما فرض ذكرهما حرمت عليه الاخرى كالاختين والمرأة وعمتها او خالتها ، ثم ذكر ماورد في الجمع

قال (ومنها) المصاهرة فانه لو جرت السنة بين الناس ان يكون للام رغبة في زوج بنتها وللرجال في حلائل الابناء وبنات نساہم لأفضى الى السعي في فك ذلك الربط أو قتل من يشح به ، وان انت سمعت الى قصص قدماء الفارسيين واستقرأت حال أهل زمانك من الذين لم يتقيدوا بهذه السنة الراشدة وجدت أمورا عظاما ومهالك ومظالم لا تحصى (وأیضا) فان الاصطحاب في هذه القرابة لازم ، والستر متعذر ، والتحاسد شنيع ، والحاجات من الجانبين متنازعة ، فكان امرها بمنزلة الامهات والبنات او بمنزلة الاختين ،

قال « ومنها العدد الذي يمكن الاحسان اليه في العشرة الزوجية » ولم يأت بشيء جديد الا قوله في بيان حكمة الاربع « ذلك ان الاربع عدد يمكن لصاحبه ان يرجع الى كل واحدة بعد ثلاث ليال وما دون ليلة لا يفيد فائدة القسم ولا يقال في ذلك بات عندها ، وثلاث اول حد الكثرة وما فوقها زيادة الكثرة » وقد وفينا هذا المقام حقه في تفسير الآية التي تبيح التعدد من الجزء الرابع

قال (ومنها) اختلاف الدين وهو قوله (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) وذكر ان ذلك مفسدة للدين وهي تخف في الكتاية فرخص فيها . وتقدم إيضاح ذلك في الجزء الثاني . وقد نقل ابن جرير عن بعض مفسري السلف ان المشركين والمشركات المحرم على المؤمنين التناكح معهم هم المشركون والمشركات من العرب

وقد كان من حكمة الاسلام ان يكون عرب الجزيرة كلهم مسلمين فشدّد في معاملتهم
مالم يشدد في معاملة غيرهم كما بينا ذلك في النار

قال (ومنها) كون المرأة أمة لا خرفانه لا يمكن تحصين فرجها بالنسبة الى
سيدها ولا اختصاصه بها بالنسبة اليه الا من جهة التفويض الى دينه وأمانته ، ولا
جائز ان يسد سيدها عن استخدامها والتخلي بها فان ذلك ترجيح اضعف المكين
على اقوامها ، فان هنالك ملكين ملك الرقبة وملك البضع والاول هو الاقوى
المشتمل على الآخر المستقيم له ، والثاني هو الضعيف المندرج ، وفي اقتضاب الأدنى
الاعلى قلب الموضوع ، وعدم الاختصاص بها وعدم امكان ذب الطامع فيها هو اصل
الزنا . وقد اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الاصل في تحريم الانكحة التي كان
الجاهلية يتعاملونها كالاقتضاء كما بينته عائشة رضي الله عنها . فاذا كانت فتاة مؤمنة
بالله محصنة فرجها واشتدت الحاجة الى نكاحها لحفاة العنت وعدم طول الحرف
الفساد وكانت الضرورة والضرورات تبيح المحظورات ، اه

ثم ذكر كون المرأة مشغولة بنكاح مسلم او كافر وقال في حكته « فان اصل
الزنا هو الازدحام على الموطوءة من غير اختصاص احدهما وغير قطع طمع الاخر فيها »

واما قوله تعالى ﴿ ويهديكم سنن الذين من قبلكم ﴾ فعناه انه يريد ايضا بما
شرعه لكم من الاحكام الموافقة لمصالحكم ومنافعكم ان يهديكم سنن الذين أنعم عليهم
من قبلكم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين اي طرقهم في العمل بمقتضى
الفطرة السليمة ، وهداية الدين والشريعة ، كل بحسب حال الاجتماع في زمانه ، كما
قال « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » وانما كان دين جميع الانبياء واحدا في
التوحيد وروح العبادة وتزكية النفس بالاعمال التي تقوم الملكات وتهذب الاخلاق
ثم قال ﴿ ويتوب عليكم ﴾ أي ويريد بتلك الاحكام ان يجعلكم بالعمل بها
قائمين مما سلف في زمن الجاهلية وأول الاسلام إذ كنتم منحرفين عن سنة الفطرة
تتكفون مانكح آباؤكم ، وتقطعون أرحامكم ، ولا تراعون ما في الزوجية من تجديد

٢٥٠ ارادة الله وارادة متبعي الشهوات . ضعف الانسان (الماراج ١٣٤)

قراءة الصهر ، بدون تنكيث لقوى روابط النسب ، وقيل المراد بالتوبة ماهي سبب له من الغفران ﴿ والله عليم حكيم ﴾ أي أنه ذوالعلم والحكمة الثابتين اللذين تصدر عنهما أحكامه فتكون موافقة لمصالحكم ومنافعكم لأن علمه الواسع محيط بها وحكمته البالغة تقضي بها

وقوله ﴿ والله يريد ان يتوب عليكم ﴾ قيل إنه تكرر لأجل التأكيد وقيل ان التوبة فيه غير التوبة في الآية السابقة بأن يراد بالأولى القبول وبالثانية العمل الذي يكون سبب القبول ، وهو تكلف غير مقبول ، والصواب ان التوبة الاولى ذكرت في تعليل أحكام محرمات النكاح فكان معناها ان العمل بتلك الاحكام يكون توبة ورجوعا عما كان قبلها من انكحتهم الباطلة الضارة وان الله شرعها لأجل ذلك ثم اسند ارادة التوبة الى الله تعالى في جملة مستأنفة ليعين لنا أن ذلك ما يريد الله تعالى أن نكون عليه دائما في مستقبل أيامنا بعد الاسلام ويقال بما يريده منا متبعو الشهوات ، كأنه يقول ما جعل ارادة التوبة علة لتلك الاحكام الا وهو يريد ذلك دائما منكم لتزكو نفوسكم وتطهر قلوبكم وتصالح احوالكم ﴿ ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما ﴾ عن صراط الفطرة فتوثرُوا داعية الشهوة الحيوانية على كل داعية فلا تبالوا أن تقطعوا لارضائها وشائج الارحام ، وتزيلوا أو اصرا قرابة ، وتكونوا مثلهم إمامكم المتبع هو الشهوة ، وغرضكم من الحياة التمتع باللذة ، وقيل المراد بمتبعي الشهوات اهل الكتاب او اليهود خاصة لانهم ينكحون بنات الاخوة ، وكذا الاخت لأب كما قل ، وقيل المجوس ، والمختار ما تقدم من الاطلاق ، قال الاستاذ الامام : ومنهم الذين يقولون بنكاح المتعة ،

ثم قال تعالى ﴿ يريد الله ان يخفف عنكم ﴾ إذ لم يضيق عليكم في أمر النساء ، حتي أنه أباح لكم عند الضرورة نكاح الإماء ، بل لم يجعل عليكم في الدين من حرج قط ، فشريقتكم هي الخنيفة السمحة كما ورد ، ﴿ وخلق الانسان ضعيفا ﴾ لا يقدر على مقاومة الميل الى النساء ولا يحمل ثقل التضيق عليه في الاستمتاع بهن ، فمن رحمته تعالى أنه لم يحرم عليه منهن الا ما في إباحته مفسدة عظيمة ، ومع هذا ترى

الزنا يفسد حيث يضعف الدين حتى لا يكاد الناس يتقون بنفسهم ، وحتى تكثر الامراض ويقل النسل ، ويستشري الفساد في الارض ، وقد كانت الرجال ولا يزالون هم المعتدين في هذا الامر لقوة شهوتهم ، وشدة جراتهم ، فهم يفسدون النساء ويستميلونهن بالمال ، ثم يهملونهن بأنهن المتصديات للفساد ، ويحجر واحد على امرأته ويحببها ، ويحتال على إخراج امرأة غيره من خدرها !!! وهو يجهل ان الحيلة التي أفسدها امرأة غيره ، هي التي يفسدها غيره امرأته ، وانه كلما يفسد رجل الاوى يكون استاذ الالاهل بيته في الفسق ، ومن حكم الحديث الشريف « عفوا تعف نساؤكم ، وروا آباءكم تبركم أبناؤكم » رواه الطبراني من حديث جابر والديلمي من حديث علي بمعناه . على أن في الرجال الفاسقين ، والمتفرجين المارقين ، من مردوا على الفسق وصاروا يرونه من العادات الحسنة فخرت عفتهم ، وزالت غيرتهم ، فهم يعدون الديانة ، ضربا من ضرور الكياسة ، فيسلسون القياد لنسائهم ، كما يسلسن القياد لهم ، وذلك متساهل ما تطيقه الرذيلة من الجهد في إفساد البيوت بتفكيك قوى الرابطة الزوجية ، وجعلها وسيلة لا هي في الفطرة والشرعية أشد الموانع دونها ، لانها هي الحصن المرتبطين بها من فوضى الابضاع ، والحفاظ لما فيه هناك المعيشة من الاختصاص .

أخرج البيهقي في شعب الایمان عن ابن عباس (رض) انه قال : ثمانی آیات نزلت في سورة النساء هي خير لهذه الامة ما طلعت عليها الشمس وغربت . وعد هذه الآيات الثلاث : يريد الله ليعين لكم - الى قوله ضعيفا . والرابعة « ان تجتنبوا كبار ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم » الآية والخامسة « ان الله لا يظلم مثقال ذرة » الآية والسادسة « ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه » الخ والسابعة « ان الله لا يفر ان يشرك به » الخ والثامنة « والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم » الخ وسباني تفسيرها في مواضعها ان شاء الله تعالى

(٢٨ : ٣٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ

بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَزْ تَكُونُ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ، وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٣٩ : ٣٤) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا
فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا

قال البقاعي في تفسيره (نظم الدرر) مبينا وجه اتصال الآية الاولى بما قبلها
من أول السورة الى هنا : ولما كان غالب ما مضى مبني على الاموال تارة بالارث
وتارة بالجعل في النكاح حلالا أو حراما قال تعالى بعد ان بين الحق من الباطل وبين
ضعف هذا النوع كله - فبطل تعليلهم لشم النساء والصغار من الارث بالضعف - وبعد
ان بين كيفية التصرف في النكاح بالاموال وغيرها حفظا للانساب ، ذا كرا كيفية
التصرف في الاموال تطهيرا للأسباب ، مخاطبا لادنى الاسنان في الايمان ، ترفيعا
لغيرهم عن مثل هذا الشأن ، وذكر الآية

وقال الاستاذ الامام : كان الكلام من أول السورة الى هنا في معاملة اليتامى
والاقارب والنساء ثم في معاملة سائر الناس ومدار الكلام في تلك المعاملات على
المال حتى انه لما ذكر ما يحل وما يحرم من النساء لم يخرج الكلام عن احكام المال
فقد ذكر ما يفرض لمن وما يجب من إيتائهن أجورهن ، وبعد ذكر تلك الانواع
من الحقوق المالية ذكر قاعدة عامة للتعامل المالي فقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا

أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ أضاف الاموال الى الجميع فلم يقل لا يأكل بعضكم مال بعض
للتنبية على ما قرناه مرارا من تكافل الامة في حقوقها ومصالحها كأنه يقول إن مال كل
واحد منكم هو مال أمتكم فاذا استباح أحدكم أن يأكل مال الآخر بالباطل كان كأنه
أباح لغيره أكل ماله وهضم حقوقه لان المرء يدان كما يدن - هذا ما عندي وقيل بعض
من حضر الدرس على الاستاذ انه قال أيضا إن في هذه الاضافة تنبيها الى مسألة
أخرى وهو أن صاحب المال الحائز له يجب عليه بذله - او البذل منه - للمحتاج
فكما لا يجوز للمحتاج ان يأخذ شيئا من مال غيره بالباطل كالسرقة والغصب ، لا
يجوز لصاحب المال ان يبخل عليه بما يحتاج اليه

وأقول زيادة في البيان ان مثل هذه الاضافة قد قررت في الاسلام قاعدة الاشتراك التي يرمي اليها الاشتراكيون في هذا الزمان ولكنهم لم يهتدوا الى سنة عادلة فيها ، ولو التمسوها في الاسلام لوجدوها ، ذلك بأن الاسلام يحمل مال كل فرد من أفراد المتبعين له مالا لأتمته كلها ، مع احترام الحيازة والملكية وحفظ حقوقها فهو يوجب على كل ذي مال كثير حقوقا معينة للمصالح العامة ، كما يوجب عليه وعلى صاحب المال القليل حقوقا أخرى لذوي الاضطرار من الامة ومن جميع البشر ويحث فوق ذلك على البر والاحسان والصدقة الدائمة والصدقة المؤقتة والهدية .

فالبلاد التي يعمل فيها بالاسلام لا يوجد فيها مضطر الى القوت والستر قط سواء كان مسلما أو غير مسلم ، لان الاسلام يفرض على المسلمين فرضا قطعيا ان يزيلوا ضرورة كل مضطر ، كما يفرض في أموالهم حقا آخر للفقراء والمساكين ومساعدة الغارمين الذين يبدلون أموالهم للاصلاح بين الناس ولغير ذلك من أنواع البر ، ويرى كل من يقيم في تلك البلاد أن مال الامة هو ماله لانه اذا اضطر اليه يجده مذكورا له ، وقد يصيبه منه حظ في غير حال الاضطرار وقد جعل المال المعين المفروض في أموال الاغنياء تحت سيطرة الجماعة الحاكمة من الامة لئلا يمنعه بعض من يمرض الايمان في قلوبهم ، وترك الى اريحة الافراد سائر ما أوجبه الشرع عليهم او نذبه اليه ، وحشم باطلاق النصوص عليه ، ورغبهم فيه ، وذمهم على منعه ، ليكون الدافع لهم الى البذل من أنفسهم ، فتقوى ملكات السخاء والنجدة والمروءة والرحمة فيها ، ولم يبيع للمحتاج ان يأخذ ما يحتاج اليه من أيديهم بدون اذنهم ومرضايتهم لان في ذلك مفسدين مفسدة قطع أسباب تلك الفضائل وما في معناها ومفسدة اتكال الكسالى على كسب غيرهم ، ومن وراء هاتين المفسدتين انحطاط البشر وفساد نظام الاجتماع ، فان الناس خلقوا متفاوتين في الاستعداد فمنهم المغمول المخلد الى الكسل والخمول ، ومنهم محب الشهرة والظهور ، وتذليل صواب الامور ، فاذا اتيح للكسالى البطالين ، ان يفتاقوا على الكاسيين المجدين ، فآخذوا ماشاءوا واحتاجوا من ثمرات كسبهم ، بغير رضاهم ولا اذنهم ، أفضت هذه الاباحة الى الفوضى في الاموال ، والضعف والتواني في الاعمال ، والفساد في الاخلاق والآداب

كما لا يخفى على أولي الالباب ، فوجب أن لا يأخذ أحد مال أحد الا بحق ، أو يذل صاحب المال ماشاء عن كرم وفضل ، فمضى يعود المسلمون الى حقيقة دينهم ويكونون حجة له على جميع الملل كما كان سلفهم ، فيقيموا المدنية الصحيحة في هذا العصر كما اقامها اولئك في عصورهم . وقد تقدم تفسير مثل هذه الجملة في سورة البقرة (س ٢ آية ١٨٨ ج ٢ ص ١٨٩) وذكرنا هنا لك ما في هذه الاضافة من إعجاز الایجاز

أما الباطل فقد قلنا هنا لك انه مالم يكن في مقابلة شيء حقيقي وهو من البطل والبطلان اي الضياع والخسار فقد حرمت الشريعة أخذ المال بدون مقابلة حقيقة يعتد بها ورضي من يؤخذ منه وكذا انفاقه في غير وجه حقيقي نافع . وقال الاستاذ الامام هنا : فسر الجلال وغيره الباطل بالمحرم وهو إحالة للشيء على نفسه فان الله حرم الباطل بهذه الآية ققولهم ان الباطل هو المحرم يجعل حاصل معنى الآية : اني جعلت المال المحرم محرما . والصواب ان الباطل هو ما يقابل الحق ويضاده ، والكتاب يُطلق الالفاظ كالحق والمعروف والحسنات او الصالحات ، وما يقابلها وهو الباطل والمنكر والسيئات ، ويكل فهمها الى أهل الفطرة السليمة من العارفين باللغة ومن ذلك قوله في اليهود « ويقتلون النبيين بغير الحق » فحق فلان في المال هو الثابت له في العرف وهو ما اذا عرض على العقلاء المنصفين اصحاب الفطرة السليمة يقولون انه له ، فيدخل في الباطل الغصب والغش والخداع والربا والغبن والتغريب . وقوله « ينكم » للاشعار بأن المال المحرم لانه باطل هو ما كان موضع التنازع في التعامل بين المتعاملين كأنه واقع بين الآكل والمأكول منه ، كل منهما يريد جذب نفسه ، فيجب ان يكون المرجح للمال بين اثنين يتنازعا فيه هو الحق ، فلا يجوز لاحد ان يأخذه بالباطل . وعبر بالآكل عن مطلق الاخذ لانه أقوى اسبابه وأعمها وأكثرها

قال تعالى ﴿ الا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم ﴾ قرأ الكوفيون تجارة بالنصب اي الا ان تكون تلك الاموال تجارة الخ وقرأها الباقر بالرفع على أن كان تامة والمعنى الا ان توجد تجارة عن تراض منكم ، والاستثناء منقطع قالوا والمعنى لا تقصدوا

الى اكل أموال الناس بالباطل ولكن اقصدوا أن ترجحوا بالتجارة التي تكون صادرة عن التراضي منكم وتخصيصها بالذكر دون سائر اسباب الملك لكونها أكثر وقوعا وأوفق لذوي المروآت . وروى ابن جرير عن الحسن وعكرمة انهما قالا كان الرجل يتعرج ان يأكل عند أحد من الناس بهذه الآية فنسخ ذلك بالآية التي في سورة النور « ولا على افسكم ان تأكلوا من بيوتكم » الآية . وروى ابن ابي حاتم والطبراني بسند صحيح عن ابن مسعود انه قال في هذه الآية إنها محكمة ما نسخت ولا تنسخ الى يوم القيامة .

الاستاذ الامام : قالوا ان الآية دليل على تحريم ما عدا ربح التجارة من أموال الناس - أي كالهديّة والهبة - ثم نسخ ذلك بآية النور المبيحة للانسان ان يأكل من بيوت أقاربه وأصدقائه ، وهو اقترأ على الدين لأصل له - أي لم تصح رواية عن عزي اليه - اذ لا يعقل ان تكون الهبة محرمة في وقت من الاوقات ، ولا مافي معناها كإقراء الضيف ، وانما يكون التحريم فيما يمانع فيه صاحب المال فيؤخذ بدون رضاه أو بدون علمه مع العلم أو الظن بأنه لا يسمح به . وانما استثنى الله التجارة من عموم الاموال التي يجري فيها الاكل بالباطل أي بدون مقابل لان معظم انواعها يدخل فيها الاكل بالباطل فان تحديد قيمة الشيء وجعل عوضه أو ثمنه على قدره بقسطاس الحق المستقيم عزيز وعسير ان لم يكن محالا ، فالمراد من الاستثناء التسامح بما يكون فيه أحد العوضين أكبر من الآخر وما يكون سبب التعاوض فيه براءة التاجر في تزيين سلعته وترويجها بزخرف القول من غير غش ولا خداع ولا تغيير كما يقع ذلك كثيرا فان الانسان كثيرا ما يشتري الشيء من غير حاجة شديدة اليه وكثيرا ما يشتريه بثمن يعلم انه يمكن اتياعه بأقل منه من مكان آخر ولا يكون سبب ذلك الاخلالة التاجر وزخرفته ، وقد يكون ذلك من المحافظة على الصدق واهاء التغيير والغش ، فيكون من باطل التجارة الحاصلة بالتراضي ، وهو المستثنى ، والحكمة في إباحة ذلك الترغيب في التجارة لشدة حاجة الناس اليها وتنبيه الناس الى استعمال ما أتوا من الذكاء والفطنة في اختبار الاشياء والدقيق في المعاملة حفظا لاموالهم التي جعلها الله لهم قياما أن يذهب شيء منها بالباطل ، أي بدون منفعة تقابلها . فعلى هذا يكون الاستثناء

متصلا خرج به الرج الكثير ، الذي يكون بغير غش ولا تقرب ، بل بتراض لم تنخدع فيه ارادة المغبون ، ولو لم يبيع مثل هذا لما رغب في التجارة ولا اشتغل بها أحد من أهل الدين على شدة حاجة العمران اليها وعدم الاستغناء عنها ، اذ لا يمكن أن تقارى الهمم فيها مع التضيق في مثل هذا . وقد شعر الناس منذ العصور الخالية بما يلبس التجارة من الباطل حتى ان اليونانيين جعلوا للتجارة والسرقه لآلهة أو رباً واحدا فيما كان عندهم من الآلهة والارباب لانواع المخلوقات وكلبات الاخلاق والاعمال اه ماقاله في الدرس مع زيادة وايضاح .

وقد علمت ان الجمهور على ان الاستثناء منقطع أي ان المقام مقام الاستدراك لا الاستثناء والمعنى لا تكونوا من ذوي الطمع الذين يأكلون أموال الناس بغير مقابل لها من عين أو منفعة ولكن كلوها بالتجارة التي قوام الحل فيها التراضي فذلك هو اللائق بأهل الدين والمروءة اذا أرادوا ان يكونوا من أهل الثور والثروة . وقال البقاعي : ان الاستدراك لا يبيح في النظم البالغ بصورة الاستثناء أي الذي يسمونه الاستثناء المنقطع الا لنكتة . وقال ان النكتة هنا هي الاشارة الى ان جميع ما في الدنيا من التجارة وما في معناها من قبيل الباطل لانه لا ثبات له ولا بقاء ، فيبغي ان لا يشتغل به العاقل عن الاستعداد للدار الآخرة التي هي خير وأبقى . وفي الآية من الفوائد ان مدار حل التجارة على تراضي المتبايعين ، والغش والكذب من المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة ، وكل ما يشترط في البيع عند الفقهاء فهو لاجل تحقيق التراضي من غير غش وما عدا ذلك فلا علاقة له بالدين

قال البقاعي : ولما كان المال عديل الروح ونهى عن اتلافه بالباطل نهى عن اتلاف النفس لكون اكثر اتلافهم لها بالفارات لنهب الاموال وما كان بسببها أو تسببها على ان من أكل ماله ثارت نفسه فأدى ذلك الى الفتن التي ربما كان آخرها القتل فكان النهي عن ذلك أنسب شيء . لما بنيت عليه السورة من التعاطف والتواصل فقال تعالى ﴿ ولا تقتلوا انفسكم ﴾ الخ أقول ظاهر هذه الجملة وحدها ان النهي انما هو عن قتل الانسان لنفسه وهو الاتجار والتبادر منها في هذا الاسلوب ان المراد لا يقتل بعضهم بعضا وهو الاقوى . واختير هذا التعبير للاشارة بتعاون

الامة وتكاملها ووحدتها كما تقدم في نكتة التعبير عن اكل بعضهم مال بعض بقوله « لا تأكلوا أموالكم » وجمع بعضهم في النهي عن القتل بين الامرين فقال أي لاقتلوها حقيقة بالاتجار ولا مجازا بقتل بعضهم بعض ، ولم يقولوا مثل هذا في النهي عن اكل أموال انفسهم بالباطل على ان المعنى يكون في نفسه صحيحا فان النفقات بالباطل محرمة شرعا لانها من إضاعة المال في غير منفعة حقيقية ، وقد تقدم ما يؤيد ذلك في تفسير قوله تعالى « ولا توثتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما » (راجع ص ٣٧٩ ج ٤ تفسير) وكل المحرمات في الاسلام ترجع الى الاخلال بحفظ الاصول الكلية الواجب حفظها بالاجماع وهي الدين والنفس والعرض والعقل والمال والنسب . وعللوا التعبير عن قتل الانسان لغيره بقتله لنفسه بأنه لما كان يفضي الى قتله قصاصا أو أثارا كان كأنه قتل لنفسه . وقالوا مثل هذا القول في تفسير قوله تعالى في خطاب بني اسرائيل (٢ : ٨٤) واذا اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون ٨٥ ثم أنتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا من ديارهم) الآية . حتى أنهم قالوا في قوله تعالى لبني اسرائيل (٢ : ٥٤) فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم) ان المعنى ليقتل كل منكم نفسه بالبيع والاتجار أو أمروا ان يقتل بعضهم بعضا ، وقال بعضهم ان المراد بالقتل هنا لك قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحبها . وقيل ان المعنى هنا لا تخاطروا بنفوسكم في القتال فتقاتلوا من يغلب على ظنكم انهم يقتلونكم . ومن نظر في مجموع الآيات الواردة في هذا المعنى وراعى دلالة النظم والاسلوب يجزم بأن المراد بقتل الناس انفسهم هو قتل بعضهم بعض وان النكتة في التعبير هي ما تقدم بيانه من وحدة الامة حتى كان كل فرد من أفرادها هو عين الآخر وجانيته عليه جناية على نفسه من جهة وجناية على جميع الافراد من جهة أخرى ، بل علمنا القرآن أن جناية الانسان على غيره تعد جناية على البشر كلهم لاعلى المتصلين معه برابطة الامة الدينية او الجنسية او السياسية بقوله عز وجل (٣٥ : ٥) من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا)

٢٥٨ اسباب الاتجار . وعيد آكلي الاموال بالباطل . العدوان (المارج ٤ م ١٣)

واذا كان يرشدنا بأنه يجب علينا ان نحترم نفوس الناس بعدها كنفوسنا فاحترامنا لنفوسنا يجب أن يكون أولى فلا يباح بحال من الاحوال أن يقتل أحد نفسه كأن يبغضها ليستريح من الغم وشقاء الحياة فيها اشتدت المصائب على المؤمن فانه يصبر ويحتسب ولا ينقطع وجاؤه من الفرج الإلهي ، ولذلك نرى بنح النفس (الاتجار) يكثر حيث يقل الايمان ، ويفشوا الكفر والاحاد ، ومن فوائد الايمان مدافعة المصائب والافذار ، فالؤمن لا يتألم من بؤس الحياة كما يتألم الكافر فليس من شأنه أن يبغض نفسه حتى ينهي عن ذلك نهيا صريحا ﴿ ان الله كان بكم رحيم ﴾ اي انه كان ينهي إياكم عن أكل أموالكم بالباطل وعن قتل أنفسكم رحيم بكم لان في ذلك حفظ دمائكم وأموالكم التي هي قوام مصالحكم ومنافعكم ، فيجب ان تترحموا فيما بينكم ويكون كل منكم عوناً للآخرين على حفظ النفس ومدافعة رزايا الدهر ،

﴿ ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا ﴾ قال الاستاذ الامام : ذهب بعض المفسرين الى ان المشار اليه في قوله « ذلك » كل ما تقدم النهي عنه من اول السورة الى الآية السابقة ، وقال ابن جرير ان المشار اليه هو ما نهى عنه من قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها » الى هنا وذلك ان المنهيات التي قبل تلك الآية قد اقترنت بالوعيد عليها على حسب سنة القرآن ولكن هذه المنهيات الاخيرة لم يوعد عليها بشيء وان وصفت بالقبح الذي يترتب عليه الوعيد . — وهي النهي عن ارث النساء كرها وعن عضلن لآخذشيء من ما لهن وعن نكاح ما نكح الآباء في الجاهلية ، وعن اكل أموال الناس بالباطل وعن القتل — وقال بعضهم ان المشار اليه في هذه الآية هو القتل فقط وقد قصر كل التقصير واكثر المفسرين على ان المراد بذلك ما في الآية الاخيرة من النهي عن اكل أموال الناس بالباطل ومن القتل وهذا هو المعقول المقبول فان ما قبلها من المنهيات التي لم تقترن بالوعيد قد اقترنت بالوصف الدال عليه (قال) والعدوان هو التعدي على الحق فكأنه قال بغير حق ، وهو يتعلق بالقصد فعنه ان يعتمد الفاعل اتيان الفعل وهو يعلم انه قد تعدى الحق وجاوزه الى الباطل ، والظلم يتعلق بالفعل نفسه بأن كان المتعدي لم يتحرر ويجهتد في استبانة ما يحل له منه فيفعل ما لا يحل ، والوعيد مقرون بالامرين معا وهما ان يقصد الفاعل العدوان

وان يكون فعله ظلماً في الواقع ونفس الامر ، فاذا وجد أحدهما دون الآخر لا يستحق هذا الوعيد الشديد . مثال تحقق العدوان دون الظلم ان يقتل الانسان رجلاً يقصد الاعتداء عليه ثم يظهر له انه كان راصداً له يريد قتله ولو لم يسبقه لقتله ، او انه كان قتل من له ولاية دمه كأصله أو فرعه ، فهنا لم يتحقق الظلم وأما العدوان فواقع للاحالة ، ومثال تحقق الظلم فقط ان يسلب امرؤ مال آخر ظاناً انه ماله الذي كان سرقة او اغتصبه منه ثم يبين له ان المال ليس ماله وانه لم يكن هو الذي اخذ ماله ، وان يقتل رجلاً رآه هاجماً عليه فظن انه صائل يريد قتله ثم يبين له خطأ ظنه ، فهنا تحقق الظلم ولكن لم يتحقق العدوان . أقول وقد يعاقب الانسان على بعض الصور التي لا تجمع بين العدوان والظلم معاً لتقصيره في استبانة الحق ولكن عقاب من يجمع بينهما واصلاؤه النار إدخاله فيها واحراقه بها ، واصله من الصلي وهو القرب من النار للاستدفاء . قال الراجز : « يقعي جلوس البدوي المصطي » أي المستدفي . وتمة هذا البحث اللغوي في تفسير الآية التاسعة من هذه السورة (ص ٣٩٤ ج ٤ تفسير)

﴿ وكان ذلك على الله يسيراً ﴾ أي ان ذلك الوعيد البعيد شأوه ، الشديد وقعه ، يسير على الله غير عسير ، وقريب من العادين الظالمين غير بعيد ، لان سنه قد مضت بأن يكون العدوان والظلم مدناً للنفوس مدسياً لها بحيث يهبط بها في الآخرة ، ويرد بها في الهاوية ، وقال الاستاذ الامام : ان معنى كونه يسيراً على الله تعالى هو ان حمله في الدنيا على المعتدين الظالمين وعدم معاجلتهم بالعقوبة لا يقتضي ان ينجا من عقابه في الآخرة . وهذا الذي قاله لا ينافي ما قلناه بل هو تنبيه الى موضع العبرة أي فلا يفترن الظالمون بعزتهم وقوتهم على من يظلمونهم ، ولا تنقسن الآخرة على الدنيا فيكونوا كأولئك المشركين ، الذين قالوا فيما حكى الله عنهم : نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعدين ، بل يجب ان لا يأمنوا قلب الدنيا وغيرها ولا ينخدعوا بقول الشاعر

لقد احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي

أغلاط التفسير التي في ج ٣ م ١٣ تصحح بالقلم

صنعة	سطر	خطأ	صواب	صنعة	سطر	خطأ	صواب
١٧٠	٧	غير العرب	وغير العرب	١٨٠	١١	لهم أتى	لهم بهم أتى
١٧٨	٣	سائر	سائر	١٨٥	٢٠	أه	انه

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتحنأ هذا الباب لأجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا ورمما قد منامتا خرا لسبب كعاجة الناس الى بيان موضوعه ورمما أجنبنا غير مشترك لمثل هذا . ولئن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكرك به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لأغفاله

الاتحاد الشامل والتعليم الشامل

« أيهما يتوقف على الآخر »

(س ٢٦) من الشيخ كرامه يلدرم صاحب جريدة الاصلاح بسنغافوره

ماقول مولانا المرشد ادام الله فضله :

فما قاله السيد محمد بن هاشم من انه لا علم شاملا لأفراد الامة الا باتحادها وتعاونها في جمع المال لبذله في سبيل تحصيله

وفما قاله السيد حسن بن شهاب من انه لا اتحاد شاملا لأفرادمة مالم يتعلموا فيجب نبذ الدعوة الى الاتحاد والاقتصاد على الدعوة الى التعليم فقط .

وقد تداول الكتابة هذان الرجلان في هذا الموضوع كما ترون بأعداد الاصلاح المرسلة اليكم فنلت نظر كم العالي اليها وعلى الخصوص العدد ٤٣١ من الاصلاح وهو الذي كتب بعد الاطلاع على ما في الصفحة ٨١٧ من المجلد ١٢ من المنار فترجواكم نشر ما هو الصواب ادام الله بقاءكم .

محكم صاحب الاصلاح في سنغافوره

(ج) وصلت الينا اعداد الاصلاح ونحن في القسطنطينية واتفق ان العدد ٤٣١١ لم يكن فيها بل وضع بدله عدد آخر ولا شك ان ذلك كان خطأ فلم نطلع على شيء مما كتب المتناظران واظن جدالهما كان في الآراء النظرية

والذي اراه ان الدعوة الى العلم لا تعارض الدعوة الى الاتحاد والدعوة الى الاتحاد لا تعارض الدعوة الى العلم بل يمكن الجمع بينهما . ثم ان الاتحاد العام الشامل لجميع افراد الامة غاية لا تكاد تدرك الا ان يسمى قمني دفع الشر المطلق او البديهي والضروري كالولاء وجلب الخير المطلق كالصحة والغنى اتحادا ، وانما يراد بالاتحاد الذي يبحث عليه السياسيون ان تكون الامة متعاونة على المصلحة العامة بأن يكون الجمهور الاكبر منها متفقا على تلك المصلحة مساعدا عليه بدون مقاومة تعبط العمل او تعرقه وتثبط عنه . وهذا الاتحاد لا يتوقف على شمول التعليم الذي يراد به عند الاطلاق في كل امة ما يلقن في مدارسها عادة . ولكن التعليم اذا انتشر وكثر على طريقة واحدة مع التربية على طريقة واحدة يكون أقوى أسباب الاتحاد . ولئورد بعض الامثلة التي يتضح بها المراد

التعليم المنتشر الآن في البلاد العثمانية هو المانع الاعظم للعثمانيين من الاتحاد لاختلاف طرقه ولو كان عاما شاملا لكان اليأس من اتحادهم اشد وأقوى لاختلاف طرقه ومقاصد الناشئين له . وان التعليم في فرنسا عام يكاد يشمل الافراد كلهم وهم غير متقنين على الحكومة الجمهورية بل يؤيدها السواد الاعظم

ان اهل الولايات المتحدة هم اعرق الامم في الاتحاد ولم يكن التعليم شاملا لجميع افرادهم عند ما قاموا بدعوة الاتحاد وأيدوها بالسيف والنار في الحرب الاهلية المشهورة . وان قبائل المرتة في الهند من أشد الناس اتحادا والتعليم ليس غالبا فيهم . إن دولة الروسية قد احتلت بلاد الفرس ولا شك ان السواد الاعظم منهم كارهون لهذا الاحتلال ويودون لو أمكنهم مقاومته واكثرهم غير متعلمين ، وربما كان المتعلمون من البايية راضين بهذا الاحتلال وموئدين له لظنهم ان دعوتهم تكون في ظل الدولة الروسية أشد حرية واكثر انتشارا وقد يقال أن هؤلاء قد خرجوا من الامة بنحورهم من الاسلام

ان الاتحاد الجرمانى لم يحصل الا بعد انتشار التعليم الذى أعد أمراءهم وعقلاءهم له اذ علموا ان به عزتهم ومنعتهم وارتقاءهم ولكن التعليم لم يكن شاملا لافرادهم هذه أمثلة واقعية يتضح بها الامر وأظن ان المتناظرين لو تأملا فيها أو في مثله لم يجعلها كلامهما نظريا فقط لانتفا من أول وهلة ولا سيما اذا كانا قد حررا موضع النزاع كما نبينا هما الى ذلك في جوابنا الاول الوجيز. ثم لاني اذ كر بعض الامثلة لتصوير اتحاد يمكن ان يحصل في أمة قبل تعميم التعليم فيها ، وتعليم عام يمكن ان يحصل بدون اتحاد سابق عليه ، مع الجزم بأن الاتحاد على شيء بالقصد لا يمكن الا بعد علم المتحدين بأن مصلحتهم في ذلك الشيء. كما اشرت الى ذلك في جوابي الاول وهذا ليس موضعا للنزاع

يمكن ان يولف أغنياء الحضرميين في جاوه وسنغافوره جمعية خيرية لجمع المال وانشاء المدارس في بلادهم لتعليم الفقراء مجاناً والاغنياء بالاجرة التي يستعان بها على توسيع دائرة التعليم الذي يثر الاتحاد ويمكن ان يتم لهم ذلك وان ينجحوا فيه نجاحا يفضي الى تعميم التعليم هناك من غير ان يتحد أهل البلاد كلهم عليه، ولكن لابد من اتحاد الذين يجمعون المال وينشئون المدارس على ذلك وهو لا يكون الا اذا علموا ان هذا التعليم الذي يريدونه هو الذي يحوي بلادهم ويسعدها في دينها ودنياها ، فاذا اختلفوا في ذلك كأن قام بعض العقلاء العارفين بأحوال الامم وسنن الله تعالى في ترقيا وتدليها يحثونهم على الجمع في تعليم قومهم بين علوم لغتنا وديننا وبين العلوم الدنيوية التي لا ترقى في ديننا ودنيانا بدونها كالرياضيات والكونيات التي منها علم الزراعة والمعادن ومباني الصناعة التي يمكننا بعد تعلمها ان نحوي ارض بلادنا ونستخرج معادنها ، وكل علوم التجارة والاقتصاد والتاريخ وقويم البلدان - فقام في وجه هؤلاء المصلحين مثل الشيخ عثمان بن عقيل عدو الاصلاح المين فقال لا حاجة لكم ايها الحضرميون أو ايها المسلمون بشيء من العلم الراشح عند الكفار - وان ملكت به دولة صغيرة كهلندة وهي في اقصى الشمال مملكة اسلامية عظيمة في الجنوب استعبدت فيها اكثر من ثلاثين ألف ألف مسلم - ولما يجب عليكم ان تعلموا ما أعلمه أنا فقط من علم الدين والعربية - وان كانت عربية بملاوة بالاغلاط

النحوية واللغوية في المفردات والاساليب ولا يميز بين الصحيح والموضوع من الاحاديث !! فاذا اختلف اغنياء الحضرميين في جاوه فتبع بعضهم عثمان بن عقيل اغترارا برسائله التي تحارب هولندة بمثلها المسلمين حربا معنوية وتصدمهم عن الترقى وتبهم آخرون دعاة الاصلاح فر بما لا يتم لهؤلاء نشر التعليم النافع لعدم استطاعتهم القيام به مع عدم الاتحاد والتعاون بينهم وبين الآخرين

ويمكن ايضا أن تتألف جمعية من الحضرميين العارفين بأحوال بلادهم وبسنن الاجتماع واخلاق الائم وشئونها فتضع قانونا لجمع كلمة السادة الشرفاء والامراء على المصالح والمنافع التي تحفظ نفوذهم وتنفذ بلادهم وتسمى في إقناعهم بتنفيذه بينهم فيكون ذلك اتحادا على ترقية البلاد يمكن ان يكون وسيلة لتعميم التعليم ، فان قيل ان العمل بهذا القانون متعذر او متعسر لان اولئك الشرفاء والزعماء لا يقتنعون بما يراد لإقناعهم به لعدم العلم الاجتماعي الذي يفقه صاحبه طرق حفظ المصالح العامة ودرءه المفاسد العامة فلا بد من هذا العلم قبل الدعوة الى الاتحاد ، قول وان العلم الاجتماعي الذي يثمر الاتحاد لا تجاب الدعوة اليه مادام أهل النفوذ الروحي كعثمان بن عقيل يقولون انه ضار مخالف للدين ، ويصدق اكثر الناس لانهم جاهلون ،

لعل كل واحد من المتناظرين حصر فكره في صعوبة احد هذين الطرفين دون الآخر في إصلاح حال أهل بلاده (حضرموت) فكيف اذا فكر كل منهما في إصلاح البلاد العربية العثمانية بالفعل والتي نود ان تكون عثمانية (كبلادها) وأراد أن يسعى في توحيد التعليم وتعميمه في حضرموت واليمن والحجاز ونجد وسورية والعراق أو أن يدعو اليه او الى الاتحاد عليه وعلى تعزيز الدولة ورفع شأنها به ، ألا يمثل أمام كل منهما من الصعوبات والعقبات ما يرى معه إصلاح حضرموت وحدها امرا ميسورا ؟ اذ ليس فيها من اختلاف المذاهب الذي هو بلاء المسلمين الأكبر مثل ما في سائر البلاد العربية كما انه ليس فيها من الاستعداد الحربي مثل ما يوجد في اليمن ونجد والعراق ولا من اختلاف التربية والتعليم مثل ما يوجد في سورية والعراق على ما فيها من الاديان والمذاهب

ثم كيف بهما اذا فكرا في أمر التعليم والاتحاد في البلاد العثمانية كافة على

ما فيها من اختلاف الاجناس والعناصر ، الى اختلاف الاديان والسياسات والمذاهب
او اذا فكرا في اتحاد المسلمين كافة من وقوع اكثرهم تحت سلطة الاجانب ،
أيقول احدهما لا يمكن نشر التعليم فيمن ذكر الا بعد الاتحاد العام الشامل ، او
لا يمكن هذا الاتحاد إلا بعد العلم العام الشامل ، فيلزم من مجموع قولها الدور الحقيقي
وأن كلا من الامرين متعذر لا ينال ، والدعوة اليه من لغو الكلام ؟

الصواب ما قلناه في أول الجواب من عدم التعارض بين الدعوتين فيجب
الجمع بينهما والسعي اليهما وكل خطوة في العلم تكون عوناً على الاتحاد وكل خطوة
الى الاتحاد تكون عوناً على العلم ، فكل منهما يمد الآخر ويستمد منه ، وقد
تكون الدعوة الى الاتحاد أقوى تأثيراً واقرب ففعلاً في الأمم التي سلبت استقلالها
كله أو بعضه والأم التي يهددها الاجانب بهذا السلب بالقول أو الفعل ، فاذا قلت
للفارسيين وقد تغفلت الجيوش الروسية في بلادهم عليكم بالدعوة الى العلم فقط
وبعد ان يصير عاماً شاملاً لافرادكم تتحدون على مدافعة الاحتلال الاجنبي لا
يكون كلامك مؤثراً ولا مفيداً لانهم يقولون اذا لم نتحد منذ الان على المدافعة
والمقاومة لا يتم لنا التعليم لان الاجانب يمنعونا منه كما يمنعون اخواننا في بلادهم
فيجب ان نسعى الى الامرين جميعاً ويكون سعينا الى الاتحاد في المرتبة الاولى
هذا ما عني لنا أن نوضح به هذه المسألة ولعل ما حققناه يكون هو الحكم الفصل
بين المتناظرين وان لم نطلع على كلامهما فتكون نتيجة اختلافهما الاتفاق ، وعاقبة
اقتراحها التلاق ،

بَابُ التَّحْقِيقِ فِي تَعْلِيمِهَا

المرأة المصرية والمرأة الغربية (*)

المولودة — دور الطفولية — المراهقة (الملابس والازياء) الخطبة والزواج
الاقتصاد المالي والمنزلي — العمل البيتي — الاخلاق والمادات — دور الامومة

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السيدات

اذا كان لفئة ما ان تجتمع وتبحث في شؤونها فلا أحق منا نحن نساء مصر وفتياتها ان نكون تلك الفئة فاننا على درجة من التأخر تؤلم نفس المتفكر فيها وترجع بالوطن خطوات واسعات عن سبيل التقدم . من دلائل تأخرنا ان ا كثرنا أخذ يقلد المرأة الغربية بغير نظر الى موافقة عاداتها للشرع الاسلامي والآداب الشرقية وبعضنا الآخر ظل على تقاليد القديمة سواء كانت صحيحة أو فاسدة . فما هذا الجود بمستحسن ولا ذاك الاندفاع بممدوح . واني شارحة الآن عادات المرأتين في كل أدوار حياتهما مقارنة احدهما بالآخرى مستخلصة زبدتهما لنعمل بها

(١) الدور الاول المولودة

إن حالنا الآن عند تبشير إحدانا بالاثني شديد المشابهة جدا لحال الجاهلية

(٥) نشرنا في (ص ١٢٣٥٣) من المنار خطبة لاحدى فضليات النساء المسلمات الشهورة بمقالاتها المفيدة في شؤون النساء والبيوت وهي التي توقع على مکتوباتها في الجريدة (باحة بالادية) واليوم نشر لها هذه الخطبة النفيسة التي خطبت بها كثرات من النساء في الجامعة المصرية في ٥ ربيع الآخر سنة ١٣٢٨

(المجلد الرابع عشر)

(٣٤)

(الناشر ج ٤)

الاولى ولم أرنا قصصنا عنهم شيئاً في ذلك الا الواد قال الله تعالى (واذا بشر أحدكم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألساء ما يحكمون) . وان الاقتباس الذي نظهره عند مستهل الانثى يؤثر في الطفلة خوعاً للذلة وروثاً الى الضعة فتشب الفتاة واجدة الفرق العظيم بينها وبين أختها فتعتقد في نفسها انها أخط شأناً وأدنى مرتبة فلا تطلب من المعالي ما يطلبه اخوها ولا تنبسط نفسها الى ما يرفع شأنها وجنسها وتضع نفسها حيث تضعها . ولت شعري لم نكره ولادة الانثى وهي نصف الانسان وامه وزوجه وابنته ؟ الا يصح ان تكون الفتاة نافعة كالقتي ؟ ألا يرجع الفضل في تدبير عش الرجل لها ؟ ألم تكن في كثير من الاحيان سبب سعادته وموضع أمله ؟ وكيف نهمل تعاليم ديننا الخفيف في هذه المسألة ويتبعها اكثر الغربيين فان أهمهم ولا سيما الشمالية منها يتساوى عندها الذكر والانثى وقد يملكون عليهم فتاة فيهم من يفضلها علماً وتجربة وحذاقاً . يبرر الشرقيون ومن هذا حذوهم جزعهم هذا بأن الذكر يحفظ اسم (العائلة) ويرث مالها ولقبها . ولكن كم من والد مات ذكره بموته وان العمل وحده عليه حياة الذكر أو فتاته . هل رفع الله الانبياء عليهم السلام درجات على الناس بأعمالهم أم بأبنائهم ؟ ومنهم من لم يتزوج قط ومنهم من عقه أبنائه . أم كان أبو العلاء المعري أبا ذرية أحيت اسمه وهو الذي يعد الزواج والذرية جناية ؟ وهل بقي الولد عن الابوين شيئاً اذا كان لا يخفف حشرة الموت ؟ فالنبت والصبي سيان وكلاهما قرعة عين الوالد في حياته ولا يدري ماذا يفعلان بعد مماته . وهل اذا ورث القتي نروة بددها بعد حافظاً غني أسرته ام اذا ولد لاحد من ذكور ضمن لهم الحياة مخلدين ؟)

٢ - الدور الثاني دور الطفولة

في هذا الدور نميز الصبي عن البنت في امور شتى مع ان الغربيين لا يفرقون البتة بينهما فضلاً عن انهم يوفونهما حقهما من التربية والعناية ونحن اذا فضلنا الذكر قليلاً فلا نزال مقصرين نحو العناية به فما بالكن بالانثى ؟ ترضع المرأة الغربية طفلها بنفسها وتنظفه اللهم الا فتة العاملات اللاتي يضطرهن الفقر الى الاشتغال في المصانع

والحوانيت وترك اطفالهن في مربى الاطفال بالاجرة . أما نحن فنعد ارضاع اطفالنا عيالا يقتفره لنا ادعاء القتي أو القتي نفسه ونهمل أمر نظافتهم للخدم ونكل ترويضهم وتركيتهم اليهم وهم من تعلمن من فساد الذوق والجهل القبيح فيشب اطفالنا أشبه أخلاقا بهم ونجديتنا وينهم جفاء وصلة منقطعة ، وكيف تعرف الام طباع طفلها وهي لاتعرفها بنفسها ؟ ولومرت الامهات يوما بالمراضع جالسات على حافة الطرق ليراقبن حالتهم الاخلاقية لما تأخرن لحظة عن حماية اطفالهن من جيش المراضع الهازم لمكارم الاخلاق

أما عنايتنا بصحة اطفالنا فليست باكثر من عنايتنا باخلاقهم فيينا المرأة الغربية تغذي طفلها غذاء خفيفا سريع الهضم وتحفظ عليه من هجمات البرد والحر تريننا نطعمه أقل الغذاء ونبادر باعطائه اللحم وما يتعسر هضمه فتختل معدة الطفل ويصاب بالاسهال والنزلات المعوية وقد يفضي به سوء الحالة الى الموت أخيرا ولا نكثر بنظافته لئلا يحمى ونتركه يلعب به النقيضان القر والحر فلا يلبث ان يمرض ولا علاج له عندنا الا الرقي والتأمم ثقيل بها حمائله واذا بكى متوجعا نظن بكاءه جوعا فنلقمه الغذاء فوق الغذاء الى ان يلقي حتفه . هنالك تهتم أمه صاحبها أو قريبها بأنها حسدته وترك في سها من عينيها فتبفضها وتنشأ من رويتها . واذا ابتدأ الطفل يتكلم ويمشي فأول ماينطق به عندنا لعنة الآباء والاجداد ومن الغريب اننا نجعل ذلك منه موضوع ضحك واستحسان فيظن انه مصيب في قوله فيتمادي في الاكثار منه واذا مشى فاننا نحجر عليه الا ان يمشي وسط الحجرات المزدهجة بالاثاث والاواني فاذا لم يكسر شيئا فانه يتهم بصدمة أو بوقوع واذا تأخر في الخطو قليلا نساعدده عليه بالمشاة (المشاية) وهي علة تشويه كبيرة لا نشعر بها فان عظام الطفل اللينة باجهاها على المشي حين لا قدرة لها لتلوي فيشب الطفل أعوج الساقين منحني السلسلة الفقرية أو الصدر كذلك لانتفت لموضع سرير الطفل وتأثير النور في عينه فيكثر فينا الحول والعمى فما أعظم الفرق بين طفلنا الشاحب اللون البذيء اللسان وبين الطفل الغربي الصحيح البدن بالاعتناء ! ما أجمله حين يذهب في الصباح والمساء ليقبل والديه وحين يستغفر آيا كان لاقل هفوة ويشكر لا بداء الجميل ! واذا حرم

تلك القبلة الوالدية لهفوة أتاها فلا تسكن عن حزنه وبكائه الى ان يتوب . بمثل
هذاتعلم المرأة الغربية طفلها — ورضي الوالدين اعظم نعمة للاولاد — وتربي فيه الضمير
الحى والاعتراف بالشكر لمن وجب له فلا تصغر نفسه بالضرب كما نفود نحن اطفالنا .
ما المراد من ضرب الطفل ؟ المراد هو نهي عن اتيان شيء لا يستحسنه لا اذى جسمه
بانواع التعذيب البدني ، وفي طرق التأديب النفسية ما يكفل تلك الغاية بغير الشتم
والضرب اللذين يضعفان همة الطفل ويخفضان من عزته صغيرا ويزيدان تحمكه
واسقداه كبيرا

وبقدر مانعطي الطفل حرية في البذاءة والاتلاف نحرمها عليه في الرياضة المفيدة
لنائه فتمنعه الجري والتزه ومشاهدة المناظر الطبيعية الجميلة مع ان الطفل الغربي
يعد عضوا مهما في البيت كسائر أعضائه من أب وأم فيذهب به الى بلاد بعيدة
لاستنشاق الهواء واجتلاء المناظر ويفرد له أدوات خاصة لنومه ولعبه وسائر لوازمه
ويعامل بالاكرام ويعود الاستقلال من نعومة اظفاره الى أن يتخرج . واذا لحن
في كلامه بادرت أمه بتصحيح خطأه والنطق أمامه نطقا صحيحا حتي يحاكبها فيه .
اما اطفالنا البائسون فاننا نلغ لهم لترضيمهم ونكلمهم بلفتهم المضطربة بدل تعليمهم
لقتنا العامة لا الفصحى !

نحن نبادر بارسال اولادنا للمدارس وهم صغار لا يدركون ماهية العلم ولا بالفون
حجر حريتهم فيضايقهم المعلمون بتدريسهم المل الغير الجذاب ، ويلزمون أعضائهم
المخلوقة للحركة بالسكون التام فيتربي في الطفل نفور من المدرسة والدرس فتجبره
أمه على الذهاب للمدرسة فيزيده الاجبار نفورا ، وقد يكون خطونا في ارسال اولادنا
صغارا جدا للمدرسة ومضايقة المعلمين لهم بأساليبهم العقيمة ما ينقص من استعداد
الطفل لتلقي العلم ويفسد عليه ملكاته . أما الطفل الغربي فهو أسعد حظا اذ تعلمه
أمه في البيت طرق الملاحظة والمشاركة وتلقنه فوائد الاشياء والاسرار البسيطة لما
يحيط به من نبات وحيوان ومطر وغيره ، وتعلمه الاحسان والشفقة بما تفعله امامه من
ضر وبهما ، وكذلك تعلمه القراءة والكتابة الاولى بأسلوب مشوق ولا ترسله للمدرسة
الا وفيه ميل اليها واستعداد لما سبقت عليه بها . وقد جربت ضرر ارسال الاولاد

المدرسة صفارا في نفسي وفي اخوتي وفيمن شاهدته من التلميذات فاني ظلت حوالي الثلاث سنين لأفقه معنى المدرسة ولا أقاد أفهم الغرض من ارسالي اليها، وكذلك شاهدت النابغات من التلميذات هن اللاتي أرسلن للمدرسة في سن الثامنة أو العاشرة أما المرسلات صغيرات فأكثرهن لم يستفدن شيئا غير ضعف البنية ونحساسة ما أنفق عليهن . اذا كان ولا بد من ارسال الاطفال للمدرسة صفارا فيجب أن تجعل لهم فرقة مخصوصة كفرقة بستان الاطفال (Kinder garten) التي تلقى اليها الدروس مزيجاً من التعليم والرياضة ويراعى فيها مدارك الطفل وتغمرن حواسه وأعضاؤه بغير اجبار يخافه أو تكرر يله . ولو كانت الامهات معنيات بأطفالهن تمام العناية فان مثل تلك الفرقة كان يجب أن تكون في كل بيت أنعم الله عليه بنعمة الاولاد .

للثريه عندنا احدى طريقتين : اما القسوة أو التدليل وكلاهما ضار . فالقسوة ترهق الطفل وتعلمه الذل ، والتدليل يطوح به في مهواة الغرور . فمن دلائل قسوتنا تخويفنا الاطفال وتصوير صور مخيفة لهم من الظلمة وملء أذهانهم بترهات لا أصل لها (كالبيع والمزيرة الخ) وضررهم عند مخالفتهم لنا . ومن تدليلنا اياهم أن نعلمهم الانانية ونعطيمهم ما يشتهون عند بكائهم بعد منعهم اياه قبل البكاء فيتعلمون من ذلك ان الصباح ميسر العسير ومقرب البعيد فلا يتأخرون عن البكاء عند أي شيء نمنعه عنهم وقد رأيت كثيرا ان طفلا ينصح أخاه أو أخته الاصغر منه سنا بأن يبكي حتي يأخذ كيت وكيت مما كان ممن عنه . أما الافرنج فطريقتهم في تربية الاطفال خير من طريقتنا اضعاقا فيعاقبون الطفل الذي يبكي لطلب شيء بالحرمان منه فيعلم ان البكاء لا يجدي ويطلبه بالطرق المشروعة وان منع منه فلا يعود يتشبث به . ويعودون في المنزل ما تمس اليه حاجة الاولاد من الحلوى واللعب خوفا عليهم من قذارة ما في الاسواق واقتصادا للمال والزمن .

٣ - الدور الثالث دور المراهقة

هذا هو الدور الذي تتجلى فيه صفات الفتاة حسنة كانت أو سيئة وان كانت الاخيرة فمن الصعب تغييرها . في هذا الدور يهتم الاهلون بارسال أولادهم الذكور للمدرسة ولا يهتمون كثيرا بتثقيف عقل الفتاة على انهم قد أخذوا بقلودن الغربيين

أخبرا في تعليم الفتاة وإنما لم يجيء التقليد نافعا لنا ولا محكما في ذاته . فالفئة الغربية تعلم العلوم إلى أن تحصل منها على درجة عالية أو درجة محدودة . أما فئاتنا المصرية فلا تكاد تقرأ وتعلم قشورا بسيطة من العلم حتى تستغني بها عن الاستمرار في الاستفادة فهي لا تقلد الغربية في التعلم النافع وإنما تقلدها باستماتة في تعلم (البيانو) والرقص !! ولا أدري لماذا أخذت البيوت الشرقية تبطل العود والقانون وتعلم (البيانو) مع أن الأولين فضلا عن كونهما شرقيين فانهما ألطف صوتا وأشجى نغمة وأقل جلبه وأرخص ثمنًا وأخف حملا . ان (البيانو) لازم جدا في الغرب لتحية الجموع في المراقص والكنائس لأنه بنغماته العالية يسمع إلى مكان بعيد أما في بيوت المسلمين حيث لا مراقص ولا كنائس فلا أجده من الضرورة بالدرجة التي يتهافت عليها فتياتنا . نعم ان تعلم الموسيقى من الكماليات المدوحة ويقولون انها مهذبة للطبع مرققة للشعور ولكن ألم يكن الأولى تعلمها على الآلات الشرقية التي لا وضوء لها اذ هي بذلك أدعى للحشمة فلا يتعدى صوتها البيت الذي هي به .

لوسلنا بضرورة تقليد الغربية في تعليم (البيانو) لوجب محاسنها أيضا في تعلمه من حيث هو فن وإتقانه لان تقتصر الفتاة على قمر لا تناسب بين نغماته حتى ان سليم الذوق مع عدم تلقيه دروسا في (البيانو) يمكنه قد ذلك الضرب على صماخ الاذن لا على (البيانو) فان أذنه تقبوه عنه لسماعته

ماذا تقرأ الفتيات في سن المراهقة ؟ لا يقرآن إلا الروايات الغرامية وهن في ذلك الوقت قابلات لشدة الانفعالات النفسية فيتأثرن بمحوادث العشق والحرب وتنطبع في ذاكرتهن اشعار وجمل غرامية مما يقرآن وتقرأ ما هن صور تلك الحوادث كالصور المتحركة فلا تعدن أن تلقي أثرا في عقولهن اللينة . ان الآباء ملومون في هذه الحالة لعدم اختيارهم كتباً نافعة تقرأها فتياتهم . لماذا لا يختارون لمن مثل كتاب التربية الاستقلالية (١) وفيه أمور نافعة جدا في تربية الاطفال ومعاملة الازواج أو مثل كتاب كليله ودمنه (٢) أو كتب تراجم المشهورين من رجال ونساء فان في قراءة سير المشهورين

(١) يباع بمشرين قرشا صحيحا بادارة المنار وأجرة البريد قرشان ونصف قرش

(٢) يباع بمشرة قروش بادارة المنار وأجرة البريد قرش ونصف قرش

مايمث القارى . على ان يقتدي بهم أو مثل كتب آداب اللغة وغيرها ممايلذويفيد في آن واحد . هذا اذا وجدت الفتاة من كتب الفلسفة والعلم ما يستعصي عليها فهمه أو ماتنجز من الاستمرار على قراءته لجدده الخالص وجفافه . ماذا تفعل الفتاة في سن الرابعة عشرة أو السادسة عشرة وهي ممثلة الذهن بحوادث «روميوجوليت» والفاظ «فاتتي وحيتي» الخ ؟ انها تمنى أن تسمع مثلها وتكون مرموقة بنفس تلك العين لأن سنها كماينت أخصب مراعي ابليس . هذا من جهة القراءة

أما الحرية فان الفتاة المصرية الاولى كانت محجورا عليها الدرجة الحبس والفتاة الغربية لها مطلق الحرية ان تغدو وتروح وحدها وتساfer من بلد الى آخر قاص بغير رقابة أهلها وهذا من الخرق في الرأي وأخاف أن تغرنا زخارفه فتعمل به لأن كثيرات من فتياتنا المتعلات يحسبن ان الدرجة التي وصلن اليها تكفي لاعطائهن مطلق الحرية يندون ويرحن وحيدات . وان حوادث الفتيات المحزنة كثيرة جدافي أوربا لان الفتيات الطائشات لصفاء ينتهن يصدقن كل مدع لهن بالغرام وتساعدهن حريتهن المطلقة على مسابرة الفتيان ثم لايلبث الرجال ان ينفضوا من حولهن ويتركونهن بين اليأس والعار وهما امران احلاهما مر !

ومن رأيي ان تمنع الفتاة في سن المراهقة هذه من الاختلاط بالشبان . وحاشا ان امس بكلامي هذا شرف الفتيات وانما احب أن انبه الى شيء طبيعي والعامل من انعط بغيره . ويكفي تجنبنا لمثل هذا الاختلاط المعيب ان أهله ذاتهم هم اول العائين له . والفتاة في هذه السن ككل انسان تطلب الحرية ويجب ان تروض ونخرج وهذا ان لاأمنها منها وانما انصح للامهات ان يراقبنهن وللاآباء ان يراقبوهن مراقبة تخفى عليهن لان المراقبة ان كانت ظاهرة قد تضع في نفس الفتاة انها يجب ان تراقب وانها ضعيفة عن الذود عن نفسها واذا تملك منها هذا الشعور كان وبالا عليها واذا لالا لها . ثم اذا ثبتت للوالدين قدرتها على حسن السير فلا بأس من إباحة الحرية لها في زيارة صاحباتها وأرى ان الحرية المطلقة والحجر المطلق كلاهما ضار فكما ان الاولى تسهل سبل الفساد لمن تريدها كذلك الآخر يخلق في الفتاة ميلا لأن ترى كل شيء ويعلمها طرق الغش والكذب فيكون قد جنى اهلها عليها جنائيتين !

ان صلاح الفتاة مترتب دائما على تربيتها الاولى فان فسدت فقد يكون قليل من الحرية افضل من الحجر البات لانه لا ينفع ولا تعدم الفتاة منفذا لاجراضها فتعلم بذلك السرقة والخداع وقد تكون بعيدة عنهما من قبل

أفضل طريقة لتربية البنات هي ان يرين قبل البلوغ كل شيء تصح مشاهدته بمعنى ان البنت في سن العاشرة والثانية عشرة يجب ان يريها والدها الصور المتحركة والتمثيل والالعب المختلفة والحوانيت الكبيرة والمتزهات والآثار ويركبها السيارة ويريها الحفلات وغير ذلك حتى تلم على قدر الامكان بكل شيء حسن أو عجيب فتستنير من جهة ولا تظل بلها ككثيرات من فتياتنا وحتى تكون امتلاّت نفسها من الصغر فلا تجد فيها فراغا فيما بعد لطلب المزيد من المشاهدات فاذا عرض لها التنزه في حياتها المستقبلية فلا بأس به وان لم يعرض فلا تأسف كثيرا لفواته

المدارس — تعجني جدا طريقة مدارس (الفريز) في نقل الفتيات صباحا ومساء في عرباتها الخاصة حتى لا يختلط بهن السابلة وحتى يأمن عليهن أهلن وكذلك يوفرن وقت من سيعطل نفسه ليستصحبه الى المدرسة ذهابا وايابا فخبذا لو اشترت نظارة المعارف أو استأجرت مثل تلك العربات لنقل التلميذات الى مدارسها في الغدو والرواح ويكون لكل قسم من أقسام البلد واحدة او اثنتان حسب كثرة التلميذات وقتلهن فان التعليم في مدارسها ارق بكثير من التعليم في المدارس الاخرى وخصوصا في اللغة العربية التي هي لغتنا ويجب ان نتعلمها جيدا وكذلك تراعى فيها آداب البلد وعاداته ودينه أفضل مما تراعى في تلك المدارس الاجنبية التي لم تفتح الا لنشر مذهب من المذاهب الدينية أو لكسب أصحابها فقط

بعض أصدقاء تعليم الفتيات يرون ان تظل الفتاة جاهلة خيرا لها من ان تعلم لان التعلم يوسع عليها حيل الاختلاط الذي لا تبرره العادة ولا يسمح به أولياؤها وهي نظرية فاسدة لان التربية الصحيحة تحول دون ذلك فالفتاة السكاملة تجد من عقها وقدوة أهلها وآداب نفسها ما يخفيها من سوء الاحدوثة وتعلم ان سمعة الفتاة كالزجاج الصافي يتلوث من أقل الاشياء واذا انكسر فلا يجبر. اما الفاسدة فتعيل اذا وجدت مسر با سواء كانت عالمة او جاهلة وغاية الامر أن الجاهلة امرع شططا وأدنى الى

أن تشهر بنفسها وقلمنا تعرف نتيجة تصرفها السيء الا بعد وقوعها في سوء مغيبته
 الملابس والازياء - الملابس الشرقية اخف مونة وأيسر كلفة واشد ملائمة لجونا
 الحار وصيفنا المحرق من الملابس الافرنجية فهي جلباب يلبس مرة واحدة فوق الملابس
 اللاصقة بالجسوم . وعند الخروج تلبس فوقه الملاءة . اما الملابس الافرنجية فانها متعددة
 القطع مضاعفة التركيب عسرة اللبس والنزع فن مشد يخنق الخاصرة ويحشر الكبد
 والطحال ويدلي الاحشاء ويمنع الجلد من التنفس الطبيعي اللازم ، ومن بنية (ياقه)
 منشأة كالورق المقوى لا تستطيع المرأة فيها لفت رقبتها ولا الاثناء لقضاء أي عمل
 فتظل مشرّبة العنق لا عن صيد مشدودة لا عن وثاق ، ومن صدار (chemisette)
 لاصق بالابطالين ضاغطة على الكتفين أو منفرج الفتحة (décolte) معرض القفا والنحر
 بل الصدر والظهر الى الحر والقر واختلاف درجات الجو وجلب التزلزلات الصدرية
 ومن مرط (Jupe) ضيق الاعلى غير محكم الازرار واسع الاسفل طويل الذيل
 كأن لا يسته من ذوات الازناب تثير عند مشيتها الجراثيم وتضايق الرثتين والخياشيم
 ومن قبة شاسعة الارعاء مدججة بالدبايس مثقلة بالطيور ور يشها والغصون وازهارها
 ونماها مدبجة بالاربطة الحريرية ، ومن أناشيط (بنايغ) في أجزاء (الفستان) يضيف
 في ربطها وحلها الزمن سدى فضلا عن تعدد الملابس لتعدد الأغراض فخله للصباح
 وأخرى للمساء وثالثة للخروج وأخرى للرقص وغيرها للاستقبال وهلم جرا . وان
 الزمن الذي يضيع كل يوم في اللبس والخلع لو صرف في عمل نافع لآتى بالفائدة
 وأراح من العناء .

على ان لنساء الافرنج حسنة واحدة في ملابسهن مقفودة عندنا وهي البساطة
 عند الخروج للنزهة أو لقضاء شغل فتلبس المرأة ثوبا قصيرا كي لا يعوقها عن المشي
 اما نحن فترتدي أحسن طرفنا في الخارج ونظل في الذبول نجربها . على ان
 الاوربيات احق منا بتفنن الازياء وشدة التأنيق فيها لانهن برزات اما نحن
 فأكثر ما يرانا جدران المنازل وان خرجنا فتحت الازار او في العربات واذا
 فلا لزوم لاتباع (المودة) بشغف زائد لانها تفقر وتعل . وان كان للغنيات حق التمتع

بصرف ما هن ولو فيما لا يجدي الانسانية كالازياء فليس للمتوسطات حق افتقار بعولتهن أو آباءهن جريا وراء المودة المتقلبة .

نخرج بعض نساءنا عن حدود الأدب والشرع زعما باتباع (المودة) ولكن هناك فرقا كبيرا بين (المودة) والخلاعة فان لبست المرأة آخر الازياء في بيتها فما عليها في ذلك من حرج ولكن اذا أظهرت زينتها للارة وظلت تتلكأ وتضحك فتلك هي الخلاعة الشائنة ولم تجيء في مجلات الازياء (كالبرتال والوفور) وغيرها فني أي كتاب قرأتها .

لاحظت شيئا غريبا في الفتيات وهو أن الفتاة التي تبرج وتأنق مغالية في اظهار محاسنها وغناها تريد بذلك ان يعجب بها الخاطبون والخطابات هي التي تأخر دائما في الزواج وان تزوجت فبرجل أقل مما كان ينتظر لمثلها وهو عقاب طبيعي للمتبرجات لأن الرجل مهما أعجبه شكل الخليعة وكلاهما فهو لا يود ان يقتنيها لنفسه اعتقادا أن ما أعجبه منها ظاهر لغيره ايضا ولو فطنت الفتيات الى ان أول شرط يشترطه الرجل في امرأته خاصة هو الحشمة والترفع عن البهرجة لما تأخرن لحظة عن الاقتلاع عما زعمنه يقربهن في أعين الراغبين في الزواج وهو في الحقيقة يبعدهن وينفر الرجال منهن . لست بذلك ادعو النساء الى التقشف او البعد عن الزينة فليس لي ان احرم ما حلال الله ولأن في الزينة للمرأة بعض السعادة ولزوجها كذلك ولكن غرضي الاعتدال في الزينة الى عدم الخروج عن المعروف .

٤ — الدور الرابع الخطبة والزواج

تتعجل الفتيات كثيرا في انتظار هذا الدور ولو علمن مصاعبه ومتاعبه لما تعجلنه واطن أن ما يشوقهن اليه هو الزخارف والحلى الجديدة وما يقام للعروس من معالم الزينة وما يتقاطر عليها من التهاني والهدايا ولكنهن لا يدركن التبعة الكبرى التي تتحملها المرأة بزواجها وما قد يصيبها من الآلام النفسية في عيشتها الجديدة ، وشتان بين الفتاة تنام ملء عينها ولا تسأل الا عن نفسها ويسعى أبوها وأهلها في ارضائها وجلب ما تشتهي لها من ملابس وغيرها وبين الزوجة تنتظر بعلمها الى ما بعد نصف الليل

وتبكر قبل بزوغ الشمس لتجهز طعامه وتنظم ملابسه وتظل يومها تشتغل في بيتها أو تلاحظ الخدم وعليها ان ترضيه وترضيهم وتخطب ود اهله وتقوم بتربية اولاده وهي بين كثرة العمل وتنوع التبعة تحاسب حسابا عسيرا على اقل هفوة (٥) ، وربما وجدت منه سكبيرا فظا أو أحمق ، وأدهى من ذلك ان يتحفها بضرة شرعية او غير شرعية تأتي على ما بقي من رونق جمالها وسعادتها

لا وسيلة للزواج عندنا الا الخطبة ولكن بأعين الالهل والجيران والخطابات وقد تحسن في أعينهن من لا تحسن في عين الخاطب لاختلاف الاذواق والمشارب فيتزوج الرجل على مجرد أوصاف قيلت له فيصور منها شكلا في مخيلته عسى لا يطابق العروس الحقيقية أصلا لسوء تعبير الخطابات وتحريفهن . وكذلك الفتاة تكاد لا تعلم عن خاطبها شيئا الا اسمه وماله المبالغ في تقديره لترغيبها هي وأهلها فيه . فاذا حان وقت المقابلة يكاد العروسان يصابان بالبكم والفشيان لفرط اندهاش احدهما من الآخر . وبعد المعاشرة قليلا قد يتفقان وربما لا يتفقان وهذه المخاطرة نتيجة اعتقادنا المقلوب في القضاء والقدر . نعم ان القضاء والقدر لا يجدي مغالبتهما ولكن لا يصح اتخاذهما وسيلة للاهمال في جلب المنفعة أو درء الضرر فان هذه المسألة مسألة اختيار محض للعقل ان يحكم فيها وحده فاذا أحسن الاختيار حسنت عاقبته وان قصر او أهمل ساءت العقبي . علي ان اسفار النساء عن وجوههن لم تجمع الائمة على تحريمه فضلا عن انهم كلهم يجوزونه عند الخطبة نحاشيا من وقوع الاختلاف ودعوى الفش فيما بعد

أما الافرنج فخشية أن يصابوا بما أصيب به أغلب أهل الشرق من الخطبة

(٥) في كلام الخطيبة مواضع للنقد لم تعرض لها لان كلامها بالاجال صحيح ومفيد ولكننا لم نر بدا هنا من تنبيهها الى خطأ بين وهو نويها بتكاليف الزواج وذكر اشياء تافهة عندها من المرغبات فيه معرصة عن ذكر الدائق النظري اليه وهو شعور كل فرد من أفراد الجنسين بأن نفسه نزاعة الى السكون الى نفس أخرى تكملها اما تلك الزخارف السكاذبة فقد تكون من المرغبات لمن لم يضر بن بسهم في الترية ولا سيما لبنات الطبقة الدنيا اللاتي كن محرومات في بيوت آبائهن من مثلها والخطيبة الادبية انما اذت ذم التعجل بالزواج فجاء كلامها صريحا بالتنفير من الزواج نفسه وهو غير المراد حتما .

العمياء وما يترتب عليها من الشقاء المستمر أجمعوا رأيهم على ان يتراعى العروسان قبل الخطبة مرارا ويتقابلا تكرارا ولكنهم أفرطوا في الأمر كما فرطنا نحن فيه وكلا طرفي كل الأمور ذميم . لم يكتفوا بأن يرى الخاطب مخطوبته عدة مرات بل شرطوا أن يكون الزواج بعد الرضى او الميل المتبادل بينهما ولاجل أن يحصلوا على قلب الخاطب قبل أن يعرف من هو يحرضون بناتهم على غشيان المتزهات والمراقص ومجتمعات الفتيان لعل الواحدة منهن تخلب قى من الموجودين هناك بالاتفاق وقد تذهب المقابلة بعد المقابلة سدى فتعرض لغيره ويتعرض لغيرها الى أن تجد بعد طول مدة التخير قى يكشفها بعزم الاقتران فتظن انها وجدت ضالتها المنشودة فتعلن أهلها ويتردد الخاطب عليها في البيت وغير البيت وربما تمضي الشهور أو السنين ثم يفض الفتى عن الفتاة بدعوى ان الاختبار لم يؤد الى المرام وان القلوب لم تأتلف واذا كان أصل الفكرة وجوب الاختبار الطويل فيما يتعلق بالاخلاق والتأكد من الحالة الصحية كان العدول بعد الاختبار أمرا غير مستقيح وانما يكون الاستباح بعد الاعلان القطعي وهو لبس الخاتم عندهم ولا شك ان التساهل الى هذا الحد فيه مافيه من العيوب مما لا يخفى على الناقد البصير

والحق ان هذه المسألة من المعضلات الاجتماعية فلا الاسترسال في الاختبار بما مومن العواقب ولا الاحتجاب على الخاطب بمفيد بل ربما كان مؤخرا للفتاة عن الزواج في الاوان المناسب وربما كان في الحي الواحد قتيان وفتيات كل منهم يعني الزواج ولا يعلم الفتيان بوجود الفتيات لاحتجابهن الاحتجاب الشديد ولعدم التعارف بين البيوت . ولا خلاص من هذه العقدة الا اتباع سنة السلف من العرب في صدر الاسلام من مباشرة الفتاة خدمة الضيوف ومقابلة زائري أهلها لاستطلاع قصدهم والخروج في القرى ان كانت بها المساعدة في بعض الاعمال ، ويجب على الفتيان في مثل هذه الحال أن لا يظهروا غرضهم امام الفتيات أو يتعرضوا لهن بالخطبة فان ذلك مغاير للذوق والادب وموهد لجلل الفتيات وانزوائهن وراء الحجب وينبغي ان تموت الفتيات هذا الامر من صغرهن حتى لا يستغربه عند الكبر ويحسن بشذوذه . وهذه الطريقة متبعة في القرى والبادي المصرية فخذوا الوأقدي

هم أهل المدن، وإنما يشترط في الأخيرة أن يكون خروج الفتاة مع أيها أو أخيها أو أحد محارمها. وعلى كل حال فالشيء الذي لا بد من منعه هو أفراد القتي بالفتاة وطول المحادثة في غير ضرورة لما في ذلك من مخالفة الشرع وإثارة التهم

هذا ما يقال في الخطبة. أما الزواج فطريقتا فيه مختلفة أيضا فالمرأة الغربية تدفع الصداق (الدوت) وقد يكون من جراء ذلك في بعض الأحوال أن تصير الزوجة سيدة الرجل الآمرة الناهية والمرأة الشرقية كانت لا تدفع شيئا ويدفع الرجل الصداق فيأخذ أهلها أنفسهم ولا يشترطون لها منه شيئا وبذلك يعتبر الرجل نفسه سيدها لاحق لها في معارضته. وهاتان الطريقتان بغير نظر إلى غنائمها أو تفضيل أحدهما على الأخرى واضحتان في أن دافع الصداق هو المنفرد بالسيادة في البيت. أما طريقتنا الآن فهي معتلة ولذلك فالسيادة متنازع عليها بين الزوجين المصريين. يدفع الرجل الصداق فتأتي له المرأة بما يساوي ضعفه أو ضعفه أو أكثر فهو بما أنفق يظن أنه السيد وهي بما أنفقت تظن كذلك فيتنازعان على الرأسة!

مالنا ولهذا التكليف الثقيل والبيت باسم الرجل لا باسم زوجه فإن أعجبه أن يفرش بيته حصيرا فليكن وإن راقه أن يمويه سقوفه وجدرانها بماء الذهب فليفعل وإن أحب أن يجعله جنات عدن تجري من تحتها الأنهار فليحذر رأيه. وليس للزوج وأهله أن ينتظروا شيئا من العروس فهي وشأنها في مالها. إن حوادث الطلاق فيها عظام كثيرة لو اتقنوا لها فكثيرا ما يتنازع الزوجان على الاثاث كل يدعي أنه له وإذا كان في الرجل مروءة وتركه لمطلقته فإنها تزحم به بيت أهلها ويظل مكدسا يرتفع فيه العث والجرذان فتجد مرعى خصيبا فإذا تزوجت المرأة ثانية وجدت أكثره قالفا أو طال عليه القدم مع ما يستلزمه نقل الاثاث وترتيبه كل مرة من النفقات والتعب. وإذا لمت الغنية مرة على هذا التدبير فاني ألوم الفقيرة المدعية مرارا. فكم من بيوت خربت وارض بيعت أو رهنّت لاسباب سوى تجهيز عروس لا يلبث فرشها البهي أن يحول لونه أو يتمزق بعد سنين قلائل فتكلف زوجها بتجديده أو يبقى خرقا. سمعت عن أب له ثلاث بنات جهزهن واحدة بعد أخرى جهازا كان موضوع الحديث عند معارفه وكان له مئة فدان من أجود الاطيان يعيش بربيعها غيش

الرخاء فباع ثلاثين لتجهيز الفتاة الاولى ورهن ثلاثين للثانية والباقي للأخيرة ولما حان ميعاد الوفاء لم يف واذا بالدائنين أتوا على ماورثه وهو كل ما يمتلك وحجزوا على بيته أيضا !! فبالله الا يعد هذا الرجل قصير النظر اخرق ؟ وهل اغناه اثاث بناته وقد اصبح معدما ذليلا ؟ من الجنون بل ومن القساوة ان تجتهد الفتاة في تخريب بيت والديها لتزين بيت زوجها ، ولماذا تقلد كل سيدة من هي أغنى منها ، وهل يعد التوسط في الغنى أو الفقر عيبا ؟

إن الاوربية لا ترمي مالها كما فعل في أو ان لا تستعملها وفي خرق تبلى بعد زمن قصير بل تستثمر ذلك المال فتنبه وتحفظه للعوز وذخرا لأولادها بعدها وتنفق منه على الجمعيات الخيرية والمدارس فتحيي البائسين وتحيا بحسناتها فهي ابرع منا بمراحل في طرق الاقتصاد

الاقتصاد المالي والمنزلي

لا تكتفي المرأة الغريبة بتنمية مالها فقط بل تعمل ميزانية مضبوطة لواردات بيتها ونفقاته فلا تخرج عن حد الاعتدال في النفقات ولا تصرف درهما في غير موضعه وتفحص مشترياتها بنفسها كي تتأكد من جودتها واستحقاقها لما تباع به وتهتم برفو الثياب وتصلحها وتعمل من كل قديم جديدا وقد تغير شكل الثوب الواحد وزينته مرارا فيبين جديدا . نعم ان فينا لقاء ذلك كرما ولكن يجب ان لا يكون الكرم اهمالا ، فقد تقع بقعة صغيرة على جلباب من الحرير الغالي الثمن فاذا اهملناه لم يصلح للبس واذا أعطيناه لخدمة او لمرأة فقيرة فقد ينفعها ثوب من القماش الرخيص (الشيت) أكثر من ذلك الثوب الجميل وبهذه الحالة يكون كرما غير مجد فلو اجتهدنا في ازالة تلك البقعة او تمويهها بشيء من الزينة (الكلفة) وجدنا على تلك الفقيرة ثوب رخيص لكان افجع لها ولنا

إن تربية الغريبة مؤسسة على العناية والملاحظة . أما نحن فقلما ننبه اليهما ، تقتصد المرأة الغريبة من مالها بما تظهره من براعتها وعملها فهي تخطط لنفسها ولزوجها ولأولادها وتكوي ثيابهم . أما نحن فالبيوت المتوسطة كلها تكوي في السوق وتخطط

كل شيء حتى التافه عند الخياطات ! • بعشرين قرشا يمكن المرأة الغربية ان تحضر طعاما ليبتها وتجعله لذيذا ومشتهى لكثرة الجوارس (السلطة) والحلوى • أما العشرون قرشا عندنا فتعمل بها المرأة طعاما ولكن غير منوع ولا مشتهى

ان الافرنج رجالا ونساء يعرفون كيف يجتذبون الانظار ويجعلون الشيء المتوسط في الحسن جميلا • قدرأيتن بضاعتهم وهي اقل مائة من بضاعتنا الشرقية ولكنهم يضعونها في حوانيت واسعة منارة بالكهرباء ويرصونها داخل ألواح من الزجاج فتجذب المارة ثم هم يختارون لتجارتهن محلا من المدينة يكثر فيه الغادون والراحمون أما تجارنا فهم بمعزل عن ذلك التفتن، قد يكون دكانهم في مكان غير مطروق كثيرا ويهملون في عرض بضاعتهم والاعلان عنها فتبور • مثل تجارنا في حوانيتهم كمثلنا في بيوتنا ففينا من الذكاء والمقدرة ما يمكننا من جعل بيوتنا جنة ولكن قلة العناية هي التي تؤخرنا وتوقنا

العمل — أما العمل اليدي أو الخارجي فانا يجب أن نعرف للمرأة الغربية بسبقها فيها وان كانت غنياتنا وأغلب غنياتهم لا يكثرن الا بالملاهي والازياء ولكن المتوسطات هناك لا يأفن من مزاوله الطبخ والكي والترتيب كما تأفنه متوسطاتنا وقيراتهن يعملن ما يقوم بأودهن وأود أسرهن • أما فقيراتنا فاما ان يتسولن أو يشتغلن بعمل قليل الكسب والشواهد كثيرة على ذلك وأقربها وهو مانعرفه كلنا ان الخياطات المصريات لانكاد نجد يفيهن واحدة يمكنها تفصيل الثياب وخياطتها جيدا وهن لعدم اتقانهن العمل يكتفين بأجرة قليلة مع ما تكبدنه من التعب وانفاق المافية فتأخذ الواحدة خمسة قروش أو عشرة أجرة الثوب في حين ان الافرنجية تطلب جنين على الاقل مقابل تعبها فقط • وكذلك الطيبات منا يكتفين بدروس قليلة من الترميض ولا ينظرن لمثيلاتهن الاجنبيات اللاتي برعن في الطب وتلن نفس شهادات الرجال • والمريات والخدم المصريون لا يفقهون معنى الترية واغلب الخادومات لا يصلحن فنضطر ان نجلب هؤلاء من الافرنج

يقولون الحاجة ام العمل، فما بالنا نكسل ونقصر ونحن في شديد الحاجة لأمثال هؤلاء الخياطات والطيبات والمتعلمات وغيرهن ! • من فروض الكفاية ان يكون كل

هو لا.. مصريات في مصر فيمنعن بعض ما لما من التسرب في جيوب الاجانب وهن
سا كنات ينظرن . لقد اصبحت كلمة مصرية في أفواه الاجانب عنوانا على الكسل
وعدم المقدرة فهلا يبعث فينا ذلك التعبير روح النشاط وحب العمل ؟ هلا حاكناهن
فيما تفوقن فيه علينا من العلم والعمل ؟ أم هل تكفي محاكاتنا لهن في الزي والتصنع
ان نصبح مثلهن ؟ . انهن أسسن الجمعيات وادرن المستشفيات والملاجي . وقن يشتغلن
بكل فن حتى انهن يطلبن مشاركة الرجال في الانتخاب لحكم بلادهن وما ذلك
الا نتيجة العلم والثروة على حب العمل

من حب العمل عندهن الرياضة في ساعة الفراغ قترين انهن يشتغلن حتى
وهن يطلبن الراحة . أما نحن فنكسل ونطلب الراحة في ساعات العمل . ألم تسمعن
بجمعية الصليب الاحمر وكيف تخاطر النساء فيها بحياتهن لمداواة الجرحى والتقاطهم
ونار الحرب تستعرا ؟ . ليس ينفي الهم ويضمد الجراح كالمرأة الآسية . ان النساء
المنخرطات في سلك تلك الجمعية يعرضن انفسهن للهلاك وتكبد مشاق السفر وتحمل
البرد القارس الى درجة الجليد بين سهول منشوريا وحزونها وفي الاقاليم الاستوائية
التي يذيب حرها اللانح رأس الضب . وقد كان نساء العرب يفعلن نفس هذا
الفعل الشريف في الحرب ويزدن عليه تشجيع المجاهدين وتغذية الجياد قال عمرو
بن كلثوم في معلقته

يقتن جيادنا ويقلن لسنم بعولتنا اذا لم تمنعنوا
وقد كانت مخاطرهن هذه تثير الشجاعة في الرجال وتحملهم على الاقدام
بدليل قوله

اذا لم نحمهن فلا بقينا بخير بدهن ولا حيننا
وقوله في موضع آخر من القصيدة

وما منع الظمان مثل ضرب ترى منه السواعد كاقليتنا

الاخلاق — لا أدري أنفضل المرأة الغريبة في معرض الاخلاق أم تفضلنا
فهي أكثر منا شجاعة في اقتحام الخطوب وان كانت لا تقل عنا جزعا عند المصائب
ونحن لا ينقصنا ذكاء كذا كانتا وإنما ينقصنا عزم وثبات كعزمها وثباتها . وهي تعمل

لنعيش ونحن تتكل اما على آباءنا أو أزواجنا فلا نعمل شيئا وهذا الانكال معيب في نفسه فضلا عما تخلفه تقلبات الايام من تخطيطته فلو عملت كل فتاة ولا سيما من لا رزق لها كيف تكسب عيشها شريفة مستقلة لما رأينا البائسات تموج بهن الطرقات والمهيضات بعد سابغ عز وسابق نعمة ينتظرن احسان الاخ أو أحد الاقارب وقد تكون امراته سيئة الخلق فيملأن عشرتها أو يكون لهن من الاولاد ما ينوء بريتهم ذلك الاخ أو القريب، والمرأة الغريبة تعتي بكل شيء حتى التافه ونحن بما ركب في طبعنا من المسألة نميل الى الاهمال والكسل . وأرانا أسلم منها قلبا وأقل خداعا بالطبع ولعدم الاختلاط بالرجال أيضا فانها لتجوالها في الخارج تتعلم كيف ترضي هذا وذاك لتظهر فاتنة جذابة والحاجة تعلمها الاحتيال على العيش فهي تطلبه بكل الوسائل الممكنة . وهي أنشط ولا شك منا وأثبت على العمل الا اننا أكثر قناعة وأرضى بالقليل

بقية العادات - للخرافات سلطان كبير على المرأة الغريبة وان كان بعضنا يظن انها معصومة من الخطأ فنحن وهي سيات في التفاؤل والتشاؤم وتصديق العرافات والمنجمين والمشعوذين والاعتقاد بطول العفاريت والخوف من الظلمة . وعندنا الزار وهو أبو الخرافات ومفسد البيوت وهي لا تعتقد به وان كانت تصاب بأعراضه العصبية . فلماذا اختارتنا العفاريت مسكننا لها ؟ واذا فرضنا المستحيل وصدقنا القائلين بتقمص الارواح فلماذا لاتلجأ الينا روح أرسطو وابن رشد وابي العلاء وغيرهم من الفلاسفة والمصلحين ؟ أم قضي علينا حتى في الكذب والترهات ان نكون دائما متأخرات فلا يلبسنا الا (الشيخة رمانة وسفينة يوسف مدلم) وغيرهم ممن لا يطلبون الا الخلائيل والمصوغات والسيوف المذهبة ؟ الا اننا لم نبرع في حيلة ما الا هذه تخاف المرأة أن تطلب ملابس وحلياً فيرفض زوجها الطلب فتعتمد الى ادعاء العفاريت والجن لتهديده . أعرف كثيرات ادعين (الزار) فرفض طلبهن وبهذهن ضربن لآجله فلم يمدن اليه . فياليت شعري اذا كانت العفاريت جبناء الى هذا الحد فلماذا لا يستعمل الرجال المعوي وهي كثيرة وان كنت لا أوافق على ضرب الرجل المرأة بحال من (المآرج ٤) (٣٦) (المجلد الثالث عشر)

الاحوال وانما هي تصر ان العفريت هو الذي يتكلم بلسانها ويشعر باعضائها وانها
أعارته ظاهرها ولا أعلم الى أين ذهبت هي واذن فليضرب العفريت فهو الذي يتألم
ولا يصيبها شيء . كما تزعم في غير الضرب ! ولعل المتحضرات الحديثات يدعين قريبا
ان الملائكة قمصت بأجسامهن لانهن أحكم تصرفا وأحسن اختيارا . وأظن عفاريت
الارض نفدت بكثرة الطلبات فليصرفن همهن الى السماء كما صرفه مخترعو الطيارات
لما ضاقت بهم فجاج الارض . وحينذاك يأفمن من دكوب الضأن والابل فيمتطين
المختزعات الحديثة وان كانت لاتزال خطرة فلا تبهن علينا البارونة دي لاروش بما
نبغ عندنا مثلها كثيرات وان كان باعثن (مودة الزار) لا العلم .

لأعلم عند الافرنجية عادة تساوي الزار في القبح الا محاضرة الرجال في الرقص
وما يتبع تلك العادة من التهتك والتصنع والميل عن جادة الصواب وما ينشأ عن
حريتها المطلقة بلا قيد ولا وازع من الضرر البليغ والاخلال بالشرف ، وادهى من
ذلك ان ينتشر بينهن مذهب حرية الاعتقاد (Libre Penseur) وهو مذهب
من لا يصدق بالله ولا باليوم الآخر فيزعمن أنهن يجتبن الرذائل بمحض ارادتهن
وترينهن ولكن هل اذا منعت الفضيلة امرأة عن اتيان ما لا يرضي فهل يصح ان
تطبق هذه النظرية على كل امرأة ؟ ألم يكن الايمان بالله وترقب ثوابه وعقابه مانعا
لكثير من الناس عن الاتحار والكفر ؟ الاساء ما يمكن

ان النفس امارة بالسوء وقد تقدم على كثير من المواقف لولا الضمير الحي
وهو ثمرة الوازع الديني افلا يعقلون ؟ واراها لا تتمسك شديدا بديننا الخفيف وهي بدعة
وعدوى اتتنا من الغرب فهلا تفكرنا قليلا فيما ينفعنا وما يضرنا قبل الاقدام على التقليد
أو كلما رأينا انسانا يفعل شيئا حاكناه وان كان في ذلك هلا كنا وخسارة ديننا
ودنيانا معا ؟

المآثم - بينا الافرنجية ورجالنا أيضا يجتهدون في التلهي والتعزي عن المصيبة
تجدتنا بالعكس : نفقد الاجتماعات لنبيكي ونستأجر المعدادات لتزيد نار الامي في قلوبنا
وماذا يجدي الحزن وهو لا يرد ميتا ولا يعيد مفقودا ! قال ابو العلاء
غير مجد في ملي واعتقادي نوح بالك ولا ترنم شاد

وان من لوازم الاسلام ان يصبر المرء عند الملمات ويترك ما فات هو آت
والعاقل من يصرف همه اذ لا غبطة في العيش مع البؤس وان العمر الا أيام تقضي
فلماذا لا نجعلها سعيدة بقدر ما نستطيع ؟

المسرات - وانا في جلب المسرات لمقصرات نحو انفسنا ومن هم في ذمتنا من الاهل
والاولاد وحبذا لو اتبعنا طريقة المرأة الغربية في ذلك فانها تعقد الاجتماعات وتوالي
السر وتدعو اعضاء الاسرة الواحدة واصدقاؤها لتناول الشاي أو الطعام أو التزه
مما فيتنجذبون اطراف الحديث وييدي كل منهم رأياً او حكاية لا تخلو من فائدة
أو فكاهة ويتعاطون لعبات مختلفة لتنشيط اذهانهم وابدانهم ويتبادل المجتمعون
الدعوة كل بدوره فيتراءى اعضاء الاسرة الواحدة واصدقاؤها كل يوم تقريباً فينفون
همهم ويأنس بعضهم ببعض فيظلون في وثام ووافق

الخدم - المرأة المصرية لا تقدر نفسها قدرها وطالما رأيت سيدة تضاحك الخاديات
وتكاشفن بأسرارها فلا يتأخرن عن اذاعتها في البيوت الاخرى وهذا من الخطل
في الرأي . يجب ان يعامل الخدم بالراقة ولكن لا تتعدى تلك الراقة حدودها .
ألم تستغرين مرة من أن خدمنا لا يشتغلون عندنا نصف ما يشتغلون في البيوت
الافرنجية ومع ذلك نراهم هناك انشط وأهدأ خلقاً مما اذا كانوا في بيوتنا . السبب
بين وهو ان المرأة الافرنجية تحفظ هيئتها فيخشاه الخدم وهي لا تخالطهم الا عند
الامر والنهي ولا تخط من شأنها بمسامرتهم ومضاحكتهم وتفرض عليهم شغلهم وتزيره
لهم أول مرة ثم تتركهم وشأنهم فيعرفون واجباتهم .

• - الدور الخامس دور الامومة

هذا الدور مرتبط بدور الطفولية ارتباطاً تاماً حتي يكاد يندمج أحدهما في الآخر
وعليه فكل ما قلته هناك أقوله هنا

النتيجة

والنتيجة ان المرأة الغربية سبقتنا بمراحل في العلم والعمل مع اننا لا تقل عنها
ذكاء وكل ما لا يستحيل طبعا فهو ممكن بالمعالجة واتخاذ الجهد مطية اليه مهما صعب

الطريق واستعصى فاذا تدرعنا بثبات العزم وقوة الارادة فاننا نصل الى ماوصلت اليه من نور العلم ورفعة المقام ولا يثبطنا قول القائلين « ان الشرق شرق والغرب غرب » فان التاريخ أعدل حكم وهو حافل بذكر الشرقيات اللاتي نلن من بعد الصيت ووفرة العلم مثالا كبيرا ايام كانت الغريبات لا ذكر لهن فاقرا نواريح نساء العرب في الشرق والغرب نجدن نادر الذكاء وجزل الشعر ومتين الاسلوب وما يشهد لهن بعلو الكعب في العلم والعمل

ان الضعيف اذا لم يرزق قوة التمييز خيل اليه ان كل ما ياتي به القوي حسن . ذلك مثلنا امام المرأة الغريبة فهل نردن أن نثبت للملائخولنا وخلولنا من التمييز أن نردن أن نعمل على حفظ قوميتنا وقوية روح الاستقلال فينا وفي الاجيال القادمة من اولادنا ؟ اذا أردنا أن نكون أمة بالمعنى الصحيح تحتم علينا ان لاقتبس من المدنية الاوربية الا الضروري النافع بعد تمصيره حتى يكون ملائما لمعادتنا وطبيعة بلادنا . قتبس منها العلم والنشاط والثبات وحب العمل ، قتبس منها أساليب التعليم والترية وما يرقينا حتى نبذل من ضعفنا قوة وانما لا يجوز في عرف الشرف والاستقلال ان نندمج في الغرب ونلاشي ما بقي لنا من القوة الضعيفة امام قوته المكتسحة الهائلة وفي الختام لا يسعني أيتها السيدات الا ان اشكر لكن حسن اصفا تكن وتأييدكن اياي بالحضور وآمل ان نسمع ونعي ولا اخالكن الاعازمات على ترك جودنا القديم وعلى العمل معا لرفع شأننا وشأن هذا الوطن والله أسأل أن يوفقنا ويهدينا سواء السبيل

العمران العربي (*)

﴿ وصف دار الخلافة أو القصر الحسيني ﴾

« حين وفد رسول ملك الروم على الخليفة »

حدثني ابو الحسين هلال بن المحسن قال كانت دار الخلافة التي على شاطئ دجلة تحت نهر مَعْلَى قديماً للحسن بن سهل ويسمى (١) القصر الحسيني فلما توفي صارت لبوران بنته فاستنزلها المعتضد بالله عنها فاستنظرته أياماً في تفرينها وتسليمها ثم رمتها وعمرتها وجصصتها وبيضتها وفرشتها بأجل الفرش وأحسنه وعلقت اصناف الستور على أبوابها وملأت خزائنها بكل ما يخدم الخلفاء به وربت فيها من الخدم والجواري ما تدعو الحاجة اليه . فلما فرغت من ذلك انتقلت وراستته بالانتقال ، فانتقل المعتضد الى الدار ووجد ما استكثره واستحسنه ثم استضاف المعتضد بالله الى الدار مما جاورها كل ما وسعها به وكبرها وعمل عليها سورا جمعها به وحصنها وقام المكتفي بالله بعده ببناء التاج على دجلة وعمل ورائه من القباب والمجالس ما تنافى في توسعته وتعليته ، ووافى المقتدر بالله فزاد في ذلك وأوفى مما انشأ واستحدثه وكان الميدان والثريا وحبر (٢) الوحوش متصلاً بالدار (٣) كذا ذكر لي

(*) نشر تحت هذا العنوان آثار من التأريخ تذكيراً للخلف بسؤدد السلف، وجاء ان يمت التذكير على العمل. واننا نبداً بوصف القصر الحسيني نقلاً عن نسخة خطية من تأريخ مدينة السلام للخطيب موجودة في مكتبة مصطفى باشا الكوريلي بالقسطنطينية مقابلين ذلك على نسخة Gr. Salmon المطبوعة بباريس سنة ١٩٠٤ وهي التي اخذها عن نسخة خطية في مكتبة لندره مشيرين الى اختلاف النسختين في الهوامش ومفسرين بعض الكلمات الغريبة (١) وسمى (٢) وحبر. والخبر هو البستان ولكن الخبر هنا لا معنى لها (٣) في نسخة سالون بمدكلة بالدار « قال الشيخ الحافظ »

هلال بن المحسن أن بوران سلمت الدار الى المعتضد وذلك غير صحيح لأن بوران لم تنس الى وقت المعتضد وذكر محمد بن احمد بن مهدي الاسكافي في تاريخه انها ماتت في سنة احدى وسبعين ومثتين وقد بلغت ثمانين سنة ويشبه أن تكون سلمت الدار الى المعتضد على الله والله اعلم .

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال حدثني أبو الفتح احمد بن علي بن هرون المنجم قال حدثني ابي قال قال أبو القاسم علي بن محمد الجوارري (١) في بعض أيام المقتدر بالله وقد جرى حديثه وعظم أمره وكثرة الخدم في داره قد اشتملت الجريدة الى هذا الوقت على احدى عشر ألف خادم خصي وكذا من صقلي ورومي واسود وقال هذا جنس واحد من تضمنه (٢) الدار فدفع الآن الغلمان الحجرية وهم الوف كثيرة والحواشي من الفحول . وقال أيضا حدثني أبو الفتح عن ابيه وعمه عن أبيهما ابي القاسم علي بن يحيى أنه كانت عدة كل نوبة من نوب الفراشين في دار المتوكل على الله أربعة آلاف فراش ، قالافذهب علينا أن نسأله كم نوبة (٣) كانوا . حدثني هلال بن المحسن قال حدثني ابو نصر خواشادة خازن عضد الدولة قال طفت دار الخلافة عامرها وخرابها وحرما (٤) وما يجاورها ويتاخها فكان ذلك مثل مدينة شيراز . قال هلال وسمعت هذا القول من جماعة آخرين عارفين بخيرين ،

ولقد ورد رسول لصاحب الروم في أيام المقتدر بالله ففرشت الدار بالفروش الجميلة وزينت بالآلات الجليلة ورتب الحجاب وخلفاؤهم والحواشي على طبقاتهم على أبوابها ودهاليزها وممراتها ومخترقاتها وصحونها ومجالسها ووقف (٥) الجند صفين بالثياب الحسنة وتحنهم الدواب بمراكب الذهب والفضة وبين ايديهم الجناثب على مثل هذه الصورة وقد اظهروا العدد الكثير (٦) والاسلحة المختلفة فكانوا من أعلا باب الشمس الى قريب من دار الخلافة وبعدهم الغلمان الحجرية والخدم الخواص الدارية والبرانية الى حضرة الخليفة بالبزة الراقية والسيوف

(١) الخوارزمي (٢) تضمنه (٣) نوب (٤) وحرما (٥) ووقفت (٦) الكثيرة

والمناطق المحلاة واسواق الجانب الشرقي وشوارعه وسطوحه ومسالكه مملوءة بالعامّة النظّار (١) وقد اُكثرت كل دكان وغرفة مشرفة بدرام كثيرة وفي دجلة الشذاءات والطيارات والذبابذ والزلات والسمريات (٢) بأفضل زينة وأحسن ترتيب وتعبئة وسار الرسول ومن معه من الموكب الى ان وصلوا الى الدار ودخل الرسول فمر به (٣) على دار نصر القشوري الحاجب ورأى ضففا (٤) كثيرا ومنظرا عظيما فظن أنه الخليفة وتداخلت له همة وروعة حتى قيل له انه الحاجب وحمل من بعد ذلك الى الدار التي كانت يرسم الوزير وفيها مجلس ابي الحسن علي بن محمد (٥) الفرات يومئذ فرأى اكثر مما رآه النصر الحاجب ولم يشك في انه الخليفة حتى قيل له هذا الوزير وأجلس بين دجلة والبساتين في مجلس قد علقت ستوره واختيرت فروشه ونصبت فيه الدسوت وأحاط به الخدم بالاعمدة والسيوف ثم استدعي بعدان طيف به في الدار الى حضرة المقتدر بالله وقد جلس وأولاده من جانيه فشهد من الأمر ما هاله ثم انصرف الى دار قد أعدت له

حدثني (٦) الوزير أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن المسندمة قال حدثني أمير المؤمنين القائم بأمر الله قال حدثني أمير المؤمنين القادر بالله قال حدثني جدي ام ابي اسحاق بن المقتدر بالله أن رسول ملك الروم لما وصل الى تكريت أمر أمير المؤمنين المقتدر بالله باحتباسه هناك شهرين ولما وصل الى بغداد نزل (٧) دار صاعد ومكث شهرين لا يؤذن له في الوصول حتى فرغ المقتدر بالله من تزيين قصره وترتيب آتله ثم صف العسكر من دار صاعد الى دار الخلافة وكان عدد الجيش مئة وستين ألف فارس وراجل، فسار الرسول بينهم الى أن بلغ الدار، ثم أدخل في أزج (٨) تحت الارض فسار فيه حتى قبل بين يدي المقتدر بالله وادّى رسالة صاحبه ثم رسم أن يطاف به في كل الدار وليس فيها من العسكر أحد ألبته وانما فيها

(١) النظارة. والنظارة هم القوم ينظرون الى الشيء واما النظارة فلامعني لها هنا (٢) كل هذه ضروب من الزوايق والسفن (٣) ممرته (٤) صفنا والصف ما يلبس تحت الدروع واما الضففا فلا يتضح لها معنى هنا (٥) بن (٦) وحدثني (٧) انزل (٨) في كتب اللغة انه بيت مستطيل وهو اخص من النفق ويسمى بالفرنسية Tunnel

الخدم والحجاب والغلمان السودان وكان عدد الخدم اذ ذاك سبعة آلاف خادم منهم أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود وعدد الحجاب سبع مئة حاجب وعدد الغلمان السودان غير الخدم أربعة آلاف غلام قد جعلوا على سطوح الدار والعلاوي وفتحت الخزان والآلات فيها مرتبة كما يفعل بخزان العرائس وقد علفت الستور ونظم جوهر الخلافة في قلابات (١) على درج غشيت بالديباج الاسود .

مطلب دار الشجرة

ولما دخل الرسول الى دار الشجرة ورآها كثر تعجبه فيها (٢) وكانت شجرة من الفضة وزنها خمس مئة الف درهم عليها اطيوار مصوغة من الفضة تصفر بحركات قد جعلت لها فكان تعجب الرسول من ذلك اكثر من تعجبه من جميع ماشاهده . قال لي هلال بن المحسن (٣) ووجدت من شرح ذلك ما ذكر كاتبه أنه نقله من خط القاضي ابي الحسين بن أم شيان الهاشمي وذكر أبو الحسين أنه نقله من خط الامير وأحسبه الامير ابا محمد الحسن بن عيسى ابن المقتدر بالله قال كان عدد معلق في قصور أمير المؤمنين المقتدر بالله من الستور الديباج المذهبة بالطرز (٤) المذهبة الجليلة المصورة بالجامات والفيلة والخليل والجمال والسباع والطرز (٥) والستور الكبار البضائية (٦) والارمنية والواسطية والبهنسية السواذج والمنقوشة والديقية المطرزة ثمانية وثلاثين ألف ستر منها الستور الديباج المذهبة المقدم وصفها اثني عشر ألفا وخمس مئة ستر وعدد البسط والنخاخ (٧) الجهرية والدراجزدية والدورقية في الممرات والصعود التي وطئ عليها القواد ورسل صاحب الروم من حد باب العامة الحديد (٨) الى حضرة المقتدر بالله سوى ما في المقاصير والمجالس من الانماط الطبري والديقي التي لحقها النظر (٩) دون الدوس اثنان وعشرون ألف قطعة وادخل رسل صاحب الروم من دهليز باب العامة الاعظم الى الدار المعروفة بخان الخليل وهي دار اكثرها اروقة بأساطين

(١) قلابات وليس لكليهما معنى ظاهر (٢) منها (٣) الكاتب (٤) بالطرز (٥) والطيور . وهذا الصحيح ولا معنى للطرز هنا (٦) البضائية . نسبة الى قرية صغيرة بالاهواز (٧) الصواب الانخاخ وهي البسط (٨) الجديد (٩) تحتها للنظر

وخام وكان فيها من الجانب الايمن خمس مئة فرس عليها خمس مئة مركب ذهباً وفضة بغير أغشية ومن الجانب الايسر خمس مئة فرس عليها الجلال الديقاج بالبراقع الطوال وكل فرس في يد شاكري بالبزة الجميلة ثم ادخلوا من هذه الدار الى الممرات والدهاليز المتصلة بحير الوحش وكان في هذه الدار من أصناف الوحش التي أخرجنا اليها من الحير قطعان تقرب من الناس وتشمهم (١) وتأكل من ايديهم ثم أخرجوا الى دار فيها اربعة فيلة مزينة بالديقاج والوشي على كل فيل ثمانية نفر من السند والزرايين بالنار فهال الرسل امرها ثم أخرجوا الى دار فيها مئة سبع: خمسون يمنة وخمسون يسرة كل سبع منها في يد سبع وفي رؤوسها وأعناقها السلاسل والحديد

ثم أخرجوا الى الجوسق المحدث وهي دار بين بستانين (٢) في وسطها بركة رصاص قلعي حوالها نهر رصاص قلعي احسن من الفضة المجلوة، طول البركة ثلاثون ذراعاً في عشرين ذراعاً، فيها اربعة طيارات لطاف بمجالس (٣) مذهبة مزينة بالديقي المطرز وأغشيتها ديقي مذهب وحوالي هذه البركة بستان بيمادين فيه نخل قيل ان عدده اربع مئة نخلة وطول كل واحدة خمس أذرع قد لبس جميعها ساجاً منقوشاً من اصلها الى حد الجُمارة (٤) بحلق من شبة مذهبة وجميع النخل حامل بغرائب البسر الذي أكثره خلال لم يتغير، وفي جوانب البستان اترج حامل ودستنبو (٥) ومقفم وغير ذلك ثم أخرجوا من هذه الدار الى دار الشجرة وفيها شجرة في وسط بركة كبيرة مدوَّرة فيها ماء صاف وللشجرة ثمانية عشر غصناً لكل غصن منها ساحات كبيرة عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة واكثر قضبان الشجرة فضة وبعضها مذهب وهي تمايل في اوقات ولها ورق مختلف الالوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر وفي جانب الدار يمنة البركة تماثيل خمسة عشر فارساً على خمسة عشر فارساً قد ألبسوا الديقاج

(١) وتشمهم (٢) بستانين (٣) كلمة « بمجالس » ساقطة (٤) الجمارة

شجرة النخلة (٥) نوع من الفاكهة والكلمة فارسية

وغيره وفي أيديهم مطارد على رماح يدورون على خط واحد في الناورد خبوا تقر ييا (١)
وفي الجانب الايسر مثل ذلك

ثم ادخلوا الى القصر المعروف بالفردوس فكان فيه من الفرش
والآلات مالا يحصى ولا يحصر كثرة ، وفي دهايز الفردوس عشرة آلاف
جوشن (٢) مذهبة معلقة ثم اخرجوا منه الى ممر طوله ثلاث مئة ذراع قد علق من
جانبه نحو عشرة آلاف درقة وخوذة وبيضة ودرع وزردية وجعبة محلاة وقسي ،
وقد أقيم نحو الفي خادم بيضا وسودا (٣) صفيين يمنة ويسرة ثم اخرجوا بعد ان
طيف بهم ثلاثة وعشرين قصرا الى الصحن التسعيني وفيه القلمان الحجرية
بالسلاح الكامل والبرزة الحسنة والهيئة الرائعة وفي أيديهم الشروخ والطبرزينات (٤)
والاعدة ثم مروا بمصاف من عليه السواد من خلفاء الحجاب والجند والرجال
واصاغير (٥) القواد ودخلوا دار السلام وكانت عدة كثير من الخدم الصقالبة (٦)
في سائر القصور يسقون الناس الماء المبرد بالثلج والاشربة والفقاع ومنهم من
كان يطوف مع الرسل فلطول المشي بهم ما (٧) جلسوا واستراحوا في سبعة مواضع
واستسقوا الماء فسقوا

وكان أبو عمر عدي بن احمد بن عبد الباقي الطرسومي صاحب السلطان
ورئيس الثغور الشامية معهم في كل ذلك وعليه قباء اسود وسيف ومنطقة ووصلوا
الى المقتدر بالله وهو جالس في التاج مما يلي دجلة بعد ان لبس بالثياب الدبقية
المطرزة بالذهب على سرير آبنوس قد فرش بالدبقي المطرز بالذهب وعلى
رأسه الطويل ومن يمنة السرير تسعة عقود مثل السبع معلقة ومن يسرته تسعة (٨)
اخرى من افخر الجواهر واعظمها قيمة غالبه الضوء على ضوء النهار وبين
يديه خمسة من ولده ثلاثة يمنة واثنان يسرة ومثل الرسول وترجمانه بين يدي المقتدر

(١) في نسخة سالمون بدل: في الناورد خبوا وتقريبا ، هذه الجملة « فيظن ان كل واحد الى
صاحبه قاصد » (٢) الجوشن هو الدرع (٣) في نسخة : يصف وسود واختار سالمون النصب
(٤) الشروخ هي النصول . والطبرزينات واحدها طبرزين فأس من السلاح ويسمى ايضاً
طبراً كما في بلاد الشام (٥) واصاغير (٦) والصقالبة (٧) حرف « ما » ساقط وهو
الصواب (٨) سبعة

بالله فكفر له وقال الرسول لمؤنس الخادم ونصر القشوري وكانا يترجمان عن المقتدر
لولا اني لا آمن ان يطالب صاحبكم بتقبيل البساط لقبته ولكنتي فعلت ما لا يطالب
رسولكم بمثله لأن التكفير من رسم شريعتنا ووقفا ساعة وكانا شابا وشيخا فالشاب
الرسول المتقدم والشيخ الترجان وقد كان ملك الروم عقد الامر في الرسالة للشيخ
مني حدث بالشاب حدث الموت، وناوله المقتدر بالله من يده جواب ملك الروم
وكان ضخما كبيرا فتناوله وقبله اعظاما له واخرجا من باب الخاصة الى دجلة واقعدا
وسائر اصحابهما في شذا من الشداوات الخاصة وصاعدا الى حيث انزلا فيه من
الدار المعروفة بصاعد وحمل اليهما خمسون بدرة ورقا في كل بدرة خمسة آلاف
درهم وخلع على ابي عمر عدي الخلع السلطانية وحمل على فرس وركب على الظهر
وكان ذلك في سنة خمس وثلاث مئة

تقریظ المطبوعات الجديدة

﴿ تدبير صحة الحامل والنفساء والطفل أثناء العامين الاولين ﴾

الفه بالفرنسية الدكتور اده الاخصائي بفن الولادة وامراض النساء وترجمه بالعربية
الدكتور فرا . صفحاته ٢٧٧ وعدد رسومه ٧٤ وقد طبع بمطبعة المعارف بمصر
ويباع بمكتبة المعارف ومكتبة النار بعشرة قروش صحيحة

من افضل محاسن المدنية الحديثة توزيع العلوم والاعمال وهو ما يصح أن يطلق عليه
في اللغة العربية الاختصاص فان المرء اذا اقتطع لممارسة فن واحد من فنون العلم برع في
ذلك الفن وأخصى وأمكنه أن ينفع وينتفع، وما كانت الاختراعات والاكتشافات
في الماضي والحاضر الا بنت الاختصاص، وان الارتقاء العظيم الذي وصل اليه الطب
بفروعه ولا سيما فن الجراحة لم يكن لولا الاختصاص فهو سبب كبير من اسباب
عظمة مدينة هذا العصر، وما من أحد ينكر أن الطب هو ملاك العلوم العملية وتاج

مفرقا ناهيك بعلم تتوقف عليه حياة الجسوم التي بحياتها تكون حياة الارواح ، ومن
ذا الذي ينكر مقاومة الطب للأمراض الوافدة كالجدري والمهضة (الكوليرا)
والطاعون وغيرها كالسل ونجوه ؟ حتى أصبحت مدينة القاهرة مرتاحة من ذيك
المرضين الفتاكين اللذين كانا يتناوبانها مناوبة وهما الهیضة والطاعون ، مع أن القاهرة
ليس فيها من العناية بالوسائل الصحية عشر معشار ما في باريس وغيرها من مدائن
أوربا وأمر بكا تلك البلاد التي بلغ من الاحتياطات الصحية فيها أنه أصبح من
المحظور على الناس أن يلفظوا بصاقهم على الأرض حذرا من جراثيم مرض قتال
فيه يستشقه الماعافى السليم !!

ألا بارك الله في هذا العصر وبنه العاملين النافعين فان تكاليف الحياة بفضلهم
أصبحت خفيفة الحمل على من كانوا مثقلين بها ، وان من انبل اعمالهم وانفعها هذه
الكتب التي ينشرونها هديا للناس وارشادا ، وامامي الآن كتاب من أجل تلك
الكتب وانفعها لقومي وهو كتاب تدير صحة الحامل والنساء والطفل
هذا الكتاب يجب ان يدخل كل دار من دورنا بل كل بيت وكل كوخ إن
أمكن ليكون قيد نظر كل امرأة تحمل وتلد ، ليكون لها مرشدا يهديها الى الطريقة
المثلى في تدير معيشتها ، والعناية بصحتها وصحة جنينها وطفلها ، قسّم من ويلات الحمل
والنفاس الكثيرة ، وتقي طفلها مصارع الادواء الويلة ، وتريه على الاصول الصحية
ومن ليست بقارئة أفهمها زوجها ما يجب عليها فالخطب سهل والأمر يسير غير عسير
والكتاب سهل العبارة حسن الطبع

﴿ ديوان الرصافي ﴾

نظمه معروف افندي الرصافي الشاعر البغدادي الشهير ، وعني بترتيبه وتبويبه والوقوف على طبعه
الشيخ محي الدين الحياط ، وعني بتفسير الفاظه الشيخ مصطفى الفلايني منشي مجلة النبراس
صفحاته ٢٢٥ وعدد قصائده وقطعه ٩١ طبع بالمطبعة الاهلية ببيروت
وباع بمكتبة المنار بقسمة قروش صحيحة واجرة البريد قرش

معروف افندي الرصافي شاعر سليقي مطبوع ، قدير على التبسط في مناحي

الكلام وأساليب النظم ، ولو ان حظه من الصنعة ، وازى حظه من القدرة ، قل
في هذا العصر مضارعوه ، وقد امتزجت في شعره نظرية الحضارة بمسحة البداوة
فكثر التفاوت في شعره ، وليس التفاوت مما يزري بالشاعرفانا لم نعرف شاعراً من
الماضين او الحاضرين لا تفاوت في شعره

وللرصافي طريقة خاصة به في النظم وهي ابداع الغرض في قصة محكية او حكاية
مروية وقد تفرد في هذا النمط من النظم حتى اصبح شعره فيه لا يطاول اسلوبا
ومنحى ، ومن جيد شعره في ذلك قصيدته « ام اليتيم » و « ابو دلالة والمستقبل »
قال في الاولى يصف شقاء ام اليتيم (ص ١٠٨)

كأن نجوم الليل عند ارتجافها تشير الى ذاك الاثنين المجمع
فما خفاف القلب الا لاجلها وما الشهب الا ادمع النجم ترتني
لقد تركتني مومج القلب ساهرا اخا مدمع جار ورأس مهوم
ارى فحمة الظلماء عند اينها فأعجب منها كيف لم تنضرم
وقال في الثانية يستنكر الحروب (ص ١٤٦)

قضت المطامع ان نطيل جدالا وأين الا - باطلاً ومحالا
في كل يوم للمطامع ثورة باسم السياسة نستجيش قتالا
ماضراً من ساسوا البلاد لو أنهم كانوا على طلب الوفاق عيالا
أمن السياسة ان يقتل بعضنا بعضا ليذكر غيرنا الآمالا
لأدر دُرّ اولي السياسة إنهم قتلوا الرجال ويتموا الاطفال
غرسوا المطامع واغتدوا بسقونها بدم هريق على الثرى سيالا
نثروا الدماء على البطاح شقائقا وتوهموها الروضة المحللا

والموضوعات التي في ديوان الرصافي كلها شريفة تتناول جميع شئون الاجتماع
والعمران ، ومن أحسن قصائده موضوعا ، وانباه مقصدا ، واصفاها دياجة ، واحكمها
اسلوبا ، تأنيته الشهيرة التي عنوانها التريبة والامهات (راجع ص ١٣٣ م ١٢ من المنار)
وبأنيته التي انتصر فيها لمذهب اهل السنة في كون طلاق الفضبان لا يقع ، وعنوانها المطلقة
(راجع ص ١٢٨ من هذا المجلد) وغير ذلك من القصائد النافعة التي كان بها شعر

الرصافي ممتازا جديرا بأن يعد من وسائل النهضة في البلاد العربية
وقد جعل الديوان صديقنا الشيخ محي الدين الخياط أربعة أقسام: الكونيات
الاجتماعيات ، التاريخيات ، الوصفيات ، وقد أحسن في الترتيب والتبويب وكتب
له مقدمة وصف فيها الشعر بكلام شعري ، ثم قسم الشعراء الى أطوار ، ووازن بين
الرصافي وشعراء عصره ، فكانت آراؤه البصير بالفن ، القدير في الشعر
ولقد آلمنا أننا عثرنا على أغلاط مطبعية كنا نتخى ان لا تقع في هذا الديوان
النفيس ، وباليت صديقنا منشيء التبراس اتم تفسير جميع المفردات الغريبة في الديوان

* * *

﴿ ديوان المصري ﴾

ناظمه عبد الحليم حلمي افندي المصري. عدد صفحاته ١٣٥ بالنقطع الصغير وعدد قصائده ٢٨
وبضم قطع. طبع بمطبعة النظام بمصر وباع بعشرة قروش صحيحة بالمكتبات الشهيرة

نظم عبد الحليم حلمي افندي المصري الشعر بالأسس وهو تلميذ حزوّر فكان
قرأ له الايات فنستحسن شعره ونحمد اسلوبه ، متأين أن نرى منه في المستقبل
شاعرا مجيدا ، وأصدر اليوم الجزء الاول من ديوانه وهو شارخ طوير ، فكان به
معدودا من شعراء العصر المشهورين ، ولا اعرف شارخا قبله في عصرنا بلغ مبلغه
من الشعر ، ولئن كانت ديباجة شعره اليوم لم يتم صفاؤها وكان سبكه غير محكم الرصانة
فان قلق خاطر الشباب شفيح له بذلك

وقد احييت من أخلاق هذا الشاعر أنه لم يصب بداء الشعراء «الغرور والعنجية»
فقد كتب فقرة مختصرة شعرية الاسلوب جعلها مقدمة لديوانه تدل على ذلك قال
فيها « الى قالة الشعر وقراء العربية من مشارق الارض الى مغاربها ازف شباب
شعري وشعر شباني بقدر ما تزودت من الادب ، ونشرت من برود العرب ، حتى
اذا امتد جبل العمر ، واشتد أزر الشعر ، كان الفرق بين شعر الطفولة وشعر الكهولة
مراة للنظرين ، ودرسا للمبتدئين ، وأعجبتني منه انه لم يتلو تلويغيره من الذين يكتبون
مقدمات لدواوينهم يعرفون بها الشعر ويتعسفون في ذلك ويتمحلون ، حتى جعلوا

الشعر بتعريفاتهم من النظريات التي لاشان للاذواق فيها ، ومن يتوهم انه بوصفه
لشعر يزيد من عرفته وروحه بصيرة فيه ، او يقربه من ارواح جاهليه ، فهو لا يعرف
من الشعر الا أنه قانون صناعي نظري ١١١ على أن المصري قد نشر لفيره مقدمة
من نوع تلك المقدمات الموصوفة ١

ومن جيد شعر المصري قصيدته النونية التي عنوانها «خلع عبد الحميد» (ص ٦٣)
وقصيدته التي عنوانها «السنة الهجرية» (ص ٤٩) الا انه لم يحسن التخلص في
هذه من موضوع الى موضوع ، وهذا من عيوب الشعر . قال من قصيدته الاولى
مخاطبا عبد الحميد :

شاهدت حولك اسوارا تفيض دما كأنما قد بناها بالدم الباني
مدججات اذا قيل القتال سعت مقرونة السير بفيانا لبناني
تظلمها ساريات قطرها عجب من انسر وشواهين وعقبان
لم تبسم الناس في (تموز) من جذل الا وقد عبسوا في شهر (نيسان)
نبا بك الملك واستعصبت قيادته عليك فانزل فانت الراقد الهاني
ولم أر قولاً ابلى في وصف سفاح من قوله «اسوار تفيض دما» ولو أن في
المنار مقسعا لنشرت لهذا الشاعر مختارات كثيرة ، وعسى ان يتجنب المدح في شعره
ولا سيما مدح الملوك والامراء ، فان المصوراتي ظلم فيها الشعر بالاماديج قد طواها الدهر

﴿ ديوان الازر ﴾

ناظمه رشيد افندي مصوبم اللبناني . عدد صفحاته ١٢٠ بالقطم الوسط طبع مطبعة الهلال بمصر

عرف رشيد افندي مصوبم من مشهوري شعراء لبنان بشغفه الزائد في قرض
الشعر ، وهيامه في شغابه وفجائه ، وتحليقه في اجوائه وفضائه ، حتى اصبح صبيا به
مفرما ، ومن عرف أن الشاعر لا يزال في مقتبل العمر وريضان الشباب ، وهو مع
ذلك قد اصدر من شعره اربعة اجزاء ضرب فيها بكل سهم ، وطرق كل موضوع
استيقن ان الشاعر انما احرز شهرته وهو بها جدير

وقد اهدى الينا ديوان (الاثر) الذي اصدره في هذه الآونة فألفيناه حافلا
بالقصائد والمراني والاماديح والفضل والنسيب والقشيب والحنين الى مصر اذ كان
مفارقا لها ، ناهيك بشعر يخاطب قائله اسماعيل باشا صري حكيم الشعراء بهذين
البيتين كما روت جريدة الاهرام

قل يارشيد الشعر أفديك قل يا شاعر المشرق والمغرب
شعرك هذا كله طيب اجدت فيه يا أبا الطيب
ومن جيد شعره قصيدته (ص ٦٣) التي يقول منها
وكم لغات تريد الناس تحفظها حتى يكون لهم باب ليكتسبوا
وهل سوى لغة الأعراب تؤنسنا وهل لا ذاتنا من غيرها طرب
والله حين جرت في مسمعي نعشت روحي واشجت كود فوقه ضربوا
يا طول شوقي لو ادي الليل اسمعها فيه ويا حر شوقي حين يلهب
وطول شوقي لسور يا متى صدحت فيها ومالت سرورا تحتها القضب
والديوان كله على هذا النسق

الجامعة المصرية

اصدرت الجامعة المصرية تقريرها السنوي الثاني وقد المت فيه بملخصه اعمالها
واحوالها واذكر نفقاتها وحركة العلم فيها، وفي كل ما ذكر دليل بين على تقدمها وارتقاءها
زادها الله تقدما وارتقاء

ومما جاء في هذا التقرير ان ريع الجامعة بلغ في السنة الماضية ٧٦٦٥ جنيها
ونفقتها ٩٠٠٠ جنيه فسد العجز من المال المقتصد سنة ٩٠٨ وهو ٢٣٠٠ جنيه، وان
الهبات المالية التي تبرع بها أهل الاربحية والسخاء بلغت ٢٧٠٠ جنيه، وان عدد طلابها
كان الى منتصف فبراير الماضي ٤٠٣ ما بين ذكران وأناث الى غير ذلك من الدلائل
على توفيقها في مراتب النجاح، ولكنها لا تزال في حاجة كبرى الى بذل الاموال لينتسب
لها مضارعة الجامعات الكبرى في أوروبا وأمريكا، وليس بكثير على أهل الثراء في
هذه البلاد ان يقيموا لابنائهم جامعة تغنيهم عن اتياب الجامعات في البلاد الاخرى

لا سيما وان اقاتلم واضراهم في تلك البلاد قد قام أفراد منهم بتأسيس كثير من الجامعات !

وقد اصدرت الجامعة ايضا تقريرا عن مكتبتها ومحتوياتها والهدايا التي اهديت اليها وهو مطبوع باللغة الفرنسية . كتب الله النجاح والفلاح لهذه الجامعة ولطلابها

رسالة في ادب اللغة وملكة النوق

رسالة لابراهيم افندي نسيم الكاتب الاول لمشيخة الجامع الاحدي اقاهها محاضرة في نادي موظفي الحكومة بالاسكندرية وقد أُلِّم فيها بأصل التدوين وتاريخه وحكى الاقوال في أصل الخطوط ووضع العلوم ونفى مزاعم القائلين بأن التدوين في الاسلام لم يكن الا في القرنين الثاني والثالث قال في ذلك : « اما ان العلوم الاسلامية لم تدون الا في القرنين الثاني والثالث للهجرة فردود بما ثبت من شيوع الكتابة بين الصحابة وما كان من اتخاذ النبي (ص) لزيد بن ثابت ومعاوية وغيرهما يكتبون ما يملئ عليهم من رسائل الدعوة الى معاصريه من الملوك » والرسالة جيدة الطبع ذات ٤٨ صفحة بالقطع الصغير حاوية لكثير من الفوائد الادبية والتاريخية وغنما مع أجرة البريد ١٥ مليا وتطلب من مكتبة المنار

مقدمة السبرمان

كراسة تقع في ٢٩ صفحة بالقطع الصغير تأليف «سلامه موسى» وكلمة السبرمان (Ueber mensch) المانية معناها الانسان الاسمي وضعها الفيلسوف نيتش الالماني وأراد بها أنه لا بد من إيجاد انسان آخر أعلى همة وأرق شأنا من الانسان الحاضر، ويرى هذا الفيلسوف ان الذرائع التي تمكن من إيجاد السبرمان انما تكون بمحو الضعفاء وتنمية قوة الاقوياء لأن الضعيف في رأيه لا يستحق الحياة!! وقد رأينا مؤلف هذه الرسالة يتحمس لآراء نيتش و بليك وشوبنهاور وغيرهم من ارباب الفلسفة الشاذة التي روحها وميلها كما حمل الناس على التفلت من جميع القيود الدينية والادبية وتقوية الحياة الحيوانية فيهم بحيث يكونون متسلطين جبارة أقوياء، بدل ان يكونوا عادلين مهذبين رحماء!! وكان مثل

هذا المؤلف الجديد أن يريد أهل الشرق على التمسك بتلك المبادئ الشاذة لو أنه رأى لها أثراً قائماً بتلك البلاد التي نبت فيها أولئك الفلاسفة أنفسهم يظهر كل يوم في بلاد الفرنجة كثيرون بأفكار جديدة منها المفيد ومنها السخيف ولكن الناس هنالك على بصيرة وعقل فهم يتناولون كل نافع وينفدون كل ضار غالباً، ولكن هذا لا يمنع أن يكون لكل ناعق متبعون، ولكل قائل مصدقون، فإن الشذوذ واختلاف المناحي كان ولا يزال دأب البشر، ولكن المتفرجين منا يريدون تعميم ما يرون لهم في كل بقعة من بلاد الشرق، ناصبين أنفسهم من امتهم منصب المصلحين النافعين، وانما هم من المقلدين المساكين، الذين لم تقو عقولهم على تمييز الفث من السمين. ولقائل أن يقول لو أن فلسفة نيتش كان معمولاً بفحواها قبل أن يكتبها فإذا كان يكون حظه منها وهو لم يكن إلا حلس يته يفكر في نظرياته وخيالاته؛ ولم يكن من أولئك الجبارة العتاة، الذين لا يستحق غيرهم في نظره الحياة؛ بل لنفرض أن تلك الشريعة الوحشية غفلت عنه ولكنها أبادت من حوله من الضعفاء الذين يهينون له طعامه وشرابه، وينظفون له مأواه وثيابه، فإذا كان يكون شأنه؟

يجب أن لا نسير وراء خواطر نفوسنا، وجواذب شعورنا، بل أن نحكم العقل والروية في كل شيء وهذا ما ننصح به لمؤلف هذه الرسالة !

درس روح الاسلام

كراسة باللغة الفرنسية وضعها الدكتور احمد الشريف من خيرة شبان تونس المستنيرين ردا على مزاعم افتحارية لرجل من جهة الفرنسيين اسمه موسيو بواجه (M. Boigey) كتبها في إحدى المجلات الفرنسية بعنوان (بحث اجتماعي في الاسلام - او - درس روح الاسلام) وقد جاء فيها بسخافات دلت على مبلغ جهله ورعوثته، وشدة تعصبه وفرط بلادته، وماذا عسى أن يقال في بواجه الذي زعم في بحثه هذا أن الاسلام او نبي الاسلام (ص) الذي يسميه هذا المتأدب بالآداب المسيحية بجمال مكة يقول في القرآن « إن الذي يركب البحر مرتين لا يكون مؤمناً » !!! ولست أدري من أي قرآن أتى هذا الجهول بهذه الآية؟ لعلها من وحي التعصب الذي يلهب بين ضلوعه

وغريب ان يتصدى مثل هذا الرجل للكتابة عن الاسلام وهو على هذه الحال من الجهل وقصر النظر ، ولكن التعصب يسوق الى اقتحام كل لجة ، وتوقل كل ربة ، وأغرب من ذلك ان تحمل المجلات بمثل وساوس بواجه ومقرياته ، الا اذا كان اصحابها موافقين له في آرائه ومروياته .

الحصون المنيرة

حمل النا بریدسورية رسالة بهذا الاسم لم يكتب عليها اسم مؤلفها ! ولقد نظرنا نظرة اجمالية في هذه الرسالة فاذا جدل بتمحل ، ومراء ظاهر ، وخطأ في الاستدلال ، ولانه ليؤلنا أن يني المسلمون بمثل كاتب هذه الرسالة المتعصب الى رأي بعينه ، والمتحيز الى فئة دون فئة ، مما يجعل مثارا للخلاف والتنازع بين المسلمين ، وقد أشار مفتي المنار الى هذه الرسالة وكاتبها فيما كتبه تعليقا على رسالة البحرين في باب البدع والخرافات من هذا الجزء

سر كلومير

قصة مترجمة بالربية بقلم الدكتور محمد افندي عبدالحيد حكيم استبالية قلوب . لم يسمح لنا الوقت بقراءة شيء منها ولكن مانعه في مترجمها من الاعتدال في الرأي وتوخي النفع يرجح لنا ان قصته التي اختار ترجمتها حاوية للفائدة والفكاهة

الروايات الجديدة

اصدر قولاً افندي رزق الله مدير ادارة جريدتي الاهرام والبيراميد مجلة قصصية بهذا الاسم ، وجعل قيمة اشتراكها ٦٠ قرشا في مصر والسودان و٢٢ فرنكا في الخارج ويصدر منها في السنة ٢٠ جزءا . جاءنا الجزء الاول منها واسمه لويس السابع عشر فاذا هو كتاب يقع في ٢٢٤ صفحة بالقطع الصغير جيد الورق والطبع وله ملحق يحتوي على قصة مختصرة ونبرة شعرية ونثرية ونحن وان كنا لم نتمكن من قراءة هذا الجزء فالتنا نعرف من صاحب هذه المجلة كاتباً بارعاً في الترجمة ، حسن الاختيار للقصص المفيدة ، وعسى ان يكون هذا الجزء منها

اللطائف الالهية

مجلة قصصية اهدانا ناشرها صديقنا محمد افندي جمال صاحب المكتبة الالهية

بيروت اجزاء منها منعنا ضيق الوقت من النظر فيها وقد جعل قيمة اشتراكها رايالا في بيروت وستة فرنكات في الخارج ، وهي قيمة زهيدة جدا لا سيما وصفحات الجزء زهاء مئة ، فعمسي ان يتوفر ناشرها على نشر المفيد النافع

عدل القضاء

قصة ذات ٤٧ صفحة بالقطم الصغير تأليف محمد افندي حافظ وتباع بمجلد الشيخ احمد علي المليحي الكتي بجمة الازهر

الهيئة والاسلام

جاءنا فهرس طويل لكتاب بهذا الاسم لمؤلفه « السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني » من علماء النجف . وسندي رأينا في الكتاب بعد صدوره

الزهور

« مجلة ادبية فنية علمية » لصاحبها ومديرها انطون افندي الجميل المحرر بمجربة الاهرام . جاءنا منها جزءان تصفحناهما فالفيناها حافلين بالمقالات الادبية ، والطرائف الشعرية ، عبقى الشذى ، وشيقي الاسلوب بيني المنحى

ومن مقاصد صاحب هذه المجلة جعلها صلة بين ادباء الاقطار العربية ، واننا نتمنى ان يوفق لما انتدب له وان كان تحقيقه عسيراً فيما نرى ، وقد رأينا صاحب الزهور اكثر من الوعود التي لا مطمع في إنجازها ومن ذلك نشره اسماء اثنين وثلاثين كاتباً وشاعراً واعداً بأنهم سيكتبون فيها ونرجح انهم ليسوا بفاعلين !

ولا يضير الزهور ان يكون اسمها لم يرد في اللغة فان شيوع استعماله قد جعله صقيلاً ، وقيمة اشتراكها ٤٠ قرشاً صحيحاً في مصر و ١٥ فرنكاً في الخارج فترحب بها ونرجو لها الرواج

جامعة المنقول والمقول

« مجلة تحتوي على تمام ما بني عليه الاسلام ، وكال ما يتقوى به اللسان والاقلام في اثني عشر علماً عربية مفصلاً مميزة عن بعضها » هذا ما كتب تحت اسم هذه المجلة الغربية في موضوعها ثم ذكر صاحبها « كمال الدين العراقي » يان تلك العلوم

في ابيات من الشعر وهي العلوم المتداولة في الازهر . جاءنا الجزء الاول منها مذ اربعة أشهر ولعل صاحبها لم يصدر سواء وخير له ان يفعل اذا لم يكن فعل

البيان

لاتزال هذه المجلة العربية الوحيدة في البلاد الهندية تصدر حافلة بالفوائد والبحث النافع بهمة صاحبها الشيخ عبدالله العمادي والسيد سليمان وهي الآن في سنتها الثامنة وقيمة اشتراكها ١٢ شلنا وعنوانها (Lakno- India) فترجو ان يكون الاقبال عليها عظيما

الحضارة

« جريدة عربية يومية سياسية فنية أدبية » اصدرها في الآستانة صديقنا السيد عبد الحميد افندي الزهراوي مبعوث حماد المعروف عند قراء المنار بمقالاته الفلسفية ومباحثه الاجتماعية ، وشاكر افندي الحنبلي قائم القنطرة قبلا . وان جريدة يتولى تحريرها السيد الزهراوي صاحب القلب الجريء في الذود عن الحق ، والقلم الصريح في تبين واجبات الحاكم وحقوق المحكومين لهم لجديرة بأن يقتنيها كل من يهتم شأن الدولة وحال الأمة

وقد كتب لها مدير سياستها السيد الزهراوي مقدمة فلسفية بليغة سهلة الملم فيها بحاجات البلاد وما يجب للتقريب بين العناصر والسعي لجعلها غير كثيرة التفاوت في الارتقاء وقال في خاتمتها مينا منهاج الجريدة :

« اننا ندعو الى اقامة ميزان العدل في هذه الحكومة ، وتقاوم مانراه حيفا أو نصرا للحيث بقدر ماتساعدنا عليه القوانين ، وندعو الى بث روح التعارف والتعاطف بين الشعوب العثمانية ، ورتادهم من الاخبار والافكار كل ما هو نافع في اعتقادنا ، وتقاوم روح كل شقاق وتفرقة من أي جهة هب ، وفي أي بلاد دب ، وندعو الى كل ما يقوي هذه الدولة ومن ذلك تقوية عواطف الشعوب المسلمة نحوها معتقدين أن تقوية هذه العواطف تنفع العثماني اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا كيف كانت نحلته مسلما كان أو غير مسلم »

وقيمة اشتراكها ستون قرشا في البلاد العثمانية وعشرون فرنكا في الخارج

وعنوانها (الاستانة : ادارة جريدة الحضارة في جادة نور عثمانية عدد ٣٧) فنحت
قراء النار على الاشتراك فيها

مرشد الامة

« جريدة علمية سياسية قضائية تجارية تصدر يوم الجمعة من كل اسبوع - مدير
الجريدة ومحررها المسئول سليمان الجارودي » وهي تصدر في مدينة تونس . جاءتنا
اعداد من هذه الجريدة فاستحسننا مسلكها ، وحمدنا منهاجها ، وسررنا بغيرتها ، وقيمة
اشترا كما ١٢ فرنكا في الخارج فعسى ان يكون الاقبال عليها عظيما

الانتقاد

« جريدة عربية تركية سياسية هزلية فكاهية » صدرت في الاستانة لصاحب
امتيازها ومحررها « عبد الرزاق » ، ومديرها ومحررها العربي « محمود بك زكي »
وقيمة اشترا كما ٢٥ فرنكا في الخارج

الاخاء

نشرة صغيرة يصدرها جبران افندي مسوح في كل اسبوع مرة بحماه ، ويظهر
أن صاحب الجريدة عازم على جعل جريدته مسرحا لخطراته ، وميدانا لقيد شوارد
افكاره ، وقيمة اشترا كما ريال ونصف

الوطن

قرطنا في (ص ٩٥٣ م ١٢) من النار جريدة الاصلاح التي تصدر في سنغافوره
وابدينا سرورنا بها والآن يسوئنا جدا ان نذكر خبر صدور هذه الجريدة (الوطن)
المكتوبة باقلام المراء والجدل ، والمملوءة بالتعريض الذي لا يلائم مع الدين والادب ،
فتنصح لكتاب هذه الجريدة ان لا يسترسوا لهوى النفس ، وان لا يبنذوا حكم
العقل ، والسلام على أهل الانصاف والسلام

حسين وصفي رضا

البدع والخرافات وَالْبَقَالِيدُ وَالْعَتَاكِلُ

عند الشيعة

﴿ رسالة من البحرين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذنا ووالدنا حضرة فيلسوف الاسلام جعلني الله فداك ، ورزقني برك وقلاك
بينما اطوف في البلاد وانظر ماحل بالمسلمين من عالم سوء يضلهم بالبدع والخرافات ،
أو متفرنج يقول انبذوا الدين فليس الا ترهات ، اسائل عن منار الاسلام كل غاد
ورائح ، كأنني أم الحوار على فصيلتها تحن ، أو الهباء على ندى الماء تنن ، فلم أجده أثرا في
مشرق خليج فارس وجزأره حتى عرجت على مغربه ونزلت البحرين فوجدت ضالتي
فو الذي فلق الحبة اني لأشد فرحابه من الغواص حين يجد الدر ، تشرفت بقراءة
الجزء الاول فاتحة السنة الحادية عشرة حتى وقفت على كلمة عن العراق وأهل لعالم
غيبور (ص ٤٥)

ولما كنت جيت العراق وعرفت أهل سنيهم وشيعيهم ، حاضرهم وباديهم ، أحيت اني
أطلع والذي على شي . عرفته منهم حتى يعلم الوالد جعلني الله فداه انما عدده الكاتب بلاه
نازلا من مذهب الشيعة ووعاظهم هو كما ذكر الكاتب حفظه الله بلاه نازل وصاعقة
محرقة ليس على مذهب السنة فقط بل على مذهب الشيعة نفسه ، وانا اذ كر ما يبثه
الوعاظ في أهل القرى والا كواخ وما يعلونهم من تقرير علمائهم حالا وتأليفاتهم

حتى يعلم فيلسوف الاسلام ان الوعاظ لا يعلمونهم الفرائض وأحكام الحلال والحرام أو مسألة الخلافة التي هي عند أهل السنة من فروع الدين وعند الشيعة من أصوله ثم اذ كر اعتقادات الشيعة في القرن الرابع نقلا من كتبهم المؤلفة في ذلك العصر لعل أحد قراء المنار من علماء الشيعة يقف على هذا الفصل فيقننه ويسعى في اصلاح ملته وان كان من المظنون انه لا يوجد في إيران والعراق من علماء الشيعة من له الملم بالاصلاح الديني

سبب اجتماع علماء المعجم في النجف وكربلاء

كان محل ومأوى علماء الشيعة في أواخر سلطنة بني العباس الحلة في العراق وفيها يتخرج مجتهدوهم ثم ينتشرون في بلاد المعجم إما للدعوة أو للتماس دولة تأويهم وتنصرهم ، لالرفع التقييد عنهم فقط بل لحصد أهل السنة ، يدلك على ذلك حين قدم هلاكوخان الى قومسين قاصدا بغداد وفد عليه يوسف الحلي والد ابن المطهر الشهير عندهم بالعلامة . وكربلاء اذ ذاك قرية صغيرة والنجف لا يبلغ سكتته عدد الاصابع وانما هو عبارة عن رباط يسكنه الزوار أو يلجأ اليه الدراويش والزهاد كما فعل الطوسي ، والغالب في بلاد ايران ذلك الوقت مذهب أهل السنة الا مدينة قم وكاشان وبعض بلاد طبرستان فانها كانت تسكنها الشيعة

ظهرت دولة الصفوية في القرن التاسع وابدت السفين من إيران الا بقايا منهم بعيدين عن مقر السلطنة مثل كوهستان جيلان المسماة بطالش وفيها من السفين حالا زهاء ١٥ ألف نسمة ، وبرفارس وبنادره مثل لنجه وبندر عباس فيها من السفين ٥٠ ألف نسمة وآيالة كردستان الايرانية اجمع ومقر حكومتها (سفيدج) وأهلها كلهم سفينون وكذا بلوستان الايرانية أهلها كلهم سفينون ، وبادية جرجان من التركان كلهم سفينون . فكان علماء الشيعة من سائر الاقطار ينتقلون الى مقر السلطنة اصفهان وفيها يتخرج مجتهدوهم كما فعل بهاء الدين العاملي والكركي واضرابهم وقد تلقاهم الصفوية بالاحتراف والترحيب فشيدها لهم المدارس العظيمة والمساجد الفخمة وآثارهم

باقية الى الآن مع ان اكثرها قد خربه ظل السلطان نجل ناصر الدين شاه حين كان واليا على اصفهان، حدثني بعض علمائهم انه كان يوجد في اصفهان في ذلك العصر اربع مئة مدرسة

امل القاريء اذا رأى قولي مقر السلطنة اصفهان يظن اني جاهل بتاريخ الصفوية لما يعلم من أن أوائل دولة الصفوية كان مقر سلطنتهم قزوین فانهم حين اقامتهم في قزوین كانوا لا هم لهم الا الفتح او بناء التكايا ليتخرج فيها الدراويش ويقونهم في البلاد لدخ علي واولاده، وسب . . .

ضعفت الدولة الصفوية فاستولى عليها العلماء بحيث لم يكن يقدر احد منهم ان يتصرف في شي بدون اجازة العلماء قلاً وثوق عامة الايرانيين بعلمائهم لما عهدوا من العلماء الأول من التقشف والزهد ورأوا من هولاء الترف والبذخ واستندار الدراهم والدنانير بأي وجه كان، فمن ذلك الحين شرع طلابهم بالمهاجرة الى كربلاء لا للحصول ثم الرجوع كما يفعل علماءهم حالا بل للحصول الدرس والمجاورة هناك ومن رؤسائهم الاردبيلي

قدم الافغان وفعولوا مافعلوا، ثم ظهر نادر شاه ونفى العلماء والطلاب وتصرف في الاوقاف اجمع فهاجروا الى كربلاء فصار يجمع كبير له شهرة عند أهل إيران في ذلك الوقت ورئيسهم الآغا البهبهاني الشير في أوائل سلطة القاجار ثم انتقل الى النجف ثم الى سرمن رأى (سامرا) في أوائل هذا القرن ثم عاد الى النجف فكان هولاء يكتبون لهم الرسائل التقليدية ويعثون تلاميذهم بها الى ايران لرواجها والشيعة يعثون الى علمائهم ومقلداتهم الدراهم بقصد الخمس والزكاة وشيء يسمونه رد المظالم وما هو رد المظالم؟ اذا ذهب حاكم مثلاً الى ولاية ومضى دم أهلها ثم عزل واراد ان يذهب لزيارة احد انتمهم اوالى مكة اعطى للمجتهد جزءاً من ألف جز، وطهره ماله!! وقد شاهدت علماء الدولة في كرمان شاه بقومسين اهدى لابن الحاج ميرزا حسين خليل ما يبلغ ألف ريال مجيدي فأحل له ما يملك وهو يملك اربعة ملايين من الفرنكات وأمثال ذلك كثير

فأذا وصلت هذه الدنانير الى المجتهد فلا بد من تفريق بعضها على طلبته والمتخرجين عليه حتى اذا ذهبوا الى ايران روجوا رسالته

قد قلت ان عامة اهل ايران قل وثوقهم بعلماء ايران اجمع فأنحصر تقليدنا في علماء العراق وكانت الرسائل تخرج اليهم منه فكان علماء العجم بعد تحصيلهم العلوم العقلية يذهبون اليه أفواجا اما للمجاورة او لطلب الرزق او للاقامة مدة ثم الرجوع الى ايران بالاجازة * وهو يتعهد بترويج رسالة الشيخ وايصال الحقوق اليه ، والشيخ يتعهد بالكتابة الى الشاه والحكام في التوصية به ، وهو لاء الذين يخرجون في العراق واختاروا الرجوع الى ايران لاهم لهم الامعارضة الدولة وأخذ الرشي من الحكام والولاء او تكفيرهم وشكواهم على مجتهد العراق ولما لم يكن للناس اعتقاد فيهم لما يرونه من أفعالهم فهم لا يبالون بجمع الدنيا من أي وجه أتت ، وهذا الشيخ بقي الاصفهاني هو واخوته وبجالة تبلغ غلهم في كل يوم عشرة آلاف فرنك او ما يقرب منه وطفام أهل ايران اذا ذهبوا الى العراق لزيارة مشهدي علي والحسين وأولادهم ، ورأوا من علماء هذه البلاد الانزواء وعدم التردد الا لصلاة الجماعة والزيارة والدرس واذا خرجوا من بيوتهم مثلمين جاعلا واحدهم عبادة على رأسه وسبحته في يده وقد شاهدوا من علماء ايران ركوب العربات واتخاذ الحداث والجئات وكثرة الزوج حتى أن أحدهم ليبلغ زواجه حد المئة من النساء - ازدادوا محبة لهم ورجبوا في حمل الدراهم اليهم وحسبوا أفعالهم من الزهد والتدين ولم يعلموا المساكين ان هؤلاء مثل أولئك الا أن عادات وأخلاق أهل البلاد تختلف ولو انتقل علماء العراق الى ايران لفعلوا كما شاهدنا

وقد شاهدت علماء العراق يعيشون خدام قبر علي وأولاده الى خان قين لاستقبال الزوار من العجم والترك والالقاء اليهم بان فلانا هو الاعلم الاتقي ، وبالجملة فاظن الكاتب حفظه الله لم يخاطب الشيعة في العراق ولم يعاشرهم فظن أن هذا المجمع العلمي يرسل منه رسلاً للدعوة ، أو رأى ان أكثر قري العراق شيعة فظن أنه من فضل

* كأنه انفرس في اذهان دهماء ايران انه لا يمكن الاجتهاد الا بعد شرب ماء الفرات

علمائهم وانهم يرسلون الدعاة حالا ولو قال من سنين خلت لا يمكن تسليمه مع أن التاريخ يأنى ذلك فانه قبل ارغام الرعية عبد الحميد على المساواة لم يتمكن الشيعة من بناء المساجد والنداء فيها بولاية علي، يعلم ذلك كل عراقي دع ارسال دعاة منهم الى البادية، وأظن أن الفضل في ذلك عائد الى الصفوية ومن في زمنهم من العلماء كالاردبيلي، وهجمات دولة الصفوية على العراق وقتلهم علماء أهل السنة والزام العامة بالتشيع أو القتل معروف مشهور، لذلك فانك لا تجد من أهل بادية العراق أعني بادية غربي الفرات من فيه رائحة التشيع اللهم الا قليلا من العرب لا يبلغ عدد فرسانهم المئتين يدعون بالخرأعل واناسا من الشطين يدعون بشمر الجرباء، واريده قولي بادية أهل العراق أهل الخلف والخافر الذين لهم قدرة على النجعة ولهذا سلخوا من ضغط الصفوية والزامهم لهم بالتشيع

تأتي منحدرًا من الشام على ضفاف الفرات قاصدا العراق قري عرب عنزة كالجراد المنشر الى اواسط العراق ثم ترى شمر على اخاذهم عبده فسنجاره حتى تنتهي الى نصف الفرات الآخر قري عرب المتفك وعرب الظفر الى قرب البصرة، ثم تنحدر قري مطير الدوشان فعرب دار، ثم تنحدر من الكويت قري العجمان المناصير آل مرة نبي هاجر وعربا لا يحصيهم الا خالقهم. فهذه القبائل من العرب الذين عدتهم معاملتهم مع أهل النجف وكر بلاء فز بلاء سوق الشيوخ والسمائة الخنسية بفقداد منحدرًا الى البصرة ثم الزبر والكويت فالحساء والقطيف وقطر وليس يوجد فيهم شيعة ولا قدرة له على اظهار مذهبه عندهم مع ان اكثر بيعهم وشراهم مع الشيعة واكثر أهل البلاد التي يقتاتون منها شيعة ولا سيما العراق

وقد قلت الوعاظ ولم أقل الدعاة لأن هؤلاء لا يذهبون للدعوة وليسوا اهلا لذلك لانهم لا يعرفون معنى دينهم فضلا عن ان يدعوا اليه ولم يذهبوا الى بادية السنة ابدا اللهم الا للبيع والشراء كما ذكرت، وعند ذكر الوعاظ لا بأس بالاشارة الى شيء من ذكر عزاء الحسين عند الشيعة

مستند الشيعة على استحباب اقامة عزاء الحسين خبر يروونه عن دعبل الشاعر انه وفد على علي بن موسى فصادف وفوده ايام المحرم فقال له علي اقل

علينا من مراثيك جلدنا واحضر نساء وراء الستر... ولا يوجد في كتب الشيعة المروية عن أئمتهم ما يدل على اقامة العزاء المعروف عندهم وفي كتب متأخريهم بل لم يذكروا عن علماءهم الاقدمين شيئا من ذلك حتى في زمن آل بويه زمن حريتهم ولا يوجد لهم تأليف في ذلك سوى مصادر عربية موضوعة يعلم من تصفحها ذلك، وأول من الف في ذلك ملاحسين الكاشفي الف كتابا سماه روضة المحبين بالفارسية والعربية في القرن التاسع فكان ملا العجمي يقرأ منه فصلا فيكي الحاضرون ولا يعرف انهم يقرؤنه بعد الصلاة أو في سائر السنة مثل الشيعة حالا اللهم الا في سابع الحرم الى العاشر والعجم يسمون قراء عزاء الحسين «روضه خان» ومعناه قارئ الروضة وشيعة العراق يدعونه قارئنا نسبة الى الكتاب المعروف

ويظهر ان عزاء الحسين المعروف حالا عند الشيعة لم يكن يعرف قبل الصفوية اللهم الا جلسات خفيفة، فدولة لصفوية رتبت الجلوس في العشر المحرم كلها كما حدثت دولة آل بويه قبلهم والديلمة الجلوس في اليوم العاشر، والشيعة حالا زادوا في الطنبور نفمة المحرم صفر جمادى الاولى رمضان لا يبعد ان يقال ثلث السنة اسواقهم مغلقة، ويوتهم بالشمع محرقة، لا بسين السواد واظنه حدث في أواخر ايام دولة الصفوية على زمن عالمهم المجلسي

ذكرت قبلاً ان اهل الخلف والحافر من بادية العراق لا يوجد فيهم راحة التشيع، نعم إن الشاوية والبقارة أهل بيوت القصب والا كواخ الذين لا قدرة لهم على النجعة كلهم شيعيون الا القليل. يذهب الى هؤلاء القارئ او الواعظ او الروضة خان لطلب الرزق لا للدعوة كما يظن الكاتب ثم يجمعهم وينصب منبرا أو يعلو فوقه وذلك في ايام المحرم وصفر ويعلمهم معالم دينهم الحالي وهو ذكر فضل أهل البيت عليهم السلام وأن الدنيا خلقت لاجلهم وان كربلاء افضل من مكة وأن زيارة الحسين افضل من الحج وان القرآن الذي في ايدينا ليس بالقرآن الذي انزل على محمد وانما امرنا بقراءة هذا تعبدنا والا فقرأتنا عند صاحب الزمان اذا ظهر يخرج به ويحرق هذا!!! ثم يعلمونهم هذا الرجز المشهور عند الشيعة بـ (ناد علي)

نادِ عليا مظهر الصائب تجده عوناً لك في الرغائب

ويذكرون لهم في فضل هذه الاستفائة احاديث عن أهل البيت حاشاهم عن ذلك، وانها تدفع الهم والغم وتجلب الرزق، ووعاظ المعجم يقولون على المنابر «ناد علي بدرغاز (١) ثم يعلمونهم قذف الصحابة والبراءة منهم وانهم ارتدوا إلا أربعة وانهم ضربوا فاطمة حتى اسقطت حملا يدعى بمحسن وان موتاهم ضرب الصحابة برأهم الله ممن قالوا وأن ام كلثوم التي تزوجها الخليفة عمر ليست بنت علي وانما هي بنت من الجن وشي يتعب القراء ويضحك العجائز !! ثم يرجعون على قتل الحسين وانهم ذهبوا بنسائه حاسرات وان من بكى على الحسين لا تصيبه النار ابدا ولو فعل ما فعل وان من دفن عند الحسين يحشر معه ولهذا ترى هؤلاء المساكين ينقلون موتاهم من مسيرة ايام منتنة والمعجم ينقلون موتاهم من مسيرة ٤٠٠ فرسخ ويذكرون لهم في ذلك كله اخبارا اغلبها منقول من كتاب قيس ابن سليم الهلالي (٢)

وأما الصلاة وأحكام الدين فلا أثر لها عندهؤلاء المساكين اصلا، نعم الشرك بالله والغلو في أهل البيت فانك لو حلفت لاحدهم بالله الف مرة لم يرض واذا حلفت بالعباس بن علي ارتعدت فرائضه بعد الرضى والتسليم ! ولعل القارى يحتملني في كلامي على المغالاة فان شاء فليذهب أو ليسأل عما يفعل عند قبر الحسين في يوم عرفة فانه لا يسمع الا: ارزقي احملني اغني !! أو ليطلب كتاب تحفة الزائر أو زاد المعاد (٣)

وهما تأليف عالمهم الشهير بالمجاسي فانه يرى المعجب العجيب

أما أهل الخلف والخافر ففهم من الاخلاق الحسنة ما يطرب العرب والعربية مثل الاخلاص لله بالتوحيد وصدق الالهجة والامانة والعفاف وكرم النفس والاخلاق الحسنة، أما الصلاة والصوم فلا يجبرون عليهما احدا كما يفعل في بادية نجد ولكنهم اذا نزلوا خطوا مسجدا عند بيت الشيخ، والشيخ لا بد ان يكون عنده كاتب له من

(١) بدرغاز : ابو الصلاة كما تقول العرب لاصل الشيء أمه فالعجم تنسبه الى الاب
(٢) كتاب قيس يزعمون انه الف في القرن الاول وان قيسا صاحب الكتاب صحب خمسة أو ستة من أئمتهم، والمتقدمون من علماء الشيعة يقولون انه موضوع للأصل له، والمتأخرون منهم يقولون بصحته، ومن أراد ذلك فليشتر الى كتب رجالهم مثل كتب ميرزا محمد وغيره المطبوعة في طهران وتبريز

(٣) كلا الكتابين طبعا في طهران وتبريز واصفهان وبغداد

اهل الحاضرة يقرء اولاده القرآن ويعلمهم الكتابة ويقيم صلاة الجماعة ويجري عقود الزواج ، واهل البادية يسمونه الخطيب ويسمونه في بادية اهل نجد مطوَّع او بالفتح واظن الفضل في ذلك كله عليهم لاهل جزيرة العرب

اعتقاد الفرقة الامامية في القرن الرابع نقلًا من كتب علماء ذلك العصر *

قال الشيخ محمد بن بابويه القمي الشهير عندهم بالصدوق صاحب كتاب (من لا يحضره الفقيه) في رسالته المطبوعة في طهران «باب الاعتقاد في القرآن: إنه كلام الله ووحيه وتنزيله وقوله وكتابه وإنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم علیم ، وانه القصص الحق وما هو بالهزل ، وان الله تبارك وتعالى محدثه ومنزله ورده وحافظه والمتكلم به » باب الاعتقاد في مبلغ القرآن: اعتقادنا ان القرآن الذي انزل على محمد (ص) هو ما بين الدفتين وهو بأيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ومبلغ سورة عند الناس مئة وأربعة عشر سورة ، وعندنا الضحى والم نشرح سورة واحدة ، والم تر ولا يلاف سورة واحدة ، ومن نسب اليانا نقول أكثر من ذلك فهو كاذب - الى ان قال : باب الاعتقاد في نفي الغلو والتفويض - اعتقادنا في الغلاة والمفوضة انهم كفار بالله جل اسمه وانهم شر من اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والحرورية ومن جميع اهل البدع والاهواء المضلة وانه ما صغر الله جل جلاله تصغيرهم بشيء كما قال تعالى (ما كن لبشر ان يوئيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا من دون الله اياهم كم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) - الى ان قال :

وكان الرضا يقول في دعائه : اللهم اني أبرأ اليك من الحول والقوة ولا حول ولا قوة الا بك ، اللهم اني أبرأ اليك من الذين قالوا فينا ما لم نعلمه في انفسنا ، اللهم لك الخلق ومنك الامر وإياك نعبد وإياك نستعين ، اللهم لا تليق الربوبية الا بك ولا تصلح الآلهية الا لك فالعن النصارى الذين صغروا عظمتك والعن المضاهين لقولهم من

بريتك ، اللهم انا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لانفسنا نفعا ولا موتا ولا حياتا ولا نشورا ، اللهم من زعم ان لنا الخلق وعلينا الرزق فنحن اليك منه برآء ، رب لا تذر على الارض منهم ديارا ، انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ، يقول الكاتب فياليت علي بن موسى الرضا صاحب هذا الكلام يخرج ويرى مايفعل عند قبره في طوس من الوثنية التي بعث جده (ص) لزالتها ، والعجب من علمائهم كيف انه لا يوجد كتاب من فقههم الا وفيه : لا يجوز البناء على القبور والسرير عليها ونجديدها وبناء المساجد عليها . ثم لا ترى منهم منكر ذلك بل يمدونه من افضل القربات استدلالا بما قال الشيخ محمد حسن النجفي صاحب كتاب الجواهر المتوفى في أواسط القرن الثالث عشر على عدم جواز البناء على القبور عند ذكر صاحب المتن انه لا يجوز

وقال أمير المؤمنين لبعض أصحابه الا أبعتك على ما بعثني رسول الله (ص) في هدم القبور وكسر الصور ، وقال ايضا كل ما جعل على القبر من غير تراب القبر فهو ثقل على الميت ، وقال الكاظم لا يصلح البناء على القبر . انتهى بعض ما استدل به صاحب الكتاب وفي كتاب محمد بن يعقوب الكليني عن سماعة قال سألت الصادق عن زيارة القبور وبناء المساجد عليها فقال اما زيارة القبور فلا بأس ولا ينيي عليها مساجد قال النبي (ص) «لا تتخذوا قبوري قبلة ولا مسجدا فان الله لعن اليهود حيث اتخذوا قبور انبيائهم مساجد» واستدل صاحب الجواهر على انه لا يجوز حمل الجنائز بقوله وفي دعائم الاسلام عن علي انه رفع اليه ان رجلا مات بالرساق فحمل الى الكوفة فانهمكهم عقوة وقال ادفنوا الاجسام في مصارعها ، وفي السرائر انه بدعة في شريعة الاسلام ، والعجب من فقهائهم المتأخرين فانهم حين يذكرون في كتبهم عدم جواز البناء على القبور وايقاد السرج عليها يقولون وينبغي ان يستثنى من ذلك الأئمة لان قبورهم من البيوت التي اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه !! هذا هو دليلهم على عبادة القبور وجعلها اوثانا تعبد من دون الله

وأخبار أهل البيت المروية في كتبهم يضر بون بها عرض الحافظ !!!

(المنار) يعلم القراء ان من مقاصدنا التأليف بين المسلمين المتفرقين في المذاهب والآراء بعضهم مع بعض وكذا بينهم وبين غيرهم من أهل الملل الذين يعيشون معهم، وقد بينا هذا المقصد في فاتحة العدد الأول من السنة الأولى واستقمنا على ذلك الى هذا اليوم وسنستقيم عليه فيما بقي من عمرنا ان شاء الله تعالى . ومن رأينا في هذا التأليف أن يتفق المتعاونون عليه والساعون اليه على أن ينتقد كل منهم أهل الدين أو المذهب الذي ينتسب اليه فيما ينافي هذا التأليف دون المخالفين له إلا ان يضطر الى انتقاد المخالف اضطرارا فحينئذ ينتقد مع التلطف ، واثقا ما يثير روا كدالتعصب وقد صرحنا بهذا الرأي عند الكلام فيما شجر بين أهل يروت من الخصام والصدام منذ بضع سنين

ومن سيرتنا العملية في ذلك أننا أكثرنا من انتقاد البدع والخرافات التي فشت بين المنتسبين الى السنة والمذاهب التي تعزى اليها ولا سيما بدع الموالد والقبور لأننا من أهل السنة وإن كنا لا نتعصب لمذهب من مذاهب أهلها بل ندعو الى الاجتماع على ما اتفقوا مع سائر المسلمين الذين يعتد بأسلامهم عليه، ونحكم فيما اختلفوا فيه كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عملا بقوله عز وجل فإن تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ، ولم انتقد بدع الشيعة التي يأتونها في يوم عاشوراء أو غيره من الايام بل كنت اجيب دعوة جمعيتهم بمصر كل سنة الى المآثم الذي يقيمونه في تكينهم بالحزاي لانجل التأليف ، وأعد هذا من إزاله الضرر الاشد وهو التفرق والنزاع بالضرر الاخف وهو حضور مجتمع ترى فيه البدع كالذين يأتون مضرجين بالدماء مما يضربون رؤوسهم بالسيف . . .

ولما نشرت منذ سنتين رسالة ذلك العالم الغيور عن العراق لما فيها من التنديد بسوء ادارة الحكومة الحميدية التي كنا نحاربها قفيت على الرسالة بما يزيل ما فيها من سوء التأثير الذي يخشى ان يزيد في الخلاف فقلت ان نشر دعاة الشيعة مذهبهم بين أعراب العراق ينفع من الجهة الدينية اذا كانوا يعلمونهم الفرائض وأحكام الحلال والحرام وحصرت ضرره الذي خشيه الكتاب في الجهة السياسية، لما ذكرت

آقا من بيان مفاسد الحكومة الحميدية ، ولو كتب الينا أي كاتب من الشيعة انتقادا على تلك الرسالة لنشرناه في المنار كما هي عادتنا في نشر الانتقاد علينا بله الانتقاد على ما نشره لغيرنا ، ولكن بعض غلاة متعصبي الشيعة في الديار الشامية ألف رسالة في الرد على المنار لنشره تلك الرسالة وجعل معظم كلامه فيها البحث في مسألة المتعة التي لم يسبق لنا قول في المنار بحرمتها بل سبق لنا قول يشبه ان يكون ترجيحاً لقول الشيعة فيها أودعناه (محاورات المصلح والمقلد) وأنكره علينا الناس وهو الذي أشرنا اليه في تفسير قوله تعالى « فما استمتعتم به منهن » الآية ومع هذا قام الشيخ المتعصب يشتم علينا بأننا انكرنا حل المتعة وخالفنا بذلك الكتاب والسنة والاجماع !! وطلق بحرف الآية ويفسرها بالهوى والرأي ويتحكم في الاحاديث لا يثبت ذلك بالسفسطة كما هي عادة المقلدين المتعصبين . وقد كذب صاحب الرسالة العراقية فيما كتبه في مسألة نشر مذهب الشيعة بين الاعراب المنسبين الى السنة ، وما يؤيد ذلك مما كنا نشرناه في المجلد الثاني نقلاً عن بعض المختبرين ونصرح باسمه الآن فنقول هو سليمان افندي البستاني مبعوث بيروت الذي أقام في العراق عدة سنين وهو لا يتعصب لاهل السنة على الشيعة ولا للشيعة على اهل السنة لانه نصراني لا يفرق بين احدهم اطلعنا بعض الاصدقاء على رسالة الشيعي المتعصب فقرأنا منها جملاً متفرقة أحزنتنا لان وجود مثل مؤلفها بين المسلمين من أصعب العقبات في طريقنا الذي نسير فيه للتأليف بينهم . وتذكرنا رسالة وردت علينا من البحرين في الشيعة ونشر مذهبهم أرسلها سائح آخر مختبر عند ما قرأ رسالة ذلك العالم الغيور المختصرة فلم ننشرها بل لم نقرأها لاثنا خشينا ان تكون مخالفة لمشر بنا ثم رأينا الآن ان تنشر لبين الأمر على حقيقته في هذه المسألة مع الوعد بنشر ما يمكن ان يرد من الرد عليها من الادباء المنصفين ، ومهما يكن من الأمر فانا نطلب الاتحاد ونسعي اليه والله الموفق

نبأ الخبيرة

رحلة القسطنطينية

٣

حال الآستانة العمرانية والاجتماعية

موقع هذه المدينة مشهور في جماله ومحاسنه الطبيعية ولو كانت هذه الدولة التي استولت عليها من عدة قرون دولة عمران ومدنية لجلعتها زينة الارض ومثابة الام ، ولكن لأهلها من السائحين مورد من أغزر موارد الثروة ، ولكنك لا تجد فيها أثرا من آثار العمران القديم للسلطين السابقين الذين دوؤخو الدول الا المساجد ، ولا شيئا يقتد به من آثار العمران الحديث الا المعسكرات من الشكنات والمدارس ، فصفوية عاصمة البلغار وأثينا عاصمة اليونان والقاهرة عاصمة مصر ، كل اولئك أرقى من عاصمة الدولة عمرانا ، فالآستانة موقع جميل ، ومعسكر كبير ، لا تغيب الجنود عن عينيك فيها دقيقة من الزمان ، فعسى الله ان يسخر لها الرجال الذين يعمرونها بعمران المملكة ، لا بالاستقراض من الاجانب بالر با الذي يجعلها تحت سيطرتهم ، وعرضة عند الحوادث لمداخلتهم ،

أما العمران المصنوي وهو العلم والادب فلها حظ منه تفضل به مصر وسورية وهو ان التعليم فيها أعم وأشمل ، وتربية النساء اسمى وأنبل ، ذلك بان أموال المملكة كانت تنجي البها حتى لا يبقى في كل ولاية الا الضروري الذي لا يمكن الاستغناء عنه مع إباحة الرشوة والسلب والنهب فكثرت فيها المدارس للذكور والإناث ، على أن

الآداب الاسلامية الموروثة لاتزال أقوى في بيوت هذه المدينة منها في بيوت مصر فلا ترى امرأة في نافذة ولا على سطح الا أن تكون مستورة البدن والرأس كاتكون في السوق ، ولا تسمع من البيوت ولا في الاسواق والشوارع صغبا ولا هجرا من القول كما تسمع في أسواق القاهرة وشوارعها ، ولا يتبرج فيها النساء كما يتبرجن بمصر الا في بعض المواسم كآصال أيام رمضان في جهة الشاهزاده ، والا في بعض الضواحي حيث يسرحن ويمرحن متنزهات مظهرات لزيقتهن ، على أن الكثيرات منهن يسفرن عن وجوههن في الاسواق والشوارع ولكنهن مع ذلك يفضضن من أبصارهن كما أمر الله تعالى . واذا خرجن في الليل من دار الى دار يخرجن بالجبّة او العباءة العربية المعروفة وبالقناع الأبيض وذلك يكون زيهن الغالب في المتنزهات . فجملة القول ان آدابهن حسنة في خروجهن الى حاجهن في الاسواق والشوارع وبيوتهن نظيفة مرتبة ولا ولادهن حظ عظيم من النظافة والآداب . ويقول المختبرون من أهل البلد ومن الغرباء المقيمين فيه ان آداب غير المتعلمات أو المتعلمات على الطريقة القديمة منهن أعلى أخلاقا وأقوى عفة وابتعد عن الريبة من المتعلمات على الطريقة الحديثة الافرنجية وهن أشد عناية بالنظافة أيضا فالتفرنج في البيوت هو الخطر الا كبر الذي ينذر البيوت الاسلامية بالفساد ، في هذا البلد وغيره من البلاد ، ويقال ان احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثين يريد أن يربي بنات المسلمين في المدوسة التي يسعى في انشائها مع بنات الافرنج والروم والأرمن تربية ليس لها من صبغة الدين شي !! فاذا تم هذا المقصد فبشر بيوت هذا البلد بالخراب المعنوي والفساد الذي لا يفوقه فساد ان علم النساء المسلمات في الآستانة دون علم الأوربيات ولكن تربيتهن الدينية والادبية أعلى من تربية الأوربيات كما شهد بذلك غير واحدة من هؤلاء بعد الاختبار التام ومنهن من صرحت بأن التفرنج آفة مفسدة للنساء الترك . نعم انه يمكن ان تترقى معارفهن وآدابهن ولكن يجب أن يكون الدين هو أساس التربية وان تكون العناية به فوق العناية بالعلم وليس في أوربا شعب يربي البنات على الاحاد أو ترك الدين ، وان اثبت الشعوب الاوربية مدنية هو أشدها عناية بتربية النساء والاطفال تربية دينية

ان بين استانبول وقسم غلطة وبك أوغلي تباينا عظيما في العادات ونظام المعيشة وحالة العمران على ان المسافة بينهما تقطع بدقيقتين اذ الفاصل بينهما هو الخليج المشهور وعليه جسران للمشاة والركبان ومنهم من يقطعه بالزوارق : تشبه استانبول في عاداتها بلاد المشرق الاسلامية القديمة كطرابلس الشام فأزياء النساء فيها كأزياء النساء في مدن سورية الا ما امتزج به وقد ذكرناه آنفا وأزياء الرجال فيها كأزياء الرجال في مدن سورية: الطربوش والعمامة البيضاء والعمامة المطرزة والعمامة الخضراء والمناديل الملونة - كل ذلك من أزياء الروثوس وكله كثير وأما سكان قسم غلطة فتكثر فيه مزاحمة الكم والقلائس للطرايش المجردة ويقل فيه غير ذلك

يتعشى أهل استانبول بعيد المغرب كأهل سورية وتقفل أكثر المطاعم بعد العشاء بقليل على حين يتنديء أهل القسم الآخر بالطعام وتظل مطاعمهم مفتوحة الى قرب منتصف الليل ويسهرون كثيرا ولا يسهر اولئك الا قليلا . ويكثر الفسق العائلي والسري في قسم غلطة والفسق العائلي ممنوع في استانبول

وآداب الرجال العمومية حسنة كآداب النساء فلا تكاد تنكر على رفيع ولا وضعف قولا نخشنا ولا كبرا وترفعا ولكنك كثيرا ماتنكر عليهم إخلاف الوعد وما في معنى الاخلاف حتى يقل ان يثق المختبر بقول يسمعه وسبب ذلك تأثير الاستبداد الشديد ، وما كان من الضغط والمراقبة على عهد عبد الحميد ، فذلك هو السبب الطبيعي لفشو الكذب والاخلاف والتقلب في كل الأمم ، ولهذا العلة كثر الكذب والاخلاف والتقلب وعدم الثبات في جميع البلاد العثمانية كما كثر ذلك من قبل في مصر ولا سيما على عهد اسماعيل باشا

كنت كتبت في المنار وقلت في بعض الخطب التي أقيمتها في العام الماضي بالبلاد السورية ان أرق البلاد العثمانية الآستانة وما يقرب منها من ولايات الرومالي وأوسطها سورية وادناها العراق والحجاز واليمن . وقد تبين لي أن هذا القول خطأ فالآستانة لا تفوق سورية الا بكثرة عدد المتعلمين من الرجال والنساء وبالأداب الاجتماعية كما تقدم فهي ليست أرق في العمران الحديث من بيروت ولا في العمران القديم من دمشق . وليس النابغون من أهلها كالتابعين من سورية في العلوم الاسلامية

ولا في الفنون والعلوم الاوربية ولا في الادبيات ولا في التجارة والزراعة . ولا أهل الادارة والقضاء منهم أرقى ممن تسنى لهم ان يشتغلوا بهما من السوريين بمصر ، وكذا في بلاد الدولة على قلتهم وليس الضباط المتعلمون في المدرسة الحربية من أهل الآستانة بأرقى في الفنون الحربية من الضباط السوريين ولا العراقيين الا أنهم أكثر . وأما ولايات الروملي وكذا الاناطول فهي دون الولايات السورية في الجملة وأما النسبة بين الآستانة ومصر فهي أن عامة أهل الآستانة أرقى من عامة أهل القاهرة وخاصة أهل القاهرة النابغين أرقى من خاصة أهل الآستانة النابغين الا في الجندية . وأما من جهة الثروة والعمران فمصر أغزر ثروة وأرقى عمراناً ، وقد قدمت النسبة بين البلدين في النساء وتربية الاولاد هذا ما تبين لي في هذه الشهور نصصته على غره ، غير متحرف الى جهة ، ولا منعز الى فئة ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

انتشار الاسلام في افريقية

نشرت جريدة الديبش كولونيا مقالا للدكتور كارل كوم الذي قام بسياحات كثيرة في إفريقية واحداثها سياحته فيما بين نهر النيجر والنيل قالت (*) : ان الدكتور كارل كوم يرى ان إفريقية ستكون في يوم قريب قارة اسلامية محضة ماعدا بعض الجهات التي ينتسب أهلها الى المسيحية اسما كجنوب إفريقية وأوغنده والحبشة ولقد عاقت طبيعة البلاد في أواسط إفريقية دون ان يكتسحها سبيل الاسلام الجارف في طريقه عدة قرون فلما وطأها أقدام الاوربيين وانتهت تلك المنازعات القديمة بينهم على الحدود وانفسح المجال أمام التجار المسلمين أخذوا ينشرون نفوذهم ويوسعون دائرة سلطتهم فتوغلوا في الغرب والشرق والجنوب حتى انتشر الاسلام بين أهالي هذه الجهات بسرعة غريبة ومدهشة بنتيجة مساعي الاوربيين أنفسهم

(*) زجت الجرائد اليومية هذا المقال بالعربية وعنها اخذنا مع تصحيح قليل

الذين ذلوا تلك العقبات باكتشافاتهم الجغرافية وبتقويم شؤون البلاد وتحسين وسائل الثروة بها وأحوالها الاقتصادية

وقد شعر بمخرج هذا المركز الصعب وكلا فرنسا وبريطانيا وأخذت هذه المسألة تتمتع أمامهم فلا يعرفون لهم منها مخرجا بعد أن تغلب الاسلام على الجنوب وبعد أن طعن الدكتور كوم تعصبا وتمحلا على تعاليم الاسلام زاعما بأنها تلقي بذور التعصب في قلوب المتدينين به استنتج انه يجب على كل مسلم مقاتلة الكفار الى ان يأسرهم أو يقتلهم وقال انه لا توجد ذريعة أنجع من ادخال القبائل الوثنية في الدين المسيحي لتكون حصنا متينا للدفاع !!

ثم قال: ولا يوجد الآن غير طريقين لتجارة الرقيق اولها في السودان العربي الى مكة مارا بالسودان المصري وقد حاولت القوة الفرنسية في بحيرة تشاد بقيادة الكولونل مول أن تقطع هذا الطريق حتى تتمكن من ذلك ولكن الطريق الثاني لا يزال مفتوحا ويمر بينغازي ولا يمكن إغلاقه الا اذا استولت بريطانيا العظمى على دارفور (١)

وقد نشرت مجلة المستر فول مقالة وجهت فيها انظار ولاية الامور الانكليز لوجود ثلاثة عشر الف شاب مسلم على بعد خمسة أيام من مقر الانجليز قد اجمعوا امرهم على ان يجوبوا انحاء البلاد الافريقية للدعوة الى الاسلام ولا حظت ان الوثنيين يقبلون الدين الاسلامي بسهولة ورغبة ومن انتحل منهم المسيحية لا يلبث الا قليلا ثم يعلن اسلامه مثل رفاقه، واستنتجت على دعواها بسهولة مبادئ الدين الاسلامي بزيادة المسلمين المضطردة في الهند فقد بلغ عدد الذين ينتحلون الاسلام من أهلها نحو عشرة آلاف شخص في كل سنة وكذلك الحال في الصين حيث ينمي عدد المسلمين كل يوم بنسبة ظاهرة تدعو لمزيد الدهشة والاهتمام

الاسلام في الهند

جاء في مجلة العالم الاسلامي الفرنسية مقال عن الاسلام في الهند احببنا ترجمته لما فيه من الحقائق التي يجهلها اخوانهم المسلمون قال الكاتب (*):

انتشر الاسلام في الهند سنة ١٠٠١ ميلادية وقد ازداد عدد أتباعه حينما تقلصت سلطة الاسلام في تلك الديار وامتدت سلطة الاحتلال الانكليزي خلافا للأمول وهو يمتد اليوم على صورة مدهشة فقد كان عدد اهله في الهند سنة ١٨٩٧ واحدا وستين مليونا ونصف مليون فأصبح عددهم سنة ١٩٠١ ثلاثة وستين مليونا منهم ٩٧ في المئة من أهل السنة وإليك تفصيل العدد

٥٤ مليونا في الولايات الهندية الشرقية الانكليزية كمباي ومدراس

٨ ملايين ونصف في الولايات التابعة كحيدرآباد

٢٧٠ الفا في المستعمرات الانكليزية كسيلان

٧٣٠ الفا في البلاد التي لم تدخل تحت الاحصاء كولايات أوريسا

وقد يوجد من المسلمين في المقاطعات الفرنسية الهندية ٢٠ الفا وفي المستعمرات البرتغالية ٨ آلاف ونصف الف وفي المستعمرات الاومانية ١٠ آلاف من الهنود والفرس والعرب والافريقين

اما عدد المسلمين في الولايات المستقلة فإليك بيانه: في ولاية نابل ثلاثة ملايين ونصف مليون، وفي ولاية بوتان اربع مئة، وفي ولاية أفغانستان ٦ ملايين وأما بحسب المذاهب فعدد المسلمين في الهند ينقسم الى اهل سنة وشيعة فأهل السنة ٦٦ مليونا و٢٢٢ الفا و٥٠٧ والشيعية مليونان و٥٧٧ الفا و٤٢٩ والمجموع ٩٣٦، ٧٩٩، ٦٨ فاذا اعتبرنا زيادة مليونين في الولايات الهندية الانكليزية فيكون عدد

المسلمين في الهند سبعين مليونا

أما حركة هذه الملايين الاجتماعية والسياسية فقد كانت بطيئة الا انها ابتدأت تؤثر في الدولة الانكليزية فلا تمضي مدة الا ويحدث حادث لهذه الدولة من هذه

(*) ترجمته بالعربية جريدة المفيد البهوتية وعنها نقلنا

الجموع ولو كان المسلمون متحدين الاتحاد المطلوب لما أقام الانكليز ساعة في تلك البقاع على ان التكافل بينهم قد بدا طلعه فاتحد فريق كبير منهم وبدأوا باعداد القوة وسيجتازون عما قريب كل عقبة وصعوبة وقد ظهر للناس اخيرا انهم يميلون زلفى الى الدولة العثمانية

فلسوف يقوى الاسلام في الهند ويمتد بواسطة العلم الذي ينشر بينهم بسرعة ولا غرو فان هذا الدين من مطالبه العلم وسوف يسود على كل تلك الديار على أن الانكليز هم الذين علموهم لغتهم فتسلحوا بها واصبحوا يطالبون بحقوق الانسان الحرة ويتقاضون من الانكليز مرا كزهم الاجتماعية ومناصبهم السياسية

﴿ صدي العلم من الحجاز ﴾

جاءتنا كراسة بهذا الاسم فيها تفصيل عن «حفلة توزيع الجوائز على التلامذة الفائزين في الامتحان السنوي في المدرسة الصولتية بمكة المكرمة تأسيس العلامة المرحوم الشيخ رحمة الله الهندي صاحب كتاب اظهار الحق» وهي مفتحة بخطاب من مدير تلك المدرسة موجه الى كل قارئ يستغز به الهمم ويحدد العزائم الى مساعدة هذه المدرسة الفذة في نوعها المفيدة في الجملة بالبرعات المالية لان قيامها بها وهي لانزال قائمة ببرعات الهنود الاسخياء الذين عرفوا قوة التعاون والتكافل اكثر من غيرهم من مسلمي الارض. وانه ليجدر بمسلمي هذه البلاد ان يمدوا اليها يد السخاء وما زى أنهم يرضون - كما رضيت دولتهم - بأن يكون الجهل ضار باطنابه في مكة المكرمة ذلك البلد الحرام الذي كان ينبوع سعادتهم ومهب العلم والحكمة من قبل ألا وانه ليحزننا ان تبقى البلاد التي نزل بها الوحي وانبثق منها نور الاسلام الذي قلب كيان العالم وقتل الوثنية ونفخ روح العلم وشرع سبيل استقلال الفكر - انه ليحزننا ان تبقى منسكحة في دياجير الجهل موقفة بأغلال التقاليد، فهلا عناية من دولتنا الدستورية التي يفتخر سلطانها بلقب «خادم الحرمين» بتلك البلاد بعض عنايتها ببلد من بلاد الروملي !؟ على انه قد آن للمسلمين وقدمضي زمن التفكير ان يبدأوا على العمل وعلى الله قصد السبيل

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الابصار

المسحاة

١٣١٥

يقدر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
اولئك الذين مداهم الله واولئك هم اولو الابصار

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر الثلثاء سلخ جمادى الاولى ١٣٢٨ - ٧ يونيو (حزيران) ١٢٨٦ ١٩١٠ م)

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس في الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٣٥ : ٣٠) اِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفِرْ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلِكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا

نهى سبحانه عن اكل الاموال بالباطل وعن قتل النفس وهما اكبـر الذنوب
المتعلقة بحقوق العباد ، وتوعـد فاعـل ذلك عدوانا وظلما بالنار ، ثم نهى عن جميع
الكبائر التي يعظم ضررها وتوذن بضعف ايمان مرتكبها ، ووعد على تركها بالجنة ومدخل
الكرامة ، وقيل المراد بالكبائر هنا جميع ما تقدم النهي عنه في هذه السورة . قال
البقاعي بعد الآيتين السابقتين : ولما بين تعالى ما لفاعل ذلك تحذيرا ، اتبعه

ما للمتهي تبشيرا ، وكان قد تقدم جملة من الكبار فقال . وذكر الآية
الاجتناب ترك الشيء جانبا والكبار جمع كبيرة اي الفعائل او المعاصي الكبار
والسيئات جمع سيئة وهي الفعلة التي تسوء صاحبها عاجلا أو آجلا أو تسوء غيره كما
تقدم في تفسير (٣ : ١٩٣) وكفر عنا سيئاتنا) وفسروها بالصغار بدليل مقابلتها
بالكبار واللفظ أعم والتخصيص غير متعين

الاستاذ الامام : اختلف العلماء هل في المعاصي صغيرة وكبيرة أم المعاصي
كلها كبار ؟ فقلوا عن ابن عباس ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة . صرح بذلك
الباقلاني والاسفرايني وامام الحرمين . وقالت المعتزلة وبعض الاشاعرة إن من
الذنوب كبار وصغار وقال الغزالي ان هذا من البدييات . وقد اختلف في الصغار
والكبار فقبل هي سبع لحديث صحيح في ذلك ولكن الاحاديث الصحيحة في
عدها مختلفة ومجموعها يزيد على سبع وقد ذكرت على سبيل التمثيل

أقول أشهر هذه الاحاديث ما ورد في الصحيحين وغيرهما من حديث ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اجتنبوا السبع الموبات » قالوا وما
هي يا رسول الله ؟ قال « الشرك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، والسحر ، وأكل
مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » . ومنها أيضا
من حديث أبي بكرة انه قال قال رسول الله (ص) « ألا أنبئكم بأكبر الكبار ؟ - قلنا
بلى يا رسول الله ، قال : الاشرار بالله ، وعقوق الوالدين - وكان متكئا فجلس وقال -
ألا وقول الزور ، وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت . وفي لفظ عند
البخاري من حديث ابن عمرو زيادة « واليمين الغموس » وفي الصحيحين أيضا من
حديث ابن عمرو قال قال رسول الله (ص) « إن من أكبر الكبار أن يلعن الرجل والديه -
قالوا وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب أباه ويسب أمه فيسب أمه »
وكان صلى الله عليه وسلم يذكر في كل مقام ما تمس اليه الحاجة فلم يرد شيء من ذلك في
مقام الحصر والتحديد ولكن الاحاديث صريحة في اثبات الكبار ويقابلها الصغار
والظاهر منها ان كبرها في ذواتها وانفسها لما فيها من المفسدة والضرر ، والموبات
أكبر الكبار من أوبقه اذا أهلكه أو ذلله . ويقابل الموبق ما يضر ضررا قليلا وما

حرم الاسلام شيئا الا لضرره في الدين او النفس او العقل أو المال او العرض
وكيف ينكر احد اتقسام الذنوب الى كباثر وغير كباثر وقد صرح بذلك القرآن
في غير هذا الموضع وهو من ذاته بديهي كما قال الغزالي فان المنهيات انواع لها أفراد
تفاوت في أنفسها وفي الداعية النفسية التي تسوق اليها

قال تعالى بعد ذكر جزاء المسيئين والمحسنين في سورة النجم (٥٣ : ٣٢)
الذين يحبثون كباثر الاثم والفواحش الا اللهم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم
إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم) والفواحش معطوفة على
الكباثر وهي ما غش من الفاعل القبيحة ، وهذه الآية تناسب الآية التي فسرناها
في معناها بذاتها وموقعها مما قبلها فقد عبر في كل منهما باجتتاب الكباثر وجعل جزاء
هذا الاجتتاب تكفير مادون الكباثر والفواحش وغفرانه ، ولكنه عبر عن مقابل
الكباثر هنا بالسيئات وهو لفظ يشمل الصغائر والكباثر كما علم من استعماله في عدة
مواضع من القرآن ، وعبر في سورة النجم باللهم ، وفسروا اللهم بما قل وصغر من
الذنوب ، كما فسروا السيئات هنا بالصغائر وما أخذوا ذلك الامن المقابلة كما تقدم ،
وقد يكون اللهم بمعنى مقاربة الكبيرة أو الفاحشة باتيان بعض مقدماتها مع اجتتاب
اقترافها من ألمت النخلة اذا قاربت الارطاب وألم الغلام اذا قارب البلوغ ، وسيأتي
من كلام الغزالي في تكفير الذنوب ما يوضحه بالأمثلة . ومن التناسب المتعلق
بالسياق انه علل في سورة النجم مغفرة اللهم بعلم الله تعالى بحال الانسان في خروجه
من مواد الارض الميتة تكون غذاء فدما فنيا يلقيح البيوض في رحم الام ، وعلمه بحاله
بعد هذا التلقيح اذ يكون جنينا في بطن أمه لا يقدر على شيء فقصاراه ان الانسان
ضعيف كما قال في أخرى (خلقكم من ضعف) وقد تقدم الآية التي فسرناها لتليل
التخفيف عن المكلفين بقوله تعالى (وخلق الانسان ضعيفا)

وما ورد صريحا في تقسيم الذنوب الى صغائر وكباثر قوله تعالى (١٨ : ٥٠) ووضع
الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يفادر
صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها) وقوله تعالى (٥٤ : ٥٢) وكل شيء فعلوه في الزبر ٥٣
وكل صغير وكبير مستطر)

واذا كان هذا صريحا في القرآن فهل يقلل ان يصح عن ابن عباس إنكاره؟ لا، بل روى عبد الرزاق عنه انه قيل له هل الكبائر سبع؟ فقال هي الى السبعين أقرب، وروى ابن جبير انه قال هي الى السبع مئة أقرب . وانما عزي القول بانكار تقسيم الذنوب الى صفائر وكبائر الى الاشعرية وكأن القائلين بذلك منهم أرادوا ان يخالفوا به المعتزلة ولو بالتأويل كما يعلم من كلام ابن فورك فانه صحح كلام الاشعرية وقال « معاصي الله كلها كبائر وانما يقال لبعضها صغيرة وكبيرة بالاضافة وقالت المعتزلة الذنوب على ضربين صفائر وكبائر وهذا ليس بصحيح » اهـ وأول الآية تأويلا بعيدا وهل يؤوّل سائر الآيات والاحاديث لاجل ان يخالف المعتزلة ولو فيما أصابوا فيه؟ لا يبعد ذلك فان التعصب للمذاهب هو الذي صرف كثيرا من العلماء الاذكياء عن اقادة انفسهم وامتهم بفظنتهم وجعل كتبهم فتنة للمسلمين اشتغلوا بالجدل فيها عن حقيقة الدين . وسترى ما ينقله الرازي عن الغزالي ويرده لاجل ذلك وابن الرازي من الغزالي وابن معاوية من علي :

والموافقون للمعتزلة من محققي الاشاعرة وغيرهم اختلفوا في تعريف الكبيرة فقليل هي كل معصية أوجبت الحد وقيل مانص الكتاب على تحريمه ووجب في جنسه حد وقيل كل محرم لعينه أي لالعارض أولا لسد الذريعة ، وضمفوا هذه الاقوال واقوالا أخرى كثيرة . وقال بعض العلماء ان الكبائر كل ما توعده الله عليه قيل في القرآن فقط وقيل وفي الحديث أيضا ، وقال بعضهم كامام الحرمين والغزالي واستحسنه الرازي لأنها كل ما يشعر بالاستهانة بالدين وعدم الاكثرات به وهو قول مقبول قريب من المعقول . واختلفون في تعريفها متفقون على القول بأن هناك صغيرة وكبيرة وان ترك الكبائر يكفر الصغائر . وقال بعضهم ان الله تعالى أبهم الكبائر لتجنب كل المعاصي فان من عرضت له كل معصية لم يعلم انها من الكبائر التي يعاقب عليها أو من الصغائر التي يكفرها الله عنه بترك الكبائر فالاحتياط يقضي عليه بأن يجتنبها . ولا يظهر فرق بين القول بأن جميع المعاصي كبائر والقول بأن منها صفائر مبهمة غير معينة فهي لا تعلم وقد أطال ابن حجر البحث في ذلك فليراجع كتابه الزواجر من شاء

الاستاذ الامام : ان الذين قسموا المعصية الى صغيرة وكبيرة وارادوا بالسيئات

الصغائر لم يفهموا الآية وقد قال الله تعالى (٢٠:٤٥) أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعلو الصالحات سواء محياهم ومماتهم؟ ساء ما يحكمون) فجعل أهل السيئات في مقابلة المؤمنين فهم المشركون والكافرون المفسدون ، وقال (١٧:٤) وليست التوبة للذين يعملون السيئات (الآية وما العهد بتفسيرها ببعيد ولا يمكن حمل السيئات فيها على الصغائر . والصواب ان في كل سيئة وفي كل نهى خاطبنا الله تعالى به كبيرة أو كباثر وصغيرة أو صغائر والكبائر في كل ذنب عدم المبالاة بالنهي والامر واحترام التكليف ومنه الاصرار فان المصر على الذنب لا يكون محترما ولا مباليا بالامر والنهي

فإنه تعالى يقول ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ﴾ أي الكبائر التي يتضمنها كل شيء تنهون عنه ﴿ نكفروا عنكم سيئاتكم ﴾ أي نكفروا عنكم صغيره فلا نؤاخذكم عليه فإضافة السيئات الى ضمير المخاطبين يدل على ما قاله جمهور الاشارة من انه لا كبيرة بمعنى ان بعض السيئات يكون كبيرة مطلقا على الدوام وان فعل بجمالة عارضة وعدم استهانته ، ولا صغيرة مطلقا وان فعلت لعدم الاكتراث بالنهي وأصر الفاعل عليها . ويدل على هذا ما قاله ابن عباس (رض) حين قيل له الكبائر سبع فقال هي الى السبع مئة أقرب ولا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار ، أي مع توبة فكل ذنب يرتكب لعارض يعرض على النفس من استشاطه غضب أو غلبة جبن أو ثورة شهوة وصاحبه متمكن من الدين يخاف الله ولا يستحل محارمه فهو من السيئات التي يكفرها الله تعالى اذا كان لولا ذلك العارض القاهر للنفس لم يكن ليجترحه تهاونا بالدين ، وكان بعد اجتراحه إياه حال كونه مغلوبا على أمره يتندم ويتألم ويتوب ويرجع الى الله عز وجل ويعزم على عدم العودة الى اقتراف مثله ، فهو بعدم اصراره واستقرار هية الله وخوفه في نفسه ، يكون أهلا لان يتوب الله عليه ويكفر عنه ، وكل ذنب يرتكبه الانسان مع التهاون بالامر وعدم المبالاة بنظر الله اليه ورويته إياه حيث نهاه فهو مهما كان صغيرا (أي في صورته أو ضرره) يعد كبيرة (أي من حيث هو استهانته بالدين وداع الى الاصرار والانهماك والاستتار) ومثال ذلك تطفيف الكيل

والميزان وإخسارهما فقد قال تعالى (١:٨٣ ويل للطففين) وهو يصدق بالقليل والكثير ولو حبة، والممز واللمز فقد قال (١:١٠٤ ويل لكل همزة لمزة) أي الذين اعتادوا الممز واللمز وهما عيب الناس والطعن في أعراضهم . والويل الملاك فهو وعيد شديد

أقول ان هذا الذي ذهب اليه هو ترجيح للقول بأن الكبائر بحسب قصد فاعلها وشعوره عند اقترافها وعقبه لافي ذاتها وحسب ضررها وهذا لا يقتضي انكار تمايز المعاصي في انفسها وكون منها الصغيرة كالنظر الى ما لا يحل النظر اليه من المرأة الاجنبية ومنها ما هو كبيرة كالزنا وكذلك ضرب الرجل خادمه ضربا خفيفا بدون ذنب يقتضي ذلك يعد صغيرة واما قتله اياه فلا يمكن أن يعد صغيرة في نفسه مهما كان الباعث النفسي عليه . ولكن مسألة تكفير السيئات وعدم المؤاخذه عليها في الآخرة تتعلق بمقاصد النفس وقوة الايمان وسلطانه في القلب وهو ما جرى عليه الغزالي وتبعه الاستاذ الامام . وانا ننقل عن الغزالي نبذا تدل على رأيه في هذه المسألة

قال الرازي : وذكر الشيخ الغزالي رحمه الله في منتخبات كتاب إحياء علوم الدين فصلاطويلا في الفرق بين الكبائر والصغائر فقال فهذا كله قول من قال ان الكبائر تمتاز عن الصغائر بحسب ذواتها وانفسها

واما القول الثاني وهو قول من يقول ان لكل طاعة قدرا من الثواب ولكل معصية قدرا من العقاب فاذا أتى الانسان بطاعة واستحق بها ثوابا ثم أتى بمعصية واستحق بها عقابا فهنا الحال بين ثواب الطاعة وعقاب المعصية بحسب القسمة العقلية يقع على ثلاثة أوجه (احدها) ان يتعادلا ويتساويا وهذا وان كان محتملا بحسب التقسيم العقلي الا أنه دل الدليل السمعي على انه لا يوجد لانه تعالى قال « فريق في الجنة وفريق في السعير » (والقسم الثاني) ان يكون ثواب طاعة أزيد من عقاب معصية وحينئذ ينحبط ذلك بما يساويه من الثواب ويفضل من الثواب شيء ومثل هذه المعصية هي الصغيرة وهذا الانحباط هو المسمى بالتكفير (والقسم الثالث) أن يكون عقاب معصيته أزيد من ثواب طاعته وحينئذ ينحبط ذلك الثواب بما يساويه من العقاب (١)

(١) نبي ان الجنة بعشر أمثالها وأراد بما يساويه بمد المضاعفة

ويفضل من العقاب شيء، ومثل هذه المعصية هي الكبيرة وهذا الانحباط هو المسمى بالاحباط. وبهذا الكلام ظهر الفرق بين الكبيرة وبين الصغيرة وهذا قول جمهور المعتزلة

ثم رد الرازي هذا الكلام قال لا لأنه مبني على اصول باطلة عندنا اي عند الاشعرية وذ كر منها كون الطاعة توجب الثواب والمعصية توجب العقاب ومنها القول بالاحباط وبأن الانسان يستحق بعمله الصالح جزاء. وكل ذلك مردود عنده لأدري أقل الرازي هذه العبارة بنصها أم بمعناها ولكن أقول على الحاليين ان توجيه الرجل ذ كاه لمناقشة المعتزلة وتفنيد أقوالهم، ونصر الاشاعرة وتأيد مذهبهم، قد شغله في كثير من المواضع عن استبانة الحقيقة في نفسها، فعبارة الغزالي التي ذكرها ليس فيها ذكر لايجاب الطاعة الثواب والمعصية العقاب وإنما حرك هذه المسألة في خياله ذكر المعتزلة، وإنما ذكر الغزالي استحقاق العامل الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية، وهذا الاستحقاق ليس بايجاب من ذي سلطة على الله عز وجل وإنما هو بحسب وعده ووعيده تعالى وآيات القرآن الدالة عليه تعلوا تأويل المؤولين وجدل المجادلين. وكذلك جبوط الاعمال بالكفر أو إحاطة المعاصي ثابتة في القرآن لا يمكن لأحد ان يجاري فيها وراء ظاهراً (أولئك حبطت أعمالهم) (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار) (كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) على ان كلام الغزالي هنا لا يوضح معنى الكبيرة والصغيرة وان كان صحيحاً في نفسه وفيه معنى تكفير السيئات

وهذه الموازنة بين الحسنات والسيئات التي أشار إليها إنما تتحقق بحسب تأثيرها في النفس فإذا زكت النفس بغلبة تأثير الطاعات فيها على تأثير المعاصي أفلحت وارتفعت الى عليين وإذا كان العكس خسرت وحبطت ما عملت (قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها) وقد اوضحنا هذا المعنى في التفسير غير مرة. وان تكفير الحسنات وازهاؤها للسيئات الذي صرح به القرآن ظاهر معقول ولكن تكفير ترك الكبائر للسيئات يحتاج الى إيضاح لكن هذا أمر عديم فكيف يكون له اثر يبيض اثر السيئات حتي يغلب عليها ويكفرها؟

قل الغزالي في بيان الركن الثاني من مباحث التوبة وهو ما عنه التوبة أي الذنوب مانصه : « اجتنب الكيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كن يتمكن من امرأة ومن موافقتها فيكف نفسه عن الوقاع فيقتصر على نظر أو لمس فان مجاهدة نفسه بالكف عن الوقاع اشد تأثيرا في توير قلبه من إقدامه على النظر في اغلامه فهذا معنى تكفيره . فان كان عيننا أو لم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف أمر الآخرة فهذا لا يصلح للتكفير اصلا وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوزار . نعم من يشتهي الخمر وسماع الاوزار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدته النفس بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت اليه من معصية السماع فكل هذه أحكام أخروية . ويجوز ان يبقى بعضها في محل الشك وتكون من المتشابهات فلا يعرف تفصيلها الا بالنص ، ولم يرد النص بعد ولا حد جامع بل ورد بالفاظ مختلفات فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة الى الصلاة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلاث : إشرارك بالله وترك السنة ونكت الصفقة » (هـ) قيل ماترك السنة؟ قيل الخروج عن الجماعة ، ونكت الصفقة أن يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله . فهذا وأمثاله من الالفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع فيبقى لا محالة مبهما » اهـ وقال في بيان الركن الثاني وهو تمام التوبة وشروطها ودوامها

« وأما المعاصي فيجب ان يفتش في اول بلوغه عن سماعه وبصره ولسانه ويطنه ويده وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع ايامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغائرها وكبائرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك يینه وبين

(*) رواه الحاكم نحوه وقال صحيح الاسناد . ورواه احمد والبيهقي وافظهم جميعا « الصلاة المكتوبة الى الصلاة التي قبلها كفارة لما بينهما والجمعة الى الجمعة التي قبلها كفارة لما بينهما والشهر الى الشهر الذي قبله كفارة لما بينهما الا من ثلاث : الإشرارك بالله وترك السنة ونكت الصفقة » قيل يا رسول الله أما الإشرارك بالله فقد عرفناه فما نكت الصفقة وترك السنة ؟ قال « أما نكت الصفقة فان تبايع رجلا يمينك ثم تخالف اليه فقتاله بيمينك وأما ترك السنة فالخروج عن الجماعة »

الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد كنظر الى غير محرم وقعود في مسجد مع الجنابة ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملام وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها وبأن يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فيأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات اخذا من قوله صلى الله عليه وسلم « اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها » * بل من قوله تعالى (١١: ١١٣) ان الحسنات يذهبن السيئات (فيكفر سماع الملاهي سماع القرآن وبمجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ويكفر مس المصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقيله وبأن يكتب مصحفا ويجمله وقفا . ويكفر شرب الخمر بالتصدق بشراب حلال هو أطيب منه وأحب اليه . وعد جميع المعاصي غير ممكن وانما المقصود سلوك الطريق المضادة فان المرض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت الى القلب لا يحورها الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها والمتضادات هي التناسبات فلذلك ينبغي ان تمحي كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها فان اليباض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة . وهذا التدرج والتحقيق من التلطف في طريقة المحو فالرجاء فيه اصدق والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات وان كان ذلك ايضا مؤثرا في المحو .

« فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى . ويدل على ان الشيء يكفر بضده أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وأثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والحنين اليها فلا جرم كان كل أذى يصيب المسلم ينو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له اذ القلب يتجافى بالهموم والغموم عن دار الهموم . قال (ص) « من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم » وفي لفظ آخر « الا الهم بطلب المعيشة » اه المراد هنا وله في هذا المنحى كلام كثير في مواضع متفرقة فعلم من ذلك ان تكفير

(*) رواه الترمذي وصححه وله تمة

الحسنات للسيئات إنما يكون بإذهاب أثرها السيء من النفس وهو الانس بالباطل والشر والرغبة فيه والاستلذاذ به، وأما تكفير اجتناب الكبائر للسيئات فقد بين الغزالي أنه يتحقق بالقصد والارادة فإن الاجتناب الذي هو ترك يتحقق عند داعية العمل بعمل النفس وهو الارادة التي تكف النفس عن الفعل الذي حصلت داعيته . وما أتذكر من أمثله في ذلك أن من دخل دار رجل أو بستانه بقصد السرقة ثم ذكر الله وخافه فكف نفسه عن السرقة وخرج فإن هذا الكف عن الكبيرة يكفر من نفسه دخول ملك غيره بدون إذنه لأن شعور الايمان الذي تنبه فيه يكون قد غلب شعور الفسق الذي حركه أولاً لقصد السرقة ومحاة وأزاله ، وأما من دخل ملك غيره بدون إذنه ولا العلم برضاه وهو لا يقصد الا الاستهانة بحقه فإن هذه السيئة تقوي في نفسه اثر الشر وداعية التعدي ولا يكفر ذلك ويمحوه كونه محتجباً لشرب الخمر مثلاً وان اجتنبه بقصد مع حصول داعيته فإن كثيراً من الفساق يضرئون ببعض المعاصي ويحتجبون غيرها أشد الاجتناب فهل يكون لهذا الاجتناب اثر في تزكية النفس وتطهيرها مما ضررت به واصرت عليه . بل ولا بما فعلته مرة واحدة ولم تتبعه بالندم والتوبة . ولكن قد تكفر مثل هذا الحسنات التي تصالح النفس في مجموعها . ومن فهم هذا لا يرى اشكالا في الجمع بين الآية وحديث مسلم « الصلوات الخمس مكفرة لما بينها ما اجتنب الكبائر » وان تحبط فيه الكثيرون

لكل مرض من الامراض البدنية دواء خاص يزيله ولا يزيل غيره من الامراض وأما تقوية البدن كله بالغذاء الموافق والرياضة واستنشاق الهواء النقي والبروز للشمس فإنه يساعد على شفاء كل مرض اذا لم يكثر التعرض لاسبابه . وان أدواء النفس وأدويتها تشبه امراض البدن وأدويتها ، ولله در رأي حامد حيث ذهب الى ان الطاعات التي تكفر المعاصي ينبغي ان تكون من جنسها وان لم تكن امثله كلها مطابقة لقاعدته ، وحيث لم ينس أن إصلاح النفس بأنواع الطاعات قد يذهب بعض السيئات التي ليست من جنس هذه الطاعات ، لله دره ما أدق فهمه لحكمة القرآن ، وتطبيقه على فطرة الانسان ، ومن وقف على ما ثبت عند علماء الانسان بعد الغزالي من تعدد مراكز الادواك في الدماغ الذي هو آلة النفس وكون كل

نوع منها له مركز خاص ، وجعل ذلك مطردا في انواع الشعور والوجدان ، وما تكونه الاعمال من ملكات الاخلاق والعادات ، فانه يعجب بما أوتي هذا الرجل من قوة الذهن ، ونفوذ اشعة الفهم ، واذا علم انه قد قال ان الماء ليس عنصرا بسيطا كما قول فلاسفة اليونان بل هو مركب فانه يحكم له بالنبوغ في ادراك الحقائق الحسية ، كاحكم له بادراك الحقائق المعنوية ،

اما قوله تعالى ﴿ وندخلكم مدخلا كريما ﴾ فقد قرأ الجمهور قوله « مدخلا » بضم الميم وهو اسم مكان من الادخال اي وندخلكم مكانا كريما وهو الجنة . وقرأه أبو جعفر ونافم بفتح الميم وهو اسم مكان من الدخول اي ندخلكم فدخلون مكانا كريما ، ووصف المكان بالكريم ظن من لا يرجع في المعاني الى اصول اللغة انه بمعنى الحسن تجوزا ولكن العرب قالت أرض كريمة وأرض مكربة أي طيبة جيدة النبات . وفي التنزيل (٢٦ : ٥٨) فأخرجناهم من جنات وعيون ٥٩ وكنوز ومقام كريم) وقد يكون المدخل الكريم والمقام الكريم هو المكان الذي يكرم به من يدخله ويقم فيه

(٣٣ : ٣٦) وَلَا تَمْنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ،
لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ،
وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ، إِنْ اللَّهُ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

قال الاستاذ الامام في بيان وجه اتصال الآية بما قبلها : نهى اولاء عن اكل الناس بعضهم أموال بعض بالباطل وأوعد فاعل ذلك ، وبين بعد ذلك وما قبله من المناهي ما يغفر منها وما لا يغفر ، ثم أرشدنا بعد هذا كله الى قطع عرق كل تعدى على الاموال والافس وسائر الحقوق وهو التني وعدم استعمال كل لمواهبه في الجدد والكسب وكل ما يمتناه الانسان لنفسه من الخير

وقال البقاعي في ذلك : ولما نهى عن القتل وعن الاكل بالباطل بالفعل وهما من أعمال الجوارح ليصير الظاهر طاهرا عن المعاصي الوخيمة نهى عن التني فان

٣٣٢ النهي عن تمنّي ما فضل الله به بعض الجنسین علی بعض (المنازع ٥٠ م ١٣)

التمني قد يكون حسداً وهو المنهي عنه هنا كما هو ظاهر الآية وهو حرام والرضى بالحرام حرام، والتمني على هذا الوجه يجر إلى الأكل، والا كل يقود إلى القتل، فإن من يرتع حول الحى يوشك أن يقع فيه، فإذا انتهى عن ذلك كان باطنه طاهراً عن الأخلاق الذميمة بحسب الطريقة، ليكون الباطن موافقاً للظاهر ويكون جامعاً بين الشريعة والطريقة، فيسهل عليه ترك ما نهي عنه ويرضى بما قسم له.

وقال القفال: لما نهى الله تعالى المؤمنين عن أكل أموال الناس بالباطل وقتل النفس عقبه بالنهي عما يؤدي إليه من الطمع في أموالهم

وروي في سبب نزولها ثلاث روايات أحداها عن مجاهد قال قالت أم سلمة (رض) يا رسول تغزو الرجال ولا تغزو وإنما لنا نصف الميراث، فأمر الله تعالى الآية. والثانية عن عكرمة أن النساء سألن الجهاد فقلن: وددنا أن الله جعل لنا الغزو فنصيب من الأجر ما يصيب الرجال، فنزلت. والثالثة عن قتادة والسدي قالاً لما نزل قوله تعالى «لذكر مثل حظ الأنثيين» قال الرجال إنا نلرجو أن نفضل على النساء بحسنتنا كما فضلنا عليهن في الميراث فيكون أجرنا على الضعف من أجر النساء، وقالت النساء إنا نلرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا، فأمر الله تعالى ﴿ولا تمننوا ما

فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ ذكر الروايات الثلاث الواحدي والسيوطي في الدر المنثور. وهي لا تتفق اتفاقاً بينا مع المأثور عن ابن عباس (رض) في تفسير التمني بالحسد فقد روي عنه أنه قال فيها: لا يقل أحدكم ليت ما أعطي فلان من المال والنعمة والمرأة الحسنة كان عندي، فإن ذلك يكون حسداً، ولكن ليقل اللهم أعطني مثله.

الاستاذ الامام: سبب تلك الروايات الحيرة في فهم الآية ومعناها ظاهر وهو أن الله تعالى كلف كلا من الرجال والنساء أعمالاً فما كان خاصاً بالرجال لهم نصيب من أجره لا يشاركون فيه النساء، وما كان خاصاً بالنساء لهم نصيب من أجره لا يشاركون فيه الرجال، وليس لأحدهما أن يتمنى ما هو مختص بالآخر. وجعل الخطاب عاماً

للفريقين مع ان الرجال لم يتمنوا ان يكونوا نساء ولا أن يعملوا عمل النساء وهو الولادة وتربية الاولاد وغير ذلك مما هو معروف وإنما كان النساء هن اللواتي تمنين عمل الرجال، وأي عمل الرجال تمنين؟ تمنين أخص أعمال الرجولية وهو حماية الذمار والدفاع عن الحق بالقوة، ففي هذا التعبير عناية بالنساء وتلطف بهن وهن موضع للرأفة والرحمة لضعفهن وانخلاصهن فيما تمنين، والحكمة في ذلك أن لا يظهر ذلك التمني الناشئ عن الحياة المليئة الشريفة فان تمني مثل هذا العمل غريب من النساء جدا وسببه أن الامة في بدء حياتها يكون النساء والاطفال فيها مشتركين مع الرجال في هذه الحياة وفي آثارها، وانها لتسري فيها سر يانا عجيبا، ومن عرف تاريخ الاسلام ونهضة العرب به وسيرة النبي (ص) والمؤمنين به في زمنه يرى أن النساء كن يسرن مع الرجال في كل مقبة وكل عمل، فقد كن يأتين ويبايعن النبي (ص) تلك المبايعات المذكورة في (سورة المتحنة) كما كان يبايعه الرجال، وكن ينفرن معهم اذا نفروا للقتال يخمدن الجرحى ويأتين غير ذلك من الاعمال، فاراد الله أن يختص النساء بأعمال البيوت والرجال بالاعمال الشاقة التي في خارجها ليتقن كل منهما عمله ويقوم به كما يجب مع الاخلاص له وتكثير لفظ «نصيب» لافادة ان ليس كل ما يعمله العامل يوجر عليه وانما الاجر على ما عمل بالاخلاص - أي في الكلام حث ضمني عليه -

(واسألوا الله من فضله) أي ليسأله كل منكم الاعانة والقوة على ما ينيط به حيث لا يجوز له أن يتمنى ما ينيط بالآخر. ويدل في هذا النهي تمنى كل ما هو من الامور الخلقية كالجمال والعقل اذ لا فائدة في تمنى ما لم يعطها ولا يدخل فيه ما يقع تحت قدرة الانسان من الامور الكسبية اذ يحمد من الناس ان ينظر بعضهم الى ما نال الآخر ويتمنى لنفسه مثله وخيرا منه بالسعي والجد كأنه يقول وجوها أنظاركم الي ما يقع تحت كسبكم ولا توجهوها الى ما ليس في استطاعتكم فانما الفضل بالاعمال الكسبية فلا تتمنوا شيئا بغير كسبكم وعملكم اه

أقول قال ابن الاثير في النهاية: التمني تشهي حصول الامر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وما لا يكون. وقال ابو بكر تمنيت الشيء اذا قدرته وأحييت أن يصير الي. اه وقد بظن ان التمني لا يدخل في حد الاختيار فيكون النهي عنه مشكلا،

ولما يظن هذا الظن من يتبع نفسه هواها، ويسلس لخواطرها العنان، بل يلقي من يده العنان واللجام، حتى تكون الاماني منه كالاحلام من التائم لا يملك دفعها اذا أتت، ولا ردها اذا غربت، وشأن قوي الإرادة غير هذا ولا يرضى الله تعالى من المؤمنين الا أن يكونوا أصحاب عزائم قوية فهو يرشدهم بهذا النهي الى تحكيم الإرادة في خواطرهم التي تتحدث بها أنفسهم، لتصرفها عن الجولان فيما هو لغيرهم كما يصرفون اجسامهم أن تجول في ملك غيرهم بدون اذنه، وتوجهها في وقت الفراغ من الاعمال الى ما هو أنفع واشرف كالتفكير في ملكوت السموات والارض، وسنن الله تعالى في هذا الخلق، ولا سيما سننه في حياة الامم وموتها وضعفها، وتطبيق ذلك على أمتهم والتفكير في أمر الآخرة، ونسبته الى هذه الدنيا الفانية، وهو الذي يخفف عن النفس ما تحمله من أثقال الحياة وتكاليفها

الامر كذلك، ان النهي عن تمني كل مكلف من ذكر واثني ما فضل الله به غيره عليه يتضمن ما يتحقق به الانتهاء وهو امران (احدهما) العمل بالنافع على الوجه الذي تكون به الفائدة تامة من العناية والاتفاق، ولا يشغل النفس بالاماني والتشهي كالبطالة والكسل، ولذلك ذكر الكسب بعد النهي (ثانيهما) توجيه الفكر في اوقات الاستراحة من العمل الى ما يغذي العقل ويزكي النفس، ويزيد في الايمان والعلم، وقد ذكرناك به آثقا وهو يتوقف على قوة الإرادة، وانما قوى لارادة باستعمالها في تنفيذ ما أمر به الشرع، ودل عليه العقل،

وفي قوله «ما فضل الله به بعضكم على بعض» ايجاز بديع وهو يشمل ما فضل الله به بعض الرجال على بعض، وما فضل به بعض النساء على بعض، وما فضل به جنس الرجال على النساء، وما فضل به جنس النساء على الرجال، من حيث ان الخصوصية فضل اي زيادة في صاحبها على غيره، وما فضل به بعض الرجال على بعض النساء، وما فضل به بعض النساء على بعض الرجال، وهذا الفضل أنواع (منها) ما لا يتعلق به الكسب ولا يتال بالعمل والسعي، ولا يعاب المفضول فيه بالتقصير ولا يمدح الفاضل فيه بالجد والتشمير، كاستواء الخلقة، وقوة البنية، وشرف النسب فتعني أمثال هذه المزايا لا يصدر الا عن سخافة في العقل، ومهانة في النفس، فينبغي

لمن عرف ذلك من نفسه ان يبادر الى معالجته بالفضل الكسبي الذي به يكون
الفاضل الحقيقي بين الناس قبل أن تستحوذ عليه الاماني فتغنيه ربه وما ارشده
اليه من طرق الفضل وتغنيه نفسه وما أودعته من الاستعداد والقدرة على الكسب
ثم تحمله آلام تلك الاماني على المركب الصعب ، وهو طاعة الحسد بالايذاء والبغى
فيكون من الها لकिन

(ومنها) ما ينال بالجد والسعي كالمال والجاه وهو المقصود بالتمني اولا بالذات ،
لان الاول يعده عن المعقول ، كأن من شأنه انه لا يكون ، ولا يشتغل بتمني هذا الا
ضعيف الهمة ساقط المروءة ، جاهل بقدر استعداد الانسان وآيات الجود والاستقلال
ولا يرضى الله تعالى للمؤمن ان يكون هكذا فهو يرشده الى علو الهمة وهو من شعب
الايان ، ويهديه الى الاعتماد على ما أوتيته من القوى في تحصيل كل ما يرغب فيه فالجاه
الحقيقي انما ينال بالجد والكسب كالعلم النافع والمناصب وعمل المعروف وكذلك الثروة
الاصل فيها أن تنال بالكسب والسعي ، والموروث قلما يثبت وينمي والذين يتربون
على الاستقلال كأهل امريكا وانكثرا يعتمدون على الطريف دون التلذذ حتى ان
بعض الوارثين منهم راهن على كسب مقدار عظيم من المال يضاهي ثروته الموروثة
بعد ان يخرج من جميع ما يملك وضرب لذلك أجلا غير بعيد فما حلّ الاجل الا
وذلك المقدار العظيم في يده وكان خرج من ماله كله حتى ثيابه وابتدأ عمله الاستقلالي
بالخدمة في الحمام وهم الرجال لا يقف أمامها شيء ولكن أكثر الناس غافلون عن
استعدادهم ، يتكلمون على اجتناء ثمرة غيرهم ، ولذلك نبهنا الفاطر جلّ صنعه بعد
النهي عن التمني والتلهي بالباطل الى الكسب والعمل الذي يال به كلّ املة ، فقال
« للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » فشرع الكسب للنساء
كالرجال فأرشد كلاّ منهما الى تحري الفضل بالعمل دون التمني والتشهي ، وحكمة
اختيار صيغة الاكتساب على صيغة الكسب أن صيغة الاكتساب تدل على المبالغة
والتكلف ، وهو اللاتق في مقام النهي عن التمني والتشهي ، كأنه يقول ان ماتطلبون
من الفضل انما ينال بفضل العناية والكفة في الكسب ، لا بما تثيره البطالة من أمانتي
النفس ، وما قيل من استعمال الكسب في الخير والاكتساب في الشر فأخوذ من

قوله تعالى (٢ : ٢٨٦) لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (وليس ذلك من معنى الصيغة في شيء ، وإنما اختير في هذه الآية للإشارة الى أن الشر ليس من مقتضى الفطرة) (راجع ص ١٤٦ ج ٢ تفسير) وفي التعبير به في الآية التي نفسرها ارشاد الى المبالغة والتكلف في طلب الزيادة من المال والجاه وكل ما يتفاضل فيه الناس بأعمالهم بشرط التزام الحق ، وإرشاد الى اعتماد الناس في مطالبهم ورجائهم على ما آتاهم الله من الاستعداد دون الكسل والتواكل واعتماد كل منهم على الآخر ، والكتاب والسنة مؤيدان لذلك ، فما أجدر المسلمين ، بأن يكونوا قدوة ومثلاً للمستقلين ، فالمسلم بمقتضى إسلامه يعتمد على مواهبه وقواه في كل مطالبه مع الرجاء بفضل الله وتوفيقه ولذلك قال بعد الارشاد الى الاكتساب «واسألوا الله من فضله» أي ومهما اصبتم بالجد والاكتساب فلا ينسينكم ذلك حاجتكم الى الله تعالى بما عليكم أن تسألوه من فضله الخاص الذي لا يصل اليه كسبكم إما لجهلكم به أو بطرقه واسبابه وإما لعجزكم عنه كمن يجتهد في الزراعة أو التجارة فيدلي اليها بأسبابها التي ينالها بسببه ويسأل الله ان يتم فضله بالمطر الذي ينمو به الزرع ، واعتدال الريح ليسلم الفلك ، وهذا مما يجعله الانسان ويعجز عنه ،

ومن هنا تفهم حكمة تذييل الآية بقوله تعالى ﴿ ان الله كان بكل شيء عليماً ﴾ فهو الذي علم الانسان بالالهام وبآياته في الانفس والآفاق كيف يطلب المنافع والفضل ، وكلما سأل بلسان الحال والاستعداد والعمل زاده من فضله فخرائن جوده لانفد «وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم» ولا يزال العاملون يستزيدونه ولا يزال ينزل عليهم من علمه ما يفضلون به القاعدين البطالين ، وقد بلغ التفاوت بين الناس في الفضل حدا بعيدا جدا حتى كاد التفاوت بين بعض الشعوب وبعضهم الآخر يكون ابعد من التفاوت بين بعض الحيوان وبعض الانسان

ألا أذن تسمع وعين تبصر!! كيف يستولي العدد القليل من أهل الشمال الغربي على ألوف الألوف من أهل الجنوب الشرقي ويسخرونهم لخدمتهم كما يسخرون غيرهم من الحيوان ؟ أينكر أصحاب النفوذ الصوري والنفوذ المعنوي من أهل الجنوب

ان الام التي حالوا بينها وبين طلب فضل الله بالعلوم والفنون والصناعات والثروة والسياسة تارة باسم المحافظة على الدين ، وأخرى باسم العبودية للأمراء والسلاطين ، قد خرجت السلطة عليها من أيديهم حتى لم يبق لهم منها الا القليل وما هذا القليل بالذي يبقى لهم ، ينكرون أنهم يتمنون أن يكون لهم من الملك والعزة والثروة والعلم مثل ما لأهل الشمال أو عين ما لأهل الشمال ، ينسون أنهم كانوا فوقهم أيام كانوا هم أصحاب أهل اليمن ، أيجيز لهم الاسلام بعد ذلك الفضل الذي أصابوه بكسبهم ان يضعوه ثم يقتنعوا أنفسهم بالتعني والتشهي ؟ فإلى متى هذا الجهل وهذا الغرور !!

لأنهم حالوا بين الامة وبين فضل الله في الدين كما حالوا بينها وبين فضله في الدنيا فمنعوا الاستقلال في فهم الدين وان تطلبه بلسان حالها واستمدادها ولوسائته لأعطاها الله إياه ، فنسأله ان ينصرها عليهم وما النصر الامن عند الله ،

قد قتل هذه الامة الحسد والتمني : كلما ظهرت آيات النبوغ في العلم أو العمل في رجل منها قام الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، ويتمنون ما فضله الله به عليهم وان لم يكن لهم مثل مواهبه وكسبه ، يدلون حسناته سيئات ، ويفنون الفتن ويضعون له العثرات ، يستكبرون نعمة الله عليه ، ويحتمقون نعمته عليهم ، فلا يرونها أهلا لأن تدرك ما أدركه ، ولكنهم يصغرون بالسنتهم ، ما استكبروه في قلوبهم وادمقتهم ، ويعظمون باقوالهم ، ما يحقرونه في اعتقادهم ، يقولون ما هو فلان ، إنه لا يعلم إلا كذا وكذا مما يعلمه الصبيان ، وما هي اعماله التي تذكر له ، إنه ليقدر عليها كل الناس ، أو انه يقصد بها السمعة والرياء ، أو ظاهرها نفع وباطنها إيذاء ، ولكن ما بالهم قد اصبحوا منه في شغل شاغل ، ولماذا حملوا أنفسهم عناء الكيد له والمكر به ، ألم يروا شرا في الارض يسعون في إزالته إلا علمه الناقص ، وعمله النافع الذي يخشون احتمال ضرره ، ألا يحاسب الحاسدون انفسهم ، فيتين لهم أنهم يسيئون اليها أكثر مما يسيئون الى محسودهم ، ألا يجدون لانفسهم مصرفا عن نار الحسد التي تطلع على أفئدتهم ، قبل أن تأكل بقايا الرضا بقضاء الله وقدره ، وقسمته الفضل بين خلقه ، ؟ ألا لله در التهامي حيث يقول

اني لارحم حاسدي لفرط ما ضمت صدورهم من الاوغار
 نظروا صنيع الله بني فعيونهم في جنة وقلوبهم في نار
 ألا وإن دخول النار في الانسان قد تكون اشد من دخوله في النار، أو هي
 التي تحمله على التهورك والتهافت على النار، وما بال هؤلاء الحسدة الاشرار،
 يتمنون ما فضل الله به بعض قومهم عليهم، ولا يتمنون أن يكون لهم مثله أو مثل
 ما أوتيهم الاقوام الآخرون، اني لا أرى علاجاً للحاسدين الباغين في هذه الامة
 إلا نشر العلم الصحيح فيها حتى يميز الجمهور بين المصلحين والمفسدين، وان رؤساء
 البغي والحسد ليعلمون ان نشر العلم في الامة هو الذي يظهر جهلهم وسوء حالهم فهم
 لا يمتقون احداً مقتهم لمن يسعى في ذلك فهم يصدون عن سبيل العلم الصحيح
 وهي سبيل الله ويغيثونها عوجاً بما يقنونه العامة من الخرافات والضلالات التي تخدر
 اعصابها وتبقيها على حالها، ولا نيامس من روح الله

فَتَاوَى الْمُبْتَلَى

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسمع اناس عامة، ونشرط على السائل ان يبين
 اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة
 بالتدريج غالباً ورماعاً قد منامنا خرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورماعاً جيتا غير مشترك لثقل هذا. ولمن
 مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا نقاله

❖ الاكراه على الاسلام بالسيف ❖

(س ٢٧) من س ٥٠. التلميذ في مدرسة الحقوق بالآستانة

الى فيلسوف الاسلام وفخر الامة سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب
 مجلة المنار الاغر متعني الله بطول بقائه أمين
 رأينا في الجريدة التي يصدرها محمد عبيد الله مبعوث آيدين في الآستانة مسألة

عجبنا من صدورها من مسلم وازداد عجبنا ضعفين اذ سمعنا ان كاتبها صاحب تلك الجريدة يعد من علماء الترك، ثم ازداد عجبنا ضعفا مضاعفا اذ بلغنا ان تلك الجريدة تصدر بمساعدة الحكومة ونفقتها وهي هي الحكومة الدستورية المؤلفة من هئتين احدهما تسمى التشريعية وأخرى تسمى التنفيذية وكل منهما مؤلفة من المسلمين وغير المسلمين

تلك المسألة هي التي جعلها أعداء الاسلام أشد مطعن فيه وهي ادعاء ان الاسلام قام بالاكراه والاجبار لا بالدعوة والحجة وانه يجب على المسلمين الآن أن يكرهوا الناس على الاسلام بقوة السيف فقد قال في العدد الحادي عشر من تلك الجريدة المسماة باسم (العرب) مانصه :

« إن أكبر مرشد في الاسلام هو النبي عليه الصلاة والسلام كان يحمل كتاب الله في يد والسيف في اليد الأخرى فكان اذا رأى من لا يقبل الحق الذي يدعوه اليه في الكتاب أرغمه بالسيف (!!!) فأنتم يا معشر المرشدين المكلفين بوظيفة الارشاد « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة »

« ثم ان الخلفاء الراشدين والامراء المرشدين الذين جاءوا بعد النبي عليه الصلاة والسلام قد اقتفوا كلهم هذا الانزال الجليل « اه بحروفه الا كلمة اسوة في الآية الكريمة فكان مكانها في تلك الجريدة كلمة «قدوة» وهي بمعناها ولكن لا يجوز نقل القرآن بالمعنى وما أظن ان صاحب الجريدة تعتمد ذلك وان كان يوجب ترجمة القرآن لانه لا يخفى عليه ان تعتمد تغيير ألفاظ القرآن بمعناها في العربية كفر وردة مقررّة عن الاسلام

فما قول المنازع في هذه الدعوى ؟ : أحق ما يقول محمد عبيد الله أفندي وبعض الطاعنين في الاسلام من الافرنج في هذه المسألة أم هو باطل ؟ إن قلتم بالاول فهل تقولون ايضا بما فرعه عليه محمد عبيد الله أفندي من وجوب قيام خليفة المسلمين وجميع أمرائهم ومرشديهم باكراه غير المسلمين بقوة السيف (وما في معناه من المدافع والبنادق) على قبول القرآن واتباعه أم لا ؟ ان قلتم نعم فلماذا يترك الخليفة وغيره من الامراء والمرشدين حكم دينهم والتأسي بنبينهم صلى الله عليه وسلم ؟ وهل يجب على

مجلس المبعوثين في الدولة العلية ان يلزم الخليفة بذلك ام لا؟ واذا كان يجب ذلك على المجلس وتركه فهل يكون أعضاء المجلس من المسلمين فاسقين بترك هذه الفريضة ام ماذا يكون حكمهم؟ وان قلتم لا يجب ذلك فكيف تقولون بالاصل دون التفريع عليه؟ اقتونا وعلّمونا مما علمكم الله

(ج) الحمد للمهم الصواب ونقول وبالله التوفيق: ان تلك الدعوى التي ادعاها صاحب تلك الجريدة باطلة بأصولها وفروعها ولا يقول بها من يعرف حقيقة الاسلام الا اذا تعمد الكذب والبهتان بقصد إيقاع الفتنة بين المسلمين وغير المسلمين وإلجاء دول أوربا الى الاتفاق على الإيقاع بالدولة العلية ولا يعقل ان يأتي هذا من رجل عاقل له صفة رسمية في هذه الدولة، فنحن لا نبحت في قصد كاتب تلك الجمل التي نقلها السائل، لاني درجة علمه ولا في التأثير السيء الذي يخشى أن يثيره صدورها من مثله، ولا في صحة ماشاع من اعانة الحكومة على نشر جريده واما نحن كلامنا فيما هو اللائق بباب الفتوى من بيان الحقيقة فنقول!

بيننا الحق في هذه المسألة في مواضع متعددة من المنار والتفسير خاصة ولا سيما تفسير آيات القتال في سورة البقرة وكذا تفسير «لا إكراه في الدين» منها فراجع تفسير (٢: ١٩٠) وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا الآية من (ص ٢٠٣ الى ٢١٢) من جزء التفسير الثاني، وتفسير (٢: ٢٥٦) لا إكراه في الدين من (ص ٣٥-٤٠) من جزء التفسير الثالث. ولا يذهبن ظنك الى ان حكمتنا على من يذهب الى هذا الرأي بالجهل أو سوء القصد حكم بدا لنا الآن نريد ان نلصقه بهذا الرصيف الجديد، كلا ان هذا هو رأينا منذ سنين طويلة فراجع ان شئت (ص ٢٠٥ ج ٢ تفسير) تجد فيها ان المسلمين لم يكونوا في قتالهم في زمن النبي (ص) الامدافعين وانا قلنا بهذا البيان مانصه «وهل يصح ان يقال فيهم انهم اقاموا دينهم بالسيف والقوة، دون الارشاد والدعوة؟ كلا لا يقول ذلك الا غرّ جاهل، أو عدوّ متجاهل، ولا ننس ما قلناه بعد ذلك عن الاستاذ الامام في (ص ٢١٠ و ٢١١) من هذا الجزء وكذا في (ص ٣٩) من الجزء الثالث من التفسير ومنه قوله في آخره «ولا انتفات لما يهذي به العوام، ومعلوم الطغام» اذ يزعمون ان الدين قام بالسيف وان الجهاد مطلوب لذاته فالقرآن في جملة وتفصياله

حجة عليهم ، واذا راجعت الجزء الرابع من التفسير تجد فيه بيانا لهذه المسألة أيضا
والاصل في هذه المسألة قوله تعالى (٢٥٦:٢) لا إكراه في الدين قديتين الرشد
من النبي) وهي مدنية وقوله تعالى (٩٩:١٠) ولو شاء ربك لآمن من في الارض
كلهم جميعا أفأنت تكراه الناس حتي يكونوا مؤمنين) ومثل قوله تعالى (٨٨: ٢١)
فذكر إنما أنت مذكر ٢٢ لست عليهم بمسيطر) وقوله عز وجل (٤٥:٥٠) وما أنت
عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) وكذلك تقييد آيات القتال بجعله دفاعا
والنهي عن الاعتداء فيه كآية (١٩٠) من سورة البقرة التي ذكرنا معظمها آنفا. والراجح
في علم الاصول ان المطلق يحمل عليه المقيد وعليه الشافعية .

والسنة العملية تؤيد هذه النصوص الواضحة فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأذن
احدا من المسلمين له بحرب ابدا وانما كانت غزواته كلها دفاعا فكان المشركون قبل
فتح مكة حربا له وللمؤمنين آذوهم وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم وكانوا يجهزون
الجيوش فيسوقونها اليهم في دار الهجرة ليستأصلوهم كما فعلوا في بدر وأحد والخندق
فهم معهم في حرب دائمة يصيب منهم ويصيبون منه فلما رضوا منه بالصلح عشرين
فرح بذلك ورضي منهم بأشد الشروط وأثقلها على المؤمنين وهو في قوة ومنعة منهم
قادر على الحرب وسبق له الظفر فيها ، ثم كان المشركون هم الذين نقضوا الميثاق .
وقد بلغ من تقرير الاسلام لاسلام ان شدد في المحافظة على عهوده الى درجة
ليس وراءها غاية وهي ان المشركين الذين عاهدوا المسلمين المهاجرين اذا وقع قتال
بينهم وبين المسلمين الذين لم يهاجروا وطالب هؤلاء المسلمون من اخوانهم المهاجرين
ان يعينوهم على المشركين المعاهدين لهم فانه يحرم تقض عهدهم بمساعدة المسلمين
عليهم قال تعالى (٧٢:٨) والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتي
يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق)
كنت أظن ان محمد عبيد الله افندي من أوسع علماء الترك اطلاعا على السيرة
النبيه الشريفة لانه من أعلمهم باللغة العربية نفسها لا قامة الطويلة في البلاد العربية
فكف راجت عليه هذه الدسيسة الاوربية والاهام العامة ؛ لياتنا بحديث واحد في اثبات
دعواه ان النبي (ص) كان يأخذ القرآن في يده والسيف في أخرى ويعرض القرآن

على من يلقاه فان آمن ولا اتحى بالسيف على هامته فقاتلها. مارأينا حديثا في ذلك صحيحا ولا حسنا ولا ضعيفا بل لم نر ذلك في الموضوعات التي كذبوها عليه صلوات الله وسلامه عليه !! هل يمكن ان يقول مثل عبيد الله افندي انه استنبط ذلك من حرب الصحابة اذ كانوا يعرضون على من يتصدون لحربهم الاسلام فان لم يجيبوا فالجزية فان لم يقبلوا كان السيف حكما بينهم وبينهم ؟! ما أراه يحجرا على القول بأن هذا يؤيد قوله ذلك وان سلمنا له انه من السنة المتبعة . إن اتباعهم لهذه الطريقة إنما كان بعد تقرير الحرب والتصدي لها وانما كان سبب الحرب بين الخلفاء الراشدين وبين الروم والفرس اعتداء الروم والفرس لا اعتداء الصحابة العاملين بقوله تعالى « ولا تعتدوا » ان الله لا يحب المعتدين » والذين صاروا بمقتضى هذه الآية وأمثالها يكرهون القتال وان فرض عليهم لضرورة المدافعة عن انفسهم ودينهم وتأمين دعوتهم كما شهد الله لهم بذلك في قوله (١٠٥: ٢) كتب عليكم القتال وهو كره لكم)

ذلك بأن الروم والفرس كانتا أمتي حرب وقد ضربتا بما جاورهما من جزيرة العرب فأظلت سلطة كل منهما بعض العرب المجاورين لها لذلك وللعصبية الدينية ساءلها دخول أثر العرب في الاسلام ونجدد دولة لهم تابعة لدين ميين فكان كل منهما يهدد دعوة الاسلام في جواره ويعتدي على المسلمين فلم يكن للمسلمين بدئ من محاربتهم . ولما كان المسلمون يجوزون قبل الشروع في كل قتال أن يتمتع بأحد السبيين : إسلام المحاربين لهم أو الخضوع لهم بدفع شيء من المال لا يثقل دفعه الا على من وثق بقوته على الحرب ، لمنع دعوة الاسلام الجديدة من الانتشار في الارض ، فكانوا يعرضون أحد هذين الأمرين والحرب مقررة قبل ذلك بما سبق من الاعتداء ، ولم يكن عرضها هو السنة المتبعة في الهداية والارشاد ، فان النبي (ص) دعا كسرى وقيصر وغيرهما الى الاسلام ولم يهددهما بالسيف وانما دعاها بالحكمة والموعظة الحسنة اتباعا لما أمره الله تعالى به في قوله (١٦: ١٢٥) ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)

لو ذكر محمد عبيد الله افندي عبارته تلك في سياق الكلام عن الجهاد واحكامه

لتيسر لنا ان نتحمل لها تأويلا ولكنه ذكرها في سياق الارشاد وذكر العلماء المرشدين في صحيفة قال إنه أنشأها لارشاد العرب وحثهم على إرشاد العالم فها هي المناسبة لذكر السيف والارغام على قبول الحق وإنما موضع الحق القلوب وهي لا يصل اليها السيف بل السيف وذكر السيف بما يزيد بها نفورا ، ويجعل بينها وبين الحق حجرا محجورا ، ليست هذه المسألة هي التي شذت فيها وحدها هذا الرجل فان له شذوذا في مسائل أخرى دينية وتاريخية كادعائه أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ماتت ولا تم الا بترجمة القرآن الى جميع اللغات ، وكادعائه ان غير العرب من المسلمين يمكنهم الاستغناء في دينهم عن معرفة اللغة العربية وعن القرآن العربي المنزل من عند الله تعالى آية للعالمين معجزا للبشر على ممر السنين ، بترجمته الى التركية والفارسية وغيرها من اللغات وان كان المترجم يترجم بحسب فهمه فيختلف مع غيره فيكون لكل أهل لغة قرآن ، وان كانت الترجمة لا يمكن ان يتحقق فيها الاعجاز كالقرآن المنزل من عند الله ولا يصح التعبد بتلاوتها ولا يتحقق فيها غير ذلك من خصائص القرآن . ١١١ . وقد سبق لي مناظرة معه في هذه المسألة بمصر منذ سنين ، وكانكاره أن البشر أرواحا مستقلة هي غير الجسم المحسوس وأعراضه وقد ناظرته في ذلك بدار الشريف علي حيدر بك ناظر الاوقاف ، وكادعائه ان جميع العرب مسلمون وإنكاره ان يكون في التصاري عربي واستدلاله على ذلك بعبادتهم لرجل يهودي او قال امراييلي (يعني السيد المسيح روح الله ورسوله عليه الصلاة والسلام) فلا عجب ان يشذ في مسألة السؤال ولكن العجب من جرأته على نشرها في صحيفة تنشر في عاصمة المملكة حيث المحكمة العرفية العسكرية المراقبة لكل ما يحدث التنافر بين العناصر العثمانية المختلفة في اللغات والاديان والسياسة اسرار ولا بحث لنا فيها الآن ١١ مما يقوي فراستنا في سريان هذه المسألة الى قائلها من بعض الكتب الاوربية الطاعنة في الاسلام أنها تكاد تكون ترجمة لعبارة قالها بعض أولئك الطاعنين في موافق له و اشار الاستاذ الامام الى الرد عليها في رسالة التوحيد فانه بعد ان قرر قيام الاسلام بالدعوة والحجة ، واتشاره السريع بموافقة للفطرة ، قال رحمه الله تعالى في الرد علي قائل تلك العبارة وامثاله مانصه :

٣٤٤ حديث منع الدين بنصاري من ربيعة (المترج ٥ م ١٣)

« قال من لم يفهم ما قسمناه أو لم يرد ان يفهمه : ان الاسلام لم يطف على قلوب العالم بهذه السرعة الا بالسيف فقد فتح المسلمون ديار غيرهم والقرآن باحدى اليدين والسيف بالآخرى يرضون القرآن على المطلوب فان لم يقبله فصل السيف بينه وبين حياته . سبحانه هذا بيتان عظيم ، ما قدمناه من معاملة المسلمين مع من دخلوا تحت سلطانهم هو ما تواترت به الاخبار وتواترا صحيحا لا يقبل الريبة في جلته ، وان وقع اختلاف في تفصيله ، وانما اشهر المسلمون سيوفهم دفا عن انفسهم ، وكما لم يدوان عنهم ، ثم كان الافتتاح بعد ذلك من ضرورة الملك ولم يكن من المسلمين مع غيرهم الا انهم جاوروهم وأجاروهم فكان لجوار طريق العز بالاسلام وكانت الحاجة لصلاح العقل والعمل داعية الانتقال اليه » لو كان السيف ينشر ديننا فقد عمل في الرقاب للأكره على الدين والالزام به مهددا كل أمة لم تقبله بالابادة والحج من سطح البسيطة مع كثرة الحيوش ووفرة العدد وبلوغ القوة اسمى درجة كانت تمكن لها وابتداء ذلك العمل قبل ظهور الاسلام بثلاثة قرون كاملة واستمر في شدته بعد مجيء الاسلام سبعة اجيال أو يزيد فتلك عشرة قرون كاملة لم يبلغ فيها السيف من كسب عقائد البشر مبلغ الاسلام في أقل من قرن . هذا ولم يكن السيف وحده بل كان الحسام لا يتقدم خطوة الا والدعاة من خلفه يقولون ما يتأوّن تحت حمايته مع غيرة تفيض من الافتدة وفصاحة تتدفق عن اللسان ، وأموال تخبأ أبواب المستضعفين ، ان في ذلك لايات للمستيقنين . جلت حكمة الله في أمر هذا الدين : سلسلة حياة نبع في القنار العربية ، أبعد بلاد الله عن المدينة ، فاض حتى شملها فجمع شملها فأحيها حياة شعبية مليحة ، علا مده حتى استغرق ممالك كانت تفاخر أهل السماء في رفعتها ، وتلو أهل الأرض بمدنياتها ، زلزل هديره على لينه . ما كان استحجر من الارواح فانشقت عن مكنون سر الحياة فيها . قالوا كان لا يخلو من غلب « بالتحريك » قلنا تلك سنة الله في الخلق لا تزال المصارعة بين الحق والباطل والرشد والغي في هذا العالم الى ان يقضي الله قضاءه فيه ، اذا ساق الله ربيعا الى ارض جدبة ليحيي ميتها ، وينقم غلتها ، وينمي الحصب فيها ، أفينقص من قدره أن آتي في طريقه على عقبة فعلاها ، أو بيت رفيع العماد فهو به ؟ »

« حديث منع الدين بنصاري من ربيعة »

(من ٢٨) من الشيخ محمد بن سالم السكالي بسنفاوره

سيدي الاستاذ المحدث السيد محمد رشيد رضا المحترم متم الله المسلمين بحياته

بعد السلام : قد اشكل على العبد الفقير ماجاء في الصفحة ١١ ٣٣٣ من الجزء الخامس من كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر في ترجمة عبدالله بن عمر القرشي حديث : ان الله يمتنع (كذا) هذا الدين بنصاري من ربيعة . انتهى فاما هو صواب عبارة هذا المتن ثم ما معناه وهل هو صحيح ام لا ؟ أفيدونا لازلتم مصدرا للافادات في المشكلات والسلام

(ج) صواب متن الحديث « ان الله سيمنع هذا الدين بنصاري من ربيعة » فالتحريف من الطبع فيما يظهر والنسخة المطبوعة عندي بمصر ولا أعلم انها توجد هنا (في الاستانة) ومعني المنع الحماية ومنه منع الانصار النبي (ص) مما يمنعون منه نساءهم وأهلهم في حديث الهجرة أي حمايته . وهو يحمل على من أسلم منهم . وأما سنده فقد رواه عن سعيد بن عمرو بن سعيد الناص وأخرجه عنه النسائي ورجله كهم في تهذيب التهذيب لديكم فراجعوا تراجمهم فيه وفي غيره مما لديكم ومأراه يصح عنه ولكن ليس لدي الآن وأنا في السفر ما أراجع فيه ولا الحديث من المشهورات فيحفظ ولا هو مما يتعلق به عمل فيضراخير البيان فيه

باب المقالات

قوة الاجتماع والتعاون (*)

الاجتماع والتعاون قوة لا تغلب الا بقوة مثلها ، قوة بها ترقي ام وتعتز ، وبها يسود قوم على قوم ، وبها تنمي الثروة ، وبها يتغير شكل الحكومة والدولة ، وبها كان كل شيء ويكون كل شيء .

عشرة مجتمعون متعاونون ، يغلبون المئتين والالوف من المتفرقين المتخاذلين ، اذا افوا شركة مالية قطعت اسباب الكسب على اضعاف اضعافهم في العدد من التجار ، واذا كونوا عصبة للبغي والعدوان سلبوا راحة الالوف من الناس ، واذا قاموا بالاعمال الاجتماعية احدثوا تغييرا عظيما في العمران ، واذا نشروا العلوم والفنون افادوا ما لا يفيد الكثيرون من العلماء الاعلام .

لماذا كانت الحكومة الاستبدادية القليل افرادها أقوى من الامة الكثير عددها ؟ ليس لأن الحكومة جماعة متعاونة ، والامة أفراد متفرقة ؟ ولماذا كانت الامة الدستورية أقوى من حكومتها ؟ ليس لاجتماعها على رأي واحد في شكل الحكومة وكيفية سيرها ؟ فالى متى يظل المنحطون من الامم والشعوب غافلين عن هذه الحقيقة جاهلين طريق هذه القوة - قوة الاجتماع والتعاون - التي بها يرتفع شأنهم ، ويعلو قدرهم ، ويساوون تلك الامم التي ينظرون اليها كما ينظر أهل الارض الى الكواكب اللامعة في جو السماء ، ويحسدونها على ما أوتيته من السناء والبهاء ،

(*) نشرنا هذه المقالة وما إليها بمجريدة الحضارة التي تصدر بالاسبوع .

وهذه أخبار التاريخ الماضية ، وحوادث الاجيال الحاضرة ، تعلمهم ان الاجتماع مع التعاون هو القوة التي تذهب بشقايتهم ، وتسفيهم من أدوائهم ، وتحقق لهم أمانهم التي يتمنون ، وتعتبر لهم الرثوى الصالحة التي يرون ،

لو أردت ان آيين فوائد الاجتماع والتعاون بطرق الخطابة أو الشعر لاحتجت الى انشاء الدواوين ، ولو أردت ان اجمع الشواهد والوقائع في فضلها صنفت الاسفار الكثيرة في التواريخ ، ولكنني لأريد هذا ولا ذاك ، إن أريد الا تذكير القارئين بمسألة صارت من الضروريات ، لا يحتاج فيها الى نظم الادلة وترتيب المقدمات ، أريد ان أذكرهم ليعملوا ، لا ليعلموا مالم يكونوا يعملون ، ولا لأجل ان يتسلوا عند الفراغ بما يقرؤون ، أريد ان أقول لهم يا قوم انكم ضعفاء في العلم وانتم أذكى الناس أو من أذكاهم ، وانكم فقراء وانتم اقدر البشر على الكسب أو من أقدرهم ، وانكم مهضومون مستضعفون ، لغير ذنب نجنون ، الا تفرقكم ونحاذلكم . انه لا ينقصكم الا الاجتماع والتعاون فاجتمعوا وتعاونوا ، ولا يفرقن بينكم اختلاف ديني ولا جنسي مع العلم بأن الحاجة أو الضرورة تقضي باجتماعكم على مابه قوام مصلحتكم المشتركة لا أدعوكم الى اجتماع مبهم أو خيالي ، ولا الى تعاون مطلق أو اجمالي ، بل أدعوكم الى الاجتماع لازالة موانع الاجتماع ، ثم للتعاون على ترقية شأن الاجتماع بالعلم والثروة ، واعلاء شأن الامة والدولة ، بأن تكونوا اصحاب القدح الممل الذي يوشككم له ذكاؤكم الفطري وأخلاقكم الموروثة التي ينوء بها التاريخ ، اذ يفاخر بأجدادكم جميع الامم والشعوب :

يا قوم ان لكم من مجد اولكم اربا قد أشققت ان يفنى وينقطعما
يا قوم يبضتكم لا تفجعن بها اني أخاف عليها الازل الجذعا
ان الدولة لا ترتقي ولا تعز الا بالامة وان الامة بأخلاقها وعلوها وثروتها ،
وان الوراثة اكبر عون للمرء على التربية والعلم والعمل ، فتعاونوا على نشر التعليم
والتربية ، تعاونوا على ترقية الزراعة والصناعة والتجارة ، فقد آن لكم أن تخرجوا من
مأزق الاعمال الفردية الى فضاء الاعمال الاجتماعية ، فلو صار كل واحد منكم أغني من
قارون ، وأعلم بالحكمة من لقمان ، واخطب في العلوم والآسية والحكمة الادبية من علي

ابن ابي طالب ، وأعدل من عمر بن الخطاب ، وأدهى في السياسة المصرية من بسمرك ، وانشط من غليوم ، لما اعترف لكم أحد بحق ، ولامكنكم أحد من الاصلاح في الارض ، الا بعد ان تجتمعوا وتعاونوا

يجب ان توفلوا الشركات المالية ولا تنسوا بها المعنى الاجتماعي الادبي ، لا تنسوا انكم اذا خلطتم أموالكم بعضها ببعض تختلط أرواحكم بعضها ببعض فيزول سوء تأثير الاختلاف الطبيعي بينكم سواء كن اختلافاً في الدين والمذهب ، أو الجنس والمشرّب

يجب ان توفلوا الجمعيات العلمية والخيرية لتعميم التربية والتعليم بين جميع الطبقات ليكون افراد الامة كسلسلة اذا تحركت حلقة منها تحركت سائر الحلقات

يجب ان تطالبوا الاغنياء ببذل الاعانات العظيمة لنشر العلم وانشاء المدارس فن بخل على الامة بفضل ماله فليكن ان تبينوا للامة أنه عدوها وانه يجب عليها ان تمقته وتحقره ، وأما من يجود عليها بما يرفع شأنها فعملوها كيف تعظم شأنه وترفع قدره ، استعينوا على هذا بالكتاب والشعراء ، فهم الذين يربون لكم الاغنياء ،

يا أصحاب الاقلام : ان في أيديكم قوة تعمل مالا تعمل السيوف والمدافع ، ان من تعظمونه بالحق يكون قدوة واماماً في الخير لاهل عصره ، ولن يأتي من بعده ، وان من تحقرونه ولو بالباطل يكون محقراً في زمانه ومحقر في التاريخ حتى تستحي ذريته ان تنسب اليه فاعرفوا قيمة انفسكم كما عرفها بشاراذ قال :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم اني أخاف عليكم أن أغضبا
أبني حنيفة اني ان أهجكم أدع اليمامة لانساوي أربنا

اعرفوا قيمة هذه السلطة المعنوية التي لاتظهر قوتها على كالمها الا في الجرائد واستعملوها في اصلاح حال الامة فبذلك يعلمو قدركم ، ويرتفع ذكركم ، وتألون من الناس احسن الشكر ، ومن الله تعالى اكبر الاجر ،

وانتم يا أصحاب الجرائد أولى أصحاب الاقلام بهذا العمل لان صحفكم تجعل لكلامكم من التأثير مالميس لكلام غيركم الذي لا تقبلون نشره فيها فحرضوا

الكتاب والشعراء على هذا الاصلاح ونوهوا بفضل من يساعدكم عليه ولا تبالوا
 بمن عداه بل أدبوه كما تؤدبون بخلاء الاغنياء
 يا أصحاب الجرائد: لا تقتنكم سياسة الحكومة فتجعلوا عنايتكم محصورة في أعمالها
 وأقوالها، اجعلوا جل عنايتكم في اصلاح حال الأمة فلن تصلح دولة أمتها جاهلة
 متخاذلة، فباصلاح الأمة يتم لكم ما تريدون من اصلاح الحكومة فهي كل شيء ويجب
 ان يكون لأجلها كل شيء.

كيف تنال الأمة حقوقها؟

ان للأمة حقوقا طبيعية وشرعية ، وان حقوقها كحقوق الافراد تغصب منها
 وتقلب عليها ، وان الفاصب لها قد يكون واحدا منها أو واحدا من غيرها وقد يكون
 جماعة منها أو من غيرها ، واعني بالفرد الذي يغصب حق الأمة الحاكم المسند
 المطلق ، الذي يرجع اليه الأمر كله في سياستها، ان شاء عدل ، وان شاء ظلم ، وان
 شاء أشرك غيره بالحكم ، وان شاء انفرد ، وأعني بالجماعة الحكومة المقيدة كيفما كان
 شكلها ونوعها ،

اذا ظلم الافراد وغصبت حقوقهم يختصمون الى الحاكم فاما ان ينصفوهم واما
 ان لا ينصفوهم ، واما الامر فليس لها محاكم تختصم اليها ، لان حكامها هم الذين
 ينصبون حقوقها ، وماذا تفعل وخصمها هو الحكم ، وكيف تنتصف منه اذا جار
 وظلم ، ؟ ومتي تسترد حقوقها منه اذا اعتز وغلب ؟

لا تنال حقوق الامم بنظم الأقيسة وترتيب المقدمات ، واقامة الحجج وايراد
 اليناث ، ولا بالرجاء والتعليل ، ولا بالبكاء والعويل ، لان الفاصب لا يكون فاضلا
 عادلا فيقنعه البرهان، ولا رؤفا رحيم فيوثق من ناحية الوجدان ، وانما يكون فظا
 غليظ القلب ، لا يخضع الا للقوة والبأس ، فيعطي بالقوة كما يأخذ بالقوة ،

كيف تصير الأمة المغلوبة على أمرها ذات قوة تسترد بها حقها ، اذا كان
 الحاكم واقفا لها بالمرصاد ، مانعا إياها بقوته من إيجاد قوة لها ، ؟ اتقول ان البأس

من قوة أمة هذه حالها أقوى من الرجاء فيها ، أم قول يجب أن نشور على حكومتها ثورة تشيب النواصي ، وتزلزل الرواسي ، وتجعل الرفيع وضيعا ، والذليل عزيزا ؟ أم هنالك حيلة أخرى يكتفى منها بالقوة المعنوية ، عن القوة المادية ؟

هذه المعاني قد انتقلت من أوروبا الى الشرق ، وكثر الحديث بها في هذا العصر ، ولا سيما بعد الانقلاب العثماني والانقلاب الفارسي ، وربما تكون قد جالت في ادمغة زعماء الارنوط الذين أوقدوا نار الفتنة في هذه الايام ، وكانوا عوناً على الدولة وعلى انفسهم ، لاولئك الاعداء الذين أجمعوا كيدهم على اسقاط هذه الدولة بل على محوها واقتسام ترانها بدون حرب طحون تسفك فيها دماؤهم ، وتقتال بها اموالهم ، فهم انما يجار بونها حرباً معنوية ، يغرون عناصر أمتها بالعداوة والبغضاء ، ويضربون بعض أعضائها ببعض حتى تقضي على نفسها قضاء وشيكاً أو بطيئاً ،

يقول لسان حال هؤلاء الساسة أو لسان مقالهم للترك انكم انتم الفاتحون وأصحاب السيادة القادرون ، ولا حياة لكم ولا شرف ، بل لابقاء لكم ولا وجود الا بتعصيبكم لجنسكم ، وجعل زمام الامة في أيديكم ، فان هذه المزية اذا فاتتكم تكونون وراء سائر العناصر المنسوبة الى دولتكم ، لانهم أقدر منكم على الكسب ، ولا قدرون أن يسبقوهم بالعلم ، فاعتمدوا على هذه الكتائب قبل الكنب ، فهي التي تحفظ لكم السيادة على العجم والعرب ،

ويقولون للعرب انكم العنصر الاكبر في هذه الدولة ، ولكم الحق الاول في السلطة والخلافة ، وبلادكم قلب الارض ، وموطن الدين ومهبط الوحي ، ولعنتكم لغة القرآن الذي يدين به فيتعبد بها ثلاث مئة مليون من الناس ، ولكم من السلف في المدنية والعلم ، ما يدل على ان استعدادكم اعلى من استعداد الترك ، بل ومن غير الترك من شعوب الارض ، وهم قد خربوا بلادكم بعد عمراتها ، وحالوا بينكم وبين الاستفادة من كفاءتكم ومزاياها ، وقد آن أوان طلب الحقوق ، والمواخذة على العقوق

ويقولون للارنوط انكم شعب مجيد ، وانكم أولو قوة وأولو بأس شديد ، وانكم أقوى من الترك استعداداً للمدنية ، لانكم من الشعوب الاوربية ، وبلادكم

قابلة لذلك اذا هي استقلت بالحكم ، وأقتت عن كاهلها اقال سلطة الترك ، فدونوا
لقتكم بالحروف اللاتينية ، ولتتحد البلاد الشمالية بالجنوبية ، وسقنلون كل أمانة ،
بمساعدة أوربا عاشقة الانسانية ، ١١١

ويقولون للارمن انكم اذكي العثمانيين اذهاننا ، وأطلقهم لسانا ، وأجرأهم جنانا ،
واقدرهم على الكسب والاعمال ، واسبقهم الى الاتحاد على طلب الاستقلال ، وقد
جمعتم لذلك ما جمعتم من المال ، وركبتم في عصر نيرون الترك ما ركبتم من الاهوال ،
حتى اقتحمتم العقاب ، وذللتم الصعاب ، فلا تنهوا ولا تنوا في الامر ، ولا يصدنكم
ماتالون من الدولة عن طلب الملك ، وان أوربا المسيحية ، لزعيمة لكم بتحقيق هذه
الامنية ، فخذوا الالهة وانتظروا الفرصة ، وأعدوا لما الشعب كله ، بتعليم المدارس ،
ووعظ الكنائس ، ووضع صور ملوككم ، وصور يتامى وأرامل المقتولين منكم ،
في بيوت عامتكم وخاصتكم ، مع تحريك الاشجان ، واثارة الاضغان ، بالأناشيد
والالخان ،

ذلك مايوسوس به شيطان السياسة الجفسية ، في اغراء الشعوب العثمانية ، وما
هو الأ كيد وخداع ، جدير بالعصيان لا بالاتباع ، وأما ملك الالهام ، الداعي الى
الوفاق والسلام ، فانه يصبح بهؤلاء الاقوام : لا تستحبوا العمى على الهدى ،
واستجيبوا لداعي العقل دون داعي الهوى ، واعلموا ان تفرقكم واتقسامكم ، وعداءكم
ونخصامكم ، وإجلاء الدولة الى تفریق قوتها في بلادكم ، لمقاومة فتنتكم وثوراتكم ، هو
الذي يحول دون ارتقاتها وارتقائكم ، ويفضي والعياذ بالله الى هلاكها وهلاككم ،
وارث الدول الاوربية لارضكم ودياركم ، ووالله انكم لتكونن حينئذ أبعد عن الاستقلال ،
واقرب الى الخزي والنكال ، انكم تملكون اليوم في حجر هذه الدولة جميع اسباب
الارتقاء ، ولا تملكون غدا في حجور أوربا الا اسباب التدي والاستخذاء ،

لا مرجيا بغد ولا أهلا به ان كان (تفریق العناصر) في غد
لا أقول ان الدولة نفسها ترقيكم ، بل اقول انه لا يرجى ان ترقيكم ، لا لانها
لا تريد ، بل انها ان ارادت لا تقدر ، وانما يجب عليكم ان ترقوا انفسكم ، وترقوها
بترقيتكم ، قد صار أمرها في أيديكم ، نعم ان العنصر التركي هو الذي يدبر اليوم

أمر الحكومة ، لأن له الكثرة في مجلس الامة ، وان منكم من يسيء الظن به ،
ويعد غاصبا لحق غيره وما نال من الوصول الى مطلبه ، وان هؤلاء ليكبرون
الصغير ، ويغفلون عن الامر العظيم ،

الخطب سهل والامر طبيعي ولا ضرر في كون القلبة في الحكومة لنصر يرجح
قومه على غيره في الاعمال ، وانما الضرر ان يكون أمر الحكومة في ايدي العاجزين
عن الاصلاح ، وان القادرين عليه من جميع العثمانيين قليلون ، واننا الآن في دور
تجربة فندعهم يجرّبون ، ولا يجوز لنا ان نتأدى في سوء الظن ، ولا ان نؤاخذهم
على كل ذنب ، فنجعل ما يقتضيه الشخص ذنبا للنصر والشعب ، بل يجب على
العقلاء المحيين للاصلاح العناية بامر ين احدهما يتعلق باصلاح الحكومة والاخر
يتعلق باصلاح الامة

اما اصلاح الحكومة فله طريقان لابد من الجمع بينهما ، احدهما حسن اختيار
المبعوثين ، وأعضاء المجالس العمومية ، وثانيهما مراقبة العقلاء واصحاب الجرائد للحكام
والعمال في النظارات عامة ، ونظارة المعارف خاصة ، والاتقاع على الظالمين والمفسدين
منهم ، والسعي في زلزالهم ولا يتم شيء من ذلك الا بالاجتماع والتعاون
وأما اصلاح الامة فله طريقان ايضا لابد من الجمع بينهما ، احدهما نشر التعليم
الاھلي مع التربية الصالحة ، وثانيهما الاعمال المالية التي تنمي ثروة البلاد ، ولا يتم شيء
منهما الا بالاجتماع والتعاون ،

قد اشرت في مقالة (الاجتماع والتعاون) الى شيء مما يتعلق بالتربية والتعليم
والاستعانة على ذلك بالاغنياء ، وانما قصدت بذلك تنبيه الازھان ، وتوجيه الھمم
وتحريك الاقلام ، دون التفصيل والاستقصاء ، وعسى أن آين في مقال او مقالات
أخر كيفية الاجتماع والتعاون على كل من اصلاح الحكومة واصلاح الامة بشيء من
التفصيل ، وأحوج العثمانيين الى ذلك العرب والترك والكرد والارمن ، وأما الارمن
والروم والبلغار واليهود فلهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون ، وطرق معبّدة
هم فيها يهرعون ، فلا يحتاجون الى رأينا ، ولا الى معرفة طرق تعليمنا وسعينا ، بل
نحن المحتاجون الى معرفة سعيهم ، وطرق تربيتهم وتعليمهم

ان الاجتماع والتعاون على ذينك الاصلاحين هو الامر العظيم الذي غفل عنه الذين يتحدثون ويكتبون في مسألة حقوق العناصر ، هو القوة المعنوية التي تقني عن الثورة ، وتنال الامة به من حقوقها ما لا ينال بالسيف والمدفع ، مع امن الخطر على الدولة ، التي يجب الاتفاق على حفظ كيائها ، وتعزيزها ورفع شأنها ، قبل كل سعي ، ومع كل سعي ، وبعد كل سعي ،

يسمع في البلاد العربية قليل من الكلام ، ويوجد في بلاد الارنوط كثير من السلاح ، وكذلك في صحاري الجزيرة والعراق ، ولا تصلح البلاد بهذا ولا ذاك ، على ان السلاح هنا وهناك لم يقن للاستعانة به على الاصلاح ، وانما اتقي ليكافح ويدافع به الناس بعضهم بعضا وقد يسلون في وجه الحكومة اذا أحسوا بالظلم ، وكانت الحكومة ولا تزال بشوئم الماضي عاجزة عن تأمين تلك البلاد وحماية الأعرل فيها من عدوان شاكي السلاح ، وأما البلاد التي يشكى فيها من الحكومة ويطالب بعض العناصر فيها بحقوقه فهي أشد البلاد اخلاصا للدولة ، وأبعدها عن الخروج والفتنة ، اما العرب فقد خرج صوتهم من عاصمة الملك ، ورددت صدها سورية ومصر ، وهل يوجد أحد أعرف من العاصمة وسورية ومصر بقيمة الدولة واغير عليها وأحرص على عزتها ورفع شأنها ؟ كلا وانما ذكرت هذه الجملة استدراكا على كل ما تقدم ، لاثين ان الباحثين في حقوق العرب اكثرهم في هذه البلاد ، وانهم اعرق العثمانيين في الغيرة والاخلاص ، على ما كان من سوء التفاهم بينهم وبين القابضين على ازمّة الأمور كما بينا ذلك بالتفصيل في مقالنا «العرب والترك» بحسب ما ادانا اليه اجتهادنا الى ذلك الوقت ،

نحن نعتقد ان الاسلام قد حرم العصبية الجنسية ، وجعل المسلمين أخوة على اختلاف أجناسهم وعناصرهم ، وكنا نعتقد ان أشد التعصبات الجنسية ضررا على على المسلمين في هذا العصر تعصب العرب والترك للعربية والتركية ولذلك سمينا هنا (في الآستانة) جهدا قتنا بالقول والكتابة ، لسد هذه الثغرة التي فتحتها السياسة ، وقد قلت ولا أزال أقول إن الاسلام قد أبعد العرب عن النعرة الجنسية حتي صاروا أبعد الام عنها ، وانه لا يقدر أحد على اعادتها اليهم أو اعادتهم اليها ،

الهم الا من يتعاملون عليهم من الترك فهم وحدهم القادرون على هذا الامر ،
وقد عجز عنه الافرنج اذ حاولوه من قبل ،

ان سيرة ساسة الترك ومتولي أزمّة امورهم وكتاب اشهر جرائدهم هي سيرة
من يريد تحريك الجنسية العربية لا مفر من ذلك الابداء كونهم لا يعلمون ماذا
يعملون ، فاذا تحقق هذا فان نهى مثلي عن نهوض العرب باسم العرب ما عاد له
فائدة . فاعلى اذاً الا أن أذكرهم في جنسيتهم بأمرين لامدوحة عنهما . ولا يمكن
ان يحل محل العرب سواهم فيهما . أحدهما جعل أساس نهضتهم تعزيز الدولة العلية ،
وثانيهما ان يكونوا حلقة التعارف والاتصال بين جميع الشعوب الاسلامية ، فالامر
الاول يجب على المسلم وغير المسلم منهم لانهم العنصر الاكبر لهذه الدولة ، والامر
الثاني يجب على مسلميهم خاصة لانهم أولى بالارشاد الاسلامي وأقدر عليه من
غيرهم ، وهم بهاتين الوظيفتين المقدستين لا يقاسون على أمة ولا على شعب ولا يقاس
عليهم غيرهم ، فحقوقهم اعظم ، والواجبات عليهم اثقل ، وامامهم الصراط المستقيم ،
فلينبهوه إن كانوا فاعلين ، والله الموفق والمعين .

النهضة المصرية والدستور

مصر بلاد ممتازة في ادارتها الداخلية، تابعة للدولة العلية العثمانية، فكل مصري
عثماني ، وما كل عثماني مصرياً ، فبينهما العموم والخصوص المطلق كالمهندس والمتعلم
مثلاً ، فكل مهندس متعلم ، وما كل متعلم مهندساً

مرّاً على العثمانيين والمصريين زهاء ثلث قرن وهما على طرفي قبض ، أو حرفي
تباين ، إذ هؤلاء يرسفون في قيود العبودية ، وأولئك يرفلون في حلل الحرية ،
ثم تحول شكل الحكومة العثمانية فجأة فطفرت من هاوية الاستبداد المطلق ، الى قنة
الحكم النيابي المقيد ، فأحدث هذا الطفور شيئاً من رد الفعل فقامت الحكومة العرفية
نحوط وتحمي حتى الحكومة الدستورية ، فلولاً الجند العثماني لما ذكر الدستور جبراً

في هذه البلاد ، ولولا الجيش لما طمع احد في استقرار الدستور فيها ،
وأما مصر فكانت تنطق اذ كانت البلاد العثمانية صامته واجمة ، وكان العثماني
الحري لا يستطيع ان يتكلم في بلده ، فالمصريون قد طلبوا الدستور بصوت اندى من
صوت العثمانيين واصرح ، هم طلبوه جهرا اذ كنا نطلبه سرا ، ولكن لم يكن لهم
جيش كجيشنا يلبي نداءهم ويحجب دعاءهم ، ولم تكن بلادنا كبلادهم محتلة بجيش
اجنبي ، ولا حكومتنا كحكومتهم محاطة بنفوذ دولة اجنبية قوية ، فوجب ان يكون
طلبهم بالحجة ، وثرية الاحساس وجمع الكلمة ، فكل من الفريقين قد سعى الى
مطلبه في محيط الامكان ، ولم يطمع في تجاوزه الى المحال ،

قويت حجة المصريين بعد اعلان الحكومة الدستورية في بلاد الدولة العلية
التي هي امهم وهم اقدر اولاد هذه الام على رفع بلادهم ، وترقيتها بمجدهم واجتهادهم
وقد انتشر فيهم التعليم ونمي في نفوسهم شعور القومية ، واتسعت دائرة التكافل
والتعاون على المصالح العامة ، فانشأوا بأموالهم الوفا من الكتائب الابتدائية وانشأوا
مدرسة الجامعة المصرية ، وعندهم عدة جمعيات خيرية وعلمية ، وكثروا قراء الجرائد
والمجلات فيهم ، وبلادهم متصل بعضها ببعض بالسكك الحديدية فلا يحدث في
زاوية من زواياها حادثة ذات بال الا ويطوف خبرها جميع ارجائها في يوم أو يومين ،
فأنتى للبلاد العثمانية ان تشاركها بهذه المزايا كلها ؟ فمن انكر على المصريين استحقاق
الحكم النيابي الذي يتمتع به العثمانيون زاعما ان استعدادهم دون استعداد اخوتهم
له فهو اما جاهل ملهم ، وإما ظالم ميين

أنا أشهد ان مصر قد صارت أقوى استعدادا للحكم النيابي بفضل التابخين من
أبنائها وأبناء اختها سورية الذين جذبتهم اليها جامعات اللغة والجوار والمعدات وبما
استفادته من مشاركة أبناء الشعوب الاوربية ، وبما ساقه اليها الاحتلال الانكليزي
من ضروب العبر في سيطرته على حكومتها ، وتصرفه في ادارتها ومالياتها ، وبما نفخه
استئصال السلطة الاجنبية في نفوس أهلها من حب الخلاص مع بقاء سيادة الدولة العلية
عليها ودوام ارتباطها بها في السياسة الخارجية

مع هذا كله أقول ان مصر لا تزال مقصرة في أمر عظيم هو الركن الاعظم والبرهان القاطع لشبهات الاحتلال ولو اهتمت أحزابها وجرائدها به كالاتهام بالسياسة لكانت أقرب الى النجاح والفلاح . ألا ان هذا الامر العظيم هو مايدل عليه بالابجاز لفظ (الاقتصاد) وبيانه بالتفصيل والإطناب ، تدخل فصوله في كثير من الابواب ، وما من باب منها الا وقد دخله كثير من المصريين ، فالافراد منهم يعرفون جميع الجزئيات ، ولكن الاحزاب والجماعات لما تهم بما يجب من الكليات نريد من الاقتصاد ان تكون رقة البلاد لاهلها خالصة لهم من دون الاجانب وأن يكونوا أحرارا في تصرفهم بها ، نريد ان يقف سريان امتلاك الاجانب للارض عند الحد الذي وصل اليه ، وان نضع عن الوطنيين اصهرهم واغلال الديون التي غلوا بها أيديهم الى أعناقهم ، وقيودها التي قيدوا بها أرجلهم ، ثم نريد ان تكون ثروة البلاد قوة في ايدي أبنائها يواظون بها من شاءوا من الامم ويحادون بها من شاؤوا فيعملون بها مالا يعمل السيف ولا القلم فتكون هي العون والنصير لهم في مقاصدهم السياسية والاجتماعية

المال هو القطب الذي تدور حوله أفلاك السياسة في جو هذه المدينة فلولاها لما زحف اهل الشمال على أهل الجنوب في الشرق والغرب واستولوا على بلادهم باسم الفتح والاستعمار ، أو النفوذ والاحتلال ، وان اصحاب الاموال في اوربالهم الذين يتصرفون في سياستها كما يشاءون ، ويدهم ميزان الحرب والسلم فهم الذين يزنون ويرجحون ،

ما كان لأهل الشمال أن يكونوا أقوى من أهل الجنوب استعدادا للاعمال المالية، إن زعامة المال فيهم ليست إلا بأيدي رجال منا، انها كما يعلم الخيرون في أيدي اليهود وهم منا (نحن الشرقيين) نسابو وموطنا وانما ظهرت براعتهم في اوربا باستقرار العدل والحرية فيها ، وبلي اليهود في الاستعداد سائر اخوانهم السوريين والفلسطينيين ، وان سورية ومصر لأختان شقيقتان ، وقد تمازج أبناؤهما منذ القرن الماضي فكانا كزاج الماء بالراح ، فاستفاد كل من الآخر ولولا أن قام بعض الكتاب بما قام به من

سياسة التحليل ، وإضافة ذنوب الافراد الى الشعب والقبيل ، لكان الاتحاد أقوى والاستفادة منه أتم

كل سوري بل كل عربي بحجي ، مصر وقيم فيها يحسبها وطنه ويرى أهلها قومه واخوته ، لسانهم لسانه ، وعاداتهم عاداته ، ومحاكمهم محاكمه ، فاذا اثرى فيها كان هو التابع لثروته ، ولم تكن ثروته هي التابعة له الى بلاده ، تجذبه مصر اليها فيكون عضوا من أعضائها ، أو مادة من مواد غذائها ، ولا يجذب هو شيئا من ثروتها الى بلاده لتكون غذاء لها ، فالمالي من السوريين أو العرب يمد حياة مصر المادية بكده وكدحه ، كما يمد العالم والاديب منهم حياتها المعنوية بلسانه وقلعه ، فينبغي للمصريين ان يحكموا روابط الاتحاد بينهم وبين من يتصل بهم من اخوانهم المشاركين لهم في جميع مصالحهم ومنافعهم ويستعين بعضهم ببعض على ما تجب العناية به من الهضة الاقتصادية

ان حوادث الزمان قد أعدت النفوس لاحكام هذا الاتحاد وتوثيق روابطه فاستعدت له وقد ترجم عن هذا الاستعداد مدير « الجريدة » في السنة الماضية بمقالة له اقترح فيها اخراجه من حيز القوة الى حيز الفعل ، وان وراء ذلك قوة أخرى لمصر هي غافلة عنها ، وما رأيت أحدا نبه اليها ، وهي زعامة ارقاء الامة العربية بأسرها ، ولا سيما الولايات العثمانية منها ، فقد دبت الحياة الى هذه الولايات بفضل الدستور وتوجهت وجوه العقلاء الى احياء اللغة العربية بالقول والكتابة والعلوم والفنون ، وان عاصمة دار السلطنة لمي التي تحفز همتهم الى ذلك ، وان سورية لمبسوطة الذراعين لعناق مصر وناشرة الشفتين لتقبلها

فالذي أقترحه على مصر الآن هو أن تبادر الى تأليف جمعية أو لجنة اقتصادية أعضاؤها من جميع الاحزاب والعناصر الخاضعة للقوانين المصرية ومن أصحاب الجرائد لاجل القيام بما أشرنا اليه آنفا ، ويجب ان يكون أول عملها احصاء ديون الاهالي والنظر في الطرق القرية لوفائها وتحويل مدها الى جزر لا تفيض بعدها ، ثم النظر في مسائل المضاربات والشركات وتلافي ضررها العظيم ، ولا تحاول الاحاطة ببيان كل ما يجب ان تعمله لمنع اغتيال الاجانب ثروة البلاد وتنمية هذه الثروة

وتتميرها ، بل لا يستطيع ذلك مثلي ، فانما أنا مذكر بالامور السكلية التي أرى البلاد قد استعدت لها أو يجب ان تستعد لها ، وان وراء ما ذكرته من المبادئ غايات لاتحصى فوائدها ،

انني قد ذكرت اخواني المصريين بمثل هذا غير مرة ، ذكرتهم به منذ ثلاث عشرة سنة أول مقدي الى مصر في خطب خطبتها ومقالات كتبتها في المنار والمؤيد ، ثم أعدت التذكير بذلك في « الجريدة » أول العهد بصدورها وها أنا ذا أعيد التذكير « فذكر ان نفعت الذكري ، سيدكر من يخشى »

اذا كانت السياسة قد شغلت قلوبهم وأفكارهم ، وملكت عليهم ألسنتهم وأقلامهم ، فهم يعلمون ان هذا العمل لا يعارض سياستهم بل يدعمها ويعززها ، فاذا لم يكن الآن وسيلة عاجلة للحكم النيابي فرجما يكون غدا أرجى الوسائل وأقربها ، فان قالت البلاد ما نطلبه من هذا الحكم بالوسائل التي يراها الاحزاب أقرب فليس بضارهم ان يجمعوا بين حكم أنفسهم بأنفسهم وبين حفظ ثروتهم من اغتيال الاجانب ، وقد يضرهم ان لا يكونوا جامعين لها ، فاننا نرى الحكومة العثمانية - وقد صارت دستورية - مفولة الايدي دون ما تبغني من الاصلاح لقلة المال ، وقد كان دينها قبل الدستور قريبا من دين الحكومة المصرية ولكن الامة العثمانية على فقرها وتأخر عمرانها ليست مدينة للاجانب كالامة المصرية على سعة ثروتها وعمران بلادها ،

لا بد لكل من يتصدى لامر عظيم أن يرجو الفوز ويخاف الخذلان وان يعد لكل امرئ عتده ، وحجة المصري على وجوب حكمه لبلاده لا تزال ناهضة مادامت رقبة البلاد في يده لاحقوق فيها للاجانب ، والآن قد صار زها وخمسها ملكا للاجانب أفلا يخشى ان يطغى هذا السيل الاتي حتى يغمر نصف أطيان القطر أو أكثر من النصف في زمن قريب اذا لم تقم في طريقه السدود التي تصد طغيانه ؟ ألا يخشى ان يتحد يومئذ اصحاب الاطيان من الاجانب واصحاب الديون على الفلاح الوطني كما هي عادتهم ويقولوا ان هذه البلاد ليست لكم وحدكم أيها المصريون فيصح قولكم نحن أولى بحكمها وانما هي لنا ولكم ، ونحن أقدر على الحكم منكم ، أو يجب أن يكون مشتركا

بيننا وبينكم كما قال لورد كرومر؟ يومئذ لاتنفع الحجج ولا تفيد المظاهرات ولا يفي الاعتصاب شيئا الا غناء قد يكون انما اكبر من فقه

قد رأيتم العبرة في العسرة المالية التي صدمت البلاد في هذه السنين الاخيرة، رأيتم كيف أصبح أصحاب الاراضي الواسعة أحير من الضب، واعجز من أسير الحرب، هذا ولم يكن أصحاب الاموال في أوربا متحدين على تعمد حربكم حربا اقتصادية، وهل يعجز دهاة السياسة الانكليزية أن يحملهم على هذا الاتحاد في يوم من الايام؟

لكل قطر طبيعة واستعداد والقوة الطبيعية أنفع من القوة المتكلفة، والامة المصرية مستعدة لمغالبة كل أمة من أمم الارض، بقوتي الثروة والعلم، وليست مستعدة لمقاومة دولة كبيرة بالحرب، ولا سيما في هذا العصر، فليكن اعتمادها على ما هو قريب من استعدادها، وعناية الله كافلة لما نيل مرادها،

تاريخ التجنيد العثماني (*)

كان قانون أخذ العسكر موضوع جلسة يوم السبت في مجلس الامة كما يراه المطالع في باب هذه المذكرات من هذا العدد . وقد صدره قومسيون العسكرية في المجلس بمقدمة تاريخية باحثه عن طرق التجنيد في الدولة منذ تأسست الى يومنا هذا فأحينا اقتطف المهم منها لمحيي التاريخ

« اذا استثنينا الرومان قلل ان نصادف في تاريخ عسكرية الامم اشارة لوجود اجناد دائمة منتظمة . وفي القرون الوسطى كان هذا الامتياز للعثمانيين وبعد قرن من ذلك أسس شاول السابع ملك فرنسا أجنادا دائمة

« كانت أجناد العثمانية الى سنة ١٧٣٠ هـ مؤلفة من المتطوعين وعبارة عن جيش مؤقت يقبل فيه كل راغب من الشبان . لم يكن لباس الجند واحدا بل كان

(*) نقلناها من جريدة الحضارة التي تطبع بالآستانة

كل واحد يلبس ما يشتهي ويحمل السلاح الذي يريد . وكان الفرسان اسمى مقاما من الرجال . والاسلحة يومئذ عبارة عن الحسام والسنان والترس والقوس . وكان هذا الجيش المتطوع يدعى « آقينجي » (معناه السيل الجارف) ويوجد غير هذا الجيش جند يدعون العساكر الخاصة يقيمون دائما في قاعدة الحكومة

« فلما اتسعت الفتوحات لم يبق من الممكن الا كتفاء بذلك الجيش القليل الصعب جمعه وترتيبه ومست الحاجة الى ايجاد صنوف الرجال ففي عهد السلطان اورخان اثمر أخوه الوزير الاعظم علاء الدين باشا و خليل باشا العجاندارلي ورتبا خطة لايجاد عسكر دائم فوضعوا أساس الجند المسمى « يكيچريه » (معناه العسكر الجديد) وقد عربها العرب بكلمة انكشارية) وأوجبوا أن يكون الرزي العسكري مطردا ولما في هذا الجيش من أولاد النصارى الذين ادخلوهم في طاعتهم قد نشأ بين الانكشارية هؤلاء كثير من القواد البرية والبحرية الذين لا يبلى ذكركم ولم يكن في ذلك العهد جيش يضارعه عند أمة من الأمم .

وكان كبيرهم الاعظم يلقب آغا وهو في مقام ناظر الحرية . ومن عاداتهم قدس القدور التي يطبخ بها وهي تعطى لهم من قبل السلطان ويجمعون حولها

وكان من يبرز على أقرانه في الحرب والطعان من الرجال والفرسان يكافأ على ذلك متى بلغ الاربعين او الخامسة والاربعين من العمر فيعطى من البلاد المفتوحة خراج مقاطعة مثل لواء أو قضاء أو خراج قرية واحدة فقط فما كان من الاقطاع تبلغ وارداته من ٣٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ أقجه يسمى تيمارا . وما كانت وارداته من ٢٠٠٠٠ الى ١٠٠٠٠٠ أقجه يسمى زعامة فكل ذي تيمار عليه ان ينفق عن حساب كل ٣٠٠٠ أقجة على راجل واحد . وكل ذي زعامة عليه ان ينفق عن حساب كل ٢٠٠٠٠ أقجة على فارس قادر تام الأمانة . فاذا وقعت حرب كان هؤلاء مع رجالهم المكلفين بنفقاتهم حاضرين مع الملك . ويسمى هؤلاء بالفرسان ذوي الاطيان (الاراضي) وقد بلغ عددهم في عهد السلطان سليمان القانوني مئة وخمسين ألفا وفي عهد محمد الرابع بلغ عددهم مئة وتسعة وسبعين ألفا ومشتين

أما عدد العساكر في تلك الاعصار فكان هكذا: القيوقولى ٧٤١٤٨ والفرسان
أولو الاطيان مع فرسان الالايات الممتازة ١٧٤١٩٢ والعساكر البحرية ٥٥٧٢
المجموع ٢٦٣٩١٢ وأما القول بأن القانوني دخل بلاد البحر ثلاث مئة ألف مقاتل
معه ٣٠٠ مدفع فهو من روايات المؤرخين الاجانب

في بدء احداث الانكشارية كان الواحد منهم يعطى في اليوم اقجه واحدة
والاقجه سكة عثمانية فضية وزن ثلث درهم فضة من عيار التسعين ثم تنزل عيارها
فاقتضي ذلك ان يزداد لهم الى ثلاث اقجيات وفي أواخر القرن العاشر زيد لهم الى
خمس وفي القرن الحادي عشر زيد لهم سبع ثم زيد لهم في أواخر امرهم الى سبع
وعشرين اقجه في اليوم ولم يكن من مساواة في العطاء بل كان بعضهم يأخذ أكثر
من بعض . أما آغاهم فكان يأخذ خمس مئة اقجه في اليوم

كان هذا الجيش اسمى جيش في الدنيا ولم يكن يوجب من فتح الا الى فتح
آخر حتى رفع مركز السلطنة العثمانية الى الذروة العليا التي امتازت بها بين الدول ولكن
امر الزمان عجيب فان هذا الجيش الذي كان سبب هذه النعم العظيمة مالبت ان
طفي واستكبر ، واستولى عليه الغرور والاشتر ، فدخل عليه الفساد من كل باب ،
وتوصل اليه المكروه بمجملته اسباب ، فعاد شوئها على الدولة بعد ان كان يمتنا ، وبوئسا
بعد ان كان نعمى ، حتى بلغ بعد القرن الثاني عشر مبلغا من تفكك الروابط وشيوع
الفوضى وقلة الطاعة وكثرة عدم المبالاة ليس وراءه مبلغ فاصبح بعد تلك البسالة
العظيمة التي امتاز بها يكثر فيه الفارون من مواطن الزحف حتى من امام الجيوش التي
هي اقل منه عددا

وكانت العسكرية في أوربا قد بدأت تخطو خطوات واسعة في درجات
الكمال فيومئذ صرفت وجوه الآمال عن مغالبة الخصوم بالهجوم والفتوح وبقيت
الافكار مشغولة بأمر الدفاع عما في اليد لان القوة العسكرية اصبحت على وشك
الاضمحلال البتة

جال هذا الامر في فكر سليم الثالث ونظر الى عاقبة امر الدولة اذا ظل زمام
المدافعة بيد هؤلاء الانكشارية الذين كثر فيهم الفشل واستولى عليهم الخطل فتبدى

له رأي ونهض له بقوة . ذلك أنه أحدث عسكريا على قواعد تناسب الزمان والمكان وجعل له عنوان «نظام جديد» وجمع من هذا النظام الجديد ثلاثين ألفا وعزم على إلغاء الانكشارية . ولكن هذا النظام الجديد لم يستطع الوقوف أمام بأس الانكشارية إلا نحو ست سنين . ولم يتمكن سليم الثالث من تلك الامنية العظيمة التي كان يتقاضى الظفر بها بقاء الدولة

لكن الذي لم يتيسر لسليم الثالث تيسر لمحمود الثاني الذي رأى ان إلغاء هذه العساكر العظيمة باصدار الاوامر ليس من الممكن وأن هذا الامر لا يتم الا بالتكثير والقشريد بهم فاستقى في قتلهم على إثر تمرد وبغي وطغيان فألقى فيه وتوسل الى اجتثاث هذه الشجرة من أصلها بما هدته اليه الفطنة المتوقدة وكان ذلك في يوم السبت في ١١ ذي القعدة من عام ١٢٤١ هـ - ١٧ حزيران ١٨٢٦ م

وأما آغا الانكشارية حسين آغا فانه كان مقتنعا بفوائد النظام الجديد فاعطي لقب باشا ونصب سر عسكريا وقبعت العساكر الجديدة بالعساكر المحمدية المنصورة هكذا وضع أساس النظام الجديد لعسكريتنا وعلى هذا يكون عمر جيشنا الجديد سبعا وثمانين سنة . ينقسم تاريخ الجيش الجديد الى ثلاثة ادوار الاول دور القم والثاني دور القرعة والثالث دور التكليف العسكري . فالدور الاول من ١٢٤١ الى ١٢٦٠ أي عبارة عن تسع عشرة سنة كانوا يلمون العسكري ممن صادفوه من الشبان الاقوياء . لم يستأنس الناس في بدء الامر بهذه الطريقة لانهم كانوا قد تعودوا روية هية الانكشارية وانكروا من هذه الطريقة انها من سنن الافرنج

ولم تكن مدة التجنيد معينة أيضا وفي ١٢٤٤ - ١٢٤٥ وقعت الحرب بين الدولة والروس (التي انتهت بمعاهدة ادرنه) فكان من البديهي ان لا تظهر الثمرات المنتظرة من النظام الجديد لقصر المدة وفي تلك الاثناء اخذ لخدمة الدولة المارشال مولسكه الذي ظفر في محاربة ثلاث دول في بحرست سنين واطلع من ادارة روسيا الصغيرة امبراطورية المانيا العظيمة ولكن حالات الحوائل دون الاستفادة من خدمة هذا الرجل العظيم فان الدولة في تلك السنين كانت قد شغلتها حوادث وحروب المورة

والبوسنة والمهرسك والتپه دلتلي ومحمد علي وكان عدد الجيش الجديد هكذا: العساكر المنتظمة ٨٠.٠٠٠ والرديف ١٣٠.٠٠٠ والعساكر البحرية ٥٠٠٠ الجميع ٢١٥.٠٠٠ وكان سوى هؤلاء نحو من عشرة آلاف من الخيالة المنتظمة ونحو أربعة ألاف من الخيالة العتق.

واتوا بعد ذلك بمعلمين من المانيا فحصل اصلاح في ترتيب الجيش ولكن طريقة اللثم كانت لا تزال على حالها فلذلك لم تصل الاصلاحات الى الدرجة المطلوبة ودام الامر على هذا المنوال الى ١٢٦٠ ففي هذه السنة وضع اساس جديد للدولة بمعرفة رشيد باشا الكبير وقرئ خط كلخانه الذي يتضمن هذا الاساس فدخلت عسكرينا الجديدة في دورها الثاني

من هذا التاريخ ألغيت طريقة اللثم ، ووضعت طريقة القرعة ، وحددت مدة العسكرية ، ووضع قانون لاخذ العسكر على هذه الطريقة من قبل ضباط بروسيانيين جعلت بموجبه خدمة العسكر الموظف خمس سنين والرديف سبعا ومن دخل في أسنان العسكرية تسحب قرعته فان اصابته القرعة تلك السنة يؤخذ وان لم تصبه يترك الى السنة التي بعدها . فان لم تصبه مدة السنين الخمس يعفى من الخدمة . وقد قسمت البلاد العثمانية الى دوائر رديفية فأصبح للعسكرية نظام حقا . وفي حرب القريم ظهرت ثمرات عظيمة من هذا النظام . وقسمت الاجناد كلها الى ستة كان كل جند (اردو) فيه حين السلم ستة ألاف رجال واربعة ألاف خيالة وألوي واحد مدفعي سيار فكان عدد الاجناد حين السلم هكذا : النظامية ١٥٠.٠٠٠ ونحو من ذلك عدد الرديف بحيث يتكون من النظامية والرديف وقت الحرب ٣٠٠.٠٠٠

وفي خط كلخانه يوجد نص على أنه يؤخذ للعسكر من غير المسلمين ولكن اقتضاءات الزمان منعت من ذلك

وفي عام ١٢٨٦ حدث تحوير في ترتيب العسكرية فجلت مدة الخدمة ثلاثا للعسكر الموظف ، وستين لخدمة الاحتياطية ، وستا للخدمة الرديفية ، وثمانيا للمستحفظية وكان عدد الاجناد في ذلك العهد هكذا : النظامية والاحتياطية ٢٣٧.٠٠٠ والرديف ٣٥٠.٠٠٠ أو يزيد على هذا المقدار . وكان عدد أجناد الدولة كلها في زمن محاربة

روسية ۷۵۹.۰۰۰ ولكن لاستمرار الحرب ثلاث سنين وضياح كثير من الارواح تضعف هذا الجيش ومست الحاجة بعد ذلك لتحويرات فيه ففي عام ۱۸۰۷ وتسعين حوّل اسم السر عسكرية الى اسم نظارة الحرية وقسمت اللوازم والاستعدادات العسكرية الى شعب ودوائر وأخذت الاجناد شكلا آخر جديدا . وفي عام ثمان وتسعين اتى بجماعة من ضباط الالمان من صنوف مختلفة في الجيش الالماني وأخذت آراؤهم في الاصلاح العسكري وكان برأسهم كهلر باشا . وبعد سنة جيء بالكباشي فوندرغولج باشا فأرشد هذا الى طرق كثيرة للاصلاح العسكري بالرغم عما كان يحول بينه وبين الاصلاح من الموانع التي هي معهودة ومعروفة في ذلك العهد الى هذا الرجل يعزى النظر في ترتيب الدروس أحسن ترتيب في المدرسة الحرية ، واليه يعزى السبب في تغيير طريقة القرعة ووضع قانون أخذ المسكر المعمول به الى عهدنا هذا

* *

« أما حرمان أبناء وطننا غير المسلمين من خدمة العسكرية مع أن لهم حقا بالشرف الذي يحصل من خدمة الاوطان فكان خطأ من حكومتنا لا يعفى عنه وكان من دواعي انكسار خاطر هؤلاء الشركاء في الوطن والاغرب من ذلك حرمان أهل هذه العاصمة من هذا الشرف ايضا

فمن موجبات الشكر أن أول شيء تفكرت فيه حكومتنا بعد التغير الجديد السعيد في الوطن هو الاسراع لدفع هذا الخطأ المنافي للقانون الاساسي هذا هو تاريخنا العسكري ومنذ الآن سينال أبناء وطننا من غير المسلمين نصيبهم من شرف الدفاع عن حياض الوطن ، ويقفون مع زملائهم المسلمين صفاً واحداً أمام كل عدو معرضين حياتهم للمقاومة في سبيل مقصد واحد هو إعلاء شأن الرابطة الوحيدة التي تضم قلوب جميع العثمانيين حول وطنهم العزيز

العمران العربي

﴿ وصف الجامع الاموي ﴾ *

هو من أشهر جوامع الاسلام حسنا وايقان بناء وغرابة صنعة واحتفال تنميق وتزيين وشهرته المتعارفة في ذلك تفني عن استغراق الوصف فيه . ومن عجيب شأنه انه لا تنسج به العنكبوت ولا تدخله ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف . اتدب لبنائه الوليد بن عبد الملك (رح) ووجه الى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره بأشخاص اثني عشر ألفا من الصناع من بلاده وتقدم اليه بالوعيد في ذلك ان توقف عنه فامثل أمره مذعنا بعد مراسلة تجرت بينهما في ذلك مما هو مذكور في كتب التواريخ فشرع في بنائه وبلغت الغاية في التأنق فيه وانزلت جدره كلها بفصوص من الذهب المعروف بالسيفساء وخلطت بها انواع من الاصبغة الغريبة قدمثلت اشجارا وفرعت اغصانا منظومة بالفصوص بيدائع من الصنعة الانيقة المعجزة وصف كل واصف فجاء يغشي العيون وميضاً وبصيصاً وكان مبلغ النفقة فيه حسبما ذكره ابن المعلي الاسدي في جزء وصفه في ذكر بنائه مئة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرين ألف دينار ومثلاً ألف دينار فكان مبلغ الجميع احد عشر ألف ألف دينار ومثلاً ألف دينار . والوليد هذا هو الذي أخذ نصف الكنيسة . الباقية منه في ايدي النصارى وأدخلها فيه لانه كان قسمين قسماً للمسلمين وهو الشرقي وقسماً للنصارى وهو الغربي لان ابا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه دخل البلد من الجهة الغربية فاتته الى نصف الكنيسة وقد وقع الصلح بينه وبين النصارى ودخل خالد بن الوليد رضي الله عنه عنوة من الجانب الشرقي

(*) نقلاً عن رحلة ابن جبير من وصفه للجامع الاموي اذ زاره في سنة ٥٨٠ هـ

وانتهى الى النصف الثاني وهو الشرقي فاحتازه المسلمون وصبروه مسجداً وبقي النصف
المصارع عليه وهو الغربي كنيسة بأيدي النصارى الى ان عوضهم منه الوليد فابوا
ذلك فانزعه منهم قهراً وطلع لهدمه بنفسه وكانوا يزعمون ان الذي يهدم كنيستهم
يجن فبادر وقال أنا أول من يجن في اللهو بدأ الهدم بيده فبادر المسلمون واكلاوا هدمه
ذرعاً في الطول من الشرق الى الغرب مثناً خطوة وهما ثلاث مئة ذراع وذرعاً
في السعة من القبلة الى الجوف مئة خطوة وخمس وثلاثون خطوة وهي مثناً ذراع
فيكون تكسيره من المراجع الغربية اربعة وعشرون مرجعاً وهو تكسير مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم غير ان مسجد رسول الله صلى الله عليه من القبلة الى
الشمال . وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاثة مستطيلة من الشرق الى الغرب سعة كل
بلاط منها ثمان عشرة خطوة والخطوة ذراع ونصف وقد قامت على ثمانية وستين
عموداً منها اربعة وخمسون سارية وثمانى أرجل جصية تتخللها واثنان مرخمة ملصقة
مهما في الجدار الذي يلي الصحن وأربع أرجل مرخمة أبدع ترخيم مرصعة بفصوص
من الرخام ملونة قد نظمت خواتيم وصورت محاريب واشكالاً غريبة قائمة في البلاط
الاطراف تقل قبة الرصاص مع القبة التي تلي المحراب سعة كل رجل منها ستة عشر شبراً
وطولها عشرون شبراً وبين كل رجل ورجل في الطول سبع عشرة خطوة وفي العرض
ثلاث عشرة خطوة فيكون دور كل رجل منها اثنين وسبعين شبراً . ويستدير
بالصحن بلاط من ثلاث جهاته الشرقية والغربية والشمالية سبعة عشر خطى وعدد
قوائمه سبع وأربعون منها اربع عشرة رجلاً من الجص وسائرهما سوار فيكون سعة
الصحن حاشا المسقف القبلي والشمالي مئة ذراع . وسقف الجامع كله من خارج
الواح رصاص

واعظم ما في هذا الجامع المبارك قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وسطه سامية في الهواء
عظيمة الاستدارة قد استقل بها هيكل عظيم هو غارب لها يتصل من المحراب الى الصحن
وتحت ثلاث قباب قبة تتصل بالجدار الذي الى الصحن وقبة تتصل بالمحراب وقبة تحت قبة
الرصاص بينها . والقبة الرصاصية قد أغصت الهواء وسطه فاذا استقبلتها ابصرت منظر ارائها
ومرأى هائل يشبه الناس بنسر طائر كأن القبة رأسه والغارب جوفه ونصف جدار البلاط

على يمين ونصف الثاني على شمال جناحاه وسعة هذا الغراب من جهة الصحن ثلاثون خطوة فهم يعرفون هذا الموضع من الجامع بالنسر لهذا التشبيه الواقع عليه . ومن اي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء منيفة على كل علو كأنها معلقة من الجو . والجامع مائل الى الجهة الشمالية من البلد وعدد شمسياته الزجاجية المذهبة الملونة اربع وسبعون منها في القبة التي تحت قبة الرصاص عشر وفي القبة المتصلة بالحراب مع مايلها من الجدر اربع عشرة شمسية . وفي طول الجدار عن يمين الحراب ويساره اربع وأربعون وفي القبة المتصلة بجدار الصحن ست وفي ظهر الجدار الى الصحن سبع وأربعون شمسية .

وفي الجامع ثلاث مقصورات مقصورة الصحابة رضي الله عنهم وهي أول مقصورة وضعت في الاسلام وضعها معاوية بن أبي سفيان (رض) وبازاء محرابها عن يمين مستقبل القبة باب حديد كان يدخل معاوية (رض) الى المقصورة منه الى المحراب وبازاء محرابها لجهة اليمين مصلى أبي الدرداء (رض) وخلفها كانت دار معاوية (رض) وهي اليوم سماط عظيم للصغار ين متصل بطول جدار الجامع القبلي ولا سماط أحسن منظرا منه ولا أكبر طولاً وعرضاً . وخلف هذا السماط على مقربة منه دار الخيل برسمه وهي اليوم مسكونة وفيها مواضع للكاديين وطول المقصورة الصحابية المذكورة اربعة وأربعون شبرا وعرضها نصف الطول ويلها لجهة الغرب في وسط الجامع المقصورة التي احدثت عند إضافة النصف المتخذ كنيسة الى الجامع حسبما تقدم ذكره وفيها منبر الخطبة ومحراب الصلاة وكانت مقصورة الصحابة أولا في نصف الخط الاسلامي من الكنيسة وكان الجدار حيث اعيد المحراب في المقصورة المحدثه فلما أعيدت الكنيسة كلها مسجدا صارت مقصورة الصحابة طرفا في الجانب الشرقي وأحدثت المقصورة الاخرى وسطا حيث كان جدار الجامع قبل الاتصال وهذه المقصورة المحدثه أكبر من الصحابية . وبالجانب الغربي بازاء الجدار مقصورة اخرى هي برسم الحنفية يجتمعون فيها للتدريس وبها يصلون وبازائها زاوية محدقة بالاعواد المشرجية كأنها مقصورة صغيرة وبالجانب الشرقي في زاوية أخرى على هذه الصفة هي كالمقصورة كان وضعها للصلاة فيها

أحد أمراء الدولة التركية وهي لاصقة بالجدار الشرقي. وبالجامع عدة زوايا على هذا الترتيب يتخذها الطلبة للنسخ والدرس والافراد عن ازدحام الناس وهي من جملة مرافق الطلبة

وفي الجدار المتصل بالصحن المحيط بالبلاطات القبليّة عشرون باباً متصلاً بطول الجدار قد علّتها قسي جصية مخرمة كلها على هيئة الشمسيات فتبصر العين من اتصالها بأجل منظر وأحسنه

والبلاط المتصل بالصحن المحيط بالبلاطات من ثلاث جهات على أعمدة وعلى تلك الأعمدة أبواب مقوسة قلها أعمدة صفار تطيف بالصحن كله. ومنظر هذا الصحن من أجمل المناظر وأحسنها وفيه يجتمع أهل البلد وهو متفرجهم ومتنزههم كل عشية تراهم فيه ذاهبين وراجعين من شرق إلى غرب من باب جيرون إلى باب البريد فمنهم من يتحدث مع صاحبه ومنهم من يقرأ لا يزالون على هذه الحال من ذهاب ورجوع إلى إقضاء صلاة العشاء الآخرة ثم ينصرفون. وبعضهم بالفداء مثل ذلك. وأكثر الاحتفال انما هو بالعشي فيغيب لمبصر ذلك انها ليلة سبعم وعشرين من رمضان المعظم لما يرى من احتفال الناس واجتماعهم لا يزالون على ذلك كل يوم وأهل البطالة من الناس يسمونهم حراسين

وللجامع ثلاث صوامع واحدة في الجانب الغربي وهي كالبرج المشيد تحتوي على مساكن متسعة وزوايا فسيحة راجعة كلها إلى إغلاق يسكنها اقوام من الغرباء أهل الخير. والبيت الأعلى منها كان معتكف أبي حامد الغزالي رحمه الله ويسكنه اليوم الفقيه الزاهد أبو عبد الله بن سعيد من أهل قلعة يحصب المنسوبة لهم وهو قريب لبني سعيد المشتهرين بالدنيا وخدمتها. وثانية بالجانب الغربي على هذه الصفة وثالثة بالجانب الشمالي على الباب المعروف باب الناطقين

وفي الصحن ثلاث قباب احداها في الجانب الغربي منه وهي اكبرها وهي قائمة على ثمانية أعمدة من الرخام مستطيلة كالبرج مزخرفة بالفصوص والاصبغة الملونة كأنها الروضة حسنا وعليها قبة رصاص كأنها التنور العظيم الاستدارة يقال انها كانت مخزناً لمال الجامع وله مال عظيم من خراجات ومستقلات تنيف على

ما ذكر لنا على الثمانية آلاف دينار صورية في السنة وهي خمسة عشر ألف درهم مؤتمنة أو نحوها . وقبة أخرى صغيرة في وسط الصحن مجوفة مشتمة من رخام قد ألصق أبدع إلصاق قائمة على أربعة اعمدة صغار من الرخام وتحتها شبك حديد مستدير وفي وسطه انبوب من الصفر يمج الماء الى علو فيرتفع ويلتقي كأنه قضيب من لجين يشربه الناس لوضع افواههم فيه للشرب استظرافا واستحسانا ويسمونه قفص الماء . والقبة الثالثة في الجانب الشرقي قائمة على ثمانية اعمدة على هيئة القبة الكبيرة لكن اصغر منها

وفي الجانب الشمالي من الصحن باب كبير يفضي الى مسجد كبير في وسطه صحن قد استدار فيه صهريج من الرخام كبير يجري الماء فيه دائما من صفحة رخام ابيض مشتمة قد قامت وسط الصهريج على رأس عمود مثقوب يصعد الماء منه اليها ويعرف هذا الموضع بالكلاسة ويصلي فيه اليوم صاحبنا الفقيه الزاهد المحدث ابو جعفر الفنكي القرطبي ويتزاحم الناس على الصلاة فيه خلفه التماسا لبركته واستماعا لحسن صوته

وفي الجانب الشرقي من الصحن باب يفضي الى مسجد من أحسن المساجد وابدعها وضعا وأجملها بناء يذكر الشيعة انه مشهد لعلي بن أبي طالب (رض) وهذا من أغرب مختلفاتهم . ومن العجيب انه يقابله في الجهة الغربية في زاوية البلاط الشمالي من الصحن موضع هو ملتقى آخر البلاط الشمالي مع اول البلاط الغربي مجلل بستر في اعلاه وامامه ستر ايضا منسدل يزعم اكثر الناس انه موضع لعائشة (رض) وانها كانت تسمع الحديث فيه وعائشة (رض) في دخول دمشق كعلي (رض) لكن لهم في علي (رض) مندوحة من القول وذلك انهم يزعمون انه روي في المنام مصليا في ذلك الموضع فبنت الشيعة فيه مسجدا واما الموضع المنسوب لعائشة (رض) فلا مندوحة فيه وانما ذكرناه لشهرته في الجامع وكان هذا الجامع المبارك ظاهرا وباطنا منزلا كله بالفصوص المذهبة مزخرفا بأبداع زخاريف البناء المعجز الصنعة فادركه الحريق مرتين قهدهم وجددهم وذهب اكثر رخامه فاستحال روثه فأسلم ما فيه اليوم قبلته مع الثلاث قباب المتصلة بها .

ومحاربه من اعجب المحاريب الاسلامية حسنا و غرابه صنعة يتقدذها كله وقد قامت في وسطه محاريب صفار متصلة بجزاره تحفها سوريات مفتولات قتل الاسورة كأنها مخروطة لم ير شيء اجمل منها وبعضها حركتها مرجان . فشان قبله هذا الجامع المبارك مع مايتصل بها من قبابه الثلاث واشراق شمسياته المذهبة الملونة عليه واتصال شعاع الشمس بها وانعكاسه الى كل لون منها حتى ترعى الى الابصار منه اشعة ملونة يتصل ذلك بمجداره القبلي كله عظيم لا يلحق وصفه ولا تبلغ العبارة بعض مايتصوره الخاطر منه والله يعمره بئنه

وفي الركن الشرقي من المفصورة الحديثة في المحراب خزانة كبيرة فيها مصحف من مصاحف عثمان (رض) وهو المصحف الذي وجه به الى الشام . وتفتح الخزانة كل يوم اثر الصلاة فيتبرك الناس بلحسه وتقبيله ويكثر الازدحام عليه وله أربعة أبواب (باب) قبلي ويعرف بباب الزيادة وله دهليز كبير متسع وله أعمدة عظام وفيه حوائت للخرزيين وسواهم وله مرأى رائع ومنه يفضي الى دار الخبل وعن يسار الخارج منه سماط الصفارين وهي كانت دار معاوية (رض) وتعرف بالخضرء (باب) شرقي وهو أعظم الابواب ويعرف بباب جيرون (باب) غربي ويعرف بباب البريد (باب) شمالي ويعرف بباب الناطفين وللشرقي والغربي والشمالي ايضا من هذه الابواب دهاليز متسعة يفضي كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل الكنيسة فقيمت على حالها وأعظمها منظراً الدهليز المتصل بباب جيرون يخرج من هذا الباب الى بلاط طويل عريض قد قامت أمامه خمسة أبواب مقسومة لها ستة أعمدة طوال وفي وجه اليسار منه مشهد كبير حفيل كان فيه رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما ثم نقل الى القاهرة وبازائه مسجد صغير ينسب لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وبذلك المشهد ماء جار . وقد انتظمت امام البلاط ادراج ينحدر عليها الى الدهليز وهو كالتندق العظيم يتصل الى باب عظيم الارتفاع ينحسر الطرف دونه سموا قد حفته اعمدة كالجزوع طولاً وكالاتواد ضخامة وبجاني هذا الدهليز اعمدة قد قامت عليها شوارع مستديرة فيها الحوائت

(التارخ ٥٠) (٤٧) (المجلد الثالث عشر)

المنتظمة للعطارين وسواهم وعليها شوارع آخر مستطيلة فيها الحَجَر والبيوت للكرام
 مشرفة على الدهليز وفوقها سطح بيت به سكان الحَجَر والبيوت
 وفي وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبة تعلوها أعمدة من
 الرخام ويستدير بأعلاها طرة من الرصاص واسعة مكشوفة للهواء لم ينمطف عليها
 تعيب وفي وسط الحوض الرخامي انبوب صفر يزعج الماء بقوة فيرتفع الى الهواء
 ازيد من القامة وحوله انايب صفار ترمى الماء الى علو فيخرج عنها
 كفضان اللجين فكأنها أغصان تلك الدوحة المائية ومنظرها أعجب وأبدع من ان
 يلحقه الوصف

وعن يمين الخارج من باب جبرون في جدار البلاط الذي أمامه غرفة لها هيئة
 طاق كبير مستدير فيه طيقان صفر قد فتحت أبوابا صفارا على عدد ساعات النهار
 ودبرت تديرا هندسيا فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من
 في بازيين مصورين من صفر قائمين على طاستين من صفر تحت كل واحد منهما .
 احدهما تحت اول باب من تلك الابواب والثاني تحت آخرها والطاستان مثقوبتان
 فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار الى الغرفة وتبصر البازيين يمدان
 عنقيهما بالبندقتين الى الطاستين ويقذفانها بسرعة بتدبير عجيب تتخلله الاوهام
 سحرا وعند وقوع البندقتين في الطاستين يسمع لهما دوي وينفلق الباب الذي هو
 لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر لايزال كذلك عند كل انقضاء ساعة من النهار
 حتى تنفلق الابواب كلها وتنقضي الساعات ثم تعود الى حالها الاول . ولها بالليل
 تديير آخر وذلك ان في القوس المنمطف على تلك الطيقان المذكورة اثنتي عشرة
 دائرة من النحاس مخرومة وتعرض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار مدبر ذلك
 كله منها خلف الطيقان المذكورة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب
 مقدار الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة امامها شعاعها
 فلاحت للابصار دائرة محمرة ثم انتقل ذلك الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل
 وتحمر الدوائر كلها . وقد وكل بها في الغرفة متفقد لحالها درب بشأنها وانتقالها بعيد
 فتح الابواب وصرف الصنج الى موضعها وهي التي يسمونها الناس المنجانية

ودهلز الباب الغربي فيه حوانيت البقالين والطارين وفيه سماط بيع الفواكه
وفي اعلاه باب عظيم يصعد اليه على ادراج وله اعمدة سامية في الهواء وتحت الادراج
سقايتان مستديرتان سقاية يميننا وسقاية يسارا لكل سقاية خمسة انايب ترمي الماء في
حوض رخام مستطيل . ودهلز الباب الشمالي فيه زوايا على مصاطب محدقة بالاعواد
المشرجة هي مخاصر لمعلي الصبيان . وعن يمين الخارج في الدهليز خاتمة مبنية
للصوفية في وسطها صهريج ويقال انها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
والصهريج الذي في وسطها يجري الماء فيه ولها مظاهر يجري الماء في بيوتها
وعن يمين الخارج ايضا من باب البريد مدرسة للشافعية في وسطها صهريج
يجري الماء فيه ولها مظاهر على الصفة المذكورة وفي الصحن بين القباب المذكورة
عمودان متباعدان يسيراً لهما رأسان من الصفر مستطيلان مشرجبان قد خرما أحسن
نحريم يسرجان ليلة النصف من شعبان فيلوحان كأنهما تريتان مشتعلتان . واحتفال
اهل هذه البلدة لهذه الليلة اكثر من احتفالهم بسبع وعشرين من رمضان المعظم .

اثار علي بن ابي طالب

تربية البنات (*)

كم ذا يكابد عاشق ويلاقى	في حب مصر كثيرة العشاق
اني لا تحمل في هواك صباية	يا مصر قد خرجت عن الاطواق
لهفي عليك متى أراك طليقة	يحمي كريم حماك شعب راق
وأديب قوم تستحق يمينه	قطع الانامل أو لظى الاحراق

(*) قصيدة لشاعر مصر الكبير محمد حافظ ابراهيم انشدها في حفلة اقيمت بيورسعيد لاعانة
مدرسة البنات وقد سلك شاعرنا في هذه القصيدة مسلكا في انتقاد الاخلاق والعادات كان من الادلة
الكثيرة على تفوق حافظ وعسى ان يجنح الشاعر للتوفر على قرض هذا الاستلوب من الشعر فانه من
خير الادوية لادواء الناس

كلف بمحمود الخلال مقيم
 اني لتطربني الخلال صكرية
 ويهزني ذكر المروعة والندی
 ماالبالية في صفاء مزاجها
 والشمس تبدو في الكؤوس وتختفي
 بالذم من خالق كريم عاھر
 فاذا رزقت خليفة محمودة
 فالناس هذا حظه مال . وذا
 والمال ان لم تدخره محصنا
 والعلم ان لم تكنفه شمائل
 لا تحسبن العلم ينفع وحده
 كم عالم مد العلوم حباثلا
 وفقه قوم ظل يرصد فقهه
 يمشي وقد نصبت عليه عمامة
 وطبيب قوم قد أحل لطفه
 قتل الاجنة في البطون وتارة
 أغلى وأثمن من تجارب علمه
 ومهندس للنيل بات بكفه
 متعنت تندس وتبیس كفه
 لاشيء يلوي من هواه خده
 بالبذل بين يديك والاتفاق
 طرب الغريب بأوبة وتلاق
 بين الشمائل هزة المشتاق
 والشرب بين تنافس وسباق
 والبدر يشرق من جبين الساق
 قد مازجته سلامة الاذواق
 فقد اصطفاك مقسم الارزاق
 علم . وذاك مكارم الاخلاق
 بالعلم كان نهاية الاملاق
 تعلية كان مطية الاخفاق
 مالم يتوج ربه بخلاق
 لوقية وقطيمة وفراق
 لمكيدة أو مستحل طلاق
 كالبرج لكن فوق تل تفاق
 مالا تحل شريعة الخلاق
 جمع الدوائق من دم مهراق
 يوم الفخار تجارب الحلاق
 مفتاح رزق العامل المطراق^(١)
 بالماء طوع الاصفر البراق
 في السلب حد الخائن السراق

(١) الذي يكثر طرق أبواب الرزق

يلهو ويلعب بالمقول بيانه
 في كفه قلم يبعج لعابه
 يرد الحقائق وهيبيض نصع
 فيردها سودا على جنباتها
 عريت عن الخلق المطهر نفسه
 لو كان ذا خلق لا سعد قومه
 من لي بتربية النساء فانها ***
 الأم مدرسة اذا أعدتها
 الأم روض ان تمهده الحيا
 الام أستاذ الاساتذة الأولى
 أنا لا أقول دعوا النساء سوا فرا
 يدرجن حيث اردن لا من وازع
 يفعلن افعال الرجال لو احميا
 في دورهن شؤونهن كثيرة
 كلا ولا أدعوكم ان تسمرا
 ليست نساؤكم حل وجواهرها
 ليست نساؤكم اثانا بقتى
 تتشكل الازمان في أدوارها
 فتوسطوا في الحالين وانصفوا
 ربوا البنات على الفضيلة انها
 وعليكم ان تستبين بناتكم
 فكانه في السحر رقية راق
 سما وينفثه على الاوراق
 قدسية علوية الاشراق
 من ظلمة التموه ألف نطاق
 خيانه ثقل على الاعناق
 بيانه ويراعه السباق
 في الشرق علة ذلك الاخفاق
 أعددت شعبا طيب الاعراق
 بالري أوردق أيما اوراق
 شغلت مآثرهم مدى الآفاق
 بين الرجال يجلن في الاسواق
 يحذرون رقبة ولا من واق
 عن واجبات نواعس الاحداق
 كشؤون رب السيف والمزارق
 في الحجب والتضييق والارهاق
 خوف الضياع تصان في الاحقاق
 في الدور بين مخادع وطباق
 دولا وهن على الجمود بواق
 فالشر في التقييد والاطلاق
 في الموقفين لمن خير وثاق
 نور الهدى وعلي الحياء الباقي

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ فلسفة النشوء والارتقاء ﴾

وهو الجزء الاول من مجموعة الدكتور شبلي شميل الشهير . صفحاته ۳۶۷ بقطع النار وحروفه . طبع بمطبعة المقتطف بمصر سنة ۱۹۱۰ ويطلب من مؤلفه بمصر

اهدى الينا صديقنا الدكتور شبلي شميل هذا الكتاب الذي اعاد طبعه مرة ثانية في هذه الايام لغاد الطبعة الاولى ولرغبة الكثيرين من أصدقائه في ذلك وقد اثبت على صفحته الاولى هذه الفقرة « طالع هذا الكتاب بكل تمنى ولا تطلعه إلا بعد أن تطلق نفسك من أسرار الأغراض لثلاثم عليك وانت واقف تطل على العالم من شرفة عقلك تتلمس الحقيقة من وراء استارها » ونحن لم نتمكن من التوفر على مطالعته لنبدى رأينا فيه بحرية وإخلاص ولكن هذا لا يمنعنا ان نقول ان فلسفة النشوء والارتقاء لاتنافي الاسلام بجملة كما أنها لاتلتئم معه ومع العقل في تفصيلاتها ولم يكن لصديقنا الدكتور ولا لواضعها اذ وضعوها مطمع في أن تكون قضية مسلطة بكلياتها وجزئياتها

ولو ان الدكتور شميلا اقتصر في كتابه هذا على شرح فلسفة دارون وهكسلي وآرائهما في أصل الانواع وأداتهما على تحويلها وارتقاها وتأييد مذهبهما بأرائه الخاصة دون التعرض للشرائع الآتية والأديان المتبعة لتقبله اهل الاستعداد له بقبول حسن أما محاولة الدكتور لارادة القراء على الامر من قطع في غير مطمع وهذه الحكومة الفرنسية على تشدها في محاربة زعماء الدين بقوتي الدليل والا كراه لم تتمكن من نزع الدين من النفوس على كونه ديناً تسليماً بحتاً لا يسوغ للعقل ان ينكر منه شيئاً وان كان غير معقول فما بالك بدين الاسلام الذي ينفذ كل منكر عقلا بل هو الدين الذي فك العقول من عقالها واشرع سبيل استقلال الفكر وارشد الى النظر

في أسرار الكون والحكم على الاشياء بالعقل دون الهوى لاجرم ان ديننا هذا مكانه من أفئدة أهله لا يقوى على زلزاله منها شبهات مرجعها آراء ومرويات لرجال الدين ربما يكون الدين بريئا منها

لواتيح للدكتور شميل ان ينظر في الاسلام نظرة تنفذ الى صميمه على الشرط الذي وضعه لقراء كتابه لآب اليوم وهو مسلم قلبا واسانا وها هو اليوم على كونه لم يُعْن بفهم فلسفة الاسلام بمض عنايته بحل طالسّمات مذهب دارون نراه --- وهو المنصف المستقل الفكر - يقول إن القرآن هو أحكم الشرائع التي يتبعها البشر وان محمداً أعظم رجل في التاريخ حتي انني قلت له مرة : اذّا انت مسلم ؟ فقال : بل محمدي !! بل هذه كلمته في خاتمته الحفيلة التي هي صورة مصغرة للكتاب قال (ص ٣٥٢)

« خدمنا لشرعية للقرآن فانها بين الشرائع الدينية الشريعة الوحيدة الاجتماعية المستوفاة (١) التي ترمي الى أغراض دنيوية حقيقية بمعنى أنها لم تقتصر على الاصول الكلية الشائعة بين جميع الشرائع بل اهتمت اهتماما خاصا بالاحكام الجزئية فوضعت أحكام المعاملات حتى فروض العبادات ايضا . وهي من هذه الجهة شريعة عملية مادية حتى ان الجنة نفسها لم تخرج فيها من هذا الحكم من اشجار وانهار وأنهار الى آخر ما هنالك وطالما جرى اتباعها عليها صلحت امور دينهم على سواهم . الخ » ثم ذكر بعد ذلك مزج علماء المسلمين لنظريات الفلسفة اليونانية في كلامهم حتي صرفوا بذلك الدين عن حقيقته وحولوه عن غايته « الى المرامي المجردة والمنازع النظرية وسائر علوم الجدل الادبية المقامة عليها حتي الى المالا علاقة له بالدين مطلقا (٢) »

(١) شريعة موسى مادية عملية أيضا ولكنها غير مستوفاة . وشريعة عيسى وان كانت حكما ومواعظ تعتبر اصولا كلية الا انها في جلّها نظرت الى العالم الروحاني اكثر من الحياة الدنيا . بخلاف شريعة محمد فانها نظام اجتماعي عملي مادي قانوني حقيقي . اه من هامش الكتاب

(٢) ان الاسئلة التي ترد على مجلة المنار من اطراف العالم الاسلامي والتي يتجشم صاحب المنار الفضال مشقة الرد عليها مضطرا لتدلك على مبلغ تفهقر القوم في فهم الدين (وبعد ان ذكر ائمة من تلك الاسئلة قال) وغير ذلك من الاسئلة التي تضطرب لها عظام النبي في قبره والقرآن وشريعته بريئان منها لو انهم يفقهون . اه من هامش الكتاب

الى غير ذلك من الاقوال التي تدل على ان الدكتور الفاضل انما هو منكر للفواشي
التي علقت بالدين ساحط على تقاليد وحاظ كثير من أهله بين جوهره ونظرياتهم
ونحن نقر الدكتور على هذا الرأي بل نحن انما نكتب ونخطب سعيا وراء هدم تلك
التقاليد التي تبرا منها ومن المصريين عليها

والكتاب مطبوع طبعاً متقناً على ورق جيد ويطلب من مؤلفه بميدان توفيق بمصر



• ارشاد الاريب ، الى معرفة الاديب •

وهو القسم الاول من الجزء الثالث من الكتاب تأليف ياقوت الرومي الشهير المتوفي في
القرن السابع وعني بنسخه وتصحيحه الدكتور مرجيولت الاستاذ بجامعة اكسفورد
صفحاته ٢١٥ بقطم المنارة طبع بمطبعة هندية بمصر سنة ١٩١٠

اهدى الينا الدكتور مرجيولت الجزء الذي أصدره في هذا الشهر من هذا
المعجم الجامع النافع وهو يتضمن تراجم اثنين واربعين واحداً من أعلام الادب
اولهم حبشي بن محمد بن شعيب الشيباني من أهل واسط المتوفى في منتصف القرن
السادس وآخرهم الحسن بن ميمون النصري . ولبعضهم تراجم مطولة تحتوي على
عشرات الصفحات كترجمة السيرافي النحوي المعروف فهي زيادة على اربعين
صفحة ، ولاخرين منهم تراجم مختصرة جداً لا تبلغ الا اسطراً قليلة كترجمة الحسن
بن علي المدائني النحوي . والتراجم مرتبة على حروف المعجم ومن يلاحظ ان هذا
الجزء أو القسم لم يتم به حرف الحاء يعلم ان هذا الكتاب من أحفل موسوعات
الادب في تراجم مشهوري ادباء العرب

وأحفل مترجمي هذا الجزء سيرة هم من أعلام النحاة وربما يتعجب أدباء هذا
العصر اذ يسمعون هذا لانهم يرون نحائهم صارفين أيام حياتهم في تتبع المناقشات
العقيمة وتفهم الاختلافات السقيمة وان واحدهم ليحار حيرة الضب اذ عرض له أن
يكتب كتاباً الى أحد خلطائه أو رده طه ولو اطلع مطلع على ما يكتبون لسخر منهم واستهزأ
بهم ولاخذته الحيرة اذ يرى كثرة اللحن والتركيب السخيفة والخر وج فيما يكتبون

عن الحدود والرسوم التي افنوا أعمارهم في تفهمها وتفهمها ولكن لا عجب في ذلك
فإن أئمة النحاة في الماضي كانوا يعدون النحو أداة أو مرقة تتوقل فهمهم بها إلى
الوقوف على «سرار البلاغة ودلائل الإعجاز» حتى تصير البلاغة ذوقاً لهم فيتمكنون
من فهم كلام الله فما دونه في البلاغة ويتمنون على احتذاء الكلام البليغ في
المكتوبات والخطب ولكن نحاة هذا العصر حسبوا أن النحو غاية لا وسيلة على تعلمهم
في الكلام على الغايات والوسائل فصرفوا الأشياء عن أوضاعها وحرفوا الكلم عن
مواضعه فأصبحوا لا قيمة لهم ولا احترام وقد كانوا أجلاء مكرمين وصانعتهم من
أشرف الصناعات

وقد أعجبتني طريقة المؤلف في التراجع فهو يذكر اسم الرجل ونسبه وموطنه
وتحصيله وما انفرد به وما نظم الناس منه وما وقع له مع أدباء عصره ويثبت له ما يؤثر
من شعره كل ذلك بأسلوب سهل حسن الانشاء ولعلنا نشعر في المنار المناظرة التي
جرت بين مكي بن يونس القنائي الفيلسوف وبين أبي سعيد السيرافي النحوي في
تفضيل النحو على المنطق وهي مثبتة في هذا الجزء عسى أن يكون في نشرها عظة بالغة
لنحاة عصرنا

وياقوت الرومي هذا أعرف من أن يعرف وهو مؤلف هذا المعجم ومعجم
البلدان ومعجم الشعراء وغير ذلك من الموسوعات التي تعجز عن تأليفها الجماعات وهو
من الشعراء المجيدين ومن أحسن ما يروى له قوله :

تذكر لي مذ شئت دهرى فأصبحت معارفه عندي من النكرات
إذا ذكرتها النفس حنت صباية وجات شؤون العين بالعبرات
إلى أن أتى دهر يحسن ماضى ويوسفني من ذكره حسرات
فكيف ولما يبق من كأس مشري سوى جرع في قمرها كدرات
وكل إفاء صفوه في ابتدائه ويرسب في عقباه كل قذاة
والكتاب مطبوع طبعاً نظيفاً على أجود ورق. ومجلد تجليداً متقناً وكنا نتمنى أن
يضع الناشر أرقاماً للمترجمين تدل على عددهم في كل جزء فإن ذلك من المحسنات
(التأرجح ٥) (٤٨) (المجلد الثالث عشر)

وان يعني بوضع فهرس لجميع الاعلام والبلدان التي في الكتاب ولعله يفعل بعد طبع جميع مالمديه من الاجزاء وانا نشكر له عنايته بنشر هذا السفر العظيم فلقد خدم بذلك لعتنا الشريفة أجل خدمة

﴿ النظرات ﴾

كان الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي كتب قطعاً ومقالات في جريدة المؤيد عني بانتقاء الفاظها وجلها ومعانيها مما يحفظ ويقرأ فاستحسنها فريق من الناس الذين يحبون التعميق والتزويق وتبرهم زخرفة اللفظ وغر الكاتب تلك النعوت التي كانت تقعها بها جريدة المؤيد فسارع الى جمع تلك القطع وطبعها في كتاب مصدر برسمه وترجمه له ملأت قسماً كبيراً من الكتاب ١١١

قرأنا لهذا الكاتب الجديد والشاعر القديم بعض قصائد و بضع مقالات فلم نعرف له منحنى خاصاً يتوخى القصد اليه فيما يكتب وينظم وظهر لنا أن هذا الشاعر او الكاتب او الجامع للصناعتين ليس من سراق الشعر فقط بل هو من سراق النثر أيضاً من قرأ مقالاته « مدينة السعادة : ص ٣٨ » التي يدل بها ويغفر وكان قارئاً قصة « الكوخ الهندي » لفرح افندي انطون علم ان بضاعة الكاتب مزجاة وآراءه قد اغتصبها من سواء وانه ليس له في مثل هذه المقالة الا التغيير والتبديل في نسق الكتابة واسلوب الكاتب، وكذلك مقالاته « غرفة الاحزان : ص ١٤٣ » فانها ملخصة من قصة « حواء الجديدة » لقولا افندي الحداد، ومقالة « ابن الفضيلة : ص ١٥ » مأخوذة من قصة الكوخ الهندي لفرح افندي انطون ايضاً، ومقالته « الكأس الاولى : ص ٥ » اخذ موضوعها من قصيدة للشيخ نجيب الحداد عنوانها « في الجرعة لأولى البلاء : ص ٥٧ ج ١ » من القسم الشعري من كتاب مجالي الفرر وغير ذلك من القطع الكثيرة التي سرق بعضها معنى وبعضها معنى ولفظاً كما سيأتي بيانه مثال ذلك سرقة نكلمة زوج صخر اخي الخنساء « اني اصبحت لا حياً فأرجى ولا ميتاً فأنسي » (ص ٢٨) وسرقة لبيت البكري المعروف

أشعة في الرأس أم أول خيط الكفن

أخذه فقال عن الشعرة البيضاء في رأسه « أو خيط من خيوط الكفن » (ص ١١٥)
 ولقد كنت نصحت للمنفلوطي يوم كان شاعرا ان يتجنب السرقة في شعره
 وذلك في مقالة نشرتها في (ص ٣١٨٥٩) من المقتطف بعنوان « نقد الشعر » بعد أن
 نشر فيه المنفلوطي قصيدة عنوانها « من القصر الى القبر » (ص ٢٥) من مقدمة النظرات
 اغار بها على اربعة ابيات من قصيدة المعري التي مطلعها « أحسن بالواجد من وجده »
 وحشرها بين نبوت قصيدته ولكنه لم يستطع أن يعمل بنصحي لانه لو عمل به لكان
 اليوم فقيرا من النعوت التي جاد بها عليه المؤيد فهو شاعر وكاتب ولكن بأفكار
 غيره وأساليب سواه

وأريد أن أنبه هنا الى أمر ربما خفي على أولئك المخدوعين بلفظ المنفلوطي
 وهو ان كتابة المنفلوطي خالية من كل فكر للكاتب خذ مثلا مقالة « الغد » (ص ١)
 وهي من أشهر مقالاته فانك تجده جال فيها في دائرة ضيقة لم يخرج بها عن قول زهير
 واعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي
 وأية فائدة يجني القارئ من حكاية أقوال في الغد خلاصتها انه أمر غيبي لا
 يعلم ماسيكون به الا الله تعالى ؟ على انه قد سرق أكثر معانيها من مقالة ليفيكتور
 هوجو في نابليون الثاني راجع (ص ١٠) من كتاب بلاغة العرب ومقالة « المستقبل
 لله » (ص ٩٨) من منتخبات الشيخ نجيب الحداد وان مقالة « العلماء والجهلاء » (ص ٣٢٣)
 التي يفضل فيها خلط السوق الذي يسميه علما على تحقيق العلماء والفلاسفة دليل على
 انه لا يعرف من العلم الا عمولات الازهر اللفظية التي عرفها فألفها ومن ذا الذي
 يستسهل الزعم بأن اختراع التلغراف واكتشاف الكهرباء والراديو وغير ذلك مما
 لا محل لذكره هو دون ما يقع من الكلمات الصحيحة في هذيان الدهماء ولفظهم ؟
 وكذلك مقالته « يوم الحساب : ص ١٠٦ » فانها لا تخرج عن فخوى قصة من
 كتاب قصص الانبياء وغيره من الاسرائيليات المدسوسة على الاسلام وأتمته من
 حكاية العجائب عن يوم الحساب ونجاة كثير ممن ران على قلوبهم لحسنة
 فذة مع ان الله يتوعد هؤلاء بأشد العقوبات ويقول في شأنهم « كلا انهم عن

دعهم يومئذ لمحجوبون . ثم انهم لصالو الجحيم ، ولكن المنفلوطي يصادم هذا النص الصريح بزعمه وهل يكون ذو الرين مموطلا في حياض المآثم أكثر من وصفه المنفلوطي بقوله « لا يقي مأثما ولا يهاب منكرا ولا يخرج من حان الا الى حان ولا يودع مجمعا من مجامع الفسق الاعلى موعد اللقاء » (ص ١٠٧) ويقول عن موصوفه هذا ان الله غفر له لانه كان يجود على رب امرة معدمة كأن أعمال الله تعالى فوضى لانظام لها جلت حكمته وتعالى عن وهم الواهين علوا كبيرا . ومما دلنا على أن آداب المنفلوطي ليست على حال من الكمال يغبط عليها وأن علمه بأحوال زمانه ناقص قوله انه بصر بالشيخ محمد عبده وقاسم بك أمين يتناحيان ويقول اولها لا آخرها انك أفسدت المرأة بكتابك ويقول الآخر للاول انك أردت أن تحيي الاسلام قتلته وليس هذا القول مما يلتم مع الأدب أو يتفق مع الواقع وانما يدل على ان المنفلوطي لم يفهم مرامي قاسم ومناحي الامام ، وما كان لتأثير دروس هذا في اصلاح اهل الاسلام وكم من عائب قولاصحبا وآفته من الفهم السقيم

ومن القطع السخيفة الخالية من الفائدة والمعنى قطعة « الشعر البارد : ص ١١ » وهي لا معنى فيها سوى انه يقول انه يقرأ شعرا في الجرائد لا يستحسنه على شففه الزائد بالشعر وانه يسمي الشعر الذي لا يستحسنه « الشعر البارد » فهل يصح ان ينشر مثل هذا القول في الجرائد ثم يطبع في كتاب على حدته ويسمى « المختارات » ؟ واذا كان هذا شأن مختارات المنفلوطي من تأفه الموضوع وسخيف المعنى فماذا عسى ان يكون شأن غير مختاراته ؟

وأريد ان أنبه الظانين أن المنفلوطي لا يقيم الغلط في كلامه بأنه يخطئ كثيرا في الاستعمال واني ذا كر كلمات وقعت عليها عيناى عرضا وانا قلب صفحات الكتاب فمن ذلك كلمة « الميت : ص ٧ » اراد بها الميت وهذا غير ذلك ، واستعماله كلمة « بسيطة : ص ١٢ و ٣٠٣ » بمعنى ساذجة ، و« البسطاء : ص ٨٩ و ٩٠ و ٤٠١ » يريد الاغرار ، و« البساطة : ص ٣٩٩ » بمعنى الفرارة وهو استعمال غير صحيح ، واراده كلمة « فخيم : ص ٢٥ » و« ص ٢٥ مقدمة » والصواب فخيم من دون ياء ، وتذكيره للكأس « ص ٢٧ مقدمة » و« ص ٣٠٧ » والكأس لا يجوز تذكيرها البتة ، واراده مصدر

جثا يائيا « ص ٣١٥ » وانما هو واوي، واستعماله كلمة الياسة أو الرأس مكسورة الراء
 تليها همزة « ص ١٥ و ١٣ » وهذا خطأ محض، وجمعه لبأس على رؤساء « ص
 ٣٩٧ و ٨٧ » والصواب ان يجمع جمع المذكر السالم فيقال بأسئون وبأسين، وقوله
 « غفوت اغفائة : ص ١٦٤ » والصواب اغفوت اغفائة وقوله « يخلق الطير
 ص ٩٣ » يريد بذلك الطائر وهذا من الخطأ الشائع، وقوله « جهل مشين : ص ١٠٣ »
 والصواب شأن لان الفعل ثلاثي لارباعي، وتذكيره للسن « ص ١٥٥ » وانما هي
 مؤنثة قال ابن سيده في (ج ١٦ ص ١٩٠) من الخخص مانصه « والسن مؤنثة
 والاسنان كلها مؤنثة وكذلك السن من الكبر » وتأنيثه للرأس « ص ٨٤ » والرأس
 يجمع على تذكيره (راجع تاج العروس : ج ٤ ص ١٥٦) وادخاله « دال » على « كل »
 « ص ١٥٦ » وقد قال في اللسان « انه لم يجيء عن العرب » ولا ينبغي هذا اجازة
 بعض المتوسمين لذلك

ومن فقراته الركيكة التي ليست من الاسلوب العربي الفصيح قوله « لتحققت
 انه ابله الى النهاية من البلاهة : ص ٨ » وهو يريد ان يقول انه جُم البلاهة، وقوله
 « وكما ان في اغنياء الجيوب فقراء الرؤوس كذلك في فقراء الجيوب اغنياء الرؤوس
 ص ٢٩٧ » وهو استعمال ركيك غير عربي وقد سرق بذلك كلمة الاستاذ الامام
 الفصيحة الماثورة « داني في شغل شاغل من هؤلاء المرزوين في عقولهم أولا وفي
 بيوتهم ثانيا » (ص ٥٥٩ ج ٢) من تاريخ الاستاذ الامام، وقوله « كان كل ما في المسألة :
 ص ٧٨ » وهذا من استعمال العامة وما هو من الاسلوب العربي في شيء، وقوله « فما
 خلصت من بينهم : ص ٨٤ » وهو من استعمال العامة ايضا وكلمة خلصت لا معنى لها هنا
 لان معناها نجيت وانما يريد ان يقول نجوت لانه هو الذي نجا ولم يكن منجيا لسواه
 هذا ما رأينا ان ننبه اليه من خطأ المنفلوطي وهو ما عثرنا عليه ونحن ننظر في الكتاب
 نظرة اجمالية مما يدل على ان الكتاب مملوء بالاساليب الركيكة والخطأ في الاستعمال
 دع ان اكثر موضوعاته سخيفة تافهة عقيمة من الافكار الا ما كان منها مسروقا
 وقد تذكرت الآن كلمة لعزير مصر عباس الثاني يحسن ايرادها هنا فانها كلمة
 حكيمة : ذلك انه كان في موسم من المواسم الرسمية خلا الى الاستاذ الامام في حجرة

خاصة يفاوضه في شؤون هامة فجاء واحد من رجال جاشيته وقال ان الشيخ فلانا ينتظر سموكم ليتلو آيات التهنئة فقال له الامير « اننا في حاجة الى الافكار لا الى الاشعار » هذه هي الكلمة الحكيمة التي يجب ان يكون المنفلوطي واشياعه كثيري الاصغاء اليها ليعلموا أن الامة في حاجة الى الافكار لا إلى زخرفة الالفاظ

اما الحكم على اخلاق هذا الكاتب فلا يستطيعه مثلي وقد ذكرت آنفا انه نشر لنفسه ترجمة طويلة عليها توقيع « احمد حافظ عوض » وفيها شؤون خاصة لا يعرفها الا المترجم نفسه!! اصف الى هذا ان أسلوبها وأسلوب النظرات واحد

على اننا نترك ما يمكن ان يكون فيه مجال للقال والقليل والتمحل والتأويل ونرجع بالقارىء الى مقالة المنفلوطي « طبقات الشعراء » التي نشرها في (ص ٢٧١) من السنة الثانية لمجلة سركيس من دون امضاء تلك المقالة التي كتب فيها عن نفسه بقلمه ما يأتي بنصه وفصه: « المنفلوطي : شعره كالقعود الذهبية الا ان حبات اللؤلؤ فيها قليلة فهو يخاب بروائعه اكثر مما يخاب ببدائعه وهو ازهري وحسبه انه نابغة قومه ١١١١ » الخ

وقد نشر هذه المقالة في النظرات (ص ٣٢٦) ولكنه حذف منها ترجمة نفسه فكيف يكون الحكم على مثل هذا مستطاعا وهو الذي وضع نفسه بتمداح نفسه فوق الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان وسعد باشا زغلول لأنه سمي نفسه نابغة قومه الازهرين وهو لاء من مصاص الازهرين ؟

« اللهم عرفنا بأقدار أنفسنا فذلك اللهم أنفس ما تعطي وافضل ما تهب » (وعسى ان يتاح لنا تصفح الكتاب برمته لنكتب لمؤلفه عظة بالغة

الانسانية

« مجلة علمية ادبية اخلاقية اجتماعية انتقادية عمرانية نصف شهرية » اصدرها في مدينة حمه الشيخ حسن الرزق المشهور باستقلال الفكر واستنارة الذهن وحب العلم وقد انتدب لخدمة امته بهذه المجلة بسائق الرغبة في إعلاء شأنها بقدر المستطاع وهي ذات اثنتين وثلاثين صفحة بالقطع الصغير وقيمة اشتراكها في البلاد العثمانية ريال وربيع كتب الله لها النجاح

(*) هذه الفقرة للإستاذ الامام الشيخ محمد عبده

العلم

« مجلة تخدم العلم والدين وتبحث عن أصول الترفي ماديا وأديا » لمنشأها السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني من أعلام علماء النجف (العراق) ومشهور كتاب العصر هالك وهي تصدر بثمانى وأربعين صفحة بالقطع الصغير حاوية لكثير من الموضوعات الدينية والعلمية والادبية وقد اعجبنا من منشأها قوله في مقدمتها « ولدنا الانتقاد الصحيح خير من الاطراء في المدح » وهذا القول لا يصدر الا من ارباب النفوس المهذبة بالعلم الصحيح وقيمة اشترا كما ريال وربع فترجو لها الانتشار

التليذ

« مجلة مدرسية اخلاقية شهرية تصدرها الجمعية العلمية في المدرسة العثمانية بيروت » ولقد سررنا كثيرا بصدور هذه المجلة التي ستكون خير سبيل لتربيت التلاميذ على قرض الشعر والانشاء وقوة البحث والمناقشة اولئك التلاميذ المرجوون لهضة وطنهم واعلاء شأن أمتهم فان مدرستهم تلك هي من أحسن مدارس بيروت التي تخرج فيها فريق من خيرة نابتة سورية وعسى أن يتولى رئيس المدرسة نصحيح المجلة فقد آلمنا ما رأيناه فيها من الخطأ في الاملاء والخروج عن قواعد النحو وقيمة اشتراكها ريال وربع فعسى ان ينمي قارئوها ويكثر مشتركوها

الذكري

جاءتنا نشرة من بيروت بتوقيع محمد طاهر افندي التنير من مهذبى نابتة بيروت يقول فيها ان والده السيد عبد الوهاب سليم التنير قد عزم على اصدار مجلة اسمها (الذكري) غرضها ارشاد المسلمين الى انتهاج الطريقة المثلى وانه سيساعده في كتابتها فريق من علمية القوم ونحن نعرف التنير غبورا فاضلا مطلعا فترحب بمجلته ونرجو أن يوفق للخدمة الصحيحة

حسين وصفي رضا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إيقاظ الفتن في البلاد العثمانية ﴾

مناجاة ودعاء

اللهم الطف بهذه الامة وبدولتها واحفظها من قن المفسدين في الارض، اللهم اقطع عنها السقتهم، وكف عنها كيد اقلامهم، اللهم انك تعلم أن المخلصين قد بذلوا جهد طاقتهم في النصح وإصلاح ذات البين وسعوا الى ذلك من كل طريق يروونه نافعا، اللهم إنا لا نملك بعد حسن القول والسعي الا الاستغاثة بك ودعاءك فلا يقبلن مكرهم السيء ما نرجو من لطفك وعنايتك، اللهم انه لا يخفى عليك كيد الذين يفسدون في الارض وينبزون المصلحين بقلب الافساد، ويلقون العداوة والبغضاء بين عبادك ويعيبون بعملهم السيء من يعملون الصالحات بالتأليف بين القلوب وجمع الكلمة على الخير، اللهم انك تعلم ان من هؤلاء من يفوق سهام كيده ومكره للامة العربية التي شرفتها وفضلتها بخاتم أنبيائك ورسلك وخير كتبك المنزلة لهداية خلقك وخاطبت سلفها الصالح بقولك الحق « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ولكل من تبع ذلك السلف من الخيرية بقدر اتباعه لهم، اللهم انهم حسدوها أن جعلت كتابها عربيا مينا فهم يريدون ترجمته ليكون عرضه تحريف المحرفين، واختلاف المتفقين، اللهم انك أنزلته لتجهمهم عليه، وهم يحاولون ترجمته لكل شعب من المسلمين ليتفرقوا فيه، اللهم انه حبلك المتين الذي امرتنا ان نقتصم به ولا نتفرق عنه بقولك (١٠٣: ٣) واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وهو بيناتك التي قلت فيها (١٠٥: ٣) ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات) اللهم انهم يزعمون ان رسالتك

خاتم رسلك ماتمت الي الآن ، وانها لا تتم الا بترجمة القرآن ، وانت قلت وقولك الحق (٥ : ٣) اليوم اتممت لكم دينكم وأنممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً (اللهم انهم يزعمون أن دينك لم يتم بالحجة والبرهان ، وان نبئك (ص) كان يكره الناس عليه بالسيف والسنان ، وانت قلت وقولك الحق (٢ : ٢٥٦) لا يكره في الدين - ١٠ : ٩٩ أفانت تكره الناس حتي يكونوا مؤمنين) ؟ ؟

المقصد

بيننا في أول مقال كتبناه عن الانقلاب العثماني واستبدال الحكم النيابي بالحكم الشخصي المطلق انه يخشى في هذا الطور الجديد الذي دخل العثمانيون فيه من عاقبة اختلافهم في الاجناس واللغات والاديان وجددنا في التأليف بينهم سعيًا جديدًا غير ما كنا نسعى اليه سرا في جمعيتنا (الشورى العثمانية) المؤلفه من جميع العناصر العثمانية . ظهرنا بالتأليف الجهوري فخطبنا في كنيسة الارمن في القاهرة خطبة جعلها الاخلاص مؤثرة في نفوس حاضر بها من العثمانيين المختلفين في الاديان والمذاهب حتى قال لنا فارس افندي نمر محرم المقطم يومئذ ان هذه الخطبة وحدها تنضاهي عملك في التأليف والوفاق مدة عشر سنين . ثم سحننا في البلاد السورية وخطبنا مرات عديدة في ذلك وتكلمنا وكتبنا كثيراً ورأينا لعملنا وعمل غيرنا تأثيراً حسناً أعان عليه في تلك البلاد ذكاء الأهالي وأخلاقهم الحسنة

بيننا نحن نرى الولايات السورية أهدأ الولايات العثمانية وأشدّها اغتباطاً بالحكومة الدستورية ونرى من البلاد العربية كالبن والحجاز وقد هدأ ما كان يقع فيها من الكفاح والغارات فصارت اشدّ خضوعاً للدولة من ولاياتها الاوربية التي هي مهد قوتها وعظمتها فالعاصمة نفسها مكومة بديوان الحرب العرفي والدماء تخطب ولايات الارنوط ، ومقدونية تتمخض بما تتمخض به ، - بينا نحن على ذلك واذا بقراب ينعب من أول هذه السنة الهجرية بصوت عربي غربي غريب يخشى شره ولا يرجي خيره

صاح الفرور يفر العرب ويفر بهم باخوتهم الترك : يقول ان العرب هم الحاكون

والترك هم الخادمون ، ويطرى الامة العربية بالشعريات التي تحفز النفوس الى طلب
مالا يطلب ونيل مالا ينال ، ولم يفهم احد من العرب معنى كونهم هم الحاكمين والترك
هم الخادمين الا ان الكاتب يفهمهم ان الامر يجب أن يكون كذلك وانه عليهم
أن يطلبوا هذا الواجب ، لأن الامر في الواقع ليس كذلك ، ولكن هذا التغير
لم يؤثر في اغراء العرب لا لأن قائله منهم عندهم يفضله إياهم بل كان له دافع آخر
من نفوسهم وهو اعتقادهم ان الترك اخونهم في الدين وحكامهم الذين رجعوا باعلان
الدستور الى هدي الاسلام بمشاركتهم إياهم في الحكم فلا خادم في العناصر ولا
مخدوم ، وما القول بذلك الا من نزغات الشياطين ووساوس المفسدين

تهافت قول هذا الناقض وتناقض فهو تارة يطرى العرب ويقول في مدحهم ،
وطورا يعرض او يصرح بالطعن في جميع الظاهرين منهم كأمر مكة المكرمة والمبعوثين
وطلاب المناصب والخدمة في الدولة والكاتب الخادمين للدولة من طريق خدمة
العرب اذ يكتبون بالعربية — وتارة يدعي انه خادم الاسلام وناشر دعوته ومبغني
ارتقائه بارتقاء العرب ثم يدعو الى ترجمة القرآن بلغة المسلمين ليستفهموا عن القرآن
لنزل من عند الله تعالى ، ويزعم ان الاسلام قام بالا كراه كما أشرنا الى ذلك في
في المناجاة التمهيدية وهذا أشد مطعن يسدده الاوربيون الى قلب الاسلام ، ويذكر
سيدنا عيسى (عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا وسائر النبيين) بقلب رجل يهودي
وبمدهذا كله يخص بطعنه الصريح من قضى زهرة عمره في خدمة الاسلام والدفاع عنه
هناك ما هو شر من ذلك وهو السعي في مقاومة المشروع الاعظم لخدمة
الاسلام وهو إنشاء مدرسة دار العلم والارشاد التي يتربى فيها الوعاظ والمرشدون
ليقوموا بما أوجبه الله تعالى من فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم العامة
عقائد الاسلام وآدابه وأحكامه مع التنبيه الى مصالح الدنيا كترقية الزراعة وكل ما
ينبغي ثروة الامة ويعزز الدولة . فقد حدثني ثقة ان شيطان الفساد بعد ان مدح
المشروع قبل ان يتقرر عاد الى التنفير منه بعد ان علم بأنه تم او كاد فهو ينفركل من
يظن انه يساعده على هذه المقاومة بما يرى انه يصيب موقع التأثير من وجدانه
والاقناع من فكره : يقول للملاحدة ان تأسيس مدرسة إسلامية عربية في الآستان

يجعل للدين قوة مغنوية «جزويتية» تقضي على حريتك وتذهب بجميع مقاصدكم !!!
ويقول المتعصبين مثله للجنسية ان هذه المدرسة تقوي اللغة العربية وتحببها فتزاحم
التركية في عرشها الاعلى !!! ويقول للمتدينين الجامدين ان هذه المدرسة
تحبي علوم التفسير والحديث والفلسفة فتفسد عليكم التعليم المقرر في مذهب الامام
الاعظم !! وينفر بعضهم عنها بالطعن في شخص الداعي إلى تأسيسها وكأنه لا يدري
اننا نطلب ان تؤسسها جمعية من الفضلاء والعلماء وان يكون التعليم فيها بما يرضونه
ويختارونه ويكون أيضا بمراقبتهم الدائمة ، فهل يضر المدرسة مع هذا ان يصدق
الكذوب ويكون الطعن في شخص الذي نبه الى هذا العمل النافع صحيحا ؟

إذا كان خذلان مفسدي المسلمين لمصلحهم قد وصل الى هذه الغاية فهل يستبعد
بعد ذلك شيء مما ذكرنا عن غراب التفريق والتشكيث ؟؟ ماذ كرمشروع (العلم
والارشاد) لعالم ديني أو غير ديني ولا عاقل عربي أو أعجمي مسلم أو غير مسلم مستمسك
بدينه أو متهاون فيه الا وأعجب به واعترف بفائدته ونفعه وبأنه لا يحل محله سواء
في فائدته ومنفعته حتى ان بعض الملحدين قال اننا نحب ان يتعلم الاسلام على وجهه
فان المسلمين يكونون بذلك أقرب الى الترقى الذي يصدمهم عنه المتعصبون باسم
الدين ، كما يكونون أبعد عن إيذاء المخالفين ، وأما سائر الوسوس فظاهرة البطلان
بلغني خبر هذه السعاية فكان اول شيء سبق الى ذهني عند سماعه فاتحة كلام
نشر في جريدة العروة الوثقى وهو على ما أتذكر

« أسف يصهر الجسم وحسرة تذيب الالكاد على قبيل من أمة ، أو شخص
منها ذي همة ، يستخير الله في عمل ينقذ أمته من ضعة ، أو يعود عليها بمنفعة ، ثم
يعرض له في اثناء عمله من ينجم كقرن المعز ليقا عين العامل ويعرقل عليه عمله ، الخ
وتلا هذه الذكري في خاطري ما كنت سمعته من الاستاذ الامام محرو تلك
الجريدة (العروة الوثقى) في هذا المعنى رحمه الله تعالى : والله اني ماتشبت بخدمة
للاسلام أو المسلمين وقاومني فيها أحد من غير المسلمين ، ما قاومني في شيء من ذلك
انكليزي ولا قبطي ولا سوري مسيحي وإنا لقيت مقاومة كثيرة من المسلمين أنفسهم
في خدمة الاسلام والمسلمين !!

نعود من هذا الاستطراد الى أصل الموضوع وهو إيقاظ الفتن في البلاد العثمانية فنقول ان ناعق الفتنة لم يكتب بتغريير العرب وإغرائهم باخوتهم الترك بل عمد إلى إلقاء الشقاق بين المسلمين والنصارى منهم فنفخ روح العصبية الدينية في الفريقين فخرج كل واحد في دينه جرحا داما ، وأغرى كلا منهما بالآخر ومزق نسيج الوحدة الجنسية بينهما بايهامه من يقرأ كلامه من النصارى انه بهكمه بدينهم يتكلم باسم الاسلام ويرضي المسلمين وبانكاره ان يكون النصراني عرياض علمه ان النصرانية كانت في العرب قبل البعثة المحمدية كاليهودية . ويرى القارى في فتاوى هذا الجزء سؤالا عن حديث « ان الله سيمنع هذا الدين بنصارى من ربيعة » أي يحفظه ويؤيده . وما رأيت ولا رأى الراءون اسخف من اختراع هذه العلة للتفريق أي جعل العربية والنصرانية ضدبن لا يجتمعان ، وناهيك بسخافة ينقضها البيان ،

اطلنا على ما كتبه في ذلك موقظ الفتن فبادرنا الى مقابلة الضد بضده ومقاومة الشر بالخير ، والقذف بالحق على الباطل ، فكتبنا مقالة في تذكير أهل سورية وبيروت بما فيه خيرهم وخير دولتهم من الوفاق والوثام ، ونشرناها هنا في جريدة الحضارة وسيراتها القراء في المنار السادس ، ونرجو ان تكون دامغة لباطل موقظ الفتن ، لانها حجة داحضة لشبهته التي اخترعها خياله ، وناهضة في بيان ان مسلمي العرب يتبرءون من كل وسوسة تفرق بينهم وبين اخوتهم في الوطن والجنس واللغة والمصلحة والتابعة العثمانية كما يتبرأ الخير من الشر ، والنفع من الضر ، وان موقظ الفتنة لم يترجم عن ضمايرهم ولا قال ما قال بالنيابة عنهم وهو ليس منهم وان كان يحزننا أن وجد منهم من يترجم عنه ويكتب له ما يريد باسمه واسم نفسه ، وهو لم يقل ما قال أيضا باسم الاسلام وقد علموا انه جنى على الاسلام اكثر مما جنى على النصرانية ، وينبغي ان يبرءوا الحكومة الدستورية من الاقرار والاعانة على هذا الفساد وان شاع انها تساعد هذا المفسد على عمله فان صح ما يقال من مساعدتها إياه ، فلا بد ان تكون المساعدة لزعمه انه يعرض الاصلاح ودعواه ، « واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » كل من اطلع على ما كتبه المفسدون يعرف من يقصد منهم بهذا الكلام اذ

لا ينطبق على كثير من المفسدين ولو كان كل الفانين كمن ذكرنا لفسدت الارض وهلك الناس ، ومن لم يظلم عليه ولا وصلت اليه وسوسته فخير له ان لا يعرفه ، على انه اذا ظل سادرا في إفساده ، سادلا اذبال غروره وعناده ، فسفقل الكلام من حيزالابهام ونأني بالشواهد والنصوص من كلامه المؤيدة لما قلنا تحذيرا من كل مايكتبه وما يقوله ، ولعل ديوان الحرب العرفي يكفيننا ذلك بمنعه من أمثال هذه القتن قبل ان يظهر اثرها الردي . فان الرجل وإن كان متهما بسوء النية عند جميع العرب يخشي ان يؤثر كلامه في بعضهم أو يكون سببا لسوء ظنهم بحكومتهم الدستورية وفقها الله لكل اصلاح ، وجعل أيامها الدائمة ان شاء الله تعالى أيام خير وفلاح

المسلمون في روسية

❖ سياسة الحكومة ❖

أيها السادة : سأبحث لكم عن سياسة الحكومة مع المسلمين . لست اجد حاجة للبحث عن سياسة الحكومة العامة بعد خطابات ماقلاقوف وغيره من المبعوثين . واني اعلم ان السكوت والكلام سواء لأن الحكومة والنظار لا يعيرون اسماءهم لنداء الامة ولا سيما للمسلمين ولكنني اراني مضطرا الى الكلام خشية ان يحمل سكوت المسلمين على رضاهم بحالة القوضى الضاربة اطنابها في كل مكان

أيها السادة : اني غير ذاكر لكم الحوادث المؤلمة النازلة بالمسلمين ولا سيما اطفال المدارس وطرد المعلمين وائمة الدين واحدة واحدة ولكنني سأبحث عن سلوك الحكومة هذه السبيل . أيها السادة : ان المسلمين متضررون وواقعون تحت حيف الحالة الحاضرة والاختلال في روسية وان مسالمتهم وضعفهم وحلمهم كل ذلك جعلهم عرضة لمصائب ورزايا اعظم وأكبر (هرج ومرج في المجلس)

هـ) خطبة لصدر الدين افندي مقصودوف القاها على اعضاء مجلس الدوما بروسية منقولة من مجموعة مذاكرات المجلس وقد نشرت في جريدة ترجان التتربة التي تصدر بياغجه سراي ونحن نشرها مترجمة بالربية

الرئيس : اوجو التزام السكوت والسكون

مقصودوف : ان مصيبة المسلمين بالمشرين هي أعظم ما ينقص حياتهم وقد تتولى الدهشة رفقاءنا اعضاء المجلس لهذه الشكوى ويقولون كيف تستأون من بضع مئات من الرهبان والقسوس وهم لا يرغمونكم بالقوة على قبول دعوتهم واتصال دينهم بل ينشرونها بالوعظ والارشاد ولكن لو اقتصر الامر على ذلك لما تضجرونا ولا تذرنا ولكننا نتضجر وتتأفف لا لدعوة بضع مئين من الرهبان والقسوس ولكن لانهم يرمون الى غاية سياسية من وراء ذلك . فهم لا يكتفون بالدعوة الدينية بل يبتغون من وراء ذلك صبغنا بالجنسية الروسية . فنحن لانشكون وعظهم وارشادهم ولكن من مآرب الحكومة باتخاذهم آلة لها لتنفيذ اغراضها منا . لايخفى عليكم جميعا ان الحكومة في سياستها للمسلمين منذ نحو عشرين او ثلاثين سنة كانت على خطة « بوييدانوسجف » وكما كان هذا واعظا كان ايلنسكي مبشرا . فعملا بأفكار هؤلاء أقفلت مدارسنا وضيق على ظهور صحافتنا ثم امكننا عقب اعلان المساواة الدينية والمدنية في القرار العالي بأن ننجو من وطأة الرهبان واغرائهم الحكومة بنا ولكن خاب منا هذا الامل لان الحكومة لاتزال تصغي وتعمل بما يميله عليها الرهبان . وما تريد أن تعلمه من أحوال المسلمين ترجع فيه الى الرهبان . ومما يجدر بالتأمل في مثل هذه الامور التقرير الذي رفعه المسيو « الكسي » ناظر مدرسة الرهبان العليا في قزان الى نظارة الخارجية ولو وقف الامر عند هذا الحد لاضربت عن ذكره ولكن دائرة الاديان الاجنبية من نظارة الداخلية تهتم به اهتماما عظيما ومما يستدعي النظر انه قد ألقت جمعية غايتها الوقوف على حركة المسلمين والحيلولة بينهم وبين آمالهم المالية . واليك فكر الناظر « الكسي » وملاحظة « ان مسلمي روسية منهجون سبيل الاتحاد الاسلامي وهم يؤسسون المدارس والجرائد والمجلات ويقولون على التعليم وبالاختصار فهم دائبون وراء استنارة افكارهم وترقية مداركهم وغاية ذلك الاتحاد الاسلامي » ولا أصل على ما أعلم لما يذكره ذلك الراهب من انتشار فكرة الجامعة الاسلامية بل ان استنارة الافكار والسعي وراء الترقى لاعلاقة له بذلك كما لا يخفى ثم ان الاسلام في نظر المسيو « الكسي » عبارة عن الجهاد وسفك الدماء ويزعم ان

الناية الحديثة تستحسن هذا الامر . فاعلموا ايها السادة ان حكمة الاسلام وسيروته تنقضان هذا الزعم وانما غاية الاسلام الترقى والمدنية والتأريج شاهد على ما قامت به بغداد والاندلس من رفع منار العلم وما يتفقيه المسلمون ليس الاتحاد الاسلامي وانما الترقى والمدنية واصلاح حالتهم الاجتماعية . فان كان هذا مما لا يرضى عنه الراهب فذاك امر آخر .

ثم اذا كان المسلمون يفتشون الجمعيات الخيرية فأي دخل لهذا بالجامعة الاسلامية؟ إن كل من يظن ان لهذا الراهب الذي قدم تقريره لنظارة الداخلية وقوفا على احوالنا فهو مخطئ . لانه يجمل لقننا وكل ما كتبه عنا مترجم مما كتب بالفرنسية . ونظارة الداخلية تبني سياستها نحونا على امثال تلك الكتابات وهي آخذة في وضع خطة جديدة نحو المسلمين وبها تريد تفريق الدين عن القومية فهي لاتهاجم دينهم الاسلامي بل هيتهم القومية . ايها السادة : ان الدين والقومية واحد في المسلمين ولا يمكن تفريق احدهما عن الآخر ولم يفترقا منذ عصور وفي موقفي هذا قد اعلنا وأعلن رقائونا مرارا وتكرارا أن مسلمي روسية انما هم شعب مسلم اي انهم ليسوا روسيين مسلمين فهم أمة يجدر بها ان تعيش كأمة وقد قلت ذلك ولا أزال أعيده حتي يلجم لساني ويكم في !

وسنحافظ على قوميتنا محافظة لانخرج بها عن دائرة الاخلاص لتابعيتنا فسنعافظ على لقننا القومية وسندأب على ترقية شأنها ورفع آدابها شأن كل الامم واني اصرح للحكومة بأن كل ما يضعونه في سبيلنا من العقبات والموانع وما يعدونه من التدابير سيكون عقيما . لانا نعد المعارضة لقوميتنا تصد لدينا وعلى ذلك فلا الحكومة ولا دائرة المذاهب الاجنبية تقدر أن تفصل ديننا عن قوميتنا وان تضعف احدهما وتحمد الثاني . فنحن سنعيش أولا كمسلمين وثانيا كشعب بمقومات خاصة في روسية واني واثق اننا ستقاوم التدابير الجديدة التي تعدها دائرة المذاهب الاجنبية ضدنا بنفس الروح التي أظهرناها في مقاومة «ايوان غروزني» الذي حاول تصغيرنا بالسيف . ايها السادة : اني اختم كلامي بأن أعلن بأننا نحن مسلمي روسية سنعيش كشعب حر في روسية الحرة . (تصفيق في الجناح الايسر)

تعصب اوربا الديني

(الزام النسا والمجر لمسلمي بلادهم باتباعهم في احكام الزواج والطلاق)

نشرنا في المجلد الماضي (ص ٤٣٨ و ٤٩٩ و ٨٥٦) وفي غيره نبذا ومقالات بينا فيها ان الغلو في التعصب الديني منبعا اوربا ونحن في كل آن نرى الآيات والشواهد على ذلك من غير تتبع ولا استقراء . من ذلك ما رأيناه في هذه الايام في جريدة (صداي ملت) التي يصدرها بعض روم الاستانة باللغة العثمانية هنا (الآستانة) وماذا رأينا فيها ؟ رأينا عجباً ! رأينا ان الحكومة قررت أن دين المسلمين لا يتفق مع مدينتهم في احكام الزواج والطلاق لانه يبيح تعدد الزوجات فيجب إلزام المسلمين واكرامهم على اتباع محاكم الدولة في ذلك وعدم السماح لهم بمجعل ذلك على حسب شريعتهم والرجوع الى محاكمهم الشرعية التي كانوا يحكمون فيها بما يتعلق بالامور الشخصية !! ولا يبعد ان يمنعهم بعد زمن قريب أو بعيد من الحج لان فيه مشقة أو تعرضا للمرض وهم لشدة حبهم للمسلمين يحولون بينهم وبين ما يؤذيهم !! ومن الصوم لانه مانع من حرية التلذذ الذي هو متتهى الحظ من هذه المدينة !! ومن الصلاة لان فيها اجتماعا على غير ما تحب الدولة العادلة !!

لو فعلت هذه الفعلة التي فعلتها النسا الحكومة العثمانية أو حكومة مرا كش أو الافغان لقامت قيامة اوربا وأمريكا والعالم المسيحي كله حتى التابعين للحكومة الاسلامية التي تفعل ذلك وتجاوبت اصداؤهم بالصياح والشكوى من تعصب المسلمين والتهريض على ابادتهم من الارض فاعتبروا ايها المنصفون !

(اعتصاب الزيتونين) اعتصب طلاب جامع الزيتونة بتونس عن تلقي الدروس طالبين تغيير الحال بما ينجح الاعمال وينفع في الحاضر والمآل وبعد ان كادت تخذلهم السياسة نصرهم الاتحاد فاجبوا الى معظم ما طلبوا وقد كنا كتبنا مقالة نرحب فيها بهذه النهضة فلم يتسم لها هذا الجزء

(الانكليز في بلاد العرب) كتبت التيمس مقالة فيها تلويحي نبه عن تصريح بماتوجهت اليه عزائم الانكليز من العمل في بلاد العرب فحسب ان تستيقظ الدولة وتصحح الى هذا الصوت لاني صوت ذلك الموسوس المترك ولعلنا ننقل المقالة في الماراج السادس ونفني عليها بما يمن لنا من النصيحة

الفصل الحادي والعشرون (*)

(الدليل النقلي)

اقتداء الناس بعضهم ببعض أمر قد ألقته طباعهم عظيم الالفة. وربما كان من سنخ غرائزهم، ومن مادة تصورهم، اذ رأوا عريفا في مرافقة الاجيال، والتنقل في الانسال، وموغلا في الرسوخ والاستقرار، والدوام والاستمرار، لا يرحزونهم شيء عنه، ولا يفصل بينهم وبينه فاصل هذا الاقتداء تقع البشر كثيرا، واضرّ بهم كثيرا، فاما نفعه ايام فلأن الاكبر سنا، والاكثر فهما، والاشد قوة، والاغزر تجربة، يحملون المقتدين بهم، يبتدئون حيث انتهوا هم، ويمهدون لهم ما لا يستطيعون أن يمهّدوا لأنفسهم، ولو بقي الطفل والغبى والضعيف والفرخاين من طبيعة الاقتداء لراحت اكثر التجارب والاختراعات والتفكرات والاعمال المظلمة سدى، ولولا الاقتداء لما تعددت الاعمال والصناعات، ولا كثرت البدائع، ولا ارتقي التمدن، ولا نمي العمران، ولا سما النظام. وأما اضراره بهم فلانه ساق أحيانا الى الاقتداء بالجاهلين والمفسدين، ووقف أحيانا بأقوام مع ماسن لهم اسلافهم وقفة الصخور، وجعلهم يحرمون مما يأتي على أيدي الحكماء من الهدى متى خالف ما عرفوا من قبل، وان اصبحت ما عرفوه منكرا لدى أهل زمانهم أجمعين

البحث عن نفعه واضراره، ووضع الموازين للدرجات فيه، لا قرابة

(٥) تابع لما نشر في (٢٣١ م ١٣) من سيرة السيدة خديجة بقلم السيد عبد الحميد الزهراوي

بينه وبين موضوعنا ، ولكن اتخاذا الناس بعض كلام الآخرين من جملة الادلة هو الذي حملنا أن تقدم هذه الكلمات في وصف عراقة وبيان أن بعضه نافع كما وقع للسيدة « خديجة » * * *

كان للسيدة « خديجة » ابن عم قد شبع من الاعوام ، وارتوى من حديث الانام ، قد تعلم العبرانية وقرأ بها الاسفار ، وعرف بها الاديان ورضي بدين ابن مريم (عليه السلام) ديناً وهو « ورقة بن نوفل »

هذا الشيخ الجليل كان جديراً أن يكون اماماً لخديجة تتخذ قوله حجة وهدية معتصماً لان هناك وجوها كثيرة تدفع عن نفسها الريب بأن هذا الرجل أعلم منها بهذه الامور وانه لا يصدر عنه الا النصيح لها . فهو بالدرجة الاولى ابن عمها بل بحسب السن مع القرابة هو في مقام ابياها ، فلو أن ورقة غشاش مخادع لما كان منه الغش والخداع لبنت عمه فكيف وهو مستمسك اذ ذاك بدين ذلك الانسان المملوء قدساً الذي كان اكبرهمه حث الناس على التعاطف ونفع بعضهم لبعض ، ونهيه عن التشاحن وايداء بعضهم لبعض . وهو مع قرابته وسمو التعاليم التي تزكت بها نفسه كان في نظر خديجة سامي المهمة جداً ذلك ما حملها على الاسراع اليه لتقص عليه الخبر وترجع في هذا الامر الى علمه وأخذت معها بعلها ليقص هو نفسه على سمعه مارأى

كان ورقة بحسب ماقرأ وعرف مصداقاً بأن ليس هذا الهيكل البشري الامظهر الاشياء يحل فيه هذه المدة القصيرة باذن الله وهو الروح ، وأن للروح ظهورات غريبة في بعض الهياكل ، وانه توجد ارواح من شأنها الاجتنان عن الحس والعيان تتمكن من الانسان من حيث لا يشعر ، صنف منها يجب جذبه الى سبل التكميل ، وصنف منها يجب بقاءه في

حضيض البهيمية ، يقال في العربية للاول ملائكة والثاني شياطين
كان مصداقاً بكل هذا ومؤمناً أيضاً بأن بعض الارواح الذين هم
الملائكة يختصهم الفاطر المصور بمن يدخصائص ويجعلهم نواويس أي وسطاء
الوحي الأعلى للذين يريد سبحانه أن تكون ظهورات الروح فيهم سامية جداً
كان قد قرأ الانبياء وعرف مجيء الارواح اليهم وعرف أنه يقوم
أنبياء كذبة وأنبياء صادقون وأن لهؤلاء وهؤلاء علامات . فنحن لما سمعنا
ذهاب خديجة الى هذا العالم المسيحي خطر ببالنا أنه لا يكون سهلاً تصديقه
بقديسية الروح الذي أتى محمداً (صلى الله عليه وسلم) لأن يوحنا الرسولي
يقول في رسالته الاولى «أيها الاحياء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا
الارواح هل هي من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا الى العالم.
بهذا تعرفون روح الله . كل روح يعترف يسوع المسيح أنه قد جاء في
الجسد فهو من الله، وكل روح لا يعترف يسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد
فليس من الله» ولكن الذي خطر ببالنا أن وقوعه صعب قد رأينا أمراً
واقفاً ورقة بعد أن سألت بعل ابنة عمه بضع مسائل قال له هذا هو
ناموس موسى أي الروح الذي جاءه . والظاهر أنه لم يقل هذا القول ولم
يصدق هذا التصديق الا بعد أن عمل الامتحان الذي أوصى به يوحنا الرسولي
وظهرت له الالام الدالة على أن هذا الروح من الله على حسب ما تعلم من الكتب
نحن لاندعي العلم بتفسير هذه الكلمات التي ليوحنا ولا طريقة
الامتحان التي أشار بها . ولكن نظن أن ذلك العالم القريب من ذلك العهد
بالنسبة الى زماننا هذا كان لا يجهل هذا التفسير . وكذلك لاندعي العلم
بتفسير قول موسى لبني اسرائيل «ان نبيا مثلي سيقم لكم الرب الهكم من

اخوتكم» ولا تفسير الاصحاح الثاني والاربعين من «اشعياء» ولكن يظهر لنا أن ورقة قد فهم من قول موسى هذا ومن اشعياء أنه سيكون نبي من العرب يكون مقامه حوالي سلم ذلك الجبل المعروف في البلاد العربية. وهذا نص مافي أشعيا :

« ١ هوذا عبدي الذي أعضده ، مختاري الذي سرت به نفسي ، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للامم ٢ لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته ٣ قصبة مرصوفة لا يقصف ، وفتيلة خامدة لا يطفى ، الى الامان يخرج الحق ٤ لا يكل ولا ينكسر حتي يضع الحق في الارض وتنتظر الجزائر شريعته ٥ هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها ، باسط الارض وتناجبها ، معطي الشعب عليها نسمة ، والساكنين فيها روحا ٦ أنا الرب قد دعوتك بالبر ، فأمسك بيدك ، فأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للامم ٧ لتفتح عيون العمي ، لتخرج من الحبس المأسورين ، من بيت السجن الجالسين في الظلمة ٨ أنا الرب هذا اسمي ومجدي ، لا أعطيه لآخر ، ولا تسبيحي للمنحوتات ٩ هوذا الاوليات قد أتت ، والحديثات أنا منخبها ، قبل ان تنبت أعلمكم بها ١٠ غنوا للرب اغنية جديدة ، تسبيحة من اقصى الارض ، أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها ١١ لترفع البرية ومدنها صوتها ، الديار التي سكنها قيدار ، لترنم سكانها من رؤوس الجبال ليهتفوا ١٢ ليعطوا للرب مجداً ويخبروا بتسبيحه في الجزائر »



قد قلت وأعيد قولاني لأدعي العلم بتفسير هذه الكتب واكني لما رأيت ورقة قال لزوج بنت عمه هذا هو ناموس موسى بحثت عن منشأ

قوله هذا فوجدت فيما ذكرت آتفا من قول موسى واشعيا ما يشبه أن يكون مأخذاً فمن أراد أن يقول لي لا يفهم من قول موسى واشعيا ما فهمت لا يجديني أسفا على عدم إصابة ظني بخصوص ما حمل ورقة بن نوفل على قوله هذا فانه يجوز أن يكون قد عرف ذلك بغير ما ظننته . ولست في هذا المقام بذى حجاج ومناظرة ان انا ههنا الا كاتب سيرة أجتهد باستقصاء فروع حوادثها وتفسيرها على قدر فهمي ومبلغ ما وصلت اليه من النقول وههنا مسألة جلية لا نستطيع مفارقة هذا المقام من غير أن نوضحها ونسهل فهمها على القارئ وهي ان الارواح قد تعلم بمض الاشياء قبل وقوعها اذا كشف الله تعالى لها عنها بواسطة النواميس أو واسطة غيرها هذا المعنى كان بنو اسرائيل يقولون به كما كان كثير من الامم الاخرى تذهب اليه وقد جاءت كتبهم حاملة سلسلة من أخبار هؤلاء البشر الذين كان الروح الالهى ينزل عليهم فينبشهم بما سيكون . وتبتدي هذه السلسلة المهمة في كتبهم بحديث نوح الذي أنبئ فأنبأ بانه سيكون طوفان ويموت كل من على وجه الارض وهدى الى صنع الفلك فصار الطوفان ونجاهو وأولاده ونساؤهم وتناسلوا بعد الطوفان ثم تفرقوا ثم اصطفى الله من هذه الانسال ابراهيم^{*} وكان ينزل عليه روحاً من عنده ، وشاخ ابراهيم وزوجته سارة من غير أن يصير لهما نسل ولكن حبلى منه أخيراً هاجر جارية زوجته ونزل عليها الروح وقال لها سيكثر نسلك فلا يمد من الكثرة فولدت له اسماعيل ثم أنبئ أن زوجته سارة ستحبل وتلد بهد هذه الشيخوخة

(*) ابراهيم بن تارح بن ناحور بن مروج بن دعو بن فالج بن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح (كذا في التكوين)

وطول هذا العقم فولدت له اسحاق وابني ان نسل اسحاق سيكون كثيرا
ايضا . وغضبت سارة على هاجر فطردتها وغلامها فنزل على هاجر الروح
وقال لها لا تخافي لان الله قد سمع صوت العلام وسيجعله امة عظيمة وكان
الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية بركة فاران التي قال عنها موسى ان
الله سبحانه تلالا فيها

وتأخذ كتب بني اسرائيل بعد ذلك بسرد اخبار من تناسل من
اسحاق بن ابراهيم وأما اخبار من تناسل من أخيه اسماعيل فلا تذكرها
فابن اسحاق يعقوب وهو اسرائيل كان الروح ينزل عليه ، ويوسف بن
يعقوب كان الروح يحى اليه

ويوسف هو سبب محيي بيت يعقوب الى مصر وهناك تناسلوا وكثروا حتى
ولدفهم موسى صاحب الشريعة الشهيرة . هذا ايضا كان ينبأ وينزل عليه
الروح وهذا قال لقومه « ان نبيا مثلي سيقم لكم الرب الهكم من اخوتكم »
واسس موسى لبني اسرائيل ملكا على الوحي الروحي وخلفه بعد
موته تلميذه يوشع بن نون وبعد موت يوشع بدأ الفساد والضعف يحل
بهم ثم اتسليم داود وسليمان وتعاضم الملك في أيام سليمان ثم طرأت عليه
بعده الطوارئ حتى زال . ولم يخل زمان من أزمنة ملوكهم وبعدها من
نبي أو عدة أنبياء حتى نزل الروح أخيرا على مريم أم عيسى وبشرها بانه
يكون لها ولد من غير أن عيسها بشر . وقد ولدت مريم عيسى على هذه
الصورة التي بشرت بها وصار نبيا أيضا ولكن قومه كذبوه ولم يصدقوه الا
قليل . وقد كذبوا من قبله أكثر الانبياء الذين كانوا ينذرونهم بزوال الملك
إذا ظلوا على الفساد

أنا لا أعرف لماذا يكذب بعض الناس بأشياء هم مصدقون بمثلها ،
أو يصدقون بأشياء هم مكذبون بمثلها . هذا أمر وقع كثيرا وبقع دائما أمام
أعيننا واسماعنا فهل التصديق والتكذيب بحسب وزن الاشخاص ، وما هو
الميزان في الاشخاص ؟ أم بحسب وزن العقل وما هو سبيل العقل في التصديق
والتكذيب بمثل هذا ؟

أنا أرى أن من آمن بسعة قدرة الله ، وبمجايب صنع الله ، ونفذت
بصيرته لرؤية آثار روح الله ، وآمن بمجيئ ناموس الله لعبده موسى لا ينبغي
له أن ينكر قدرة الله في اخراج عيسى من مريم بغير واسطة بل ، ولا
يجدر به أن يكذب نزول روح الله عليه كما نزل على أخيه موسى . ومن
آمن بمجايب موسى وعيسى ابني اسحاق ونزول روح الله عليهما لا ينبغي
له أن يستبعد نزول هذا الروح على أخ لهما من بني اسماعيل

هذا أقوله للذين صدقوا بما هنالك من العجايب والفرائب الموسوية
والميسوية وأما الذين لا يصدقون بهذي وتلك ولا يحكمون الا الحس
والعقل فهو لاء أمضي بهم الى التجارب والمشاهدات وأنا واثق أنا لا نعدم في
خزائنها كثيرا مما يؤيد أن بعض البشر يخبرون عن بعض الحوادث قبل وقوعها
فان قال لي هؤلاء نعم قد يوجد أناس على هذا النحو ولكن ليس
هذا سبب اخبار من روح كما تقولون قلت لهم اذا توافقنا في ثبوت الاصل
فلاضير علينا بعد ذلك بالاختلاف في الاسباب وأسماؤها

وان قالوا لي ما الفرق بين هؤلاء الذين قد زعم في أزمنتنا هذه من
هذا القبيل وبين من تحدثونا عنهم قلت لهم ان هذا الفرق ظاهر لان
الاختصاص كله من الله فهو يعطي انسانا معرفة بعض الوقائع الآتية

ويجمله شارعا وقائد أمم ومؤيدا بتأييد عظيم لا تحيط به العبارة ويعطي
انسانا آخر مثلا صغيرا من هذه المعرفة من غير أن يجمله شارعا وقائد
أمم ومؤيدا بتأييد عظيم فالاول يقول أنا نبي أو أنا رسول وبظهر الله صدقه
فيما يقول والثاني لا يستطيع أن يقول هذا وان قاله لا يظهر قوله حقا . فهل
ينكر هذا الفرق الكبير ذو بصيرة لا يمدوها الا خلاص الى الله والادب
مع مجالي أمره ، ومظاهر سره ٢١

لقد كان ورقة على مظهر لنا شديد الاخلاص متوغلا في علم الروح
ومعرفة النواميس الالهية وأخبارها ، وكان على نور فراسة من ربه وسرعة
استطلاع فلما سمع هذا النبأ الجديد تفرس بصاحبه وتذكر ما نقل عن
الانبياء واصحاب النواميس من قبل ، وتذكر قول موسى لقومه بني اسحاق
« سيقم الله نبيا مثلي من اخوتكم » وما اخوتهم إلا بنو اسماعيل فقال له
هذا هو الناموس الذي نزل على موسى

ثم تذكر ابداء الناس للانبياء مع قول اشعيا « لترفع البرية صوته ،
الديار التي سكنها قيدر » وقيدر هو ابن اسمعيل ، وقوله « لترنم سكان
سالم » وسالم او سلم جبل على مقربة من « يثرب » من أشهر جبال العربية
فلاح له أن قريشا ستضطرب هذا النبي الى مفارقة بلده « مكة » فقال له
« ليتني فيها جذعا -- اي شابا -- اذ يخرجك قومك »

وبعد برهة قليلة توفي ورقة . أما « خديجة » فاستمسكت بكلام هذا
الرجل أيما استمسك وأضافت علومه الى ما قد عرفته هي بدلالة عقلا
وتجربتها فأصبح ايمانها بنبوة بطلها ورسالته الى الناس اثبت من الرواسي

بؤنوا الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

المسحاة

فيهم جادى الذين يستمعون القول فيتمنون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر الخميس ٣٠ جمادى الآخرة ١٣٢٨ - ٧ يوليو (تموز) ١٢٨٦ - ١٩١٠م)

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٣٧: ٣٣) وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلِي مِمَّا تَرَكَ، الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبُونَ
وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيحَتَهُمْ إِنْ أَلْفَ كَانَتْ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدًا

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ظاهر جدا على القول بأن سبب نزول الآية
السابقة هو ما تقدم من حديث تفضيل الرجال على النساء في الارث ، وكذا على
القول بعموم التمني في تلك الآية فان اكثر التحاسد وتمني ما عند الغير يكون في
المال وقلمما يتمنى الناس ما فضلهم به غيره من الجاه الامن حيث ان ذلك الجاه يستتبع

المال في الغالب فالعالم الزاهد في الدنيا المعرض عنها لا يكاد يحسده على علمه أحد إلا أن يكون لعله غير العلم كأن يكون علمه مظهرًا لجهل الادعاء وينقص من رزقهم واحترامهم.

الاستاذ الامام : الظاهر ان الكلام في الاموال فانه نهى عن أكلها بالباطل ثم نهى عن تمني أحد ما فضله به غيره من المال لان التمني يسوق الى التعدي وانما أورد النهي عاما لزيادة الفائدة والسياق يفيد ان المال هو المقصود أولا وبالذات لان أكثر التمني يتعلق به ، وذ كر القاعدة العامة في الثروة وهي الكسب . ثم انتقل من ذكر الغالب وهو الكسب الى غير الغالب وهو الارث فقال ﴿ ولكل جعلنا موالى مما ترك ﴾ فالموالى من لهم الولاية على التركة ، ومن قوله تعالى « مما ترك » ابتدائية والجملة تم بقوله « ترك » والمعنى : ولكل من الرجال الذين لهم نصيب مما اكتسبوا والنساء اللواتي لهن نصيب مما اكتسبن موالى لهم حق الولاية على ما يتركون من كسبهم ، وهؤلاء الموالى هم ﴿ الوالدان والأقربون والذين عقدت إيمانكم ﴾ اي جميع الورثة من الاصول والفروع والحواشي والازواج كما تقدم التفصيل في اول السورة ، فالمراد هنا بالذين عقدت إيمانكم الازواج فان كل واحد من الزوجين بصير زوجها له حق الارث بالعقد ، والمتعارف عند الناس في العقد ان يكون بالمصاحفة باليدين ﴿ فآتوهم نصيبهم ﴾ أي فأعطوا هؤلاء الموالى نصيبهم المفروض لهم ولا تنقصوهم منه شيئا . ولما كان الميراث موضعا لطعم بعض الوارثين — أي ولا سيما من يكون في أيديهم المال لاقامة المورث معهم — قال تعالى بعد الامر باعطاء كل ذي حق حقه ﴿ ان الله كان على كل شيء شهيدا ﴾ أي إنه تعالى رقيب عليكم حاضر يشهد تصرفكم في التركة وغيرها فلا يحملكم الطمع وحسد بعضهم لبعض الوارثين على أن يأكل من نصيبه شيئا سواء كان ذكرا أم أنثى كبيرا أم صغيرا أقول ان ما ذهب اليه الاستاذ الامام هو المتبادر الذي لا يمتز فيه الفكر ، ولا يكتفى في ميدانه جواد الذهن ، ولا يحتاج فيه الى تكلف في الاعراب ، ولا الى القول بالنسخ ، فأين منه تلك الاقوال المتكلفة التي انتزعها المفسرون انتزاعا من

تنوين قوله تعالى «ولكل» فهو ههنا بدل من مضاف اليه محذوف لدلالة السياق عليه كما هو المعهود في مثله من هذه اللغة والمأخذ القريب المتبادر لهذا المضاف اليه هو الآية السابقة التي عطف عليها قوله «ولكل» فاختار ان المخاطبين بالنهي والامر في تلك الآية هم المخاطبون بالحكم بامثاله في هذه الآية المعطوفة عليها . واختار جمهور المفسرين البعد في التقدير فقدروا المضاف اليه لفظ تركة أو مال أو ميت أو قوم قال القاضي البيضاوي : اي ولكل تركة جعلنا ورثاها يلوونها ويحوزونها ، ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل — أو لكل ميت جعلنا ورثاها مما ترك على أن من صلة موالى لانه في معنى الوراث وفي «ترك» ضمير كل و«الوالدان والاقربون» استئناف مفسر للموالى وفيه خروج الاولاد فان «الاقربون» لا يقتناولهم كما لا يقتناول الوالدين او لكل قوم جعلناهم موالى حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان «جعلنا موالى» صفة «كل» والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجمله من مبتدأ وخبر . اه وقوله ان الاولاد لا يدخلون في الاقربين غير مسلم ولماذا لم يقل مثله في تفسير قوله تعالى في أوائل هذه السورة «٦ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون» الخ بل فسر الاقربين بالمتوارثين بالقرابة وذكر في سبب نزولها ماورد في ارث البنات والزوجة وفسر بعضهم «الذين عقدت أيمانكم» بموالى الموالاة ورووا أن الحليف كان يرث السدس من مال حليفه في الجاهلية وأقره الاسلام أولانم نسخ بقوله تعالى «وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض» وروى ابن جرير عن قتادة أنه قال كان الرجل يعاقد الرجل في الجاهلية فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وترثي وأرثك وتطلب بي وأطلب بك ، فجعل له السدس من جميع المال في الاسلام ثم يقسم أهل الميراث مبرأهم فنسخ ذلك بعد في سورة الانفال — وذكر الآية المذكورة آنفاً — وروى مثل ذلك عن ابن عباس . ولكن لاعلاقة لهذا بالآية فالظاهر ان سورة النساء نزلت بعد سورة الانفال فان سورة الانفال نزلت في سنة بدر والموارث شرعت بعد ذلك والآية التي فسرنا نزلت بعد آية الموارث لالانها بعدها في ترتيب السورة بل لانها أشارت الى أحكام الموارث وبنيت على أن الله تعالى جعل لكل من الوارثين نصيبا يجب ان يؤدى اليه تاما ، فهل يعقل ان تكون مع ذلك مقررة

للارث بالتحالف ؟ إن القرآن لم يشرع للناس الارث بالتحالف وإنما أبطله ونسخ ما كان عليه الناس فيه قبل نزول آيات المواريث كما هو ظاهر . وذهب أبو حنيفة الى انه أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يرثه ويعقل عنه صح ذلك وكان عليه عقله وله إرثه ان لم يكن له وارث . والمراد بالعقل دية القتل . والذي صح عن ابن عباس عند البخاري وابي داود والنسائي ان النبي (ص) لما آخى في أول الهجرة بين المهاجرين والانصار كان المهاجر يرث اخاه الانصاري دون ذوي رحمه فلما نزلت هذه الآية نسخ ذلك . وجعل جملة « والذين عقدت أيمانكم » استثنافية والوقف على ما قبلها قال والمعني « قَاتُوهُمْ نصيبهم » من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصي له

هذا وان الاستاذ الامام قد سبق الى القول بأن المراد بمقدت أيمانكم عقد النكاح فهو مختار له لا مبتكر ، وقد ذهل من قال من ناقله إنه خلاف الظاهر مستدلا بأنه لم يعمد إضافته الى اليمين ، فانه لا يلتزم هو ولا غيره ممن يوافق في هذه المسألة ان يكون كل استعمال في القرآن أو في كلام البلغاء معهودا في كلام الناس قبله لاستزام ذلك ففي الابتكار وان كل استعمال يجب ان يكون قديما معروفا في الجاهلية ، وذلك باطل بالبداهة ، فكم في القرآن والحديث من أبتكار الاساليب الحسان ، اللاتي لم يطعنن إناس قبلهما ولا جان ، وما من بليغ الا وله مخترعات في البيان ، لم يسلك فجاجها من قبله إنسان ، ولماذا يستبعد إسناد عقد النكاح الى الايمان دون غيرها من العقود كالحلف والبيع والمعهود في جميعها وضع اليمين في اليمين ؟ . وقد قرأ الكوفيون « عقدت » بغير الف ، والباقون « عاقدت » بألف المفاعلة ، وقرئ في الشواذ عقدت بتشديد القاف

(٣٣ : ٣٨) الرَّجَالُ قَوَّמוْنَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا آتَقَوْا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، فَالضَّلَاحَةُ قُنِيتُ حِفْظُهَا لِلغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ، وَأَنِّي تَخَافُورُ تُشَوْرُهُنَّ فَيُظَوُّهُنَّ وَأَعْجُرُوهُنَّ

فِي الْمَضْجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ ، فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ،
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٤ : ٣٩) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَنْبِئُوا
حُكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا

لما نهى الله تعالى كلا من الرجال والنساء عن تمني ما فضل به بعضهم على بعض ،
وارشدهم الى الاعتماد في امر الرزق على كسبهم ، وأمرهم أن يوتوا الوراثة نصيبهم ، ولما
كان من جملة أسباب هذا البيان ذكر تفضيل الرجال على النساء في الميراث والجهاد
كان لسائل هنا ان يسأل عن سبب هذا الاختصاص وكان جواب سؤاله قوله تعالى
﴿الرجال قوَّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم﴾
أي إن من شأنهم المعروف المجهود القيام على النساء بالحماية والرعاية والولاية والكفاية
ومن لوازم ذلك ان يفرض عليهم الجهاد دونهن فانه يتضمن الحماية لهن ، وأن يكون
حظهم من الميراث أكثر من حظن لان عليهم من النفقة ما ليس عليهن ، وسبب
ذلك ان الله تعالى فضل الرجال على النساء في أصل الخلقة ، وأعطاهم ما لم يعطن
من الحول والقوة ، فكان التفاوت في التكاليف والاحكام ، أثر التفاوت في الفطرة
والاستعداد ، وثم سبب آخر كسبي ، يدعم السبب الفطري ، وهو ما انفق الرجال على النساء
من أموالهم ، فان في المهور تعويضاً للنساء ومكافأة على دخولهن بعقد الزوجة تحت رياسة
الرجال فالشريعة كرمت المرأة اذ فرضت لهما مكافأة عن أمر تقتضيه الفطرة ونظام المعيشة
وهو أن يكون زوجها قيما عليها فجعل هذا الامر من قبيل الامور العرفية التي يتواضع
الناس عليها بالعقود لاجل المصلحة كأن المرأة تنازلت باختيارها عن المساواة التامة
وسمحت بأن يكون للرجل عليها درجة واحدة هي درجة القيامة والرياسة ، ورضيت
بعوض مالي عنها ، فقد قال تعالى (٢ : ٢٢٧) ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال
عليهن درجة) فالآية أوجبت لهم هذه الدرجة التي تقتضيها الفطرة لذلك كان من
تكريم المرأة اعطاؤها غرضا ومكافأة في مقابلة هذه الدرجة وجعلها بذلك من قبيل

٤٠٦ حدود رياسة الرجل على المرأة وكونها لا تنقص قدرها (المئارج ٦ م ١٣)

الامور العرفية لتكون طيبة النفس مثلجة الصدر قريرة العين ولا يقال ان الفطرة لا تجبر المرأة على قبول عقد يجعلها مريوسة للرجل بغير عوض فإننا نرى النساء في بعض الامم يعطين الرجال المهور لكن تحت رياستهم . وقد سبق لنا في بيان حكمة تسمية المهور أجورا من عهد قريب نحو مما تقدم هنا وهو ظاهر جلي وان لم يهتد اليه من عرفت من المفسرين وجعل بعضهم انفاق الاموال هنا شاملا للمهر ولما يجب من النفقة على المرأة بعد الزواج

الاستاذ الامام : المراد بالقيام هنا هو الرياسة التي يتصرف فيها المروس بارادته واختياره وليس معناها أن يكون المروس مقهورا مسلوب الارادة لا يعمل عمالا لا ما يوجهه اليه رئيسه فان كون الشخص قويا على آخر هو عبارة عن ارشاده والمراقبة عليه في تنفيذ ما يرشده اليه أي ملاحظته في أعماله وتربيته ، ومنها حفظ المنزل وعدم مفارقتها ولو لنحو زيارة أولي القربى الا في الاوقات والاحوال التي يأذن بها الرجل ويرضى ، أقول ومنها مسألة النفقة فان الامر فيها للرجل فهو يقدر للمرأة تقدير الإجماليا يوما يوما أو شهرا شهرا او سنة سنة وهي تنفذ ما يقدره على الوجه الذي ترى انه يرضيه ويناسب حاله من السعة والضيق

(قال) والمراد بتفضيل بعضهم على بعض تفضيل الرجال على النساء ، ولو قال « بما فضلهم علينا » أو قال « بتفضيلهم علينا » لكان اخصر وأظهر فيما قلنا انه المراد وإنما الحكمة في هذا التعبير هي عين الحكمة في قوله « ولا تتموا ما فضل الله به بعضكم على بعض » وهي افادة أن المرأة من الرجل والرجل من المرأة بمنزلة الاعضاء من بدن الشخص الواحد فالرجل بمنزلة الرأس والمرأة بمنزلة البدن أقول يعني أنه لا ينبغي للرجل ان يبغي بفضل قوته على المرأة ولا المرأة أن تستثقل فضله وتعدده خافضا لقدرها فانه لا عار على الشخص إن كان رأسه أفضل من يده ، وقلبه أشرف من معدته مثلا ، فان تفضيل بعض اعضاء البدن على بعض يجعل بعضها رئيسا دون بعض إما هو لمصلحة البدن كله لا ضرر في ذلك على عضو ما وإنما تتحقق وتثبت منفعة جميع الاعضاء بذلك . كذلك مضت الحكمة في فضل الرجل على المرأة في القوة والقدرة على الكسب والحماية ، ذلك هو الذي يقيس لها به اقيام بوظيفته الفطرية وهي الحمل

والولادة وتربية الاطفال وهي آمنة في سرها ، مكفية مايهما من أمر وزقها ، وفي التعبير حكمة أخرى وهي الإشارة الى هذا التفضيل إنما هو للجنس على الجنس للجميع افراد الرجال على جميع افراد النساء ، فكم من امرأة تفضل زوجها في العلم والعمل بل في قوة البنية والقدرة على الكسب ، ولم ينه الاستاذ الى هذا المعنى على ظهوره من العبارة وتصديق الواقع له وان ادعى بعضهم ضعفه وبهذين المعنيين اللذين أفادتهما العبارة ظهر أنها في نهاية الایجاز الذي يصل الى حد الاعجاز لانها افادت هذه المعاني كلها . وقد قلنا في تفسير « ولا تتموا ما فضل الله به بعضكم على بعض » ان التعبير يشمل مايفضل به كل من الجنس الآخر وما يفضل به افراد كل منهما أفراد جنسه وافراد الجنس الآخر ، ولا تأتي تلك الصور كلها هنا وان اتحدت العبارة لان السياق هناك غيره هنا ، على اننا اشرنا ثمة الى ضعف صورة فضل النساء على الرجال بما هو خاص بهن من الحمل والولادة والرجال لا يمتنون ذلك . ونعود الى كلام الاستاذ

(قال) وما به الفضل قسمان فطري وكسبي فالطاري هو أن مزاج الرجل أقوى وأكل ، وأتم وأجل ، وإنكم لتجدون من الغرابة أن أقول إن الرجل أجل من المرأة وإنما الجمال تابع لتام الخلقة وكماها ، وما الانسان في جسمه الحي الا نوع من أنواع الحيوان فنظام الخلقة فيها واحد ، واننا نرى ذكور جميع الحيوانات أكل وأجل من إناثها كما ترون في الديك والدجاجة والكبش والنعجة والاسد واللبوة ومن كمال خلقة الرجال وجعلها شعر اللحية والشاربين ولذلك بعد الاجرد ناقص الخلقة ويتمني لو يجد دواء ينبت الشعر وان كان ممن اعتادوا حلق اللحى ، ويتبع قوة المزاج وكال الخلقة قوة العقل وصحة النظر في مبادي الامور وغاياتها ومن أمثال الاطباء والعلماء : العقل السليم في الجسم السليم . ويتبع ذلك الكمال في الاعمال الكسبية فالرجال أقدر على الكسب والاختراع والتصرف في الامور أي فلاجل هذا كانوا هم المكلفين أن ينفقوا على النساء وأن يحموهن ويقوموا بأمر الرياسة العامة في مجتمع العشيرة التي يضمها المنزل اذ لابد في كل مجتمع من رئيس يرجع اليه في توحيد المصلحة العامة اه بزيادة وإيضاح

وبقع هذه الرياسة جعل عقدة النكاح في ايدي الرجال هم الذين يبرمونها برضا النساء وهم الذين يحلون بالطلاق ، وأول ما يذكره جمهور المفسرين المعروفين في هذا التفضيل النبوة والامامة الكبرى والصغرى وإقامة الشعائر كالأذان والاقامة والخطبة في الجمعة وغيرها ، ولا شك أن هذه المزايا تابعة لكمال استعداد الرجال ، وعدم الشاغل لهم عن هذه الاعمال ، على ما في النبوة من الاصطفاء والاختصاص ولكن ليست هي أسباب قيام الرجال على شئون النساء وانما السبب الذي أشير اليه بآية السببية لان النبوة اختصاص لا يبنى عليها مثل هذا الحكم كما أنه لا يبنى عليها أن كل رجل أفضل من كل امرأة لان الانبياء كانوا رجالا ، وأما الامامة والخطبة وما في معناها مما ذكره انما كان للرجال بالوضع الشرعي فلا يقتضي ان يميزوا بكل حكم ولو جعل الشرع للنساء ان يخطبن في الجمعة والحج ويؤذن ويقمن الصلاة لما كان ذلك مانعا أن يكون من مقتضى الفطرة أن يكون الرجال قوامين عليهن ، ولكن أكثر المفسرين يغفلون عن الرجوع الى سنن الفطرة في تعليل حكمة أحكام دين الفطرة ، ويتمسسون ذلك كله من أحكام أخرى

قال تعالى ﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ هذا تفصيل لحال النساء في هذه الحياة المنزلية التي تكون المرأة فيها تحت رياسة الرجل ، ذكر أنهم فيها قسمان صالحات وغير صالحات وأن من صفة الصالحات لقنوت وهو السكون والطاعة لله تعالى وكذا لازواجهن بالمعروف ، وحفظ الغيب

قال الثوري وقتادة: حافظات للغيب يحفظن في غيبة الأزواج ما يجب حفظه في النفس والمال ، وروى ابن جرير والبيهقي من حديث أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « خير النساء التي اذا نظرت اليك سرتك واذا أمرتها أطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها » وقراء (ص) الآية . وقال الاستاذ الامام الغيب هنا هو ما يستحى من إظهاره أي حافظات لكل ما هو خاص بأمر الزوجية الخاصة بالزوجين فلا يطلم أحد منهما على شيء مما هو خاص بالزوج أقول ويدخل في قوله هذا وجوب كتمان كل ما يكون بينهما وبين أزواجهن في الخلوة ولا سيما حديث الرفث فما بالك بحفظ العرض . وعندي ان هذه العبارة هي أبلغ

ما في القرآن من دقائق كنايات النزاهة ، قرأها خرائد المذاري جبراً ويفهم ما تومئ اليه وهن على بعد من خطرات الخجل أن تمس وجدانهن الرقيق بأطراف أناملها ، فقلوبهن الأمان من تلك الخلجات ، التي تدفع الدم الى الوجنات ، فاهيك بوصل حفظ الغيب « بما حفظ » فلا تنقل السريع من ذكر ذلك الغيب الخفي ، الى ذكر الله الجلي ، يصرف النفس عن التماذي في التفكير فيما يكون وراء الاستار ، من تلك الخفايا والاسرار ، وتسلها بمراقبته عز وجل . وفسر وا قوله تعالى « بما حفظ الله » بما حفظه لمن في مهودهن واجباب النفقة لمن يريدون أنهن يحفظن حق الرجال في غيبتهم جزاء على المهر ووجوب النفقة المحفوظين لمن في حكم الله تعالى ، وما أراك الا ذاهباً معي الى وهن هذا القول وهزاه ، وتكريم أولئك الصالحات بشهادة الله تعالى أن يكون حفظهن لذلك الغيب من يد تلمس ، أو عين تبصر ، أو أذن تسترق سمعاً ، معللاً بدراهم قبضن ، ولقيات يرتقبن ، ولعلك بعد ان تمج هذا القول يقبل ذوقك ما قبله ذوقي وهو أن الباء في قوله « بما حفظ الله » هي صنو باء « لا حول ولا قوة الا بالله » وأن المعنى حافظات للغيب يحفظ الله أي بالحفظ الذي يوثقهن الله إياه بصلاحيهن فان الصالحة يكون لها من مراقبة الله تعالى وتقواه ما يجعلها محفوظة من الخيانة ، قوية على حفظ الامانة .

قال الاستاذ الامام : ان هذا القسم من النساء وليس للرجال عليهن شي من سلطان التأديب وانما سلطانهم على القسم الثاني الذي بينه وبين حكمه بقوله عز وجل ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن﴾ النشوز في الاصل بمعنى الارتفاع فالمرأة التي تخرج عن حقوق الرجل قد ترفعت عليه وحاولت أن تكون فوق رئيسها ، بل ترفعت ايضاً عن طبيعتها وما يقتضيه نظام الفطرة في التعامل فتكون كالناشر من الارض الذي خرج عن الاستواء . وقد فسر بعضهم خوف النشوز بتوقعه فقط ، وبعضهم بالعلم به ، ولكن يقال لم ترك لفظ العلم واستبدل به لفظ الخوف ، أو لم يقل واللاتي ينشزن؟ لاجرم ان في تعبير القرآن حكمة لطيفة وهي : ان الله تعالى لما كان يحب أن تكون المعيشة بين الزوجين معيشة محبة ومودة

وتراض. والتشتم لم يشأ أن يسند التشوز الى النساء إسنادا يدل على أن من شأنه أن يقع منهن فعلا بل عبر عن ذلك بعبارة تومئ الى أن من شأنه أن لا يقع لانه خروج عن الاصل الذي يقوم به نظام الفطرة ، وتطبيب به المعيشة ، ففي هذا التعبير تنبيه لطيف الى مكانة المرأة وما هو الاولى في شأنها ، والى مايجب على الرجل من السياسة لها وحسن التلطف في معاملتها ، حتى اذا آنس منها مايجشى ان يوئل الى الترفع وعدم اقيام بحقوق الزوجية فعليه ألا أن يبدأ بالوعظ الذي يرى أنه يؤثر في نفسها والوعظ يختلف باختلاف حال المرأة فمنهن من يؤثر في نفسها التخويف من الله عز وجل وعقابه على التشوز ، ومنهن من يؤثر في نفسها التهديد والتحذير من سوء العاقبة في الدنيا كشمانة الاعداء والمنع من بعض الرغائب كالثياب الحسنة والحلي ، والرجل العاقل لا يخشى عليه الوعظ الذي يؤثر في قلب امراته . وأما المهجر فهو ضرب من ضروب التأديب لمن يحب زوجها ويشق عليها هجره إياها وذهب بعض المفسرين ومنهم ابن جرير الطبري أن المرأة التي تشز لاتبالي بهجر زوجها بمعنى إعراضه عنها . وقالوا ان معنى « واهجروهن » قيدوهن من هجر البعير اذا شدّه بالهजार وهو القيد الذي يقيد به . ولبس هذا الذي قالوه بشيء وماهم الواقفين على أخلاق النساء وطبائعهم فان منهن من تحب زوجها ويزين لها الطيش والرعونة التشوز عليه ، ومنهن من تشز امتحانا لزوجها ليظهر لها أول الناس مقدار شفقه بها وحرصه على رضاها ، أقول ومنهن من تشز لتحمل زوجها على لإرضائها بما تطالب من الحلي والحلل أو غير ذلك ، ومنهن من يغريها أهلها بالتشوز لماآرب لهم ولم يتكلم الاستاذ الامام عن المهجر في المضاجع لانه بديهي وكم تخط المفسرون في تفسير البديهيّات التي يفهمها الاميون فانك اذا قلت لاي غامي إن فلانا بهجر امراته في المضجع أو في محل الاضطجاع أو في المرقد أو محل النوم فانه يفهم المراد من قولك ، ولكن المفسرين رأوا العبارة محلا لاختلاف أفهامهم فمنهم من صرح بما يراد من الكناية ، وأخل بما قصد في الكتاب من النزاهة ، ومنهم من قال المعنى اهجروا حُجِروهن التي هي محل مبيتهم ومنهم من قال المراد اهجروهن بسبب المضاجع أي بسبب عصيانهن اياكم فيها . وهذا يدخل في معنى التشوز فما معني جعله هو

المراد بالعقاب ؟ وقال بعض من فسر الهجر بالقييد بالهجر : قيدوهن لأجل الاكراه على ما تممن عنه^١، وسمى الزمخشري هذا التفسير بتفسير الثقلاء . والمعنى الصحيح هو ما يتبادر الى فهمك أيها القارئ وما يتبادر الى فهم كل من يعرف هذه الكلمات من اللغة . ولك أن تقول العبارة تدل بمفهومها على منع ما جعله بعضهم معنى لها فهو يقول « واهجروهن في المضجع » ولا يتحقق هذا بهجر المضجع نفسه وهو الفراش ولا بهجر الحجرة التي يكون فيها الاضطجاع وإنما يتحقق بهجر في الفراش نفسه وتعتمد هجر الفراش او الحجرة زيادة في العقوبة لم يأذن بها الله تعالى وربما يكون سببا لزيادة الجفوة وفي الهجر في المضجع نفسه معنى لا يتحقق بهجر المضجع أو البيت الذي هو فيه لان الاجتماع في المضجع هو الذي يهيج شعور الزوجية فتسكن نفس كل من الزوجين الى الآخر ويزول اضطرابهما الذي أثارته الحوادث قبل ذلك فاذا هجر الرجل المرأة وأعرض عنها في هذه الحالة رجي أن يدعوها ذلك الشعور والسكون النفسي الى سوائه عن السبب ويهبط بها من نشز المخالفة ، الى صنف (١) الموافقة ، وكأني بالقارئ وقد جزم بأن هذا هو المراد ، وان كان مثلي لم يره لأحد من الأموات والاحياء .

وأما الضرب فاشترطوا فيه أن يكون غير مبرح وروى ذلك ابن جرير مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ، والتبرج الايذاء الشديد وروي عن ابن عباس (رض) تفسيره بالضرب بالسواك ونحوه . أي كالضرب باليد أو بقصبة صغيرة ، وقد روي عن مقاتل في سبب نزول الآية في سعد بن الربيع بن عمرو وكان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير ، وذلك أنها نشزت عليه فطعمها فانطلق ابوها معها الى النبي (ص) فقال أفرشته كرمي فطعمها ، فقال النبي (ص) « انتقص من زوجها » فانصرف مع أيها انتقص منه فقال النبي (ص) « ارجعوا » هذا جبرائيل أتاني ، وأنزل الله هذه الآية - فقلها (ص) وقال - أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أَراده الله تعالى خير ، وقال السكاكي نزلت في سعد بن الربيع وامرأته نخولة بنت محمد بن سلمة ، وذكر القصة ، وقيل نزلت في غير من ذكر .

٤١٢ خطأ الافرنج في استنكارهم اباحة ضرب النواشز (الماراج ٦ م ١٣)

يستكبر بعض مقلدة الافرنج في آدابهم منا مشروعية ضرب المرأة الناشز ولا يستكبرون ان تنشز وترقم عليه فتجعله وهو رئيس البيت مؤسسا بل محقرا ، وتصتر على نشوزها حتى لا تلين لوعظه ونصحه ، ولا تبالي باعراضه وهجره ، ولا أدري بمَ يعالجون هؤلاء النواشز وبم يشيرون على أزواجهن أن يعاملوهن به ، لعلمهم يتخيلون امرأة ضعيفة نحيفة ، مهذبة أدبية ، يبغي عليها رجل فظ غليظ ، فيطم سوطه من لحما الغريز ، ويسقيه من دمها العبيط ، ويزعم ان الله تعالى أباح له مثل هذا الضرب من الضرب ، وان تجرّم وتجنّ عليها ولا ذنب ، كما يقع كثيرا من غلاظ الاكباد ، متحجري الطباع ، وحاش لله ان يأذن بمثل هذا الظلم أو يرضى به ، ان من الرجال الجعظري الجواظ (١) الذي يظلم المرأة بمحض العدوان ، وقد ورد في وصية امثالهم بالنساء كثير من الأحاديث ويأتي في حقهم ما جاءت به الآية من التحكيم وان من النساء الفوارك المناشيص المفسلات (٢) اللواتي يقنن أزواجهن ويكفرن أيديهم عليهن وينشزن عليهم صلفا وعنادا ويكافنهم ما لا طاقة لهم به ، فأني فساد يقع في الارض إذا أبيع للرجل التقى الفاضل أن يخفض من صلف أحدهن ويدهورها من نشز غورها بسواك يضرب به يدها ، أو كف بهوي بها على رقبتها ، ؟ إن كان يثقل على طباعهم إباحة هذا فليعلموا أن طباعهم رقة حتى انقطعت وأن كثيرا من أمتهم الافرنج يضربون نساءهم العالمات الممدنات ، الكاسيات العاريات ، المائلات المميلات ، فعل هذا حكماؤهم وعلمائهم ، وملوكهم وأمرائهم ، فهو ضرورة لا يستغنى عنها الغالون في تكريم أولئك النساء المتعلات ، فكيف تستنكر إباحته للضرورة في دين عام للبدو والحضر ، من جميع أصناف البشر ،

(١) الجعظري : الفظ الغليظ المتكبر وله معان كثيرة لاتناسب المقام . والجواظ : الجاني النابذ وله معان اخر قريبة من هذا المعنى وفي الحديث « ألا اخبركم بأهل النار : كل جعظري جواظ مناع جماع »

(٢) الفوارك : اللاتي يبيضن أزواجهن . والمنشاص المرأة الناشزة والتي تمنع فراشا في فراشا فالفراش الاول الزوج والثاني المضربة جمعه مناشيص والمفسله من النساء التي اذا أراد زوجها غشائها ونشط لوطئها اعتلت وقالت اني حائض ، جمعه مفسلات .

الاستاذ الامام : ان مشروعية ضرب النساء ليست بالامر المستنكر في العقل أو الفطرة فيحتاج الى التأويل فهو امر يحتاج اليه في حال فساد البيئة وغلبة الاخلاق الفاسدة وانما يباح اذا رأى الرجل ان رجوع المرأة عن نشوزها يتوقف عليه ، واذا صلحت البيئة وصار النساء يعقلن النصيحة ويستجبن للوعظ ، أو يزدجون بالهجر ، فيجب الاستغناء عن الضرب ، فكل حال حكم يناسبها في الشرع ، ونحن مأمورون على كل حال بالرفق بالنساء واجتناب ظلمهن ، وامساكن بمعروف ، أو تسريحهن باحسان ، والأحاديث في الوصية بالنساء كثيرة جدا

أقول ومن هذه الاحاديث ما هو في تقبيح الضرب والتنفير عنه ومنها حديث عبدالله بن زمة في الصحيحين قال قال رسول الله (ص) « دأى ضرب أحدكم امرأته كما يضرب العبد ثم يجامعها في آخر اليوم » ، وفي رواية عن عائشة عند عبد الرزاق « أما يستحي أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبد يضربها أول النهار ثم يجامعها آخره » ، يذكر الرجل بأنه اذا كان يعلم من نفسه أنه لا بد له من ذلك الاجتماع والاتصال الخاص بامرأته وهو أقوى واحكم اجتماع يكون بين اثنين من البشر يتحد احدهما بالآخر اتحادا تاما فيشعر كل منهما بان صلته بالآخر أقوى من صلة بعض اعضائه ببعض - اذا كان لا بد له من هذه الصلة والوحدة التي تقتضيها الفطرة ، فكيف يليق به أن يجعل امرأته - وهي كنفه - مهينة كمهانة عبده بحيث يضربها بسوطه أو يده ؟ حقا ان الرجل الحبي الكريم ليتجافى به طبعه عن مثل هذا الجفاء ، ويأبى عليه ان يطلب منتهى الاتحاد بمن انزلها منزلة الاماء ، فالحديث أبغ ما يمكن ان يقال في تشنيع ضرب النساء ، واذا كرر اتى هديت الى معناه العالي قبل ان اطلع على لفظه الشريف ، فكنت كلما سمعت ان رجلا ضرب امرأته أقول يالله العجب كيف يستطيع الانسان ان يعيش عيشة الأزواج مع امرأة تضرب ، تارة يسطو عليها بالضرب ، فتكون منه كالشاة من الذئب ، وتارة يذلها كالعبد ، طالبا منتهى القرب ، ولكن لا تنكر ان الناس متفاوتون فمنهم من لا تطيب له هذه الحياة فاذا لم تقدر امرأته بسوء تربيتها تكرمه إياها حق قدره ولم ترجع عن نشوزها بالوعظ والهجران ، فارقها بمعروف وسرحها باحسان ، الا ان يرجو صلاحها بالحكيم الذي ارشدت اليه الآية ، ولا

يضرب فان الاختيار لا يضربون النساء وان ابيح لهم ذلك للضرورة فقد روى البيهقي من حديث ام كلثوم بنت الصديق (رض) قالت كان الرجال منهن ضرب النساء ثم شكوهن الى رسول الله (ص) فدخل بينهن وبين ضربهن ثم قال «ولن يضرب خياركم» فما اشبه هذه الرخصة بالحظر، ووجه القول ان الضرب علاج مر، قد يستغنى عنه الخير الحر، وذلك لا يزول من البيوت بكل حال، أو يعم التهذيب للنساء والرجال، هذا وان أكثر الفقهاء قد خصوا النشوز الشرعي الذي يبيح الضرب ان

احتيج اليه لازامه بخصال قليلة كعصيان الرجل في الفراش والخروج من الدار بدون عذر وجعل بعضهم تركها الزينة وهو يطأها نشوزا وقالوا: له ان يضربها أيضا على ترك الفرائض الدينية كالفسل والصلاة، والظاهر أن النشوز أعم فيشمل كل عصيان

سببه الترفع والإباء ويفيد هذا قوله ﴿فان أطعكم فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾ قال الاستاذ الامام أي ان أطعكم بواحدة من هذه الخصال التأديبية فلا تبغوا بتجاوزها الى غيرها فابدأوا بما بدأ الله به من الوعظ فان لم يفد فليهجر فان لم يفد فليضرب، فاذا لم يفد هذا ايضا يلجأ الى التحكيم، ويفهم من هذا أن القاتات لا سبيل عليهن حتى في الوعظ والنصح فضلا عن الهجر والضرب، وأقول صرح كثير من المفسرين بوجوب هذا الترتيب في التأديب، وان كان العطف بالواو لا يفيد الترتيب، قال بعضهم دل على ذلك السياق والقرينة العقلية اذ لو عكس كان استغناء بالاشد عن الاضعف فلا يكون لهذا فائدة، وقال بعضهم الترتيب مستفاد من دخول الواو على أجزائه مختلفه في الشدة والضعف مرتبة على أمر مدرج قائم النص هو الدال على الترتيب. ومعنى لا تبغوا عليهن سبيلا لا تطبوا طريقا للوصول الى إيذائهن بالقول أو الفعل، فالبغي بمعنى الطلب ويجوز ان يكون بمعنى تجاوز الحد في الاعتداء أي فلا تظلموهن بطريق ما، فتي استقام لكم الظاهر، فلا تبغوا عن

مطاوي السرائر، ﴿ان الله كان عليا كبيرا﴾ فان سلطانه عليكم فوق سلطانكم على نساءكم فاذا بغيت عليهن عاقبتكم، واذا تجاوزتم عن هفواتهن كرما وشما تجاوز عنكم، قال الاستاذ تبي بهذا بعد الهي عن البغي لان الرجل إنما يبغي على المرأة

بما يحسه في نفسه من الاستعلاء عليها وكونه اكبر منها وأقدر فذكره تعالى بعلمه وكبريائه وقدرته عليه ليتعظ ويخشم ويتقي الله فيها . واعلموا ان الرجال الذين يحاولون بظلم النساء ان يكونوا سادة في بيوتهم انما يلدون عبيدا لغيرهم ، يعني ان اولادهم يتربون على ذل الظلم فيكونون كالعبيد الاذلاء لمن يحتاجون الى المعيشة معهم

﴿ وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما ﴾ الخلاف بين الزوجين قد يكون بنشوز المرأة وقد يكون بظلم من الرجل فالنشوز يعالجه الرجل بأقرب التأديبات الثلاثة المبينة في الآية التي قبل هذه الآية على ما مر سرده وحلا ورده . وقد يكون بظلم من الرجل فاذا تمالى هو في ظلمه ، أو عجز عن إنزالها عن نشوزها ، وخيف أن يحول الشقاق بينهما دون اقامتهما لحدود الله تعالى في الزوجية ، باقامة اركانها الثلاثة السكون والمودة والرحمة وجب على المؤمنين المتكافئين في مصالحهم ومنافعهم ان يبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها عارفين باحواله وأحوالها ، ويجب على هذين الحكيمين ، أن يوجها ارادتهما الى اصلاح ذات البين ، ومتى صدقت الارادة كان التوفيق الآسهي رفيقها ان شاء الله تعالى ، ويجب الخضوع لحكم الحكيمين والعمل به . فخوف الشقاق توقعه بظهور أسبابه ، والشقاق هو الخلاف الذي يكون به كل من المختلفين في شق أي في جانب والحكم (بالتحريك) من له حق الحكم والفصل بين الخصمين * فيك الخصام وانت الخصم والحكم * ويطلق على الشيخ المسن لان من شأنه ان يتعاضد اليه لرويته وتجربته والمراد ببعثهما إرسالهما الى الزوجين لينظرا في شكوى كل منهما ، ويتعرفا ما يرجي أن يصلح بينهما ، ويسترضياها بالتحكيم ، وإعطائهما حق الجمع والتفريق ، روى الشافعي في الأم والبيهقي في السنن وغيرهما عن عبيدة السلماني قال جاء رجل وامرأة الى علي كرم الله تعالى وجهه ومع كل واحد منهما فتام (١) من الناس ، فأمرهم علي أن يبعثوا رجلا حكما من أهله ورجلا حكما من أهلها ثم قال للحكيم « تدرين

ما عليكما ؟ عليكما ان رأيكما ان تجعما ان تجعما و ان رأيكما ان تفرقا ان تفرقا قالت المرأة
رضيت كتاب الله تعالى بما علي به ولي ، وقال الرجل أما الفرقة فلا . فقال علي كذبت
والله حتي تقر بمثل الذي أقرت به . وروى ابن جرير عن ابن عباس (رض) انه قال
في هذه الآية هذا في الرجل والمرأة اذا تفسد الذي بينهما أمر الله تعالى ان يعيشوا
رجلا صالحا من أهل الرجل ورجلا مثله من أهل المرأة فينظران أيهما المسيء فان كان
الرجل هو المسيء حجبوا عنه امرأته وقسروه على النفقة ، وان كانت المرأة هي المسيئة
قسروها على زوجها ومنعوها النفقة فان اجتمع امرهما على ان يفرقا أو يجعما فأمرهما
بجائز ، فان رأيا ان يجعما فرضي أحد الزوجين ، كره ذلك الآخر ثم مات أحدهما
فان الذي رضي يرث الذي كره ولا يرث الكاره الراضي . واكثر فقهاء المذاهب
المعروفة لا يقولون بقولي هذين الامامين الصحابين فيما هو حق للحكمين والمسألة اجتهادية
عندهم والمجتهد لا يقلد مجتهدا آخر ، والنص انما هو في وجوب بعث الحكمين ، ليجتهدا
في اصلاح ذات البين ، وهل هما قاضيان ينفذ حكمهما بكل حال ، ام وكيلان ليس
لهما الا ما وكلهما الزوجان به ؟ المسألة خلافية والظاهر الاول لان الحكم في اللغة هو الحاكم
الاستاذ الامام : الخطاب المؤمنين ولا يتأتى ان يكلف كل واحد او كل جماعة
منهم ذلك ولذلك قال بعض المفسرين ان الخطاب هنا موجه الى من يمكنه القيام
بهذا العمل ممن يمثل المسلمين وهم الحكام ، وقال بعضهم ان الخطاب عام ويدخل
فيه الزوجان وأقاربهما فان قام به الزوجان أو ذوو القرني أو الجيران فذاك والا
وجب على من بلغه أمرهما من المسلمين ان يسعى في إصلاح ذات بينهما بذلك .
وكلا القولين وجيه فالاول يكلف الحكام ملاحظة أحوال العامة والاجتهاد في
إصلاح أحوالهم ، والثاني يكلف كل المسلمين أن يلاحظ بعضهم شئون بعض ويعينه
على ما تحسن به حاله . واختلفوا في وظيفة الحكمين فقال بعضهم انهما وكيلان لا يحكما
الا بما وكل به وقال بعضهم انهما حاكمان (وذكر مذهب علي وابن عباس بالاختصار
وقد ذكرنا الرواية عنهما آنفا) وقوله ان يريد إصلاحا يوفق الله بينهما يشعر بأنه
يجب على الحكمين ان لا يدخرا وسعا في الإصلاح كأنه يقول ان صحت اراדתهما
فالتوفيق كائن لا محالة وهذا يدل على نهاية العناية من الله تعالى في إحكام نظام البيوت

الذي لا قيمة له عند المسلمين في هذا الزمان ، وانظروا كيف لم يذكر مقابل التوفيق بينهما وهو التفريق عند تعينه ، لم يذكره حتي لا يذكر به لانه يفضيه ويشعر النفوس انه ليس من شأنه ان يقع . وظاهر الامر ان هذا التحكيم واجب لكنهم اختلفوا فيه فقال بعضهم انه واجب وبعضهم انه مندوب واشتغلوا بالخلاف فيه عن العمل به لأن عنايتنا بالدين صارت محصورة في الخلاف والجدل وتعصب كل طائفة من المسلمين لقول واحد من المختلفين مع عدم العناية بالعمل به ، فها هم أولاء قد أهملوا هذه الوصية الجليلة لا يعمل بها احد على انها واجبة ولا على أنها مندوبة والبيوت يدب فيها الفساد فيفتك بالاخلاق والآداب ، ويسري من الوالدين الى الاولاد ،

﴿ ان الله كان عليما خيرا ﴾ أي انه كان فيما شرعه لكم من هذا الحكم عليا باحوال العباد وأخلاقهم وما يصلح لهم خيرا بما يقع بينهم وبأسبابه الظاهرة والباطنة فلا يخفي عليه شيء من وسائل الاصلاح بينهما ، واني لا أكاد أبصر الآلية الحكيمة تومي بالاسمين الكريمين الى ان كثيرا من الخلاف يقع بين الزوجين فيظن أنه مما يتعذر تلافيه هو في الواقع ونفس الامر ناشئ عن سوء التفاهم لاسباب عارضة ، لا عن تباين في الطباع أو عداوة راسخة ، وما كان كذلك يسهل على الحكمين الخبيرين بدخائل الزوجين لقربهما منهما ، ان يعحصا ما علق من اسبابه في قلوبهما ، مهما حسنت النية وصحت الارادة ،

ان الزوجية أقوى رابطة تربط اثنين من البشر أحدهما بالآخر فهي الصلة التي بها يشعر كل من الزوجين بأنه شريك الآخر في كل شيء مادي ومعنوي حتي ان كل واحد منهما يؤخذ الآخر على دقائق خطرات الحب ، وخفايا خلجات القلب ، يستشفها من وراء الحجب ، وتوجيها اليه حركات الاجفان ، أو يستنبطها من فلتات اللسان ، اذا لم تصرح بها شواهد الامتحان ، فها يتقاربان في اخفي ما يشتركان فيه ، ويكتفیان بشهادة الظنة والوهم عليه ، فيغيرهما ذلك بالتنازع في كل ما يقصر أحدهما فيه من الامور المشتركة بينهما وما اكترها ، واعسر التوفيق منها ،

لذلك يصح لك أن تحكم إن كنت عليا بالاخلاق والطباع ، خيرا بشؤون الاجتماع ، بأن تلك الحكمة التي أرسلها امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه هي القاعدة الثابتة الصحيحة في جميع الامم وجميع الاعصار وانها يجب ان تكون في محل الذكرى من الحكمين اللذين يريدان إصلاح ما بين الزوجين كما يجب ان يعرفها ولا ينساها جميع الأزواج - تلك الحكمة هي قوله التي صرحت بأنها لا تحب زوجها : اذا كانت احدا كن لا تحب احدا فلا تخبره بذلك فان اقل البيوت ما بني على المحبة وإنما يعيش (او قال يتعاشر) الناس بالحسب والاسلام اي إن حسب كل من الزوجين وشرفه إنما يحفظ بحسن عشرته للآخر وكذلك الاسلام يأمرهما بأن يتعاشرا بالمعروف (راجع تفسيره فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) قد اهتدى الافرنج الى العمل بهذه الحكمة البالغة بعد ان استبحر علم النفس والاخلاق وتدير المنزل عندهم فربوا نساءهم ورجالهم على احترام رابطة الزوجية وان يجتهد كل من الزوجين ان يعيشا بالمحبة فان لم يسعدا بها فليعيشا بالحسب وهو تكريم كل منهما للآخر ومراعاته لشرفه وقيامه بما يجب له من الآداب والاعمال التي جرى عليها عرف امتهم . ثم يعذره فيما وراء ذلك وان علم انه لا يجبه فلا يذكر له ذلك ، وقد صرحوا بان سعادة المحبة الزوجية الخالصة قلما توجد وإنما يستبد لون بها المودة العملية . ولكنهم باباحة المخالطة والتبرج قد افراطوا في إرخاء العنان حتى صار الأزواج يتساحفون في السفاح أو اتخاذ الاخذان ، وهذا ما يعضنا منه الاسلام

فَتَاوَى الْمَبَانِي

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس طامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بمذالك ان ير مز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وبعامد من امتاخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولن مضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا يغفاله

﴿ رسالة التوحيد للاستاذ الامام و.و.و.و. صالح التونسي ﴾

(من ٢٩) من أحد طلاب العلم بدمشق الشام

سيدي الاستاذ الامام العلامة فيلسوف العصر ونادرة الدهر ناصر السنة وقامع البدعة من ذكرنا بمناره امير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبره واحسانه نطلب من فضيلتكم كما عودتمونا نشر الحقائق وابانة الحق والصدق به بالحكمة والموعظة الحسنة ان تشرحوا لنا معنى كلام حكيم الشرق المغفور له الاستاذ الامام « هذا النوع من العلم علم تقرير العقائد وبيان ما جاء في النبوات عند الامم قبل الاسلام ففي كل أمة كان القائلون بأمر الدين - الى قوله - وتأخى العقل والدين لأول مرة في كتاب مقدس على لسان نبي مرسل » الخ

حيث ان جاسوس ابني الهدى وصاحب الفتنة السورية الرضائية و.و.و.و. بدأ بقراءة هذه الرسالة وتبع ماتشابه منها ابتغاء للفتنة ولأجل ان يطعن في الاستاذ الامام وصار يحرف الكلم عن مواضعه فأخذ الآن يقبح ويتكلم عليه ويحرف كلامه على غير مراده ذلك أنه أول القائلين بأمر الدين بأنهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام مستدلاً على ذلك بقول الامام: وتأخى العقل والدين لأول مرة الخ فقال و.و.و.و. قوله لأول مرة دليل على ان الانبياء السابقين جاءوا بدين غير مؤاخ للعقل وهذا في اعتقاد الاسلام الخ

مع انه على ما يظهر من قول الاستاذ الامام القائمون هم رؤساء الاديان الذين
حرفوا وابتدعوا

ولما بلغ صاحب المقتبس محمد افندي كرد علي هذه الترهات اخذه الغضب لله
عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فذكر في مقتبسه اليومي (عدد ٣٧٤) : ان شيخنا
من مشايخ الجود فعل كذا وكذا ليحذر الناس عامة والدمشقيين خاصة من ضلاله
واضلاله وفساده وافساده . . . ثم سيدي تعلمون انه كما أن للحق انصارا كذلك
للباطل انصار ولكن العاقبة للحق كما قال عز وجل «بل تقذف بالحق على الباطل
فيدمغه» وقال عز وجل «وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا» . - والان
جثا راجين كشف مراد الامام رضي الله عنه لينجلي الحق اطالبه وادام المولى النفع بكم
(ج) انتقد قبل الجواب ما جاء في السؤال من الطعن في شخص الشيخ
صالح بما لا حاجة اليه في ايضاح السؤال ولا سيما ما حذفته من ذلك الطعن وان كنت
جريت في السنين الاخيرة على نشر الاسئلة بنصها ثم أقول

ان مراد الاستاذ من القائمين بأمر الدين رؤساء الاديان كما فهمتم وصرح بذلك
رحمه الله تعالى في الجامع الازهر عند ما كان يقرأ الرسالة درسا يحضره الجمل الغفير
من المجاورين والعلماء والمدرسين الذين لا يبلغ الشيخ صالح مداحهم ولا نصيفه
والسياق يأبى حمل الكلام على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانه بحث في تأريخ
علم الكلام الذي يسمى عند النصارى بعلم اللاهوت وهو علم استحدث بعد الانبياء
عندنا وعند أهل الكتاب . ناهيك بما قال علماء السلف في ذم هذا العلم عند ما ظهر
في أمتنا . وقد ذكر مؤلف الرسالة في درسها بالازهر بعض مذاهب أهل الكتاب
في المسائل الكلامية المعروفة عندنا ومذاهبهم فيها لا نظير له عندنا كطبيعة المسيح
(ع م) ومشيثته . كل ذلك في شرح هذه العبارة التي حرفها هذا الرجل بسوء
النية والنظر بعين السخط وحملها ما لا تحمل . ومن دلائل سوء نيته - اذ صرح ماروي
لي عنه - أنه ضل مؤلف الرسالة لانه بدأها بسورة الفاتحة دون ما اعتاده اكثر
المؤلفين من الحمدلة والتصية . وهذه العادة وان كانت حسنة ليست واجبة ولا سنة
نبيهة متبعة ، وحديث « كل أمر ذي بال » على ما في روايته من المقال ، يتحقق

العمل به بالقول ولا يتوقف على الكتابة ولذلك رأينا كثيرا من اساطين العلماء لم يذكروا في أول كتبهم حمدلة ولا تصلية بل بدءوا بعد البسملة بالمقصود كمختصر الامام المزني لمذهب الشافعي بل رأينا كتاب الامم للامام الشافعي لم تذكر التصليّة في أوله استقلالا . فباحسرة على الشبان الاذكياء الذين يبتلون بمعلمين يشغلون أذهانهم بمثل هذا الجهل ، ويوهمونهم انه من دقائق العلم ، ويربونهم على استنباط ما يلقي الشقاق والفتن بين المسلمين ، ويفشونهم بأن هذا هو النصر للدين ، ألا يخاطر ببال أولئك الطلاب أن رسالة التوحيد طبعت منذ ثلاث عشرة سنة وقرئت درسا في الأزهر على أكثر من ألف أزهري من الطلاب والعلماء واعيد طبعها مرتين وانتشرت في جميع أقطار الارض ودقق النظر فيها كثير من العلماء الذين كانوا يحسدون مؤلفها ويتمنون لو يجدون له عثرة ينتقدونها وكثير من العلماء الحيين له الذين يحرصون على تذكره اذا نسي وتنبهوا الى خطاه إذا أخطأ وأنه لم يسمع من أحد من أولئك ولا هؤلاء انتقاد على شيء منها الا ما ذكرناه في السنة الاولى للمنار من انتقاد الشنقيطي واشرنا اليه في مقدمتنا للطبعة الثانية فلورأوا فيها غير ما ذكر شيئا متقدما لما سكتوا عنه مع توفر الدواعي لذكره فان ما كان يؤثر عن هذا الرجل لم يكن كالذي يؤثر عن غيره من حيث العناية به وعدمها

لا أقول إن إجازة الجماهير من العلماء لشيء هي دليل على كونه صوابا في نفسه وإنما أقول انها بالقيء الذي ذكرناه دليل على كون ذلك الشيء موافقا لاعتقادهم فاذا أمكن لاحد أن يماري فيه فلا يكون مراؤه ظاهرا مقبولا عند المستقلين المنصفين . فليتأمل أولئك الطلاب هذا وليعلموا أنه لا يوجد كلام قط لا يمكن حمله على غير المراد منه حملا يقبله الكثير من الناس المستقلين بالعلم وليطالعوا كتاب حجج القرآن ويتأملوا كيف استدلل جميع أصحاب المذاهب المبتدعة في الاسلام بآياته التي هي في مستهى البلاغة في البيان على تلك المذاهب المتناقضة يضل به كثير او يهدي به كثيرا . هذا وان للاستاذ الامام منزعا عاليا في تأخي الدين والعقل في الاسلام لا يدرك مثل الشيخ صالح مرماه فيه وقد بينه رحمه الله في سياق حكمة كون الاسلام آخر الأديان وكون نبيه محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، لا يفهمه مثل الشيخ

صالح لان فهمه يتوقف على المعرفة او الامام بتاريخ الأمم والاديان وعلم الاجتماع البشري وسنن الله تعالى في الترقى وحكمته في نسخ الشريعة المتقدمة بخبر منها وبما عند الله أهل الكتاب من كتب الانبياء عليهم السلام وبمسألة تحريفها هل هو لفظي أم معنوي فقط كما يقول أئمة الحديث كالبخاري . على انه لو قرأها بحسن النية والاخلاص لاستفاد منها في دينه ما لا يستفيدة من كتاب آخر من كتب العقائد المعروفة ولكنه ينوي بقرائنها تلمس عبارة يمكن حملها بالتحريف والتأويل على غير ما وضعت له ولكل امرئ ما نوى . لا اعجب لتصديده للانكار على رسالة التوحيد دون الكتب الكثيرة المولدة في الطعن في الاسلام نفسه والكتب التي نشرها بعض الجاهلين من المسلمين وهي محشوة بما يتبرأ منه الاسلام ومنها ما هو منسوب لطائفه الرفاعية التي فيها ان الشيخ احمد الرفاعي وصل الى درجة صارت السموات السبع في رجليه كالتخلخل وان الله تعالى وعده ان لا تحرق النار جسدا يمس به هو او أحد خلفائه الى يوم القيامة !!! لا أعجب له بعد ان ترك دروسه في الشام وجاء الآستانة ليسعي في ابطال ما قام به بعض العلماء والفضلاء هنا من تأسيس جمعية اسلامية لأجل إنشاء مدرسة إسلامية عربية عالية لتربية العلماء والمرشدين الجامعين بين التقوى وعلم الدنيا والدين والاستعانة بهم على تعميم التعليم الاسلامي وهي أول جمعية اسست في الاسلام للقيام بهذه الفريضة او الفرائض الكثيرة

شبهته في مقاومة هذا العمل الاسلامي العظيم على ما بلغني عنه أن الداعي اليه وهابي يخشى ان يثبت في المدرسة مذهب الوهاية !! ولماذا لم يسع في ابطال جميع مدارس الحكومة التي تقرأ فيها العلوم الطبيعية التي يرى هو كفر جميع الذين يقرأونها وانا على كوننا لا نرى رأيه هذا نعلم أن الكثيرين يخرجون من هذه المدارس بغير دين لأن الدين لا يعلم فيها على وجه الصحيح المعقول ومنها ما لا دين فيها ألبتة ، ولماذا لم يسع في ابطال مدارس الجمعيات النصرانية التي تعلم اولاد المسلمين مع العلوم الطبيعية دين النصرى وتجبرهم على حضور عبادتهم في الكنائس !! ألم يجد خدمة يخدم بها الاسلام الا السعي في مقاومة جمعية إسلامية غرضها إغناء المسلمين عن مدارس غيرهم ودفع هذه الشبهات الهاجمة عليهم من تعليم العلوم والفنون الدنيوية

لا ترى الدولة ولا الامة لها غنى عنها ؟؟؟ أما شبهته تلك فمدفوعة من وجهين
(١) ان الداعي الى هذا العمل لخدمة الدين والدولة والامة ليس وهابيا لانه
ليس مقلدا في عقيدته بل هو ناصب نفسه للدفاع بالبرهان عن عقائد الاسلام
المثبتة في كتابه وسنته وسيرة سلفه الصالح وقيل انتقاد كل متقدم ومناظرة كل مناظر
فلماذا لم يكتب اليه بيان ما يزعم انه اخطأ فيه ؟

(٢) لو فرضنا انه وهابي فاذا انصرف وهابيته هذا العمل الذي يقوم به جمهور من العلماء ويكون
تحت مراقبة جمعية علمية مؤلفة من جميع علماء الارض . إن الجمعية الخيرية الاسلامية بمصر قد
كان سبب تأليفها مشعوذ روسي فهل قص ذلك من قدرها أو حال دون انتفاع المسلمين بها ؟
يا حسارة على مسلمي هذا الزمان أصبح بأسهم يتهددوا وضعفوا امام
جميع الامم فهم يخربون بيوتهم بأيديهم ولا يقاومون الا من يسعى لخيرهم ورفع
شأنهم وحفظ دينهم وديارهم ، ولا يقنطنا هذا من رحمة ربنا والسعي فيما أوجبه علينا
فالله لا يصلح عمل المفسدين ، ولننصرن الله من ينصره ان الله تقوي عزيز

﴿ اتفاق ربيع الوقف على العلم ﴾

(من ٣٠) من صاحب الامضاء الرمزي في (ففلان)

سيدي الاستاذ الجليل

يوجد في أحد بلداننا مسجد له أوقاف تغل غلة وافرة تزيد عما يلزم له لنحو
امام وخطيب ومؤذن وقد اجتمع له أكثر من ثلاثة آلاف ليرة انكليزية .
وقد اختلف في إنفاقها فقال بعضهم يعمر وينفق منها على ما في ذلك البلد من
المساجد الاقرب فالاقرب الى المسجد القبي وقال آخرون بل يفتح بها مدرسة
لتعليم العلوم الشرعية بجوار المسجد القبي لأن عمارة المساجد بالعبادة لا بالتزويق .
وقال غيرهم بل يؤخذ بها كتب نافعة للقراءة والمطالعة وتعمل مكتبة بجوار
المسجد . فاذا يرى حضرة الاستاذ في هذه المسألة لتقطع جبهة قول كل خطيب ؟
ودتم نافعين .

ع ٥ م

(ج) ان الاتفاق في مسألة هذا الوقف يتوقف على معرفة شرط الواقف إن

كانت معروفة فان لم يكن هناك شروط تتبين بها جهة مازاد عن مصالح المسجد أو كان الشرط ان يصرف الزائد في الخير مطلقا فافضل الخير وأفعه العلم وهل تنفع المساجد وتصح الصلاة الا بالعلم ؟ فالرأي إذا ان تبنى بجوار المسجد مدرسة يعلم بها المسلمون أحكام الدين وآدابه وتأريخه وما يتوقف ذلك عليه من علوم اللغة العربية وآدابها وكذا ما يعينهم على أمر معاشهم كالحساب ومسك الدفاتر وعلم التجارة والزراعة وغير ذلك من العلوم والفنون النافعة ان تيسر . على أن بعض العلماء المحققين (كابن القيم) قد أقاموا الدلائل على جواز بل تفضيل صرف ريع الاوقاف الخيرية المعينة بشرط الواقف فيما هو أنفع مما نص عليه الواقف فمن شاء الوقوف على ذلك فليراجع هذا البحث في كتاب (اعلام الموقعين عن رب العالمين) المطبوع في الهند ومصر

(سبب فرض الصلاة)

(س ٣١) من عبد القادر افندي جبر بفاقوس (شرقية)

مولانا الفاضل صاحب مجلة المنار الاخفم

بعد تقبيل الايدي نرجو من فضيلتكم افتاءنا عن الصلاة لاي سبب فرضها الله على الاسلام وما سبب نزولها والله يقيكم وما سبب الركوع والسجود وما المراد منهما ؟ (ج) شرع الله الصلاة وفرضها علينا لتحقيق بها بالعبودية له التي تطهر بها نفوسنا من الميل الى الفواحش والمنكرات والاقدام على ارتكابها وتقوى على الهلع والجزع وتحلى بالشجاعة والكرم والسخاء . وقد بين الله لنا ذلك في آيات من كتابه كقوله عز وجل « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وقوله « إن الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا ، الا المصلين » وقوله « واستمعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة الا على الخاشعين » وقوله « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون » فصلاة الخاشعين . ولا صلاة إلا لهم . تكون لها كل تلك الفوائد بما تتضمنه من مراقبة الله تعالى وتزكية الروح بذكره وتغذية الايمان به كما بينا ذلك بالتفصيل في تفسير « حافظوا على الصلاة » فراجع في المنار أوفي (ص ٤٣١ - ٤٤٠ من جزء التفسير الثاني . وكذا في ص ٣٧ و ١٢٨ منه) وهناك ترى حكمة الركوع والسجود ايضا

بحث التحسين والتقبيح (*)

اختلف الناس هل للافعال في نفس الامر حقائق متقدرة في نفسها هي اهل لأن ترعى وتؤثر على نقائصها وتستتبع الرفع من شأن المتصف بها كالصدق والانصاف وارشاد الضلال ومثلا وحقائق هي في نفسها اهل لأن يعدل عنها وتستتبع الوضع من شأن من اتصف بها من تلك الحيثية كالكذب والظلم مثلاً ، فقالت المعتزلة واكثر العقلاء وجماعة من الحنفية نعم والمراد بالحنفية هم المرووفون بالماتريدي نسبة الى أبي منصور الماتريدي وكذلك أفراد من غيرهم كالامام المحقق الشهير ابن تيمية حتى عدّها عليه السبكي مما خالف فيه الاجماع او الاكثر وقد دل ذلك على نزول درجة السبكي فان دعوى الاجماع كاذبة وكذلك الكثرة مع أن مخالفة الاكثر غير ضائرة « وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » وللسبكي هذا مع فضله نوادر نحو هذا تنادي على من سبكه مع ابن دقيق العيد وابن تيمية فان هذين الرجلين لا يلزّ بهما قرين ولم ينفرد ابن تيمية فكم من الحنابلة من صنف في الخط على الاشعري واتباعه كما تجده في التراجم للذهبي وغيره ومن جملة ما ينتم عليه هذه المسألة فيقل القائلون بها لان المذاهب المشهورة بين مطبقة على خلاف الاشعري أو مختلفة مع تهجين المخالف له هذه المقالة فلا يفرنك شيوعها في هذه المقلدة كالسبكي وولده فاهم

(٥) ننقل هذا الفصل من كتاب تحت الطبع اسمه « العلم الشاخص » في اشارة الحق على الآباء والمشايع للشيخ أحمد القبلي من مجتهدى اليمن في القرن الحادي عشر وقد تخطيط في موضوعه اكثر علماء الكلام ولم يأتوا الا بتمحلات لا مقام فيها ولكن المصنف بحث بحثا مستفيضاً محرراً فاقاً أثراً اثباته في النار

حوامل قد كررنا اسبابها ان كنت موافقا ومن عدل بالله غيره فقد شبه الكفار « ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » والحمد لله على العصمة . وقال سائر الاشاعرة : لا ، انما تلك الحقائق معناها أن الشارع أمر بها ونهى عنها ولو عكس لانعكس معانيها . هذا تحرير محل النزاع . وأما ذكرهم العاجل والآجل عند المعتزلة فنأكياسهم والمعتزلة لا ينظرون الى عاجل ولا آجل لانهم يحكمون بلزوم الرفع الذي منه المدح وكونه ممرضا للثواب والوضع الذي منه الذم وكونه معرضا للعقاب للطاعة والمعصية من حال فعلهما وانما منع الاتصال التكليف لان المكلف يصير باتصال الثواب والعقاب ملجأ الى فعل الطاعة وترك المعصية وعدم الاجاء عندهم شرط في التكليف وهذا أيضا عندهم في التكليف وهو أخص مما نحن فيه وأما ما نحن فيه فلا يقولون بلزوم الثواب والعقاب فيه فالغلط عليهم من جهتين ذكر الثواب والعقاب وهما من لوازم التكليف لا من لوازم التحسين والتقيح والتكليف أخص وذكر العاجل والآجل وسيأتي تنمة لهذا قريبا ومن المغالطة والخلط محل النزاع بغيره قولهم في هذا المقام الحسن والقبیح يطلقان لمعان منها موافقة الغرض ومخالفته وحيناً يقولون ملائمة الطبع ومخالفته ومنها كذا ومنها كذا وهذا اصطلاح لهم ليس بلغة كما صرح به السعد وغيره وليس باصطلاح للخصم حتى يذكر في مقام تلخيص محل النزاع وقد أنكر هذا ابن الملاحمي وقال ينبغي لهم صرف فطنهم الى محل النزاع ثم الحاجة فيه . والعجب أن ابن الحاجب وتبعه العضد أهملوا محل النزاع وذكروا هذه الامور وأخذ السعد في الترميم والامراجلي من ابن جلاء ، والحق أباح ، والباطل جليح ، وكذلك سائر المعتزلة يفكرون هذا الاصطلاح

وإدخاله في تحرير المسألة ورد مراد الخصم اليه وشدد التكبير في الغايات على الرازي في ذكر ذلك فتنبه لهذا وإن رأيت في كتب الأشاعر قولهم يطاق الحسن والقبح لثلاثة معان اتفاقا فانما مستندهم كلام أسلافهم من دون معرفة كلام الخصم كما مضى نظيره وهم في كل المذاهب يحملون نقل أسلافهم حجة على خصمهم في أنه يقول القول مع أنه يتبرأ منه وهو مثل ما يقال في الخصيات شهد عليك من هو أعدل منك وقول قراقوش اندفن لو نفتح على نفوسنا هذا لما اندفن أحد كما حكاه السيوطي في رسالة صنفها الحكماء قال ثلاث تنكر مع تطاول الزمان مع أنها محققة عنده لقرب عصره أو معاصرته له والذي أظن أن الأشاعرة وضعت هذا الاصطلاح لئلا يتعطل معنى الاحسان والاساءة لغة لأنهما من ألفاظ العرب وقد نقوا عنهما وهذا لا يفهمهم مع اعترافهم أن تلك المعاني ليست بلفوية ولكنه بكسر من سورة الاستمجان باثبات الالغية في اللغة لا شهر اللفظين منها في أشهر معنيين في أمثل قولهم ما أحسن ما فعل فلان مع فلان وما أقبح فعله مع فلان إذ معناه الاحسان والاساءة قطعا لأنك المعاني التي تذكر الأشاعرة ستراً لهذه العورة ولهذا نظائر مع كثير ممن أوقعته زلته في لازم شنيع فتبينه لذلك تقف عليه نعم ههنا شيء مما ينبغي صرف النظر اليه وهو اعتراف الأشاعرة والاتفاق منهم ومن سائر الناس أن التحسين والتقييح بمعنى الكمال والنقص ثابت في نفس الامر وهذا يكاد يباحق الخلاف بالوافق فإن الكمال يستتبع الرفع من شأن من اتصف به والنقص يستتبع الوضع من شأن من اتصف به ولا شك أن من الرفع المدح للمتصف بالكمال ومن الوضع الذم للمتصف بالنقص بل إطلاق الكمال والنقص مدح وذم فقولنا كامل لا يمدح وناقص لا يذم مثل

قولنا كامل لا كامل وناقص لا ناقص ويمدح لا يمدح ويدم لا يدم ومعنى الاستتباع انه يناسب العقول وتقبله ولا تأباه وتفرق بينه وبين تقيضه فترى ذم المحسن مناقضا لما ينبغي عند العقل وفي نفس الامر ومدح المسيء كذلك كما ترى ان الذم والمدح متناقضان وهذا هو معنى الاستحقاق عند المعتزلة ولا يريدون بالاستحقاق الوجوب والحتم وما زادوه من قيد الحتم في أي موضع فلموجب آخر لا بالنظر الى هذا الحل وهذا صريح في كتبهم وسيأتي ان شاء الله قريبا زيادة لايضاح لمذهبهم

فان انكرت الاشاعة الاستتباع هذا المعنى فقد رجعت عن الاقرار بالكمال والنقص وعطلت معناهما وخلصنا من محارات تحقيق مذهبهم فانا نارة ننظر الى هذا المعنى فنحكم عليه بالوافق، وأخرى الى تصريحهم بنفي الحكمة بأبلغ ما يمكنهم من العبارة فيتبين بالحقيقة الشقاق، هكذا يذكر جماعة من الفريقين كالمضد وابن تاج الشريعة كما يأتي وغيرهما. وفيه عندي وقفة فانهم انما يثبتون الوصفين فيما هو من قبيل الفرائز كالعلم والجهل والصدق والكذب أي كونه شأنه الصدق وشأنه الكذب وأما في مثل صدق وكذب وحصل الصدق وحصل الكذب وحصل العلم وحصل الجهل المركب مثلا فيحتاج كونهم يقولون ذلك الى نقل صحيح عنهم والمتبع من كلامهم خلافه فيسلمون من المناقضة ويقرون على الخلاف وانما التمس على الناظر ما كان بمعنى الثبوت وما كان بمعنى الحدوث فصادف بمعنى ذي صدق كمال عندهم لا بمعنى حصل الصدق واوجده وكيف وقد أنكروا هذا المعنى الاخير في مطلق الفعل وقالوا معنى آكل انه ذو الاكل لانه فعل كما يأتي تحقيق ذلك وهذا تحقيق بليغ قد فات المضد واضرابه من الفريقين والحمد لله على العثور على الحقيقة

واعلم ان هذا محل النزاع بتمامه ، ثم النزاع هل أدرك العقل شيئا من تلك الامور الثابتة في نفس الامر؟ ثم هل هذه الحقيقة بعينها مما أدركه؟ نزاع آخر ^(١) لا ينافي الكلام في النزاع الاول خلافا ولا وفاقا . أما انه لا ينافي مع فرض الوفاق هناك فظاهر وأما مع فرض استقرار الخلاف فلأن المخالف هناك قد يتنزل ههنا فتعقظ لهذا تسلم من الزلل ان شاء الله تعالى وقد تضمن تصحيح التحسين والتقبيح ان الباري تعالى مبين للحكم فقط إما بالفعل أو بالسمع وليس الحكم في ثبوته واقفا على اختيار مختار بل هي كسائر الماهيات المجردة . والمعجب ممن اقر بهذا ثم شغفه مدح الاسلاف ، وإثبات الخلق على الحق ففرع فروعا تنادي عليه بعدم الانصاف ، ولقد أغرب في ذلك ابن تاج الشريعة ، ولم يتمسك من الانصاف بأدنى ذريعة ، فانه نصر التحسين والتقبيح نصر اموزرا ، وسجل على المخالف فعل من استمسك بأوثق العرى ، ومن نظره المحقق الموفق ، وكلامه المُنْمَنُ المنق ، على اثر البحث (قوله) على ان الاشعري يسلم الحسن والقبح عقلا بمعنى الكمال والنقصان ولا شك ان كل كمال محمود وكل نقص مذموم وان اصحاب الكمالات محمودون لكمالهم واصحاب النقائص مذمومون بنقصهم وانكاره الحسن والقبح بمعنى انهما صفتان لا جلهما يحمداً أو يذما الموصوف بهما في غاية التناقض وان انكرهما بمعنى انه لا يوجد في العقل شيء يثاب الفاعل أو يعاقب لاجله ، (فنعول) ان عني انه لا يجب على الله الاثابة أو العقاب لاجله فنحن نساعده على هذا وان عني انه لا يكون في معرض ذلك فهذا بعيد عن الحق وذلك لان الثواب والعقاب آجلا وان

كان لا يستقل العقل بعرفة كنيتهما لكن كل من علم ان الله عالم بالكماليات والجزئيات فاعل بالاختيار قادر على كل شيء وعلم انه غريق نعمة الله في كل لحظة ثم مع ذلك كله ينسب من الصفات والافعال ما يعتقد انه في غاية القبح والشناعة الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فلم يربطه انه يستحق بذلك مذمة ولم يتيقن انه في معرض سخط عظيم وعذاب أليم فقد سجل على غباوته ولجاجه ، وبرهن على سخافة عقله واعوجاجه ، واستغف بفساده ورائه ، حيث لم يعلم بالشر الذي في ورائه ، عصمنا الله تعالى عن الغباوة والغواية ، واهدنا هدايا المعداية ، انتهى بحروفه

ثم أخذ في الخطب فقال لما أثبتنا الحسن والقبح العقليين وفي هذا القدر لا خلاف بيننا وبين المعتزلة أردنا ان نذكر بعد ذلك الخلاف بيننا وبينهم وذلك في أمرين (أحدهما) ان العقل عندهم حاكم لمطابق بالحسن والقبح على الله تعالى وعلى العباد أما على الله تعالى فلا لأن الاصلح واجب على الله تعالى بالعقل فيكون تركه حراما على الله تعالى به فالحكم بالجوب والحرمه يكون - كما بالحسن والقبح ضرورة وأما على العباد فلان العقل عندهم يوجب الافعال عليهم ويبيحها ويحرمها من غير أن يحكم الله تعالى بشيء وعندنا الحاكم بالقبح والحسن هو الله تعالى وهو متعال أن يحكم عليه غيره ، وعن أن يجب عليه شيء وهو خالق أفعال العباد على ما مر جاعل بعضها حسنا وبعضها قبيحا ، وله في كل قضية كلية أو جزئية حكم معين ، وقضاء مبين ، واحاطة بظواهرها وبواطنها ، وقد وضع فيها ما وضع من خير أو شر وهو تقع أو ضر ، ومن حسن أو قبح ، (وثانيهما) ان العقل عندهم موجب للعلم بالحسن والقبح بطريق التوليد بان يولد العقل العلم بالنتيجة عقيب النظر

الصحيح وعندنا العقل آلة لمعرفة بعض من ذلك أو كثير مما يحكم الله تعالى بحسنه أو قبحه لم يطلع العقل على شيء منه بل معرفته موقوفة على تبليغ الرسل لكن البعض منه قد أوقف الله عليه العقل على أنه غير مولد للعلم بل أجرى عاداته أنه خاق بعضه من غير كسب وبعضه بعد الكسب أي ترتيب العقل المقدمات المعلومة ترتيبا صحيحا على ما صرنا له ليس لنا قدرة إيجاد الموجودات وترتيب الموجودات ليس بإيجاد انتهى

ولنتبعه شيئا فشيئا حتى يتبين غلطه ولغظه في مذهب المعتزلة ومذهبه ، والتصدي لقول فرد ابطالا وتصحيحا لا ينبغي الا ان هذه المذاهب قد استقرت والرحل يتكلم فيها على أهل ذلك المذهب جميعا فيكون تخصيص كلام معين أقرب الى الانصاف ، وايضاح الاهتداء من الاعتساف ، فاذا انضم الى ذلك كون الرجل من مشاهير ذلك المذهب ثم كون ذلك الكلام في كتاب متداول معروف بالكمال متلقى بالقبول من الفحول كهذا الكتاب الذي ذكر هذا الكلام فيه وهو التنقيح وشرحه التوضيح كلاهما له كان أفنى الى المطلوب طالب الحق فنقول : (قوله) احدهما أن العقل حاكم عندهم مطلق على الله تعالى وعلى العباد (قلنا) ما تريد بقولك حاكم؟ أتريد به انه مدرك للحكم الثابت في نفس الامر الذي أقررت فيه آتفا وبلغت في نصرته كل مذهب فان الاحكام الخمسة ترجع الى الحسن والقبح كما ذكرت أنت الآن فلا بد لك من الاقرار بهذا وإلا ناقضت نفسك ، أم تريد أن العقل محصل للحكم ومنشئ له في نفس الامر فلم يقل بهذا أحد ، أم تريد وهو الاقرب من غرضك ان البارئ تعالى اذا أخرج فردا من ماهية الحسن والقبح الى الوجود فكما يلزم ان يسمى بمطابق الفعل فاعلا يلزم

ان يسمى بفعل العدل عدلا وكذلك نقيضه ، فان كان نزاعك اهم من حيث
 المعنى فان كنت تريد ان صفة العدل ونحوه ثابتة في نفس الامر فان
 فعله العبد ثبتت واستقرت وان فعله الباري تعالى خرج عن صفة نفسه
 كما يأتي من تحقيق كيفية انصاف الفعل بالاحكام ثم بعد خروجه عن
 صفة نفسه يحكم فيه الباري تعالى باحد الاحكام قلنا (١) حاصل هذا
 الامر مناقضة كلامك الاول وزيادة جهالة من اخراج الشيء عن صفة
 نفسه وجعل صفات النفس من الممكنات الذي لم يقل به عاقل فيما يعرف
 فان صفات النفس واجبة والا لما كان للنفس وكان مذهب الاشعري الذي
 بالغت في تهجينه أقرب الى المعقول لانه لم يثبت للفعل صفة البتة وانما قال
 مستتبعات الاحكام بمحض اختيار المختار ، وحكم الواحد القهار ، وان كان
 نزاعك للمعتزلة في اطلاق الالفاظ فالامر قريب وهذا بحث عملي وقد جروا على
 مقتضى اللغة العربية وقد جاء في القرآن ما ظاهره معهم « كتب ربكم على نفسه
 الرحمة - وكان حقا علينا نصر المؤمنين - كان على ربك وعدا مسئولا -
 كان على ربك حتما مقضيا » فان ادعيت منعا عقليا او شرعيا كان بخنا غير هذا
 وصفت القاعدة عن اللفظ وسوء المناظرة والمعتزلة قد اطلقوا اللفظ واجب
 على الله وقبح منه ولم يطلقوا باقي الالفاظ المأخوذة من ألفاظ الاحكام
 وانت قست لفظ حرام وللالفاظ خصوصيات تنشأ عنها ايهاات لاعتراف
 نظراؤهم شرطوا في اطراد الحقيقة في حق الباري تعالى ان لا قوم خلاف
 الصواب فلا ينبغي أن يقول عليهم ما لم يقولوه ومن نظر تعاليله لكلام
 المعتزلة بقوله أما على الله تعالى فلان الاصلح واجب وأما على العباد فلان

العقل عندهم يوجب الافعال ويبيحها فنظر هذا حكم على الرجل إما بعدم معرفة مذهب المعتزلة وانما يتكلم بحسب الوهم وإما بأنه حين سدد نظره الى اللجاج طاشت الحرارة في دماغه فلم يدرك ما قال وهذا أقرب لانه كلام لا يفعله عاقل ولهذا الصنع نظائر في كلام المجادلين فتنبه له

واعلم ان المعتزلة اختلفوا فيما بينهم في معنى الوجوب على الله تعالى فقالت البصرية معناه في حق غيره وهو في حقه أحق وأولى (فان قلت) فن لوازم الوجوب والقبح والثواب والعقاب وذلك لا يعقل في حق الباري تعالى (قلت) هما من لوازم التكليف والتكليف عندهم طلب الباري تعالى الفعل المتصف بالحكم من المكاف مع مشقة تلحق المكاف ومع ارادة المكلف تعالى وقولنا طلب ليس من عباراتهم انما يقولون اعلام الباري المكاف شأن الفعل الموصوف الخ والذي ذكرناه أولى فالتكليف غير معقول في حق الباري تعالى والتكليف انما يكون من الباري تعالى ولا يصح من غيره لان التكليف مصاحبة خالصة أي جلب منفعة او دفع مضرة ولوازمه عندهم الثواب الدائم والعقاب الدائم، والعالم بكل مصاحبة وكل مفسدة والقادر على الوفاء كما يريد هو الباري تعالى . وهذا كله صريح في كتبهم شهير لمن له ادنى معرفة فيها ، وانما التجاسر على الرواية وعدم المبالاة هو الذي كثر الشقاق ، وسلي عن الوفاق ، ولا يخلو مذهب من عدم انصاف الخصم وان اختلفوا قلة وكثرة ، فاتق الله ايها الناظر وقد رانك قد وقفك بين يديه وسألك عن هذا ولا تنتر وخذ قول اهل المذاهب من كتبهم فباتجربة انهم لا ينصفون في النقل وأصله انه لا يحتفل

بقول من عزم على خصومه فيجهل قوله فيجهل عليه فإلله الله «لا تقف»
 ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا»
 وحاصل مذهبهم ان المدح والذم من لوازم التحسين والتقصير والثواب
 والعقاب من توابع التكليف والبصرية يوجبون الثواب ويحسنون العقاب
 فقط وللبارئ تعالى ان يسقطه عقلا ولزوم الثواب وحسن العقاب وهما
 المحسنات للتكليف عندهم كما مضى ومعنى الاستحقاق عندهم انه يحسن لا
 انه يجب . والبغدادية يقولون يجب الثواب وجوب جود بمعنى ان صفات
 الكمال تقتضي توفر دواعي الحكيم الى فعله وما خلص الداعي اليه وجب
 ان يفعله الحكيم ومع هذا يطلقون ان الثواب تفضل اي ليس له جهة
 وجوب في نفسه فاعرف مذهبهم فكم غلط عليهم اخوانهم البصريون
 فضلا عن غيرهم ويكفي في حسن التكليف عندهم سابقة الانعام ويقولون
 بوجوب العقاب ولا يجوزون العفو عقلا لانه لطف للمكافين والالطف
 واجب عندهم فذهب الفريقين في الثواب والعقاب متعاكس . هكذا
 حكاية مذهب البغداديين قالوا عنهم لا يجوز العفو عقلا وعلوه بانه لطف
 وقالوا عنهم انه لا يحسن العقاب الا حيث يتضمن تقعا للفاقر فينتج هذا
 انه لا يقع العقاب الا اذا حسن ولا يحسن الا اذا انتفع به الغير وتعميم
 الانتفاع يحتل اللطف وغيره كالتشفي فتحرر انه قد يقع مقتضي العقاب
 وهو العصيان ويقع شرط حسن وقوعه وهو يتضمن الانتفاع وقد يخلو عن
 الشرط اذ لا ملازمه بين المقتضي المذكور وشرط حسن الوقوع فيجب حينئذ
 ان لا يقع اللهم الا ان يقولوا لا يمكن المكاف من العصيان الا مع العلم بحصول
 الشرط المذكور وهذا بعيد ويحتاج الى نقل عنهم معتبر فتعميم منع العفو غير

سديد وحكايته عن البغدادية كما تري والظاهر الغلط عليهم في بعض كلامهم
فهذا كثير الوقوع في حكاية المذاهب وان كان ذلك في كتب اخوانهم البصرية
فان كثيرا من الخطاء لينبغي بعضهم على بعض فليحفظ هذا فانه تقيس جدا
(قوله) العقل عندهم يوجب الافعال ويبيحها ويحرمها قد عرفت
سقوطه مما مضى وانه لا معنى له الا بالمعنى المتفق عليه بين الحنفية والمعتزلة
(قوله) وعندنا الحاكم بالحسن والقبح هو الله تعالى (قلنا) ما تريد بالحاكم
المبين للحكم الثابت في نفس الامر فذلك قول المعتزلة حتى شنع عليهم
الاشاعرة بان الباري تعالى عندهم كالقاضي والمفتي وسيأتي لزوم هذا على
قول الجميع ؟ أم تريد انه محصل للفعل صفة الحسن والقبح فقد كنت
قررت ثبوت ذلك لا باختيار المختار وان الاختيار مؤخر عنه عند ذكرك
ان الله يأمر بالعدل والاحسان في هذا الكلام ؟ أم تريد ان الباري
تعالى هو المأزم لنا ان تأتي الحسنى وتترك القبح فذلك قول المعتزلة وهو
المراد بالتكليف عندهم فأخبرنا ما هذا الخلاف بينك وبينهم

(قوله) ثانيهما ان العقل عندهم موجب للعلم بالحسن والقبح بطريق
التوكيد بان العقل يولد العلم بالنتيجة عقيب النظر الصحيح (قلنا) هذا
مجازفة عليهم أو بهت لهم ولم يقل منهم أحد ان العقل يولد العلم وهم متفقون
ان المعلوم الضرورية يخلقها الله تعالى ابتداء واما النظرية فاختلغا فيها فقال
بعضهم مثل مقاتل هذه يخلقها الله والنظر شرط عادي فقط وقال ابو الحسين
ليس النظر يولد العلم انما الناظر يستفصل بنظره ما أجل عند العقل فعند
العقل ثبوت حكم الكبرى عموما فينظر في نسبة الوسط منها فيجده فردا
من أفرادها فيلزمه ثبوت حكم الكبرى للصغرى وهو النتيجة . فنقول

مثلا هذا الضرر العاري عن نفع ودفع واستحقاق ظلم وعند عقله ان كل ظلم قبح فتظهر له النتيجة وهي اتصاف هذا الضرر العاري عن نفع ودفع واستحقاق بالقبح ولهذا قال مختار في المجتبى وهو تلميذ تلميذه: النظر تجريد الغفلات ، لا ترتيب المقدمات ، وما حكيناه عن ابي الحسين هو ما حكاه تلميذه ابن الملاح في كتابه الفائق وقد ذكر الطريقة التي تسميها المعتزلة الحاق التفصيل بالجملة فصرح بما ذكرناه وهذه الطريقة عند المعتزلة هي البرهان عند المنطقيين الا ان متكلمي المعتزلة يقدمون الكبرى التي دلالتها عموم على الصغرى التي دلالتها خصوص ثم يقولون والخاص لاحق بالعام أو التفصيل لاحق بالجملة. القول الثالث قول من قال بالتوليد فقالوا النظر معنى يتولد عنه العلم عند كمال شرائط النظر ولم يقل أحد ان المولد له العقل كما ذكرت وانما العقل آلة للادراك فقط عند الجميع

(قوله) وعندنا ان العقل آلة لمعرفة بعض من ذلك اذ كثير مما حكم الله تعالى بحسنه أو قبحه لم يطلع العقل على شيء منه بل معرفته موقوفة على تبليغ الرسل لكن البعض منه أوقف الله عليه العقل (قلنا) هذا غير مذهب المعتزلة^(١) ولم يقولوا ان العقل مستقل الا باحكام يسيرة كوجوب شكر النعم ودفع الضرر عن النفس وانصاف الغير وكالظلم والعبث والكذب واما ما رميتهم به بضمون هذا الكلام وما قبله وأوهمت انهم يدعون معرفة جميع الاحكام بعقولهم وانهم مثلا يدركون وجوب صوم آخر يوم من رمضان وحرمة صوم أول يوم من شوال وان عقولهم غنية عن تبليغ الرسل

(١) اي ما حكيت عنهم هو غير مذهبهم . ويصح أن تقرأ العبارة: هذا عين مذهب

المعتزلة . أي ما ادعيت مذهبها لك ولعله الصواب اه مصححه

ولا فائدة لها عندكم كي يتحقق الخلاف بينك وبينهم لأنك إنما فضلت نفسك عنهم بذلك فإن كنت تحكي عن قوم تختص أنت بعرفتهم يسمون معتزلة فلا يعنيك التعرض لك ولهم وإن كان المراد بهم هؤلاء المشاهير: واصل بن عطاء وعمر بن عبيد والجاحظ والنظام وأبو الهذيل والكمي وجعفر بن مبشر وجعفر بن حرب وأبو الحسين الخياط وأبو عبد الله البصري وأبو علي وأبو هاشم والقاضي عبد الجبار وأبو الحسين والخوانساري وغيرهم ممن لا يحصى عددهم ولا يستقل بدراسة مذهبه رواية ولا تحقيقه زاوية فهذه مصنفاتهم ومقالاتهم المتواترة عنهم وبين ظهري أتباعهم وفي بطون كتب الأشاعرة قدينيوها وكرروها وطووها ونشروها كالخريت الفخر الرازي وغيره ولم يفتر عليهم أحدا ما ذكرت اللهم إلا أن يروي ذلك عنهم مغفور مسجل على نفسه بالغباء والجهالة فيكون ساف لك في هذه الضلالة عصمنا الله عن الأهواء ووقفنا لما هو أقرب للتقوى آمين

إذا تقر هذا فلنقدم على حجج الفريقين تنبيهاً على كيفية صيرورة الفعل متصفاً بالحسن والقبح فانه من تمام تحرير محل النزاع لتوارد الحجج على أمر معروف، ومحل مكشوف، أعلم أنهم يحكون خلافاً بين الجبائية وسائر المعتزلة ويقولون أن الجبائية يقولون بحسن ويقبح لوجوه واعتبارات والبغدادية يقولون لئنه ويحكي بعض الأشاعرة عن بعض المعتزلة أنه لصفة من صفاته والأقرب أنه خلاف في العبارة وبيانه أن مراد الجبائية بالوجه الذي وقع عليه الفعل الوجه الذي له دخل في تحسين الفعل وتقيحه ولا تجله سمي حسناً أو قبحاً إذ مطلق الفعل وحده أو مع ألف وجه لا يصير ويسمى لا تجله حسناً وقبحاً لا يعتبره عاقل قطعاً ككونه حركة مثلاً

الى جهة اليمين في وقت الضحى في قعر المنزل وغير ذلك والا للزم كون كل فعل حسنا وكونه قبيحا وهو معلوم البطلان والبغدادية لا يقولون ان مطلق الفعل قبيح ولا هو مع وجه ملغى كذلك لما ذكر فتبين انه مطلق الفعل متركبا مع وجه او وجوه لها دخل في صيرورته وتسميته حسنا وقبيحا وأنا انبهك على وجه غاظم وهو انهم يأخذون الفعل متركبا مع وصف ملغى او غير تام كالسجدة مثلا ثم يقولون لو كانت السجدة حسنة او قبيحة لنفسها لما كانت طاعة للرحمن وكفرا ان كانت للشيطان والجواب ان مراد البغدادية بالفعل ليس السجدة مطلقة ولا هو مع القيود التي صارت بها سجدة بل ذلك كله مع قيود آخر صار بها عبادة للرحمن ومتى كان كذلك لم يخرج عن كونه عبادة الى كونه كفرا الا بنقصان قيد وزيادة آخر والمقيد بقيد غير للمقيد بآخر وكذلك القول في لطم اليتيم تأديبا وظالما وغير ذلك . وحاصله ان الظلم مثلا بعد تمام كونه ظلما لا يخرج عن كونه قبيحا مادام كذلك فلذا قالوا انه ذاتي اي مادام الظلم مستجمعا لما صار به الفعل ظلما فلا يخرج عن القبح فتأمل هذا فانه بحث نفيس بديع وهو مما ترك الاول للآخر والحمد لله وحده

ثم اعلم انه ليس من ضرورة مطلق الفعل الحسن والقبح ان أريد بالحسن ماله مزية راجعة على مزية الطرف الآخر والمعتزلة يطلقون الحسن على ما عدا القبيح حتى المباح بمعنى مالا حرج في فعله وتركه فعلى هذا لا يتخلف فعل عنهما ثم المطلق قد يتقدم بقيد أو قيود ولا يتحصل منها الا اسم مثل مطلق السر فانه مع الاحكام لمطلق الفعل وقد يتقيد بقيد يتحصل له به اسم وحكم مثل كونه عدلا وظلما وصدقا وكذبا ثم الوجوه والاعتبارات

التي يتحصل بها الحكم هو شيء مقدور وضابطه ما حكم وأدرك العقل عند
الحسن والقبح ثم قد يزيد على تلك الوجوه الممينة وجه او وجوه فاذا
اعتبر المجموع فتارة يتأكد الحكم الاول فقط مثل الزنا في المسجد في رمضان
مثلا وقد يتصف المجموع بحكم يخالف الحكم المزيدي عليه والمزيد عليه باق
على ما هو عليه فانه مع الزيادة مغاير له مع عدمها فلا بعد ولا احالة في
اتصاف كل منهما بغير ما اتصف به الآخر فاذا حكم العقل مثلا بحسن
الصدق وقبح الكذب ثم فرضنا انه جاء دليل عقلي او شرعي بان الكذب
الذي فيه عصمة نبي واجب والصدق الذي به هلاكه حرام لم ينقض ذلك
علينا قاعدة الحسن والقبح بل ولا هذه الصورة التي ادرك حكمها العقل انما
أدرك حسن صدق غير مقيد بكونه يهلك به نبي وقبح كذب غير مقيد بكونه
ينجوه نبي. يحكى عن بعض البوادي انهم يبيتون الضيف مع ازواجهم ومخارمهم
ويقولون هم اكرم الناس واقرام للضيف فهو لا يضمنوا الى اكرام الضيف هذه
الجلسة وسموا المجموع باكرام الضيف والذي يفعل ذلك انما يسمى ديونا ونحوه
واكرام الضيف انما هو جزء فلهم هذا وهو اكرام الضيف فيما عدا هذه
الجلسة ومع تنامي فلهم هذا في القبح لا يخرج اكرام الضيف من كونه من
أثر الخصال وأفضلها ولا يكاد فعل يخلو عن مفسدة ولو مجرد المشقة وفوات
الدعة ولا عن مصلحة ولو اللذة واطلاق عنان النفس فانها ما منمت من شيء
الا اشتاقت اليه ولكن يعتبر الارجح ويضمحل عنده المروج وهذا يحتاج
الى معاودة التأمل وعدم الاستعجال مع نقاوة غريزة وذهن صافي سيال
فان قلت هذا يخالف قولهم قبح الكذب لكونه كذبا والظلم لكونه
ظما والعلة موجودة بتامها مع كل عارض مقدر في الكذب لان حقيقته

٤٤٠ الجنوح لحكم العقل وخبر الشرع في الحسن والقبح (المنار ج ٦ م ١٣)

مقررة لا تزول الا بزواله بخلاف الظن (قلت) انما حكمنا بقبح ما أدرك العقل قبحه بضرورته واما تصيدكم العلة ثم إلحاق ما لم تدركه الضرورة العقلية فلا يفيد اليقين لعدم القطع بعدم الفارق وانما غايته الظن الذي الاصل منعه ما لم يدل على الاستغناء به دليل فدعه «ولا تقف» ما ليس لك به علم - ان الظن لا يفي من الحق شيئاً - ان بعض الظن إم» فايؤمنا أن يكون هذا منه وما لم تلجئنا الضرورة العقلية فلا علينا ان نكل أمره الى خبر الشرع، ونذعن له بالطاعة والسمع، فكل ما لم تضطرنا اليه الضرورة العقلية، فنحن فيه سمعية وهذا أوسط الامرين بين تقرير الاشاعة وإفراط المعتزلة

(فان قلت) فهل يجوز تساوي طرفي الفعل في كون كل منهما مصلحة واذا جاز فهل يجوز ان يأمر الحكيم باحدهما معينا واذا جاز فما المخصص حينئذ لانك قدمت أن الترجيح بمحض الاختيار وان جاز في حق القادر نظرا الى الذات فانه يمتنع بالنظر لمكان الحكمة (قلت) جواز استواء الطرفين في المصلحة لا مانع منه وأمر الحكيم بذلك كذلك والمرجح حينئذ بمحض الاختيار كالمهارب يختار احدى الطريقين بالامر بجمع والذي قدمنا منه هو حيث لا داعي الى الفعل يرجح في نفس الامر لانه يكون عبثا وهو ممتنع الوقوع حكمة في حق الحكيم وعادة فقط في حق غيره كما يأتي تحقيق ذلك في أواخر مسألة التحسين والتقيص ان شاء الله تعالى وأما هذا فقد قام الداعي في كل من الطرفين على حدة فلا مانع من تخصيص أحدهما بمحض الاختيار وترى أناسا يناقضون من فرق بين المسلمين ويغلطونهم وانما الغلط عند من لا يفرق واذ قد أتينا على غرضنا من تحرير محل النزاع وما يتعلق به فلنذكر المعتمد من حجج الفريقين وبالله الاستعانة

(لهاتمة)

ذكرى (*)

﴿ للسوريين عامة . وأهل بيروت خاصة ﴾

البلاد السورية من ارقى البلاد العثمانية استعداداً في العلم والعمران وان بيروت ارقى هذه البلاد ، بل هي من اثنى الدرر في تاج آل عثمان
قد زادت قيمة بيروت في نفوسنا بعد الدستور اضعاها مضاعفة ، وصرنا بناهي بها وفاخر بعد ان كنا نشكو من تلك المعرة الفاضحة : معرة العصبية الجاهلية باسم الدين التي كانت حجاباً دون محاسنها الكثيرة ، ومزاياها الجمة ، فقد كانت تتلفع بذلك الثوب المنكر وتتدجج بسلاح البغي والعدوان فكلمنا سمعت هبة جردت سلاحها هذا ، وقالت به هكذا وهكذا ، تقوم انها تجاهد في سبيل الله ، وتفتك بدموعها والله ، وانما كانت تجاهد في غير عدو ، بل كانت تحارب نفسها وهي لا تدري ، فيظن بعض ابنائها صدور الابطال الآخرين وهو لا يرى ولا يبصر ، حتى اذا مالاح صبح الدستور القى الاخوة السلاح من ايديهم وطفق بعضهم يعانق الآخر ويقبله وهو يبكي على ما فرط في ذلك الليل البهيم ، ويسم لما يرجو في هذا النهار المنير

كان بعض عقلائنا يقولون ان علة تلك الاحقاد والاحن هي الحكومة الاستبدادية التي لا تجد حفاظاً لسلطانها الا التفريق بين رعيتهما ، ولا سيما أهل الذكاء والعلم منهم ، وكان بعضهم يقول ان علة ذلك التدابر والتباغض هي دسائس اصحاب المطامع من الاوربيين ، وهناك فريق ثالث يجمع بين القولين ، ويثبت كلتا العلتين ، ولاخير لبيروت ولا لما يجاورها من البلاد في فوزها بين السياستين . وانما خيرها في اتحاد ابنائها على ترقيتها وعمرانها ورفع شأنها وكل من السياستين عقبة كؤد في طريق سعادتها هذه

(*) نشرناها في جريدة الحضارة التي تصدر بالآستانة

فرحنا بعد اعلان الدستور من خلع بيروت ذلك اثوب الذي كانت تتلغم به
احيانا في تلك الظلمات ونبذ ذلك السلاح الخاطئ الذي كانت تحز به مفصل اعضائها
قتلين بعضها من بعض ، واشبعناها ثناء وقریظا ، واروينها حمدا وشكرا ،
واجبن ان يكون الشكر مدعاة المزيد ، وذلك اثر الشكر الطبيعي في نفوس أهل
النجدة وعلو الهمة كأهل بيروت

تلك المحمدة التي عكس لنا البريد صوتها وارانا البرق نورها ونحن في مصر
قد هاجت شوقنا لرؤية بلادنا ترفل في حللها الزاهية ، في نور شمس الدستور
الضاحية . بعد ان تركناها منذ سنين دخلت في جمع الكثرة وهي تتعثر في ذلك
الثوب الخلق ، في ذلك الطريق الذي في مثله يقول الراجز

وقاتم الاعماق خاوي المحترق مشته الاعلام لماع الخفق

تسير على غير الهدى ، الى حيث تقع في مهاوي الردى ، في تلك الخنادس ،
بما يخفق من بروق الوسوس ، التي تغريها باعانة المسند فيها على استمرار استعبادها ،
أو تمكين الطامع فيها من ازديادها (لاسمح الله)

زرت بيروت وغيرها من البلاد التي اعداها كلها وطني الخاص فكنت على
تفضيلي بيروت على سائر اخواتها من المدن بنات سورية أرى ان الوفاق السليبي
وحده لا يثمر ما يحب من عمران البلاد وارتقاها — واعني بالوفاق السليبي تركما كان
من التنازع والتخاصم ، والتشائم والتلاحم — وانما تعمر البلاد وتسعد بالوفاق الايجابي
وهو انما يكون بالاختلاط وكثرة التزاور والاشتراك في الاعمال المالية ، والجمعيات
العلمية والادبية

بذلت لهم نصحي وهم قومي الذين اغربهم اذا صلحوا واصلحوا ، تصيبني
معتهم اذا اساءوا وافسدوا ، راجيا ان يكون ذلك الوفاق الذي سميته سليبا مقدمة
وطليعة لما يكون بعده من الوفاق الايجابي بالتدريج وانا لا أزال مع سائر العقلاء من
اخوانهم البعيدين عنهم في مصر والآستانة وامريكا وأروبا بانتظار ان يكونوا هم السابقين
الى رفع قواعد بيت الاتحاد على اساس الدستور ليكونوا في مقدمة زعماء الارتقاء في

تلك الديار في هذا الطور الجديد وتكون مدينتهم ينمو مدينة تلك الاوطان في ظل الدولة العلية ايدها الله تعالى

بينما نحن على ذلك الانتظار اذا بجرائد بيروت نفسها تعيد على اسماعنا في هذه الايام شيئاً من حوادث ليالي الاستبداد الخالكة: بعضها صريح، وبعضها جمجمة وتلويح، وقد جاء العاصمة أناس منها فاذا هم يتشاءمون ويتطيرون ويرون ان بعض عال التفرق السابق أو كلها قد عادت جذعة أو كادت... فالله الله يا بيروت في نفسك، وفي ابناء جنسك، فان اعداء قومك واعداء دولتك يتربصون بك الدوائر، ويكيدون لك المكائد

اسمعي يا بيروت وعي فاذا سمعت سمعت سورية كلها واذا وعيت وعيت، واذا لم تلقي السمع، ولم تفرقي بين الضر والنفع، فعليك إثمك وإثم سورية كلها انك ترين في بعض صحف المفسدين الذين يلبسون لك ثياب الناصحين كلاماً في التفرقة بين المسلمين والناصرى فاياك ان تغتري بهم، أو تنخدعي لهم، نعم ان الكريم ينخدع ولكن في الخير، ولا عذر له في الانخداع لدعاة الشر، انهم يقولون لاحق للمسيحي من السوريين ان يتكلم في شئون المسلمين، ونحن مسلمي السوريين وعلماءهم وكتّابهم يقول ان لهم ان يتكلموا في شئوننا كلما رأوا الفائدة للبلاد في كلامهم معنا فيها ولا نسي الظن فيهم، لان المصلحة مشتركة بيننا وبينهم

اتني لأمي، الظن بكم ايها الاخوة الاذكياء الفضلاء، ولا يلدكم وان لم تخل كغيرها من الجهلاء، وانما المحب مولم بسوء الظن في كل أمر يتعلق بمحبوبه، فهذا ما يدعوني الى هذا التنبيه

ان رجائي في عقلاء الطائفتين وفضلائهم اعظم وان مما زاد هذا الرجا قوة ورسوخاً تأسيسهم لتقابة الصحافة في بيروت وعسى ان يشترك معهم جميع اصحاب الصحف اللبنانية والمتنظر من هؤلاء الكتاب النباه وقد اجتمعت كلمتهم ان يجمعوا كلمة قومهم على الوفاق ويبحثوا شجرة الخلاف الخبيثة من أصولها ويردّوا بالاجماع على كل من ينز بلدهم بلقب التعصب الذميم وان كان من آباؤهم او اخوانهم المهاجرين أو المقيمين فاتي ارى بعض جرائدنا في امر يكا لا تزال تركب من هذا الخطأ: خطأ

الانهم بالتعصب الديني وهو هو الذي يثير كوامنه ، وبحرك سوا كنه ، ويقوي
ضعفه ، ويحيي ميته ، فالحلم لا يند كرون

اذكروا اهل اذكياء ما يجمع الالباء وتناسوا ما يفرق ، الى ان تنسوه ببركة التعاون
والاخلاص ، اذكروا ان لكم جامعة كبيرة وهي اللسان ، وجامعة اخرى وهي الديار ، وكل منهما
جامعة شريفة لها ذكر مجيد في التاريخ ، وجامعة اخرى وهي العثمانية التي تصل جبلكم بحبل
كثير من اخوانكم الشرقيين وما أعز من يكثر إخوانه ويتعدد أعوانه ؛ د وانما العزة
للكاثر ، ومن أكبر خطأ بعض الجرائد في المهاجر التنفير من هذه الحكومة التي
يرجى لكم في ظلها ما لا يرجى لغيركم ان أنتم أنفقتم على تعزيزها بترقية بلادكم وجمع
كلتكم ، ولا حجة لتلك الجرائد الا سوء سيرة رجال الدولة في أدوار الاستبداد
البائدة وقياس الآتي على الماضي وهل يقاس الضد على ضده ؟ كلا إن
السوريين لم يذوقوا من بأس الاستبداد ما ذاق الارمن ونرى هؤلاء يسارعون
الي اقتطاف ثمار الدستور ويشاركون في الواجبات ليشاركون في الحقوق .
زاهم يعلون ولدانهم في المدارس النظام العسكري كل يوم ترغيبهم في هذه الخدمة
الجليلة وما نصارى السوريون دون الارمن ذكاء وعلم بل هم في هذا العنصر
العربي ركن عظيم ، تبالمنكريه باقوالهم ، ومحاولي تقويضه بافسادهم ، فذكروا وتدبروا ،
ولا تنازعوا ولا تدابروا ، واتحدوا وتعاونوا على ترقية البلاد بالعلم والثروة لتكونوا كما يوثلكم
استعدادكم الركن الاعز الاكرم في هذه الدولة ، وما ذلك على الله بعزيز ، وهو
اذا شاء يهبكم اجتماع الكلمة وكفى

الفطرة وأسباب الترقى في الكون^(٥)

كان الله ولا شيء معه الهـا في ذاته منزها بألوهيته فليس بكم ولا كيف محتجبا في أزله منزها عن التحديد فليس بالجسم التعليمي الذي تحده الأبعاد ولا بالشيء المفروض الموهوم الذي تكيفه الأفكار تخيلا واقتراضا وإنما هو الكائن في ذاته لا تحيط به العقول ولا تصل إليه الحواس وكيف والحواس لا تدرك إلا أعراضا لا تلبث أن تزول سبحانه لا يعلم شأنه إلا هو

كان الله ولا شيء معه فلا سماء ولا أرض ولا طول ولا عرض ، كان مصدر الخير ومفاض النعمة كما قال الرسول (ص) عن ربه عز وجل « كنت كنزا مخفيا لا أعرف فأحييت أن اعرف فخلقت الخلق في عرْفوني ، أراد الله أن يُعرف بنفسه ويمتاز بألوهيته التي يظهر فيها مظهر الكمال المطلق من قدرة غالبية وإرادة حكيمة وعلم واسع فأبدع من الخلق ما شاء ، وكون مملكة متأثرة بتلك الصفات الثلاث : فالإرادة رتبها ، والقدرة أبرزتها ، والعلم حفظها من عبث الجهل الذي هو سبب الفساد في كل شيء

نعم فطر الله الكون على قواعد ونواميس كلية وأقام عليها هذا العالم الأكبر : عالم الحياة الحادثة والحركة المتجددة فأوجد مقوماتها قوى وكتلا مختلفة التركيب والعناصر . وقد أثبت العلم أن ما خلقه الباري سبحانه وتعالى ينقسم إلى قسمين : مادة ونفس فالمادة عبارة عن الاجسام والجسم عبارة عن كل كتلة أشغلت فراغا سواء أمكن النظر إليها أم لا كالهواء والماء فإنهما لا لون لهما فلا تدركهما إلا بالبصار

والنفس عبارة عن معانٍ مجردة لا تشغل فراغا ولا تتزاحم مع غيرها من انواعها ولا يزاحمها أيضا غيرها والدليل على ذلك قريب وهو انه يوجد في

(٥) محاضرة للشيخ حسين سليمان منتش من مدارس العروة الوثقى بالاسكندرية القاها في نادي موظفي الحكومة بالاسكندرية بتاريخ ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٢٨

الانسان طريقان : طريق خاص بالاشياء الجسمانية هو الفم يوصل الغذاء الى قاعة جسمانية أيضا هي المعدة بحيث لا يمكن أن يشغل فراغها شاغل لا يصح ان لا يقف عند حد محدود في كميته وذلك كالغذاء النازل فيها فتى امتلأت دفعت . وطريق نفسي مورده الحس المشترك وقاعة الحافظة تقبل من المعلومات ما لا يتناهى لا تضيق بعلم دون آخر بل هي قابلة لأن تتناول كل المعلومات التي تصل اليها مهما بلغ مبلغ كميته

وقد قيل في النفس آراء كثيرة لا حاجة بها هنا . ومن المادة والنفس كان التكوين فكانت هذه المجموعة وأودعت السلطة أرقى نفس فيها أفيض عليها من لدن الباري جل وعلا صفة العلم فكان الانسان بها خليفة وملكا سخر له غيره من عالم المخلوقات

واقسمت المادة باعتبار مميزاتها الى ثلاثة اقسام : حيوان ونبات وجماد . وهي مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا يقتضي أن يكون وجود الثلاثة في آن واحد إذ لا غنى للحيوان عن النبات ولا للنبات عن الحيوان والكل قله الأرض وتعطيه من خواصها ما يحتاج اليه . ويظهر من ذلك ان الكائنات كلها لم توجد دفعة واحدة كما هو رأي الفلاسفة وانما وجدت بترتيب حيث كانت العوالم العالوية الفياضة ومنها سائر التأثير في العالم السفلي ومن ذلك ربما يصدق قول بعض المنجمين الذين يرصدون الافلاك فيستنتجون من أشكالها حوادث جوية ووقائع أرضية (*)

قد يظن انسان ان النبات ليس محتاجا الى الحيوان ! كلاً فان النبات محتاج في حياته الى الحيوان فانه يتنفس كالحيوان وبينهما في هذه الصفة ارتباط شديد فالحيوان ينقي الهواء للنبات والنبات ينقي الهواء للحيوان واليك الغابة دليلاً وهي المكان الطبيعي الذي لا يخلو من وجودهما فهما يتبادلان منفعتيهما . والغرض من هذا الارتباط العظيم بقاء ذلك الكون الى أجله المحدود تتوارد عليه عوامل الترقى كلما كشف العلم عن أسرارها وأبان البحث والتقيب خفاياها (سنة أن ولن تجد لسنة الله تبديلاً)

(*) لعل الكاتب يعني بالمنجمين غير علماء الفلك الذين يبنون اقوالهم على المشاهدات والقواعد الصحيحة من هؤلاء منقطوع في تصديقهم اما المؤمنون فعلمهم المخبرون الجاهلون الذين يبرفون بما لا يبرفون

أما السادة : - الترقى في الكون لا يقتضي تغييرا ولا تبديلا في نواميسه (لا تبديل لخلق الله) والا لا قلبت الحقائق وذلك ضرب من الحال وإنما ترقى الكون عبارة عن تحسين مادة اجتماع العناصر التي تتآلف منها كتناسب الاوضاع وتوفيق الالوان واتحاد المشارب واقتراب ما تنافر منها بالمعالجة بالعلم والتربية . انظروا الى الانسان الاول واحتياجه فكم علم حتى عمل حتى وصل الى ما هو عليه الآن من المدنية الباهرة والذي يكفل ذلك انما هو العلم الصحيح . هذا مبدأ صحيح وقاعدة يجب الاعتماد عليها والإساءات الحال وقبح المال فاذا يجب على المتعاونين والمتعاقدين قبل دخولها في التعاون والعقد الاتحاد والائتلاف وما أخرى الزوجين أن يكونا كذلك فهما ان لم يأتلفا كانا مدرسة شقاء لا بنائهما ومهيم فساد لذريتهما فتمارف الرجل وامرأته قبل الاقتران بها أمر ضروري طبيعي حتى يتم ذلك التقسيم الشرعي في قوله تعالى (الخيئات للخيئين والخيئون للخيئات والطيات للطيبين والطيبون للطيات) فالخييث يرى الخبث فضيلة في غيره والطيب لا يرى الفضيلة في غير الطيب والا وجب حل العقدة وفك الشراكة وقد جاء في الحكم عن العرب « ان لم يكن وفاق ففراق » فهما تغيرت تلك المبادئ الطبيعية أو تنكرت فعلى ممر الزمان يضطر الى الرجوع اليها هذا ما حدا بالاروبيين الآن الى ان يحلوا عقدة الزواج بمجرد اختيار أحد الزوجين وقد بلغ التنافر ببعضهم الى حد مدهش هو ما روته بعض الصحف من طلاق امرأة زوجها لكون لون شعره لم يأتلف بصنع أثاث منزلها الذي أنفقت فيه مبلغا طائلا وما أظلم تلك المرأة التي لم تبيع أثاثها أولى من بيع بعائها ! بل ما أظلم الشريعة أو القانون الذي يقرها على صنعها ! . فعقدة الزواج عندنا يحضرات الاخوان عقدة ذنب عقدت مصالح اسرية كثيرة يجب ان نضعها دائما على خاتمة البحث والتفكير والترقى في الكون له أسباب كثيرة وأول أساس فيه المال وما ورد في شريعتنا الغراء من مقال الزهد في المال والتحذير من فتنة الدنيا فانما الغرض منه البعد عن أكبر رذيلة تلصق بالانسانية الا وهي الحوص الذي هو عبارة عن حب المال لذاته وهذا اقبح ما يكون في الانسان

ومن الترقى في الكون الاقتصاد في المادة للمحافظة على قوتها النامية لان الاقتصاد هو التوسط فاذا أضعف الارض نبات ضروري كالثمن مثلا وجب أن يستنبت فيها عاما بعد عام حفظا لحياة الارض ويمكننا أن نقيس على هذا المثال الكبير غيره حتى نصل الى أقل الخلائق : النملة تدخر قوت شتائها من صيفها فمخالفة هذه القاعدة عصيان للترقى وجفاء التقدم، والفلاح الذي يزرع الارض قطنا عامين متواليين طمعا في سعة الرزق جاهل غي يختار كثيرا ينقطع عنه على قليل يدوم عليه وقد قالت العقلاء (قليل تدوم عليه خير من كثير تنقطع عنه)

ومن الترقى في الكون المدنية العلمية وذلك بايجاد الصناعات والصعود بها الى مدارج الترقى حتى تصل الى تسخير الجماد لياخذ عن الحيوان ما يجهد كاستخدام البخار والكهرباء لراحة الحيوان واتجاه قوى الانسان الجسمانية الى مساعدة القوى العقلية وهذا سبب صحيح لترقى العمل والصناعة فان الصانع المفكر لا يشك في أنه يأتي بصناعة متقنة لا يوفق لها الصانع المسخر وشتان بين من يعمل بواسطة عقله ومن يعمل بما اعتادت عليه يده . اني لا أغلو في هذا المكان اذا قلت أن في خبايا الكون الى الآن امرا نستخرجها العقول على مدى الايام . وقد اثبت العلم أن عقول أهل الطبيعة الحارة أذكى من عقول أهل الباردة فاحسب على الشرق ان استعمل عقله أن يأتي بما لم تستطع الاوائل

ومن الترقى في الكون العمران . والانسان وان كان مكلفا بهذه الوظيفة السامية الا انه من المعجب أنه اذا اتسع به الفضاء ادركته الوحشة ومال الى الانس فانضم الى غيره من بني جنسه ليعاونه اولا على مصالحه وليأمنس به ثانيا فاذا ضاق به المكان كره الزحام ومال الى الاثرة وحب النفس وتنازع البقاء مع أقرب الناس اليه وود لو كان هوكل الانسان فما أعجب هذا الانسان . نعم يوجد في المزاخرة كير فائدة من حيث العمران فقد قال الرسول (ض) « الرزق عند تراحم الاقدام » الا إنه يلزم ان يكون الناس على نظام يكفل لكل حقه فيقف الاجشع عند حده ويساق العالة الى العمل متى قدر عليه وذلك بحرماته من الصدقة والاعانة وقد ورد عن ابي مسلم الخراساني زعيم الدعوة العباسية أنه مما أوصي به أولاده عند قرب منيته ان لا يمينوا

كلا ولا يعطوا عالة فيكون في جسم الامة اعضاء تألف الكسل في العمل وحتى لا يوجد دجال ولا ذو عرافة وشعاذ قادر على العمل

هذا القانون هو النظام الذي يسنه الله لعباده إما بطريق الوحي وإما بالهام حكاء الامة وعقلائهم وضعه لذلك . تجد عالم الوثنية قائما في بعض الجهات على قواعد وقوانين وضعها الرؤساء لا تخرج عن النظام والترتيب في المعيشة بل قد تكون أشد في التكليف من الأوضاع الالهية وقد أكد لي خير ان اليابان على ما هم عليه من الوثنية على كعب عال في الاخلاق ويؤيد ذلك بزوغ شمس الحكمة من الهند من قديم الزمان أي قبل أن يصل اليهم الاسلام وعلى أثر ذلك تقول ان فطرة كل مخلوق هي قيامه بالعمل لنفسه أولا ولما خلق لاجله ثانيا فالمعادن متى أخذت قسطها من خواص الارض وظلت نافعة كان ذلك لفائدة غيرها وكذلك النبات ترى النخلة تبحث بجذورها على الماء فقد تدركه على بعد مئة ذراع أو أكثر وذلك بجهد لو قام به حيوان لأن أنين التعب الكادح وكثيرا ماشوهدت جذور النخلة تساقط من بين جذران الآبار الى الماء وبينها وبين تلك الآبار مسافة واسعة . كل ذلك الغرض منه حفظ حياتها لتؤدي وظيفتها التي خلقت لاجلها الا وهي تقديم الرطب الجنى لبني الانسان وكذلك الحيوان يعمل أولا لقوام حياته ومنه ما يبذل تلك الحياة الثمينة التي تعب في نموها ويتقدم بها الى غيره ضحية ليقتنع بها ذلك الغير كدودة القز المعالومة التي تظل تعمل لتقدم لنا مادة من أنفس المواد لطافة وأغلاها قيمة ألا وهي الحرير . ومنه ما يتفضل علينا بما يخرج من بطنه شرابا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس كما أخبر بذلك خالق النحل وموقعها الى هذا العمل الكبير الذي لا يطاق بنيتها حيث قال (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس)

أيها السادة — ما الذي ترونه في هذا الترتيب؟ هل في هذا الترتيب خرق؟ حاشا! هل في هذه الفطرة ظلم وشر؟ كلا، فمن أين يجيء الشر ومتى يكون المخلوق شريرا؟

انظروا الى الترتيب الآتي أيضا : تتكون المعادن من مادة الارض فتقصها وكذلك النبات والحيوان ثم تعود تلك الاشياء اليها ولو باستحالة الصورة ففسد موضع النقص منها وهذا سر البقاء للكون فاذا أراد الله اذهابه اختلفت هذه النسب فيحصل الفساد . ذلك ما جنح له كبار علماء التفسير في قوله تعالى (أولم يروا أنا أنأت الأرض نقصها من أطرافها والله يحكم لامعقب الحكمة) فاذا أراد الله القضاء على العالم انقص الأرض والانقاص من الطرف مبدأ طبيعي عند ارادة إبادة الشيء وذهب قوم الى ان طرف الأرض عبدة عن قطبيها ولكني أقول ان طرف الأرض هو مجموع سطحها فكل نقطة فيه تسمى طرفا فكان مجموع سطحها أطراف لها ولذلك عبر سبحانه وتعالى بلفظ الجمع فقال «نقصها من أطرافها» ولو كن النقص من القطبين كما فهم بعضهم لعبر الله تعالى بلفظ المثنى أي من طرفيها كما هي سنة القرآن الكريم في الاخبار على أن الجزء الذي فيه الانقلاب والتغير من الأرض إنما هو سطحها وهو الذي يعقل ان يعتريه النقص

جعل الله بقاء هذا الكون بتبادل الاشياء الثلاثة وغذاء بعضها من بعض فالأرض تأكل نباتا وحيوانا والنبات يأكل ارضا وحيوانا والحيوان يأكل من الثلاثة وهذه الثلاثة تنقسم الى مراتب بحسب القوة والضعف بحيثيات مختلفة فمن حيث ان الحركة والقوة في العمل ظاهرة للحيوان كان هو أقواها وأرقاها ومن حيث ان الأرض هي أم الكل منها تخرج واليها تعود كان الجاد أقواها وأبقاها وإذا بحثنا في الاشياء الثلاثة نجد في كل منها شيئا من الضرر في غير ذاته أي بالنسبة لغيره فديكون الجاد ساما كالمعادن الحريفة الشديدة القبض وكذلك بعض النبات والحيوان . ومن الغريب ان للحيوان الغير الناطق خاصة يميزها من النباتات السام من غيره فيجتنبه والطيب من الخبيث فيرعاه ولا يعقل ان تكون الاجسام السامة عديمة الجدوى بل قد تكون نافعة لكذا وضارة بكذا على ان العمدة في الطب القديم والحديث على الجواهر السامة ومن يصدق منا ان البقدونس وهو النبات الطيب المفيد للعمدة والمثانة يقتل البغاء بمجرد تعاطيه !

علم مما تقدم ان الكائنات الثلاثة متاسة وان منها ما لا يجدقوته الا بالاقتراس وان الانسان على ترقيه العظيم ما هو الا حيوان مقترس الا ان مأوته من الذكاء والتدبير جعل

طبيعة الاقتراس فيه منتظمة: الانسان يصطاد الحيوان فان كان دينه يلزمه بتذكيته (ذبحه) ذكاه والاخفه أو عبطه أو وقده وفي الذبح بالطريقة الشرعية تخفيف على الحيوان بشرط مراعاة أحكام الذبح الواردة. ولذا كان الذبح من أهم المقاصد الشرعية والديانة الموسوية لما فيه شروط مؤكدة ولا يعد الذبح تعذيباً للحيوان فانه يؤدي به وظيفة خلق لها قال تعالى (والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون) والطبيعة الغذائية في الحيوان كله تشهد بأن الانسان من الحيوانات أكلة اللحم ولو امتنع عن أكل اللحم أربعين يوماً ضعف مزاجه جداً وربما يمرض مرضاً شديداً لو استمر أكثر من ذلك اللهم الا اذا تعود الامر وحينئذ يصير أكل اللحم ضاراً له. الذبح عبارة عن قطع الودجين وانما بقطعان في لحظة فلا يكاد يحس الحيوان لان الجسم حينئذ يكون انفصل عن المخ الذي هو مركز الاحساس

نعم ليس في ذبح الحيوان تعذيب. وانما التعذيب هو أن يعيش عاملاً فوق طاقته أو يكون على خلاف طبيعته وهي الحال التي تقضي على ذوي العقول بالاتجار تخلصاً من شر الحياة. ورد عن الرسول (ص) « اتقوا الله في البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة » وجاء عن بعض الفلاسفة أنه ترفع عن أكل اللحم مدة حياته كأبي العلاء المعري وقد فهم قوم ان الذي حمله على ذلك رأفة منه وشفقة على الحيوان هذا ان لم نعتقد أنه ناشيء من فاقة كان عليها ذلك الحكيم كما جاء في بعض رسائله ومثل هؤلاء من يضرب على نفسه بسور من حديد حتى لا تلزمه الحاجة الواسعة فيشقى في طلبها. على أن الامر ليس كذلك فحاشا ان يجهل المعري ومن نحا نحوه من الفلاسفة أسرار التكوين وانما الغرض من ذلك ان يكسر سورة نفسه فتتجرد من حجاب الجسم الكثيف الذي تزيده الشهوات واللذات ظلمة فتصفو صفاءها الذي ظهر في شعره الحكيم. وهذا هو السبب الحقيقي الذي فرض الشارع لاجله الصوم قليلاً لتلك الشهوات

اذا تقرر هذا المبدأ أقول ليس في الحيوان شر قط خصوصاً ما كان منه ابله اذ لا فكر توجد به امراض القلب كالحقد والحسد والغرور والاثرة وغير ذلك من أمراض الانسان فكما ان العقل زينة له كان هو مصيبة عليه ذلك مذهب عامة

الفلاسفة يدلك على ذلك ترفع الاسد عن العودة الى فريسته مها نهكه الجوع
لكونه يأمن من نفسه قوة تهيم له طعامه متى شاء

ربما اتفلس الانسان بوحوش الحيوان ورافق الثعبان فلا يرى منه الا المسألة
الطائفة ويأمن له أكثر من أخيه الانسان قال ابو العلاء المعري رحمه الله :

عوى الذئب فاستأنست للذئب ادعوى وصوت انسان فكدت اطير
وهذه الحكمة مبنية على ما تقدم من انه قد يوجد الانسان بين جماعات ادنياء
من الناس فلا يأمن على حياته منهم ويفضل وجوده مع الوحش على وجوده مع هؤلاء
الناس . وما كان خلقه من الحيوان الاذى والضرر كما نطن فانه لا يخرج أيضا
بهذا الخلق عن كونه يودي وظيفة اضطرت اليها طبيعة فيه كالفأرة مثلا تترقب
فرصة الليل السادل خيمته على العباد فتبت تقرر طول ليلا تفسد الاثاث
والرياش ويعلم الله انها لا تعلم له قيمة ولا تتصور له لطافة وما ذلك الا لكونها
خلقت حادة الاسنان ترقاح كثيرا لتسغيها وكذا العقرب ليس بينه وبين غيره
ثأر فيخرج ليأخذ به بذنبه ولكنه لكونه خلق أعشى تراه بخشي دائما في سببه
فيتحصن بذنبه وهذا خلق فيه فلا لوم عليه

فان قلت اذا كان الامر كذلك فكيف اباحت الشريعة الرشيدة لنا قتل
هذه الحيوانات ؟ قلت ان هناك مبدأ عمرانيا ضروريا هو اتلاف الحقيق للحفاظ العظيم
ويقابل في ذلك قاعدة أصولية هي : إتلاف التلث لاصلاح الثلاثين جائز
فاذا كان من خلق الفأرة العبث بالاشياء الصالحة وجب قتلها حتي تحفظ
تلك الاشياء من التلف كما اذا كان عضو من الاعضاء ضارا بالجسم وجب قطعه وعلى
ذلك أباح الشارع أيضا الحكم بالاعدام على القاتل وهو ذلك العمل الذي هو
عبارة عن إزهاق الروح ومصادرة البارئ جل وعلا في منحة عباده صفة الحياة
فكيف يصح للشارع وهو الذي ينكر ذلك العمل الفظيع بالامس ان يأتي به اليوم
وقد استفظه من غيره ؟

يقال ذلك إذا كان الغرض من الاعدام الاخذ بثأر المقتول فقط ثم إنه
لا فائدة نحصل للمقتول أو لاهله من قتل القاتل كلا انما الغرض من القصاص تأديب

من كان في نفسه مطمح الى هذا الجرم فيرى انه مقتول لا محالة والنفس عزيزة خصوصا اذا كانت الجرأة على القتل بعامل ليس له كبير تأثير فيها كالاختلاس مثلا أما اذا ضاق بها الامر وكرهت البقاء عليه كالذل والضم والظلم وهتك العرض ورد الصائل تقابل الصدور بالسهام ورأت اللذة في آلام الحمام

يهون علينا ان نصاب جسومنا وتسلم اعراض لنا وعقول

وهذه حالة استثنائية عسي لا يؤخذ القانون مرتكبها لان النفوس في ذلك تفقد رشدنا بخلاف القتل باسباب ساقلة ولا يتأتى ذلك الا من الجبناء فكان القصاص لاحدم أعظم رادع هذا هو معنى الحياة الذي استنتجته عقلاء التشريع من قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب لعلكم تتقون) لولا هذا النظر ما استفاد أهل المقتول من القاتل شيئا أما أخذ الدية فهو أمر ثانوي قد يكون فيه سلوان لاولياء الدم متى كانوا فقراء وليست بمتيسرة في كل الاوقات . على ان المروءة والاباء يأبى ان يأخذ الدية خصوصا متى كان القتل حاصل بسوء القصد وذلك يشفي صدر أهل القتل بموت عدوهم وليس هذا بشيء ولا يبدا عمراني متى قصر النظر عليه فلو قابلنا كل شيء بشيء مثله في التلف لما مكثت الدنيا أكثر من مئة عام مثلا: عمرو هدم بيت زبد وزيد يهدم بيت عمرو وخالد مزق ثوب بكر وبكر يمزق ثوب خالد . . .

أما اذا كان القتل اتفاقا وهو ما يسمونه بالقضاء والقدر أو كان بمحض الخطأ فان الدية لا بأس بها متى تسرت

ومن الترقى في الكون التمتع بحرية العدل واقامة قانون تدن اليه جميع الروس يكفل التساوي بين الناس في حقوقهم . ذلك القانون كان في قديم الزمان عبارة عن أحكام اصطلاحية تتفق عليها الامة سواء أكانت حكيمة أي مطابقة للناموس العام كالشرائع السماوية والاحكام الديمقراطية أم موافقة لاجواء البلاد واجسام سكانها كلاحكام العرفية التي تختلف كثيرا باختلاف الاجيال واستعداد الاجسام . يأتي في الامة جيل لا يردع الا بالسوط ، كما يأتي فيها عينها جيل يؤدبه الصوت . هنا توحيد قاعدة ينبغي ان نذكرها لمناسبة ذكر العدل الا وهي قولهم (التساوي

في الظلم عدل) كيف يكون التساوي في الظلم عدلا وكيف يصح ان يكون الظلم مصدرا للعدل والعدل مصدرا للظلم مثلا ؟ نعم قد يضطر الانسان احيانا الى استعمال الظلم معتقدا انه ظلم اذا لا بد منه ولكنه حينئذ لا يسمى ظلما وانما يسمى سياسة وهذه القاعدة واسعة الدائرة تشمل اقيام على حقوق الانسان والدخول في شخصيته متى كان لا يحسنها وذلك كالحجبر على السفهاء والقيام على اليتامى والوصايا على القاصرين ومصادرة السكاري والضرب على ايدي المقامرین ومنع الربا واحتسابه الى قدر معلوم وغير ذلك كما هو خاص بالاحوال الشخصية التي ربما يقال ان الاتفاق فيها يبررها نعم انه يوجد في قواعد التشريع أيضا قولهم لا مشاحة في الاصطلاح ولا حكم بعد الاتفاق . والمالك يتصرف في ملكه كيف يشاء وبنت على تلك القواعد احوال اهمها اباحة القتل للمبارزين كما في قانون نابليون الا ان مثل تلك الاتفاقات قد تضربا لمجموع الكلي اذ انه مركب من الافراد فساغ إذا للحكومة القائمة عليه المسئولة عنه ان تضرب على ما ينطبق اليه من الفساد ولو أدى ذلك الى مصادرة الافراد

بقي لنا في هذا المركز نقطة يجب أن تعرض لها لا لاوافيكم علما بها حاشا فانكم عالمون متمدون اعلم مني بها وانما أرجو ان تنشروها فيعرفها الجاهل الاوهي كلمة الحرية التي كثير من جهالتنا ينطقون بها ولا يفهمون معناها الحقيقي نعم كثير من الناس من يجهل معنى هذه الكلمة بل بعضهم يفهم منها عكسا مضطردا ويرى ان الحرية في إطلاقه يعني في الارض بسكر وعردة وتهتك وابتذال وان الرجل والمرأة في ذلك سواء . فتخرج متبرجة على ما يخالف جميع أجناس النساء الكاملات تحجب وجوها وتكشف زنديها وتستتر رأسها وتكشف عن ساقها واذا كست زنديها بالقفازين (الجوتني) اظهرت جبينها . وبعض الرجال معايب ربما ساوت هذه المعايب المتقدمة مما يدل على الانسان المصري في هذه البلاد معكوس الحال ولو امكنه أن يعيش برأسه لا قلب يعيش عليه حبا في العكس المضطردا ! ماهذه الحرية أيها السادة ؟ — ان الحرية كما لا يخفى عليكم عبارة عن التساوي الممكن بين أفراد الناس وهو المبدأ الذي يجب المحافظة عليه ومحبة الحرية أول من يحترم حقوق الغير محافظة

على حقوقه هو ايضا هو أول من يقول بالأداب وربية النفس لتمثل الناس باحسن العادات ومكارم الاخلاق فتتمتع بمواهبها وتطلق عنان فكرها في ميادين حريتها بما لا يخرج عما وضعه قانون عمرائها وأقره عقلاء امتها

الانسان - ايها السادة - مطلق مقيد وليس هذا بمعجيب بل هذا من لوازمه وليس ذلك حاطا من كرامته ولو لا ذلك لاشبه الحيوان لانه لو كان مطلقا فقط لاشبه سوام الماشية وهمل الحيوان كالكلاب والقطط ولو كان مقيدا فقط لاشبه اذلاء الحيوان كالحمار والبغل والجل فجأة اطلاقه هي جهة حريته يتصرف فيها كيف يشاء لايسأل عما ملك ولا عما وهب بشرط أن لا يخرج ذلك عما قدمناه . وجهة تقييده هي جهة قيامه بواجباته كادائه لآله ووايه وزوجه وبنيه وفصيلته التي تؤويه وملازمته عادات قومه الضرورية التي قد يختل النظام بتركها كترك لفته باستعمال غيرها واحتقاره مصنوعات بلاده وغير ذلك مما نراه سببا في انحطاط كثير من الامم وادائه أيضا لجامعته ووطنه حتى يعمل هو ايضا لغيره كما قدمناه في قسيمه الحيوان والنبات

ايها السادة - اني اذ كر لكم نتيجة استنتاجها مما كتبه العلامة ابن خلدون في هذا المقام تحت عنوان (المقدمة الثانية في قسط العمران من الارض وان الربع الشمالي منها اكثر عمرانا من الربع الجنوبي وذ كر السبب في ذلك) افاض الحديث هذا العالم الجليل وبعد ان عرف الارض وخطوطها وذ كر منها خطوط الطول والعرض ومدار الكواكب واختلاف مسقط اشعة الشمس باعتبار الزوايا الثلاث برهن على أن الجزء الشمالي منها كثير العمران وذلك بسبب توفر الرطوبة فيه حيث قال

« وافراط الحر يفعل في الهواء تجفيفا ويسا يمنح من التكوين لانه اذا أفرط الحر جفت المياه والرطوبة وفسد التكوين في المعدن والحيوان والنبات إذ التكوين لا يكون الا بالرطوبة » ولا بأس هنا بذ كر جملة فلكية عن هذا الاستاذ اتماما للموضوع قل « اذا مال رأس السرطان عن سمت الروثوس في عرض خمسة وعشرين فما بعده - اي بعد هذا العدد - نزلت الشمس عن المسامطة فيصير الحر الى الاعتدال

او يميل عنه قليلا فيكون التكوين ويزيد على التدرج الى ان يفرط البرد في شدته لقلة الضوء، وكون الاشعة منفرجة الزوايا فينقص التكوين ويفسد الا ان فساد التكوين من جهة شدة الحر اعظم منه من جهة شدة البرد لان الحر أسرع تأثيرا في التجفيف من تأثير البرد في الجمد فلذلك كان العمران في الاقليم الاول والثاني قليلا وفي الثالث والرابع والخامس متوسطا لا اعتدال الحر بنقصان الضوء وفي السادس والسابع كثيرا بنقصان الحر وان كيفية البرد لا تؤثر عن أولها في فساد التكوين كما يفعل الحر اذ لا تجفيف فيها الا عند الافراط بما يعرض لها حينئذ من اليبس كما بعد السابع فلذا كان العمران في الربع الشمالي اكثر وأوفر والله أعلم ٤٤٦

هذا الربع هو عبارة عن قارة أوربا وهي حقيقة أعظم القارات عمرا وتيجني من موضوع هذا العمران الكبير هي ان الحضارة والعمران الغربي انما هو نتيجة طبيعة القارة لا أن للاوربيين عقولا استثنائية تتفاوت عن غيرها كما يفهم بعض المفتونين بالغرب . واذا كنا نحن أيها السادة لا نجد من طبيعة جونا معينا كهؤلاء افلا يجمل بنا ان نعاض ذلك من أنفسنا قوة وشجاعة حتى نتساوى مع اولئك الاوربيين ولعل ذلك سر ذكاء اهل البلاد الحارة فان الله الحكيم العليم يبعث بالمعونة على قدر الموثونة فاعطانا ما أقتضيه منا من خاصة ارضنا ذكاء وجلدا جبدا لو قدرناه واستعملناه

ومن أسباب الترفي في الكون المطاوعة لمقاديره والتصرف في حوادثه وذلك ما يعبر عنه بالجلود قال افلاطون: لا تكثر هوا اولادكم على اخلاقكم فانهم خلفوا لزمان غير زمانكم، وهذا أمر ضروري ان لم يكن طوعا فليكن كرها ولشريعنا فيه نظر حكمة ورشاد قال الله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) يعني اذا نسخ الله حكما أتى لنا باحسن منه أو بمثله في زمان أو حال يناسبه حيث كان لا تناسبه حاله الاولى وليس ذلك بكبير على الله لانه ليس الغرض منه ان الله تعالى يجهل موافقة الاحكام لاوقاتها حاشا فهذا شيء مستحيل عقلا انما الغرض من ذلك وضع مبدل للكلفين يتصرفون فيه بحسب ضروراتهم والنسخ بالبداهة لا يتأتى الا في المعاملات المبنية على الاوامر والنواهي وليس بمعقول ان ينسخ توحيد بغيره ولا ان تبدل صلاة بصلاة بل قد يتبدل الحكم بغيره للتخفيف أو التشديد كنسخ

الوصية للاقارب بالميراث وعدة الوفاة من الحول الى اربعة أشهر وعشر ذلك كما قال العلامة الخطيب الشربيني لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كأسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره . اهـ وكان لسيدنا عمر رضي الله عنه في ذلك أحكام خاصة منها ايقاع الطلاق ثلاثا دفعة واحدة واقامة صلاة التراويح في عشاء رمضان واحكام استثنائية كثيرة في معاملة أهل الذمة لانخرج عن كونها سياسية اكثر منها شرعية

ومن الترقى في الكون ايجاد قوة الجماعة كاشتراك الافراد في الاعمال واهمها عقد الشركات ومن يكن في ريب من ذلك فليسأل عنها الجالية الاوربية النازلة بنا حيث انا لم نوفق لها حتى الآن نسأل الله حسن التوفيق

هذا- أيها السادة- ما حضرني من اسباب الترقى الضرورية . وهناك اسباب كالية لانخرج عن تحسين ذلك النظام البديع منها الجمعيات والمنتديات والمنتزهات وهي وان كانت كالية الا انها لا بد منها لكل أمة بغية الوصول الى الكمال والله الهادي الى سواء السبيل

أثار على العربية

﴿ أسماء عربية لمسميات افرنجية ﴾

عني اعضاء نادي دارالعلوم بمصر بالتنقيب عن أسماء عربية لبعض المسميات الافرنجية وما لم يجدوا له اسما عربيا وضعوا له اسما جديدا او عربوه والاشتقاق والتعريب ليسا جديدين في اللغة بل هما جائران وواجب ان يصار اليهما عند الحاجة . ونحن ننقل للقراء ما وقع عليه الاختيار في الاجتماع الاول لآعضاء النادي وستثبت كل ما يختارونه عني ان كثيرا من هذه الكلمات قد استعملت من قبل واقر الاعضاء على استعمالها اقراروا وهذه هي الكلمات:

(استمارة) يرى اعضاء النادي استعمال (استمارة) وقد وجدت هذه الكلمة في الكتب القديمة بلفظ استمارة بالتسهيل وحذف التاء ولكنهم رأوا إثبات التاء

لا التزامها في الاستعمال الحاضر وعدم المانع منه والكلمة مرة من استأمر اي أخذ امره (انفياترو) ترجمت بلفظة (مدرّج) منذ زمان وقد كاد اختيار الاعضاء

يجمع عليها

(بلوك نوت) تعريبها (اضامة) ومعناها الاوراق منضمة

(بويه) نظرت اللجنة فيما يستعمل للتولين فوجدته على نوعين : نوع يتغلغل

اجزاء الاجسام فاختارت له كلمة (صبغ) كصبغ الثياب والورق وما اشبه . ونوع

يعلو السطوح فاختارت له كلمة (طلاء) كطلاء المباني والاواني وغير ذلك

(تخته بوش) وهو ما يسميه الافرنج (veranda) وتعريبه (نجيرة) فقد جاء

في لسان العرب ان النجيرة سقيفة من خشب ليس فيها قصب ولا غيره

(ترايزه او طاولة) رأت اللجنة من هذا المسمى انواعا : فمنها ما هو للأكل

وهذا (خوان) ويسمى حين وضع الاكل عليه (مائدة) ومنها ما توضع عليه الاشياء

المختلفة وهذه (منضدة) مشتقة من النضد وهو جعل المتاع بمضه فوق بعض وبمخصصه

بعض اللغويين بجر المتاع وخياره . ومنها ما هو للكتابة خاصة وهذا يطلق عليه كلمة

(مكتب) المستعملة

(ترسينه) ان ما يخرج عن البناء منه ما هو مغطى وهذا يسمى (كُنَّة) ومنه

ما هو مكشوف وهذا (طَنْف) والكلمتان في العربية موضوعتان لما يخرج من الاجنحة

في الدار . على ان هناك لفظة توّدي المعني وهي (شرفة) وقد كثر استعمالها . وقد

ورد في الاغانى بهذا المعنى كلمة (مستشرف)

(جول) اختارت لها اللجنة لفظة (رمى) على ان كلمة (محجج) الشائعة في

سورية توّدي نفس المعنى

(خارطة) وصحيحها (خريطة)

(دوسيه) تعريبها (ملف)

(شماعة أو تعلية) وجدت اللجنة لما تعلق عليه الملابس نوعين : أولها ذو عمود

متوسط وشعبات بارزة فاختارت له كلمة (غدان) وهو في اللغة د قضيب تعلق

عليه الثياب ، والثاني يثبت في الحائط فاختارت له لفظة (شعجاب)

(طا بور) الكلمة عربية حُرِّفَتْ وصحِّحها (تا بور)
 (كارت فيزيت) سبق اختيار (بطاقة الزيارة) ولا مانع من الاستقضاء عن
 المضاف اليه فيقال (بطاقة) كما يقول الافرنج (كارت)
 وقد رأت اللجنة ايضا استبدال (سيناتوغراف) بكلمة (خيالة) * وهي كل
 ما تراءى لك من الصور (وفونوغراف) بـ (الحاكى) و (ميموغراف) (بمطبعة
 النضج) و (تيب ريتير) (بمطبعة الازرار) لانها اتخذت قاعدة عامة في تسمية المطابع
 وهي ان تستعمل كلمة مركبة من (مطبعة) مضافة الى ا كبر ميمز لتلك المطبعة .
 على ان كلمة (الآلة الكتابية) او (الكتابة) فقط أقرب من مطبعة لالزار

تقرير المطبوعات الجديدة

﴿ تقرير السر الدن غورست سنة ١٩٠٩ ﴾

اصدرت ادارة جريدة المقطم هذا التقرير منذ اكثر من شهر مترجماً بالعربية
 حسب عاداتها وقد اهدت الينا نسخة منه ضاق المثار الخامس عن الكتابة عنها . وهذا
 التقرير حافل بالتفصيلات عن ادارة القطر المصري وروح الاعمال فيه وقد سرنا
 من هذا التقرير الفصل المعقود عن حال المعارف في القطر المصري ونماء حركة التعليم
 ووفرة عدد الطلاب وكثرة الكتاتيب والعناية بتعليم العلوم باللغة العربية بالتدريج
 مما يدل على ان هذا القطر السعيد ستكون بحار العلم فيه زاخرة وثماره يانعة ان شاء
 الله تعالى

تقدم العلم في هذه البلاد نام سريعا ولا نريد بتقديم العلم توفيق قومنا للاختراعات
 المفيدة والاكتشافات الجديدة وانما نريد كثرة سواد طلاب العلم والراغبين فيه فاننا
 لسوء الحظ لا نزال بعداء عن الوصول الى هذه الغاية على اننا سائر في الطريق وعلى
 الله قصد السبيل . وانه ليحزننا ان تكون التربية في ارتكاس وانه كاس وتدل وانحطاط

* (المار : الصواب ان يقال : استبدال (خيالة) بكلمة (سيناتوغراف))

وليس العلم ببلوغ إياناً أملاً إذ لم تنرب تربية صحيحة تنرس في نفوسنا عشق الفضيلة وحب الخير لكل البشر وغير ذلك من الشيم التي تنطوي تحت هاتين الكلمتين الكبيرتين وانه ليؤلمنا ان تكون مدارس الحكومة والمدارس الالهية شرعاً في اهمال امر التربية وعدم العناية بشأنها اللهم إلا مدارس الاجانب التي تخلق تلاميذها باخلاق بخرجون بها من قوميتهم ويحتلهم فيكون الخسار بذلك عليهم وعلينا ولا حول ولا قوة الا بالله فتن قومنا بالسياسة فصرفهم اكاذيبها عن العمل النافع لهذه الامة التعسة وصدفت بهم عن الطريق المعبد والسبيل اللاحب ، فتاهوا في يدياء طامسة الصوى والانعام ، واوغلوا في تأويل الرؤى والاحلام ، وخدعوا الناس بزهو القول وزخرف الوعود دون الحث على القيام بالاعمال الجسام ، اللهم عونا وغفرا ! هل جنى من قبلنا من السياسة ما كانوا يطمحون اليه حتى تكون لنا اسوة حسنة بهم فننقد في السير على آثامهم ونقتفي سيرتهم فتكون متابعتنا لهم حذو القذة بالقذة ؟ ! اللهم لا !

فنهضة أيها القوم واوفضوا سراعاً وانسلوا من كل حذب الى مهيم العلم الصحيح والتربية الصالحة ولا يتم ذلك إلا بفشر التعليم الاهلي وان أهل الثراء وعاضدي العلم كثيرون بحمد الله في هذه البلاد ولا نرى انهم يرتضون لانفسهم ان يكونوا دون جمعية الفسالات في فرنسا التي انشأت مدارس كثيرة أو دون تلك الفتاة الامريكية التي أسست احدى عشرة مدرسة كلية !

ولعلنا ننشر الفصل الذي في التقرير عن المعارف في المنار السابع

﴿ مبادئ الفلسفة القديمة ﴾

مجموعة فيها كتاب (ما ينبغي ان يقدم قبل تعليم فلسفة ارسطو) وكتاب (عيون المسائل في المنطق ومبادئ الفلسفة) تأليف أبي نصر الفارابي الفيلسوف الاسلامي الشهير من أهل القرن الرابع عتيت بنشرها المكتبة السلفية لصاحبيها محب الدين افندي الخطيب وعبد الفتاح افندي القتلان . طبعت بمطبعة المؤيد بمصر سنة ١٣٢٨ وعدد صفحاتها ٣٥ ومنها قرشان ونصف قرش وتباع بمكتبة المنار وبالمكتبة السلفية بمصر

اهدت اليها المكتبة السلفية هذا الاثر القديم لا حد فلاسفة الاسلام الاعلام مصدرا بترجمة حفيظة للمؤلف فيها بيان أصله ونبته وطلبه للعالم وحكاياته مع معاصريه

من العلماء والامراء وذكر ملخص تاريخ الفلسفة في زمانه ومنحاه في الفلسفة و بيان مصنفاته وغير ذلك من الاشياء التي تعرف بالمؤلف تعريفا تاما وبما جاء فيها بعنوان « فلسفته » اي فلسفة المؤلف ما نصه :

« ولم يكن للفارابي فلسفة خاصة به ، أو مذهب فيها أثر عنه ، وغاية ما يمكننا التوصل به للوصول الى معرفة آرائه ومبادئه هو مصنفاته التي كان أكثرها في الرقاع والكراريس المبعثرة والفصول والتعليق كما ذكرنا

« ومن أهم ما صنفه كتابه في (إحصاء العلوم) والتعريف بأغراضها لم يسبق اليه ولا ذهب أحد مذهبه فيه . وقد قسم الفارابي العلوم في هذا الكتاب المختصر الى ستة اقسام : ١ — علوم اللغة ، ٢ — علم المنطق وفيه الخطابة والجدل ، ٣ — الرياضيات وتشمل الهندسة والحساب ومبحث النور وفن النجوم والموسيقى وجرت الاثقال والاحجام ويدخل في علم النجوم مباحث الفلك والتكهن والاحلام وعلم الجو والهواء ، ٤ — العلوم الطبيعية وهي عشرة ، ٥ — العلوم المدنية وتشمل القضاء والخطابة ، ٦ — علم الكلام وما وراء الطبيعة .

« وهذا التقسيم كثير اوجه الشبه بتقسيم العلوم الذي اصطلح عليه علماء اوربا في العصور الاخيرة ، والفارابي كما ترى يقدم المنطق والرياضيات واكثر العلوم الطبيعية المحضة فالعلوم الاجتماعية . ويلاحظ قراء كتب الفارابي أنه قد ألم بالتمييز بين الاصول والفروع وذلك ما اسس عليه كونت خطته في تقسيم العلوم ثم هذب هربرت سبنسر وقعه . »

قلنا هذه الفقرة ليطلع عليها اهل الجود الذين باتوا يحرمون ممارسة هذه العلوم والتوفر على دراستها عسى ان يتزحزحوا عن مواقف جمودهم فيخرجوا من مأزق مناقشتهم وتمحلاتهم النظرية الى فضاء العلوم الصحيحة الدينية العلمية والدنيوية العملية واذا كان يعز عليهم احتذاء الاوربيين فلهم أسوة حسنة بأسلافهم العاملين

والكتاب مفيد في بابه بل لا نظير له فهو كفهرس جامع لتعريفات الفلسفة القديمة وشرح وجيز لاصولها وله فهرس حاو لاسماء الاماكن والاعلام الواردة في الكتاب

وهذا من محسنات الكتاب ومنها جودة الطبع والترتيب فنحت الراغبين في تعرف
الفلسفة القديمة على اقتنائه



﴿ القطار السريع لعلم البديع ﴾

رسالة مختصرة في علم البديع ألفها حفي بك ناصف القاضي بالحاكم الاهلية
ومدرس علم الادب بالجامعة المصرية تحقيقا لرغبة بعض طلاب مدرسة الحقوق
وقد اختار المؤلف شرح بديعية تقي الدين لمكانتها من الشهرة ومنزلتها بين الادباء
ولأن في آياتها ذكر الأنواع البديعية . مثال ذلك قوله في مطلعها مشيراً الى حسن
الابتداء وبراعة الاستهلال :

لي في «ابتداء» مدحك يا عرب ذي سلم « براءة نستهل » الدمع كالدم
وقد اعجبنا هذا الكتاب أكثر من كل كتب البديع التي رأيناها فهو مختصر مفيد وان
لم يحفظ على الغيب ، فانه يوضع في الجيب ، كما قال مؤلفه ويمكن للطلاب أن
يضرب بسهم في علم البديع اذا قرأ هذا الكتاب فهو يغنيه عن الاستاذ

انا من كارهي علم البديع لا من محبيه ومع ذلك فاني أرى معرفته ضرورية
للمارسي العلوم العربية لأنه حلقة من سلسلتها فلا يحسن ان يبقى طالب هذه العلوم في
محارة من فقدان هذه الحلقة ويصبح كمتحلي مذهب دارون مضطرباً متلماً لحلقته
المفقودة ! على ان حفي بك قد اشرع السبيل للرغاب في علم البديع وادناهم من
هذه الحلقة ولكن من اين للداروينين بحفي بك آخر يدينهم من متآهم الواسع ؟
وقد نشر هذه الرسالة السيد حسين رافع وطبعها طبعاً متقناً وجعل ثمنها قرشاً
ونصف قرش وتطلب من المكتبات المشهورة



﴿ الاستمنا ﴾

ماذا يقول الملاحدة والكافرون بالله تقليداً في امراض الافراد والأمم

الادبية؟ وما رأيهم في علاجها ياترى؟ هل يستسهلون الزعم أن تبين اضرار هذه الامراض وسوء عاقبتها للبطلين بها يأخذ بشكائهم نفوسهم ويزجرهم عنها؟ إن كانوا يزعمون هذا — وهم زاعمون — فلا مشاحة في انهم مكابرون للحق مدابرون

لا ريب في ان الاستمنا من افكك تلك الامراض الادبية في عقول الشبان وجسومهم ولان انتهى عن ممارسته متبه بقبين ضرره في جسمه وعقله فقد يزدجر بازائه مته بمن تأدبوا بأداب الدين وتحققوا بأخلاقه فالدين وحده هو العلاج الشافي من هذه الامراض الويلة لا سيما وان الشبان يوتون من ناحية الوجدان لا من ناحية الاقتناع والبرهان وهم المبتلون بهذه العلة التي تتأصل في كثيرين منهم تأصلا ينتهي بموته أو جنونه! لذلك كان حقا على مؤلف هذا الكتاب «الاستمنا» الدكتور هـ فورنيه أو مترجمه بالعربية الدكتور مقصود أن يشير الى نهى الدين عن الاستمنا وإبعاد مزاوله بأشد العقوبات، والنصوص مستفيضة في الدين الاسلامي على تحريم الاستمنا وعده من الموبقات الكبائر ولا يصح الاعتذار عن ذلك بأن الكتاب في صحى فان الغرض منه الفائدة لا الدراسة

وفي الكتاب فوائد كثيرة ابلغها عظة ذكر مصير ممارسي الاستمنا وما مصيرهم الا الموت بالسل أو بعد الجنون المطبق وهم في زهرة الشباب ونضارة العمر . وقد اتقدنا في هذا الكتاب ذكر طرق الاستمنا الكثيرة التي يتعلم منها الشبان ما كانوا يجهلون . هذه غائلتها فما فائدتها ؟!

وهو يباع بعشرة قروش صحيحة في جميع المكتبات

القضاء والنواب

كراسة صغيرة تقع في ١٨ صفحة بحجم المنار لمؤلفها شكري افندي العسلي الدمشقي «قامقام» الناصرة الم فيها تأريخ القضاء في الاسلام وادواره واقسامه بعد بحث ودرس . قال : «وقد انشأت هذه المقالات بعد ان طالعت مقدمة ابن خلدون وحاشية ابن عابدين وتكملته والاشباه والنظائر والاحكام السلطانية وتاريخ الطبري

٤٦٤ معنى الحياة . النصيحة الاحسانية . الاتحاد الاسلامي (المنار ج ٦ م ١٣)

وتاريخ الكامل لابن الأثير ورحمة الأمة في اختلاف الأئمة والميزان للشعراني
ومراج الملوك وغيرها »

وهي مفيدة في بابها فنشكر للمؤلف صنعه ونحمده على هديته

معنى الحياة

كتاب لطيف الحجم والشكل يقع في ١٥٠ صفحة بالقلم الصغير تأليف اللورد
افبري من اعضاء مجلس الاعيان الانكليزي وقد عني بترجمته بتصرف وديع افندي
البستاني . اودعه مؤلفه نصائح لثابتة قومه ليكونوا باتباعها سعداء في الحياة الدنيا ومن
أكد تلك النصائح واجلها تربية قوة الارادة وصدق العزيمة والشجاعة والثبات وغير
ذلك من كرائم الاخلاق وفضائل الشيم التي يستفيد ذووها ويفيدون . وقد ارشد الى
قوائد مراعاة الاقتصاد واحتجان الاموال وكون هذين هما اساس مجد الامم . وقد
انكرنا على المترجم ترجمته لبعض الفصول بالشعر وتمينا لو كان احكم إنشاء واضح
عبارة . ويطلب من مكتبة المعارف بمصر ثمنه ثلاثة قروش صحيحة

النصيحة الاحسانية

قصيدة طويلة للسيد عبدالله بن علوي بن عبدالله العطاس بحث فيها على ممارسة
العلوم والاعمال العمرانية وجبذا هذا الصنع من الاستاذ النازم وعسى أن يكثر من
هذا النصائح نفلا وثرا

الاتحاد الاسلامي

جريدة انكليزية اصدورها في (طوكيو) عاصمة اليابان احمد افندي فضلي الضابط
بالجيش المصري قبل ا | ومحمد بركة الله افندي الروسي | وقد اخذا على عاتقهما تفهيم
اليابانيين حقائق الاسلام فتم العمل عملهما وجبذا الصنع صنعهما وقيمة اشترا كما
شلتان في العام او عشرة قروش صحيحة وهي قيمة تافهة لاتكاد تنفي بنفقات البريد
فنتح القراء على الاشتراك فيها ومساعدتها بما في الامكان

حسين وصفي رضا

باب الاخبار والآراء

﴿ جمعية العلم والارشاد ﴾

قد عرف القراء موضوع هذه الجمعية العلمية الخيرية التي رحلنا الى دار السلطنة لاجل السعي لتأسيسها فيها. وقد طال الامد على منتظري خبر تأسيسها حتى ينس اشدهم غيرة وحرصا وكتبوا الينا ينصحون لتاترك السعي لها في هذه العاصمة ولو ينسنا كما ينسوا لعدنا أدراجنا كما اقترحوا ولكن اليأس مرض صار واثيا في بلادنا ونحمد الله تعالى أن نجانا منه فلم يجد الى قلبنا سبيلا. نعم لاني كدت أياس من بعض من كنت أرجو مساعدتهم من الكبراء ولكن رجائي في الله وثقي بتوفيقه لم يزد في مظنة اليأس الا قوة ورسوخا بعد السعي الطويل مدة ثمانية أشهر وقع الاتفاق من اصحاب الشأن على تأسيس الجمعية لتكون هي التي تؤسس المدرسة العالية التي نوهنا بها من قبل ووقع الاختيار على ان يكون المؤسسون اثني عشر وهم :

(١) الشريف جعفر باشا حفيد الشريف عبد المطلب اعدام مكة المكرمة السابقين

(٢) مصطفى افندي مستشار المشيخة الاسلامية

(٣) مصطفى عاصم افندي الرئيس الثاني لمجلس المبعوثين وأحد علماء الآستانة

(٤) مومي كاظم افندي من العلماء واعضاء مجلس الاعيان

(٥) محمود أسعد افندي من العلماء وناظر الدقر الخاقاني

(٦) حسن فهمي افندي مبعوث سينوب وأحد علمائها

(٧) سني الدين افندي معاون مشاور الحقوق بنظارة الاوقاف

(٨) فؤاد بك احد أعضاء مجلس شوري الدولة ورئيس كتابه

(٩) اسماعيل حقي بك مدير قسم الآليات والادبيات في دار الفنون

ومدرس الاصول والكلام فيها

(١٠) احمد نعيم بك بابان احد اعضاء مجلس المعارف

(١١) تحسين بك احد اعضاء ديوان المحاسبات

(١٢) محمد رشيد رضا صاحب المنار

(المجلد الثالث عشر)

(٥٩)

(المنازع ٦ ج)

وقرر أن يكون شيخ الاسلام رئيس شرف لهذه الجمعية دائماً
هذا وقد دعي الاعضاء الى الاجتماع الرسمي الاول لانتخاب رئيس لهم في
٢٧ جمادى الاولى بدار الفنون . فأما فؤاد بك وتحسين بك فهما في أور بامع حاشية
ولي العهد واما الباقون فمنهم من حضر ومنهم من كان له مانع فكتب ورقة بانتخابه
أو وكل من ينتخب عنه . فالذين حضروا هم الشريف جعفر باشا ومستشار المشيخة
وموسى كاظم افندي واسماعيل حقي بك وأحمد نعيم بك وكاتب هذه السطور وقد
اتفقنا جميعاً على انتخاب الشريف جعفر باشا رئيساً لهذه الجمعية وعقدت الجلسة الاولى
برياسته فقرأ فيها النظام الرسمي الذي وضعه هذا العاجز فقرر ان ترسل نسخ منه
الى جميع الاعضاء ليدققوا النظر فيه وان استحسنه كل من قرأه منهم ، وأن يصدق عليه
بعد المذاكرة في الجلسة الثانية التي تمعديوم الاحد الآتي ثم يقدم الى نظارة الداخلية . وتقرر
أيضاً ان يجتمع الاعضاء في ضحوة كل يوم احد . فالحمد لله أولاً وآخراً إياه نسأل تام التوفيق
(تنبيه) ما ذكر في بعض جرائد العاصمة العربية من ان الجمعية قررت ان
تكون مدرسة دار العلم والارشاد مؤلفة من صنفين كل صنف ٢٠ طالباً لاصحة له فالجمعية
لم تقرر في امر المدرسة شيئاً

﴿ النظام الاسامي لجمعية العلم والارشاد ﴾

« بسم الله الرحمن الرحيم »

واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف
بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً * وكنتم على شفا حفرة من النار فأناقذكم منها ، كذلك
يبين لكم الآيات لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون *

﴿ الفصل الاول ﴾

(في تأسيس الجمعية ومقصدتها)

(المادة الاولى) تأسست في دار السعادة جمعية باسم « جمعية العلم والارشاد »

(المادة الثانية) مقصد هذه الجمعية الجمع بين التربية الاسلامية وتعليم العلوم

الدينية والدنيوية والتصنيف فيها . وتتوسل الى ذلك بانشاء مدرسة كلية في

دار السعادة باسم « دار العلم والارشاد » لتخرج العلماء والمرشدين

(المادة الثالثة) لا تشتمل الجمعية بسياسة الدولة العلية الداخلية ولا الخارجية ولا بسياسة غيرها من الدول ولكنها تراعي القانون الاساسي وتؤيده

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في أعضاء الجمعية ومجلس ادارتها)

(المادة الرابعة) للجمعية رئيسان رئيس شرف ورئيس عامل فرئيس الشرف هو صاحب المشيخة الاسلامية والرئيس العامل ينتخب من اعضاء مجلس ادارة المركز العمومي

(المادة الخامسة) اعضاء الجمعية ثلاثة اقسام: اعضاء عاملة واعضاء معاونة واعضاء شرف، فالعاملون هم الذين يقومون بأمور الجمعية بالفعل والمعاونون هم الذين يشتركون فيها ببلغ معين من المال يؤدونه في كل سنة أو كل شهر بالاطراد، واعضاء الشرف هم عظماء الامة الذين ينفعون الامة بما لهم أو مكانتهم من الفضل والكمال نفعا عظيما

(المادة السادسة) مركز الجمعية العمومي دار السعادة ويكون لها في الخارج شعب لكل شعبة منها مجلس ادارة

(المادة السابعة) أعضاء مجلس الادارة في المركز العمومي اثني عشر عضوا وهم المؤسسون للجمعية ماداموا فاذا استقال احدهم أو خلا موضعه بسبب ما فانتخاب بدله وبجازاة من يخل من الاعضاء بنظام الجمعية الاساسي كل منهما يكون بمقتضى مواد النظام الداخلي للجمعية

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في الهيئة العمومية)

(المادة الثامنة) تجتمع الهيئة العمومية للجمعية كل سنة مرة في وقت معين بدار السعادة، وتتألف هذه الهيئة من اعضاء مجلس الادارة من المركز العمومي ومن مندوبي الشعب الخارجية

(المادة التاسعة) الهيئة العمومية رقية على مجلس الادارة وهي تدقق النظر في ميزانية الجمعية وفي اعمال مجلس الادارة مدة السنة وتقرر ما تراه في ذلك وما تقرره يكون نافذا بالاكثرية المطلقة فيما عدا ما اشترط اكثرية ثلثي الآراء

﴿ الفصل الرابع ﴾

(في أموال الجمعية)

(المادة العاشرة) تتكون اموال الجمعية من الاشتراكات الموقوتة والاعانات

والتبرعات والوصايا والهدايا والاقاف الخيرية التي توقف عليها ومن ريع رأس مالها ومن أجور التعليم في المدارس التي ستنشئها ، والمبلغ الاحتياطي يحفظ وينفى بحسب مآراء الهيئة العمومية

(المادة الحادية عشرة) مجلس ادارة الجمعية ليس له ان يقرض من مال الجمعية ولا أن يقترض لها الا بقرار من الهيئة العمومية

(المادة الثانية عشرة) تنشر الجمعية في كل سنة كراسة في بيان ميزانيتها ودخلها وخرجها واسماء الباذلين ومقدار ما بذلوه لها ، ومن ينهى عن التصريح باسمه يذكر بـ « فاعل خير » (الخاتمة)

(المادة الثالثة عشرة) يجوز تعديل احكام هذا النظام عند الحاجة بقرار من هيئة العمومية بأكثرية ثلثي الآراء من اعضائها المرتبة

﴿ رأي محمد عبيد الله افندي في صاحب النار ومشروعه ﴾

نشره في العدد الرابع من جريدته الذي صدر في ١٤ صفر سنة ١٣٢٨ ، وهو :

﴿ المدرسة العربية ﴾

« مشروع الاستاذ الفاضل صاحب النار »

ان الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا صاحب النار الاغرا شهر من ان ثوبه فضله للقراء اذ قد عرفه واتفع بعلمه كل منور العقل من الامة الاسلامية ، وقد قدم الآستانة هذا الفاضل منذ اشهر لمقصد شريف ومشروع جليل يدل على مزيد اهتمامه باصلاح الامة الاسلامية وغيرته عليها . وذلك انه ينوي فتح مدرسة عربية في دار الخلافة يدرس فيها كل علم نافع ولا سيما العلوم العربية

وهو لم يزل مقيما في العاصمة يقابل رجال الحكومة من حين الى آخر ويقاوضهم في هذا المشروع طلبا للمعونة من الحكومة بما يلزم لمشروعه من المال . ونحن وان لم نعلم بالتفصيل ماهي العلوم التي تدرس في هذه المدرسة وكيف تكون طريقة التعليم فيها وكـم مدة التحصيل الا انا نعتقد اعتقادا جازما ان مدرسة عربية برأسها مثل الاستاذ ويقوم بتدبيرها وترتيبها لجديرة بأن تكون كثيرة المنفعة كبيرة الجدوى خصوصا والعلوم العربية اليوم في اشد الحاجة الى مجدد كهذا العربي الصريح يسمى

في نشرها واصلاح طريقة التعليم فيها فقد أصبحت يضرب بصعوبة تعاملها المثل عند الناس . وعليه فنحن ننادي اولي الامر من رجال الحكومة بأندى صوتنا ان يلتفتوا الى مشروعه بكل اهتمام ونسترعيم السمع الى ماينزع اليه من الامر النافع وليس ذلك يبعد من الحكومة التي هي اليوم تضرب على نغم الاصلاح في كل أمر من أمور الامة

﴿ المتدى الادبي ﴾

أسس بعض النجباء من طلبة العرب في المدارس (المكاتب) العالية في الآستانة ناديا سموه « المتدى الادبي » وساعدهم على ذلك كثيرون من أهل الفضل والسعة اعانة لهم على ما قصدوا من أمر التربية والتعليم كانوا قبل ذلك متفرقين قلما يعرف أحد منهم أحدا أو يستفيد من علمه وادبه او تجربته الا ما يكون بين المتجاورين في مواضع الاقامة من التلاقي والاجتماع في الملاهي العامة التي تسمى في مدن البلاد العربية بالقهاوي ويسمى الملهى منها في الآستانة « قراءتخانه » أي بيت القراءة تسمية لها بخير ما يكون فيها وهو قراءة الجرائد فقط ولا يحسبن القارئ انها كصحرات المطالعة او غرف المطالعة المعهودة في بعض البلاد التي يوجد فيها كتب كثيرة تقصد لاجلها لا لاجل اللهو بلفو الحديث او اللعب بالترد وشرب المنبهات قام اعضاء ادارة النادي بشؤونه قياما يحمدون عليه فأحسنوا الادارة ونشطوا في تحصيل مبالغ الاشتراك ، وضبطوا الدخل والخرج ، واقتصدوا في النفقة بقدر الاستطاعة ، حتى كان عملهم - وهم مبتدئون فيه - موضع الاعجاب ، ولكن رأى بعض اخوانهم من اعضاء النادي انه كان في الامكان أن يحسنوا ويقتصدوا اكثر مما فعلوا ، واستحسن هؤلاء ان يستبدل بهم غيرهم ليجربوا كما جربوا ، ورأى الآخرون ان هذا مخالف للقانون فيجب ان يتنوا مدتهم التي عينها قانون المتدى ، فقال المعارضون نعدل مادة القانون ونعيد الانتخاب ، فاجتمعت الجمعية العمومية للمتدى وبعد المناقشة واخذ الآراء تقرر برأي الاكثرين ان يبقى القانون على ما هو عليه وان لا يعاد الا انتخاب من نص فيه على انتخاب بدل عنهم او اعادة انتخابهم وكان صاحب هذه المجلة وكاتب هذه السطور حاضرا تلك الجلسة وكذلك

حضرها صديقنا عبد الحميد افندي الزهراوي فنشهد ان الخلاف بين الاعضاء فيما ذكر لم يكن بدعا من الخلاف في الاندية والجمعيات او مجالس النواب ولا كان مزلزلا لرجائنا في تابتنا الجديدة في مدارس دار السلطنة نوّدي هذه الشهادة وقد سئلهاها لأن بعض الجرائد العربية نشرت مقالة بامضاء (سائح متلف) أسرف بها في انتقاد المتدّى الادبي اسرافا لم نشك عند قراءتها في تعمده للتحامل لفرض ليس لنا ان نفتت عليه فيه ، ولا نرى قائدة في بيان مانرى من قوادمه وخوافيه ، وقد تكون له نية حسنة ، استجاز أن يتوسل اليها بتلك الوسيلة السيئة ، ومن كان حسن النية لا يصير على خطاه وهو يعلم ، ولا يدافع عن نفسه اذا ظهر له الحق وتبين ، وقد اساء بعض اعضاء المتدّى الظن ببعض اخوانهم الذين برحى خيرهم ، ولا يخشى أن تضر مثل تلك البادرة إن صح عزوها اليهم ، فأنصح لم جميعا ان يغفروا المغفوات ، ويجذب كل منهم أخاه اليه بخير ما يراه من جواذب الفضيلة فيه ، فالكيس من استكثر من الاصدقاء ، والاحق من استكثر من الاعداء ،

﴿ خليل حمدي حماده باشا ﴾

فجعت المملكة العثمانية في هذا الشهر بوفاة هذا الرجل المصلح الاداري القدير ، والسيامي المحكم الخير ، نابغة البلاد السورية والمصرية ، والحجة الناهضة على علو استعداد الامة العربية ، شهد بفضل الانكليز وغيرهم من الافرنج بمصر ، واذغنت له قلوب جميع العثمانيين في الآستانة ، فان كتم الشهادة له الحاسدون والمتعصبون منهم ، فقد نطق بها المنصفون والمستقلون فيهم ، وناهيك بشهادة مولانا السلطان محمد الخامس الذي كان يلقبه بالفيور ، (غير تلي) والصدر الاعظم حسين حلمي باشا الذي قال عنه انه جاء يعلمنا كيف تدار الامور ، ثم بشهادة صاحب جريدة «ديكي غزته» وهي اقرب جرائد العاصمة الى الاستقلال ، وجريدة «صباح» الواقعة عند قطة الاعتدال ، ليس اكبر فضل القيد في رأيي أنه مانيط به عمل الا واقته ، وانه كان آية في حسن ادارة الجارك المصرية ، وكان يأتي بالمعجزات في إصلاح نظارة الاوقاف العثمانية ، بل اكبر فضله انه كان علي حسن قيامه باعباء الحكومة ، موجها فضل

عنايته وحمته الى اصلاح شأن الامة . وكان من عمله في ذلك بالقطر المصري جمعية
الحالين في الاسكندرية وتربية اولادهم وتعليمهم ، وجمعية مكارم الاخلاق ، والملاجئ
العباسية ، وما خدم به جمعية العروة الوثقى ، ولم يدع الى خدمة عامة الا وكان له فيها
الرأي الصحيح ، والباع الطويل ، فهذه هي المنقبة التي تحياها الامة وتتفاضل عظماء الرجال
كان رحمه الله اشد من رأيت اهتماما بالمشروع الاصلاحى الذي سعت له
سعيه هنا ، قدره قدره ، وادرك فكره البعيد ما فيه اصلاح الامة وخير الدولة ،
وكان وهو ناظر الاوقاف يعدني بأن يرتقي في مساعدته من مال الاوقاف الى عشرين
ألف ليرة في السنة ، وكان بعد الخروج من نظارة الاوقاف اشد اهتماما بنجاح
المشروع وارجى الناس في مساعدته لانه اعلى من نعرف الآن همة في السعي والعمل
للمصلحة العامة ، فهو في هذه الفضيلة من طبقة الاستاذ الامام وحسن باشا عاصم
رحمهم الله تعالى وعزى هذه الامة المبتلاة بقحط الرجال عنه وعنهما بايجاد من يخلفهم
في ذلك ، ونخص بالتعزية كبير بيت حماده الحاج محي الدين افندي وسائر الاسرة
الكريمة ، ونسأل الله تعالى أن يحمي ذكره فيدنا بذريته المباركة ، كما هو حي بآثاره الحميدة

(الاغلاط التي وقعت في الجزء ٣ وال ٤ وال ٥ وال ٦ من هذا المجلد وصوابها)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٥١	١٧	ماطلعت عليها	مماطلعت عليه
٢٥٢	٢١	وهو	وهي
٢٥٥	١٠	راوية	روايته
٢٥٧	١٣	فريقا من	فريقا منكم من
٢٥٨	٥	الاقدار	الاكدار
٢٠	٢٠	ومن	وعن
(اغلاط ج ٥ م ١٣)			
٣٢١	٨	وقيل	قيل
٣٢٢	٨	والاسفراييني	والاسفرايني
١٥	١٥	المؤمنات المؤمنات	المؤمنات النافلات
١٥	١٥	ومنها أيضا	وفيه أيضا
(وفي رواية لهما الكبار)			
(الاشارة بالله والسحر)			
(وعقوق الوالدين وقتل النفس) وفي لفظ عند			
٣٢٢	١٨	وفي لفظ عند	
(اغلاط التفسير في ج ٤ م ١٣)			
٢٤٣	١٠	حجر	حجر
١٨٠	١٨٠	وعفى	وعفا
٢٤٥	٧	يخلص	يخلص
٢٤٦	١٠ و ١٢	المطاهرة	المصاهرة
٢٤	٥	يسد	يسد
٤٩	١١	الحر	الحر

صفحة	سطر	خط	صواب	صفحة	سطر	خط	صواب
٣٢٣	٣	وهو من ذاته	وهو في ذاته	٤٠٢	٩	ومن قوله	ومن قوله
٣٢٥	٨	محترما ولا	محبة ما للدين ولا	١٦	١٦	فأعطوا هؤلاء	فأعطوا هؤلاء
١٣	١٣	وان	كان تعد صغيرة وان	٢٠	٢٠	تعالى رقيب	هو رقيب
١٥	١٥	ذنب	ذنب	٢١	٢١	وغيرها فلا	وغيرها لان شأنه الدائم
٣٢٦	٥	الكبائر بحسب	الكبائر انما تعد كبائر بحسب	٢١	٢١	وغيرها فلا	شهود كل شيء فلا
٦	٦	وحسب ضررها	ومقدار ضررها	٤٠٣	٣	المخاطبين	المحكى عنهم والمخاطبين
٢١	٢١	طاعة ازيد	طاعته ازيد	٤	٤	المخاطبون	المحكى عنهم والمخاطبون
٢٢	٢٢	معصية	معصيته	٤	٤	بامتثاله	وبامتثاله
٣٢٧	٣	المعزلة	المعتزلة اه	٤٠٤	٣	اسلم	اذا اسلم
٤	٤	قال لا لانه	قال لا لانه	٤٠٤	٩	ويوصي	ويوصي
٢٤	٢٤	لكن هذا	لان هذا				
٣٢٩	٦	واتبع	واتبع				
٧	٧	سماع	بسماع				
٢١	٢١	المعيشة اه	المعيشة اه				
٣٣٠	٦	يكفر من	يكفر - اي يستر				
٦	٦	دخول	او يزيل - من				
			انزاع				
			وازاله وحاميه ما				
			دون من احتقار				
			الملكية الجبري				
			على دخول ملك				
			غيره وان كان فعله				
			عليه ؟ لا				
١٣	١٣	عليه . بل	عليه ؟ لا				
١٤	١٤	هذا الحسنات	هذا الذنوب الحسنات				
١٦	١٦	دراني	دراني				
٣٣١	١١	٣٣	٣١				
١٧	١٧	وعده	والذي يلزمه عدم				
٣٣٩	٣	الحكومة	حكومة الدولة				
٣٤١	١٠	ابدا	قط				
٣٥٦	٧	او العرب	وسائر العرب				
			(تنبيه) البيت الذي في آخر صفحة ٣٧١				
			واوله واديب قوم الخ محله في اول صفحة				
			٣٧٣ قبل البيت الذي اوله بل هو الخ				
٣٨٥	٢	اتمت لكم	اكملت لكم				
٣٨٦	١٣	بلغة	بلغات				
٣٨٧	٢٢	رحمه	قال رحمه				
٤٠١	٣	موالي	موالي				

صفحة	سطر	خط	صواب
٤٠٢	٩	ومن قوله	ومن قوله
١٦	١٦	فأعطوا هؤلاء	فأعطوا هؤلاء
٢٠	٢٠	تعالى رقيب	هو رقيب
٢١	٢١	وغيرها فلا	وغيرها لان شأنه الدائم
٤٠٣	٣	المخاطبين	المحكى عنهم والمخاطبين
٤	٤	المخاطبون	المحكى عنهم والمخاطبون
٤	٤	بامتثاله	وبامتثاله
٤٠٤	٣	اسلم	اذا اسلم
٤٠٤	٩	ويوصي	ويوصي
			وهذه الجملة تلتحق بالسطر التاسع صفحة
			٤٠٤ وهي : وظاهر ان الذي نسخ هذا
			الارث هو قوله تعالى (٣٣ : ٢٧) وأولوا
			الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من
			المؤمنين والمهاجرين الا ان تنقلوا الى
			اوليائكم معروفاً وهو في سورة الاحزاب
			اما الموالي في الآية التي تفسرها فهم الوارثون
			كما في قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه
			السلام (١٩ : ٤) واني خفت الموالي من
			رؤسائي : وبهذا السطر العاشر واوله :
			هذا وان الاستاذ
٤٠٤	٢١	الرجال	الرجال
٤٠٥	٣	يريد	يريد
٤٠٥	٣	يوفق	يوفق
٤٠٥	٢٢	غوصا	غوصا
٤٠٦	٣	وباستهم	وباستهم
٤٠٦	٢١	ان	ان
٤٠٦	٢٣	وتثبت	وتثبت
٤٠٦	٢٥	بوظيفته	بوظيفته
٤٠٨	١	ويتبع	اقول ويتبع
٤	٦	شؤون	شؤون
٤	٦	الذي اشير	هو ما اشير

الفصل الثاني والعشرون (*)

(الايمان والآيات وخوارق العادات)

قال بعض الناس في تلك الأيام لا عجب اذا آمنتم « خديجة » ببعثها فان رابطة الزوجية تستدعي مثل ذلك ولكن ذا القدرة العظيمة قد أتى هؤلاء القائلين بما يعارض مزاعمهم اذ طفق بعض من سمع هذا النبأ يؤمن به ولم يبق المصدق به « خديجة » وحدها فاضطروا أن يخترعوا أسبابا أخرى للايمان به

حرب فكرية قامت أمام هذا النبأ الجديد عند شيوعه ، ارتجت له مكة وما حولها ، انقسمت الافكار ، تباينت الانظار ، وفي مثل هذه المواقف يعرف الراجحون بحسن الفطرة ، وقوة الفطنة اذ يكونون من السابقين في رؤية الدقائق ، والوصول الى الحقائق

قال نفر منهم :

« لقد عرفنا محمداً طول هذه السنين فما عرفنا الكذب صاحباً له ، ولا عرفناه صاحباً للخداع ، وقد قام اليوم يخبرنا بأمر وقع له ليس هو بدعا من الامور ، ولا هو بضارنا شيئاً . أتانا يخبرنا بأمر يشبه ما نسمعه عن أمر موسى نبي اسرائيل ولم يكن أمر موسى الا نافعاً لقومه . فلعل الله سبحانه يريد أن يهدي الينا نفعاً بواسطة هذا الرجل الصادق الأمين مناه . »
قالوا :

(*) تابع لما نشر في (ص ٣٩٣ م ١٣) من سيرة السيدة خديجة بقلم السيد عبد الحميد الزهراوي

« يقول صاحبنا ان روحا اتاه وأوحى اليه ما أوحى ، ولا شيء من هذا يبعيد عن العقل اذا تأدب العقل ووقف أمام بحر القدرة الازلية الابدية وقفة العارف أن هذا بحر لا حمله . ويقول انه أمر بتبليغ الناس هذا الوحي وما سيتلوه »
قالوا:

« ان هذه الدعوى عظيمة فان كان مادعاه حقا كان من العار العظيم والضرر الكبير أن نرد هدية ربنا عز وجل الذي اهدى الينا العقل من قبل وهو يعزز اليوم تلك الهدية بهدية أخرى ربما كانت من نوعها وربما كانت من نوع أعلى وهل يرد حامل العقل مثل هذه الهدية بمد أن يذيقه العقل طعم الرشد والمعرفة وبأتيه بروائح ما يهب الفاطر جل وعلا من صنوف المعارف . وان كان مادعاه غير حق فان حبله سيكون قصيرا لان لدينا عقولا ولا يضرنا حينئذ ظهور أمره »
وقال نفر:

« لماذا يدعي الصادق الامين هذه الدعوى ان لم تكن صحيحة ، هل فقد عقله ؟ كلا فانا لانزال نرى صحته واعتداله على أتمه . هل تغيرت أخلاقه ؟ كلا فان من الاخلاق ما يرسخ مع كثرة الاعوام وقل ان يبيض الصادق مائثا . كلا بل الامر جد ، والدعوى صدق ، وان لهذا الامر لناصر آمن قوة ساقته بمد أن عاش أربعين سنة - الى الاتيان بهذا الامر الغريب الصعب عليه ، وان الايمان بقدرة الله تعالى ليدعونا الى اجابة هذا الداعي من لدنه ، وان الاخلاص ليدفعنا الى اعلاء الكلمة التي تنزل الينا فضلا من ربنا ورحمة ، انا به مؤمنون ! »

كان في مقدمة هذا نفر أبو بكر ذلك الرجل الذي لم يعرف الى ذلك الوقت بعيب عند قومه وليت شعري لماذا تجول الظنون وتحوم في التمس الأسباب لإيمان أمثال هؤلاء الافاضل مع اتفاق العقلاء على أن الذي رسمنا صورته من تفكراتهم هو المطابق لحكمة المعتدلين القائل ان «خديجة» انما آمنت ببعلمها لانه بعلمها هو في سعة من ظنه هذا اذا شاء. ولكن بما مهدئاله من المثل بإيمان أبي بكر تنبى أن يكون اتفع بمعرفة أن طريقة إيمان «خديجة» كانت أعلى مما يظن ان الذي آمن به أبو بكر ثم مئاث ثم ألوف غيره لا يجوز للمعاقل المنصف ان يحرم زوجته العاقلة من شرف الطريقة التي آمن بها هؤلاء الافراد ثم الجماعات

ان ظنون الناس تكون على حسب أخلاقهم وطبائعهم وتصوراتهم فالذين يصرون على ادعاء أن السيدة «خديجة» لم تؤمن بهذا الروح الجديد الا لان صاحبه هو بعلمها هم إما جامدون في معرفة الاخلاق البشرية على شيء يستعبد المعامل بالله من تفاهته وهو القسم الرديء منها، وإمامهم يحبون على العناد، وإمامهم مستعظمون لتصديق الانسان بالامور العظيمة من غير أدلة وآيات نحن لانسوغ لانفسنا أن نعيب أحدا ممن كان حظهم قليلا من علم اخلاق الناس ولا ندعي أننا نستطيع بالكلمات القليلة التي نقولها الآن بمساعدة واذن من الصدق أن نودع في أفكارهم علما جديدا واسما ولكننا نستطيع أن نذكرهم بان أخلاق الافراد ليست على شاكلة واحدة بل منها ماهو في أسفل السفلى ومنها ماهو في أعلى العلى، ومن الناس من يغاب عليهم من الصدق والاخلاص ما يملك قلوبهم ويجعلها بعيدة عن التصنع

والرياء ، وعن الارتباب بالامور التي ليست غريبة عن محيط القدرة والحكمة والعناية الازليات اذا حدث بها المعروفون عندهم بالصدق والامانة ، ويجعلها قريبة من كل ما فيه تمجيد اسم الفاطر جل وعلا وتعظيم مظاهر امره وسره . وبعد هذه التذكرة نستطيع أن نقول لهم ان سيدتنا هذه كانت من أهل هذا الخلق الجليل كما تشهد سيرتها . ومتى تزحزح هؤلاء عن مركزهم في علم الاخلاق سهل عليهم أن يشتركو معنا في معرفة أنه ليس محكوما على «خديجة» بالحرمان من الايمان الصحيح المبني على أسباب صحيحة لا على كونه بعلمها

وأما المحبولون على العناد ، والنرور والاعجاب ، فلا تنعهم بسماع أقوالنا اذ ربما أتت ثقيلة عليهم ، ولا تنعب انفسنا بمخاطبتهم اذ قد تأتي علينا ثقيلة . فلهم دينهم فيما توقفهم فيه جباتهم ولي ديني فيما يمشي معه قلبي وبقيت لي كلمة مع الذي يستعظم تصديق الانسان بالامور العظيمة من غير أدلة وآيات كثيرة . إن هذا معذور في نظري والتفاهم بيني وبينه سهل لاني لا أطلب ان يترك ما بيده من النظريات بل أمشي معه في الحديث وهي في يده فنباغ معه غاية حسنة تصالح ان تكون ملتقى لنا معها تشعبت حولها آراء اخرى لكل واحد منا

أنا أقول معك يا صاحبي ان الذي يطالبه غيره بالتصديق له أن يطالب هو بالأدلة والآيات ، ولكن اذا سمعت بمصدق ولم تسع فرصة طلبه للدليل والآية فلا تحكم بأنه آمن من غير دليل وآية الا اذا كنت تعرفه من قريب وتعرف أن بضاعته كلها تقليد الآباء والمعلمين

أنت تعرف أن أبا بكر وامثاله ممن صدقوا محمدا (صلى الله عليه وسلم)

(المارج ٦ م ١٣) الاختلاف في الاستدلال - الخوارق لانغير سنن الكون ٤٧٧

لم يكن لهم آباء سبقوهم في تصديقه ، ولا معلمون حملوهم على تأييده ،
وتعرف انهم كان لهم حلوم راقية رائقة ، وألباب زكية فائقة ، فهل تظن
انهم صدقوه بغير آيات بينات ، وأدلة ساطعات ؟

المشارب في الاستدلال مختلفة وأخشى ان يكون مشربك فيه
كشرب الذين لا يعدون الآية الا الامر الخارق للعادة ولذا رأيت أن
لا أودع هذا المقام من غير أن أحادثك بالآيات والخوارق بعد ان
اسلفت طريقة « خديجة » على النحويين لتعلم كيف يمكن أن يكون ايمان
كل مؤمن بمحمد (عليه الصلاة والسلام)

اذا وقع شيء خارق للعادة لا يستطيع احد حينئذ ان ينكر انه آية عظيمة ولكن
ماهي العادة وهل يمكن أن تخرق (أي تخالف) وهل وقع شيء من هذا ؟
يعنون بالعادة عادة الاشياء وطبيعتها ويعبر بعضهم عنها بسنة الله تعالى
في الكوائن . والذين بحثوا في امكان خرق العادة لم يفرقوا بين شيء عوشي
بل جعلوا الكلام في هذا الموضوع على اطلاقه ومن هنا اشتد خلافهم .
والناهبون الى وقوع الخوارق لم يذكروا في الامثلة التي أوردوها من
صور هذه الخوارق الا شيئا يسيرا جدا لا يصلح ان يلتفت اليه خصومهم
فضلا عن أن تكون به قناعتهم

ان لله عز وجل سننا في كل موجود ، أو نقول ان لكل موجود
عادة وطبيعة ، والشمس مثلا من جملة الموجودات فهل يقول الذين يمتصون
بالخوارق يمكن أن تصير هذه الشمس برغوثا وتبقى هذه الارض على
حالتها وبظل الناس فيها ناسا يبصر بعضهم بعضا بغير نور ويحيون هذه
الحياة عنها متمتعين بمحذائق وفواكه ، ولحوم وشحوم ، ومياه جارية ، وأزهار

زاهية ، وصيف وشتاء وربيع وخريف ٠٠٠ الى آخره ٠٠٠ الى آخره ؟؟
 أنا لا أعرف ماذا يقولون ولكنني مع إيماني كما يسمونهم أو أكثر بمظلم
 قدرة الله تعالى يحدوني إذا قالوا في هذه المسألة « نعم » مفارقا لهم وقائلا
 إذا تغيرت سنة الله سبحانه في الشمس فصارت هي برغوثا تتغير سنته
 في أيضا فأصير أنا غير انسان وغير باحث عن الخوارق

الذي يفهم من هذا المثال أن بحث الخوارق المدون في كتب جميع
 الملل لا يقف أمام نفخة من روح الله الحكيم إذا اراد عز وجل اعلان
 الفيرة على حكمته وسفنه ، ويفهم أيضا أن الدين الذي هو من أكبر هدايا
 العناية الازلية لا يتوقف عليها اذ لو توقف عليها وكان لا بد في ظهور صدق
 المأمور بتبليغه من ظهور خارقة لما تيسر تصديق أحد لان كل واحد حينئذ
 يخترع فيقترح صورة من الخوارق لسنن الله ، وناظم الكون سبحانه لم يشأ
 الى الآن شره على ما يهواه المقترحون

الاقتراحات لاحد لها ولا عد ولا نظام ، هذا يقترح مثلا ان تصير
 الشمس برغوثا ، وآخر يقترح ان يصير المشتري عصفورا ، وآخر يقترح
 ان يكون المربخ (طوطورا) وآخر يقترح ان يصير القمر قريبا ، وآخر
 يقترح أن يكون عطارد عطارا ، وآخر يقترح ان تكون الزهرة زهرة
 لا تذبل أبدا ، وآخر يقترح أن ينضب البحر كله وتظل الانهار جارفة ،
 وآخر يقترح ان يصير البحر كله برآ او البر كله بحرا والناس كلهم سمكات
 مؤمنات مصليات صائمات ، وآخر يقترح أن يكون التراب كله ذهباً ،
 وتثبت عليه اشجار التفاح والليمون والاعناب والزيتون ، وآخر يقترح
 ان يصير الوقت كله ليلا وتجس الشمس في حجرة من حجرات الملوك ،

وآخر يقترح ان يصير الوقت كله نهارا ويذهب النوم الى الشجرات الدائمة اليقظة... الى آخره... الى آخره...

نعم ان مبدع منظومات الكون لم يشأ الى الآن ثرها ولا نستطيع ان نقول انه ينثرها على حسب الاقتراحات لتأييد الرسل فمامنى مباحثاتنا معشر البشر بانه هل يستطيع ذلك أم لا يستطيع بعدا، انا بعدم تحديد قدرته وبعد سماعنا وحيه يرشدنا بهذا الكلام العالي «فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا» بعد تقرير هذا اقول ان البشر لا يستطيعون ان يعرفوا كل سنن الله تعالى او كل عادات الاشياء وطبائنها بل لا يستطيعون ان يعرفوا جميع اسرار كائن من الكائنات وجميع طبائعه بالتمام، ثم هم لا يعرفون ايضا مقدار عنايته عز وجل بالانسان وانه مازال يده بصنوف الهدايات، وانه قد يشاء اعلان آية له لاظهار عنايته به في ربه شيئا مثلا على خلاف ما تعلمه من عادات بعض الاشياء التي لا يترتب على تخلف المعروف من عاداتها اثر المنظومات ومن امثلة ذلك ان النار شأنها الاحراق وقد تقتضي سنته تعالى لاعلاء معارف الانسان وهدايته ان يريه النار غير محرقة لسبب تتعلق القدرة باخفائه ان مثل هذا يقع ونعمده من جملة سنن الله تعالى لان من جملة سننه ابداع هذا الانسان واطلاعه على واسع القدرة، وبديع الصنعة، واحتجاب الحكمة، واختصاص العناية

ومن هذا التفصيل يتبين للقارئ انا مؤيدون الآيات لا منكرون لها. وقصارى ما نقول ان الدين لا يتوقف على الخوارق بقدر ما يقترح المقترحون، ويظن الظانون، ويخترع المخترعون، وانما يؤيده الله تعالى بآيات تشرح لها البصائر المستعدة، ولا نقول ان هذه الآيات فيها

تحويل لسنة الله تعالى أو عادة الاشياء وطبائنها اذ لا تبديل لسنة سببها
وانما فيها معونة ربانية نعرفها بآثارها

وربما كررنا التعبير بالخوارق الذي اصطلح عليه المدونون وان كانت
المناقشة على الالفاظ بغيضة الينا وبعيدة عن رأينا. ونحب التعبير بالآيات
(كما عبر القرآن الحكيم) وبالله ما اكثر الآيات على أن ما أتى به هذا
المختار هو فضل رباني وأمر روحاني

لقد أنبته الله نباتا حسنا، وشمله بالعناية منذ كان في الصبا ثم الشباب
وهو غير شائن ذلك الالهاب حتى دخل الكمولة وتاق الى التكمل وفي
هذه السن بدأه بتحييب العزلة وتفرغ الفكر من الصور الفواني ليشرق
فيه الجلال الذي لا يفنى ثم أعلن لروحه روحا من لدنه كما منح هذا من قبله
رجالا كثيرين من المصطفين كإبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف
وموسى وعيسى ومن الآيات ان هذا الوحي صالح مصالح لنا ولم نجاهد
طلب منا أن نعبد من دون الله وانما قال لنا انا عبد الله جئتكم بياغ من
عنده انه وحده له الحكم، وانه وحده اليه المرجع والمآب، ولو قال لنا
انا إلهكم لوجدنا مقترحين عليه ان يجمعنا خالدين، اذن لوجدناه عاجزا

الحمد لله لقد جاءنا هذا الرسول بآيات كثيرة لا نستطيع عدّها:
جاءنا بالعلوم وهو امي، وجمع كلمة الشعوب وهو وحيد، ورفع الله له
من الذكر ما لم يرفع لثله وجعل هديه باقيا، وصوته عاليا، وروح تأييده
ساريا، ولذا ليس اليوم بنامن تعجب حين نسمع ايمان أقرب الناس منه واهلهم
به بل نحن بنخديجة وابي بكر مقتدون، ولربنا على هذه العنايات والآيات
شاكرون، وبوحي الله لهذا المصطفى مؤمنون

فمن عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

بوتني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « مناراً » كنار الطريق

الجمعة سلخ رجب ١٣٢٨ - ١٥ أغسطس (آب) ١٢٨٦ م ١٩١٠ م

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس في الدروس التي كان يلقها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٤٠ : ٣٥) وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَشِيئًا فَخُورًا (٤١ : ٣٦) الَّذِينَ يَيَّخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (٤٢ : ٣٧) وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ

قَرِينًا (٤٣ : ٣٧) وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْفَقُوا
مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ، وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا

قال البقاعي في وجه اتصال الآية الاولى من هذه الآيات بما قبلها مانصه :
ولما كثرت في هذه السورة الوصايا من أولها إلى هنا نتيجة اتقوا (كذا) العدل والفضل
والترغيب في نواله ، والترهيب من نكاله ، إلى أن ختم ذلك بأرشاد الزوجين إلى
المعاملة بالحسنى وختم الآية بما هو في الذروة من حسن الختام من صفتي العلم والخبر
وكان ذلك في معنى ما ختم به الآية الآمرة بالتقوى من الوصف بالرقب ، اقتضى
ذلك تكرير التذكير بالتقوى التي افتتحت السورة بالامر بها فكان التقدير حتماً فاقوه
عطف عليه أو على نحو « واسألوا الله من فضله » أو على « اتقوا ربكم » الخلق المقصود
من الخلق المبشورين على تلك الصفة وهو العبادۃ الخالصة التي هي الاحسان في معاملة
خالق ، وأتبعها الاحسان في معاملة الخلائق ، فقال - « واعبدوا الله » الخ واقول انه
ابعد في العطف ، واحسن في الترتيب والوصف

الاستاذ الامام : كل ما تقدم من الاحكام كان خاصاً بنظام القراۃ والمصاهرة
وحال البيوت التي تتكون منها الامة ، ثم انه تعالى بعد بيان تلك الاحكام الخصوصية ،
أراد ان ينبهنا إلى بعض الحقوق العمومية ، وهي العناية بكل من يستحق العناية
وحسن المعاملة من الناس ، فبدأ ذلك بالامر بعبادته تعالى ، وعبادته ملاك حفظ
الاحكام والعمل بها وهي الخصوص له تعالى وتمكين هيئته وخشيته من النفس ،
والخشوع لسلطانه في السر والظهر ، فتمى كان الانسان على هذا فانه يقيم هذه الاحكام
وغيرها حتى تصلح جميع أعماله وان ذلك كانت النية عندنا تجعل الاعمال العادية عبادات
كأزراع بزرع ليقم أمر بيته ويعول من بهونه ويفيض من فضل كسبه على الفقراء
والمساكين ويساعد على الاعمال ذات المنافع العامة فعمله بهذه النية يجعل حرقه من
افضل العبادات فليست العبادۃ في قوله هنا ﴿ واعبدوا الله ﴾ خاصة بالتوحيد كما قال
المفسر (الجلال) بل هي عامة كما قلنا تشمل التوحيد وجميع ما يمهده من الاعمال

(ولا تشركوا به شيئاً) من الاشياء أو شيئاً من الاشراك (قال) اختلف تعبيرهم والمعنى واحد ، والاشراك بالله يستلزم الايمان به والنهي عنه يستلزم النهي عن التعطيل بالاولى . أقول يعني ان الشرك هو الخضوع لسلطة غيبية وراء الاسباب والسنن المعروفة في الخلق بان يرجى صاحبها ويخشى منه ما تعجز المخلوقات عن مثله ، وهذه السلطة لا تكون لغیره تعالى فلا يرجى غيره ولا يخشى سواء في أمر من الامور التي هي وراء الاسباب المقدورة للمخلوقين عادة لان هذا خاص به تعالى فمن اعتقد أن غيره يشركه فيه كان مؤمناً مشركاً (١٢ : ١٠٦ وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) وأما التعطيل فهو إنكار الالهية أثبتة أي إنكار تلك السلطة الغيبية التي هي مبدأ كل قوة وتصرف وفوق كل قوة وتصرف ، فإذا نهي تعالى ان يشرك به غيره فيما استأثر به من السلطة والقدرة والتصرف ولم يجعله من الهبات التي منحها خلقه وعرفت عن سنته فيهم فلا ن ينهى عن إنكار وجوده وجحد ألوهيته يكون أولى -

(قال) والاشراك قد ذكر في القرآن بعض ضروبه عند مشركي العرب وهو عبادة الاصنام باتخاذهم أولياء وشفعاء ووسطاء عند الله تعالى يقر بون المتوسل بهم اليه ويقضون الحاجات عنده كما هو المجهود من معنى الولاية والشفاعة عندهم والآيات في ذلك كثيرة (١٠ : ١٨) ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ، سبحانه وتعالى عما يشركون) - (٣ : ٣٩) والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون ، ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار)

وذكر ان أهل الكتاب دخل عليهم الشرك فالتصاري عبدوا المسيح عليه السلام وبعضهم عبد أمه السيدة مريم رضي الله عنها وقال الله في الفريقين (٣٧ : ٩) اتخذوا أجباهم ورجبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله الا هو ، سبحانه عما يشركون) وقد ورد في تفسيره بالحديث الصحيح المرفوع أنهم كانوا يضعون لهم أحكام الحلال والحرام فيتعونهم فيها وسبق ذكر ذلك في التفسير غير مرة (قال) فالشرك انواع وضروب أدناها ما يتبادر الى اذهان عامة المسلمين أنه العبادة لغیر الله كالركوع والسجود له ، وأشدّها وأقواها هو ما سماه

الله دعاء واستشفاعا وهو التوسل بهم الى الله وتوسيطهم بينهم وبينه تعالى فالقرآن ناطق بهذا وهو المشهور في كتب السير والتاريخ ، فهذا المعنى هو أشد انواع الشرك وأقوى مظاهره التي يتجلى فيها معناه أتم التجلي ، وهو الذي لا ينفع معه صلاة ولا صيام ولا عبادة أخرى

- ثم ذكر ان هذا الشرك قد فشا في المسلمين اليوم وأورد شواهد على ذلك عن المعتقدين الغالين في البدوي «شيخ العرب» والدسوقي وغيرهما لا تحتل التأويل ، وبين أن الذين يؤولون لا مثال هؤلاء إنما يتكلفون الاعتذار لهم لرحمتهم عن شرك جلي واضح الى شرك أقل منه جلاء ووضوحا ولكنه شرك ظاهر على كل حال وليس هو من الشرك الخفي الذي وردت الاحاديث بالاستعاذة منه الذي لا يكاد يسلم منه الا الصديقون ومنه ان يعمل المؤمن العمل الصالح من العبادة لله تعالى ويحب أن يمدح عليه أو يتلذذ بالمدح عليه (مثلا)

اقول ثم عجب الامر بالتوحيد والنهي عن الشرك بالوصية بالوالدين فقال ﴿ وبالوالدين إحسانا ﴾ أي وأحسنوا بالوالدين إحسانا تاما لا تقصروا في شيء منه يقال أحسن به وأحسن له وأحسن اليه ، وقبل اذا تعدى الاحسان بالباء يكون متضمنا لمعنى العطف . وعندي أن التعدية بالباء ابلغ لاشعارها بالصاق الاحسان بمن يوجه اليه من غير اشعار بالفرق بينه وبين المحسن ، والتعدية بالي تشعر بطرفين متباعدين يصل الاحسان من احدهما الى الآخر

والاحسان في المعاملة يعرفه كل أحد وهو يختلف باختلاف احوال الناس وطبقاتهم وإن العامي الجاهل ليدري كيف يحسن الى والديه ويرضيهما ما لا يدري العالم التحرير اذا اراد ان يحدد له ذلك ، قال بعضهم إن جماع الاحسان المأمور به ان يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ولا يخشن في الكلام معهما ، وان يسعى في تحصيل مطالبهما والاتفاق عليهما بقدر سعته ، وانت تعلم ان من فعل ذلك وهو لا يلقاها إلا عابسا مقطبا ، أو أدى النفقة التي يحتاجان اليها وهو يظهر الناقة واقلة فانه لا يعد محسنا بهما ، فالتعليم الحرفي لا يحدد الاحسان المطلوب من كل أحد بل العبرة فيها اجتهاد المرء وإخلاص قلبه في تحري ذلك بقدر طاقته وحسب فهمه

لا تكل الارشاد الا آهي التفصيلي في ذلك بقوله عز وجل (١٧ : ٢٣) وقضى ربك
 ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما
 فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ٢٤ واخفض لهما جناح الذل من
 الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ٢٥ ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا
 صالحين فانه كان للآوايين غفورا) فأنت ترى الرب العليم الحكيم الرحيم قد قفى
 هذه الوصية البليغة الدقيقة ببيان ان العبرة بما في نفس الولد من قصد البر والاحسان
 والاخلاص فيه وان اتقصير مع هذا مرجو الغفران ، وقد فصل بعض العلماء القول
 في ذلك كالغزالي في الاحياء وابن حجر في الزواجر .

قال الاستاذ الامام : الخطاب لعموم الافراد اي ليحسن كل اولديه وذلك
 انهما السبب الظاهر في وجود الولد ونموه بما بذلا من الجهد والطاقة في تربيته بكل
 رحمة واخلاص وقد بينت كتب الاحكام الظاهرة ما للوالدين من حقوق النفقة
 وبينت كتب الدين جميع الحقوق والمراد بكتب الدين كتب آدابه كالاخلاق للغزالي
 ويجمع هذه الحقوق كلها آيات سورة الاسراء - وذكرهما وتكلم عليهما قليلا -

وأقول ان ههنا مسألة مهمة قلما نجد أحدا من علمائنا بينها كما ينبغي وهو ان
 بعض الوالدين يتعذر إرضائهما بما يستطيعه اولادهما من الاحسان بل يكفون
 الاولاد ما لا طاقة لهم به وما أعجب حكمة الله في خالق هذا الانسان ، قلما تجد ذا سلطة
 لا يجوز ولا يظلم في سلطته حتى الوالدين على اولادهما ، وهما اللذان آتاها الفاطر من
 الرحمة الفطرية ما لم يؤت سواهما ، قد تظلم الام ولدها قليلا مغلوبه لبادرة الغضب
 او طاعة لما يعرض من اسباب الهوى ، كأن تزوج رجلا تحبه ، وهو يكره ولدها من
 غيره ، وكأن يقع التغاير بينها وبين امرأة ولدها وتراه شديد الحب لآرائه يشق
 عليه ان يفضيها لاجل مرضاتها هي ، ففي مثل هذه الحال قلما ترضي الام بالعدل ،
 وتعذر ولدها في خضوعه لسلطان الحب ، وإن هو لم يقصر فيما يجب لها من البر
 والاحسان ، بل تأخذها عزة الوالدية ، حتى تستل من صدرها حنان الامومة ،
 ويظفي في نفسها سلطان استعلائها على ولدها ، ولا يرضيها الا ان يهبط من جنة سعادة
 الزوجية لاجلها ، وربما تلمس له في مثل هذه الحال زوجا أخرى ينهر منها طبعه ،

وما حيلته وقد سلب منه قلبه ، كما انها تظلمه من اول الامر بمثل هذا الاختيار ،
 وظلم الآباء فيه أشد من ظلم الامهات ، ولا تجب طاعة الوالدين في مثل هذا ،
 وياويح الولد الذي يصاب بمثلها ، ولا سيما اذا كانا جاهلين ببلدين يتعذر إقناعهما ،
 ولعلك اذا دقت النظر في أخبار البشر لاتجد فيها اغرب من تحكم الوالدين
 في تزويج الاولاد بمن يكرهون ، أو لا كراههم على تطليق من يحبون ، ثبت في الهدي
 النبوي الشريف ان الثيب من النساء أحق بنفسها فليس لايها ولا لغيره من أوليائها
 ان يقدروا لها الا على من تختاره ورضاه لنفسها ، لانها لممارستها الرجال تعرف
 مصلحتها ، وان البكر على حياتها وغراتها ، وعدم اخبارها وعلم ما يعلم الاب الرحيم
 من مصلحتها ، يجب أن تستأذن في العقد عليها ، ويكتفى من إذنها بصباتها ، وظاهره
 انها اذا لم تظهر الرضى بل صرحت بعدمه لا يجوز العقد عليها ، ومن قال من الفقهاء
 إن الأب ولي مجبر كالشافعية اشترطوا في صحة تزويجه لبنته بدون إذنها أن يكون
 الزوج كفؤا لها وان يكون موسرا بالمهر حالا وان لا يكون بينها وبينه عداوة
 ظاهرة ولا خفية ، وان لا يكون بينها وبين الولي العاقد عداوة ظاهرة . فهذا قولهم
 في العذراء المخدرة ، وأما الرجل فهو أحق من أيه بتزويج نفسه إجماعا وليس لايه
 ولاية عليه في ذلك فكيف يتحكم الوالد في واده بما لا يحكم به الشرع ولا ترضى به
 الفطرة ، أليس هذا من ظلم الاستعلاء الذي يوهم الرجل ان ابنه كعبده ، يجب
 ان لا يكون له معه رأي ولا اختيار في أمره ، لا في حاضره ولا في مستقبله الذي
 يكون عليه بعده ، وان كان الوالد جاهلا بليدا ، والولد عالما رشيدا ، وعاقلا حكيما ،
 والويل كل الويل للولد اذا كان والده الجهول الظلوم غنيا ، وكان هو معوزا فقيرا ،
 فان والده يدل عليه حينئذ بسلطتين ، ويحارب به بسلاحين ، لايهولك أيها السعيد
 بالابوين الرحيمين ما أذكر من ظلم بعض الوالدين الجاهلين القساة فاني اعلم من
 امر الناس مالا تعلم ، اني لأعرف ما لا تعرف من أخبار الامهات اللواتي تحكمن
 في أمر زواج بناتهن او أبناتهن تحكما كان سبب المرض القتال ، والداء العضال ،
 فالمرت الزوام ، ثم ندمن ندامة الكسبي ولات ساعة مندم ، ولعلك تعلم ان تحكم
 الآباء في ذلك اشد واضر ، وادهى وأمر ، على انه أكثر

ومن ضرر ظلم الوالدين الجاهلين للولد العاقل الرشيد منعه من استعمال مواهبه في ترقية نفسه في العلوم والاعمال ، ولا سيما اذا توقف ذلك على السفر والترحال ، والامثلة والشواهد على هذا كثيرة جدا في كل زمان ومكان ، وأول ماخطر في بالي منها عند الكتابة الآن اثنان : شاب عاشق للعلم كان أبوه يمنعه منه ليستغل بالتجارة التي ينفر منها لتوجه استعداداه الى العلم ، ففر من بلده الى قطر آخر ثم الى قطر آخر ، يركب الاهوال ، ويصارع أنواء البحار ، ويمجم عود الذل والضر ، ويذوق طعوم الجوع والفقر ، ورجل دعي الى دار خير من داره ، وقرار اشرف من قراره . وورق أوسع من ورقه ، في عمل افضل من عمله ، وأمل في الكمال أعلى من سابق أمله ، ورجاء في ثواب الله اعظم من رجائه ، فاستشرفت له نفسه ، واطمأن به قلبه ، ولكن والدته منعه ان يحيب الدعوة ، ويقبل النعمة ، لاحبا فيه ، فانها لا تستطيع ان تماري في ان ذلك خير له ، ولكن حبا في نفسها ، واشارا للذتها وأنسها ، نعم ان العجوز ألفت بيتها ومن تعاشر في بلدها من الاهل والجيران ، فأثرت لذة البيئة الدنيا لنفسها ، على المنفعة العليا لولدها ، ولعله لو اختار الظعن لاختارت الاقامة ، وفضلت فراقه على صحبته ، وبعده على قربه ، ونبرتة بلقب العاق ، وادعت انها لم تعد حدود الرحمة والحنان ، ووافقتها الجمهور الجاهل على ذلك لبنائه الاحكام على المسلمات ، ومنها أن الاولاد هم الذين يؤثرون اهواءهم على بر والديهم ، وان الوالدين لا يختاران اولدهما الا ما فيه الخير له ، وأنهما يتركان كل حظوظهما ورغائيهما لاجله ، ولا ينكر أحد ان لهذا اصلا صحيحا ولكنه ليس من القضايا الكلية الدائمة ، أما الام فذلك شأنها مع الطفل الاماتاني به بواد القضب من لطمة خفيفة تسبق بها اليد من غير روية واختيار ، أودعوة ضعيفة تعد من فلتات اللسان ، ولسان حالها ينشد :

أدعو عليه وقلي يقول يارب لا لا

فاذا كبر وصار له رأي غير رأيها ، وهوى غير هواها - وذلك ما لا بد منه - تغير شأنها معه ، وهي اشد الناس حبا له ، فلا ترجح رأيها وهواها في كل مسائل الخلاف ، بل لا تمذره ايضا في كل ما يتبع فيه وجدانه ، ويرجح فيه استقلاله ، وأما الاب فهو على فضله وعنايته بأمر ولده أضعف من الام حبا ورحمة وإيثارا ، واشد استنكارا لاستقلال

ولده دونه واستكبارا ، حتى إنه ليقسو عليه ويؤذيه ويشمت به ويحرمه من ماله ويؤثر الاجانب عليه . واكثر ما يكون ذلك من الاب الغني مع ولده المحتاج اذا خالف هواه « إن الانسان لطيفي أن رآه استغنى » وإن طفيلانه يكون على حسب ما يرى لنفسه من السطة والفضل والاستعلاء حتى انه ليتحل لنفسه صفات الربوبية ، ويتسلى بفروره الى ادعاء اللوهمية ، وقد كنت أنكر على ابي الطيب قوله

والظلم من شيم النفوس فان نجد ذا عفة قلعة لا يظلم

وأعده من المبالغة الشعرية حتى كدت بعد اطالة التأمل في أحوال الوالدين مع الاولاد وتدبر ما أحفظ من الوقائع في ذلك أجزم بأن قوله هذا صحيح مطرد . فكم رأينا من غني قد انغمس في الترف والنعيم ، وأفاض من فضل ماله على المستحقين وغير المستحقين ، وله من الولد من يعيش في البؤس والضنك ، ولا يناله من والده لاج ولا حجاج من ذلك الرزق ، لانه لم يرض ان يكون منه كعبد الرق ،

إنما اطلت في هذا لأن الناس غافلون عنه فهم يظنون ان وصايا الدين حجة على ان للوالدين ان يعبثا باستقلال الولد ماشاء هواهما ، وانه ليس للولد أن يخالف رأي والديه ولا هواهما ، وان كان هو عالما وهما جاهلين بمصالحه وبمصلح الامة والملة ، وهذا الجهل الشائع مما يزيد الآباء والامهات إغراء بالاستبداد في سياستهم للاولاد فيحسبون ان مقام الوالدية يقتضي بذاته ان يكون رأي الولد وعقله وفهمه دون رأي والديه وعقلهما وفهمهما ، كما يحسب الملوك والامراء المستبدون انهم أعلى من جميع افراد ورعاياهم عقلا وفهما ورأيا او يحسب هؤلاء وأولئك انه يجب ترجيح رأيهم وان كان افينا ، على رأي اولادهم ورعاياهم وإن كان حكيما

اذا طال الامد على هذا الجهل الفاشي في أمتنا فان الامم التي تربي اولادها على الاستقلال الشخصي تستعبد من بقي من شعوبنا خارجا عن محيط سلطنتها قبل ان ينقضي هذا الجيل

يجب ان نفهم ان الاحسان بالوالدين الذي امرنا به في دين الفطرة هو ان نكون في غاية الادب مع الوالدين في القول والعمل بحسب العرف حتى يكونا مغبوطين بنا وان نكفيهما امر ما يحتاجان اليه من الامور المشروعة المعروفة بحسب

(المار ج ٧ م ١٣) بر الوالدين واستقلال الولد . دفع الخنساء أولادها للقتال ٤٨٩

استطاعتنا ، ولا يدخل في ذلك شيء من سلب حريتنا واستقلالنا في شؤوننا الشخصية والمتزلية ، ولا في اعمالنا لانفسنا ولملتنا ولدوتنا ، فاذا اراد احدهما او كلاهما الاستبداد في تصرفنا فليس من البر ولا من الاحسان شرعا ان نترك ما نرى فيه الخير العام او الخاص ، او نعمل ما نرى فيه الضرر العام او الخاص ، عملا برأيهما واتباعا لهواهما ، من سافر لطلب العلم الذي يرى أنه واجب عليه لتكامل نفسه او خدمة دينه او دولته ، أو سافر لاجل عمل نافع له او لامته ووالداه أو احدهما غير راض لانه لا يعرف قيمة ذلك العمل فانه لا يكون عاقا ولا مسيئا شرعا وعقلا ، هذا ما ينبغي ان يعرفه الوالدون والاولاد : البر والاحسان ، لا يقضيان سلب الحرية والاستقلال

أرأيت لو كانت أمهات سلفنا الاماجد كأمهاتنا أكانوا فتحوا الممالك ، وفعلوا هاتيك العظام ؟ كلا بل كانت الاسيفة الرقيقة القلب ممن كتماضر الخنساء رضي الله عنها تدفع بنينا الاربعة الى القتال في سبيل الله وترغبهم فيه بعبارات تشجع الجبان ، بل تحرك الجاد ، فقد روى ابن عبد البر عن الزبير بن بكار أنها شهدت حرب القادسية ومعها أربعة بنين لها فقالت لهم من أول الليل : يا بني أنكم أسلمتم طائفتين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله الا هو إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ماخنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين ، من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، واعلموا ان الدار الباقية ، خير من الدار الفانية ، يقول الله تعالى « يا أيها آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » فاذا أصبحتم ان شاء الله سالمين ، فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على اعدائه مستنصرين ، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، واضطربت لظى على سباقها ، وجلت نارها على ارواقها ، فيمموا وطيسها ، وجالدوا رئيسها ، عند احتدام خيسها ، تظفروا بالنغم والكرامة ، في دار الخلد والمقامة . فلما كان القتال في الغد كان يهجم كل واحد منهم ويقول شرعا يذكر فيه وصية العجوز ويقا تل حتي يقتل فلما بلغها خبر قتلهم كلهم قالت :

(المجلد الثالث عشر)

(٦٢)

(المار ج ٧)

الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو بي ان يجمعني بهم في مستقر رحمته . ولوشئت ان أروي لك مثل خبرها عن أم عبدالله بن الزبير وغيرها لفعلت ، أقترى هذه الامة تعتبر اليوم بسيرة سلفها وهي لم تعتبر بما بين يديها ، وأمام عينيها ، وما يتلى كل يوم عليها ، من احوال الامم التي كانت دونها في العلم والقوة ، والعزة والثروة ، فأصبحت منها في موقع النجم ، تشرف عليها من سماء العظمة بالامر والنهي ، ومنشأ ذلك كله الاستقلال الشخصي في الارادة والعقل ، فان الآباء والامهات متفقون فيها على تربية أولادهم على استقلال العقل والفهم في العلم ، واستقلال الارادة في العمل ، فقرة أعينهم ان يعمل أولادهم بارادة انفسهم واختيارهم ما يعتقدون أنه هو الخير لهم وقومهم ، وانما قرة أعين أكثر آبائنا وأمهاتنا أن ندرك بقولهم لا بقولنا ، ونحب ونبغض بقلوبهم لا بقلوبنا ، ونعمل أعمالنا بارادتهم لا بارادتنا ، ومعنى ذلك أن لا يكون لنا وجود مستقل في خاصة أنفسنا ، فهل تخرج هذه التربية الاستبدادية الجائرة ، أمة عزيزة عادلة ، مستقلة في أعمالها ، وفي سياستها وأحكامها ، ؟ ام البيوت هي التي تفرس فيها شجرة الاستبداد الخبيثة للملوك والامراء الظالمين ، فيعجزون عن رأتها الدانية فاعين آمنين ، ؟ فليكنم يا علماء الدين والادب ان تبينوا لامتكم في المدارس والمجالس ، حقوق الوالدين على الاولاد ، وحقوق الاولاد على الوالدين ، وحقوق الامة على الفريقين ، ولا تنسوا قاعدتي الحرية والاستقلال ، فهما الاساس الذي قام عليه بناء الاسلام ، (١) وان علماء الشعوب الشمالية التي سادت في هذا العصر علينا ، يعترفون بأنهم أخذوا هاتين الميزتين (استقلال الفكر والارادة) عنا ، وأقاموا بناء مدينتهم عليهما ، والله در القائل منا : لاعب ولدك سبعا ، وأدبه سبعا ، وصاحبه سبعا ، ثم اجعل حبله على غاربه . وسنعود الى هذه المسألة ان شاء الله تعالى

قال تعالى ﴿ وبذي القربى ﴾ أي وأحسنوا بمعاملة ذي القربى وهم أقرب الناس الى الانسان بعد الوالدين الذين يلونهما في الحقوق . وفي سورة البقرة (٢: ٨٢) واذا أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين إحسانا وبذي القربى الخ (١) بينا حكمه ظهور الاسلام المدني في العرب دون الشعوب القريبة العهد بالمدنية كالروم مثلا في مقالة (احادة مجد الاسلام) التي نشرناها في الجزء الرابع من المجلد الثالث من المنار

فأعيد الجار هنا ، ولم يعد هناك . قال بعض المفسرين النكتة في ذلك أن الوصية بذبي القربى مؤكدة في هذه الامة زيادة عن تأكيدها في بني اسرائيل لان إعادة الجار للتأكيد . وعندى انه يمكن ان تكون إعادة الجار لافادة التوزيع فان الاحسان بالوالدين غير الاحسان بالاقربين اذ يجب للوالدين من الرعاية والتكريم والخضوع ما لا يجب لغيرهما . ومتى ارتقت الشرائع بارتقاء الامة حسن فيها مثل هذا التعديد والتدقيق في الحدود والواجبات لاستعداد الامة له

الاستاذ الامام : اذا قام الانسان بحقوق الله تعالى فصحت عقيدته وصلحت أعماله ، وقام بحقوق الوالدين فصلح حالهما وحاله ، تتكون بذلك وحدة البيوت الصغيرة المركبة من الوالدين والاولاد ، وبصلاح هذا البيت الصغير يحدث له قوة فاذا عاون اهله البيوت الاخرى التي تنسب الى هذا البيت بالقرابة وعاقبته هي ايضا يكون لكل من البيوت المتعاونة قوة كبرى يمكنه أن يحسن بها الى المحتاجين الذين ليس لهم بيوت تكفيهم مؤنة الحاجة الى الناس الذين لا يجمعهم بهم النسب وهم الذين عطفهم على ذوي القربى بقوله ﴿ واليتامى والمساكين ﴾ فان الله تعالى يوصي باليتامى في مثل هذا المقام لان اليتيم يهمل امره بفقده الناصر القوي الفيور وهو الاب ، أو تكون تربيته ناقصة بالجهل الذي هو جناية على العقل ، أو فساد الاخلاق الذي هو جناية على النفس ، وهو بجهله وفساد اخلاقه يكون شرا على اولاد الناس يعاشرهم فيسري اليهم فسادهم ، وقلا تستطيع الام أن تربى الولد تربية كاملة مما اتسعت معارفها . وكذلك المساكين لا تنتظم الهيئة الاجتماعية الا بالعناية بهم وصلاح حالهم فان اهمل أمرهم الاغنياء كانوا بلاء وويلا على الناس . وقلا ينظر الناس في المسكنة الى غير العدم وصفر الكف والمهم معرفة سبب ذلك فان من الناس من يكون سبب عدمه وعوزة ضعفه وعجزه عن الكسب ، او نزول الجوائح السماوية تذهب بماله من غير تقصير منه ، وهذا هو المسكين الحقيقي الذي يجب مواساته بالمال الذي يقع موقعا من كفايته ، ومنهم العادم الذي ماعدم المال الا بالامراف والتبذير والخيالة والنفخنة الباطلة ، ومنهم العادم الذي ماعدم المال الا لكسله واماله للكسب طمعا فيما في أيدي الناس واتكالا عليهم ، أو يساوكه فيه مسلك

الفش والحيانة حتي يفضح سره ويظهر امره فيحبط عمله ، فلما كين على ضرين : مسكين معذور يساعد بالمال بنفقه أو يساعد على تحصيله بكسبه ان كان قادرا على ذلك ، ومسكين غير معذور يرشد الى تقصيره ، ولا يساعد على اسرافه وتبذيره ، بل يدل على طرق الكسب ، فان اتعظ وقبل النصيح ، والا ترك امره الى أولي الامر ، والله بصير بالعباد ، اه بتصرف وزيادة واختصار

ثم قال تعالى: ﴿ والجار ذي القربى والجار الجنب ﴾ الجوار ضرب من ضروب القرابة فهي قرب بالنسب ، وهو قرب بالمكان والسكن ، وقد يأنس الانسان بجاره القريب ، مالا يأنس بنفسيه البعيد ، ويحتاجان الى التعاون والتناصر مالا يحتاج الانبياء الذين تئدت ديارهم . فاذا لم يحسن كل منهما بالآخر لم يكن فيهما خير لسائر الناس ، وقد اختلف المفسرون في الجار ذي القربى والجار الجنب فقال بعضهم الاول هو القريب منك بالنسب والثاني هو الاجنبي لا قرابة بينك وبينه ، وقال بعضهم الاول هو الاقرب منك دارا ، والثاني من كان ابعد مزارا ، وقيل ان ذا القربى من كان قريبا منك ولو بالدين ، والاجنبي من لا يجمعك به دين ولا نسب . وفي حديث ضعيف السند عند أبي نعيم والبزار عن جابر بن عبدالله (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام ، وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام ، وجار له حق واحد حق الجوار » وثبت الامر بالاحسان في معاملة الجار غير المسلم في احاديث أخرى كاحاديث الوصايا المطلقة والوقائع المعينة كهيادته (ص) لولد جاره اليهودي في الصحيح ، وروى البخاري في الادب المفرد عن عبد الله بن عمر (رض) أنه ذبح له شاة فجعل يقول لغلامه : اهديت لجارنا اليهودي اهديت لجارنا اليهودي ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه » فهذا دليل على ان ابن عمر فهم من الوصايا المطلقة في الجار أنها تشمل المسلم وغير المسلم وناهيك بفهمه وعلمه ، ومن تلك الوصايا حديث أبي شريح الخزاعي في الصحيحين مرفوعا « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره » ورواه غيرهما عن غيره

قال الاستاذ الامام حدد بعضهم الجوار بأربعين داراً من كل جانب من الجوانب الاربعة والحكمة في الوصية بالجار، هي التي تعرفنا سر الوصية ومعنى الجوار، المراد بالجار من يجاوره ويتراعى وجهك ووجهه في غدوك أو رواحك الى دارك فيجب أن تعامل من ترى وتعاشر بالحسنى فتكون في راحة معهم ويكونون في راحة معك اه فهو يرى ان امر الجوار لا يحدد بالبيوت والتحديد بالدور مروي عن الحسن وحدده بعضهم بأربعين ذراعاً والصواب عدم التحديد والرجوع في ذلك الى العرف، والاقرب حقه أكد . واکرام الجار من اخلاق العرب قبل الاسلام وزاده الاسلام تأكيدها بالكتاب والسنة . ومن الاحسان بالجار الاهداء اليه ودعوته الى الطعام وقماحه بالزيارة والعيادة

قال تعالى ﴿ والصاحب بالجنب ﴾ روي عن ابن عباس (رض) فيه قولان: الرفيق في السفر، والمنقطع اليك يرجو نفعك ورفدك . وروى عبد بن حميد عن علي كرم الله وجهه انه المرأة، أي لانها هي التي قضت الفطرة ونظام المعيشة ان تكون بحجب بعلمها واذ كان الاصل في خطاب الشرع ان يكون للرجال والنساء جميعاً وان كان بضمير المذكر للتغليب جاز ان يقول ان المراد بالمرأة الزوج ورجلها مثلها فيجب على كل منهما الاحسان بالآخر، ويحتمل ان يكون الامام عبر بلفظ الزوج المراد به الجنس فظن الراوي انه يريد المرأة لانها أحوج الى احسان بعلمها منه الى احسانها فرواه بالمعنى، وقال الاستاذ الامام هو من صاحبه وعرفته ولو وقتاً قصيراً . وهذا القول أعم وأشمل من قول بعضهم انه الرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه بقيد «ولو وقتاً قصيراً» يشمل صاحب الحاجة الذي يمشي بجانبك يستشيرك أو يستعينك وما كان أكثر هؤلاء الاصحاب عنده رحمه الله تعالى كان لا يكدا يتراعى للناس في طريق الا وتراهم يوفضون اليه من كل نصب يمشون بجانبه مستشيرين أو مستعينين

قال تعالى ﴿ وابن السبيل ﴾ المشهور في تفسيره هنا المسافر والضيف وقتلنا في تفسير آية (١٧٥:٢) ليس البر) هو المنقطع في السفر لا يتصل بأهل ولا قرابة كأن

السبيل ابوه وأمه ورحمه وأهله ، وقال الاستاذ الامام هنا انه من تبناه السبيل في غير معصية . أي السائح الرحالة في غرض صحيح غير محرم ، والمتبادر انه من لا يعرف الا من الطريق أو في الطريق وانما ضيقوا في تفسيره في آية مصارف الصدقات لانهم لا يرون كل من عرف في الطريق مستحقا للزكاة واما الاحسان المطلق فالامر فيه أوسع وهو مطلوب دائما في كل شيء . ومع كل احد ، كل شيء . بقدره ، وفي الحديث الصحيح « ان الله كتب الاحسان في كل شيء . فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » الخ وهو في كتاب الصيد في صحيح مسلم فيما أذكر . وانما جاءت الآية فيمن يتأكد الاحسان بهم والضيف والمسافر منهم وان لم يكونا مستحقين للزكاة ، والامر بالاحسان بابن السبيل يتضمن الترغيب في السياحة والاعانة عليها وقد اهلها المسلمون في هذه العصور الا قليلا خيره أقل . وذكر في هامش تفسير هذه الكلمة من آية « ليس البر » في الجزء الثاني ان القيقط يوشك ان يدخل في معنى ابن السبيل . واختار بعض اذكاء المعاصرين في رسالة له ان هذا هو المعنى المراد ، واللفظ ينسج للقيقط ولا سيما في باب الاحسان ما لا ينسج لغيره ، وهو أولى وأجدر من التيم بما ذكرنا من الحكمة والفقه في الامر بالاحسان به ، وانما غفل جماهير المفسرين عن ذكره لندرة القطاء في زمن المتقدمين منهم ، ولاحظ للمتأخرين من التأليف الا النقل عنهم ، لانهم في الغالب قد حرموا على انفسهم الاستقلال في الفهم لتلا يكونوا من الاجتهاد الذي تواطوا على القول باقتال بابه ، وانقراض أربابه ، والرضي باستبدال الجمل به ، فان غير المستقل بفهم الشيء لا يسمى عالما به كما هو بديهي وعليه اجماع علماء السلف . وقد كثر من هذه الازمنة القطاء ولولا عناية الجمعيات الدينية من الاوربيين بجمعهم وتربيتهم وتعليمهم لكان شرهم في البلاد مستطيرا ، فله در هؤلاء الاوربيين ما اشد عنايتهم بدينهم ، ونفع الناس به بحسب اجتهادهم واستطاعتهم ، وبالله ما اشد غفلة المسلمين وجهل جماهيرهم بأنفسهم وبغيرهم فانهم يزعمون انهم اشد من الافرنج عناية بدينهم وغيره عليه وعملا به بل يزعمون أن الافرنج قد تركوا الدين ألبتة ، يستطيعون هذه النتيجة من بعض أحرارهم الغالين الذين يلقونهم فيسمعون منهم كلم الاجاد ، أو من السياسيين منهم الذين يزلزلون

ثقتنا بالدين لما يجعلنا أكثرنا من المقاصد والاعراض ، ونحن احق الناس بتربية القطاء ، وجميع انواع البر والاحسان ،

قال تعالى ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ أي واحسنوا بما ملكت ايمانكم ، من فتيانكم وفتياتكم ، وعبر في آية البر وفي آية الصدقات (٦١:٩) بقوله « وفي الرقاب » أي تحريرها وهذا هو الاحسان الاتم الا كل وهو من المالك يحصل بقتلهم ، ومن غيره باعائهم على شراء انفسهم دفعة واحدة اونجوموا واقساطا وهو المبرع عنه بالمكاتبه ، ودون هذا احسان المالكين المعاملة اذا استبقوهم لخدمتهم وينت السنة ذلك قولاً وعملاً ومنها ان لا يكلفوا ما لا يطيقون . وروى الشيخان وابو داود والترمذي من حديث ابي ذر مرفوعاً عنهم اخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم عليه . وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبالغ ويؤكد في الوصية بهم في مرض موته فكان ذلك من آخر وصاياه ، ومنه ما رواه احمد والبيهقي من حديث انس قال كانت عامة وصية رسول الله (ص) حين حضره الموت « الصلاة وما ملكت أيمانكم » حتي جعل يفرغها في صدره وما يفيض بها لسانه ، فهل بعد هذه العناية من عناية ، وهل بعد هذا التأكيد من تأكيد ؟ قال الاستاذ الامام أوصانا الله تعالى بهؤلاء الذين يعدون في عرف الناس أدنى الطبقات لئلا نظن ان استرقاقهم يجيز امتنانهم ويجعلهم كالحوانات المسخرة ، فيبين لنا ان لهم حقاً في الاحسان كسائر طبقات الناس . والاحاديث في هذا الباب كثيرة

﴿ ان الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً ﴾ قال الاستاذ الامام هذا تعليل أو بمنزلة التعليل لكل هذه الوصايا المتقدمة ، والمختال هو المتكبر الذي يظهر على بدنه أثر من كبره في الحركات والاعمال ، فيرى نفسه أعلى من نفوس الناس ، وانه يجب على غيره أن يتحمل من تيبه مالا يتحملة هو منه ، فالمختال من تمكن في نفسه ملكة الكبر وظهر أثرها في عمله وشماله فهو شر من المتكبر غير المختال ، والفخور هو المتكبر الذي يظهر أثر الكبر في قوله كما يظهر في فعل المختال فهو يذكو

ما يرى انه ممتاز به على الناس تبعجا بنفسه ونعرا ايضا باحتقار غيره . فالختال الفخور
مبغوض عند الله تعالى لانه احتقر جميع الحقوق التي وضعها عز وجل وأوجبها للناس
وعمي عن نعمه تعالى عليهم وعنايته بهم بل لا يجد هذا التكبر في نفسه معنى عظيمة
الله وكبريائه لانه لو وجدها لتأدب وشعر بضعفه وعجزه وصغاره فهو جاحد أو
كالجاحد لصفات الالهية التي لا تليق الا بها ولا تكون بحق الا لها . فمن قش
نفسه وحاسبها علم انه لا يعينه على القيام بعبادة الله تعالى ويطهره من نزغات الشرك
به ومنازعة في صفاته ويسهل عليه القيام بوصاياه هذه وبغيرها الا سكون النفس
ومعرفتها قدرها بيرانتها من خلق الكبر الخبيث الذي تظهر آثار تمكنه ورسوخه
بالخيلاء والفخر . ان الختال لا يقوم بعبادة الله تعالى لان عملا ما لا يسمى عبادة الا
اذا كان صادرا عن الشعور بعظمة المعبود ، وسلطانه الاعلى غير المحدود ، ومن أوتي
هذا الشعور خشع قلبه ، ومن خشع قلبه خشعت جوارحه ، فلا يكون مختالا ، ان
الختال لا يقوم بحقوق الوالدين ولا حقوق ذوي القربى لانه لا يشعر بما عليه من الحق
لغيره ، واذا كان لا يقوم بحقوق الوالدين وفضلهما عليه ليس فوقه الا فضل الله تعالى
ولا بحقوق ذوي القربى وهم بمقتضى النسب في طبقته ، فهل يرى نفسه مطالبا بحق
ما لليتيم الضعيف ، أو للسكين الاسيف ، أو للجار القريب أو البعيد ، أو للصاحب
النبه أو المغمول (١) ، أو لابن السبيل المعروف أو المجهول ، ؟ كلا ان هذا رجل مفتون
بنفسه ، مسحور في عقله وحسه ، فلا يرجي منه البر والاحسان ، وانما يتوقع منه
الاساءة والكفران ، اه بتصرف وزيادة

وأقول ليس من الكبر والخيلاء ان يكون المرء وقورا في غير غلظة ، عزيز
النفس مع الادب والركة ، حسن الثياب بلا تطرس (٢) ولا ابتغاء شهرة ، روى مسلم
وابو داود والترمذي من حديث ابن مسعود قال قال رسول الله (ص) (لا يدخل
الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون
ثوبه حسنا ونعله حسنة فقال (ص) «ان الله جميل يحب الجمال» الكبر بطر الحق
وغص الناس ، وطر الحق رده استخفاقا به وترفا او عنادا ، وغص الناس وغصهم
(١) المغمول هو الخامل (٢) تطرس الرجل لم يضطر ولم يشرب الاطيبا والتطرس المتأثق بالختال

اختقارهم والازدراء بهم . وروى الطبراني وابن مردويه عن ثابت بن قيس بن شماس قال كنت عند رسول الله (ص) فقرأ هذه الآية فذكر الكبر وعظمه فبكى ثابت فقال له رسول الله (ص) « ما يبكيك » فقال يا رسول الله إني لأحب الجلال حتى أنه ليعجبني أن يحسن شركاء نعل ، قال « فانت من أهل الجنة أنه ليس بالكبر أن يحسن راحلتك ورحلك ولكن الكبر من سفه الحق وغصص الناس » وروى ابو داود من حديث ابي هريرة أن رجلا جميلا أتى النبي (ص) فقال إني أحب الجلال وقد أعطيت منه ما ترى حتى ما أحب أن يفوقني أحد بشرك نعل فمن الكبر ذلك ؟ قال (ص) لا ولكن الكبر من بطر الحق وغصص الناس . ومن الخيلاء إطالة الثياب وجر الأذيال بطرا ومنه مشية المرح قترى الشاب يتمطي ويرج ويأرن (١) كالمهر أو العجل ويضرب برجليه الأرض « ولا تمش في الأرض موحا أنك لن تخرق الأرض وإن تبلغ الجبال طولا » ولكن يجوز ذلك في الحرب ومثله التعليم العسكري والمخور كثير الفخر بعد مناقبه وبزكي نفسه تعاظما وتطاولا على الناس وتعرضا بقصصهم وتقصيرهم عن بلوغ مداه . والجمع بين هاتين الخلتين : اظهار العظمة والكبرياء بالعمل والقول . هو التناهي في الكبرياء والتعوا على الله تعالى باحتقار خلقه والامتناع من الاحسان اليهم بالقول والعمل بدلا من الفخر والزهو عليهم بالقول والعمل ولا سيما اصحاب تلك الحقوق المؤكدة وذلك منتهى الكبر والاحاديث في ذلك كثيرة ، وكانوا يتفاخرون في الجاهلية بأبائهم فنهوا عن ذلك في الاحاديث منها صريحاً فتركوه ، والفخر في الشعر اذا أريد به الترغيب في الفضيلة فلا بأس به والا كان مذموماً

ثم انه تعالى بين حال هؤلاء المتكبرين بقوله (الذين يغفلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) روى ابن اسحق وابن جرير وابن المنذر بسند صحيح عن ابن عباس قال كان كردم بن زيد حليف كعب بن الاشرف

(١) أرن يأرن نشط ينتشط فهو أرون

واسامة بن حبيب ونافع ابن ابي نافع وبحري بن عمرو وحبي بن أخطب ورفاعة ابن زيد بن التابوت (كلهم من اليهود) يأنون وجالا من الانصار ينصحون لم فيقولون لم لا تنفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر في ذهابها ولا تسارعوا في النفقة فانكم لا تدرون ما يكون . فأنزل الله تعالى « الذين يبخلون - الى قوله - وكان الله بهم عليما » وروى ابن حميد وغيره عن قتادة انه قال في الآية هم أعداء الله تعالى أهل الكتاب بخلوا بحق الله تعالى عليهم وكنتموا الاسلام ومحمدا صلى الله عليه وسلم يحدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل . وبناء على هاتين الروايتين جعل المفسر (الجلال) الآية كلاما مستأنفا في اليهود ، فجعل الذين يبخلون مبتدأ خبره محذوف تقديره لم وعيد شديد ، والظاهر انه بدل من قوله تعالى « من كان مختالا » اوصفة له على القول بوقوع الموصول موصوفا وعليه الزجاج ، وقبل انه منصوب أو مرفوع على الذم ، وأقرب منه ومن قول الجلال انه خبر لمبتدأ محذوف أي هم الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل . والبخل بضم فسكون وبه قرأ الجمهور وبالتحريك وبه قرأ حمزة والكسائي وقرئ بضمتين وفتح وسكون وهما لغتان أيضا

الاستاذ الامام : قال المفسر يبخلون بما آتاهم الله من العلم والمال وهم اليهود . وهما قولان فمن خص البخل بالبخل بالعلم جعل الكلام في اليهود ومن قال هو البخل بالمال لم يجعله في اليهود فالمفسر جمع بين القولين وخص الكلام باليهود واضطر لاجل ذلك الى قطع الكلام وجعل « الذين » مبتدأ خبره محذوف وان لم يوجد في الكلام ما يدل عليه ، ولئن يحمل الكلام على اليهود مندوحة عن هذا القطع الى أهون منه وهو القطع من ابتداء قوله تعالى « ان الله لا يحب » الخ ومن العجيب أن مثل ابن جرير الطبري حمل الكلام على اليهود كأنه تعالى بعد تلك الاوامر بالاحسان ختم الكلام بقوله ان الله لا يحب اليهود ، وما هذا بأقرب الى البلاغة من القطع الاول ، وأعجب من قول ابن جرير تعليله إياه بأنه لا يوجد في الناس أمة تأمر الناس بالبخل على انه دين فتعين ان يكون المراد بالبخل بغير المال . وكان ابن جرير لم يخبر الناس فان من طبيعة البخل الامر بالبخل بحاله ومقاله ليسهل على نفسه خلقه الذميم ويجدله فيه اقرافا وأمثالا . وذكر الاستاذ ان من

الناس من أمروه بالبخل مرارا ، وإن امرهم كان يؤثر في نفسه أحيانا ، حتى انه ربما رد يده بالدرهم الى جيبه بعد إخراجها اذا كان للبخل المنفر شبهة قوية كقوله ان هذا غير مستحق فاعطاؤه إضاعة واذا وضع ما يراد إعطاؤه إياه في موضع كذا يكون خيرا وأولى ، وأقول إن هذا وقع لي أيضا حتى في هذا الاسيوع الذي اكتب فيه وأنا في القسطنطينية ، وليس لدي الآن تفسير ابن جرير فاراجع عبارته فاني أرى العجب العجيب فيما نقله عنه الاستاذ وهو مخالفته للرواية التي نقلتها آفا عن بعض التفسير في سبب النزول وهي مروية عنه وعن ابن اسحق وابن المنذر ، والزم على الامر بالبخل لا يتوقف على الامر به باسم الدين فليراجع من شاء ، وليذكر القارئ ما نبهنا عليه من قبل في سبب النزول وهو انهم يذكرون فيه الحوادث التي اقترنت بزمن نزول الآية اذا كانت تناسبها وإن لم تكن الآية نزلت في الحادثة التي ذكرها خاصة بأن تكون نزلت في سياق هي متممة له ، ولكن الراوي رأى انها تتناول تلك الحادثة ، او ظن أنها نزلت فيها خاصة ، وقد يكون مخطئا في اجتهاده لمناقاة ذلك لاسلوب القرآن البالغ ولنعد الى سياق الاستاذ الامام في الآية قال ماثله المتعين في السياق ان قوله تعالى « ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا » تعطيل لما قبله ، وان قوله « الذين يبخلون » الخ وصف لمن كان مختالا فخورا أو بدل منه ولم يذكر ما يبخلون به فيخصه بالمال لان الاحسان بالوالدين وذوي القربى وما عطف عليهم في الآية لم يكن مرادا به الاحسان بالمال فقط كما علم مما تقدم بل منه الاحسان بالقول والمعاملة ، فالمراد بالبخل البخل بذلك الاحسان المأمور به فهو أعم من البخل بالمال فيشمل البخل بلبس الكلام ولقاء السلام والنصح في التعليم ، وبالنفس لا تقاذ المشرف على الهلكة ، وكذلك كتمان ما آتاهم الله من فضله يشمل كتمان المال وكتمان العلم ، وجيء به بعد الاول لتوبيخ أهله ، وبيان أنهم لاحق لم فيه ، ويجوز ان يخص البخل بامساك المال ، ويجمل الكتمان عاما شاملا لما عداه من انواع الاحسان ، فالكلام في الاحسان ، والمقصرون فيه إنما يقصرون بعلة اخيلاء والفخر ، اللذين هما مظهر الترفع والكبر ، فهو يبين لنا أن من كان ملوث النفس بتلك الرذيلة لا يكون محسنا ، لان الكبر يستلزم جمود الحق ، ولا سيما اذا ظهرت

آثاره بالقول والعمل ، وجحود الحق يستلزم منعه ومنعه هو البخل ، فبين ان الموثنين بذلك الخلق الذي يفيض الله صاحبه ولا يحبه (وهو الكبر البين أثره) يبخلون بما أمروا به من الاحسان ويأمرون الناس بالبخل إما بلسان المقال واما بلسان الحال بأن يكونوا قدوة سيئة في ذلك ، ويكتمون نعم الله تعالى عليهم بانكارها وعدم الشكر عليها بالاتفاق منها ولذلك توعدهم بقوله ﴿ وأعدنا للكافرين عذابا مهينا ﴾ أي وهبنا لهم بكبرهم وكفرهم ، وبخلهم وعدم شكرهم ، عذابا ذا إهانة يجمع لهم فيه بين الالم والمهانة والذلة جزاء كبرهم وقال للكافرين ولم يقل لهم للايذان بأن هذه الاخلاق والاعمال إنما تكون من الكفور ، لا من الموثن الشكور

﴿ والذين ينفقون أموالهم رياء الناس ﴾ الرثاء ويخفف فيقال الرياء مصدر رآى كالمראה ، والجملة عطف على الذين يبخلون وأعيد الموصول للدلالة على المغايرة في الاصناف كقوله « والذين اذا فعلوا فاحشة » من سورة آل عمران ، أي إن مانعي الاحسان من أهل الفخر والخيلاء صنفان صنف يبخلون ويكتمون فضل الله عليهم وصنف يبذلون المال لا شكرا لله على نعمته واعترافا لعباده بحقوقهم ، بل ينفقونها رياء الناس أي مرآئين لهم يقصدون ان يروهم فيعظموا قدرهم ، ويحمدوا فعلهم ، فالمرآئي لا يقصد بانفاقه الا الفخر على الناس بكبريائه ، وإشراخ الطريق لخيلائه ، فانفاقه اثر تلك الملكة الرديئة . والكبرياء كما تكون من شيء في نفس الشخص ، تكون ايضا بما يكون له من المال والعرض . فانك ترى الرجل يمشي ينظر الى عطفيه ويفكر في نفسه هل هو محل الاعجاب والتعظيم من الناس أم لا (والمرجح عنده نعم على لا) وشر هذا دون شر البخيل فان هذا يحمل الناس على قبول اختياله وفخره في مقابلة شيء يبذله لم فكأنه رأى لم شيئا من الحق عليه وهو بدل التعظيم والثناء الذي يطلبه برثائه ، واما البخيل فقد بلغ من احتقاره للناس واختياله وفخره عليهم أن لا يرى لهم عليه حقا ما فهو يكلفهم تعظيمه ، ومدحه لاجل ماله . وماله في الصندوق مكتوم عنهم - فهو شر من المرآئي بلا شك ، ولذلك قدم ذكر البخل اهتماما بهم لانهم أعرق في تلك الرذيلة وآثارها . والمرآئي في الحقيقة بخيل لا يرى لاحد عليه حقا

ولكنه يتوهم انه صاحب الفضل على الناس ولذلك يخص ببذله في الغالب من لاحق لم عنده ويبخل على أرباب الحقوق المؤكدة حتى على زوجه وولده وخادمه، وعلى الاقربين حتى الوالدين، ولا يتحرى في انفاقه مواضع النفع العام ولا الخاص وانما يتحرى مواطن التعظيم والمدح وان كان الانفاق هنالك ضارا كالمساعدة على الفسق او الفتن، فهو تاجر يشترى تعظيم الناس له وتسخيرهم لقضاء حاجه والقيام بخدمته أقول إن ما يبينه الاستاذ الامام هنا هو الرياء الحقيقي المقوت عند الله وعند خيار عباده ويقول علماء الاخلاق الدينية ان للرياء أنواعا ومراتب وان منها أن يبذل المال لمستحقه امتثالا لامر الله تعالى وقياما بالحق وإيثارا للخير وقد يخفيه ولكنه يجب أن يحمد على ذلك اذا عرف، ويعدون الرياء من الشرك الخفي ويقولون ان منه ما هو أخفى من ديب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، كهذا المثال الذي ذكرناه، وانما هذا من قبيل ما يحاسب عليه انفسهم الصديقون، ويقال في مثله حسنات الارار سيئات المقرين، والحق ان من جاء بالاحسان لانه إحسان، مرضي عند الله نافع للناس، فلا يضيره حبه ان يحمد بما فعل، وان كان عدم المبالاة بذلك لذاته اكل، وقد بينت ذلك بالتفصيل في تفسير (٣ : ١٨٨) لتحسين الذين يفرحون بما أتوا) الآية فراجع في ص ٢٨٨-٢٢٥ من الجزء الرابع من التفسير، أو في المار

الاستاذ الامام : ثم وصف الله تعالى هؤلاء المجرمين المرائين بقوله (ولا يؤمنون

بالله ولا باليوم الآخر) وهو من عطف السبب على المسبب والعلة على المعلول، وذلك بأن المرائي يثق بما عند الناس ما لا يثق بما عند الله، ويرجح التقرب اليهم على التقرب اليه، ويؤثر ما عندهم من المدح وتوقع النفع، على ما أعده الله في الآخرة على الايمان وعمل الصالحات فالله في نظره المظلم أهون من الناس، فهل يعد مثل هذا مؤمنا بالله ايمانا حقيقيا مؤمنا باليوم الآخر كما يجب؟ أم يكون إيمانه تخيلا كتخييل الشعراء، وقولا كقول الصبيان : والله ما فعلت كذا . فالواحد منهم ينطق باسم الله ويؤكد باسمه الكريم الكلام وهو لا يعرف الله وانما يسمع الناس يقولون قولا فيقلدهم بما

يحفظ منه ، لا يعرف انه هو موجد الكائنات ، النافذ علمه وقدرته بما في الارض
والسموات ، فهل يكون مثل هذا مؤمنا بالله واليوم الآخر ؟ كلا انه لو كان مؤمنا
باليوم الآخر موقنا بأن له هنالك حياة أبدية لانهاية لها ، لما فضل عليها عرض هذه
الحياة القصيرة التي لا قيمة لها

ومن آيات الفرق بين المخلص والمرائي ان المرائي يلتمس الفرص والمناسبات
للفخر والتبجح بما أعطى وما فعل والمخلص قلما يتذكر عمله أو يذكره الا لمصلحة
كان يرغب بعض الناس في اليزل فيقول لثقي مثلا انني على قري أو على قدر حالي
قد أعطيت في مصلحة كذا كذا درهما أو دينارا فاللائق بك ان تبذل كذا
وأقول ان من شأن الكافر الذي لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ان لا يبذل
مالا ولا يعمل عملا صالحا الا بقصد الرياء والسمعة لانه ليس له وراء حظوظ هذه
الدنيا أمل ولا مطلب والمؤمن ليس كذلك فان وقع منه الرياء فاقما يقع من ضعيف
الايمان قليلا ولا يكون كل عمل المؤمن كذلك بل يكون ذلك إلما يندم عليه صاحبه
ويسرع الى التوبة ، والا كان كافرا مجاهرا ، او منافقا مخادعا ، وسيأتي شيء من
تحقيق هذا البحث في تفسير قوله تعالى في هذه السورة (١٤١) ان المنافقين يخادعون
الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى براؤن الناس ولا يذكرون
الله الا قليلا)

قال تعالى (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) أي ان الحامل لأولئك
المتكبرين على ما ذكر هو وسوسة الشيطان التي عبر عنها في آية البقرة بقوله (٢ : ٢٦٨)
الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) فيبين ان هؤلاء قراء الشيطان وهو بئس
القرين فلم ان حالم في الشر كحال الشيطان ، ولم يصرح بالمقصد بل اكتفى بدم
من كان الشيطان قرينا له وهذا من الایجاز الذي لا يجده الانسان في غير القرآن ،
قال الاستاذ الامام . أقول وفي الآية تنبيه الى تأثير قرناء المرء في سيرته وما ينبغي
من اختيار القرين الصالح على قرين السوء ، وتعرض بتفنير أولئك الانصار من
مقارنة أولئك اليهود الذين كانوا ينهونهم عن الاتفاق في سبيل الله وبيان انهم شياطين

يعدون الفقر وينهون عن العرف، يأمرون بالمنكر، والقرين الصالح من يكون عوناً لك على الخير مرغباك فيه، منفراً لك بنصحه وسيرته عن الشر مبعداً لك عنه، مذكراً لك بتقصيرك، مبصراً إياك بعيوب نفسك، وكم اصلح القرين الصالح فاسداً، وكم افسد قرين السوء صالحاً

﴿ وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله ﴾ قال الاستاذ الامام ماثله مع زيادة وايضاح : أي ما الذي كان يصديهم من الضرر لو آمنوا وأنفقوا ، وهذا الكلام موجه الى جميع المكلفين المخاطبين بالقول . وكان اكثر العرب يؤمنون قبل البعثة بالله تعالى وكونه هو الذي خلق السموات والارض وما بينهما ومنهم من كان يؤمن بحياة أخرى بعد الموت وكانوا مع ذلك مشركين وإيمانهم على غير الوجه الصحيح ، وكذلك اهل الكتاب كانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ولكن الشرك كان قد تغلغل فيهم أيضاً ، فالمراد الايمان الصحيح مع الاذعان الذي يظهر أثره في العمل ، و « لو » على معناها وجوابها محذوف دل عليه ما قبله من الاستفهام والكلام مسوق مساق التعجب من حالهم في انفاق المال وعمل الاحسان لوجه الله عز وجل وابتغاء رضوانه وثوابه في الآخرة ، والمراد من التعجب اثاره عجب الناس من حالهم اذ لو أخلصوا لما فاتهم منفعة الدنيا ، ولما زوا مع ذلك بسعادة العقبى ، وكثيرا ما يفوت المراتي غرضه من التقرب الى الناس وامتلاك قلوبهم وتسخيرهم لخدمته أو الثناء عليه ويفوز المخلص الذي يخفي العمل بذلك من حيث لا يطلبه ولا يحتسبه ، ففي هذه الحالة يكون للمخلص سعادة الدارين ، ويرجع المراتي بخفي حنين ، بل يكون قد خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين ، فجهل المراتين جدير بأن يتعجب منه لانه جهل بالله وجهل بأحوال الناس ، ولو آمنوا وأخلصوا وأحسنوا ووثقوا بوعد الله ووعدته لكان هذا الايمان كنز سعادة لهم ، فان من يحسن موقفا ان المال والجاه من فضل الله على العبد وانه ينبغي أن يتقرب بهما اليه تعلقاً به فتهون عليه المصاعب والنوائب ، ويكون هذا الايمان الصحيح عوضاً له من كل فائت ، وسوى في كل مصاب

وقاقد الايمان الحقيقي عرضة للنم والياس من كل خبر عند ما يرى خيبة امله وكذب ظنه في الناس فاذا وقع في مصاب عظيم كفقد المال ولا سيما اذا ذهب كل ماله وأمسى فقيرا ولم ينقذه الناس ولا بالوا به فان النعم والقهر ربما أمتاه جزعا لاصبراء وربما بنح نفسه وانتحر بيده ، ولذلك يكثر الاتحار من فاقدى الايمان . وأما المؤمن فان أقل ما يوثقه في المصائب هو الصبر والسلوى فيكون وقع المصيبة على نفسه أخف ، وثواء الحزن في قلبه أقل ، واكثره أن تكون المصيبة في حقه رحمة ، وتحول النعمة فيها نعمة ، بما يستفيد فيها من الاختبار والتمحيص ، وكال العبرة والتهذيب ، (أقول وقد بينا هذا في تفسير آيات من سورة آل عمران ولا سيما قوله تعالى ١٣٧:٣ قد خلت من قبلكم سنن الى الآية ١٤١ فراجع من ص ١٣٧ - ١٥٢ من جزء التفسير الرابع مع ما في معناها . وقال بعضهم في تفسير « واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » ان النعم الباطنة هي المصائب التي يستفيد منها المؤمن زيادة الايمان والاعتبار) على ان المؤمنين المحسنين المخلصين يكونون أبعد عن النوائب والمصائب من غيرهم ، وقد يتلى الله المؤمن ويمتحن صبره فيعطيه إيمانه من الرجاء بالله تعالى ما تخالط حلالاته مرارة المصيبة حتى تغلبا أحيانا ، وان من الناس من يعظم رجاءه بالله وصبره على حكمه ورضاه بقضائه واعتقاده انه ما ابتلاه الا ليربيه ويعظم أجره حتى انه ليأنس بالمصيبة ويلذذ بها وهذا قليل نادر ولكنه واقم

﴿ وكان الله بهم عليما ﴾ انى بهذه الجملة بعد ما تقدم لتنبية المؤمن على الاكتفاء بعلم الله تعالى بافاقه وعدم مبالاته بعلم الناس ، فهو الذي لا ينسى عمل عامل ولا يظلمه من أجره عليه شيئا وهو الذي يسخر القلوب لمن شاء قال الاستاذ الامام لو لم ينزل في معاملة الناس بعضهم لبعض الا هذه الآيات « واعبدوا الله - الى قوله - عليما » لكانت كافية لهداية من له قلب بشعر وعقل يفكر ، ثم اخذ يبين تقصير المتسبين الى الاسلام في اتباع هذه الاوامر وذكر من حال الناس في معاملة الوالدين والاقربين والجيران واليتامى والمساكين ما يبرأ منه الاسلام ، وكل ما ذكره مشاهد معروف وابن المعتبرون المتعطلون

بحث التحسين والتقبيح *

احتجت المعتزلة بوجوه (الاول) ان استحقاق المدح على العدل والاحسان والذم على الظلم والمعدوان ضروري والمنازع مباهاة ولا يرتاب منصف أثر الحق على الخلق في صحة هذه الحجة وأما تسليم الخصم لها ^(١) ثم يقولون هو ليس محل النزاع انما محل النزاع بمعنى استحقاق المدح عاجلا والثواب آجلا الى آخره وقد عرفت غلظهم على المعتزلة وانهم انما يقولون الثواب والعقاب من لوازم التكليف الذي هو أخص من الحسن والقبح وأعجب منه ذكرهم الما قبل والآجل كما مضى ومن نازعنا في هذه التغطية فهذه كتب المعتزلة والحمد لله فيأتنا بشيء من كتب أبي الحسين وغيره من المعتزلة أعني كتبهم المعتمدة لا بمن أخذ النقل عن المعتزلة من كتب الاشاعرة وان كان من أتباعهم كصاحب

(١) ينظر أين جواب أما ؟ لعله سقط من النسخ شيء هو الجواب وفيه ما يصلح لمطف « ثم يقولون » عليه . كأن يكون هكذا . وأما تسليم الخصم لها فلعل المنصفين يلتزمونه ثم يقولون هو ليس محل النزاع الخ ويمكن تصحيح الكلام بتقديرات أخرى فتأمل اهـ مصححه

(*) تابع لما نشر في ص (١٣م ٤٢٥)

الفصول بل كتبهم مشحونة بالتفصيل الذي اسلفناه وهو شاهد صدق على خطأ هذا النقل . فان آيت الاحتجاج ^(١) بما حكاه الدامغاني عن بعض الامامية وقد نوظر فانقطع ثم قال : الحجة لاجماعنا ايها العصابة الامامية . وانت فتقول الطريق الى رد ما قلت اتفاق هذه الجماعة من الاشاعرة أهل التحقيق قلنا نزعنا ليس في التحقيق انما في صحة الرواية وهي ثابتة على التحري وعدم المجازفة ولهذا ترى ابن الصلاح والنواوي وابن حجر المسقلاني وغيره ممن غلب عليهم علم الحديث لا يكادون يقيمون لهؤلاء المشار اليهم بالتحقيق هنا ميزانا لما كانت صناعة أولئك عمدتها الرواية ثم ان الطريق الذي عرفنا به كون الاشاعرة ناقلين عن المعتزلة هو الطريق الذي عرفنا به كون المعتزلة ناقلين بالمقالة فمأري لو حضرتك اشعري ومعتزلي وقال المعتزلي هذه مقالتني وقال له الاشعري بل مقالتك هذه على ايها مكنت تعتمد وارجع الى الحصية وحكاية قراقوش لعمره

أما من دفع هذه الضرورة وقال لانعرف بين تعذيب زيد بانواع العذاب ، والتلمب به باشنع ما يستهجنه أولو الالباب، وبين اكرامه بانواع النعم ومرافق الارتفاق ، بل بين سب الله تعالى بدم معرفته بصفات الكمال وجلال النعم ، وبين حمده وشكره على ذلك الجود والكرم ، وقال انما الفرق بين هذه الاشياء ونحوها بميل الطبع ومروءة الانسان عليها للتعرف عليها أو للتأديبات الشرعية او غير ذلك . فالجواب عن هذا أنا نفرق بين

(١) لعل الصواب إلا الاحتجاج اه مصححه

تلك الامور التي ذكرتم وبين كون الفعل يترتب عليه حسن المدح والذم
فأنتم قد سلمتم لنا هذا الفرق وسميتم ماسميناه تحسينا وتقبيحا كالا ونقصا
وأما انكاركم بعد هذا الاقرار وقضاؤكم بان المدح والذم لا ينشئان عن
فعل البتة وانما يمدح على الشيء ويذم لان الشارع أمرنا بذلك وما بين
ذلك الفعل والمدح الذي رتبته عليه الشارع بالنظر الى ذاتيهما الا ما بين
الغضب والنون ولم يكن أمره أيضا المرجح بل بمحض الاختيار. ولو عكس
وأمر بالمكوف على سبه وكفران نعمته وعبادة الشيطان وأوجب الكفر
وحرم الايمان وقال أنا أحق باللعن والشيطان بالمباداة. تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا لكان ذلك عندهم كمنقيضه لا فرق بينهما فلعنهم ما أنتم أحقاء
بعد ذلك بالمناظرة ولا بمن يرتجي منه الا لصف ولا جئتم باقرب مما جاء
به السوفسطائية ولا أدلتم بامتن مما أدلوا به وما تقول لمن أقر على نفسه
بذلك الا قد قلب قوادك وبصرك كما لم تؤمن بالحق أول مرة، ولم تبال
اين يقع قدمك في نظرك أول خطوة، ولو سرتنا معه على غلط الجدل لقلنا
له قد ادعينا نحن واكثر الفرق كما عرفت انا ادر كنا هذا المعنى المتنازع
فيه بضرورة عقولنا وفرقنا بينه وبين تلك الامور التي لم يبلغ فهمك الى
غيرها فنحن نصادقك على اعترافك على نفسك بالجهل بهذا الامر الذي
هو الهدى كل الهدى فمن أين منحه لك الحكم علينا بعدم العلم بما ادعينا
العلم به ضرورة حتى زعمت اننا ظننا احد تلك الامور التي ذكرت أمرا خارجا
عنها وحكمك انما هو جهل مركب فانك في الحقيقة قد شككت في صحة
عقولنا لما ادعينا العلم بما جهلت

وهبني قلت هذا الصبح ليل أيعبى المبصرون عن الضياء

(الحجة الثانية)

إذا لم يقبح من الله شيء جاز كذبه الصادق وتصديقه الكاذب فلا يعلم صدق نبي قط ولا يوثق بخبر من أخباره تعالى . واعترضا ابن الحاجب وقرره المضد ولنعمد تقريره ليقوم مقام ما هو في معناه من ألفاظ غيره ولفظه « لانسلم امتناع اظهار المعجزة على يد الكاذب والكذب على الله تعالى امتناعا عقليا وان كنا نجزم بعدمه عادة لانهما من الممكنات وقدرته شاملة ولو سلم امتناعه فلانسلم ان انتفاء القبح العقلي يستلزم انتفاء لجواز ان يمتنع لمدر ك آخر أولا يلزم من انتفاء دليل معين انتفاء العلم بالمدلول » والجواب (قوله) لانسلم امتناع اظهار المعجزة على يد الكاذب والكذب على الله امتناعا عقليا (قلنا) انما يلزمكم سد باب النبوة وعدم الوثوق بالشرائع مع عدم التسليم (قوله) وان كنا نجزم بعدمه عادة (قلنا) أتريد أن التجربة أفادت أن المعجزة لا تظهر الا على صادق وان الله تعالى لا يخبر الا بالصدق والسؤال وارد على نبوة كل نبي وعلى كل خبر من جهته تعالى ومن قد سلم لك امكان فرد على أصلك الفاسد! أم تريد أنه عند المعجزة وعند سماعنا بخبر من أخباره تعالى يخلق الله لنا علما ابتدائيا اجري عادته بذلك! والحاصله ان العلم الحاصل لمن عرف المعجزة حاصل عندها لا بها فهذا قول بان المعجزة في نفسها لا دلالة لها على نبوة النبي والذي علمناه من نقوسنا أن

هذا العلم الضروري لم يحصل لنا اذا عرفنا وجه الاعجاز وانه من فعل الله تعالى فقلنا هذا صدقه الله تعالى ومن صدقه الله تعالى فهو صادق كسائر الاستدلالات ولو اختلفت احدى مقدمتي الدليل لبطل (فان قلت) نحن ننظر في المعجزة فيحصل العلم بخلق الله تعالى لغيرها من الادلة (قلنا) انما يكون حصول العلم بعد صحة كل من المقدمتين وههنا الكبرى غير صحيحة فان من صدقه الله فهو صادق لادليل على صحتها على اصلكم وهي وقولنا ومن صدقه الله فهو كاذب سواء . ويقال لهذا القائل متى تزعم ان الله يخلق هذا العلم الضروري؟ ابعد معرفة وجه دلالة المعجزة فهو لا يتم حتى تعرف ان من صدقه الله تعالى فهو صادق؟ أم تزعم أنه من رآها او سمعها حصل له هذا العلم؟ فهذا معلوم كذبه ضرورة (ان قلت) خلق الله علما بصدق نبيه ممكن فمن أين لك القطع بعدمه (قلنا) كم ممكن نحن قاطعون بعدمه لآعن دليل كقطعنا بانه ليس في حضرتنا رجل له ألف رأس وقطع احدنا بانه لا يثبت جثمانه في الملا الا على بان الله يقدر على قطع ما بيننا؟ وان الجبل الذي رأيناه في اللحظة الاولى لم يتحول بعد خطيبا وغير ذلك من العلوم العادية حقا فهذا العلم الذي تدعونه زرده بالعلم الابتدائي ولقد تجاسر من ادعى هذا العلم على أهل السموات والارض ولو قال احد قولايحتمل الصدق والكذب وقال للمخاطبين : معكم علم قد خلقه الله لكم بصدق قولي لكان تكذيبه من أهون شيء مع استواء الامرين في الامكان فكيف بهذا الذي يدفعه كل عاقل . فان ادعيتم أن هذا العلم الضروري بصدق المعجزة وصدق الله تعالى لآعن دليل حاصل لنا بعد سماع لفظ الخبر ورؤية المعجزة أو سماعها من دون نظر وان دعوا ان كذبكم مخالفة للضرورة

كان للسوفسطائية أن يردوا تكذيبنا لهم بذلك حين ادعوا أن لا علم عندهم
البتة في أي شيء، قلنا: هم بعد ادراكم لماهية العلم وادراكم لاتصافهم
به منكرون للضرورة، فلهم على هذا أن يقولوا تكذيبكم لنا كذب الا
انهم يدعون على الناس عدم العلم وانهم تدعون عليهم العلم فادعوا ما هو
الاصل فكان دعواهم أقرب من دعواكم وكنتم اكثر منهم لجأجا، واقبح
اعوجاجا، وادركتم ما كان فاتهم لانهم لا يمكنهم دعوى العلم الضروري
لئلا يثبتوا العلم، فانقطعوا وانهم أثبتوه ثم صرتم تدعونه على من خالفكم
فيما اعياكم فكنتم كمن قال، فادركتم ما تمني واحال

وكنت فتى من جند ابليس فارتقى بي الحال حتى صار ابليس من جندي
فلو مات قبلي كنت ادركت بعده دقائق فكر ليس يدركها بعدي
(قوله) لانهما من الممكنات وقدرته شاملة (قلنا) مسلم والذي
قصده خصمك وهو عدم وثوقك بالنبوة وصدق خبر الشارع مبني على
ذلك (قوله) ولو سلم امتناعه فلا نسلم ان انتفاء القبح العقلي يستلزم
انتفاءه بجواز ان يتمتع لمدرك آخر اذ لا يلزم من انتفاء دليل معين
انتفاء العلم بالمعلوم (قلنا) أما خصمك فقد كفاه هذا الدليل المعين وأما
أنت فقد فاتك هذا الدليل على أصلك الفاسد فقال خصمك جوز على
الله تعالى الكذب وتصديق الكاذب ولم يقل فاقطع على تصديق الله تعالى
الكاذب وعلى كذبه سبحانه في اخباره بخوابك بجواز دليل يدل على امتناع
ذلك في حقه تعالى لا ينافي ما ألزمك من عدم الوثوق بالشرعة والذي يدفع
الالزام هو وجود دليل لا جوازه

واعلم أن الدليل الذي يذكرونه هنا هو المادة وقد عرفت سقوطه

وقد يقول بعضهم هو صادق لذاته لانه متكلم لذاته وجوابه بعد تسليم الكلام القديم وتنوعه لثلا ينتشر البحث أنه لا فرق عندهم بين الصدق والكذب بالنظر الى الباري تعالى فله كاذب لذاته ويلزمكم أن تتعلق قدرته بالكذب بمعنى انه يقدر على أن يخبر بالشئ لا على ما هو به لان ما بالذات لا يتناقض كما انه لما كان قادرا لذاته أي قدرة واجبة لا يحتاج في ثبوتها الى غير ثبوت الذات لم يكن من الممكن أن يعجز . لا يقال قد علم من ضرورة دين الانبياء صلوات الله عليهم وصفه بأنه صادق أبدا لانا نقول صدقهم لا يمكن الجزم به مع بقاء هذا الاشكال فليتأمل هذا البحث فلم يجد المحققون فيه الا المغالطة والتليس انظر هذا المحقق الذي صار المحقق كالعلم له كيف أزم انه يجوز كذب الشرائع فقال يجوز أن يكون هناك دليل يدل على الصدق ، وهل لغير هذا المضيق يعد الدليل ؟ . يا هذا لا نخبأ بعد بوس ، ولا عطر بعد عروس ، ثم نقول هب ان هناك مدركا هو مستندكم لكن هذه كتبكم قد طبقت البسيطة وقد بالغنا في التبعية لها فما وجدناكم ذكرا شيئا الا هذه الاعذار الباردة ، والمغالطات التي لا طمع في الاعتماد عليها والمساعدة ، وما هذه حال من تصدى لنصيحة الامة ، وزعم أنه كفاها مهم الملاحظة وكشف الغمة ، متى يدرك هذا المدرك الناظرون ، ويهتدي به الخائرون ، فانا قد شارفنا تمام الف عام والف شهر من موت نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كأنكم أودعتم ذلك المدرك امام الامامية فلا يظهر الا بظهوره ، واستعملتم في تبينه رموز الباطنية التي لا يدونها الا لمن يشقون بغوره

وأعجب من هذا جواب الامام الرازي فانه قال في النهاية ما معناه

صدق النبي متوقف على مقدمتين (أحدهما) ان المعجزة نازلة منزلة قول الله له صدقت (والثانية) أن من صدقه الله فهو صادق ، فنحن وان كنا لا يمكننا القطع بالثانية الا مع القول بالتحسين والتقييح العقليين لكن المعتزلة قطعوا بصحة الاولى مع انها خبري محتمل الصدق والكذب ولم يضرهم ذلك فلم يضرنا القطع بالثانية مع الاحتمال انتهى ولم يحضرني الكتاب المذكور حتى انقل صورة لفظه فان تيسر لي ذلك أحققه والافعل الناظر استيعاب ذلك فان هذا الفعل محل ريبة اولي يقول هذا القول مسلم كيف من هو من اعلام المسلمين اذ هو كالصریح ان المشرعة على غير يقين من صحة الشرائع سبحانه الله العظيم . وما اظهر ركة قوله : ان الاولى خبري محتمل الصدق والكذب وما صدور مثل هذا القول عن مثله ينبغي أن يحمل ألبة على ظاهره لوضوح قلة الانصاف فيه ثم وان ظهور بطلانه يغنينا عن التصدي لجوابه اذ هذا البحث انما يخاطب به المنتهي المحيط بتحقيق مذهب الفريقين المتحلي بالانصاف اذا وجد وقد سلك هذه الطريقة الجويني في الارشاد وحيث أورد على نفسه انه لا معنى للمطالبة الشرعية مع القول باستحالة اثر القدرة الحادثة لانه اختار في الكتاب المذكور انها مثل العلم سواء فاجاب بان المعتزلة يلزمهم على أصولهم كذا وكذا وعدد التزامات ولم يتعرض للحل اصلا وهو دأبه في المضايق في الكتاب المذكور فيقال له هب انه لزم المعتزلة ما ذكرت فماذا ينبغي عن طالب الحق ان يعترف انك على باطل وتلطخ صاحبك بباطل آخر فانما غرضي معرفة الحق وكشف عوراتكم لا يقضي وطري

﴿ الحجة الثالثة ﴾

لزوم إلزام الانبياء فيقول المرسل اليه للرسول يجب علي طاعتك أم لا فان كانت لا تجب استرحت وان كانت واجبة فبالعقل أم بالشرع؟ فعلى مذهبهم لا بد أن يقول بالشرع فيقول لا يلزمني اجابتك حتى يثبت الشرع عندي ولم يثبت بعد لعدم معرفتي صدقك ومجرد الدعوى لا يكفي فكم ادعى هذا الشأن كاذب وأنا لا ألزم نفسي تعترف بالشرع حتى يجب علي التعرف فقد تمنع الامران وأجابوا عن هذه الحجة أولا بالمعارضة للمعتزة بأن وجوب النظر عندهم نظري فنقول لا انظر في صحة دعواك حتى يدرك عقلي وجوب النظر وليس بيديهي فلا يدركه حتى انظر (والجواب) إنا نقطع أن من عرض له حيرة في شيء يخشى من اغفاله ضررا فانه يناله هم وغم يضرب به فان أزال ذلك يتبين حقيقة الامر بالنظر أو بالاخذ بالا حوط حيث يتها في بعض الصور وان كان الاخذ بالا حوط من نتائج النظر الا أنه ربما أمكن بأدنى تأمل فان المقول تقبل لومه وذمه لتركه ازالة ذلك الضرر وهو خاصية القبح كما مضى فكيف من خوفه الرسول بخزي الدنيا والآخرة وعذابهما وفوت كل نفع وادراك كل ضرر لا يجد من نفسه مزعجا للنظر بحيث يذم على إغفاله هذا سيما في هذه الصورة مكابرة ظاهرة فالنظر واجب يدرك وجوبه بادنى التفات بحيث يعد من الاوليات ويلحق بها وقد ضرب له الغزالي مثالا في بحث النظر نفسه

فقال ما معناه لو قيل لانسان : الاسد خلفك مقبل عليك وهو آخذك
ان لم تجد الحرب فاذا قال لا حامل لي على الحرب الا العلم بصدق خبرك
وانا لا اعلمه حتى اتفت ولا ألزم نفسي الالتفات حتى يتحتم علي الالتفات
قال فان هذا معدود من الحق لا من العقلاء فعده لياه من الحق واخرجه
عن زمرة العقلاء من دون تحاش يدل على ان هذه قضية يعلمها كل
عاقل بضرورة عقله وهو معنى الذم الذي قلنا هو خاصية القبح ومقابل
القبح الواجب وهذا منه قول بالوجوب والقبح العقليين ونجيب عبارة
الخصم أمر سهل لا يقع النزاع فيه بين المحصلين فقد وضع الفرق بين
الامرين وان هذا الاشكال غير وارد على المعتزلة

واجابوا ثانياً بالحل وحاصله ان وقوع النظر لا يتوقف على وجوبه وقالوا
أيضا وجوبه لا يتوقف على وقوعه أما الاول فلا مكان وقوع النظر من يجب
عليه، وأما الثاني فلان النظر واجب بالشرع نظراً ولم ينظر وهذا الجواب من
المغالطة بكان ومن ترويجات المضد تخيله الفرق باعتراض الوجه الاول
وترك الثاني وهما من واد، والجواب عن الاول ان لمكان معرفة صدق
النبي لا يوجب اتباعه بل الموجب معرفة صدقه بالفعل وقد فرضنا امتناع
المرسل اليه عن تعرف ما لا يجب عليه تعرفه ولو قال النبي كما قلتم يمكنك
معرفة صدقي قبل العلم بوجوب المعرفة لكان من جوابه نعم ولكن ليس
لك إلزامي بنفس الامكان اذ الممكنات كثيرة هذه أحدها فان ادعيت
لهذه الحادثة خصوصية يبلغ بها الوجوب فهو اول المسئلة ولا جواب
لرسل حيثئذ وبهذا اعترضه المضد وغيره والجواب عن الثاني ان هذا
من تكليف الفاعل الذي اتفقنا على امتناعه ودعوى الفرق بينهما بان

هذا يمكنه النظر وذلك لا يمكنه لا يكفي لأننا الآن فرغنا من بيان أنه لم
يقم حجة على المتمتع في النظر فهو معذور عن النظر وإذا عذر لعدم
الحجة فلا عقاب على ما المرء معذور عنه فلا يتحقق في حقه الوجوب
الشرعي الذي ادعيتم إذ لا يجتمع بوجوب الفعل والعذر عنه لأن المعذور
لا يذم وتارك الواجب يذم والفرق المدعى خارج عن الجامع ومجرد ترويج
أن يجمعهما عدم قيام الحجة والامكان في حق هذا دون ذلك لا يتم فارقا
لخروجه عن محل النزاع ومثله الفرق بين التكليف بالمحال لنفسه والمحال
لغيره كالتكليف بالجمع بين النقيضين وتحمل الواحد منا جبل أحد إلى
مكة مثلا .

ولا يلتبس عليك هذا بالتكليف بإيجاد ما علم عدم وجوده فانه لا إحالة
فيه البتة فانه لو أخبر الصادق أنك لا تقوم من مقعدك ريثما تتلو
الفاتحة فانك تعلم تمكنك من القيام والبقاء على السواء كما كنت قبل خبره
لكن خبر الصادق دل على وقوع أحد الجائزين فانه لا بد للجائز من
أحدهما ولا دخل للعلم في تأثير إحالة ولا إمكان وكيف يؤثر التابع في
المتبوع فليتأمل جدا . ومحل هذه مسألة الأفعال فإن ذكر والا فقد كفك
هذا أنها المدرك فليتأمل هذا طالب النجاة ، وليتخبط بتمامي التعصب
من اتخذ الله هواه ، أما قولهم في هذا المقام الوجوب عندنا ثابت
بالشرع نظر أولم ينظر فصادرة فإن ذلك نتيجة البحث فكيف يجعل
بعض مقدماته !

وحاصله أنا نقول لو كان الوجوب بالشرع دون أن يدركه العقل
لزم إفحام الأنبياء فلا يقوم لهم حجة لا انسداد طريق الشرع بعدم النظر

٥١٦ حجج الاشاعة على نفي التحسين والتقيح - الاولى (المارج ١٣٧)

ولا يمكن إلزام النظر قبل ثبوت الشرع فلما لم يجدوا مخلصا عن افحام الانبياء رجعوا الى نفس الدعوى وقالوا الوجوب عندنا قد ثبت بالشرع قبل النظر فيمن يصل اليه فينظر أولا ينظر فكانهم قالوا عدم قيام الحجة للنبي لا يضرنا لان نفس الوجوب لا يتوقف على لزوم امثال المكلف ذلك الواجب . اذا حققت هذي عرفت انه كلام فارغ فانه قد قال خصمهم سلمنا الوجوب كما تدعون لكن يلزم عليه افحام الرسل فكيف يقال الوجوب ثابت عندنا بالشرع نظر او لم ينظر والمطلوب انما هو التخلص من افحام الانبياء لتقوم لهم الحجة على المكاف وليس النزاع في نفس ثبوت الوجوب اذ قد سلم تنزلا انما الكلام في لزوم عدم قيام حجة الانبياء فاعرف ان هذا الخبط من الاذكياء له شأن والله المستعان وأما حجج نقاة التحسين والتقيح العقلين فالتعويل عليها أضعف من التعويل على نقص حجج المثبتين لهما كما سيتضح لك

* *

(الحجة الاولى)

ما اعتمده ابن الحاجب في مختصر المنتهى وهي انه لو حسن الفعل وقبح لغير الطلب لم يكن تعلق الطلب لذاته والجواب ان هذا مبني على ان الطلب صفة ذاتية متميزة عن العلم والارادة وخصمكم ينكر ذلك كله ولم يتم لكم ذلك بدليل ناهض فهو بناء على غير أساس ومع تسليمه فالمتعلق (بالكسر) من حيث انه متعلق تابع لمتعلقه فلا يتحقق التعلق بدون ذلك لا ينافي كون تعلقه لذاته كما قاله الجميع في العلم ولهذا اعترضه سعد الدين . وزبدة هذا وحاصله ان تعلق المتعلق بشيء وكان ذلك

الشيء ذا أوصاف متغايرات فالطلب تعلق بفعل له صفة الحسن مطلقا لا بمطلق الفعل ووضع هذه الحجة الساقطة مبني على نفى الحكمة بل على احالتها فليتأمل



(الحجة الثانية)

لو كان مثبت للفعل صفة الحسن والتقيح لا باختيار مختار كما قالت المعتزلة والبارئ تعالى ليس الامينا لما ثبت في نفس الامر - لم يكن تعالى مختارا في الحكم بل يكون كالمفتي والقاضي بين الحكم ثم يلزم أو يتوعد على عدم الامثال وتوعد عليه بالثواب والعقاب (الجواب) ان أردتم انه ليس مختارا في جعل الحكم حكما فهو عين مذهب خصمكم وهو أول البحث كما مر توضيحه وان أردتم انه ليس بمختار في التبيين والالزام على معنى انه ليس له ان يخبر بحكم غير ثابت في نفس الامر ولا ان يلزم به فهو كذلك ايضا لان الاخبار لا بد ان يطابق والا كان كذبا وكذلك الالزام لا بد من وجه حامل عليه كما مضى تقريره وكل ذلك لا ينافي الاختيار وان اردتم انه يصير مضطرا الى التبيين حتى يكون بمنزلة الواجب غير المختار فلا وجه للزومه وهو ظاهر

وعلى الجملة فهذه الحجة بينة السقوط لان اللازم منها غير مذهب الخصم أو ماعدم لزومه بين . أما التشنيع بقولكم كالمفتي والقاضي فشيء يستغف به الجاهلون ولم يحجى بشيء بدع فان هذا شأن الماهيات كلها كما هي في القديم والواجب والممكن والمستحيل والضد والنقيض والنفي والاثبات وسائر الماهيات فانها متقررة بخصوصياتها التي بها تمايزت وتقررت وعلمت

ولذا تقرر الله سبحانه على من لم يفرق بين ماهيتين بالاستفهام والتعجب والانكار كقوله تعالى « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون - أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون - أفمن يخلق كمن لا يخلق - أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار » الى غير ذلك وقال الله سبحانه « كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها » وقال تعالى « ان ربي على صراط مستقيم » وقال تعالى « قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن » وقال تعالى « والله لا يحب الفساد » وقال تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » وقال تعالى « ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله - ان الله لا يظلم الناس شيئا - ان الله لا يظلم مثقال ذرة - هل جزاء الاحسان الا الاحسان » الى غير ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مما يدل على ان المنهيات والمأمورات متقاربة كتقرر القديم والحادث والنفي والاثبات فمن قال لا فرق بين الاحسان والاساءة الا بحسب اعتبار الاعتراف وانه لا معنى للفاحشة مثلا الا ذلك المتعارف والافهي والايان سواء في الخلو عن الحكم وفي نظر الشارع وانما اتفق الامر باشيء والنهي عن اشياء لمجرد الاحسان لا لحامل ايضا فمن كان هذا شأنه فوالله ما في انصافه مطمع لكن كثرة المقلدين للاشعري في هذه الهفوات الجالمتدينين الى الاعذار معذرة الى ربنا وكفى به حكما

ثم انا نبين الآن ان هذا الامر اعني كون الحكم غير واقف على اختيار مختار في كونه - كما لازمالزوما بينا على قواعد الاشاعرة وبيانه ان الحكم

(المنار ج ٧ ص ١٣) نفسية التقليد على العفول . ادراك الآخرين ما فات الاولين ٥١٩

عندم خطاب الله والخطاب القولي الذي هو من صفات الفعل اتفاقا على وفق النفسي وعبارة عنه فقوله مثلا « أحل الله البيع وحرم الربا » لا بد أن يكون معنى حل البيع وحرمة الربا متضمنا له السلام النفسي والنفسي غير مختار فيه وتعلقه لذاته كما هو شأن القديم وهم أيضا مصرحون بأن الحكم قديم والقديم غير مختار فيه اتفاقا والبارئ تعالى انما يبين لنا ما ثبت في الازل ويلزمنا امثال الجري على مقتضاه فالحكم اذا ثابت بلا اختيار مختار اتفاقا ويتمين على هذا محل النزاع ويختصر في جهتين احدهما هل يمل ثبوته الاشاعة لا لقدمه؟ المعتزلة^(١) نعم لا مكان التعليل ثانيهما هل يدرك العقل مستقلا بعض جزئياته؟ المعتزلة نعم لا مكان معرفة الموجب له وهو كون الفعل ظلما مثلا واحسانا. الاشاعة لا. لانه غيب محجوب وهذا التحقيق والالزام مع وضوحه لم أر من ذكره ولا ما يقرب منه ولا زلت اسائل من أظنه أهلا لان يسأل فما كان مطمح نظري الا أن يفهموا السؤال ولم يكن واما لاستيقان واستقلال عقولهم بحقيقة الامر وشفاء السائل فرام بعيد ، ومرمي حال دونه حجب التقليد ، فليتأمله من بقي من المنصفين بين الجدة والانصاف^(٢) فكل مبتكر محل لاجالة النظر ولا يمنعه الالتفات

(١) اي قول المعتزلة في الجواب نعم الخ وسيأتي جواب الاشاعة بعد السؤال

الثاني اه مصححه

(٢) تأملناه فوجدناه حقا بل هو ما هدا الله اليه قبل الاطلاع على هذا الكتاب

بسنين ولنا كلام يدل عليه وللمصنف فضل التقدم بحسب علمنا فاننا لم نره لاحد من قبله . وما يؤيد القرآن من السنة في هذه المسألة حديث الاعرابي الذي اسلم فأمر النبي (ص) ان يعاموه الصلاة فعلموه الناحية وسورة « اذا زلزلت » وارادوا أن يعلموه سورة اخري فقال حسبي هذه حتى أعمل بها (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن

لقولهم : ما ترك الاول للآخر ؟ فانه يكفي في معارضة هذه اللفظة قولهم :
كم ترك الاول للآخر ، والله درابن مالك حيث يقول اذا كانت العلوم منها
الهمية ، ومواهب اختصاصية ، فقير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ،
ماعسر على كثير من المتقدمين ، نعمو ذالله من حسديسد باب الانصاف ،
ويصد عن جميع الاوصاف ، انتهى

(الحجة الثالثة)

« السمية »

وهي اشفها بحسب الظاهر وهي قوله تعالى « وما كنا معذنين
حتى نبعث رسولا » ووجه الاستدلال انه تعالى أخبر انه لا يمتدب بدون
بعثة الرسول ومن قال العقل مستقل لقيام الحجة يلزم على قوله أن يسوغ
التمذيب (الجواب) أن هذه مصادرة على المطلوب ^(١) لان النزاع في جواز
التمذيب لافي وقوعه وكم من جائز غير واقع وما قاله العضد وجرى عليه
السعد وقلدها الناس انه انما لزمتمهم الحجة لمنع العفو عقلا عند المعتزلة فغلط
على غلط لان هذه الحجة ذكرت لرد هذا المذهب وقد عرفت ان القائل به
اعم من ذلك ولا ملازمة بينه وبين منع العفو عقلا والقائل بعدم العفو عقلا
شرذمة من البغدادية وسائر أهل هذه المقالة قائلون بجواز العفو عقلا

== يعمل مثقال ذرة شرا يره « فأمرهم النبي (ص) ان يتركوه وشهدله بأنه فقه في دينه
وما كان فقهه الا العزم على ترك كل ما يعتقد انه شر وفعل كل ما قدر عليه بما يعتقد انه
خير فأمره النبي (ص) على تحديد الخير والشر باجتهاده وعقله اه مصححه

(١) الاشبه مغالطة اه من هامش الاصل

وكثير منهم يقولون بجوازه سمعا ونحن منهم كما هو قول اكثر الامة
والحققين المنصفين غير المتعجرفين بل صريح الكتاب والسنة اللذين لا يعمدل
بهما ولا يعول على غيرهما ومن عجائب المضد والسعد انهما ذكرا هذا
الكلام السابق فيما يختص الجبائية من الرد فكان غلطا على غلط وهذه
مسألة خلاف بين المعتزلة والجبائية بل البصرية بأسرها يجوزون العفو
عقلا والكعبي واتباعه ينعونه فهي ما اشتهر فيه الخلاف بين أهل المصرين
لكن مثل هذه الاشياء أصلا ما ذكرت لك ان تقام من عدم الاحاطة بمذهب
الخصم لعدم صرف المهمة اليه ، فيجهله فيجهل عليه ، شنشنة من عدم
الانصاف ، الذي هو أصل الخلاف ، فهذا شيء كثير جربناه في نقل
الاشاعة عن المعتزلة والعكس بحيث يتمتع المنصف من قبول احدهم على
الآخر والغلط على المعتزلة أكثر منه في العكس فحرب ان كنت تدعي
انك صادق المهمة فليس شاهدا بأسوا التجربة

نعم هذه الآية الكريمة حجة على البغدادية في منعهم العفو عقلا
وهذا مذهب ركيك قادم اليه القول بوجوب اللطف مع القول بانه لا
وجه للتعذيب سواء ، والمذاهب ثلاثها كل منها أوهى من الآخر اعني
مذاهب البغدادية المذكورة غير انه بقي لهم هنا عذر ان لم ينصوا على
خلافه وهم انهم انما عللوا الواقع من المذاب بانه انما وقع لانه لطف وكل
لطف واجب فاذا جاء الشرع بعدم تعذيب أهل الفترات مثلا فلا يلزمهم
القول بتعذيبهم فليتهم يحفظ هذا حذرا من الغلط عليهم وهو وجه وجيه
يعدم عن التشفيع ، ان ادركه من علم الله سبحانه حسن الصنيع

لا يقال في الآية وجه آخر من الاحتجاج غير ما ذكرناه وهو ان قولهم ما كنت فاعلا وما كنت لا فعل فخواه ان هذا الامر لا يلائم حالي ولا يليق بي كما قال تعالى « وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا » وهو بمعنى الاول ثم قال « وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون » وغير ذلك من الآيات وغيرها لا تجدد الاستعمال الا هكذا ولذا يفسرها الزمخشري واضرابه من قول العريضة بقولهم أي ما صح وما استقام وليس بمستنكر ان يدل مجموع كلام على معنى لم يحصل للأفراد مع تفرقها كما قالوا في قولهم كان يفعل كذا انه يفيد الاستمرار وقد قيل ذلك في يفعل على انفراد ومردول الفعل المطابق من حيث هو انما هو الحدث الذي من شأنه وحقيقته التقضي وقد قال السعد في موضع من حاشية الكشف: واعتبارات البلغاء دلالة رابعة كما ان المادة طبيعة خامسة: هذا لفظه وقد مر لنا عليه هناك مناقشة وفي الكشف بل في فن البيان كله شيء كثير من هذا فليختبر، فهذا تنبيه وهو معنى خصوصية التراكيب التي وضعوا لها في المعاني، ومن ذلك دلالة الاستثناء في جاءني القوم الازيدا فان افراد هذا التركيب لا يدل على عدم مجيء زيد لكن زعم بعضهم ان دفع فهم عدم مجيء زيد كدفع الضرورة وذكر ذلك في المطول فمع تمام ذلك يكون بما ذكرنا والله اعلم

واذا كان لا يليق بالحكيم ولا يلائم شأنه التعذيب قبل البعثة فهو معنى ان الحجة لا تقوم قبل الشرع اذ لو قامت حينئذ لكان التعذيب ملائما رأيت الاسنوي قد أشار الى هذا الوجه في شرح المنهاج بعد ان

قلته نظرا فنقول لا يضرنا ذلك أما أولا فهي محتملة بقوة ان المراد عذاب الاستئصال بدليل السياق لان العذاب مطلق فهو مع القيد على سواء أعني الديني والآخرى والسياق معين لاحد القيد وان عمنا فلا يضرنا أيضا لانا نقول انه قد يقال ذلك في ما يحافظ عليه أعم من ان يكون متحما أو غير متحتم بقول ما كنت لا ترك إخراج الزكاة وما كنت لا ترك فضيلة صدقة النفل وحاصله تنزيل ما ليس بحتم منزلة المتحتم بجامع عدم على المحافظة والآية من القسم الثاني جمعا بين الأدلة فالبارئ تعالى لسمعة رحمته وبالع حاكمته يقول ما كنت لا كتني بمجرد حجة العقل حتى أردفها بحجة السمع ، مبالغة في الإعذار ، وقطعا لتعلة المبطلين الاغمار ، كما قال تعالى « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذا لا رتاب المبطلون » وحكي عنهم هنا على فرض عدم الرسول الاعتلال بعدمه كما كان يقتل المبطلون بكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم قارئا كاتباً وليس ذلك من شرط النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا اسند الارياب الى المبطلين وقال هنا « ولو أنا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلنا الينا رسولا فنتبع آياتك » وفي هذه الآية نفسها دليل على ما نحن فيه لمن له فهم وذوق والله الموفق .

ونظير هذه المسألة ان المعتزلة قالوا لو كان للكافر لطاف في المقذور ولم يفعله له لم تقم عليه الحجة سهل لهم اقتحام ذلك مارأوا من مبالغة الله سبحانه وله الحمد بالالطاف وانواع الترغيب والترهيب وقد نقض ذلك سبحانه بقوله « قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين » واعتذارهم بمشيئة الاكراه ساقط اذا لا نسلم تسميته ذلك هداية لغة ولعلنا تعرض لهذه

المسألة فنستوفي الكلام منها والا فهذا تلييه كاف للمنفص

هذه الحجج الثلاث هي التي اعتمدها ابن الحاجب وشرح كتابه
وغيرها ركيك كقولهم يلزم ان يكون فعل العبد كالإيمان مثلاً أشرف
من فعل الله تعالى كالشيطان وهذه هي الشبهة التي زعموا ان ضراراً رجع
عن الاعتزال من اجلها ونظير هذه الحجة ما قاله المشركون للمسلمين انهم
تأكلون ما يقتلون وهو المذكاة وتحرمون ما يقتله الله سبحانه وهو الميتة
فأنزل الله تعالى « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن
يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم
وما يفترون » ولتصني اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ولا يرضوه وليقتروا
مامم مقترون * أفير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً ؟
وعزى هذا الحديث السيوطي في أسباب النزول الى الحاكم وأبي داود
وغيرهما من حديث ابن عباس وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس
قال لما نزلت « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » أرسلت فارس الى
قريش ان خاصموا محمداً فقولوا له ما تذبجه أنت بيدك بسكين فهو حلال
وما ذبح الله بشمشار من ذهب يعني الميتة فهو حرام ! ؟ فنزلت هذه الآية
« وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوك » قال: الشياطين من فارس
وأولياؤهم من قريش

أبو حامد الغزالي^(*)

٨

﴿ تكفير المقلدين له ورأيه في الردة والكفر ﴾

الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره
وشره من الله تعالى ، والاسلام أن تشهد أن لا آله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
وقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت الى ذلك سبيلا .
هكذا فسرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن صدق عليه هذا التفسير كان مؤمنا
مسلم لا يخرج من الاسلام الا تكذيبه لشيء مما جاء به الرسول (ص) من أمر
الدين علما انه جاء به غير متأول فيه . وما عدا ذلك من مخالفة احكام الدين
بالقول او الفعل او الاعتقاد يمد خطأ وسببه الغالب الجهل ومن الجهل ما يعذر
صاحبه فيه كجهل الدقائق والامور الخفية ومنها ما لا يعذر فيه الا اذا كان قريب
المهد بالاسلام كتحریم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والایم والبغي بغير الحق
والقول على الله بغير علم ، والحساب على الله تعالى

وقد مضت سنة النبي (ص) وسيرة اصحابه (رض) بتحامي تكفير أحد
من يظهر الاسلام ويصلي الى القبلة وان ظهرت عليه آيات النفاق وكانوا يعذرون من
أخطأ في شيء من أمر دينه ويتلطفون في تعليمه وما زال امر المسلمين على هذه السنة
حتى ظهر فيها الابتداع وصار لأهله فرق وشيع يدعون اليها ويناضلون دونها فكان
منهم أن كفروا من يخالفونهم فيما افردوا به وإن كان المخالفون هم السواد الأعظم
الذين تقلوا الدين بالقول والعمل وحافظوا عليه قبل ظهور تلك البدعة . وقد كان
من امر أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه أن قاتل الخوارج المبتدعين وصلى على

(*) تابع لما نشر في (ص ٨٣٣) من المجلد الثاني عشر

قتلهم ولم يكفرهم بيدعتهم . فكان مما امتاز به أهل السنة والجماعة على أهل البدعة والفرقة أن أهل السنة لا يكفرون احدا من أهل القبلة لأنهم يجمعون الكلمة ويتقون التفرق في الدين لشدة نهى كتاب الله عنه ووعيده لمن يقره . ولم تكن السنة مذهبا ولا مذاهب لبعض المسلمين فيتعصبون لها على غير أهلها بل كان كبار العلماء كأئمة الفقه الأربعة وشيوخهم من السلف يعذرون كل من خالفهم في اجتهادهم ويصلون معه كما كان يفعل الصحابة (رض)

ثم حدثت المذاهب في الجماعة المنسوبة الى السنة فكانوا شيعا كل شيعة تفتني الى امام من العلماء الذين كانوا على السنة وتتعصب لما قل عنه وعن أتباعه وكل من انتسب اليه ثم تدرجوا من التعصب لما سموه مذهبهم الى تخطئة سواء من متبعي غيره من المذاهب المنسوبة الى علماء السنة مثل مذهبهم ثم الى التضليل ثم الى التكفير لهم وللعلماء المستقلين اذا خالفوا مذهبهم وهم مع هذا يعترفون بأنهم مقلدون وليس من شأن المقلد ان يبحث في تخطئة أحد لأنه تابع لغيره ولا علم له في نفسه وقد حدث من جراء هذه التعصبات قن كثيرة سودت بها صحائف التاريخ

ان ظهور فتنه التكفير التي احدثها أهل البدعة في المنتسبين الى السنة جعل مصابها عاما في المسلمين حتى كانت السبب في وقوف حركة العلم دون بلوغ غايته المرجوة فيهم بل في رجوعه القهقري لأن الاشتغال به صار محصورا في قفهم كل جيل بعض كتب الأجيال التي قبله دون ان يكون له حكم مستقل في المسائل ومن لا يكون له حكم لا يكون له علم وهذا هو معنى ما قل من اجماع سلفنا على ان المقلد لا يسمى عالما وعلى إطلاق أهل القرون الاولى لفظ العالم بمعنى المجتهد ولفظ الجاهل على المقلد وان قتل الكتب بحثا وفها . وكيف لا يرجع العلم القهقري اذا كان من أنعم الله عليهم بالقراءة الذكية والاذهان اللوذعية لا يستطيعون ان يشكروا الله عليها باستعمالها في استنباط مسائل العلوم إما خوفا من تكفير الناس إياهم اذا هم جاءوهم بغير ما وقف جهلهم عنده واما لاعتقادهم أن ذلك من العبث لانه لا ينفع به أحد ، وان هم استعملوا عقولهم والحال ما ذكر فانها لا تأخذ حظها من الاستقلال ، ولا تبلغ الغاية في حبة السباق ، ومن نصباه جمال العلم فجعله عاشقا

(المئارج ٧ م ١٣) الغزالي . انتقال بدعة التكفير في زمانه الى أهل السنة ٥٢٧

مستهترا ، لا يجد له من غرامه مهربا ، تتمتع به في خلواته ، وحجب محاسنه عن
اصدقائه وعداته ، فان اضطر الى الكلام ، لاذ بالكذابات والاشارات والألفاظ ،
أصبوا الى الشرق ان كانت منازلها في جانب الغرب خوف القيل والقال
أقول في الخلد خال حين أنفها خوف الوشاة وما في الخلد من خال
فتي تستنير عقول عامة المسلمين بمبادي العلوم التاريخية فتعلم ان أصحاب
المائم من المقلدين الجاهلين ، قد اتخذوها عسكرا لمحاربة العلم والدين ، بتضليلهم
وتكفيرهم للعلماء المستقلين المصلحين ، وأنهم بذلك مخالفون لهدي السنة التي كان
عليها الائمة الذين يدعون اتباعهم والانتساب اليهم لأن أولئك الائمة متفقون على
عدم تكفير أحد يشهد بواحدية الله تعالى وبصدق رسوله محمد (ص) في جميع
ما جاء به عن ربه عز وجل وإن خالف في مباحثه ما هو المشهور عنهم بل وإن
خالف النصوص متأولا لاجاحدا ، وقد صرح بعض فقهاءهم بناء على ذلك الاصل
المجمع عليه عند السلف (عدم تكفير أحد من المسلمين) بأنه اذا وجد مئة
قول قوي بكفر أحد وقول واحد ضعيف بإيمانه فيجب ان يبقى بهذا القول
وبحكم بإيمانه

بعد هذا التهيد أقول إن أبا حامد الغزالي رحمه الله تعالى كان من أصحاب تلك
اللوذنية والفطانة التي لا يرضى من أوتيتها بكفر نعمتها وعدم استعمالها ، وإن بدعة
التكفير كانت قد انتقلت في زمنه من المبتدعة الى المنتسبين الى السنة ، وإنه حين
في أول عهده بالاستقلال في العلم عن إظهار ما حالف فيه اجتهاده ما عليه جمهور أهل
عصره ثم أظهر بعض ذلك في الاحياء مع المداراة ، ونوع من المجازاة ، ثم قوي دينه وكل
يقينه فصرح في بعض كتبه المختصرة (كالقسطاس المستقيم) بما لم يصرح بمثله في
الاحياء الذي ذم فيه التقليد في مواضع كثيرة وجرى فيه على تقليد الشافعي في أكثر
الاحكام أو جميعها

هاج ذلك منه أصحاب المائم ، وسكنة الاثواب العباب ، وعجزوا عن مناظرته
فجردوا عليه سلاح الجهل والابتداع ، ورموه بالكفر والاحاد ، كما يفعل أقتالم وأضرابهم

الى الآن ، فلم يعبأ بجهلهم ، ولم يرجع الى باطلهم ، ولا سكت عن إنارة الاذهان ، بما وصل اليه من العلم والعرفان ، وهكذا كان المصلحون وهكذا يكونون ، الى ان تستثير العامة فتميز بين العلماء المستقلين ، وبين الادعياء الجاهلين ، فيعود نلامة الاسلامة مجددا ، وتطلع بعد الافول شمس بعدها ، والعاقبة للمتقين ، دولتمن نبأ بعد حين ،

فصل التفرقة بين الاسلام والزندقة

كتاب وجيز كتبه في هذه المسألة ابو حامد رحمه الله تعالى جوابا لمن بلغه تكفير بعض المتعصين لياه ، قال في أوله بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله وآله واصحابه مانصه

«أما بعد فاني رأيتك أيها الاخ المشفق ، والصديق المتعصب ، موغرا الصدر منقسم الفكر ، لما قرع سمعك من طعن طائفة من الحسدة على بعض كتبنا المصنفة في أسرار معاملات الدين ، وزعمهم أن فيها ما يخالف مذهب الاصحاب المتقدمين ، وان العدول عن مذهب الاشعري ولو في قيد شبر كفر ، ومباينته ولو في شيء نزر ضلال وخسر ، فهون أيها الاخ المشفق المتعصب على نفسك ، لا تضيق به صدرك ، وفل من غربك قليلا ، واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ، ، واستحقر من لا يحسد ولا يقذف ، واستصغر من بالكفر والضللال لا يعرف ، فأني داع أكل وأعقل من سيد المرسلين ، (صلى الله عليه وسلم) وقد قالوا انه مجنون من المجانين ، وأي كلام أجل واصدق من كلام رب العالمين ، وقد قالوا انه أساطير الاولين ، وياك ان تشتغل بخصامهم ، وتطمع في اخفامهم ، فتطمع في غير مطعم ، وتصوت في غير مسمع ، أما سمعت ما قيل

كل العداوات قد ترجى مودتها الا عداوة من عاداك من حسد

ولو كان فيه مطعم لاحد من الناس ، لما تلى على أجلهم رتبة آيات الياس ، او ما سمعت قوله تعالى (وإن كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نقافي الارض أو سلفا في السماء فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) وقوله تعالى (ولو فتحنا عليم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) فقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) وقوله تعالى (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فمسوا بأيديهم

قال الذين كفروا إن هذا الا سحر مبين (وقوله تعالى (ولو أنما نزلنا اليهم الملائكة
وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كان ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن
أكثرهم يجهلون) ١٤٠

أقول يريد أبو حامد رحمه الله تعالى أن مثل هؤلاء الشيوخ الحاسدين المتعصبين
على تقليدهم للأشعري كمثل أولئك المشركين لافي الشرك والكفر بل في الحسد
والتعصب وجعل همهم كله في إهانة من حسدوه وإظهار أنه على باطل وعدم توجيه
أذهانهم إلى فقه ما هو عليه والنظر في دليله، بل توجيهها إلى مكابرتة أو تأويله، وهكذا
يفعل أشباههم في الحسد والتعصب اليوم : ندعوهم إلى الكتاب والسنة ، ونطالبهم
بالآية والحجة ، فيأبون إلا التنبز بالألقاب ، والهجر والسباب ، ثم ذكر أبو حامد
أن هؤلاء لم يبق فيهم استعداد لمعرفة الحق في الإيمان والكفر وعل ذلك بقوله
« واني تتجلى أمرار الملكوت لقوم آلهم هواهم ، ومعبودهم سلاطينهم ، وقلبتهم
دراهمهم ودنانيرهم ، وشريعتهم رعونتهم ، وأرادتهم جاههم وشهواتهم ، وعبادتهم
خدمتهم اغنياءهم ، وذكرهم وساوسهم ، وكثرهم سواهم ، وفكرهم استنباط الحيل
لما تقتضيه حشمتهم ، ف هؤلاء من أين تتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الإيمان ؟ »
ثم ذكر أن جل بضاعتهم في العلم البحث في النجاسة ، وما أشبه ذلك مما لا يحلو
بصيرة ، ولا يطهر سريرة ،

زلزال المقلدين وشأنهم

بعد تلك الفاتحة ذكر أبو حامد فصلا في حال المقلدين موجه الكلام إلى مخاطبه
قال : (فصل) فأما أنت اذا أردت أن تنتزع هذه الحسكة من صدرك ، وصدر
من هو في حالك ، ممن لا تحركه غواية الحسود ، ولا قيده عمية التقليد ، بل تعطشه
إلى الاستبصار لحرازة اشكال اثارها فكر وهيجهما نظر . فخطب نفسك وصاحبك
وطالبه بحد الكفر فان زعم أن حد الكفر ما يخالف مذهب الأشعري أو مذهب
المتزلي أو مذهب الحنبلي أو غيرهم فاعلم انه غرر بليد ، قد قيده التقليد ، فهو أعمى

من العميان ، فلا تضع باصلاحه الزمان ، وناهيك حجة في الخامة ، مقابلة دعواه بدعوى خصومه ، اذ لا يجدين نفسه وبين سائر المقلدين المخالفين له فرقا وفصلا . ولعل صاحبه يميل من بين سائر المذاهب الى الاشعري ، ويزعم ان مخالفته في كل ورد وصدر كفر من الكفر الجلي ، فاسأله من أين ثبت له ان الحق وقف عليه ؟ حتى قضى بكفر الباقلاني اذ خالفه في صفة القاء لله تعالى وزعم أنه ليس هو وصفا لله تعالى زائدا على الذات ولم صار الباقلاني اولى بالكفر بمخالفته الاشعري من الاشعري بمخالفته الباقلاني ؟ ولم صار الحق وقفا على أحدهما دون الثاني ، أكان ذلك لاجل سبق في الزمان ؟ فقد سبق الاشعري غيره من المعتزلة فليكن الحق للسابق عليه ! أم لاجل التفاوت في الفضل والعلم ؟ فبأي ميزان ومكيال قدر درجات الفضل حتى لاح له أن لا أفضل في الوجود من متبوعه ومقلده ؟ فان رخص للباقلاني في مخالفته فلم حجب على غيره ؟ وما الفرق بين الباقلاني والكرائسي والقلانسي وغيرهم ؟ وما مدرك التخصيص بهذه الرخصة ؟ وان زعم ان خلاف الباقلاني يرجع الى لفظ لا تحقيق وراه كما تعسف بتكلفه بعض المتعصبين زاعما انهما جميعا متوافقان على دوام الوجود والخلاف في أن ذلك يرجع الى الذات او الى وصف زائد عليه بخلاف قريب لا يوجب التشديد فما باله يشدد القول على المعتزلي في نفيه الصفات ، وهو معترف بأن الله تعالى عالم محيط بجميع المعلومات ، قادر على جميع الممكنات ، وانما يخالف الاشعري في أنه عالم وقادر بالذات او بصفة زائدة فما الفرق بين الخلافين ؟ وأي مطلب أجل وأخطر من صفات الحق سبحانه وتعالى في النظر في فنيها وإثباتها ؟ فان قال انما اكفر المعتزلي لانه يزعم ان الذات الواحدة تصدر منها فائدة العلم والقدرة والحياة وهذه صفات مختلفة بالحد والحقيقة والحقائق المختلفة تستحيل ان توصف بالاتحاد او تقوم مقامها الذات الواحدة فما باله لا يستبعد من الاشعري قوله ان الكلام صفة زائدة قائمة بذات الله تعالى ومع كونه واحد (؟) هو تورا وأنجيل وزبور وقرآن وهو أمر ونهي وخبر واستخبار وهذه حقائق مختلفة وكيف لا وحده الخبر ما يتطرق اليه التصديق والتكذيب ولا يتطرق ذلك الى الامر والنهي فكيف

تكون حقيقة واحدة يتطرق اليها التصديق والتكذيب ولا يتطرق فيجتمع النفي والاثبات على شيء واحد فان تخط في جواب هذا او عجز عن كشف الغطاء فيه فاعلم انه ليس من أهل النظر وانما هو مقلد وشرط المقلد ان يسكت ويسكت عنه لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ولو كان أهلاً له كان مستتبعا تابعا واماما لا مأموما فان خاض المقلد في الحاجة فذلك منه فضول والمشتغل به صار كضارب في حديد بارد، وطالب لصلاح الفاسد، وهل يصلح العطار ما فسد الدهر، ولعلك ان انصفت علمت ان من جعل الحق وقفا على واحد من النظار بعينه فهو الى الكفر والتناقض اقرب. اما الكفر فلانه نزله منزلة النبي المعصوم من الزلل الذي لا يثبت الايمان الا بموافقته، ولا يلزم الكفر الا بمخالفته، وأما التناقض فهو ان كل واحد من النظار يوجب النظر وان لا ترى في ذلك الا مارأيت وكل مارأته حجة وأي فرق بين من يقول قلدي في مجرد مذهبي وبين من يقول قلدي في مذهبي ودليلي جميعا وهل هذا الا التناقض اه

أقول أعتبر بهذا من يجلون في هذا العصر ابا حامد ويعبرون عنه بالامام وحجة الاسلام فيكفون عن الطعن في العلماء المستقبلين الذين يدعون الامة الى البصيرة في دينها والاهتداء بكتاب الله وسنة رسوله (ص) ام يحملهم الحسد على الاصرار على الطعن فيهم وتغيير العامة منهم بذلك اللقب الممقوت عندهم (الاجتهاد) ويوهونها ان دعاة الكتاب والسنة، يمهونها من اتباع الائمة، والصواب الذي يمهونها من ذلك اولئك المقلدون الجاهلون الذين لم يتبعوا الائمة في الاهتداء بالكتاب والسنة ولا قرءوا كتبهم وانما يريدون ان تكون العامة وراءهم متبعة لهم والمستقلون لا يدعون احدا الى اتباعهم وتقليدهم في شيء قط وانما يدعونهم الى الرجوع الى الاصل

حد الكفر وتعريفه

قال أبو حامد : (فصل) لعلك تشتهي ان تعرف حد الكفر بعد ان تنافض عليك حدود اصناف المقلدين فاعلم ان شرح ذلك طويل ومدركه غامض ولكني اعطيك علامة صحيحة فطردها وتمكسها لتخذها مطمح نظرك وترعوي بسببها عن

تكفير الفرق وتطويل اللسان في اهل الاسلام وان اختلفت طرقهم ما داموا متمسكين بقول لا اله الا الله محمد رسول الله صادقين بها غير مناقضين لها فأقول :

الكفر هو تكذيب الرسول عليه السلام في شيء مما جاء به والايان تصديقه في جميع ما جاء به — الى أن قل في اجمال التفريع على هذا التعريف — فكل كافر مكذب للرسول وكل مكذب فهو كافر فهذه هي العلامة المطردة المنعكسة (فصل) اعلم ان الذي ذكرناه مع ظهوره تحت غور بل تحت كل الغور لأن كل فرقة تكفر بخالفها وتنسبه الى تكذيب الرسول عليه السلام فالحنبلي يكفر الاشعري زاعما انه كذب الرسول في اثبات الفوق لله تعالى وفي الاستواء على العرش ، والاشعري يكفره زاعما انه مشبه وكذب الرسول في انه ليس كمثل شيء ، والاشعري يكفر المعتزلي زاعما انه كذب الرسول في جواز رؤية الله تعالى وفي اثبات العلم والقدرة والصفات له ، والمعتزلي يكفر الاشعري زاعما ان اثبات الصفات تكفير للقدماء وتكذيب للرسول في التوحيد ولا ينبغي من هذه الورطة الا ان تعرف حد التكذيب والتصديق ومقتضيهما فيه فينكشف لك غلو هذه الفرق وامرافها في تكفير بعضها بعضا

فأقول : التصديق انما يتطرق الى الخبر بل الى الخبر وحقيقته الاعتراف بوجوده ما اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجوده إلا ان للوجود خمس مراتب ولأجل الغفلة نسبت كل فرقة مخالفها الى التكذيب فان الوجود ذاتي وحسي وخيالي وعملي وشبهي فمن اعترف بوجود ما اخبر الرسول عليه السلام عن وجوده بوجه من هذه الوجوه الخمسة فليس بمكذب على الإطلاق فلنشرح هذه الاصناف الخمسة ولنذكر امثالها في التأويلات :

اما الوجود الذاتي فهو الوجود الحقيقي الثابت خارج الحس والعقل ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة فيسمى اخذه ادراكا وهذا كوجود السموات والارض والحيوان والنبات وهو ظاهر بل المعروف الذي لا يعرف الا كثرون للوجود معنى سواه

وأما الوجود الحسي فهو ما يتمثل في القوة الباصرة من العين بما لا وجود له خارج العين فيكون موجودا في الحس ويختص به الحاس ولا يشاركه غيره وذلك كما يشاهده النائم بل كما يشاهده المريض المتيقظ اذ قد يتمثل له صورة ولا وجود لها خارج حسه حتى يشاهدها كما يشاهد سائر الموجودات الخارجة عن حسه بل قد يتمثل للأنبياء والأولياء في اليقظة والصحة صور جميلة محكية لجواهر الملائكة وينتهي اليهم الوحي والالهام بواسطتها فيتلقون من أمر الغيب في اليقظة ما يتلقاه غيرهم في النوم وذلك لشدة صفاء باطنهم كما قال تعالى (فتمثل لها بشرا سويا) وكما أنه عليه السلام رأى جبريل كثيرا ولكن مارآه في صورته الا مرتين وكان يراه في صور مختلفة يتمثل بها وكما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقد قال « من رآني في النوم فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي » ولا تكون روئته بمعنى انتقاله من روضة المدينة الى موضع النائم بل هي على سبيل وجوده في حس النائم فقط وسبب ذلك وسره طويل وقد شرحناه في بعض الكتب فان كنت لاتصدق به فصدق عينك فانك تأخذ قبسا من نار كأنه نقطة ثم تحركه بسرعة حركة مستقيمة فتراه خطا من نار وتحركه حركة مستديرة فتراه دائرة من نار والدائرة والخط مشاهدان وهما موجودان في حسك لا في الخارج عن حسك لأن الموجود في الخارج هي نقطة في كل حال وانما تصير خطا في اوقات متعاقبة فلا يكون الخط موجودا في حالة واحدة وهو ثابت في مشاهدتك في حالة واحدة

واما الوجود الخيالي فهو صورة هذه المحسوسات اذا غابت عن حسك فانك تقدر على ان تخترع في خيالك صورة فيل وفرس وان كنت مغمضا عينيك حتى كأنك تشاهده وهو موجود بكمال صورته في دماغك لا في الخارج

وأما الوجود العقلي فهو ان يكون للشيء روح وحقيقة ومعنى فيتلقى العقل مجرد معناه دون ان يثبت صورته في عقل أو حس أو خارج كاليد مثلا فان صورتها محسوسة ومتخيلة ولها معنى هو حقيقتها وهي القدرة على البطش والقدرة على البطش هي اليد العقلية واللقم صورة ولكن حقيقته ما تنقش به العلوم وهذا يتلقاه العقل من غير ان يكون مقرونا بصورة قصب وخشب وغير ذلك من الصور الخيالية والحسية

واما الوجود الشبهي فهو أن لا يكون نفس الشيء موجودا لا بصورته ولا بحقيقته لا في الخارج ولا في الحس ولا في الخيال ولا في العقل ولكن يكون الموجود شيئا آخر يشبهه في خاصة من خواصه وصفة من صفاته وستفهم هذا إذا ذكرت لك مثاله في التأويلات فهذه مراتب وجود الاشياء

(فصل) اسمع الآن امثلة هذه الدرجات في التأويلات . أما الوجود الذاتي فلا يحتاج الى مثال وهو الذي يجري على الظاهر ولا يتأول وهو الوجود المطلق الحقيقي وذلك كاخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن العرش والكرسي والسموات السبع فانه يجري على ظاهره ولا يتأول اذ هذه اجسام موجودة في انفسها ادركت بالحس والخيال او لم تدرك

واما الوجود الحسي فأمثله في التأويلات كثيرة واقنع منها بمثالين : احدهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش املح فيذبح بين الجنة والنار » فان من قام عنده البرهان على ان الموت عرض او عدم عرض وأن قلب العرض جسما مستحيل غير مقدور ينزل الخبر على ان اهل القيامة يشاهدون ذلك ويعتقدون انه الموت ويكون ذلك مرجودا في حسم لا في الخارج ويكون سببا لحصول اليقين باليأس من الموت بعد ذلك اذ المذبح ميوثس منه ومن لم يقم عنده هذا البرهان فعساه يعتقد ان نفس الموت ينقلب كبشا في ذاته ويذبح

المثال الثاني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرضت علي الجنة في عرض هذا الحائط » فمن قام عنده البرهان على ان الاجسام لا تتداخل وان الصغير لا يسع الكبير حمل ذلك على ان نفس الجنة لم تنقل الى الحائط لكن تمثل للحس صورتها في الحائط حتى كأنه يشاهدها ولا يتمتع ان يشاهد مثال شيء كبير في جرم صغير كما نشاهد السماء في مرآة صغيرة ويكون ذلك ابصارا مفارقا مجرد تخيل صورة الجنة اذ تدرك التفرقة بين ان ترى صورة السماء في المرآة وبين ان نغمض عينيك فتدرك صورة السماء في المرآة على سبيل التخييل

واما الوجود الخيالي فمثاله قوله صلى الله عليه وسلم « كأنني انظر الى يونس

ابن متى عليه عباءتان قسطوتيتان يابى وتجييه الجبال والله تعالى يقول له ابيك يابونس
والظاهر ان هذا لانباء عن تمثيل الصورة في خياله اذ كان وجود هذه الحالة سابقا
على وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انعدم ذلك فلم يكن موجودا في الحالة
ولا يبعد ان يقال ايضا تمثل هذا في حسه حتى صار يشاهده كما يشاهد النائم الصور
ولكن قوله (كآني انظر) يشعر بأنه لم يكن حقيقة النظر بل كالنظر والغرض التفهيم
بالمثال لاعين هذه الصورة وعلى الجملة فكل ما يتمثل في محل الخيال فيتصور أن يتمثل
في محل الابصار فيكون ذلك مشاهدة وقل ما يتميز بالبرهان استحالة المشاهدة فيما
يتصور فيه التخيل

وأما الوجود العقلي فأمثلته كثيرة فاقنع منها بمثالين : أحدهما قوله صلى الله
عليه وسلم « آخر من يخرج من النار يعطى من الجنة عشرة امثال هذه الدنيا » فان
ظاهر هذا يشير الى انه عشرة أمثاله بالطول والعرض والمساحة وهو التفاوت الحسي
والخيالي ثم قد يتعجب فيقول إن الجنة في السماء كما دلت عليه ظواهر الاخبار فكيف
تسم السماء لعشرة امثال الدنيا والسماء ايضا من الدنيا وقد يقطع المتأول هذا المعجب
فيقول المراد به تفاوت عقلي لاحسي ولا خيالي كما يقول مثلا هذه الجوهرة أضعاف
الفرس أي في روح المآلية ومعناها المدرك عقلا دون مساحتها المدركة بالحس والتخيل
المثال الثاني قوله صلى الله عليه وسلم « ان الله تعالى خمر طينة آدم بيده
اربعين صباحا » فقد أثبت لله تعالى يدا ومن قام عنده البرهان على استحالة يد
لله تعالى هي جارية محسوسة أو متخيلة فانه يثبت لله سبحانه يدا روحانية عقلية أغني
انه يثبت معنى اليد وحقيقتها وروحها دون صورتها ان روح اليد ومعناها ما به يطش
ويضعل ويمطي ويمنع والله تعالى يعطي ويمنع بواسطة ملائكته كما قال عليه السلام
« أول ما خلق الله العقل فقال - بك اعطي وبك أمنع - » ولا يمكن أن يكون
المراد بذلك العقل عريضا كما يعتقد المتكلمون إذ لا يمكن أن يكون العرض أول
مخلوق بل يكون عبارة عن ذات ملك من الملائكة يسمى عقلا من حيث يعقل
الاشياء بجوهره وذاته من غير حاجة الى تعلم وربما يسمى قلما باعتبار أنه تنقش به
حقائق العلوم في ألواح قلوب الانبياء والاولياء وسائر الملائكة وحيا وإلهاما فانه قد

٥٣٦ حد التكذيب الذي به الكفر . غدم تكفير المؤول (المار ج ٧ م ١٣)

ورد في حديث آخر أن « أول ما خلق الله تعالى القلم » فإن لم يرجع ذلك الى العقل تناقض الحديثان ويجوز ان يكون لشي واحد اسماء كثيرة باعتبارات مختلفة فيسمى عقلا باعتبار ذاته وملكا باعتبار نسبته الى الله تعالى في كونه واسطة بينه وبين الخلق وقلم باعتبار إضافته الى ما يصدر منه من نقش العلوم بالالهام والوحي كما يسمى جبريل وروحا باعتبار ذاته وامينا باعتبار ما أودع من الاسرار وذا مرة باعتبار قدرته وشديد القوى باعتبار كمال قوته ومكيننا عند ذي العرش باعتبار قرب منزلته ومطاعا باعتبار كونه متبوعا في حق بعض الملائكة

وهذا القائل يكون قد اثبت قلمنا ويدا عقليا لا حسيا وخياليا وكذلك من ذهب الى ان اليد عبارة عن صفة لله تعالى إما القدرة أو غيرها كما اختلف فيه المتكلمون

وأما الوجود الشبهي فمثاله الغضب والشوق والفرح والصبر وغير ذلك مما ورد في حق الله تعالى فإن الغضب مثلا حقيقته انه غليان دم القلب لارادة التشفي وهذا لا ينفك عن نقصان وألم فمن قام عنده البرهان على استحالة ثبوت نفس الغضب لله تعالى ثبوتا ذاتيا وحسيا وخياليا وعقليا نزهه على ثبوت صفة اخرى يصدر منها ما يصدر من الغضب كارادة العقاب والارادة لا تناسب الغضب في حقيقة ذاته ولكن في صفة من الصفات تقارنها وأثر من الآثار يصدر عنها وهو الايلام فهذه درجات التأويلات

(فصل) اعلم ان كل من نزل قولاً من أقوال صاحب الشرع على درجة من هذه الدرجات فهو من المصدقين وانما التكذيب ان ينفي جميع هذه المعاني ويزعم ان ما قاله لا معنى له وانما هو كذب محض وغرضه فيما قاله التليس او مصلحة الدنيا وذلك هو الكفر المحض والزندقية

ولا يلزم كفر المؤولين ماداموا يلازمون قانون التأويل كما سنشير اليه . وكيف يلزم الكفر بالتأويل وما من فريق من أهل الاسلام إلا وهو مضطر اليه فأبعد الناس عن التأويل احمد بن حنبل رحمة الله عليه وأبعد التأويلات عن الحقيقة واغربها أن تجعل الكلام مجارا او استعارة

هو (١) الوجود العقلي والوجود الشبهي والخبيلي مضطر اليه وقائل به قد سمعت الثقة من أئمة الحنابلة يفتادون ان احمد بن حنبل رحمه الله تعالى صرح بتأويل ثلاثة احاديث فقط احدها قوله صلى الله عليه وسلم «الحجر الاسود يمين الله في الارض» والثاني قوله صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن» والثالث قوله صلى الله عليه وسلم «اني لا جد نفس الرحمن من قبل اليمين» فانظر الآن كيف اول هذا حيث قام البرهان عنده على استحالة ظاهره فيقول - اليمين قبل في العادة تقر با الى صاحبها والحجر الاسود يقبل ايضا تقر با الى الله تعالى فهو مثل اليمين لا في ذاته ولا في صفات ذاته ولكن في عارض من عوارضه فسمي لذلك يمينا وهذا الوجود هو الذي سميناه الوجود الشبهي وهو ابعد وجوه التأويل

فانظر كيف اضطر اليه ابعد الناس عن التأويل وكذلك كما استحال عنده وجود الاصبعين لله تعالى حسا اذ من نقش عن صدره لم يشاهد فيه اصبعين فتأوله على روح الاصبعين وهي الاصبع العقلية الروحانية أعني ان روح الاصبع مابه يتيسر تقليب الاشياء وقلب الانسان بين لمة الملك ولة الشيطان وبهما يقلب الله تعالى القلوب فكني بالاصبعين عنهما وانما اقتصر احمد بن حنبل رضي الله عنه على تأويل هذه الاحاديث الثلاثة لانه لم تظهر عنده الاستحالة الا في هذا القدر لانه لم يكن بمعناني النظر العقلي واو امعن لظهره ذلك في الاختصاص بجهة فوق وغيره مما لم يتأوله، والاشعري والمعتزلي لزيادة بحسبهما تجاوزا الى تأويل ظواهر كثيرة وأقرب الناس الى الحنابلة في أمور الآخرة الاشعرية وفهم الله فانهم قرروا فيها اكثر الظواهر الايسرا، والمعتزلة أشد منهم توغلا في التأويلات، وهم مع هذا - اعني الاشعرية - يضطرون ايضا الى تأويل أمور كما ذكرناه من قوله انه يوثق بالموت في صورة بكش املح وكما ورد من وزن الاعمال بالميزان فان الاشعري أول وزن الاعمال فقال : توزن صحائف الاعمال ويخلق الله فيها اوزانا بقدر درجات الاعمال - وهذا رد الى الوجود الشبهي

البعيد فان الصحائف اجسام كتبت فيها رقوم تدل بالاصطلاح على اعمال
هي اعراض فليس الموزون اذا العمل بل محل نقش يدل بالاصطلاح على العمل ،
والمعتزلي تأول نفس الميزان وجعله كناية عن سبب به ينكشف لكل واحد
مقدار عمله وهو ابعد عن التعسف في التأويل بوزن الصحائف وليس الغرض تصحيح
احد التأولين بل ان تعلم ان كل فريق وان بالغ في ملازمة الظواهر فهو مضطر الى
التأويل إلا ان يجاوز الحد في الغباوة والتجاهل فيقول الحجر الاسود يمين تحقيقا ،
والموت وان كان عرضا فيستحيل فينتقل كبشا بطريق الانقلاب ، والاعمال وان
كانت اعراضا وقد عدت فتنقل الى الميزان ويكون فيها اعراض هي الثقل ومن
ينتهي الى هذا الحد من الجهل فقد انحلع من ربة العقل ، اه

باب المقالات

التعاون والتخاذل (*)

نحن في زمن فاز فيه المتعاونون ، وهلك فيه المتخاذلون ، سعدت فيه أم
بأعمال الجماعات ، وشقيت أم باسرة الافراد ، فالأم فيه درجات بعضها فوق بعض
فأعلاها ما كثرت فيه الجمعيات ، المتعاونة على الخير بقدر كثرة الخيرات ، ويلبها
ما قلت فيه الجمعيات فقاتها من الخيرات والمنافع ما فضلها به مافوقها ، ويعبر عن هذه
الأم بالأم الحية العريضة ، والحياة والعزة فيها متفاوتة - أو مقولة بالتشكيك كما يقول
المنطقيون - فلذلك يخاف ويرجو بعضها بعضا ، وأية أمة عاقلة تأمن سنة الله في
تنازع البقاء ، وطمع الاقوياء في الضعفاء ؟

(*) نشرنا هذه المقالة والتي تليها بجمريدة الحضارة التي تصدر في الاسبنة

واما الامم الذليلة التي تقابل هذه الامم فهي في دركات متفاوتة ايضا ادناها منها في القسمة العقلية ما ليس فيها جماعات تتعاون على الخير ولا على الشر ، ولا يخذل بعض افرادها بعضا في الاعمال النافعة ، ويلبها في السفل الامة التي يتخاذل افرادها في الخير فلا ينبري فيها احد لعمل نافع لها الا ويتصدى بعض الافراد لمناهضته وخذله . واما الامة التي تعد في الدرك الاسفل فهي التي تتألف فيها الجماعات لتأييد الباطل وعمل المنكر ، ولخذلان الحق ومقاومة المعروف ،

لا يخذل فرد من الافراد ، ولا جماعة من الجماعات ، علامن أعمال الخير لأمته مع الاعتراف بأنه خير ، وانما يخذلونه بادعاء انه شر ما او يشتمل على الشر أو يترتب عليه شيء من الشر ، ومنهم من يعتقد صحة ما يدعي لجهله كنه العمل او لان بغضه أو حسده للعامل يقرب صورة العمل في مخيلته ويلونه بغير لونه فهو ينظر الى ما في خياله ويحسب انه عين ما في الخارج ، ومنهم من يضل على علم ويتعمد الفرية والبهتان ، ارضاء لحسده او حسد من يغريه بالمقاومة والخذلان ، أو اعتذارا عن الامتناع من المساعدة التي تنتظر من مثله ، وهو يضل بها ولا يعترف بيخله ،

الحسود الذي يعني بحسده ، والشحيح الذي يطبع شحه ، وصاحب الهوى الذي يتبع هواه بالباطل لا مطمع في ابقاء شرهم الا باصلاح نفوسهم او مقابلتهم بقوة لا قبل لهم بها فان كان الاول متعذرا على العامل فالثاني مما يتيسر له الا اذا فقدت الامة استعداد الخير وكانت في حكم سنن الله في عدد الهلكى . واما من يخذل العمل النافع لاعتقاده انه ضار فعلاجه سهل وطبه حاضر اذا كان مخلصا تقيا سواء كان سبب اعتقاده الجهل المطلق ، او السخط الذي اراه العمل بغير صورته الحقيقية ، ولكن قد يعسر التمييز بينه وبين سيئ النية ، او تجهل الطريق لا يصلح العلاج اليه

ليس ينبغي وبين معالجة المخلص الحسن النية الا ان يصل صوتي الى أذنه او يلقي كتابي بين عينيه ، فيقرأ او يسمع الحجة التي ادلي بها اليه ، وكأني به وقد زال عنه الغشاء ، وانكشف له الفطاء ، فاستبق باب المثاب ، واستغفر ربه وأناب ، اقول له الخلاف بين البشر سنة غريزية فيهم لا مطمع في تبديلها فاذا جعلنا

الخلاف في الرأي والفهم سببا للتنازع والتخاذل ، نكون سجلنا على انفسنا الفشل الدائم والهلاك البطيء ، او العاجل ، ولا يختلف الناس في شيء كاختلافهم في الامور الاجتماعية وما به تترقى الامم او تتدلى لان كل واحد يدعي العلم بذلك وان كان يقل في الناس ذو العلم الصحيح التفصيلي بمسائل الاجتماع البشري واصلاح احوال الامم ، يقل ذلك في الشعوب التي استبحر فيها العمران وارتقت علومه ، ويكون اندر من الكبريت الاحمر في سائر الشعوب ، فان وجد فيها كان مجهول القدر ، غير متمكن من كل ما يقدر عليه من النفع ، بل ربما كان علمه سبب بلائه ومحقته ، واضطره الى الهجرة من وطنه ، وكأين من نبي كريم ، وعليم حكيم ، وصوفي كبير ، وسيامي خبير ، كافأه قومه على ما تصدى له من اصلاحهم باهراق الدم ، او النفي من الارض ، او الضرب او السب ، ثم ظهر في حياته او بعد مماته انه كان هو المصيب وكل من ناوله من الخطئين الخططين

اذا تذكر الخالف هذا ووعاه انتقل به الى البحث في ضعفنا ، وحاجتنا الى دفع الخطر عن انفسنا ، وكون ذلك لا يتم لنا الا بالتعاون والناصر ، مع ترك التخاذل والتدابير ، فان لم نفعل ذلك كان ما بقي لنا من القوة المسككة ممزقا ، وكنا نحن الممزقين فاذا هو فقه هذا وتدبره أقول له اننا اقوام نجتمع في أمور وتفرق في أمور ، فاذا نظر كل منا الى ما يخلفه فيه غيره دون ما يوافقه فيه وجعل ما به الخلاف قاضيا على ما به الوفاق تمزقت قوانا واذا نظر كل منا الى ما به الوفاق فعززه وقواه تتحد قوانا ويستفيد كل منا ويفيد

المختلفون منا في المذاهب متفقون في أصل الدين فلماذا يضع اهل كل مذهب مسائل الخلاف بينهم وبين اهل المذهب الآخر نصب أعينهم فيجعلونها سببا لاضعاف كل منهم للآخر ولا يجمعون ما به الوفاق من أصل الدين سببا لتقوية كل منهم للآخر وذلك لا يمنع كلا منهم ان يتفق مع من يوافقه في المذهب على اعمال أخرى تنفعهم ولا تضر غيرهم ،

لماذا يختصم السني والشيعة في بخارى مثلا ولا نفع لاحد منهما في اختصاصهما وانما الخسار عليهما معا والربح كله للروسية السالبة لاستقلالها والمستعبدة لهما معا ،

ولماذا يتقاتل الزيدي وغير الزيدي في اليمن وهو مما يصف كلاً منهما ، ولماذا لا يتحدثون فيما هم متفقون فيه كأصل الدين والوطن فيقوى كل منهما بقوة الآخر ويبقى حراً في مذهبه لا يجادله احد فيه الا بالتي هي أحسن فلا يعامل المسلم أخاه المسلم الذي يوافقه في الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بشر مما أمره الله تعالى ان يعامل به أهل الكتاب الذين يخالفونه في الايمان بخاتم النبيين والمرسلين ، وما انزل عليه من الكتاب المبين ، فان استكبر مخالفته إياه في فهم بعض النصوص حتى فهم كلمة التوحيد فليعلم ان آفة الخطي الجمل وانما يعالج مرض الجمل بالعلم والحلم دون العدوان والبغي ،

والمختلفون منا في الدين متفقون في أمور أخرى يقوى كل منهما بالارتباط مع الآخر بها كالوطن واللغة والجنسية السياسية فلا ينبغي ان يشتغل كل من المسلم والنصراني بمقاومة الآخر بما به الخلاف بل على كل منهما أن يشتغل بالتعاون مع الآخر بما به الوفاق ، فينضاض معا بعارة البلاد وتنمية الثروة وكل ما يتم به تعزيز الدولة ، وهناك المعيشة ،

والمختلفون منا في اللغات متفقون في واحدة او أكثر من الجامعات العظيمة التي اشرنا اليها كالدين واللغة والوطن والجنسية فليعمل كل قوم في هذه الدولة مع كل من يشاركهم في جامعة ما لتقوية تلك الجامعة ناظرين دائماً الى جهة الوفاق ، متسامحين فيما لاعدوان فيه من جهة الخلاف ، ومن يعيب منهم اخاه او يتخذله فيما يخالفه فيه من غير عدوان ولا بغي من ذلك الخائف فذلك إما غر مقتون ، وإما احد الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ،

اذا كان من المصلحة العامة ان يكون الاقوام والجماعات احراراً فيما يخدمون به الجامعة الخاصة والجامعة العامة فمن المصلحة ايضاً ان يكون الافراد احراراً فيما يخدمون به اللغة والوطن والدين والدولة ومن يكيد لأحد منهم ليجبط عمله فهو من المفسدين كالذين يكيدون لمدرس لكيلا يُنتفع بدرسه ، أو مؤلف ليعصرفوا الناس عن تأليفه ، أو لصاحب صحيفة ينشرها او خطبة يخطبها ، أو مدرسة يؤسسها فيبذرونها باللقاب ، ويصدون عنهم الناس ،

سيقول المحرفون ان في هذا القول مناجرة الانتقاد ، وابطالا لفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كلاً . ثم كلا . ليس هذا من المنع لما ذكر وانما هو عين الانتقاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهكذا فليكن الانتقاد والامر والنهي : بيان لبطالان الباطل ولحقية الحق من غير تهيج للعصية ، ولا لغراء بالاصرار على الخطية ، الاوليحاسب انفسهم المغرورون الذين يدعون القيام بهذه الفريضة ، ثم يخذلون العاملين بالسعاية والغيبة ، ولا يوجهون اليهم الانتقاد فيما بينهم وبينهم ، وياعجبوا لماذا يسكتون عن كثير من المنكرات المجمع عليها ، ويُعنون بتحمل الانكار في المسائل المجتهد فيها ، الا ان الحاسد المكابر لاعلاج له ، يبدأ به حسده فيقتله ، الاوان فيما قلناه مقنعا للمخلصين ، وذ كر فان الذكرى تنفع المؤمنين .

نابذة المدارس والمكاتب (*)

أناخ الصيف بكل كلاله ، وضرب الحر بجمرانه ، فانشأت المدارس والمكاتب توعد أبوابها ، وتشر على البلاد أزهار طلابها ، وتهدي اليهم جني جناتها ، فن طلابها من يغادرها موقتا لزيارة الوطن ، وصلة الرحم ، ويعود اليها جثم النشاط ، وافر الاغتباط ، ليتم المدة ، ويكمل العدة ، ومنهم من يودعها الوداع الاخير ، بقلب الحفيظ ولسان الشكور ، وهم المتخرجون الذين تم فصالحهم ، وبلغوا في هذه المعاهد رشدهم ، وأن لهم ان يخدموا الملة والامة بالاستقلال ويطلبوا بالثبات في خدمتهم درجة الكمال ، يرى الكثيرون من الناس ان الطالب الذي يغادر معهد العلم لاجل صلة الاهل ومودة القربى لا يطلب منه في مدة الصلة الا الراحة من تعب الدرس ، وترويض الجسم وترويح النفس ، بما يباح له من اللعب والاهو ، وان المتخرج قد استراح

(٥) المدارس في عرف الاستانة معاهد العلم الديني القديمة وان قرئ فيها غيره والمكاتب معاهد العلم النظامية العصرية ، وكتبنا هذه المقالة في الاستانة فالكلام فيها موجه الى العثمانيين أولا وبالذات فتيها ما هو خاص بهم واكثر نصائحها عامة . وما ننشره هنا اصح مما نشر بجريدة الحضارة وفيه زيادة

من عهد التحصيل والتعلم ، ودخل في طور الاستقلال والتمتع ، فما عليه الا ان يهتم
بجمع المال ، والتمتع بما يقدر عليه من الحلال ، ومنهم من لا يرى قيد الحلال ضروريا
ولكنه ربما يشترط المحاذلة على عرف الكبراء ، وعادات الاغنياء ، فما عرفوه من
المنكرات كان عنده معروفا ، وما انكروه من الفضائل والخيرات كان عنده منكرا ،
لهذا كانت سيرة الكثيرين من طلاب العلوم والفنون سيئة في اعتقاد الامة ،
وصورتهم المعنوية مشوهة في نظرها العقلي ، فهي تنهم نأبة العلوم الدنيوية بتهمة ،
ونأبة العلوم الدينية بتهمة أخرى ، وقد يكون لكل من الفريقين انصار من الاهل
والاصدقاء ، واصحاب الحاجات والخطاء ، يمتزجون بهم ، ويقنعون من الجاه بمصيبتهم ،
فينصر أحدهم الآخر ظالما كان أو مظلوما ، ويؤيده لأنما وملما ، فيسري بذلك
دود الفساد في جسم الامة حتي تكون من الهلكى ، ويتعارض الجاه بين رجال
الدين ورجال الدنيا ، فيتصادم حزباهما ، ويقع الشقاق بينهما

أيها النأبة الجديدة : قد آن لهذا التباين ان يزول ، قد آن للتعلمين ان يتجردوا من الاهواء
والحظوظ ، قد آن لهم ان يعلموا ان العلم فائدة فوق فائدة الحرفة ، وثمره اشرف من ثمرة الكسب
والتجارة ، قد آن لهم ان يعلموا ان المدرس والحاكم ، (عامل الحكومة) والطبيب والمهندس ،
ووكيل الدعوى ومحرم الجريدة منكم اذا لم يكن لهم غرض من عملهم الا الكسب
الذي يعيشون به فلا فرق بينهم وبين الصائغ والحائك والحداد والتجار والحمال كل
اولئك يعملون مالا بد للامة منه لاجل ان يعيشوا بثمره عملهم ،

تذكروا ان لكم وراء الكسب بعلمكم وعملكم عملا تقدرون عليه ولا يقدر عليه
غيركم ، ومقاما عاليا يسهل عليكم العروج اليه دون سواكم ، تذكروا انكم اتم المطالبون
باخراج أمتكم من ظلمات الجهل الى نور العلم ، ورفعها من حضيض الفساد الى اوج
الرشاد ، واقاذاها من مضيق الفقر والفاقة ، الى بحبوحة الغنى والثروة ، اتم المطالبون
بذلك بعرفتمكم قيمة انفسكم ، وبمحسن سيرتكم في خاصة انفسكم ، وبتعارفكم وتآلفكم
وتعاونكم فيما بينكم ، وبهدايتكم وارشادكم لغيركم ، وعلى كل من الراحلين الى البلاد
منكم واجبات ، أذكركم بها بهذه الكلمات :

ينبغي ان يوطن كل واحد منكم نفسه على خدمة الامة ورفع شأنها وان يراها

اهلا لذلك بما منحها الله من القوى اذا هو شكر الله عليها باستعمالها في ذلك ، فمن يوطن نفسه على ذلك ويحملها على الاستعداد له فعل همته ، وتغلب مروءته ، وتعلق آماله بمعالي الامور ويتنزه عن سفاسفها ، ومن لم يرج من نفسه الاصلاح كان جديرا بان لا يرجوه غيره منه ، وان لا يكون مصلحا بعلمه ولا عمله ، ومن لم يكرم نفسه لا يكرم يشبهه على بعض الناس تكريم النفس وحملها على معالي الامور بالعجب والغرور ، والفرق بينهما كالفرق بين الظلمات والنور ، والظل والحرور ، فالاول يكون عالي الاخلاق حسن الاعمال مع التواضع والنزاهة والبراة من التبجح والدعوى فهو قدوة حسنة في اخلاقه وآدابه واعماله ، وأما الثاني فهو يدعي ما ليس فيه ، ولا تهمة الاحتلوظ نفسه ، ويحب ان يحمدا بما لا يفعل ، ويحتقر العاملين ، ويفمط الحقوق ، فيكون قدوة سيئة في اخلاقه واقواله وافعاله

ان المعجب الغرور يرى نفسه في مرآته جميلا ولكنه في مرآة غيره دميم مشوه فهو لا يفش ولا يتخدع لانفسه الخبيثة ، واما عالي الهمة وكبير النفس فانه يراها دائما مقصرة لانه لا يعمل عملا الا وهو يرى ان الواجب عليه والمستطاع له اكثر منه واكل ، ولا يحجبه عن اعتقاده هذا حمد الحامدين له ، ولاناء الراضين عن عمله ، المعجبين بعلمه وأدبه ، فاذا فطنتم ايها الاخوة لهذا الفرق فاجعلوه ميزانا لكم في محاسبة انفسكم لئلا تكونوا حسانا في مرآة انفسكم قباحا في مرآة غيركم .

ان من الناس من يكون استعداده لمعالي الامور والقيام بالمصالح العامة قويا ومنهم من يكون استعداده لذلك ضعيفا ، منهم من تحرك هذه الذكري همته للعمل الذي يقوي الاستعداد ، ومنهم من لا يقيم لها وزنا ، ولا يفهم لها معنى ، فمن رأى انها هدته الى كنز ما كان يعرفه ، أو زادته شوقا الى شيء كان يحسن اليه ويألفه ، فليحمد الله تعالى وليشتر بأن سيكون ممن ترتقي بهم أمتهم ، وتعتز بهم دولتهم ، وتعمر بهم بلادهم ، ومن رأى انها من لغو القول ، أو من قبيل تكليف المشي على الماء ، أو الخروج الى السماء ، فليعلم انه خاق ليكون اجيرا يعمل ليا كل فلا يفشن نفسه بدعوى ما لم يخلق له

ألا وان العمل يقوي الاستعداد الضعيف فتحي وضعتم هذا الغرض الشريف

(نزقة الامة) نصب اعينكم ووطنتم انفسكم على السعي له في طريقه والدخول عليه من بابه ، فانكم في كل يوم تزدادون فضيلة وهمة واقداما

ألا وان التخلية مقدمة على التحلية فينبغي ان تطالبوا انفسكم بان يراكم قومكم في منصرفكم هذا اليوم خيرا مما فارقوكم عليه خلقا وادبا ورأيا وعملا وقولا ، يجب ان لا يروا منكم ما ينكرون ، وأن لا يسمعوكم ما يكرهون ، يجب ان يروا منكم العفة والنزاهة والتقوى والصدق والغيرة والحاسة والفتوة ، يجب ان لا تدعوا لهم مجالا للشك في دينكم ولا في اخلاصكم لامتكم ودولتكم ، فان ارتفعت همتم الى ذلك فابشروا فان فوزكم فيما تريدون من ايقاظ الامة وعزة الدولة سيكون قريبا لا تظنوا ان من كان فاقدا لشيء من تلك الفضائل ، او مبتلي بشيء من المعاييب ، وتكلف اخفاء عيبه ، و اظهار فضيلة ليست خلقا له ، يعد مراثيا منافقا ، فان الرياء والنفاق هو ان يصير المرء على عيبه ويرضى بالبقاء عليه ويحاول أن يوصف بضده ، او ان يعمل العمل امام الناس ليقولوا فلان عمل وهو لا يرغب في ذلك العمل ولا في ان يكون من أهله ، ولست في هذا ارغبكم بالرياء وانما ارغبكم في التكلف ، الذي هو طريق التخلق ، فالحلم بالتعلم ، كما ان العلم بالتعلم ، والترك داعية النفسان والهجر وسيلة السلوان ، على ان من يتكلف الخير رياء ، اقرب الى الخير والكمال ممن يعمل السوء جهارا ، وقد قالوا الرياء قطرة الاخلاص

اراني اطلت عليكم في مسألة واحدة ما كنت اريد الاطالة فيها ، كيلا يفوتني القصد فيما بيني عليها ، وهو ما ينبغي ان تحثوا الناس عليه ، وترغبوهم فيه ، واتي اذكر منه ما يخطر ببال من المهمات

اول ما تقنون به الترغيب في العلم في المكاتب والمدارس الرسمية والدينية الالهية على حسب الرغبة والميل وتيسر الاسباب

لاحديث كحديث العلم والتعليم يجب التوسع فيه ، والتبسط في ارجائه ومناحيه ، فينوا الامة فوائد التعليم الالهى الوطنى واقنعوهم بان ترقى الامة لا يكون الا به ، ورغبوهم ايضا في مكاتب الحكومة ، وبينوا لهم كيف يتوقف ترقى الدولة على نابغي

المتخرجين في مكاتبها الملكية والعسكرية والعلمية والقضائية وكيف تتزاحم العناصر العثمانية فيها لان هذا العصر هو عصر المباشرة بين العناصر

من فروع احاديث العلم او اصوله مسألة اللغة فينبوا للامة وجه الحاجة الى اتقانها لغتها ، وجعلها هي القطب لترقيتها في نفسها ، وينبوا لها وجه توقف ترقية الدولة على اتقان لغتها : لغتها الرسمية المنسوبة الى مؤسسها وهي العثمانية ، ولغتها الدينية من حيث هي اكبر دول الاسلام وهي العربية ، التي تستمد منها الدولة علوم الدين والادب والقضاء وبحسن الانتقال من الترغيب في التعليم العسكري الى الترغيب في الجندي نفسها ، حببوا هذه الخدمة الجليلة للامة ، بينوا لها الفرق العظيم بين الجندي البائس الخجير الجائع العاري الخافي في زمن عبد الحميد ، وبين الجندي العزيز الكريم الشبان الكاسي الذي خصص له في ميزانية الحكومة الدستورية اكثر من اربعة آلاف قرش في السنة ليعين كل من العرب والارمن لاهل بلادهم انه لا يلبق بهم أن يكونوا أشد العناصر تقصيرا في هذه الخدمة الشريفة من حيث هم اجدر العناصر بالسبق انيها والتبريز فيها لما هم عليه من الشجاعة والحمية والاقدام

اخبروا اهل كل مدينة وكل قرية وكل حلة وكل دار تحلون فيها عن مهمة ابناؤهم وطنا الارمن أنهم يبرنون جميع اولادهم في جميع مكاتبهم ومدارسهم على التعليم العسكري بلغتهم فسيكون جميع افراد هذا الجيل الجديد من الارمن جنودا سواء منهم الغني والفقير والرفيع والوضيع ، يقولون من دخل من أبنائنا في جندي الدولة كان متعلما متمرنا لا يلقى تحكما ولا اهانة بل يكون سابقا مقدما سريع الترقى ومن لم يدخل منهم لا يضره هذا التعليم الذي يروض بدنه ويعلي همته ويزيد نشاطه وقد يفيد في يوم ما ، فاذا رضي بعض قومكم بأن لا يكون للتعليم الاهلي عين في بلادهم ، ولا أثر بعد العلم بأن التعليم عام في الارمن شامل للجميع ذكرا منهم وإناثهم ، فهل يرضون ايضا ان يسبقوهم في ميدان الشجاعة والاقدام ، كما سبقوهم في حلبة العلم والعرفان ، ان كانت قد مرضت عقولهم ولتست نفوسهم حتى رضوا بالاولى فهل خدمت حميتهم وتضاءلت شجاعتهم فبرضوا بالاخري ؟ ؟ هذا ما لا يعترفون به ابدا بل لا يعترفون بالاولى أيضا وانما يعتذرون عنها فطالوهم بازالة العذر بالقول والعمل .

من هذا الباب ادخلوا على قلوبهم ، من هذه النافذة أشرفوا على خفايا الغيرة من زوايا سرائرهم ، بهذا الأسلوب من القول حركوا سوا كن النجدة والحمية من نفوسهم ، ثم أقنعهم بأن الإحصاء الدقيق لنفوسهم هو الوسيلة الاولى من وسائل الخدمة العسكرية الشريفة ، وان للاحصاء فوائد اخرى اهمها تكثير عدد المبعوثين على ذكر المبعوثين أقول انني اعلم انه لا بد لكم من الخوض في أمر المبعوثين وأعلم ان كثيرا منكم يغفلون او يفرقون في تقدمهم فأوصيكم في هذا المقام بثلاث (١) ان يكون جل كلامكم في ذلك علميا كيان معنى الحكومة النابية ، وما ينبغي ان يكون عليه النواب (المبعوثون) من العلم بالمصالح العامة ومن الصفات والاخلاق كاستقلال الرأي والاخلاص والشجاعة وحسن البيان وقوة العارضة وما يترتب على ذلك من ترقية الامة وعمران بلادها ومن اصلاح حال الدولة ورفعة شأنها ، فالبحث في هذا هو الذي يعد الامة الى حسن الاختيار في الانتخاب الآتي (٢) ان تذكروا المحسن من المبعوثين باحسانه والهام بهمته لتعرف الامة قدره وتكرمه فيكون الشكر مدعاة المزيد من حسن خدمته والارتقاء فيها ، وما وجب شكر المحسن في الشرع وحسن في نظر العقل الا ليكون مدعاة المزيد من الاحسان ، وليكون ذلك رافعا لهمة المستعد الخامل وشجاعة الجبان المتواكل ، — (٣) ان تنزهوا عن الطعن في الضعفاء العاجزين والذين رضوا أن يكونوا من غيرهم كقذح الركب ، او صدى الناعب ، وحسبكم ان تكونوا ادباء نزهاء غير غاشين ولا مخادعين ، وان تتحاموا بذلك اخراج الاضغان ، وتأريث العداوة والبغضاء ، انظروا الى الحسن وكبروه واعلوا شأنه وغضوا ابصاركم عن القبيح وادفنوه بالاعراض عنه والاهمال له ما وصلت الى هذا الرجا من ارجاء القول الا ورأيتني امام ميدان واسع لا يأذن لي ما بقي من المقال بالايحاف والايضاع فيه ، رأيتني امام مسألة مقاومة الجامدين والغافلين من الامة لاصلاح المصلحين وتغيير العامة عنهم ليحبط عملهم أو يبطئ نموه فتأخر فتراته ، هذا مرض من اعضل امراض هذه الامة قد قوى في هذا العصر باختلاف طرق التربية واساليب التعليم وقد اشرنا الى هذا في أوائل المقال فليكن أيها الشبان العقلاء ان تتبعوا في علاجه طريق التحصيل المنطقية في تمييز

الضروب المنتجة من الضروب العقيمة دون طريق الاسقاط ، عليكم ان تعظموا شأن الإصلاح والمصلحين ولا تذكروا خصومهم بسوء ، عليكم بيان الحق للامة فتى بان وظهر زهق الباطل وان لم تحاربوا اهل جهارا ، عليكم ان تكبروا قيمة حرية الفكر واستقلال الرأي ، وان تدعوا المخالفين الى المناظرة الادبية بالكتاب ، دون السعاية والاعتياب ، والتنازع بالالقاب ، فمن اعرض عن ذلك ظهر عجزه ، وبطل كده وسحره ، « فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك واقلبوا صاغرين » لاترضوا بالترف عما يزيد الشقاق في الامة بل وجهوا عنايتكم للتأليف بين العناصر المختلفة ، والاديان والمذاهب المتعددة ، اجمعوا ولا تفرقوا ، بشروا ولا تنفروا ، يسروا ولا تعسروا ، ان يد الله على الجماعة ، وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية ، بذلك يقوى استعداد الامة للإصلاح القريب ، والعاقبة للمتقين

عليكم أن تحموا الامة على النشاط في الكسب ، رغبوها في ترقية الزراعة وفي الاستعانة على ذلك بتعلم طرقها الحديثة في مدارس الحكومة ، ورغبوها في إحياء الصناعة الوطنية والاستزادة منها ، استعملوا المصنوعات الوطنية ورغبوها الاغنياء والحكام في استعمالها فان هذه هي الطريقة المثلى لرواجها ، رغبوها اهل الوطن في الاشتراك المالي في الزراعة والصناعة والتجارة فان هذا أقرب طرق الالفة والاتحاد

وأخص طلاب العلوم الدينية بأن يترفخوا عن الظهور بمظهر الفاقة ، أو يرضوا لانفسهم بشيء من المهانة ، أذكركم بأنهم أجدر الناس بعزة النفس وكرامتها ، والزهد فيما في أيديهم من حطامها ، فعليهم ان يكونوا قدوة في أخلاقهم وفضائلهم ، لتقبل اقوالهم في الحث على الفضيلة والتقوى ، علموا الناس السنة ، فزروهم من البدعة ، فكل حديث في الدين بدعة سيئة ، واما الابتداع في أمور الدنيا فتعزيره الاحكام الخمسة ، ابنوا وعظكم دائما على آيات القرآن ، وأمزجوه بالاحاديث الصحيحة مع عزوها الى مخرجيها ، قاوموا دجل الدجالين ، واجمعوا بين مصالح الدنيا وحكمة الدين ، « ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين »

البهتان العظيم

كنت سامرا مع ناظر الداخلية بداره في اوائل المحرم فذكرنا سوء التفاهم بين العرب والترك فذكر أن عبيد الله افندي مبعوث آيدين شينشي جريدة عربية في العاصمة لاجل هذه المسألة وفهمت منه ان ذلك برأي الحكومة ومساعدتها فقلت يخشى ان تزيد هذه الجريدة في سوء التفاهم فان مديرها مشهور بالتعصب على العرب فلا يقون بقوله ولا بنيتة فهلا اخترتم لهذا العمل غيره . قال الناظر انه يظهر لنا انه محب للعرب غال فيهم ولعلكم سمعتم ما ذكرتم عنه من بعض مناظريه من مبعوثي العرب ، قلت لا وإنما انا أعرفه بنفسه فانه كان بمصر وكان يصرح في المحافل العامة بما يستنكره العرب وبأنه ينبغي للترك ان يستغنوا عن اللغة العربية حتى عن القرآن العربي بأن يترجموه بلقمتهم وقد جرت بيني وبينه مناظرة في ذلك . قال الناظر اما الاستغناء عن القرآن العربي يترجمه فلا أوافق عليه ولكني أعرفه محبا للعرب وفي ذلك الشهر نفسه اصدر عبيد الله افندي جريدته وكان من أمرها ما عرف الخاص والعام فقد قامت عليها قیامة الجرائد العربية في مصر ولايات سورية كلها وفي أمريكا تفضح مقاصد صاحبها وفي إلقاء الشقاق والبغضاء والتعصب الذميمة الجنسي والديني بين العرب وشكوه الى الحكومة وطعنوا في الحكومة ولا سيما نظارة الداخلية لما شاع وذاع من مساعدتها له وصار يضرب باسمه المثل في التفريق والافساد بين جميع الناطقين بالضاد ، ونحمد الله أن جاء ماسعى اليه في جريدته من إثارة الفتنة بين المسلمين والنصارى في بيروت وسائر البلاد السورية بضد ماسعى اليه فقد تمكنت الالة والوحدة الوطنية بين الفريقين واتفقت جرائدهما على ذلك

من غرائب هذا الرجل انه يجمع في جريدته بين الاضداد والنقائص فيمدح الشيء ويذمه مطلقا ويثبت الشيء وينفيه كذلك ، ويبحث على الامر وينفر عنه فاذا اعترض عليه في بعض ما يكتبه أمكنه أن يدعي لنفسه الطرف الآخر ويستدل عليه ببعض ما كتبه فهو في مشربه وحاله وعقله واخلاقه ليس اهلا لان يناظر أو

• • • مكابرة عبيد الله - تحريف الكلم عن مواضعه (المراجع ٧ م ١٣)

يجادل وإنما اهتمت الجرائد العربية بشأنه لاعتقادها ان الحكومة هي التي دفعت
الى هذا العمل ولاجل أن تتخذ فتنة ذريعة لجمع الكلمة بين أبناء الوطن العربي
لمقاومة من اتفقوا على أنه عدو لكل عربي

ومن غريب امره انه لا يستحي من مكابرة الحس ، واعطاء الضد حكم
الضد ، فهو يصرح بأن العرب كلهم مسلمون وانه لا يعقل هو ولا أحد من الترك
انه يوجد في العرب نصراني • وهـل هذا في المكابرة ما بهتني به وياله من بهتان
عظيم قلما يوجد في المخلوقين بشكل الانسان من يرضي لنفسه التصريح بمثله وهو
بهت الانسان جهرا في كتابة تطعيم وتشنر بضد ما هو مشهور به وتحريف كلامه المعروف
عندهم والاصرار على ذلك بعد انكار الجماهير عليه في الاقطار المتفرقة والبلاد الكثيرة
أحمد الله تعالى أن عرف لي كل من يعرفني اخلاصي في الدعوة الى
الوفاق والاتحاد بين المتفرقين في الاديان والمذاهب والاجناس والمشارب ، فكم
دعوت المسلمين الى الاتفاق مع من يعيش معهم في كل قطر ومملكة وكم دعوت
العثمانيين خاصة الى الاتحاد وكم سعت في هذه السبيل • ولما حدث ما حدث بعد
الدستور من سوء التفاهم بين العرب والترك سعت الى تلافي ذلك بالقول والكتابة
والسعي عند أولي الامر في العاصمة لكن لم يظهر لي أحد من أولي الامر العناية بما
سعت اليه الا حسين حلمي باشا في وزارته ولكن سر به كثيرون من الفضلاء •
وكنت نشرت عدة مقالات في ذلك بجرائد العاصمة التركية والعربية قبل ظهور
جريدة الحضارة وعدة مقالات في هذه الجريدة

حقد عبيد الله نظره في هذه المقالات ودقق النظر لجديها عبارة تقبل التحريف
بمراد ظاهر ليجعله تكأة له في هجوي وذمي والتنفير عني وعن مشروع فلم يجد
فعمد الى البهتان المبين فنقل من إحدى مقالاتي في جريدة الحضارة جملة محكية عن ساسة
أوربا الذين يريدون القضاء على هذه الدولة بتفريق عناصرها مع الرد على أولئك
الساسة وتحذير العثمانيين من الاصغاء اليهم وحشم بالبراهين على الاتحاد الذي فيه
خيرهم اجمعين • فزعم أولا أنني كتبت تلك العبارة عن لسان الاوربيين لاجل
تفريق العثمانيين وانه لا يوجد في الاوربيين من يرغبنا بالتفريق وإنما هم يدعوننا

الى الموافق ١١ ثم سكت مدة وصار ينقل تلك العبارة ويعزوها الي مباشرة وترجمها الى التركية غير مرة لينفر اخواني الترك مني ، ولم يخجل من ادعائه اني انا الذي أقول تلك الاقوال وأدعو العثمانيين الى التفرق والانفصال ، فثله كمثل من يعمد الى مثل قوله تعالى « وقالوا ان هذا إلا إفك افتراه واعانه عليه قوم آخرون » الآية وقوله « وقالوا اساطير الاولين اكتبها فهي تمل عليه بكرة وأصيلا » فحذف من الآيتين لفظ « قالوا » وزعم ان القرآن يطمئن في القرآن وفي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « سبحانك هذا بهتان عظيم » وقد روينا في الصحيحين والسنن ان النبي (ص) قال « انما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت » أنكر علي عبيد الله أولا ان في الاوربيين من يرى في ترويج سياسته تفريق العثمانيين بعضهم من بعض ولا سيما الترك والعرب ، أنكر ذلك وهو يعرفه كما هي عادته وفي كلامه ما يشعر به بل صرح به في العدد الاخير من جريدته الذي أعلن فيه إيقاف إصدارها الآن ولكن القافلين من قرائها الذين يفسون عند قراءة كل عدد ما كتب في غيره بل عند كل جملة ما يناقضها من الجمل قبلها قد يصدقونه فيما بهتي به ومن الاخلاق التي رسخت في هذه العاصمة وفي رجال هذه الحكومة خلق التسليم والتصديق بالشر والارتياح في الخير طبع هذا الخلق في نفوس الكثيرين منهم العهد الحميدي الذي لم يكن لهم فيه من شاغل الا الوسوسة والتجسس والانهام بالشر هذا وانا نحن الذين عشنا في شر أيام العهد الحميدي في مصر بهيدين عن استبداده وعن وساوسه أعرف بسياسته من الذين عاشوا فيه واعرف بسياسة أوربا أيضا وقد اشترت في مقالات (العرب والترك) الى بعض سعي الافرنج من استقلال العرب وعبيد الله يعرف شيئا من هذا ولكنه يعتمد كتم الحق واظهار الباطل لما له من الهوى في ذلك . ويمكنني ان اقل كلمة وجيزة في هذا الباب من الكتاب المسمى (الدول المعظمة امام الانقلاب العربي) الذي ألفه اوجين جونف الذي كان واليا لفرنسا في الهند الصينية وهي قوله في ص ٢٢٨ مترجمته :

« ان العناصر التي تتكون منها الدولة العثمانية وهي الالبان والمكدونيون في أوربا والاروم في جزائر الارخبيل والارمن والاكراد والعرب في آسيا كلها اصبحت منذ

زمن تتحرى طريق الانفصال من هذه الشجرة التي نخرها دود الفساد فلو نظرنا الى كل من هذه العناصر نجد العنصر التركي أدناها (ادونها) الا ان السبب الذي ساعده على استبقاء نيره على عاتق هذه العناصر الى اليوم انما هي مهونة العنصر العربي له الذي هو في نفسه أكثر عددا من جميع تلك العناصر وفي جعلها العنصر التركي وما وفق الترك الى ضمان اخلاص العرب لهم وارتباطهم بهم على كونهم يظلمونهم كسائر العناصر الا باستنجادهم الديني لشعورهم الديني وجعل المصاحبة التركية عين المصاحبة الاسلامية

« فالعرب اليوم قد شعروا بوجودهم وصاروا يأفنون أن يخدعوا بعد ذلك وأن يحافظوا على سلاسل اسرهم وأغلال استعبادهم - فيكفي ان يد العرب إمدادا قليلا حتى تهدم الدولة العثمانية من نفسها كما يهدم القصر الميين من ورق اللعب » اه
فهذه كلمة وجيزة من أحد الكتب الكثيرة التي ألفها الاوربيون لاغراء أوربا بفصل العرب من الترك واسقاط هذه الدولة لا سمح الله وقد صدق في قوله ان العرب مخلصون لهذه الدولة ولاخوتهم الترك وان سبب ذلك الاسلام وكذب ايهاهه لقومه اننا تحولنا عن اخلاصنا . ولكن اذا بقيت جريدة عبيد الله تنفث سموم التفريق والافساد حتى أنست العرب ما كتبتة اقدم وغيرها من قبل ولم تتدارك هذه الحكومة ذلك وسائر ما نصحنها لتداركه فلا يعلم الا الله مصير الامور . ونحن قد نصحنها قومنا ونصحنها حكومتنا كما امرنا نبينا (ص) بقوله « الدين النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم

(الاغلاط التي وقعت في الجزء السادس من هذا المجلد وصوابها)

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٠١	٩	غيره	غيرهم	٤٠٩	١٦	خطأ	صواب
٤٠٢	٥	من	في	٤١٦	٢٣	ينها	ليس بينهما
٤	٩	ومن قوله	و« من » في قوله	٤١٩	١٢	عند الامم	كان معروفاً عند الامم
٤٠٤	٩	انه أسلم	انه اذا أسلم	٤٢٣	٧	الخيرة	الخيرة
٤٠٥	٣٣	غوضا	عوضا	٤٤٤	٣	الاذكياء بالجمع	الاذكياء الالباء بالجمع
٤٠٧	٨	الجنس	الجنسين				

الفصل الثالث والعشرون (*)

﴿ اعلان الدعوة ، واحتمال الاذى ، والثبات ﴾

لم تقف فضائل السيدة « خديجة » عند ما ذكرناه الى الآن من سيرتها بل هي كالينابيع الثرور لا تفيض . والآن يشرف القارئ معنا على مجي من اعظم المجالي لفضائل هذه السيدة الجليلة . جاء الآن دور الثبات في سبيل الحق ، وهذا الثبات لا نجده في كل عصر الا في صحائف افراد ندرتهم بين بني آدم أعظم من ندرة الياقوت بين الحجارة ، وكثرة فوائدهم أعظم من قطرات الغيث

لقد مر على بني آدم ألوف من الاعوام وفي كل عصر وجد منهم ألوف الالوف ومن كل هذا العدد العظيم لا نعرف مثله ثبتن في سبيل الحق مع شدة المعارضة ثبات « خديجة » أما ثبات بعلمها الكريم فلا ينبغي أن نقيس به بعد ما قدمناه ثبات أحد فاننا قد وصلنا في الفصول السابقة الى بيان أنه مؤيد أعظم تأييد ، وأنه سمع الوحي الإلهي أمرا اياه أن يقوم بأعباء الرسالة والتبليغ ، فأصبح الفرق بينه وبين غيره عظيما جدا منذ أناه هذا الوحي . وعندنا معشر المؤمنين به أنه هو المختار الاعظم ، والمصطفى الاكبر ، فلذلك لا نرى ثباته في سبيل الحق يعادله أو يقاس به ثبات ظل هذا المختار ثلاث سنين يدعو سرا ثم أمر أن يجهر بالامر فلم

(*) تابع لما نشر في (م ٤٧٣ م ١٣) من سيرة السيدة خديجة بقلم السيد عبد الحميد الزهراوي

يجد الى جانبه زوجة تثبط وتخوف أو يضعف قلبها فتؤثر الراحة وطمأنينة البيت على النصب واحتمال الاذى بل وجد قرينة صالحة القلب للوقوف معه بالصبر والسكينة أمام المعارضين والمعارضات وما أشد ما كان أمام هذا الداعي الى غير ما عرف القوم وما أخرج هذه الحالة الى قلوب كلما كبر المماندون كيذا تقول « الله اكبر » ١؟

الله اكبر ، كان المماندون افرادا وجماعات قد امتلكت الانفة والعزة نفوسهم ، واجتذبت قلوبهم ، وامتصت من أفئدتهم الندادة فأصبحت سمات الهدى تزعجها ، وحرارة الانذار تكاد تحرقها ،

قريش وما قريش ١؟ قبيلة ترى لنفسها السبق بكل فضيلة والشرف على كل فضيلة ، لها انوف شاذة كأنها تطاول السماء ، وأعناق ملتمة كأنها تصيد كل علياء ، تعاد كل قوم بالنجباء فتكثُرهم ، وتفاخر من تشاء بالعطاء فتفخرهم ، ثلما بين القبائل كالشمس مكانة ، وكالروضة نضرة وغيرا

هذه القبيلة التي حالها ما وصفنا من قوة الشكيمة وشدة الالباء ومزيد التعالي كانت قد أصيبت من الاقتداء بمضرته اذ كانت بعض العقائد التي صادفتها في موردتها ومصدرها في البلاد المجاورة قد التصقت بمقولها حتى أصبحت ترى التصدي لا قتلا عما منها اعتداء على حقوقها ، وانتهى كالحرماتها هذه القبيلة كان لها من نور الذكاء ما يبهز الناظرين ولكن قد تراكت على افكارها سحائب من آثار التقليد حالت بين ذكائها وبين الحقائق العالية حتى رأيناها ندرج مع البلاء في مدرج واحد من تأليه صور صماء عمياء بكماء جامدة قد صنعتها الأيدي فقامت تحسب أن هذه الصور تفر وتنفع ، وتجلب وتدفع ، وتقرب الى الخالق الأعظم وتشفع ،

وراحت تعلن أن لهذه الصور مجدا ، وتستحق شكرا وحمدا ، وظلت تصنع لها ما تصنع الامم لا لهما من ذبج القرابين ، ونذر الذنور ، وتوجه القلوب ، وإخبات الصدور ، وتعلق القلوب

نعم ساورت تلك العقائد قلوبها حتى صارت الانفس فيها لا تنبسط لشيء انبساطها لتمجيد تلك الآلهة ولا تنقبض لشيء انقباضها للطعن فيها أو النقص من تكريمها

هذه حال القوم الذين أمر هذا الرسول أن يقوم فيهم منذرا وداعيا الى معرفة الله تعالى وتوحيده ، وكانت قريش تعرف هذا الاسم الجليل الدال في هذه اللغة على واجب الوجود موجد السموات والارض ولكن لم تكن تعرف ما ينبغي أن يكون عليه جلال الذي يعبر عنه بهذه الكلمة من انكمال والبعد عن مشابهة الحوادث ، وقد جررها الجهل بالله تعالى وسننه وآياته الى ماجر كثير من الامم اليه من جهل كثير من الحقائق. واني ما أشبه نتائج الجهل به عز وجل الابسلة طويلة يستدرج بها ذلك الجاهل الى أسوأ النهايات اذا لم تتداركه الاسباب من عناية الرؤوف الرحيم جلت آلاؤه ، وتعالى أسماؤه

ولقد كاد حظ قريش من هذه السلسلة - سلسلة الجهل - يصل بها الى مستقر لا تغنيها فيه الرفعة على أمثالها من ضرب الجهل خيامه عند خيامهم ، ولا تجديها القوة اليسيرة التي كانت تجدها في اجتماعها ذلك . كاد الاتكال على الاصنام يعقّي كل آثار الفطرة منها ، ويطمس كل رسوم الذكاء ، ويذهب بما زركه فيها من المحاسن بمض فضلا الاسلاف قبل عهد هذه الآلهة التي فتنوا بها . أصبحت لا تعي ماهو فضل الله ، وما هي

رحمة الله، وما هي عناية الله، وغدت بعيدة عن معرفة ماهو الروح، وما هي خصائص الروح، وما هي عبادة الروح للاحد المحيط بكل شيء، وراحت معرضة عن العلم بمراقى الامم واتساع دائرتها، وعن معرفة وظيفتها من تميم ارادة الفاطر باظهار البدائع على يدها، وظهور الآله وآثار عنايته عليها، وأصبح قصارى مايجول بفكر الواحد من هؤلاء القوم أحدثيئين يشيلان في ميزان المقلد، شيء يرضي به وهمه في التزلف الى تلك الحجارة التي اتخذها آلهة، وشيء يرضي به وهمه في الكبرياء، ولم يدر مغرورهم أن التزلف الى تلك الحجارة وأمثالها هو منتهى التسفل العقلي، وأن تلك الكبرياء، لا تجديهم شيئاً اذا دهمهم داء خارجي، كما وقع لهم يوم «أبرهة» هذه السلسلة الطويلة من نتائج الجهل بالله تعالى وسننه وآياته أصبحت قيذاً لمداركهم قد أحكمت حلقاته فهم لا يستطيعون مادام موجوداً أن يبرحوا ما هم فيه لان جاذباً منه يجذبهم من حيث لا يرونه كلما تحركوا هذه هي السلسلة التي اقتضت عناية البارئ أن تظهر آية عظيمة في قدها وتخليص تلك الفطر من قيدها، واقتضت الحكمة البالغة والتدبير الاسمي أن يكون ذلك بواسطة من انفسهم، وأن تجري الهداية على سننها في الاولين فيلاقي الوسطة ما يلاقي، ويهبر ما يصبر، ويتم الله ما يريد. ولذلك لما قام هذا المصطفى يطن هذه الدعوة: لقي تلك الصوامد وماتلك الصوامد؟ جهل وغرور، وكبرياء وعتو، وقسوة وفظاظة، وتعصب للمألوف، وشرقة من الوعظ والنصح، واباء أمام الانذار، وطينان وبهتان وعدوان، واقدام على قتل الذي يذكر آلهتهم بما يكرهون أي قلب لولا التأييد الرباني يجد الى الصبر سبيلاً أمام هذه الصوامد،

وأي ناصية لولا العون الرحمني تظهر للقاء هذه الصوامد ، وأي امرأة غير «خديجة» ترى بملها في جوف هذه الفوائل ثم لا تزيد الا حمداً على القيام بوظيفته وايناساً بوقوفها معه في وجه كل خصم لدود أوفدي (عليه صلوات الله وتسليماته) بأنواع الاذى لما أسمعهم الدعوة ، تكاثر المفتاتون عليه والمفترون ، وظاهر سوادهم الجاحدون والممترون ، من اقرب اقربائه ظهر الجافون المتباعدون عنه ، والمهازئون به والساخرون منه ، دع عنك البعداء ، ومن اكل قلوبهم حسداً أو بنضاء ، قال المفترون هو يطلب الملك علينا ، وقالوا عن الوحي الالهي هو شعر جاء به الينا ، وقد حشروا ما عرفوه من العيوب وأرادوا عزوها اليه لينفروا الناس منه وينتقموا لآلهم التي بداهم بمجودها ، وكشف لهم عوار جودها ، وأيسر ما فعلوه سبهم اياه والمزء به والاقتراء عليه ومجافاته ثم مجافاة من لم يجافه فعلوا كل هذا وهو متدرع بالصبر ، مثابر على الصدع بالامر ، وفي هذا كانت معه هذه الدرجة الشريفة الفاضلة تعلم محبي الحق كيف يكون الصبر من أجله ، وتهدي الى الاجيال الآتية اجمل صورة لثبات الجأش أمام الصعوبات

وباما أحلى الصبر اذا كانت عاقبته كماقبة صبر هذا الرسول الكريم فقد كانت المقبي ذلك الفوز العظيم الذي بقل في الدنيا من لم يسمع خبره ولنم عقي الصابرين

— خلاصة الدعوة —

أما الدعوة الشريفة التي أعلنها فهذه أصولها :

(١) العلم بأن لا شيء يستحق التأليه الا الله الخلاق العظيم الذي

لا يشبه الحوادث ولا يشبه شيء منها

(٢) العلم بأن هذا الباري المصور ذو عناية خاصة بالنوع الانساني ومن عنايته به اتخافه بصنوف الهدايات ومنها الهداية بواسطة وحي أعلى للرسل المصطفين

(٣) العلم بأن هذا الداعي الجديد الى الله هو رسول مصطفى قد أرسله الله بدين يدعو الى السعادة في هذه الحياة وحياة أخرى يوم الجزاء
(٤) العلم بأن الايمان بهذا الرسول يقتضي الاذعان والتسليم الى كل ما جاء به هذه أصول الدعوة التي كان مأمورا أن يبدأ بها الناس وهي ملخصة بهاتين الجملتين الشريفتين «لا إله الا الله محمد رسول الله» فمن قالهما مطمئنا بهما قلبه دخل تحت اللواء المحمود لواء الحمدبة الذي يظل مثاث الملايين في يومنا هذا

والرسالة المحمدية لم تكن لقريش ولا للعرب خاصة بل هي للناس كافة وليكن البدء بالعشيرة الاقربين كان هو الذي تقتضيه الحكمة حتى اذا أجابوا كانوا عوناً للدعوة لا عوناً عليها

الفصل الرابع والعشرون

(بعد عشر سنين)

بعد عشر سنين من عهد الرسالة كان المؤمنون قد كثروا واخذ العناد من الخصوم يزيد ، وجعل الحسد يلهب في قلوبهم لهذا النجاح الذي كانوا يحسبون محالاً ولم يحسب أمثالهم مثل هذا الحسبان

كان الجاحدون في نار من ذلك الحسد ، والمؤمنون في جنة من الفرح بنعمة الله ورحمته ، كان الجاحدون يفكرون كيف يزهدون هذا الروح الجديد ، والمؤمنون ينتظرون من مولاهم اعلاء شأنه ، كان الجاحدون حيارى في هذا الداعي فطورا يسبون وطورا يهزأون به ، وأحيانا يرجعون الى أنفسهم ويحاسبون حسهم وعقلهم فيه فيجدونه بعيدا عن المين وسائر المظان التي كانوا يظنون ، وكان المؤمنون من يقينهم في حظ عظيم من الطمانينة وانسراح الصدر وفرح الضمير . كان الجاحدون يرجعون الى تلك الحجارة فيشكون اليها المحمدين وما أتوه من مخالفة قومهم وتأيد ذلك الرجل الذي لا يذكر آلهتهم الا بسوء ، وكان المؤمنون يرجعون الى من لا تدركه الابصار متوجهة اليه وجوههم ، مسلمة اليه قلوبهم لا يتوكلون الا عليه ولا يأخذون الا بسنته . كان الجاحدون عكوفاً حول تلك الاصنام الجامدة ، وكان المؤمنون يقولون سبحان الله سبحان الله عما يصفون ، تعالى الله علوا كبيرا . كان الجاحدون كثيري النعم والمهم ، وكان المؤمنون مع شدة ما لاقوه من الاذى فرحين مستبشرين قد أبدل الله لهم مرارة الصبر حلاوة ، وذلة القلة عزة ،

وفي أواخر تلك السنين العشر الشداد كان على سرير الاحتضار شخص عزيز جدا عند المؤمنين ولم يشمت الجاحدين في تلك الايام شي مثل مفارقة هذا الشخص لذلك العالم الاسلامي الذي نشأ وترعرع بينهم بالرغم منهم كان في هذا الشخص العزيز روح ترفرف في هذا المحيط الصغير ، تارة ترفع البصر الى مقرها الاقدس عند المحيط الاعظم فتحاول الطيران اليه ، وتارة تلقي به على هذا المحيط الذي أنست به فتظل مرفرفة عليه ، وجانحة

الى المكوف لديه ، وكان جاذب من قلوب هذا العالم الاسلامي يتمنى بقاءه ،
وجاذب من امر الله وسنته يقضي بطيرانه ، وأمر الله أعلى واليه المصير
هل عرف القارئ من هذا المودع العزيز ذلك كان شبح سيدتنا
« خديجة » فقف أيها القلم خاشعا ، لقد ماتت من تركت للفضائل حياة
لا تقنى ، لقد انتهى هذا العمر الذي أمدك بهذه المواد السامية ، ولن
تجد لك أيها القلم شرفا بعد هذه السيرة الا اذا سرت بنقل التاريخ المحمدي



سبحان رب الكون هذا حكمه في الروح قد سيمت بهذا الواقع
مرآتها هذا الشخص بها ترى زمنا وترجع للمحيط الواسع
لقد مرت روح سيدتنا « خديجة » بهذه الدار فرأينا منها ما نقلناه
للقارئ والآن هي لدى المحيط الواسع فهل تجلى اليوم على هذا العالم الذي
مرت به وترى أن تلك الكرامة التي قاست في سبيلها مع بعلمها الكريم
ما قاست قد أعلاها الله تعالى وعظم شأنها ونصرها العرب وغير العرب
وأصبحت برور الارض وبحورها مملوءة كل هذه المصور الى يومنا هذا
بمن يقول من جميع اجناس البشر « لا اله الا الله محمد رسول الله »

وقد ولدت سيدتنا « خديجة » من زوجها الكريم بنين وبنات
وبقيت لها من بنة السيدة « فاطمة الزهراء » ذرية مباركة في أكثر
أقاليم الارض والحمد لله ولكن هل تجلى اليوم تلك الروح الشريفة وترى
أن كل المؤمنين بمدون اليوم أولادها . فالسلام عليك يا أم المؤمنين ،
سلام الله ورحمته وتحياته على روحك الطاهرة يا أم

فبشر جادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
وأولئك الذين هداهم الله فاولئك هم الابرار

المسحاة

١٣١٥

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يذكر الا أولو الابواب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و • منارا • كمنار الطريق

السبت سلخ شعبان ١٣٢٨ - ٣ ستمبر (ايلول) ١٢٨٦ - ١٩١٠ م

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٣٩ : ٤٤) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ، وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً
يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠ : ٤٥) فَكَيْفَ إِذَا
جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١ : ٥٦)
يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ أَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ
وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا

قال البقاعي في نظم الدرر مينا وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها : ولما فرغ من
تبيينهم قال معللا له « ان الله » الخ وقال الرازي اعلم ان تعلق هذه الآية بقوله

تعالى « وماذا عليهم لو آمنوا » الخ فكأنه قال فان الله لا يظلم من هذه حاله مثقال ذرة وان تلك حسنة يضاعفها فرغب بذلك في الايمان والطاعة اه
وقال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى : بعد ما بين تعالى صفات المتكبرين وسوء حالهم وتوعددهم على ذلك اراد ان يزيد الامر تأكيدا ووعيدا فيبين انه لا يظلم احدا من العاملين بتلك الوصايا قليلا أو كثيرا بل يوفيه حقه بالقسطاس المستقيم ، فالآية تنمى لموضوع الاوامر السابقة وترغب للعاملين في الخير كما قال في سورة الزلزلة « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » الخ فمن سمع هذه الآية تعظم رغبته في الخير ورجاؤه في الله تعالى

وللعابثين بالكتاب وبمقائد الناس كلام في الآية أقاموه على اساس مذاهبيهم فمن ذلك قول المعتزلة انه يجوز الظلم على الله تعالى (عقلا) لأنه لو لم يكن جائزا لما تمدح بنفيه ورد عليهم الآخرون بانه تعالى نفى عن نفسه السنة والنوم واتهم متفقون معنا على استحالة ذلك عليه فردوا عليهم بأن فني الظلم كلام في أفعاله ونفي النوم كلام في صفاته وفرق بينها - وهذا كله من الجدل الباطل والمهذبان ، وادخال الفلسفة من الدين بغير عقل ولا بيان ، ومثله قول بعض المتممين الى السنة بجواز تخلف الوعيد ولا يعد ذلك ظلما لان الظلم لا يتصور منه تعالى وبلغ بهم الجهل من تأييد هذا الرأي الى تجويز الكذب على الله تعالى وجعلوا هذا نصرا للسنة . والذي قذف بهؤلاء في هذه المهاوي هو الجدل والمراء لتأييد المذاهب التي التزموها والتزام كل فريق تفنيد الآخر وإظهار خطئه لا طلب الحق أينما ظهر . ولهم مثل هذه الجهالات الكثير البعيد عن كتاب الله ودينه كقول المعتزلة : ان بعض الاشياء حسن لذاته وبعضها قبيح لذاته ويجب على الله تعالى ان يفعل الاصلح من الامرين الجائزين وكقول بعض من لم يفهم مسألة أفعال العباد بما يدل على جواز العبث على الله تعالى وكل هذا جهل

والذي يفهم من الآية ان هناك حقيقة ثابتة في نفسها وهي الظلم وان هذا لا يقع من الله تعالى لأنه من النقص الذي يتنزه عنه وهو ذو الكمال المطلق والفضل العظيم وقد خلق للناس مشاعر يدركون بها وعقولا يهتدون بها الى ما لا يدركه

الحس ، وشرع لهم من أحكام الدين وآدابه ما لا نستقل عقولهم بالوصول الى مثله في هدايتهم وحفظ مصالحهم وجعل فوائد الدين وآدابه سائقة الى الخير صارفة عن الشر لتأييدها بالوعد والوعيد فمن وقع بعد ذلك فيما يضره ويؤذيه وتترتب عليه عقوبته كان هو الظالم لنفسه لان الله لا يظلم أحدا

ونفي الظلم هنا على اطلاقه يشمل المؤمن والكافر والذرة فيه عبارة عن متهى الصغر في الاجسام وقيل الذر الهباء وقيل النمل الصغير أو الذرة رأس النملة الصغيرة . واطهر من هذه الآية في العموم « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » الخ وقد قدر مفسرنا (الجلال) في الآية هنا (احدا) للاشارة الى العموم . ولكن ورد في الكافرين ما يدل على انه لا أثر لعملهم في الآخرة كقوله « فلا تقم لهم يوم القيامة وزنا » وقوله في عملهم « فجعلناه هباء منثورا » وقد قال بعضهم في الجمع ان الله يجازيهم على أعمالهم في الدنيا وهذا تأويل لا يأتي في سورة الزلزلة لان الكلام فيها خاص بيوم القيامة . وقال بعضهم غير ذلك كل يحمل الآية على مذهبه كما هي عادة المقلدين في جعل مذاهبهم أصلا والقرآن العزيز فرعاً يحمل عليها ولو بالتأويل السقيم والتحريف البعيد

(قال) ومن العجب أن يقول قائل بهذه التأويلات وقد ورد في الاحاديث المسلمة عند قائلها ان بعض المشركين يخفف عنه العذاب بعمل له : حاتم بكرومه وأبو طالب بكفالاته النبي ونصره إياه - بل ورد حديث بالتخفيف عن أبي لهب لعنته ثوية حين بشر بالنبي (ص) هذا وأبو لهب هو الذي ورد فيه (تبت يدا أبي لهب وتب) الخ السورة فالمعنى الصحيح اذن للآيات هو ان الله لا يقيم وزنا للمشرك في مقابلة شركه بمعنى انه لا يقابل الشرك عمل صالح فيمحوه بل الاعمال الصالحة بازاء الشرك هباء ولكن المشرك العاصي أشد عذابا من المشرك المحسن . ولا يعقل ان يكون المحسن والمسيء عنده تعالى سواء فان هذا من الظلم المنفي بلا شك

أقول المثل - مفعال من الثقل - المقدار الذي له ثقل مهما قل . واطلق على المعيار المخصوص للذهب وغيره وهو معروف . والذرة أصغر ما يدرك من الاجسام كما اختار الاستاذ الامام وما أطلق على النملة وعلى رأسها وعلى الخردلة وعلى الدقيقة

من دقائق الهباء - وهو ما يظهر في نور الشمس الداخل من الكوى - الا لبيان مكان صغر هذه الاشياء ولذلك روي عن ابن عباس في الذرة روايتان مختلفتان روي عنه انها رأس النملة وروي عنه انه ادخل يده في التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة . وروي أن ابن مسعود قرأ : ان الله لا يظلم مثقال غلة . وقد يتنامن قبل ان مثل هذه القراءة لا يقصد بها القرآن وانما يقصد بها التفسير . والظلم معناه في الاصل النقص كما قال تعالى في سورة الكهف « كلنا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا » فمضى قوله تعالى « ان الله لا يظلم مثقال ذرة » ان الله تعالى لا ينقص أحدا من أجر عمله والجزاء عليه شيئا ما وان صغر كذرة الهباء بل يوفيه أجره . ولا يعاقبه بغير استحقاق للعقوبة وقد بينا معنى نفي الظلم عن الباري في مواضع من التفسير ومن المتار منها تفسير (١١٧ : ٣) وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون (فيراجع في ص ٧٩ من جزء التفسير الرابع ومنها تفسير (٢٨٢ : ٣) ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام للعبيد) فيراجع في ص ٢٦٦ من ذلك الجزء ايضا . ولا أذكر غيرها الآن .

ومما يوضح هذا المعنى في التفسير الكلام في الجزاء وموازين الاعمال . ولا تفهم هذه الآية حق الفهم الا باستبانة ما حققناه غير مرة في معنى الجزاء وكون الثواب والعقاب تابعين لتأثير اعمال الانسان في نفسه بالتزكية أو التندسية والقرآن يفسر بعضه بعضا ويؤيد بعضه بعضا وما أخطأ كثير من العلماء في فهم كثير من الآيات الاذ هو لهم عن مقارنة الآيات المتناسبة بعضها ببعض واستبداهم بذلك تحكيم الاصطلاحات والقواعد التي وضعها علماء مذاهبهم وارجاع الآيات اليها وحملها عليها فهذا يستشكل نفي الظلم عن الله عز وجل لان العبيد لا يستحقون عنده شيئا من الاجر فيكون منعه أو النقص منه ظلما ثم يجيب عن ذلك بأنه بالنسبة الى الوعد فهو قد وعد بإثابة المحسن وأوعد بعقاب المسيء ثم جعلوا جواز تخلف الوعد او الوعيد محل بحث وجدال أيضا ، وهذا يقول ان إثابة المحسن وعقاب المسيء أمر حسن في ذاته موافق للحكمة فهو واجب عليه تعالى أو واجب في حقه كما يجب له كل كمال ويستحيل عليه كل نقص فقام الآخرون بجادلونهم على لفظ يجب عليه ولعلمهم قالوا يجب له فحرفوها ومهما قالوا

فالمقصد واحد وهو إثبات الكمال لله تعالى وتنزيهه عن النقص وأكثر الجدل الذي أهلك المسلمين وفرقه شيعا وأذاق بعضهم بأس بعض كان مبنيًا على المشاحة في الالفاظ والاصطلاحات . وكتاب الله ودينه يتبرأ من ذلك وينهى عنه . ومن فهم من مجموع القرآن ما قررناه مرارا في مسألة الجزاء يفقه معنى نفى الظلم عليه تبارك اسمه وتعالى جده فلكل عمل أثر في نفس العامل يرفع بنفسه بالحق والخير الى عليين ، أو يهبط بها الى سافلين ، ولذلك درجات ومثاقيل مقدرة في نفسها لا يحيط بدقائقها الا من احاط بكل شيء علما

﴿ وإن تك حسنة يضاعفها ﴾ أقول أي انه تعالى لا ينقص أحدا من أجر عمله منقل ذرة ولكنه يزيد للمحسن في حسنة فان كانت الذرة التي عملها العامل سيئة كان جزاؤها بقدرها وان كانت حسنة يضاعفها له الله تعالى عشرة أضعاف أو أضعافا كثيرة كما قال تعالى في آية أخرى (٦: ١٦٠) من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثله وهم لا يظلمون) وفي معناها آيات . وقال (٢: ٢٤٤) من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) وقرأ ابن كثير « وان تك حسنة » برفع حسنة أي وان توجد حسنة يضاعفها . وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابن جبير « يضاعفها » بتشديد الميم من التضعيف وهو بمعنى المضاعفة . وردوا قول ابن عبادة ان ضاعف يقتضي مرارا كثيرة وضعف يقتضي مرتين

﴿ ويؤت من لدنه اجرا عظيما ﴾ يعني أن فضله تعالى اوسع أن يضاعف للمحسن حسنة فلا يكون عطاؤه الا في مقابلة الحسنات بل هو يزيد المحسنين من فضله ويعطيهم من لدنه أي من عنده لافي مقابلة حسناتهم أجرا عظيما أي عطاء كبيرا . قالوا انه سمي هذا العطاء اجرا وهو لا مقابل له من الاعمال لانه تابع للأجر على العمل فسمي باسمه من قبيل مجاز المجاورة . ولعل نكتة هذا التجوز هي الايدان بأن هذا العطاء العظيم لا يكون لغير المحسنين فهو علاوة على أجور أعمالهم والعلاوة على الشيء تقتضي وجود ذلك الشيء ، فلامطعم فيها للمسيئين الذين غلبت سيئاتهم المفردة على حسناتهم المضاعفة ، فاقولك بالمشركين الذين طمست حسناتهم في ظلمة شرهم

٥٦٦ عرض الاعمال على الانبياء - شهادة النبي على أمته (المار ج ١٣٨)

والعباد بالله تعالى . والظاهر ان هذا الاجر العظيم هو النعيم الروحاني برضوان الله
الا كبر وقد تقدم الكلام فيه غير مرة فراجع في مظانه

ومن مباحث اللفظ في الآية حذف النون في قوله «وان تك» فان أصلها «تكن»
فحذفت النون للتخفيف سماعا وعلوه بتشديدها بحروف العلة من حيث الغنة والسكون .
«ولدن» بمعنى عند وقال بعضهم ان لدن أقوى في الدلالة على القرب من عند فلا
يقال لدي مال الا اذا كان حاضرا ، ويقال عندي مال وان كان غائبا

﴿ فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ قال
الاستاذ الامام : بعد ما جاء بالوعد والوعيد في الآية السابقة جاء بهذه الآية معطوفة
بالفاء فهو يقول اذا كان الله لا يضيع من عمل عامل مثقال ذرة فكيف يكون حال
الناس اذا جمعهم الله وجاء بالشهداء عليهم وهم الانبياء فاما من امة الا ولها بشير ونذير
هذه الشهادة هي التي غفل عنها الناس وبكى لها النبي صلى الله عليه وسلم اذ أمر
بعض الصحابة بأن يقرأ عليه شيئا من القرآن وهو صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بالقرآن
هذه الشهادة يوم يجمع الله الناس مع انبيائهم هي عبارة عن مقابلة عقائدهم
وأخلاقهم وأعمالهم بعقائد الانبياء وأعمالهم وأخلاقهم

تعرض أعمال كل امة على نبيها لا فرق بين اليهود والنصارى والمسلمين
وسائر أتباع الانبياء فمن شهد لهم نبيهم بعد معرفة أعمالهم وظهورها بأنهم على ما جاء
به وعمل وأمر الناس بالعمل به فهم الناجون .

إن كل امة من أتباع الانبياء تدعي اتباعه وان كانت قلوبهم مملوءة بالحق
والحسد والغفل وأعمالهم كلها شرورا ومفاسد عليهم وعلى الناس هؤلاء يتبرأ الانبياء
منهم وان ادعوا هم اتباعهم والائتماء اليهم

وقد اختلفوا في المراد بقوله (على هؤلاء شهيدا) قيل ان المراد به شهادة
خاتم المرسلين على المرسلين قبله فهم يشهدون على أمهم وهو يشهد عليهم وقيل هي
شهادته على أمته وهذا هو الموافق لقوله تعالى (٢ : ١٤٢) وكذلك جعلناكم امة
وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) والخطاب للمؤمنين

في عصر التنزيل وقد تقدم في تفسيره إن هذه الامة تكون بسيرتها شهيدة على الامم السابقة وحجة عليها في انحرافها عن هدي المرسلين ، وان الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم يكون بسيرته العالية وسنته المعتدلة حجة على المفرطين والمفرطين من امته اتباعا للبدع الطارئة والتقاليد المحدثه من بعده فراجع تفصيل ذلك في أول الجزء الثاني من التفسير . واما الحديث الذي أشار اليه الاستاذ فهو ما روى احمد والبخاري في صحيحه والترمذي والنسائي وغيرهم من حديث ابن مسعود أنه قال قال لي رسول الله (ص) « اقرأ علي » قلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال « نعم أحب أن أسمعه من غيري » فقرأت سورة النساء حتى أتيت الى هذه الآية « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد » الخ فقال « حسبك الآن » فاذا عيناه تذرفان . فليت شعري هل يعتبر المسلمون بهذا وهم المشهود عليهم كما اعتبر الشهيد الاعظم فيكون لتذكر ذلك اليوم كما بكى ويستعدون باتباع سنته ، واجتناب جميع البدع والتقاليد الدينية التي لم تكن في عهده ، لأن يكونوا كاصحابه أمة وسطا لا تفرط عندها في الدين ولا إفراط لا في أمور الجسد ولا في أمور الروح أم يظنون سادرين في غلوائهم ، مقلدين لا بائهم ، ألا يعلمون كيف يكون حال الكافرين والعاصين في ذلك اليوم

﴿ يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ﴾ قيل ان هذا استئناف لبيان حال الكافرين التي أشير الى شدتها والظاهر عندي انه جواب « فكيف » في الآية قبلها ومعنى تلك الآية فكيف يكون حال الناس اذا جئنا من كل أمة بشهيد الخ والجواب يومئذ يود أي يحب ويتمنى الذين كفروا وعصوا الرسول فلم يتبعوا ما جاء به ان يصيروا ترابا تسوى بهم الارض فيكونوا واياها سواء كما قال في آخر سورة النبأ « ويقول الكافريا ليتني كنت ترابا » وقيل أن يدفنوا وتسوى بهم الارض أو تسوى عليهم كما تسوى على الموتى عادة . وقيل يتمنون أن تكون الارض لهم فيدفعونها فدية فتكون مساوية لهم (٣٩ : ٥) إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة

ماقبل منهم) وقرأ نافع وابن عامر تسوى بفتح التاء وتشديد السين المفتوحة على أن أصلها تسوى فأدغمت التاء في السين لقربها منها في المخرج، وقرأها حمزة بتخفيف السين مع الامة بمحذف تاء تسوى الثانية وهي لغة مشهورة

﴿ولا يكتُمون الله حديثا﴾ عطف على يود . أي لا يكتُمون شيئا من خبر كفرهم ولا سيئاتهم في ذلك الوقت الذي تقوم به الحجة عليهم بشهادة انبيائهم الذين كانوا يفسبون اليهم ما كانوا عليه من كفر وأباطيل وبدع وتقاليد . قال بعض المفسرين ان قوله تعالى «ولا يكتُمون الله حديثا» ليس خبرا مجردا وانما الواو فيه للحال والمعنى انهم يودون لو يموتون أو يكونون ترابا فتسوى بهم الارض ولا يكونون كتموا الله تعالى وكذبوا أمامه على أنفسهم بانكار شركهم وضلالهم الذي بينه تعالى من حالهم في الآخرة بقوله (٦ : ٢٢) ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ٢٣ ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ٢٤ انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) فهم عندما يكذبون وينكرون شركهم إما لاعتقادهم ان ما كانوا عليه ليس شركا وانما هو استشفاع وتوسل الى الله بمن اختار من خلقه ، وإما مكابرة وتوهم أن ذلك ينفعهم ويدبرأ عنهم العذاب ، عند ذلك يشهد عليهم الانبياء المرسلون أنهم لم يكونوا متبعين لهم فيما أحدثوا من شركهم وانما كان شيئا ابتدعوه من عند أنفسهم بقياس ربهم على ملوكهم الظالمين وامرائهم المستبدين الذين يتركون عقاب بعض المسيئين بشناعة المقرين اليهم من بطانتهم ويقربون من لا يستحق التقريب بشفاعتهم أيضا . فاذا شهدوا عليهم تمنوا لو كانوا سويت بهم الارض وما افتروا ذلك الكذب . وروى الحاكم عن ابن عباس (وصححه) انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيتمنون أن تسوى بهم الارض . ومن جوز ان يكون ذلك خبرا مجردا معطوفا على «يود» قال انهم ينكرون في بعض مواقف القيامة ويعترفون في بعضها وبصح ان يقال انهم كذبوا وكنتموا في ذلك اليوم وان يقال انهم اعترفوا وما كذبوا بأن يكون حصل كل واحد من النقيضين في وقت غير الوقت الذي حصل

فيه الآخر . ومثل هذا مشاهد في محاكمة المجرمين في الدنيا ينكرون ثم يقولون ، ويكذبون ثم يصدقون ، وقال بعضهم ان المراد بالكتمان هنا كتمان الحق في الدنيا ككتمان أهل الكتاب صفة النبي (ص) والبشارات به . وظاهر كلام الجمهور ان الحديث في الآية هو الكلام وذهب البقاعي الى ان معناه الشيء المحدث أي المبتدع الذي لم يحنى به رسوله قال أي شيئاً أحدثوه بل يقتضون بسوء أخبارهم ، ويحملون جميع أوزارهم ، جزاء لما كانوا يكتُمون من آياته ، وما نصب للناس من بيناته ،

فَتَاوَى الْمُبْتَنِّينَ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورمزاً بما قدمنا متاخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجنبنا غير مشترك لمثل هذا ولان مضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ محاربة المنار للتقليد ومذهبه ﴾

(من ٣٢) من صاحب التوقيع بسبب (برنيو)

حضرة العلامة الفضال العظيم ، الفهامة الاستاذ الحكيم ، سيدي السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر شيد الله بوجوده منار الاسلام ، واهتدى بهديه الانام وبعد اهداء كل تحية واحترام فلقد كان المنار منذ سنين حارب فيها التقليد والمقلدين ، ودعاهم الى الاهتداء بالسنة وكتاب رب العالمين ، وحسم بسيف الدليل والبرهان السنة المبتدعين ، وعنى توحيد المذاهب الاسلامية المختلفة طبقاً للكتاب والسنة

النبوية ، إن ذلك لحق . ولكن رأيت في ذلك داء يجب تداركه بالعلاج حيث توهم كثير من الناس ان صاحب النار لم يتسك بمذهب من مذاهب الائمة الأربعة (رضوان الله عليهم) بل هو مستقل بمذهبه . حتى قال بعضهم : اذا كان هو قد خرج من مذاهب الائمة ورفض كتب المتقدمين وأخذ يجتهد فاني لا أتبعه بل اتبع العلماء المتقدمين واطلم على كتبهم واقرأ فيها فان للاجهاد شروطا كثيرة بل تقل ابن حجر عن بعض الاصوليين انه لم يوجد بعد عصر الشافعي مجتهد (اي مستقل) فما رأيكم في هذا الوهم فهل تستحسنون أن تزيوه وتبينوا مقاصدكم بالاستقلال أم تسكتون عليه ؟ هذا والسلام نعم الختام . م . ب . ع

(ج) قد تكرر بيان هذه المسألة في النار وصرحنا غير مرة بأننا لم نقصد قط ان ندون لنا مذهباً نحمل الناس على اتباعه وأننا لا ندعو أحداً الى تقليدنا بل لانجيز له ذلك وإنما ندعو المسلمين الى البصيرة في دينهم اتباعاً لقوله تعالى لئنبيه صلى الله عليه وسلم دقل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، فنحن باتباعه (ص) ندعو الى الله عز وجل بفهم كلامه والتأسي برسوله مع البصيرة اي الدليل والحجة فمن ظهرت له الحجة والبصيرة فيما نكتبه فاتبعها لا يكون مقلداً لنا وإنما يكون متبعاً للبصيرة التي يرضاها الله له . ولا ننهي أحداً عن طلب البصيرة في الدين من كتب الائمة المتقدمين بل نأمر بذلك ونحث عليه ونحب لكل الناس ان يستفيدوا منها كما استفدنا ونستفيد دائماً وإنما نذكرهم بأن يطلبوا منها البصيرة بفهم كلام الله وكلام رسوله واستبانة سنته لا لأن يجعلوا كلام العلماء هو المقصود لذاته فقد ذكر الامام المزني صاحب الامام الشافعي رضي الله عنهما في أول مختصره لمذهب الشافعي انه قلله ليستعين به الطالب له قال مع اعلاميه بأنه (أي الشافعي) لا يجوز له ولا لغيره ان يقلده به . فنحن نستعين بالمفسرين على فهم القرآن ولا تقلد أحداً منهم في فهمه وإنما تتبع البصيرة متى استبانة ونستعين بكتب الحديث والفقهاء على فهم السنة ولا تقلد أحداً منهم في رأيه وإنما تتبع البصيرة ونحث اخواننا على طلب البصيرة في الكتاب والسنة بقدر الاستطاعة وان كانوا متبعين لبعض المذاهب فهي لا تمنعهم أن يكون لهم حظ من الاهتداء والبصيرة

وليعلم السائلون وغيرهم أن الأصل في التقليد هو الثقة فقد جرت عادة الناس باتباع من يتقون به ولهذا راجت بين المسلمين بدع وضلالات كثيرة باسم المذاهب والطرق حتى خرج بها كثيرون من الاسلام باسم الاسلام كطوائف الباطنية . فنى اقتطع الناس عن فهم الكتاب والسنة انقطعت الصلة الحقيقية بينهم وبين دين الله الذي انزله على رسوله (ص) وحرموا البصيرة التي هي سبيل الله واتبعوا السبل المختلفة مخالفين لقوله تعالى « وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلکم وصاکم به لعلمکم تذکرون » (من سورة الانعام ١٥٣:٦) ولذلك نهى أئمة الفقه الاربعة وغيرهم من أئمة السلف عن التقليد الذي هو الاخذ بكلام من يثق المقلد بهم من غير بصيرة في الكتاب والسنة . وكيف لا ينهون عن ذلك ويعلمون انه يصد الناس عن سبيل الله ويحملهم على الاستغناء بكلام غير المعصومين الذين لا يسلم أحدهم من الخطأ مع حسن القصد فكيف اذا وثق الناس بفاسد السريرة المتعمد لهم الشريعة كالباطنية . وقد كان أحدهم يرجع عن كلامه بعد ان يكون نقل عنه وقد رجح الشافعي بمصر عن مذهبه الذي وصل اليه اجتهاده قبل ذلك فصار الناقلون لعلمه يقولون المذهب القديم والمذهب الجديد وقد رأيت قول صاحبه المزني في عدم إباحته تقليد أصوله

وخلاصة القول اننا ندعو المسلمين الى الاهتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) كل بقدر استطاعته وان طالب الاهتداء من العامة يمكنه أن يسأل العلماء عن ذلك عند الحاجة اليه لاعتن رأيهم وفهمهم لكلام المقلدين فقط كتأخري الفقهاء وقد فصلنا القول في ذلك من قبل تفصيلاً . ولا يتم هذا الاهتداء الا بالغاية باللغة العربية ولا شيء اضر على الاسلام في هذا العصر ممن يدعو الى ترجمة القرآن الى اللغات المختلفة ليستغني المسلمون بالترجمة عن القرآن المنزل من عند الله عز وجل بلسان عربي مبين ، فالغاية من هذه المفسدة اذا وقعت (لاسمح الله) ان يكون الاعاجم من المسلمين عرضة لتترك الدين وسنوضح ذلك ان شاء الله تعالى

﴿ هل يمتد بإيمان أهل الكتاب بعد الإسلام ﴾

(س ٣٣) من أحد علماء تونس المستقلين صاحب الامضاء

مقام حجة الدين وإمام أئمة المصالحين سيدي محمد رشيد رضا صاحب المنار
الزاهر أعلى الله به كلمة الحق

علمت بما اطلعت عليه من مجلدات المنار الاغراء بكم في معنى الاسلام - وهو
ما هدتي الفطرة الى فهمه من قوله تعالى « ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من
قبل » ولم أكن أقرأ المنار، ولكن اشكل علي حفظكم الله تعالى ما يلوح من كلامكم
في هذا الغرض من ان الاسلام الذي تكون به النجاة في الآخرة هو الايمان بالله
واليوم الآخر والعمل الصالح من اي أمة كان صاحبه وفي أي زمان وجد ومكان،
فهل رأيكم رفع الله بكم قواعد الدين ان الذين هادوا والنصارى اليوم يفوزون يوم
الجزاء برضوان الله تعالى اذاهم آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا الصالحات وان كفروا
بما انزل على محمد (ص) والذي كنت أفهم من معنى الاسلام ولن أزال أفهم انه
الايمان بالله واليوم الآخر وتصديق الرسل، فمن آمن بموسى وعيسى عليهما الصلاة
والسلام قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم مسلم عندي بلا شك . كتبت اليك لا كون
علي بينة من رأيكم فاني لأدين بالظنون والوائع، ولا اسكن الى ما علمه علي الظواهر،
وقد استفدت هذا الخلق من قراءة ما تكتبون - والله يحفظكم

(أحد القراء بتونس)

(ج) لكل مقام مقال ونحن قد صرحنا من قبل في بعض المقامات بان الايمان
هو كما عرفه النبي (ص) ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
والقدر خيره وشره من الله تعالى، وفسرنا الاسلام في التفسير بما علمه السائل الفاضل
ورضيه وقال ان الفطرة هدته من قبله الى فهمه وهو ما يقاد من القرآن الحكيم وفسره
في مقام آخر بما جاء في الحديث من الاعمال أو الاركان الخمسة وفي مقام آخر
بأنه الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مجموعه ونحن نرى السائل

هنا فسر الاسلام بالايمان بالله واليوم الآخر وتصديق الرسل وهذا التفسير ليس هو الذي فهمه من القرآن ولا هو الذي ورد في الحديث في جواب جبريل ولا هو الذي يفسره به العلماء وهو يعرف ماورد في الحديث وما قاله علماء العقائد في تفسيره كما يفهم المراد من استعمال القرآن وانما غرضه هنا ان يبين ان الايمان بالرسل من أصول الدين الاسلامي وهو كذلك

ثم اننا يننا في مقام آخر ان المقصد من الدين الذي جاء به جميع الرسل من عند الله هو الايمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات لان هذا هو ما تنزكى به النفس وترقي به الارواح وتستعد لمنازل الكرامة في الآخرة والنجاة من العذاب، والرسل عليهم الصلاة والسلام هم الوسيلة لتعليم البشر هذه المقاصد وهل يمكننا ان نقول غير ذلك في مقام تفسير قوله تعالى (٢: ٦١) ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وفي تفسير (٤: ١٢٢) ليس بأمانيتكم ولا أمانتي أهل الكتاب، من يعمل سوءا يجز به ولا يجزله من دون الله وليا ولا نصيرا ١٢٣ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا)

وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى فقال اليهود للمسلمين نحن خير منكم ديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين ابراهيم ولن يدخل الجنة الا من كان هودا، وقالت النصارى مثل ذلك. فقال المسلمون كتابنا بعد كتابكم ونبينا (ص) بعد نبيكم وقد امرتم ان تتبعونا وتتركوا امركم فنحن خير منكم نحن على دين ابراهيم واسماعيل واسحق ولن يدخل الجنة الا من كان على ديننا. فانزل الله تعالى «ليس بأمانيتكم ولا أمانتي أهل الكتاب» الى قوله - ومن احسن ديننا من اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا، فانت ترى ان القرآن الحكيم قد ناط دخول الجنة وسعادة الآخرة بالايمان والعمل الصالح في مقام إنكار المفاخرة بين اهل الكتاب والمسلمين.

وذلك ان اهل الكتاب جعلوا مقصد الدين وقطبه الذي يدور عليه امر

النجاة والسعادة في الآخرة هو الانتماء الى انبيائهم وانهم انما ينجون بجاههم لا باتباعهم وإقامة ماجاؤا به من الهداية فكان مثلهم ومثل من اتبع سننهم من المسلمين كمثل عبيد جعلهم سيدهم في مزرعة ليعمروها وينتفعوا بها ويستعينوا بما فيها من الثمرات على اصلاح شأنهم وإعداد انفسهم لمقام خير منها في جوار السيد وارسل اليهم عبدًا آخر من عبيده المتعلمين المهذبن بكتاب بين لم فيه ما يوجبه عليهم من الاعمال فبلغهم هذا العبد الرسول رسالة سيده وسيدهم فصدقوه واقام بينهم عاملا بالكتاب حتى مات . ثم لم تكن فتنتهم الا أن تركوا العمل بالكتاب واتباع ذلك الرسول الفاضل في اعماله وآدابه واعتقدوا ان ذكر اسمه بالخير والمبالغة في تعظيمه وتفضيله كتاب السيد بالقول يغنيان عن العمل الذي تعم به المزرعة ويرتقي به اهلهما ويكونون اهلا لما وعدهم به السيد من المقام الكريم اذا هم اقاموا كتابه ،

أرايت اذا كان أهل المزرعة فريقان فريق منهم صدقوا الرسول ولم يعملوا بما جاء به من عند السيد وفريق آخر لم تبلغهم رسالته أو بلغتهم على وجه لا يحرك الى النظر ولا يؤدي الى الاقتناع ولكنهم علموا بالنظر العقلي أو بتعليم رسول سابق كان أرسله السيد من قبل ان الذي يرضيه من عمران المزرعة هو كذا وكذا وان الذي يحب أن يكونوا عليه من العلم والآداب فيما بينهم هو كذا وكذا وعملوا بذلك بقدر طاقتهم على حسب اجتهداهم أيكونون مرضيين عند سيدهم أم لا . وهل يعقل أن يكذب العبد الطائع الخاضع رسول سيده ومولاه ويرفض دعوته ويرد رسالته ؟؟ كلا إنه لا يعقل أن تبغ المؤمن بالله واليوم الآخر القائم بالانعم الصالحات دعوة رسول من عند ربه فيردها ويحجدها وانما يفعل ذلك من فساد إيمانهم وساءت أعمالهم فاتبعوا أهواءهم فانا لا أصدق أن المؤمن بالله واليوم الآخر العامل للصالحات من أهل الكتاب تبلغه دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم على وجهها ويزدها لان من كان على شيء من العلم والخير وتبين له علم أعلى من علمه واكمل ، وخير أرقى مما هو عليه وأفضل ، يرى نفسه مضطرة الى قبول ذلك ولا يصرفه عنه وهو من مقتضى فطرته الاحسد وعتو وكبر ملكن على نفسه أمرها ويندر أن يكون ذلك من المؤمنين الصالحين ، فانا أحكم على من بلغته دعوة الاسلام بشرطها وردها بقوله

عز وجل (٤ : ١١٤) ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير
سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وفي القرآن دلائل
كثيرة على ما قلنا

بعد كتابة هذا راجعت كتاب (فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة) لابي
حامد الغزالي رحمه الله تعالى فرائته يشير الى ان من بلغته الدعوة بدليها تنبعث
ففسه بطبعها الى النظر ان كان من أهل الدين والخير قال بعد بيان حكم الضالين
من هذه الامة ما نصه د وأما من سائر الامم فمن كذبه (ص) بعد ما قرع سمعه
على التواتر خروجه وصفته ومعجزته الخارقة للعادة كشق القمر وتسبيح الحصى
ونبع الماء من بين أصابعه والقرآن المعجز الذي تحدى به أهل الفصاحة وعجزوا
عنه فاذا قرع سمعه ذلك فأعرض عنه وتولى ولم ينظر ولم يتأمل ولم يبادر الى التصديق
فهذا هو الجاحد الكاذب وهو الكافر . ولا يدخل في هذا اكثر الروم والترك
(كان الترك في زمن الغزالي وثنيين) الذين بعدت بلادهم عن بلاد المسلمين بل
أقول من قرع سمعه هذا فلا بد أن تنبعث به داعية الطلب ليقين حقيقة الامر ان
كان من أهل الدين ولم يكن من الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فان لم
تنبعث هذه الداعية فذلك لركونه الى الدنيا وخلوه عن الخوف وخطر أمر الدين
وذلك كفر ، وان انبعثت الداعية فقصر في الطلب فهو أيضا كفر بل ذو الايمان
بالله واليوم الآخر من أهل كل ملة لا يمكنه ان يفتر عن الطلب بعد ظهور المحاليل
بالأسباب الخارقة للعادة ، فان اشتغل بالنظر والطلب ولم يقصر فأدركه الموت قبل
تمام التحقيق فهو أيضا مغفور له ثم له الرحمة الواسعة فاستوسع رحمة الله تعالى ولا
تزن الامور والآهية بالموازين المختصرة الرسمية ، اه

هذا وان السائل الكريم يعلم ان المسلمين لا يعنون بالدعوة الى دينهم ولا
سما على الوجه الذي يحرك الى النظر في هذا العصر - واكمل عصر من المحركات
النظرية ما هو خاص به ، بل هم لا يبالون بتعليم المنسويين الى الاسلام حقيقة
الاسلام فقد أهمل هذا الدين حتي صار علماءه على قلتهم جاهلين بكتابه وسنته
وعاجزين عن النهوض بحجته الا افرادا شذاذا يظهر الواحد منهم بعد الواحد في

بعض الاقطار بالمصادفة والاتفاق بل باستعداده الخاص وحوادث الزمان واكثر هؤلاء الملايين من المسلمين لم يلقنوا شيئا من امر دينهم حتي ان منهم في بعض انحاء الهند من لا يعرف من الاسلام الا جواز اكل لحم البقر الذي يخالفون به جيرانهم الوثنيين ، ومنهم في روسية من هم اجهل من هؤلاء ، بل اخبرني أحد أئمة العسكر البحرية أمس انه كان يسأل الجماهير من افراد العسكر الاناطوليين عن دينهم ونيبهم فيقولون ديننا العسكرية البحرية ونبينا السلطان عبد الحميد ، ولو لا الأوقاف التي وقفها السلاطين والأمرأ وأهل الخير من الأئمة على العلماء الذين يشتغلون بعلوم الدين وبعض المناصب الشرعية التي يقصد بها الرزق لما رأيت في الاستانة ومصر وتونس وفاس وغيرها من البلاد عشر معشار من تجدد من المعممين الذين يذبيون أدمقتهم في حل رموز هذه الكتب المعقدة أو المسلطة التي اختاروها من تصانيف المسلمين بعد ضعف العلم فيهم حتى كأنها كتب منزلة يتعبد بها ، وما هي والله بالكتب التي يمكن لقارئها أن يظهر بها حقيقة دعوة الاسلام وحجة الله به على العالمين ، بل نرى اكثر الممارسين لها قد نفروا المسلمين عن الاسلام فما بالك بنبرهم

هذا ما حملنا على بذل النفس والنفيس في السعي الى تربية اسلامية وتعليم اسلامي تظهر بهما دعوة الاسلام وحجته وتنقذ الملايين المسلمين من الجهل بدينهم ودنياهم الذي صاروا به حجة على الاسلام تنفر عنه الأنام ، وفئة للكافرين ، تبعدهم عن حقيقة الدين (٦٠ : ٥ ربنا لا نجعلنا فتنه للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم)

❖ الصلاة . مواقيتها وجمعها وغايتها ❖

(م ٣٤) من كاتم لاسمه في مصر القاهرة

حضرة الفاضل الشيخ رشيد رضا المحترم - بعد التحية والاكرام ارجو
الاجابة على ما يأتي :

- (١) ما هي الآيات الشريفة التي تؤيد إقامة الصلوات في مواعيدها المقررة
 (٢) هل الجمع بين صلاتين جائز وفي أي ظروف ؟
 (٣) ما رأيكم في موظف بمصلحة تقضي عليه وظيفته أن لا يقيم صلاته أثناء تأديته أعماله فهل عليه من حرج اذا جمع بين صلاتين مثلا ليؤديهما أثناء خلوه من العمل ؟

(٤) اذا كانت الغاية من الصلاة هي الاخلاص للخلاق بالقلب مما يؤدي الى تهذيب الاخلاق ، وترقية النفوس ، وكان من المحتم على كل مسلم أن يقيم صلاته بمواعيد ، فكيف يعقل ، والناس على ما ترى ، ان كل الصلوات التي تقام في المساجد والبيوت ، هي باخلاص عند كل المسلمين ؟ ، واذا كان الجزء القليل منها هو المقصود من الدين ، والمبني على الفضيلة ، فلماذا لا تترك الحرية التامة للناس في تحديد مواعيد اقامة صلواتهم ؟ . والاما الفائدة التي تعود على النفس من الركوع والسجود بلا اخلاص ولا ميل حقيقي للعبادة بل اتباعا للمواعيد واحتراما للتقاليد ؟
 (ج) ١- أما الجواب عن الأول فحسبك في التوقيت المطلق منه قوله تعالى (٤ : ١٠٢) ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا (أي فرضا مكتوبا مقيدا بأوقات محدودة . وفي التفصيل قوله تعالى (١٧ : ٧٨) أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر) وقوله سبحانه (٣٠ : ١٧) فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ١٨ وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون) وكانوا يعبرون عن الصلاة بالتسبيح والذكر

٢ - وأما الجواب عن الثاني فالجمع إنما يكون عند جاهل العلماء في السفر وكذا في المطر عند الشافعية لأجل المحافظة على الجماعة . وقد تأول بعض العلماء بذلك حديث ابن عباس الثابت في كتب الصحاح والسنن المشهورة « صلى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة سبعا وثمانيا الظهر والعصر والمغرب والعشاء » أي الظهر والعصر ثمانيا لأن كل واحدة منهما أربع ركعات ، والمغرب والعشاء سبعا لأن الأولى ثلاث والثانية أربع فالتسبيح فيه غير مرتب على ألف . وفي رواية عنه في صحيح (المار ج ٨) (٧٣) (المجلد الثالث عشر)

مسلم وسنن الشافعي « صلى الظهر والعصر جميعا والمغرب والعشاء جميعا من غير خوف ولا سفر » روي عن مالك انه قال أرى ذلك في المطر ، وعليه العمل عند الشافعية ولكنهم اشترطوا له شرطا لا يدل عليها الحديث بل ظاهره انه رخصة توثق عند عروض شاغل قوي ويدل على ذلك ما قاله راويه ابن عباس في تعليقه كما في سنن الشافعي « لئلا يخرج أمته » ولو فرضنا ان ذلك كان في وقت المطر لكان المطر مثلا لنفي الحرج لا شرطا للرخصة على أن ذلك لو كان في جماعة وقت المطر كما يرى الشافعية لتوفرت الدواعي على نقله فرواه كثيرون فالظاهر من هذه العبارة أن الجمع في الإقامة رخصة لمن كان يلحقه في أداء الصلاة في وقتها مشقة والحرج والعسر فروعان بنص القرآن العزيز فحمل بعض الفقهاء لها على وقت المطر وقت المرض كأن كان يعلم انه يصيبه دور الحصى في وقت الثانية فيجمعها مع الاولى كل ذلك من قبيل المثال لمن ينظر في الامر نظرا عاما غير مقلد فيه والشبهة تجيز الجمع مع الإقامة كما هو المشهور عنهم ولا أدري أبعادون ذلك رخصة كما هو ظاهر هذه الرواية عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أم يعدونه عزيمة لكثرة ما يأتونه كما يروى عنهم

٣ — واما الجواب عن الثالث فقد علم مما قبله وملخصه ان الاصل في الصلاة ان تؤدى في اوقاتها المعروفة وذلك ثابت بالكتاب والسنة وعمل جماهير المسلمين سلفا وخلفا وان للرخصة وجها لمن شق عليه اداء بعض الصلوات في وقتها وما اظن ان عملا من اعمال مصالح الحكومة وما في معناها كالشركات الكبيرة بمنع العامل فيه من أداء الصلاة في وقتها دائما وانما يكون ذلك نادرا فان صلاة الفريضة تؤدى في خمس دقائق او اقل . ورأيت كثيرا ممن خبرت حالهم من هؤلاء العمال يستقلون الصلاة لاجل الوضوء وإنما يشق عليهم منه غسل الرجلين غالبا فان كوبا من الماء يكفي لغسل الوجه واليدين الى المرفقين ويسهل ذلك على المرأة انما كان ولكن غسل الرجلين قد يشق على العامل في احيان كثيرة والخروج من هذه المشقة ان يمسح ولو على جوربيه فالحنابلة وغيرهم من علماء السلف يميزون المسح على كل سائر للرجلين كالفائف ودليلهم أقوى ولما اقتبت في المنار بهذا صار كثير من تاركي الصلاة

يحافظون على صلاتهم في أوقاتها يتوضئون في الصباح فيسبغون الوضوء ويفسلون أرجلهم ويلبسون جواربهم وفوقها الخفاف فالاحذية أو الاحذية فقط ثم يذهبون الى أعمالهم فإذا أراد أحدهم ان يتوضأ في أثناء العمل وهو في عمله يمسخ على الساتر كائنا ما كان ، ويحسن وهنا أن نذكر القاري بما ختمت به آية الوضوء وهو بعد ذكر طهارة الرجلين « ما يريد الله ليكمل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون »

٤ - وأما الجواب عن الرابع فهو يتضح لكم اذا تدبرتم تفاوت البشر في الاستعداد وكون الدين هداية لهم كلهم لاختصاصه بمن كان مثلكم قوي الاستعداد لتكامل نفسه بما يمتقده انه الحق وفيه الفائدة والخير بحيث لو ترك الى اجتهاده لا يترك العناية بتكامل إيمانه وتهذيب نفسه وشكر ربه وذكره وقد رأيت بعض المتعلمين في المدارس العالية والباحثين في علم النفس والاخلاق ينتقدون مشروعية توقيت الصلوات والوضوء وقرن مشروعية الفصل بعلم موجبة وعال غير موجبة على الحتم ولكن تقتضي الاستحباب وربما انتقدوا أيضا وجوب غير ذلك من انواع الطهارة بناء على ان هذه الامور يجب ان تترك لاجتهاد الانسان يأتينا عند حاجته اليها والعقل يحدد ذلك ويوقته !! هؤلاء تربوا على شيء وتعلموا فائدته فحسبوا لاعتيادهم واستحسنهم اياه انهم اهتموا اليه بمقولهم ولم يحتاجوا فيه الى ايجاب موجب ولا فرض شارع وان ماجاز عليهم يجوز على غيرهم من الناس ، وكلا الحسايين خطأ فهم قد تربوا على أعمال من الطهارة (النظافة) منها ما هو مقيد بوقت معين كفصل الاطراف في الصباح (التواليت) وهو مثل الوضوء ، أو الفصل العام ، ومنها ما هو مقيد بعمل من الاعمال ، وتعلموا ما فيه من النفع والفائدة بقياس سائر الناس عليهم في البدو والحضر خطأ جلي . ان اكثر الناس لا يحافظون على العمل النافع في وقته اذا ترك الامر فيه الى اجتهادهم ولذلك نرى البيوت التي لا يلتزم اصحابها او خدمها كنسها وتنفيذ فرشها وأثاثها كل يوم في أوقات معينة عرضة للاوساخ فتارة تكون نظيفة وتارة تكون غير نظيفة ، واما الذين يكسونها وينفضون فرشها وبسطها كل يوم في وقت معين وان لم يصبها اذى ولا غبار فهي التي تكون نظيفة دائما . فاذا كانت الفلسفة تقضي

بان بزال الوسخ والغبار بالكفس والمسح والتنفيض عند حدوثه وان يترك المكان أو الفراش أو البساط على حاله اذا لم يطرأ عليه شيء . فالترية التجربية تقضي بأن تتعهد الامكنة والاشياء بأسباب النظافة في أوقات معينة ليكون التنظيف خلقا وعادة لا تثقل على الناس ولا سيما عند حدوث أسبابها ، فمن اعتاد العمل لدفع الاذى قبل حدوثه أو قبل كثرته فلأن يجتهد في دفعه بعد حدوثه أولى وأسهل . وعندى أن أظهر حكمة التيمم هي تمثيل حركة طهارة الوضوء عند القيام الى الصلاة ليكون أمرها مقروا في النفس محملا هوادة فيه . وقد قال لي مثل أنس وكيل المالية بمصر في عهد كرومر انه يوجد الى الآن في أوربا أناس لا يستحمون مطلقا ، وانا نحن الانكليز اكثر الاوربيين استحماما واتما اقتبسنا عادة الاستحمام عن أهل الهند ثم سبقنا جميع الامم فيها ، فتأمل ذلك وقابله بعادات الامم في النظافة التي هي الركن العظيم للصحة والهناء واعتبر هذه المسألة في الاعمال العسكرية كالخفارة عند عدم الحاجة اليها لئلا يتهاون فيها عند الحاجة اليها وجعلها مرتبة موقوتة مفروضة بنظام غير موكولة الى غيرة الافراد واجتهادهم

اذا تدبرت ما ذكرنا فاعلم أن الله تعالى شرع الدين لأجل تكميل فطرة الناس وترقية أرواحهم وتركبة نفوسهم ولا يكون ذلك الا بالتوحيد الذي يعقهم من رق العبودية والذلة لأي مخلوق مثلهم وبشكر نعم الله عليهم باستعمالها في الخير ومنع الشر ولا عمل يقوي الايمان والتوحيد ويقذيه ويزع النفس عن الشر ويحبب اليها الخير ويرغبها فيه مثل ذكر الله عز وجل أي تذكر كاله المطلق وعلمه وحكمته وفضله ورحمته وتقرب عبده اليه بالتخلق بصفاته من العلم والحكمة والفضل والرحمة وغير ذلك من صفات الكمال . ولا تنس ان الصلاة شاملة لعدة أنواع من الذكر والشكر والتكبير والتسبيح وتلاوة القرآن والدعاء فمن حافظ عليها بحمها قويت مراقبته لله عز وجل وحببه له أي حبه للكمال المطلق وبقدر ذلك تنفر نفسه من الشر والنقص وترغب في الخير والفضل ، ولا يحافظ العدد الكثير من طبقات الناس في البدو والحضر على شيء ما لم يكن فرضا معينا وكتابا موقوتا ، فهذا النوع من ذكر الله المذهب للنفس (وهو الصلاة) تربية عملية للأمة تشبه الوظائف العسكرية في

وجوب اطرادها وعمومها وعدم المودة فيها ، ومن قصر في هذا العمل القليل من الذكر الموزع على هذه الاوقات الخمسة في اليوم واليلة فهو جدير بأن ينسى ربه وينسى نفسه ويفرق في بحر من الغفلة ، ومن قوي إيمانه وزكت نفسه لا يرضى بهذا القليل من ذكر الله ومناجاته بل يزيد عليه من النافلة ومن أنواع الذكر الأخرى ما شاء الله أن يزيد ، ويتحرى في تلك الزيادة أوقات الفراغ والنشاط التي يرجو فيها حضور قلبه وخشوعه وهو الذي استحسسه السائل .
وجملة القول ان الصلوات الخمس إنما كانت موقوتة لتكون مذكرة لجميع افراد المؤمنين بربههم في الاوقات المختلفة لئلا نهمهم الغفلة على الشر أو التقصير في الخير ولمريدي الكمال في النوافل وسائر الأذكار أن يختاروا الاوقات التي يرونها أوفق بحالمهم ،

واذا راجعت تفسير « حافظوا على الصلوات » في الجزء الثاني من تفسيرنا نجد بيان ذلك واضحا وبيان كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر اذا واظب المؤمن عليها ، ومن لا تحضر قلوبهم في الصلاة على تكرارها فلا صلاة لهم فليجاهدوا أنفسهم

﴿ جمع القرآن وعدم ضياع شيء منه ﴾

(م ٣٥) صاحب الامضاء في الاسكندرية

قال السائل في كتاب خاص انه عرضت له شبهة في مسألة جمع القرآن ثم شرح ذلك بقوله

« تعلمون أيها السيد أن القرآن الكريم جمع في خلافة الصديق رضي الله عنه كما تعلمون بل تثيقنون عدم حفظ واحد له جميعه والا لما كان هنالك معنى لتلقفه من صدور الرجال — على ذلك لا اتردد في ضياع شيء منه خصوصا وانهم لم يجدوا حافظا لآية (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) الخ السورة الا خزيمه بن ثابت فاذا صح هذا وهو الواقع استنتج من ذلك جواز موت

صحا بي آخر قبل الجمع انفرد على الأقل بما انفرد به خزيمة هذا ان لم يقل اثنين أو ما فوق العشرة فما قول السيد في ذلك وما الدليل على عدم الضياع وطريقة الجمع يتسرب اليها الشك في كل مكان بالدليل العقلي م ع م

(ج) أعجب ما في هذا السؤال زعم السائل أنني أتيقن عدم حفظ أحد من الصحابة (رض) للقرآن كله واستدلالة على هذه المسألة بتلقفه من صدور الرجال ! ! فاما أنا فاني أوقن أنه قد حفظ القرآن كله جمع كثير من الصحابة في عهد النبي (ص) وان لم يصرح المحدثون الا بعدد افراد معروفين منهم فقد صرحوا بأنه قتل في حرب أهل البغامة سبعون من القراء وكان ذلك سبب اقتراح عمر جمع القرآن على أبي بكر (رض) وبأن أهل الصفة من قراء الصحابة كانوا منقطعين في المسجد لحفظ القرآن والعبادة ويعرف السائل أن العرب كانوا من أجود الناس حفظا على أن البدو في جميع الامم أجود حفظا من الحضرة والعرب اذ كى الامم بدوا وحضرا حتى أنه كان من حاضرهم من يظن أن من شأن الانسان أن يحفظ كل ما يسمع كما يروى عن ابن عباس (رض) وقد رأى رجلا استكبر حفظه لرأية عمر بن أبي ربيعة حين سمعها مرة واحدة فقال وهل يسمع الانسان شيئا ولا يحفظه ؟ فقد كانوا يحفظون ما يسمعون من حسن وقبيح ما يعجبهم منه وما لا يعجبهم فكيف تكون عنايتهم بحفظ كلام الله عز وجل وهم يؤمنون بأنه سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة وانهم يتقربون به الى ربهم وينالون رضاه وقد تعمدوا ذلك وحرصوا عليه وعنوا به أشد العناية وقد رغبتهم الله ورسوله بحفظه

على أن حفظه أن يضع شيء منه لا يتوقف على حفظ الكثيرين له كله بل يكفي فيه حفظ الكثيرين لكل سورة من سوره وهل يعقل أن تنزل سورة ولا يحفظها الجم الغفير من أهل الصفة المقيمين في المسجد لاجل حفظ القرآن من النبي (ص) وكذا من غيرهم من المقيمين في المدينة وكان أكثرهم يصلي مع النبي (ص) لا يتخلف عنه أحدهم الا لعذر عارض وكان يقرأ القرآن كله في الصلاة كما كان يدارسهم إياه سورة سورة على النحو الذي يتدارسه مع جبريل (ع م) اذ ورد في الصحيح انه كان يعارضه القرآن في رمضان كل سنة مرة أي كل ما

نزل منه وفي آخر رمضان من عمره الشريف عارضه جبريل القرآن مرتين وكان قد تم نزوله أو كاد فعلم من ذلك أنه حان أجله الشريف صلى الله عليه وآله وسلم ان الذين تولوا جمع القرآن في المصحف بأمر أبي بكر ثم بأمر عثمان كانوا يحفظونه وإنما كانوا يجمعون المكتوب في الصحف والعظام وغيرها ويراجعون القراء الحافظين لأجل أن لا يبقى مجال لدعوى أحد من المناققين أو غيرهم أن عنده شيئاً منه يخالف المجموع في المصاحف فيشكك به بعض الضعفاء أو الجاهلين . ولورأى المناققون أن في جمع القرآن شبهة ما لا ذاعوا بها واكثروا الإرجاف ولم يقع شيء من ذلك ولو وقع لقامت له القيامة وعرفه كل الناس

اما آخر سورة التوبة فقد كان يحفظها الجمل الغفير ومنهم جامعوا القرآن وقد التمسوها ممن كتبها وهم بها عالمون فوجدوها عند خزيمة أو أبي خزيمة الانصاري كما رواه البخاري والترمذي عن زيد بن ثابت الذي كان يتولى الجمع ، وكذلك آية « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » الخ فقد روى البخاري والترمذي عن زيد رضي الله عنه انه قال فقدت آية من سورة الاحزاب كنت اسمع رسول الله (ص) يقرأها فالتستها فوجدتها مع خزيمة بن ثابت الانصاري الذي جعل رسول الله (ص) شهادته بشهادة رجلين وذكرها فالحقها في سورتها من المصحف . فأنت ترى أنه التمس شيئاً كان يعرفه ، كيف لا وهو أحد الحفاظ المشهورين الذين جمعوا القرآن كله عن النبي (ص) فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث انس (رض) قال جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) اربعة كلهم من الانصار : ابني بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد . قيل لانس من أبو زيد؟ قال أحد عمومي . وقد قال علماء الاصول ان العدد لا مفهوم له ، اقول ولا سيما في مثل هذا الخبر الذي يخبر صاحبه عما علم او بعض ما علم عن قومه وكان اكثر الحفاظ من فقهاء المهاجرين أهل الصفة (رض) نكتفي الآن بهذا الجواب الجمل الموجز الذي كتبناه في مركب يجري بنا في زقاق (بوسفور) القسطنطينية ، ونظن أنه يكفي السائل فان لم يكفه فليراجع ما كتبناه من قبل في احد مجلدات المنار وما كنت أغفل انه لم يقرأه وهو على ما عهد ولوع بالمنار حريص علي تتبعه ، وسنفصل هذه المسألة

٥٨٤ هدية جريدة الحقيقة الى مشتركها جائزة سنوية (المنار ج ٨ م ١٣)

تفصيلا فيما سنكتبه من أصول الدين لطلاب مدرسة «دار العلم والارشاد» ثم نشره على سائر الناس ان شاء الله تعالى

﴿ هدايا الجرائد الى مشتركها ﴾

(س ٣٦) من صاحب الامضاء الذي رغب الينا كتمان اسمه من (بيروت)

سيدي الاستاذ المرشد الشيخ محمد رشيد رضا منشى « المنار » دام مجده

بعد التحية الى السيد المفضل ارجو من سيادته واحسانه الجواب عن سؤالي

الآتي بيانه في جزء المنار القادم في رجب وله التناء الجميل وذلك :

ماقولكم دام نفعكم ، في البند الرابع من « البيان » الذي اذاعته جريدة

الحقيقة - البيروتية وهو «تقدم ادارة الجريدة لكل خمس مئة مشترك من مشتركها

هدية بالاقتراع تبلغ قيمتها خمسة وعشرين ليرة أفرنسية في كل سنة موزعة على

عشر نمر منها حسبما هو مبين أدناه

١ ورقة بنك عقاري

١ ساعة ذهبية

٢ ساعة فضية

٢ ليرة أفرنسية

٤ نصف ليرة أفرنسية

الجمع ١٠

ونضاعف هذه الهدايا بزيادة المشتركين على نسبة خمسة وعشرين ليرة لكل

خمس مئة مشترك اهـ

فهل يجوز لجريدة الحقيقة أن تعطي مشتركها المذكورين (الهدية) على الوجه المرقوم وهل

يجوز لمشاركها قبول هذه الهدية أفيدوني ولكم مزيد الفضل (مستفيد)

(ج) لأعرف ما يمنع جواز اعطاء هذه الهدية ولا قبولها

باب المقائد

بحث الكلام في الاختلاف (*)

قد نوه الله سبحانه بالاختلاف في الدين وكرر ذلك في كتابه العزيز تكريرا كثيرا لعلمه سبحانه وتعالى بضرره في الدين وكم كرر ذلك في بني اسرائيل قائلا « وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » ونحوها فكانه يقول احذركم مثل فعلهم مدلين بالشبه وعدم تبين ذلك في دينكم فانكم ان فعلتموه فمعلموه بعد قيام الحجة عليكم ولا يحملكم عليه الا البغي لا التدين وان من اراد الله واتبع رضوانه فانه يهديه سبل السلام ويخرجه من الظلمات الى النور فصدق الله تعالى ما وجدنا الخلاف الا في محل قد تبين الحق فيه ، وادلى المخالف للحق بشيء لا ينبغي الاستناد اليه ، فهو اما جعله صورة والحامل الحقيقي البني لنيل حظ دنيوي وقد يكون البلاء من النظر في شيء النظر فيه تكلف ما لا يعني وقد تم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنهى عن مظان الخلاف وحذر منها كالجدل في القدر وقال الله تعالى « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « انزكوني ما تركتكم » وكل الله سبحانه على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فلم يبق شيء يقربنا الى الجنة الا بينه لنا ولا شيء يقربنا الى النار الا بينه

(*) منقولة عن كتاب العلم الشاخص في إثبات الحق على الآباء والشافخ لاحد مجتهدى القرن الحادى الذى يطبع بمطبعة النار

وما عفا الله تعالى عنه وسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا يريد الله سبحانه أن يبحث عنه بمجرد عقولنا القاصرة فإنها إنما جعلت الدنيا في قدر محدود في علم الله سبحانه وجاءت الرسل بتنظيم ما تتم به النعمة وتؤكد الحاجة فما عدا ذلك فضول يخاف ضرره ولا يُرجى نفعه ، وقد قام بمراد الله تعالى في ذلك خير القرون فكانوا يحاذرون الاختلاف أشد المحاذرة ويصرحون بذلك وما فرط منهم تلافوه أشد التلافي ، ولم يصرخوا على ما فعلوا وهم يعلمون ، كما كان من طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم ولقد صبر من بقي من الصحابة بعد خلافة النبوة على أمراء الجور أشد الصبر وأقبلوا على صلواتهم وصيامهم وجهادهم وسائر القرب يتواصون بالحق والصبر والمرحمة ، ويحاذرون شق عصا المسلمين وكل ما يجر إلى الخلاف وهو المانع والله أعلم لسيوفهم البائرة ، التي استولت على أبطال العرب والاكاسرة والقياصرة ، من أن تجتمع على الملك الجائر حتى يقعد مكانه عادلاً

ثم مضوا إلا مثل فالأمثل إلى أن ظهرت البدع بسبب التنقيح عما سكت الله عنه ورسوله ولو كان لهم من ذلك خير لوقفهم الله على تلك المطالب على لسان رسوله ولم يتركهم يتغبطون لكن النفوس طمّاحة والدعوى عريضة فتكلم بعض الناس على ما سكت الله عنه وبحشوا في كلام الفلاسفة واختلطوا بهم في أيام الدولتين وناظروهم فاحتاجوا إلى تحرير الجواب على شبههم ورواوا أن تلاوة القرآن التي كانت جواب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجواب أصحابه رضي الله عنهم لا تقنع الخصم ولا تنصفه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوصي أمراء الاجناد أن يدعوا إلى إحدى ثلاث الدخول في الاسلام ، أو الجزية ، أو الحرب ، لم

يجمل منها أن تنتشر اخبارهم وصحفهم وحكمتهم وشبههم وفلسفتهم ثم يناظرهم
 فقهاء الصحابة بهذا الاتصاف المولد بعد الصحابة هو الداعية الدهياء
 ثم حدثت بين المسلمين أنفسهم نوادر كالكلام في القدر ومسألة
 خلق القرآن والتعرض لما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم واتصل
 بذلك المناظرة عند الملوك والامراء وصارت عصبية ، والدعوى من
 الجانبين أن ذلك تدين وما هو الا انهم لما تعدوا طورهم ولم يقفوا على
 حدم الذي وقفهم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم عليه ، تركهم الله
 وشأنهم وابسهم شيما وأذاق بعضهم بأس بعض فكان خليفة يوافق
 هؤلاء فيذيق مخالفيهم العذاب الايم ويخلفه الآخر وينقض ما فعله
 الاول وينكل هؤلاء ويوطي شأن هؤلاء حتى استحكم الشر وصار
 الناس شيما ، يولد المولود في قوم فلا يسمع من الانصاف شيئا بل يجد
 شيعة مطبقين على ان مخالفهم ليس على شيء وانما هي فتنة وحادثة في
 الاسلام ويمدحون نفوسهم بكل خير وينزهونها من كل شر ويعززون
 الى المخالف نقيض ذلك

تري المعتزلة يقولون في كتبهم كان الناس على دين واحد فحدث
 الجبر في امرة معاوية والرواية ثم حدث القول بتكليف ما لا يطاق من
 فلان وقت فلان ثم حدث القول بعدم خلق القرآن ثم حدث كذا من
 فلان في وقت كذا مع ذكر أسباب وروايات ، فيأتون على جميع مذاهب
 مخالفيهم انها حوادث مجد ذلك في حكاية الملل والنحل وافراد المقالات
 لافي كتاب ولا في الف كتاب ثم تنظر كتب المتسمية بالسنية يقولون
 كان الناس جميعا قبل حدوث القدرية على ان الله خالق افعال العباد ليس

للعباد منها الا النسبة المسماة بالكسب وجمعون على كذا وكذا بجميع مذاهبهم كل على ما يراه ويعتقده ثم حدث وأي المعتزلة بان العبد يمكن وحدث كذا وكذا الى آخر مذاهب المخالف كذلك وتسمي المعتزلة نفسها بالعديلية وأهل العدل والتوحيد وأهل الحق والفرقة الناجية والمتزهون لله عن النقص وغير ذلك وتسمي خصومها بالمجبرة القدريّة المجوزة المشبهة بالحشوية المرجئة وغير ذلك . والاشاعرة وسلفهم مثل ابن كلاب والمحاسبي وغيرهم يسمون نفوسهم بأهل السنة ويسمون المعتزلة المبتدعة القدريّة وقس على هذا

فترى الضعيف الرأي والدين بل القوي الذي لم يتداركه الله سبحانه بفضل عناية وتوفيق يرى تطبيق من نشأ فيهم ولقنوه كتبهم وقد ملأت الارض مع شحنها بالتحذير من كتب المخالف والجلوس الى المبتدع فكما فطته قريش فيملاً قلبه ويطلق سمعه ذلك في كل ما كرر النظر والجم الففير قد رأيت ما فعلوا ، ومن يرد الله هدايته يتهم هذا ويعدده عقله لكن قليل مام انما تراه يشب على مادب عليه ويشيب على ماشب عليه ، ويمضي عمر المتدين بالقيام والصيام ، وطالب العلم بالتصنيف والكلام على الخلاف والوافق ، وربما يعرف المذاهب خيرا من اهلها ويعلم انه قد صار بينه وبين من لقنه مراحل ، ثم همه كله مصروف الى ما نشأ عليه يثبت ويهدم مقابله ، مانجد خلاف هذا الا في الندرة من النادر من المباحث ولذا تجده يقول في المبحث اذا أراد مخالفة شيعته : الله يحب الانصاف يتبعجج بانه قد انصف وهذه الكلمة دليل عدم الانصاف وانه لو كان ديدنه الانصاف كما يدعي لما استغرب هذه النادرة التي وقعت لانه طول عمره بزعمه جار على الانصاف

فهذا مثل من قال فرسي والحمد لله وانما يعلمون ذلك فيما لا ينفر عنهم
بلى قد تجد احدهم ينتقل من مذهب الى آخر بسبب شيخ أو دولة
أو غير ذلك من الاسباب الدنيوية والعصبية الطبيعية ولذا تجد ينتقل من
مذهب برمته الى آخر برمته كما رووا ان ابن عبد الحكم اراد مجالس الشافعي
بعد موته ف قيل له قال الشافعي الربيع احق بمجاسي فغضب وتمذهب للملك
وصنف كتابا سماه الرد على محمد بن ادريس فيما خالف فيه الكتاب والسنة
هكذا ذكره ابن السبكي وقد علم الله سبحانه والراسخون في العلم ان الحق
لم يكن برمته عند فرقة والباطل عند البواقي وان كان كل منهم يدعي ذلك
بل عند كل قوم حق وباطل لكن الحق والحمد لله لا يخرج عن مجموعهم
وما الحق كله الا عند من بقي على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم
ولا بد له من الخطأ في اجتهاداته ايضا في المسائل المعفو عن الخطأ فيها
لا في المهمات فالمفروض انه وقف على ما وقفه عليه الله ورسوله صلى الله عليه
 وآله وسلم فلا خطأ، وقل لي من ذا الذي وقف على ما وقف، وقنع بما جاء
عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يتمذهب ويؤثر الاسلاف
على الكتاب والسنة، ويترك هذا الداء الدوي ويتمسك بالانصاف في
ما يأتي ويذر، لا والله ما اعرف أحدا في هذه الكتب التي قد طبقت
البسيطة الا وقد تخبط وخطط، وتفسف لمذهبه وما أنصف، ورد كتاب
الله تعالى الى عقيدته وحرف،

اما المتكلمون فهو صنيعهم وان كان في تضاعيف كلامهم ما ينفع في
الجملة وصنعتهم بدعة وما ابتدع قوم بدعة الا وتر كوا سنة ولا يخلص من
الخير الا الشيطان لعنه الله ولكن هؤلاء المحدثون الذين يزعمون الثبوت

على السنة وينهون عن الكلام قد سرت فيهم المفسدة اكثر منها في غيرهم لانهم قاعدون في طريق الشريعة والمفسدة والحرب والفتك والحيات والمقارب والسموم والسباع في الجادة اعظم ضررا منها في ثنيات الطريق مع انهم دائهم^(١) جاء من الخوض في الكلام وصاروا اشد عصبية من المتكلمين لان المتكلمين بنوا أمرهم على التفقيس وان لا يلام الطالب على المباحثة وايراد الاسئلة واختراع التعليقات بل يمدون ذلك ظرافة وكالا فربما انكشف للمتأخر مع تماقب الانظار تقارب كلام الفريقين ونحو ذلك كما انكشف لاتباع الاشعري بطلان الجبر ثم تشبثوا بالكسب ثم تبين عواره فصاروا الى مذهب المعتزلة من حيث المعنى كما مضى وليس ثبوت الاختيار يختص بالمعتزلة حتى ينفر عنه انما هو دين الله وحجته فمن حقق من المتأخرين هون ما عظم سلفه ولا نت عريكته، وأما المحدثون فانما أخذوا شيئا باول رؤية ثم لم ينفروا كأن ذلك بدعة وصدقوا ولكنه بدعة من أوله الى آخره فمالهم دخلوا فيه، كان دخولهم من غير نية لكن دس لهم الشيطان: انتم أهل السنة فمن يذب عنها ان تركتم هؤلاء؟ فلام اقتصروا على ما هم عليه ولا هم بلغوا الى مقاصد القوم ليتمكنوا من الرد عليهم

باب المقالات

﴿ التربية القويمة ، والسياسة الحكيمة ﴾ (*)

— الثقة والظنة —

اظهار الثقة بالانسان مجلبة لما نحصل به الثقة ، وابتغاء الظنة فيه مدعاة لما نتحقق به الظنة ، فالمعاملة بالثقة اصل الصلاح والاصلاح ، والمعاملة بالظنة اصل الفساد والافساد وب ولدك مراعيها هذين الاصلين تحمل بينه وبين الرذائل ، بما تطبعه في نفسه من ملكات الفضائل ، لانذ كره الرذيلة ولا تنه عنها ولم يأتها لانه لا ينهي عن الشيء الا من جعل عرضة لآتيانه ، لا تنهيه بفعل شيء ، ولا تنجمله في موضع المراقبة ليتقي السوء ، بل اشغله بالصالحات عن السيئات ، وحل بينه وبين اسبابها وطرقها حتى لا يخطر بباله ان استطعت ، فان علمت انه سمع بشيء منها وراه فاذكرك له مضار ذلك الشيء ومهانة أهله وسوء احدثهم وما ينتظر من العاقبة السوءى لهم ، اذكركه ذلك من باب بيان الواقع ، واظهار الحقائق ، موثدا بالدلائل والشواهد ، واجعل نفسك واياه من طبقة شريفة عالية لا يليق بشرفها أن تعاشر اولئك المسيئين ولأن نجعلهم موضوع أحاديثها الا قليلا تقصد به العبرة بأحوال البشر والشفقة عليهم من ظلم الظالمين منهم الذين يكونون بفساد تربيتهم قدوة سيئة لفاقدى العلم وفاسدى التربية ، اذا علمت ان ولدك يعرف ولدا أو رجلا غير مؤدب وانه عرضة لمحدثه ومعاشرته فلا تنه عن ذلك نهيا صريحا يشعره بانك تمنعه منه بسيطرتك عليه ، بل أشعره بأنك تعلم انه يحتقره في نفسه ولا يرضى لها ان تتخذها صاحبا ولا عشيرا وابن على هذا نصحه بان لا يظهر له الاهانة والاحتقار في وجهه ويكتفي من ذلك بالاعراض

(*) نقرأ هذه المقالة والتي تليها بجميعة الحضارة

٥٩٢ نأثر الطافل بما يلقي اليه المربي - وجوب نزاهة التعبير (المار ج ٨ م ١٣)

عنه كما امر الله تعالى بقوله «خذ العفو وامن بالعرف وأعرض عن الجاهلين» وإذا تعرض ذلك الذي لأدب له وبدأه بالحديث فليكن جوابه جواب مسألة وتخلص يفهم مخاطبه منه مع الادب انه لا يحب مجاراته والاسترسال في الحديث معه، كما وصف الله الحكمة من عباده بقوله «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً» أي قالوا قولا يسلمون به من الاتم ، ولا يقارعون الجهل ، ولا ينجي من شر الشرير مثل البعد عنه وترك الاساءة والاحسان اليه ،

ان نفس الولد تشبه الصحيفة البيضاء النقية وان سمعه وبصره هما القلمان اللذان يكتبان فيها انواع العلوم ويرسمان فيها صور الاخلاق والآداب ، فينبغي ان لا يسمع الا حسنا ولا يرى الا حسنا ، يتحتم هذا في طور التقليد الذي يسلم فيه بكل ما يروى ويحاكي كل ما يرى ، وكلما قويت فيه ملكة التمييز بنفسه بين الحق والباطل والحسن والقيح يذكرك له بالتدريج كل ما هو معرض له من سيئات العالم وشروره بالاساليب التي تنفرد من الباطل والشر وترغبه في الحق والخير

ألم تر الى علماء التربية كيف يتحامون في كتب التعليم ذكر ألفاظ الجرائم والشرور والفحش والرفث لكيلا تشتغل نفوس النشء بها قبل ان تقوى بالحق والفضيلة وحب الخير

دخل في الاسلام بيت من بيوت الامريكيين :رجل وامرأته واولادهما ومنهم ابنة معصر ذكية الفؤاد وكانوا في مصر فرغبوا الى بعض معارفهم من المصريين ان يدرهم على عالم من علماء الاسلام يأخذون عنه ما يحتاجون اليه من احكام الاسلام ، فدرهم صاحبهم على الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) لانهم كانوا يعرفون اللغة الفرنسية ولا يعرفون من العربية الا قليلا والاستاذ كان يحسن هذه اللغة ، ولان الاستاذ هو الرجل العارف الكامل الذي يرجى ان يمثل الاسلام الاعلى لامثال هؤلاء الافرنج الذين تربوا تربية عالية واخذوا حظاء عظماء من العلوم ، فكانوا يلقونه ويسألونه ويسرون بما يحجبهم ويتلقونه بالاذعان

كانوا يتذاكرون يوما فجري لفظ اليأس على لسان الاستاذ فقالت له تلك البنت الشابة منهم أناذن لي ياسيدي أن أسألك عن امر اشبه عليّ في قولك ؟

قال نعم قالت كيف يذكر مثلك لفظ اليأس وانت تعلم ان الالفاظ التي لها مدلولات ضارة اذا أقيمت واستعملت فلا بد ان تؤثر في نفوس السامعين تأثيرا ما ، أليس هذا صحيحا ؟ قال بلى ، وانني قلت مرة كلمة في تصوير تأثير الكلام ، قلت انني اذا أقيمت الكلمة وانا وحيد بيدي في حندس الظلام فلا بد أن تبقى تلك الكلمة معلقة في الهواء حتى تصادف نفسا مستعدة فتؤثر فيها ، قالت الفتاة أتأذن لي أن أفسر قولك هذا بما فهمته ؟ قال نعم ، قالت ان الانسان يكون علمه بالشيء قبل ان يتكلم به اجماليا مبهما فاذا تكلم به انتقل الى حيز التفصيل والتجلي ويستدعي ذلك إعادته وسماع الناس له فيؤثر في نفوسهم ، او ما هذا معناه - قال احسنت . وغرضنا من ذكر هذه الواقعة ان أرباب التربية العالية يتحامون ذكر الالفاظ التي تذكر بالمعاني الضارة الا عند الضرورة

ألا وان حب الخير وإثاره من مقتضى الفطرة وهو الغالب على الناس ولولا ذلك لفسدت الارض وانما يقع الشر في الغالب لعدم تربية فاعله على التمييز الصحيح بينه وبين الخير له في عاجله واجله ، فهو عرض يعرض من الجهل وسوء التربية من آيات هذا انك ترى الطفل من ابتداء عهده بالتمييز يسر اذا وصفته بالخير ويزداد رغبة فيه ويمتعض اذا وصفته بضده وربما بكى وانتحب وهذا أعون صفات الفطرة السليمة على التربية القويمة

اذا رأيت من وليدك أماراة الكسل وأردت أن تنشطه على العمل فصفه بالنشاط واطهر له انك تثق به وترى أنه أهل للقيام بالعمل الذي توجهه اليه ، واذا أتى شيئا منه فاحمده عليه ، فبذلك يتجدد له من الهمة والنشاط ما لم يكن له من قبل ، صفه بالجرأة والشجاعة يكن جريئا شجاعا ، صفه بالصدق والامانة يكن صادقا أميناً ، اجعله محلاً لتثقتك في حب العلم والعمل فنجده أهلاً لها ،

لأنهم برذيلة من الرذائل فانك بذلك تسهل عليه ارتكابها فان العوم اغراء ، ومن يهن يسهل عليه الهوان ، فالمرء يشق عليه بمقتضى الفطرة ان يعرف بالباطل

و يوصف بالشرف ولو بحق ولذلك يخفي عيبه وانخفاؤه اياه يكون عوناً للعربي على تنفيره منه وحمله على تركه ، فاذا فضح امره هان عليه التهنك والمجاهرة بالمنكر بل ربما يتهم المرء ببعض المنكرات اتهاماً باطلاً فيحمله ذلك على اتيانها ، وقد يعزى اليه ما لم يفعل من المعروف والخير فيحمل نفسه على تحقيق الظن به ، كما روي عن بعض السلف انه سمع بمض الناس يقول ان هذا الرجل يقوم الليل كله ، فعز عليه ان يوصف بما ليس فيه ويكذب من احسن الظن به فصار يقوم الليل كله وكان قبل ذلك لا يقوم الا بعضه . ومن امثال العامة في بلادنا « من اثنك لا تخنه وان كنت خوانا »

نعم ان هذه الطريقة لا تطرد في الكبار كما تطرد في الودان ، ولكنها تفيد في سياسة الرجال ، كما تفيد في تربية الاطفال ، بل تفيد في سياسة الامم والشعوب فانك اذا أردت ان تحث قوماً على عمل من الاعمال النافعة فلا ينبغي ان تصفهم بالبعد عنه والكراهة له والجهل بمنافعه وفوائده وضعف الهمة عن القيام به وشح النفوس وبخلها ان تجود بالمال في سبيله ، انك ان تصفهم بذلك تزدحم اعراضاً وضعفاً وخولاً ، واذا انت وصفتهم بالمروءة والنجدة وعلو الهمة وسخاء النفس وبسط الكف ترى نصحتك مسموعاً وارشادك مقبولا

كانت السياسة الحميدية في دولتنا شرسية اخرجت للناس لأنها بنيت على اساس الظنة والريبة في الامة ولا سيما في المتعلمين من افرادها ، وقد ورد في الحديث الشريف « اذا ابتغى الامير الريبة في الناس افسدهم » (رواه ابو داود) وكذلك فعل عبد الحميد افسد أمتة عليه حتى صار أكثر المقرين منه والمتمتعين بالسلطة والثروة في ظله يتمنون زواله ، فما بالك بمن كان يطارد هم ويضيق عليهم مسالك الحياة ، ولا تذكر من نفاهم من الارض ، او زجهم في غيابة السجن ،

انه اتهم جواهر المتعلمين بدم الاخلاص له وبتمني زواله فصاروا كذلك ، ولماذا يكون الناس غير مخلصين للملكهم وأميرهم ولحكومتهم ودولتهم؟ ان الاخلاص هو الاصل ولا يتحول الناس عن الاصل الا لسبب موجب يعرض لهم ، فلم يكن من العقل والحكمة ان يبحث ذلك الجبار عن سبب ما كان يتهم به عقلاء الامة والعارفين

بمصلحتها من كراهم اياه وعدم اخلاصهم له ، ويستعين على ذلك ببطائمه وخاصة ، ثم يزيل ذلك السبب العارض ، ويرجع بخيار أمة الى الاصل الثابت ؟ بلى ولكنه ما كان يثق بأحد ثقة تامة فيستعمله في ذلك ، فكانت قاعدة سياسته السوءى أن يبحث دائما عن عيوب الناس ومفاسدهم و يصدق كل مايلقى اليه في ذلك أو يأخذه بالتسليم احتياطا ويبنى عليه مايبنيه على ما يصدقه ويوقن به ، ولا يبحث عن محاسن الاخير وفضائل الفضلاء ، يستعين بهم على اصلاح الفاسد وتكوين المائل ، بل لا يصدق مايلقه من ذلك ، فكان كل أحد عنده ظنينا مرييا ، فكيف يستطيع مع ذلك ان يصلح عملا ، او يثقي زللا ؟

استعمل في ذلك الافوف من عمال الحكومة في جميع اعمالها ومصلحتها ، والمئين من الجواسيس في عاصمتها ولاياتها ، وكذا في مصر وعواصم أوربا واشهر مدنها ، واشتهر امر سياسته هذه حتى بلغ افسادها من الامة ان صار ابناء الرجل وبناته العذارى يتقربون الى السلطان بالوشاية والسعاية فيه فيصب عليه سوط العذاب ، او يسام النفي من البلاد ، ويأخذ اولاده الجمل على ذلك وهم فرحون - الى هذا الحد وصل فساد سياسة عبد الحميد في هذه الامة ولا سيما في العاصمة فهو ما افسد الناس عليه فقط بالتهمة والريبة وانما افسدهم أيضا في انفسهم حتى قطع اقوى صلات الصلاح وأمتها بينهم وهي صلة الاولاد بالوالدين

كان الاستاذ رحمه الله تعالى يقول ان اخوف ما أخافه من استبداد عبد الحميد وظلمه هو افساده لاخلاق العثمانيين لا لادارتهم فان اصلاح الادارة من بعده يسهل اذا كانت الاخلاق سالحة ولا يحتاج الى زمن طويل اذا كانت الاخلاق سليمة ، ومتى فسدت الاخلاق فان اصلاحها لايسهل الا بعشرات من السنين كما جربنا في انفسنا (يعني المصريين) فان اسماعيل باشا افسد الادارة وافسد الاخلاق ، فلما وجدنا ربح الحرية وارادنا ان نهض بالاصلاح كان فساد الاخلاق هو الذي عاقنا لافساد الادارة ولولا ذلك لكانت هذه المدة التي أبيع لنا فيها مانشاء من التربية والتعليم والكتابة والخطابة والاجتماع كافية لان نرتقي فيها ونكون أمة وقع ما كان يتوقع ذلك الامام الحكيم فقد افسدت السياسة الحميدية السوءى

الخلافا حتى صار الإصلاح عسرا علينا مع الحرية على مقربة مما كان في زمن الاستبداد فان الذي كان يتصدى الإصلاح في عهد عبد الحميد كان يتم بعدم الاخلاص له ، والذي يتصدى له الآن قد يتم بعدم الاخلاص للدستور ولرجالها ، أو العثمانية وعناصرها ، ولا يزال كثير من الكبراء على ما تعودوا في العهد الحميدي يصدقون التهم وان كانت سعاية افك وبهتان ، ويرتابون في طالب الإصلاح وان تام على صدقه الدليل والبرهان ، وكذلك شأن الامم والشعوب في طور الضعف والجهل



أخطأ كثير من المصريين باسائة الظن باخوانهم المخالفين لهم في الرأي واتهامهم بخيانة الوطن ويقع كثير من العثمانيين في مثل هذا الخطأ وضرره عظيم ، أنا لا أقدر أن أصدق بوجود أحد يريد بأمته أو دولته سوء ، ولكن يوجد في كل أمة أفراد قلائل تغلب عليهم الاثرة حتى انهم لا يبالون في طاب حظوظهم بالمصلحة العامة ، ويوجد أفراد قلائل يضادونهم فيغلب عليهم الايثار حتى انهم لا يبالون بمصاحبتهم الخاصة اذا عارضت المصلحة العامة أو عاقبتهم عنها ، واكثر الناس لا يرضون أن تمس المصلحة العامة بسوء بل يودون حفظها وإن كان أكثر سعيهم لانفسهم لا لأمتهم ، والذين يتصدون للقيام بالمصالح العامة بالعمل والعلم أو الكتابة والخطابة يخطئون ويصيبون ويتفقون في الرأي ويختلفون ، ولا يجوز اتهام أحد منهم بقصد سوء لأمته ، وانما ينبغي ان يتناظروا بالحجة والبرهان ، مع اعتراف كل منهم للآخر بأنه يريد الخير ويطلب الحق ، الا أن يظهر من بعض الناس ما يدل على اتباعه لهواه في الانتقام من غيره كالبهتان الميين ، والتحريف الظاهر ، فذلك الذي لا يناظر ولا يرجع بل يترك لازمان حتى يفضح بهتاناه ، ويتولى خذلانه ، مع بيان الحق في نفسه ، والتحذير من الباطل ورجسه

لقد كان عجب الناس من خطاب ابراهيم حقي باشا الذي اعرب فيه عن قاعدة السياسة في وزارته أن يتبع فيها قوله تعالى «ان الله يأمر بالعدل والاحسان» وشاع في العاصمة انه سيكون من فروع هذه القاعدة طلبه امفو عن ائتمين بالجرائم السياسية من العثمانيين واستعادة اللاجئين الى أوربا منهم ، ولكن لم يعجب الجمهور

طلبه اعطاء معاش التقاعد لرجال عبد الحميد المقيمين في رودس لانه اسراف في الاحسان الى شر المسيئين . واعجب من ذلك الطلب تعلمه اياه بأنه لم يثبت عليهم شيء رسميا !!!

على ان سياسة دولتنا اصعب السياسة واعقدها فلا ينطبق عليها كل ما ينطبق على غيرها من قواعد علم الاخلاق وعلم الاجتماع ، فنسأل الله تعالى ان يوفق رجالها ويؤيدهم بروح منه ليكونوا مصدر الحياة والخير والبركة لها وللشعوب المكونة لامتها ، آمين



﴿ الحق للقوة والقوة بالحق ﴾

كن قويا بالحق يعرف لك حقتك كل أحد: العلم قوة، والعقل قوة، والفضيلة قوة، والاجتماع قوة، والثروة قوة، فاطلب هذه القوى بالحق تنل بها كل حق مفقود، وتحفظ كل حق موجود

الوالدان يفضلان العالم من أولادهما على الجاهل، والفني على الفقير، والقوي على الضعيف، يكرمانه بذلك بالمكاملة والمعاملة فيكون بين أخوته الذين هم دونه كأنه من طبقة غير طبقتهم، فهل يلام غيرهما على مثل هذا التفضيل والتكريم الاخوة أنفسهم يعتزون باخيمهم القوي بالعلم أو المال أو العقل أو الاخلاق أو العصبية ويفضلونه على انفسهم وان كان اصغر منهم سنا ولا يوجد أفراد من الناس بينهم من المساواة مثل ما يكون بين الاخوة ولا سيما اذا كانوا أشقاء افلا يكون غيرهم أجدر بتفضيل القوي وتكريمه ؟

الجماعات كالأفراد في احترام القوة وحفظ حقوق اهلها وتكريمهم وتفضيلهم على أمثالهم سواء كان اهلها أفرادا أم جماعات ، فالعشائر في القبيلة الكبيرة، والعناصر في الامة العظيمة ، تتفاضل فيخضع ضميمها لقيومها ويعترف له بحق التقدم عليه، وبغير ذلك من الحقوق وممكن كل منهما من الآخر كما كان الاخ من أخيه ، فما قولك في القبائل والشعوب الاجنبية بعضها مع بعض وكل منها غريب عن الآخر يرى

مصاحته غير مصلحته وربما كانت قوته آفة عليه لا منفعة له

القوي بأي نوع من انواع القوى اكثر حقوقا من الضعيف لانه أقدر على كسب الحقوق فانما يكسب الناس ما يكسبون بصفاتهم ومواهبهم التي يكونون بها أقوى استعدادا ممن عداهم

المباراة والتنازع بين الاقوياء والضعفاء من السنن الاجتماعية في البشر، واعدل احوال القوي مع الضعيف ان يرضى بحفظ حقه الذي يكسبه بقوته من الطرق المشروعة فلا يبغي على الضعيف بغير حق مشروع، وأفضلها أن يكون إماما له ومرشدا، وحاميه له من اعتداء غيره وعضدا، وشرها أن يبغي عليه ويهضم حقوقه، وان كثيرا من الخطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقبل ما هم، انما كانت المباراة والمنافسة سنة من سنن الفطرة لأن الله أودع في نفس الانسان حب الكمال والسبق والتفوق فهو بذلك بزكي نفسه ويطهرها من ادران النقائص التي تشينها عند المعاشرين والاقربان، وبه يحملها على ما يعد في بيئته من معالي الامور وكرائم الشيم، وبه يوسع دائرة وجوده بالنعرة والتعصب والترقية لكل ما ينسب الى نفسه كالاهل والعشيرة والقوم والامة والدولة والوطن والمذهب الديني والعلمي والسياسي والصناعة، يباري في كل ذلك من يخالفه وينافسه، ويلج في ذلك ويبالغ بقدر ما يرى من المزاخمة والمعارضة من المخالفين، فاذا قترت المزاخمة من المخالف قترت الهمة وضعفت العزيمة وانحط شأن الافراد والجماعات والاقوام فن استطاع ان يجعل جماعة او قوما بمعزل عن المباراة والمنافسة مع غيرهم فقد استطاع ان يقضي عليهم بالضعف والخور واضاعة الحقوق الموجودة، واكتساب المزايا والفواضل المفقودة

المباراة والمنافسة من الفضائل، ومعارض الارتقاء للشعوب والقبائل، لولا ما يعرض فيها من البغي، واعتداء حدود الحق والعدل، فلو ان الناس يتبارون في المسابقة الى الخير والفضل متحررا كل فريق منهم أن يكون اكل من الآخر من غير بغي عليه ولا عدوان لكان ارتقاء البشر اسرع واقرب، ولكن القوة تغري صاحبها بالطفيان، ونجمج به في البغي والعدوان، فالحق يكتسب بالقوة ويحفظ بالقوة وانواع القوة كثيرة كما

(المار ج ٨م ١٣) تكافؤ الشعوب الاوربية . ما يجب على العثمانيين ٥٩٩

اشرنا الى ذلك في صدر المقالة ولبعض القوى من الغناء والفائدة في بعض المواطنين ما ليس للآخرى واعلى القوى واشرفها واغناها قوى النفس: العقل والعلم والاخلاق، فاذا وجدت تبعها غيرها الا الكثرة، واذا فقدت لا يفي عنها غيرها حتى الكثرة، وان القوى لقوي الضعيف بمباراته ومعارضته ويقضي عليه باهمائه ومحاسنته، بأهون مما يقضي عليه بسحقه وابادته

الامثلة لما ذكرنا من الاصول والقواعد الاجتماعية كثيرة تراها بين يديك في سائر الاقوام وتقرأها في تاريخهم: انما نسخ الاسلام بعض الاديان وأضعف البعض الآخر في البلاد التي دخلها بعدم معارضتها وترك أهله لمنازعة أهلها . وقد حدث في الاسلام مذاهب كثيرة ما بقي منها الا ما جرى بين أهلها التعارض واتنافس، ولولا بادرة العصبية التي بدت من المأمون في مقاومة اللغة الفارسية لذابت وتلاشت في اللغة العربية بقوة الاسلام كما زالت اللغة القبطية من مصر . واضطهدت اليهود في أوروبا قوى الكثرة والسلطة، فاجأ هؤلاء الى قوة الرأي والحيلة، فقلبوا سلطة الملوك وصار لهم مكانة عالية في أعظم الممالك الاوربية وأرقاها

تزاخمت الشعوب الاوربية وتنافست فارتقت وعزت وصار بعضها قريبا من بعض في القوى الكسبية كالعلوم والفنون والصناعات والاخلاق والاجتماع والاتحاد وبقي التفاوت عظيما في قوتي الكثرة والثروة، اتفقوا على تأمين الشعوب الضعيفة بالقلّة (كسويسره) من بغى القوة بالكثرة، وتحالف المتقاربون في القوى الحربية ليأمن القوي من بغى الاقوى، فالقاعدة التي بني عليها هذا التحالف هي ان المزاخمة والمنافسة في السبق والتفوق في كاليات الحياة تقضي بطبعها الى المناصب والقائمة وهذه تفضي الى البغي والعدوان ولا يحول دون البغي والعدوان الا تكافؤ قوى الاقران علينا نحن معاصر العثمانيين ان نكون على بصيرة في حياتنا الجديدة التي نستقبلها للدستور، ولا بصيرة للجاهل بمثل ما اشرنا اليه من سنن الاجتماع ومن لا يعتبر بأحوال الامم والشعوب في هذه السنن

نحن أمة مؤلفة من شعوب شتى لا جامعة لها كلها الا اعتقادها ان ارتباط بعضها ببعض يكون لها قوة عامة يعزز بها كل واحد منها وتكون مباراته ومنافسته

للاخر من غيربغي ولا عدوان سببا لقوة الوحدة العامة بقوة أفرادها
يجب أن تبارى عناصرنا في تقوية أنفسها بالعلم والثروة وان يعلم كل عنصر
منها انه اذا بقي متخلفا عن اخوته فان أمه الدولة تفضل عليه اخوته من العناصر
الآخري في جميع أعمالها كما تفضل أم الاولاد ولدها العالم على الجاهل
ان مباراة العناصر العثمانية بعضها لبعض مع الاتفاق على البر بوالدتهم الدولة
العلية والاحسان بها ورفع شأنها هو الذي يسرع ترقيمهم وترقي الدولة ، فعلمنا ان
ترغبهم في المباراة والمنافسة وتغنمهم من البغي والاعتداء فيهما فقط ، وأن لا نحايي
عنصر منهم محابة لا يأذن بها شرعها ودستورها
بل أقول انه ينبغي للولايات وللألوية وللإقضية ان تبارى وتتنافس في العمران ،
بل ينبغي للمدن والقرى وللشركات والأفراد في البلد الواحد ان تبارى في ذلك
فالمباراة هي السائق القوي للارتقاء السريع مع اتقاء البغي من بعضهم على بعض
أعجبني اهتمام أهل بيروت والشام بأمر السكة الحديدية التي يقال انها ستكون
بين طرابلس والعراق ومذا كرتهم في جعل طريقها من بلديهم وان كنت أرى انهم
غالطون في رأيهم وحسبانهم ان تلك السكة تضر بتجارهم أو تنقصها وفي حسابهم
ان ايثار بيروت والشام على طرابلس أمر ميسور . والصواب عندي ان وجود
هذه السكة يزيد جميع البلاد السورية والعراقية عمراننا فتنمو الثروة فيها كلها ومنها
بيروت والشام ولكن الزيادة النسبية في طرابلس تكون أكثر منها في بيروت
وذلك لا يضر بيروت بل يفيدها ولا سيما اذا اتصت بطرابلس بخط عريض
وذلك من أيسر الأمور .

وجملة القول ان هذا العصر هو عصر المباراة والمنافسة من سبق فيه ساد
وعلا ومن تخلف فيه خاب وخسر ، وامتنع واحتقر ، فعلى العقلاء من كل عنصر
وفي كل ولاية وكل بلد أن يحثوا قومهم على ذلك وان تكون وجهتهم فيه ترقية
الامة والدولة بترقية أنفسهم ليكونوا بعلومهم ومعارفهم وثروتهم واجتماعهم حصنها
الحصين ، وركنهما الركين

الاسلام في نيازالاند (*)

﴿ قول لحاكمها ﴾

لما زرت نيازالاند منذ ٢٠ سنة لم يكن الاسلام موجودا الا في بقعة أو بقتين جاءها به بعض العرب ومن ذلك الحين انتشر الاسلام انتشارا عظيما لا سيما في السنوات العشر الاخيرة وقد امتازت قبيلة (الياوس) بالميل الى الاسلام ونشره وأما القبائل المقيمة غربي بحيرة (نيازا) فليس بينها مسلم وقد تغلبت البعثة الاسكوتلاندية الدينية هناك فمال القوم الى النصرانية ، أما الاسلام فقد كان انتشاره من ساحل إفريقية الشرقي وليس من السودان والفضل الاعظم في نشره لعرب جاءوا من زنجبار وقد نمت هذه النهضة الاسلامية بدون مساعدة وليس فيها شيء من قبيل الدعوة الجامعة . وفي جميع بلاد (باو) من بحيرة نيازا الى الساحل الشرقي يوجد في كل قرية تقريبا جامع وامام ، وليس في هذه النهضة شيء من التعصب أو العداء فان جماعة الياوس يميلون الى الحكومة ولا تزال هذه النهضة حتى الآن خالية من كل أذى (١١) على أنه مما لا ريب فيه دائما أن الاسلام معارض للنفوذ الاوربي (١١) أما الحكومة فقد جرت على خطة النزاهة فلم تفضل ديننا على دين آخر ولا خوف من هذا القبيل ما دامت هذه خطة الحكومة ولا أظن أن النهضة الاسلامية تنتشر الى جنوبي (زمباسي) نظرا لقوة النفوذ الاوربي هناك اه

وقد نشرت هذا القول جريدة الدابلي تلغراف من كبريات جرائد لندرة وقفت عليه بهذه المقالة

(*) كلام للسر الفرد شاوب حاكم نيازالاند نشره في جرائد لندره وترجمته بالعمومية جرائد مصر اليومية

«إن نهضة الاسلام لجديرة من انجلترا بضاية أكثر من العناية المبذولة الآن في سبيلها نظرا لاتساع سلطة ملك انجلترا على المسلمين ولأن لها منهم رعايا أكثر من رعايا سلطان الدولة العثمانية ، ولقد قلنا مرارا ان كثرة عدد المسلمين في المملكة الانجليزية جعل واجباتها نحو الاسلام ذات صفة خاصة !
«على أنها فرطت في اهمال هذه الواجبات واذا بأمة أخرى تقتسم الفرص السائحة وتترك ما جهله الانكليز وقفل ما لم يفعلوه

«فالواجب الاول المفروض على انجلترا نحو الاسلام هو أن تفهم هذا الشعب ولا سبيل الى هذا التفاهم الا بتعليم جميع الانكليز الذين يختلطون بالمسلمين لغات الشعوب الاسلامية وطريقة فكرتهم وشرائعهم . الا أن الدولة لم تقتصر على اهمال هذا الواجب اهمالا تاما ولكنها لم تعين له النفقات ولم تبذل في سبيله من الاهتمام ما هو جدير به ، على أن مراسلتنا في برلين يقول في رسالته الاخيرة : إن المانيا تهتم كثيرا بما أهملهاء فقد انشأوا في المانيا «مجلة تاريخ ومدنية الشرق الاسلامي» وفي أكثر من مدرسة جامعة المانية يوجد قسم خاص لتعليم لغات الشرق وآدابه . وقد سعى الالمان بواسطة هذه المباحث وراء التدخل بين المسلمين لمصلحته الخاصة وقد أشار مراسلتنا في برلين الى وجود مدارس المانية في مراكز عديدة في الممملكة العثمانية ، وانهم ينوون انشاء مدرسة جامعة المانية في آسيا الصغرى أو ما بين التهرين ، وهي مساع سلمية تبذلها المانيا في سبيل تعزيز روابط العلاقات بينها وبين الدولة العثمانية ، فهل سعت انجلترا السعي الواجب في سبيل تعزيز الصلات بينها وبين الشعوب الاسلامية التي تتولى أمورهم ؟ وأهم هذه البلاد هي الهند ومصر . نحن نرسل اليهما نخبة من رجالنا لتولي أمورهما وهم ما بين انكليزي واسكوتلاندي وارلندي ولكننا لا نبذل الجهد لفهام قومنا في انجلترا بالذات هذه الحقيقة بحيث يدركون ما يفعله رسل دولتنا هناك . فان مدارسنا الجامعة لا تحفل بالدروس الشرقية كما ان المدارس العامة لا تعرض لها ، والذين يعرفون اللغة العربية في انجلترا أو يعلمون شيئا عن الاسلام وحياة المسلمين هم أندر من الكبريت الاحمر . ان من مصلحة حكومة الهند وسلطتنا في مصر أن نعد بعض رجالنا ليقفوا على حركة الاسلام

وسفره . لا يفهم من قولنا هذا انه لا يوجد في انجلترا من يعلم ذلك والحقفة ان
 فيها عدد غفر من هؤلاء العالمفن الذين يهتمون بهذا الامر . فعندنا الجمعية الآسوية
 الملوكفة وجمعية آسفا الوسطى وعندنا بعض أساتذة جامعاتنا ولهم اهتمام تام باللغة
 العربفة والاسلام ، على أن الدروس في تلك المدارس لفس فيها ما يحفز الانسان الى
 السعف والاهتمام وكان فجب على الحكومة أن تعفن مبلغا كفرا إعانة لمعهد شرقف
 عظم فدف بكنفر من شباننا الى الانقطاع لنقل حقفة الشرق الى الغرب وهذا
 النقل ضرورف لمصلحة الغرب والا فان الغرب لا فمكن أن فذكر حقفة الشرق ،
 ولقد زعم قوم منذ عشرين سنة أن الاسلام لا فمكن أن فذكر حقفة الغرب لان
 إدراكه له فوفف الى سقوطة ، ومنذ خمسن سنة زعم (رانك) أن الاسلام فضعف
 كلما أثرت فف الموفثرات الغربفة ، ومع ذلك فقد توافرت النهضات الاسلامفة من
 ذلك الحفن ، ففف إفرففة ظهر المهفف وأمثاله والسنوسف وانشر الاسلام جنوبا
 فحرف كل ففن آخر فف سبفله وأوجد وراء بوفرة تشاد المدن الكفرفة وهف ذات
 نظام وشرائع فختلف كثراف عن الممففة السابقة ولم فوفثر فف الهنود اختلاطهم بالانكلز
 وهذه الدولة العثمانفة الفف سمفت قفلا « بالرجل المرفض » قد نهضت نهضة وطنفة
 على قاعدة لا فختلف عن الاسلام فف شف . وكل هذا هو من قففل وضع فخر
 فففة فف زجاجات قففة (١) ولا نفلم فف الآن ما ذا تكون النلفة على أن
 حالة مصر فففدنا ان الغرب كان عجولا وكان الاولف به أن ففدبر الامر طوفلا .
 فدراسة هذه المسائل من مقتضفات المصلحة الوطنية الانكلزفة وفففر برجال
 ساسفنا أن فففوا به عناية خاصة اه

(النار) عسف ان فكون لمحاربف العربفة عظة بهذا الكلام ، وأن ففلموا ان
 محاربة العربفة محاربة للاسلام

الدعوة الى التعليم

(في حضرموت)

« لصاحب الامضاء »

ليس مشروع الدعوة حديث العهد عند الامة الحضرمية فانه من المشروعات التي اهتمت لها منذ ثمانى حجاج لكونه من الحاجيات الضرورية لحياة الامة وعماها ولذلك لا يالو جهدا بعض ذوي الهمم العالية في استنهاض همم ابناء جلدتهم الى القيام بتأسيس مدرسة في إحدى مدن حضرموت جامعة لانواع العلوم تشرق من جوانبها انوارها عسى ان يحيا ما اندثر من مجد اسلافهم القديم ويقتدوا باخوانهم من أبناء ملتهم سيرا في سبيل النهضة

ولكن يا للعجب! ان هذا المشروع لم يتم الى الآن مع ان الحضرميين الموجودين الآن في هذه الجزائر ينفقون على اربعين ألف نسمة غالبيهم في سعة من الرزق لو فرضنا ان عشرة آلاف منهم أعني ربعهم في الدرجة الاولى ونصفهم متوسطون والربع الاخير مقلون وجعلنا نصف الربع الاول اعني ثمنهم ممن تبلغ ثروتهم الملايين ومئات الالوف ووزعنا المطالب عليهم لجاءت النتيجة كما يأتي :

عدد	على كل واحد	الجملة
الثنى الاول ٥,٠٠٠	٥,٠٠٠ روية	٢٥٠,٠٠٠ روية
الثنى الثاني ٥,٠٠٠	٢,٥٠٠ «	١٢٥,٠٠٠ «
النصف المتوسط ٢٠,٠٠٠	١,٠٠٠ «	٢٠٠,٠٠٠ «
المقلون ١٠,٠٠٠	١ «	١٠,٠٠٠ «

٥٨٥,٠٠٠ حاصل الجمع

فتكون هذه دفعة واحدة فيشترى بها عقارات من هذه الاراضي ذات ريع كثير ويكون الريع على قدر ما تحتاج اليه المدرسة

فهذه الامة الموجودة في هذه الجزائر هي بالنسبة الى الموجودين في الجهة
الحضرمية الذين انهمكهم الفقر المدقع والجهل المظلم اقل عددا
أليس لنا في اغنيائنا في هذه الاقطار رجل كريم يظهر الفيرة العرية
والحمة الاسلامية والشفقة الانسانية والرأفة الاخوية فينهض بأتمه ويجبر كسرهما ؟
أليس فينا من يبرهن اننا من سلالة أولئك الرجال الماضين الذين بذلوا جهدهم حتى ملأوا
الكائنات نورا ؟! فتى نرى اخراج هذا المشروع و ابرازه الى الوجود ؟ وأنى
لنا ذلك ومن لنا والامة غارقة في غياهب الغفلة ودياجير التقليد والاوهام !! والله
انهم لاهون بغيانهم لا يفكرون فيما اصاب هذه الامة ولا يبالون بها ترقى أم تدلت ،
اعتزت أم ذلت ، بل كل ذلك لديهم سواء

فيا للنجل ! اليس عارا ان نرى بأعيننا ونسمع بآذاننا ما حل بقومنا من السقوط
الى الدرك الاسفل والانحطاط والتدلي في الهيئة الاجتماعية ولا تستفز احدا منا
الفيرة ولا الحمة لا تقاذاها من ربة الذل واثياشها من وهدة الجهالة ؟

فاذا عرفنا هذا علمنا اننا بعيدون عن أوامر ديننا منحرفون عن سبيل الاسلام السوي
لقد شوهنا وجهه وأضررنا بسمعته عند بقية الامم ولو كان فينا قطرة من دم
آبائنا الكرام وذرة حمة للجامعة القومية لتأزرنا واتحدنا على احياء الشعور وايقاظ
النائمين و افارة الافكار والحث على الانفاق . فتداركوا أيها الحضرميون الوقت قبل
فواته وقبل ان يتخطىكم الداء الغربي ويضم الاغلال في اعناقكم كما وضعها في اعناق
الهنود والمصريين والجاويين ولسوف تندمون ولا ينفع الندم !! تفكروا واعملوا قبل
نزول البلاء ولا تتهاونوا مثلما تتهاون اخواننا التونسيون والجزائريون والمراكشيون
متكئين على الخرافات حتى دهمهم البلاء ولم تغنهم خرافاتهم ونحن الآن محتدون مثالمهم
وسأرون في طريقهم تتخبط كأن بنا مسا من الشياطين !

اشفقوا أيها الحضرميون على دينكم وقومكم ووطنكم وسمعة سلفكم ومستقبل
أيامكم وأولادكم فانتا لفي غرور عظيم . واذا نظرنا بعين الحق والانصاف ونفي
الحماقة والتعصب الاعى نرى ما يوجب الاضطراب واليأس من تكاسلنا وتنافرننا في
جانب بقية الامم التي تسابق الى تنازع البقاء !

ناشدتكم الله أيها الرجال المخلصون في خدمة الوطن والامة : ما الفائدة في فتح المدارس في جاوه وحدها لا أبناء العرب ؟ هل تعود على الوطن واهله بكل ما رجووه له من الفوائد ؟ لا أظن ، لان أبناء العرب هنا لم يعرفوا معنى الوطن بل هم يكرهون ذكر ارض العرب ! وان قلت يكرهون العرب انفسهم ولا يحبون الامن نشأوا بينهم لما كنت مبالغا ! الفائدة عائدة لشخصيتهم فقط لا لمجموع أهل وطنهم كما توهم الاغرار - اذا فرضنا ان ابن العرب المستعجم حاز القدرح المعلن في لغة الاجانب والكتابة والحساب ونال الشهادة المدرسية في الهندسة وما أشبه فهل تظنون ان الحكومة الاجنبية تمنحه رتبة وتعطيه راتبا يوازي نصف أوربم ماتعطيه لاحد الاوربيين ؟ كلا - فرضنا انه صار كاتباً في الحكومة أو عند أحد التجار الا فرنج راتب شهري قدره عشر درويات الى خمس عشرة روية فيعيش بهذه فيبقى مدة حياته في هذه الجزائر : فهل للوطن اذا فائدة أو لا بناء وطننا التعميس الحظ ؟ كلا ! فيخند لا يكون في فتح المدارس هنا كل الفائدة لا بناء العرب بل الفائدة فتحها في وطننا العزيز وتعليم النابتة هناك ويمكن ان يرسل أولاد العرب الذين يولدون هنا الى تلك المدارس فتكون العاقبة مجودة لهم ولوطنهم وملتهم جميعا

فهل تليق بنا هذه الفعلة مع أن للعرب خصوصا والمسلمين عموما علماء واغنياء في غالب مستملكات الاجانب ؟

فبأي شيء تعاملهم الاجانب ؟ هل أحد منهم نال رتبة والٍ أو حاكم أو أعطته راتبا يوازي راتب أقل واحد من الاوربيين ؟ أو هل نظرت اليهم بعين الشرف والعز والاحترام ؟ كلا وانما هم ينظرون اليهم بعين الاحتقار كما ينظرون الى اذل حيوان ولسان حالهم يقول : لو كان هؤلاء يمدون من بني الانسان لكان لهم سلطة على بلادهم ولا صلحوا ذات بينهم - فكيف تريدون الاجانب على اكرامكم وانتم لم تكرموا انفسكم فمن أي باب تطلبون الشرف ؟ فالشرف هو في ترقية الوطن ولم تشتع ابنائه والاخذ بتناصر المظلوم وانتياش الجاهل من حماة الفعلة وبذل العلوم المفيدة وبذل المال لتأسيس المدارس - وقفنا الله الى ما فيه صلاحنا

قانون حق التألیف *

المادة الاولى — لكل نوع من النتائج الفكرية والقلبية حق لصاحبها يسمى

«حق التألیف» .

المادة الثانية — النتائج الفكرية والقلبية هي جميع انواع الكتب والمؤلفات والرسوم والالواح والخطوط والمحكوكات والهياكل والخطط والخرائط والمسطحات والمجسمات المعمارية والجغرافية والطوبوغرافية وكل المسطحات والمجسمات الفنية والترانيم والتواقيع (نوطه) الموسيقية .

المادة الثالثة — ان حق التألیف يتضمن طبع ونشر هذه الآثار والاتجار بها وترجمتها لسان آخر أو افراغها لرؤية تمثيلية ويشمل الدروس والمواعظ والخطب والمسامرات التي تلقى لاجل التعليم والتربية أو الفكاهة . أما الخطب التي تلقى في مجلس المبعوثان والاعيان والمحاكم والاجتماعات العمومية فلكل انسان ان يضبطها وينشرها . وانما جمع خطب خطيب أو دروس استاذ وتدوينها وطبعها هو حق من حقوق صاحبها .

المادة الرابعة — المقالات والرسوم التي تنشر في الجرائد اليومية والموقرة اذا كانت مقيدة بعبارة مثل «حقها محفوظ» «ونشرها وترجمتها ممنوع لغير صاحبها» فحقها محفوظ .

ولكن المقالات والرسوم والابحار اليومية غير المقيدة بمثل هذا القيد لا يعتبر فيها حق التألیف على شرط ان يبين مأخذها .

المادة الخامسة — لا يجوز استعمال اسماء الجرائد والمجموعات والرسائل والكتب الموجودة من قبل أحد وانما لكل انسان ان يضع لمؤلفاته اسماء وعنوانات عمومية .

(*) نشرته جريدة الحضارة ثم طبعته على حدة

المادة السادسة — ان حق التأليف عائد للمؤلف في حياته اما بعد وفاته فهو عائدا اولاً لاولاده وازواجه لمدة ثلاثين سنة من تاريخ وفاته . ثانياً لآبائهم وامهاتهم . ثالثاً لاحفاده بالتساوي . وعليه لا يجوز طبع ونشر هذه المؤلفات أو ترجمتها لسان آخر في هذه المدة من قبل احد غير مؤلفها أو ورثته .

المادة السابعة — ان حق التأليف في الالواح والخطوط والنقوش والرسوم والاشكال والخرائط وجميع المسطحات والمجسمات المعمارية والجغرافية والطوبوغرافية بعد الوفاة هو ثمانني عشرة سنة اما حق التأليف في التراجم والتواقيع الموسيقية فهو كالكتب والمؤلفات (ثلاثون سنة) .

المادة الثامنة — ليس في القوانين والنظامات والالوامر والتعليمات الرسمية والاعلانات التجارية والصناعية حق للتأليف ولكن للذين يعلقون عليها ويشرحونها حق محفوظ في هذه التعاليق والشروح .

المادة التاسعة — ان مدة حق التأليف للآثار التي لم تنشر في حياة المحرر تبدئ اعتباراً من تاريخ نشرها .

المادة العاشرة — لا يجوز تمثيل رواية منشورة أو منظومة أو تمثيل قسم منها من غير اذن المؤلف ولا يتضمن حق طبع هذه الآثار ونشرها حق تمثيلها .

المادة الحادية عشرة — ان تمثيل الروايات المنشورة والمنظومة في المسامرات التي ترتبها المكاتب والجمعيات الخصوصية لا مقصد الانتفاع غير تابعة لحق التأليف .
المادة الثانية عشرة — يجوز اخذ بعض القطع من أي أثر كان لضرورة أولفائدة من الآثار الادبية والعلمية والكتب المخصوصة بالمدارس وفي الانتقادات على شرط ان يذكر اسم المؤلف .

المادة الثالثة عشرة — لا تنشر المكاتب الا برخصة من صاحب تلك الآثار اذا كان حياً أو من عائلته اذا كان متوفى .

المادة الرابعة عشرة — يمكن ترجمة اثر من الآثار من قبل واحد أو اكثر ضمن أحكام هذا القانون وحق كل مترجم من ترجمته كحق التأليف اعتباراً من وفاة المترجم .

المادة الخامسة عشرة — ان حق التأليف في الآثار التي تنشرها الدوائر الرسمية والجمعيات المعروفة لدى الحكومة بصورة رسمية عائد لتلك الدوائر والجمعيات .

المادة السادسة عشرة — اذا ألف او ترجم اثر من قبل اشخاص متعددين من غير مقالة فحق التأليف او الترجمة عائد اليهم كافة على التساوي واذا توفي احد الشركاء فحق استفادته من الاقسام التي نشرت لتاريخ وفاته والمسودات التي اعدت للنشر ينتقل لورثته وتعتبر مدة الثلاثين سنة في حق التأليف ومدة الخمس عشرة سنة في حق الترجمة اعتبارا من وفاة آخر شريك في التحرير واذا كان يوجد مقالة مخصصة بين الشركاء فيجري حكم المقالة تماما واذا حدث خلاف ما يرجع الى المحكمة

المادة السابعة عشرة — اذا لم يبق لاثر صاحب ما كان توفي مؤلفه بلا وارث او اقطعت الوراثة او حدثت اسباب اخرى فكل انسان له الحق بطبع ذلك الاثر وترجمته .

المادة الثامنة عشرة — يمكن لكل أحد ان يطبع الآثار المطبوعة قبلا والتي لاصحابها وفقا للمادة السابقة واما الذين يودون طبع اثر لم يطبع حتى الآن فيعطى لهم بناء على استدعائهم امتياز من قبل نظارة المعارف لمدة عشر سنوات الى خمس عشرة سنة وحينئذ لا يجوز لغير صاحب الامتياز أو ورثته طبع هذا الاثر في ظرف هذه المدة وانما اذا لم يباشر طبع الاثر في مدة سنة أو عطل سنة بعد مباشرة طبعه فبعد الامتياز كان لم يكن .

المادة التاسعة عشرة — اذا نفدت بعد وفاة المؤلف نسخ اثر من الآثار المعتبرة التي يرجي منها فائدة للعموم ولم يفسر طبعه لسبب من الاسباب كفقير ورثة المؤلف أو اهمالم أو عدم اتقانهم فنظارة المعارف تستكمل اسباب طبع هذا الاثر مع مراعاة حقوق الوراثة .

المادة العشرون — على مؤلفي الآثار ان يعطوا ثلاث نسخ مطبوعة من اثرهم لنظارة المعارف في الآستانة وللمديرية المعارف في الخارج ويقيدوه ويسجلوه ليحفظوا

بذلك حق تأليفهم اما الآثار التي ليس لها الصورة واحدة كالالواح والنماثيل والتعاليق (المديلات) فهي مستثناة من هذه المعاملة .

المادة الحادية والعشرون — يقيد في الدفتر المخصوص الذي ينظم في نظارة المعارف ومديرياتها حق التأليف ماهية المؤلف واسم الاثر وموضوعه وتاريخه ومحل طبعه وعدد صحائفه ويوضع له رقم بالترتيب وبعدها يوقع عليه من صاحب الاثر او وكيله الرسمي .

المادة الثانية والعشرون — يؤخذ في دوائر محاسبات المعارف ربع ايريه عثمانية فقط خرجا للقيد والتسجيل ويعطى بمقابلته من قبل نظارة المعارف او مديرياتها علم وخبر يعتبر بمقام سند للتصرف يكون معمولاً به الى ان يثبت عكسه بالمحاكمة .

المادة الثالثة والعشرون — تجري معاملة قيد المطبوعات الموقفة في كل آخر سنة عند اراءة النسخ التي نشرت وتسجيلها .

المادة الرابعة والعشرون — لا تسم دعوى حق التأليف في المؤلفات غير المسجلة الى حين تسجيلها . تعلن في آخر السنة الآثار التي قيدت وسجلت في ظرف السنة واسماء مؤلفيها رسمياً بواسطة الجرائد .

المادة الخامسة والعشرون — لصاحب الاثر او المترجم او صاحب الامتياز او ورثتهم ان يبيعوا او يتركوا في ظرف المدة النظامية حق التأليف او الامتياز تماماً او مؤقتاً او بتعيين عدد النسخ لاخر بموجب مقابلة بمقابل بدل او بلا بدل ويكون المشتري او الآخذ حينئذ قائماً مقام اصحابها ضمن شروطها حتي انه اذا توفي قبل اكمال المدة تعد ورثته متصرفاً في المدة الباقية .

المادة السادسة والعشرون — يجب تسجيل مقابلة البيع او الترك في نظارة المعارف في الاستانة وفي مديرياتها في الخارج ويؤخذ نصف ليرة عثمانية خرج قيدية ولدى ابراز المقاولات التي لم تقيد على هذه الصورة الى المحاكم يؤخذ ثلاثة اضعاف الخرج المذكور جزاء ويرسل الى صندوق المعارف .

المادة السابعة والعشرون — المحررون واصحاب الصناعة الذين يشتغلون لاسم غيرهم يعتبرون بائعين حق تأليفهم اذا لم يوجد مقابلة خصوصية .

المادة الثامنة والعشرون — ليس للطابع ان يحدث تغييرا ما في الاثر بدون اذن المحرر واذا اجري ذلك منع نشر الاثر بواسطة المحكمة وتعلن صورة الاعلام بالجرائد وليس للطابع ان يسترد الاجرة التي اعطاها للمحرر .

المادة التاسعة والعشرون — ان طبع كتاب وتمثيله في المدة الحقوقية من غير اذن صاحبه يعد تقليدا وكذلك تمثيل رواية منشورة أو منظومة في المدة الحقوقية من غير رخصة اصحابها وطبع التواقيع (نوطه) الموسيقية أو استنساخ الخرائط والالواح والرسوم وانواع الخطوط بالقوطر غراف أو بوسائط اخرى واعمال قوالب للآثار القلبية والموسيقية بالوسائط الصناعية واعمال الواح لها (بلا كات) هو بحكم التقليد يجازى المقلدون توفيقا للمادة الثانية والثلاثين .

المادة الثلاثون — ان نسبة الآثار في التأليف والفنون النفسية لغير اصحابها يعد انتهاكا وكذلك من قدم وأخر عبارات كتاب أو أناشيد موسيقية أو حرف طرز افادتها كله بصورة يفهم منها الاصل واسندها لنفسه يعد بحكم المنتحل .

المادة الحادية والثلاثون — التقييدات والشروح والحواشي لا تعد انتهاكا وكذلك اذا نقل المؤلف بعض جمل وفقرات من اثر آخر لاثره ونوه بانه اخذهم من محل آخر لا يكون منتحلا .

المادة الثانية والثلاثون — من طبع الآثار التي لها حق التأليف بدون رخصة من اصحابها أو توسط بطبعها أو مثل رواية منشورة أو منظومة يغرم بخمسة وعشرين ليرة عثمانية الى مئة ليرة جزاء تقديا ويحبس من أسبوع الى شهرين وتضبط منه الآثار التي طبعها وتعطى الى اصحابها وكذلك من طبع مثل هذه الآثار في الخارج ومن ادخلها الى الممالك العثمانية يغرم بخمسة وعشرين ليرة عثمانية الى مئة ليرة جزاء تقديا والذين يبيعون هذه المطبوعات وهم عارفون بها أو يعرضونها للبيع يغرمون بخمسة ايرات عثمانية الى خمس وعشرين ليرة جزاء تقديا .

المادة الثالثة والثلاثون — اذا اقيمت دعوى الضرر والخسارة من قبل صاحب الاثر المتضرر يعطى بحقها قرار من المحكمة نفسها مع اساس الدعوى .

المادة الرابعة والثلاثون — يعامل الطابعون الذين يطبعون كتباً زيادة عن

المقاوله التي عقدوها مع المؤلف معامله الذين خالفوا الامانة وتضبط النسخ الزائدة التي طبعوها ويؤخذ منهم بدل ما باعوه منها ويعطى كل ذلك لصاحب الاثر .
المادة الخامسة والثلاثون — تطبق أحكام المادة الثانية والثلاثين التي بحق المقلدين بحق المتحلبين أيضا .

المادة السادسة والثلاثون — لاصحاب الاثر المشترك ان يراجعوا المحكمة على الافراد ويطلبوا الضرر والخسارة التي لحقتهم بسبب التجاوز على حقوقهم التصرفية من قبل الغير .

المادة السابعة والثلاثون — لا يجوز للدائنين حجز آثار المؤلف التي لم تطبع واذا صدر حكم في بيع الآثار والمؤلفات التي حجز عليها يعتني كثيرا بعرضها للبيع ووقاية أصحابها من الضرر .

المادة الثامنة والثلاثون — النظام المتعلق بطبع الكتب والمؤرخ في ٨ رجب سنة ٢٨٩ و ٣٠ آب سنة ٢٨٨ مفسوخ بهذا القانون مع الفقرات المذيلة عليه .

المادة التاسعة والثلاثون — ان الذين طبعوا اثرا قبل نشر هذا القانون بدون ان يحصلوا على رضى صاحبه أو ورثته عليهم مراجعة صاحبه أو ورثته واستحصال رضائهم واذا استمروا على بيع الآثار المقلدة من غير رضى أصحابها يجازون بمقتضى هذا القانون .

المادة الاربعون — ان تنفيذ الاحكام القانونية على الجرائم المعينة بهذا القانون متوقفة على شكاية شخصية .

المادة الحادية والاربعون — ان حق التأليف في الآثار التي نشرت بلا امضاء أو بامضاء مستعار راجعة الى ناشرها الى ان يظهر محررها نفسه

المادة الثانية والاربعون — ناظر المعارف والعدلية مأموران باجراء هذا القانون .

في ١٠ جمادى الاولى سنة ١٣٢٨

وفي ٦ مارس سنة ١٣٢٦

بَابُ الْإِخْبَاتِ وَالْإِثْبَاتِ

تعارض العقل والنقل

(في الاسلام) *

نص السؤال

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الى جناب المكرم الاخ في الله مفيد السائلين وقدوة الناسكين امام المحدثين
سالك منهج الراشدين شيخنا الفاضل الاجماد محمد جمال الدين القاسمي سلمه الله من
كل شر وجعلنا وإياه من اتباع سيد البشر آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ومرضاته . اما بعد فانه وصل الينا عزيز
كتابكم ، تلونا مسرورين بسني خطابكم ، وحمدنا الله على ما اولاكم ، اصلح الله
احوالنا واحوالكم ، واحسن عواقب الجميع انه ولي التوفيق

وبعد اني نظرت في اما كن من كلام الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه مثل
توسطه في ذم السياسة وذم التقليد ومحبة لطريق الساف وحثه على النظر فيه في اصول
الاعتقاد وحثه على مآخذ الائمة من الكتاب والسنة واحترام اهل الحديث واهل
الاثبات وتمييزه طريقهم عن غيره ، فحق لي ان أقول هو العالم الخبير الذي ينبغي ان تشد

* سؤال من الشيخ عبد العزيز السناني العالم السلفي عن عبارة للاستاذ الامام في كتاب
الاسلام والنصرانية وجهه الى الشيخ محمد جمال الدين القاسمي عالم دمشق العامل الشهير وجواب
هذا عنه واذعان السائل لجوابه

اليه الرجال ووددت اني سألته في حياته ايضاح قاعدة في اصل الاعتقاد قد رسمها في كتاب الاسلام والنصرانية في تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض قال في كتابه « اتفق اهل الملة الاسلامية الاقليلا ممن لا ينظر اليه على انه اذا تعارض العقل والنقل اخذ بما دل عليه العقل . وبقي في النقل طريقان طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالمعجز عن فهمه، وتقويض الامر الى الله في علمه، والطريق الثانية تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق معناه مع ما أثبتته العقل . (وقال) وبهذا الاصل الذي قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مهدت بين يدي العقل كل سبيل » اه كلامه قسمها ثلاثة اقسام، الاول التقديم عند التعارض مطلقا، والثاني التفويض، والثالث التأويل، فالاول لولا دمه لتقليد الفقهاء فضلا عن الآراء الفلسفية قلنا هذا تقليد لم يبنه على اصلهم، والثاني التفويض وفيه ما فيه، والثالث لولا تمييزه واعلاؤه طريقة السلف قلنا غني بالتأويل اصطلاح المتفلسفة الذي حقيقته التبديل، وكذلك (قال) وهذا الذي عليه عمل النبي صلى الله عليه وسلم ففهمنا من ذلك انه بنى تلك الاصول على وجه يمكن انه من السنة لكن لم يحط به علماء خلاف ما يتوهم، ولأنه بعيد من الغباوة والتقليد بغير الوقوف على الحقائق، واني لعل نظر بل على قدم ان العقل عقابن عقل صحيح وعقل فاسد وان النقل نقلين (؟) نقل صريح صحيح ونقل غير صحيح فالعقل الصحيح، موافق للنقل الصحيح، لا تعارض ولا تنازع بينهما وما حصل من التنازع فهو من سوء الافهام ليس هو اختلال في العقل الصحيح، ولا قصور من النقل الصحيح، وهم هذا لم يرتفع غني وجه الاشكال بالكلية، بل على هنيهة، لما في ذلك من الاجمال واحتمال التفاصيل ما يحتاج الى فهم سيال وفكر وقاد فاستشككت ذلك جدا، وطلب التسليم لقاعدة صاحب الاسلام والنصرانية اعوزني الى ان انظر في كتاب شيخ الاسلام ابن تيمية المسمى بالجمع بين العقل الصحيح والنقل الصحيح وهو بهامش كتابه منهاج السنة في الرد على الرافضة فسرحت نظري في اول الكتاب واسترسلت به نحو فصلين فمسر علي التسليم للتقديم مطلقا فأوقفني ذلك الكتاب على ثيل ابجاث موارد طرق شتى متباعدة الاعماق، متخالفة المساق، متباينة المذاق، فمنها ما هو ملح اجاج آسن كدر، ومنها ما هو عذب صاف فرات سائغ للشراب،

وما بينهما في الاقل والاكثر مزج من الجانبين فصوبت نظري مليا في ذلك فاذا الناس في تنوع طرقهم الى مواردهم بهرعون سراعا ، أقطعا وأرسالا وأشتاتا ، لا يصدحهم وذخ قذى ما في مواردهم ، فسبحان الله لقد استعذب كل اناس مشربهم ، ثم علوت اعلا ثيل تلك الموارد ، دفن البدن من زواجع التفكير ، شعث القلب لهفا ، متفطر الكبد ظمأ ، مرتجف الاعظم وجلا ، مقتقرا للـم شعث قلب ، وضم فطرة كبد ، ونفث ظلم ، وسكون اعظم ، ونمريض طيب ، فاستجرت بذلك اليكم ، كي استضي بنور علمكم ، واستصبح بمشكاة فهمكم ، وأستعين بياسق فضلكم ، الى معرفة أصول الايمان الذي انزلت به الكتب ، وارسلت به الرسل ، وما يتوقف وجود الايمان على وجوده ، وما يعدم من عدمه ، ولكم في ذلك إن شاء الله الانجور الوافرة ، والمقامات الفاخرة ، في الدنيا والآخرة ، وفقنا الله واياكم السداد ، وألهمنا وإياكم الرشاد ، انه رؤف بالعباد ، هذا ما يلزم

وأبلغ سلامي فريد عصره ، نابغة دهره ، مفيد المستفيد ، امام وقته ، بركتي ومحبي الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ الاخ محمد ديب واخوانكم السادة الابرار ، وأولادكم الاطهار ، ومحبيكم الاخيار ، ومن لدينا مخدمكم محمد وابن عمه احمد والمشايخ أهل النهى السادة الفضلاء كافة بيت الآكوسي علي افندي ومحمود شكري افندي وكافتهم والشيخ عبد الرزاق الاعظمي وكافة من تلامذة هؤلاء واساتذة تصحبهم ، فعد ذكركم يودعوننا السلام عليكم ومن يحبكم واتم في أمان الله وحسن رعايته والسلام غرة ربيع ثاني سنة ١٣٢٤ المحب الداعي

عبد العزيز ابن محمد السناني

ثم ذيله بقوله :

صاحب هذه القاعدة المذكورة (١) اقواله في الحث على التمسك بالدين الحق وايضاح مآثره وتقديره وتقديره لاصوله في سائر أقواله في كتبه ومجالسه ومحافله يخالف ما نتخيله من التناقض فيها اللهم الا وهما وليس العصمة لغير الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

(١) يعني الاستاذ الامام صاحب قاعدة الجمل بين العقل والنقل

جواب الشيخ جمال الدين القاسمي

باسمه تعالى وبمحمد

الى الشيخ الامام الرباني ، الشيخ عبد العزيز السناني ، أبقاه الله مفيداً
لطلابنا ، وداعياً للجيل المتين ، وقائماً بنصر السنة القويمة ، والمحجة المستقيمة ،
سلام الله عليكم ورحمته وبركته ووضوانه

أنهي اليكم انه وصلي عزيز خطابكم ، وكرم كتابكم ، فمدت المولى على
صحتكم ، ودعوت لكم بدوام افادتكم ، وعموم النفع بمباحثكم ، تضمن كتابكم
الجميل ، أهم بحث جليل ، ومسألة جذيرة بالتحقيق ، واعارثها النظر الدقيق ، مسألة
اضطربت فيها الانظار ، واعملت فيها من عهد السلف الافكار ، وصنفت فيها
المصنفات ، وتنوعت فيها المذاهب والمقالات ، مسألة هي أشهر المسائل الكلامية ،
ومحك افهام الفتن السلفية والخلفية ، مسألة من وقف منها على الصواب ، بعد اجتيازه
عقبات الارتباب ، فقد فاز فوزاً عظيماً ، وكان في الامة اماماً حكيماً ،

قبل ان نتكلم في هذا البحث أريد ان أذكر امراً أراه من أوجب الواجبات ،
وأهم المهمات ، ألا وهو اطراح العصبية المذهبية ، والحمية القومية ، والاتفات في
كل مسألة الى دليلها ، والبحث مع برهانها ، فإننا عن الحق نبحت ، واليه نسعى ،
والحق ما قوي فيه الدليل ، وانضح معه البرهان ، فمن أدلى ببرهان ناصع وحجة
قوية فهو الحق الواجب اتباعه ، المتحتم اقتفاؤه ، من أي مذهب كان ، ومن أي
فرقة وجد ، وفي أي قطر ولد ، وفي أي جيل نشأ ، والحاصل انا أبناء الدليل ،
وأتباع البرهان ، اقول هذا أولاً

ثانياً من الآداب التي يقتض - فيما أراه - سلوكها والاخذ بها ، والدعوة
اليها ، وهي من لوازم التمهيد الاول - رفع التنافر من الفرق ، وبحو التضييل
والتفسيق من النفوس ، واقامة الاعذار ، لسائر أهل الأنظار ، ما داموا داعين
الي الدين ، متمسكين بشرعه المتين ، يصلون صلاتنا ، ويستقبلون قبلتنا ، وان

یتحقق ان الكل طالبون للحق ، جادون للحصول علیه ، ساعون وراؤه ، فيعذرهم بذلك ويرحمهم ، ثم من أخطأ منهم الدليل ، ونكب عن سواء السبيل ، فيما يعتقد خصمه فانه بعد بذله جهده معذور بالاتفاق ومأجور بنص الشارع ، وعلى خصمه ان يحمده مولاه ، على ما هداه ، ويشكره على ما أولاه ، ويقول الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ،

لا أنكر ان المرء اذا بحث ونخص وجد ما يقوله المتكلمون من التأويل الذي يخالفون به أهل الحديث كله انحرافا ، ووجد أن الحق مع أهل الحديث باطنا وظاهرا ، ولكن آسف لأن تكون هذه المسائل مدعاة للتفرق ، سائقة للتحزب والتعادي ، باعثة على التنازع بالألقاب ، مثيرة أحيانا للطعن بانسان إثر الترامي بشظايا اللسان ، هذا وديننا واحد ، وكتابنا واحد . وقبلتنا واحدة . وأصول إيماننا واحدة . من أين أتينا ومن أي صوب رمينا ؟ أتينا من نبد الوحدة ، والزهد في التآلف ، والرغبة عن التضام ، من دخلاء أفسدوا جامعنا ، أو من غلاتنا ، أو من مقصرين عن فهم روابط الدين ، فأنا لله

نحن في عصر أحوج الى الرجوع الى المتفق عليه ، والدعوة بالحكمة اليه ، فمن اتقاد ، واعتنق سبيل السداد ، والا فلا تفسيق ولا تضليل ، ما دام على قانون التأويل ، وقد صرح بذلك حجة الاسلام عليه الرحمة

انما عجبت بهذا التهيدأنا لسنا من قوم يتحزبون لفريق دون آخر ، ولا ممن يعادي المخالف عداوة قلبية ، بل ممن يبين الحق الذي يراه ، ويجادل بالحكمة والموعظة الحسنة من يأباه ، فان اهتدى فلنفسه ، وان أصر معتقدا حجية ما لديه وصحة ما ينتحله فيكشف له غلطه ، فان رجع (فذاك) والا بأن عاد الى مشربه ، وقد استحکم في قلبه قواعد مذهبه ، فما عليك الا إبانة الرشاد ، والله الهاد ،

مبحثنا فی دعوی تعارض العقل والنقل

ما ذا يقول العاقل من هذه الجملة التي دبت على اللسان ، ومشت مع الزمان ، وصفها مرور الايام ، وامتزجت بكلام أهل النظر وتأليفهم قرنا بعد قرن ، وجيلا

بعد جيل ، حتى أصبحت أصلاً أصيلاً ، وغدت ركناً ركنياً ، يتحاكم أهل النظر اليها ، ويعولون في مشكلاتهم عليها ،
 لعمر الحق ان بثها في أسفار العلم ، وتلقينها لرواد الفهم ، لما يندعش له الفكر ، ويتألم له القلب السليم ، ولا يعمده ذو الفطنة الوقادة ، والفطرة الصحيحة ،
 الا من الدخائل على أصول الدين ، دخائل الخلف المبتدعين ،
 من ينكر أثر هذه الجملة على أصول الدين ، ومن لا يألم لما جنته على قواعد
 البقين ؟ يكاد ينخلم القلب مما ترمي اليه من امكان تعارض العقل والنقل ،
 وتباين الامر بين ، ومعاذ الله أن يوجد تعارض أو شبه تعارض أو امكان تعارض بين
 العقل والنقل ، بل العقل في النقل والنقل في العقل ، وماهما تعرف الحق الا كالروية
 المشروطة بسلامة البصر وانسباط الضياء ، فلا عقل بدون نقل ، ولا نقل بدون
 عقل ، العقل والنقل متآخيان في هذه الملة الحنيفة ، ومنتزجان في أصولها وفروعها ،
 كليتها وجزئياتها ، امتزاج الماء في العود والروح في الجسد ، رمتلازمان تلازما
 لا يقبل الانفكاك بوجه ما كلزوم نظام الكواكب لسيرها المقدر

شهرة هذه القاعدة

حدثني تحرير امام أن حشوايا من يبروت قم على الاستاذ عليه الرحمة هذه
 القاعدة بدعوى تفرد بها ، وعدم سماعها ، فأسفت لأن يصل الحال بالحشوية
 الى انكار المشهورات سيما مثل هذه القاعدة التي هي أصل للتكلمين أجمعين ،
 وما بنا من حاجة الى التعريف بشهرتها من الاسفار الموجودة وتأيدتها ، فانها
 بديهية ، الا ان البديهي قد ينه عليه ، لغشاوة تحول دون النظر اليه ، قال السيد
 الزبيدي في كتابه إيثار الحق على الخلق « تقديم العقل على السمع اولى عند
 التعارض لان السمع علم بالعقل فهو أصله ولو بطل العقل بطل السمع والعقل مما
 وهذه من قواعد المتكلمين »

وقال الامام ابن فورك في كتابه تأويل المتشابه « ما صح من الخبر المروي
 في باب الصفات فهو مرتب على دلائل العقول ليجمع بين الدليلين ، ويوفق بين
 المجتئين »

وقال حجة الاسلام الغزالي في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد « ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل السمع به »

وبكفي ان شيخ الاسلام ابن تيمية عليه الرحمة والرضوان ألف كتابه المسمى موافقة صريح العقول ، الصحيح المنقول ، لمناقشة هذه القاعدة حيث قال في أوله « قول القائل : اذا تعارضت الادلة السمعية والعقلية أو السمع والعقل أو النقل والعقل ونحو ذلك من العبارات فانه يجب تقديم العقل ، هذا الكلام قد جملة الرازي واتباعه قانونا كلياً فيما يستدل به من كتب الله وكلام أنبيائه » الى آخره وكلام الائمة في هذه القاعدة شهرير الا ان الحشوي لا يعلم ولا يريد أن يعلم

اذكرني كلام هذا الحشوي - والشيء بالشيء يذكر - ما وقع من حشوي آخر غيبي قبل له ان السبكي في جمع الجوامع رد على من زعم انقراض الاجتهاد من عصر الاربع مئة وصحح بقاءه الى عصره فاخذته الرجفة ، وآلى بأنه قرأه ودرسه ، وسببه وخصه ، ولم ير تلك المقالة من أثر ، فقبل له لو قرأته لدريته ، ثم ترامى على محاوره وتوسل اليه ان لا يضمن عليه بموضع ذلك من الجمع فقال له راجع ما قاله في بحث خلو الزمان عن مجتهد وهو قوله . « والمختار انه بعد جوازه لم يثبت وقوعه » أي وقوع الخلو ، فسقط بين يديه ، وكاد يقضى عليه ، والقصد ان تلك العبارة شهيرة وان كانت في كل كتاب تسمى من الالفاظ اسلوباً خاصاً قد يخفى انها هي هو

سبب تأصيل هذه القاعدة

قدمنا ما يلم بالنفس من التألم لدعوى تعارض العقل والنقل وانها عبارة ما كان ينبغي اعادتها ادنى نظر فانه متى اجرى بالنقل على طريقه الصحيح تصافح مع العقل بادئ بدء ولكن يضطرونا للكلام عليها ما بتوكلنا عليه كثير من الخائضين في الكلام مع الفرق والباحثين في علم الكلام ، أرى بعد ثبوتها في كتب الائمة واندراجها في مباحثهم ان لها وجوها بعضها صحيح وبعضها فاسد واليك البيان ،

لما حدث في عهد السلف الخوض في الصفات والبحث في المعاني عن مروياتها وذاع ذلك وانتشر بين حملة الآثار وبين ارباب النظار . انقسمت الناس في ذلك ثلاثة أقسام فريقان منهم متطرفان وفريق معتدل

اما الفرقة الاولى المتطرفة فهي الفئة المشبهة فانها غلت في الاثبات غلوا خرجت به عن المقول رأسا ، فأجرت كل ماورد على ظاهره المهود في المخلوقين والمفهوم عند الاطلاق على الاجسام ، فانتفى بهم الامر الى التجسيم البحت ، والتحديد الصرف ، واخذت آراهم الحقى يتلاعب بها الهوى كيف شاء ، وتفرقوا الى مشبهة الحشوية ومشبهة الشيعة الغالية ومشبهة الحلولية ، كما نراه في كتب المقالات

ولعل هذه الفرقة هي التي استثنائها الاستاذ الامام رحمه الله بقوله « الاقبالا ممن لا ينظر اليه » وفي الواقع هم شرذمة قليلون اذا نسبوا غيرهم وقوة جمودهم لم يبق لهم وزن كما أقيم لغيرهم

واما الفرقة الثانية فقامت في مقابلة اولئك وغاب عليها النظر والتأويل واوهمت ان الاولى تنقل ما لا يليق بالتوحيد ، وتروي ما لا يصح في الدين ، فرمتها بكفر أهل التشبيه والتثيل ، ومروق اهل الاتحاد والتعطيل ، وقضت على تلك المرويات بأنها مجازات وردت على مناحي معرفة للعرب معهودة في لغتهم وأسايلهم ثم برهنوا على ذلك بان حملها على حقيقتها محال لما يلزم من الحدوث وحلول الحوادث به ، يعنون بحقيقتها ما هو معروف لهم من صفات الخلق واحوالهم ، قالوا فلما جاء النقل بما يوهم محالا عند العقل كان للعقل التقديم على النقل وملاحظته أولا وبالذات ، فما أمكنهم ان يتأولوه على قولهم تأولوه والا قالو هو من الالفاظ المتشابهة المشكلة التي لا ندري ما أريد بها ، وبالجملة فجعلوا قاعدتهم الكلية العقلية اصلا محكما والمروي المنقول فرعاه فكان العقل عندهم مقدما على النقل مطلقا وهؤلاء الفرقة أيضا من الغلاة في التنزيه المتعصبة فيه ، ولذلك كانت فرقة جائرة غير معتدلة ولا مقصودة فان دعواها في سائر المرويات انها مجازات وان العقل مسيطر على النقل يصرفه كيف شاء كدعوى ان النقل يقبل كيفما كان : احاله العقل أم لا ، صح سنده أم لا ، في ان كانيهما طرفان جائران ، والقصد والتوسط خيرهما ، ولذا قال السيد الزبيدي « ومن البدع بدع المشبهة على اختلاف انواعهم وبدع المعطلة على اختلافهم ايضا فقلاتهم يعطلون الذات والصفات والاسماء ومنهم الباطنية ودونهم الجمهوية . ومن الناس من يوافقهم في بعض ذلك دون بعض » (ثم قال) فالفرقان المشبهة والمعطلة انما اتوا من تعاظمي

علم ما لا يعلمون ، ولو أنهم سلكوا مسالك السلف في الايمان بما ورد من غير تشبيه
 سلموا ، فقد اجمعوا على ان طريقة السلف أسلم ولكنهم ادعوا ان طريقة الخلف
 أعلم ، فطلبوا العلم من غير مظانه بل طلبوا علم ما لا يعلم فتعارضت انظارهم العقلية
 وعارض بعضهم بعضا في الادلة السمعية فالمشبهة ينسبون خصومهم الى رد آيات
 الصفات ويدعون فيها ما ليس من التشبيه والمعطلة ينسبون خصومهم الى التشبيه
 ويدعون في تفسيره ما لا تقوم عليه حجة ، والكل حرموا طريق الجمع بين الآيات
 والآثار ، والافتداء بالسلف الاخيار ، والاقتصار على جليات الابصار ، وصحاح الآثار ،
 انتهى . وطريق الجمع هو طريق السلف المقنصد ويأتي بيانه على حدة وهو طريق
 الفريق المعتدل

والمقصود ان الفرقة الثانية القائلة بالتنزيه البحت المحككة للعقل في النصوص
 نحكما مطلقا القائلة بتقدمه على النقل بطريقها الذي يبناه فقاعدها المذكورة فاسدة
 باطلاقها اذ لو قيل لها ما هو العقل ، وما ميزانه ، وهل يمكن عدم تناقض في مناحيه ،
 وهل يمكن حمل الامة على سبيله حملا لا ينازعهم وجدانهم في قضية منه ، لكان
 الجواب الحيرة في الاولين ، والسلب في الآخرين ، فان العقل لا يمكن تحديده في
 هذا المقام بالكنه ولا بالعرض ، وليس له ميزان ومقياس خاص لتباين الآراء في
 التأويلات العقلية ، وجواز ان يهدم في اليوم ما بنى منها في الامس ، والمشاهدة قاضية
 بمنازعة الوجدان لكثير من مسائله وتناقض الانظار فيها تناقضا جليا بما لا يجد الواقف
 عليه سكون نفس ولا اطمئنان قلب ، فاذن ليس مع من يدعي تقديم العقل مطلقا
 او معارضة المعقول ما يجزم بانه معقول صحيح متفق عليه معلوم بالضرورة ، وما سبيله
 كذلك فلا تصح الدعوى المذكورة فيه على اطلاقها ، ومن ادعاها اظهر تناقضه
 واضطر الى ما يعدل رأيه ، ويلطف مشربه ، ويصحح مذهبه .

واما الوجه الآخر الذي تصحح به هذه القاعدة وتسلم عند كل منصف
 ويكون عليها مسحة من الحق ولمعة من الصواب فذلك في مثل ما قصده الاستاذ
 عليه الرحمة في حجج خصمه النصراني وإخامه . فقد زعم خصمه ان من قضيا
 الدين ما يعلو على متناول العقل والفهم بل يناقضه ، وانه يجب مع ذلك التسليم به تدينا ،

وانه لا أثر للعقل في باب الدين اصلا لا طراحه معه جانبا ولزوم الخضوع الاعلى ، شاء العقل أم أبى ، فناقشه الاستاذ بان هذا يستحيل ان قبله الفطرة السليمة أو تأتي به شريعة موحاة ، وانه من اوضاع الذين انحرفوا بعد ماتين لهم الهدى ، وانه لو صح ذلك - على زعم الخصم - لكان الاخرى به ان يذبذبه وينتهج ما هو خير له ، وذلك في دين اساسه العقل ، وقواه العقل ، ودعائمه العقل ، ومبانيه العقل ، فقصدته عليه الرحمة هدم ما بنوه من ذلك الاصل الفاسد الذي يتبرأ منه العقل السليم وابانة ان الدين الخيفي نزل مؤاخيا للعقل بل العقل مرده واليه تحاكمه ولذلك اكثر التنزيل من التنبيه على العقل والتنويه به في مثل قوله « أفلا يعقلون » « اعلمهم يعقلون » « وما يعقلها الا العالمون » في ايات لا تحصى ، وبالتحاكم الى العقل يعلم الخصم ان ليس مرد ديننا هو الخضوع الاعلى لكهنة الباطل الذين انتحلوا لانفسهم الربوبية في التشريع ووردوا عقائد شعبهم الى اهلهم وكلفوهم ما لا يطبقون من اعتقاد بما يحيله العقل كالثالوث والاستحالة ...

بل الدين الخيفي دين العقل ، دين النظر ، دين التدبر ، فمن استعمل عقله ونظره وفكره من الملاحظة وتأمل في محاسنه وقابل بينه وبين غيره من الأديان لم يلبث ان يعتنقه اعتناقا يمزج به في لحمه ودمه حتى يستميت في الذود عن حواه ، ثم ترقى الاستاذ عليه الرحمة الى نكايه الخصم بأن العقل يقدم على النقل اذا عارض قضاءه ليعلم الخصم أن الاساس الاكبر والمرجع الاعلا هو العقل ، وأن ليس في الدين ما ينافيه ولا ما يناقضه لا ببنائه عليه ، حتى لو وجد ما يعارضه بادی بدء لروجم العقل فيه فيجريه على أصله وقاعدته ويقضي الواهم أن لا تعارض رأي الاستاذ رحمه الله أن التفويض والتأويل كليهما من قضاء العقل في المسألة ، وهو كذلك لانه اولا ذلك لكان الامر إما على حقيقة المهودة كما فهمه اهل وهو محال ، وإما على أنه فوق العقل وذلك غير معهود في مبدأ الدين المتين ، وانما كان التفويض أحد وجهي قضاء العقل لان للعقل ان يقول للباحث « بعد ما وضح وثبت صدق الخبر بذلك من المعصوم الذي استفارت حجته فما عليك الا الايمان بما جاء به تفصيلا فيما فصل واجمالا فيما أجل ومنه أوصاف الربوبية

وما يضاف الى سموها فيكيفيك الا ذعان للمقول منها ولم تكلف الخوض في اكتناها
فهو ما لا تبلغه قوتك ، ولا تصل اليه قدرتك ، وربما غتر بك الحال ، الى الزلل
في المتعال ، فتكون جاوزت قدرك ، وتعديت طورك ، « وهذا القضاء قضاء مرضي
لا يباه القلب ، ولا يجافيه ذو اللب »

كما أن قضاء العقل بالتأويل قضاء مقبول ، لا تحيله العقول ، بل هو الذي
آثره جمهور النظار الفحول ، وقد طالعت من ذلك كتاب ابن فورك رحمه الله
فرايته توسع في توجيه المروي من الصفات توسعا غريبا أقام في كل فصل من
الشواهد العربية نظما ومن مُشْلِهِم نثرا ما يقنع الباحث بل يدهشه حتى يخجل للنظر
أن ليس وراء ذلك مرمى . وقد حاول رد طريقة السلف وما روي عنهم الى مشربه
ورد شبه الطاعنين على المحدثين في طريقة غريبة ، وان تعسف في كثير من
التأويل ونوقش في توجيهه كل ما روي في الباب ولو موضوعا فذاك بحث آخر ،
والقصد أن تأويلاته سائغة وفي لغة العرب منسجم لها وترحيب بها ، ومن ينكر
وفرة المجاز في اللغة ورقة أساليبه ، وبنيع كنياته ، ولطيف مواقفه ، وامرار اعجازه
وبلاغته ، لا جرم انه باب من أبواب الخطاب عظيم ، وركن من أركان اللغة
قويم ، علي ان من المروي ما لا يمكن معه الا المجاز معها حاول محاول الحديث
« قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » وحديث (الحجر الاسود يمين
الله في الارض)

نعم ثمة في باب الصفات ما هو أرقى من المذهبين المذكورين - مذهب التأويل
والتفويض - وذلك من إثبات تلك الصفات بلا تأويل ولا تمثيل اثباتا حقيقيا
يليق بالذات العلية ،

قال شيخ الاسلام ابن تيمية عليه الرحمة والرضوان في رسالته المدنية « مذهب
أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف ان
هذه الاحاديث نمر كما جاءت ويؤمن بها وتصدق وتصح عن تأويل يفضي الي
تعطيل ، وتكييف يفضي الى تمثيل ، وقد أطلق غير واحد من حكي اجماع السلف
منهم الخطابي مذهب السلف انها تجري على ظاهرها ، مع نفي الكيفية والتشبيه

عنها ، وذلك ان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات بحيثذى حذوه
ويقيم فيه مثاله فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك اثبات
الصفات اثبات وجود لا اثبات كيفية فنقول ان له يدًا وسمعا ولا نقول ان معنى
اليد القدرة ومعنى السمع العلم

ثم قال عليه الرحمة والرضوان : و بعض الناس يقول « مذهب السلف ان الظاهر غير
مراد ويقول أجمعنا على أن الظاهر غير مراد » وهذه العبارة خطأ إماليا ومعنى أو لفظا
لا معنى لان الظاهر قد صار مشتركا بين شيئين أحدهما أن يقال ان اليد جارية مثل
جوارح العباد وظاهر الغضب غليان القلب لطلب الانتقام وظاهر كونه في السماء أن يكون
مثل الماء في الظرف فلا شك أن من قال هذه المعاني وشبهها من صفات المخلوقين
ونعوت المحدثين غير مراد من الآيات والاحاديث فقد صدق وأحسن اذ لا
يختلف أهل السنة ان الله تعالى ليس كمثل شي لا في ذاته ولا في صفاته ولا في
أفعاله بل أكثر أهل السنة من اصحابنا وغيرهم يكفرون المشبهة والمجسمة لكن هذا
القاتل اخطأ حيث ظن ان هذا المعنى هو الظاهر من هذه الآيات والاحاديث وحيث
حكى عن السلف ما لم يقولوه ، فان ظاهر الكلام هو ما يسبق الى العقل السليم لمن
يفهم تلك اللغة ثم قد يكون ظهوره بمجرد الوضع وقد يكون بسياق الكلام
وليست هذه المعاني المحدثنة المستحيلة على الله هي السابقة الى عقل المؤمن بل اليد
عندهم كالعلم والقدرة والذات فكما كان علمنا وقدرتنا وحياتنا وكلامنا ونحوها من
الصفات أعراضا تدل على حدوثنا يتمتع ان يوصف الله بمثلها فكذلك ايدينا ووجوهنا
ونحوها جسمام محدثة لا يجوز ان يوصف الله بمثلها ثم لم يقل أحد من أهل السنة اذا
قلنا ان لله علما وقدرة وسمعا وبصرا ان ظاهره غير مراد ثم يفسره بصفاتنا ،
فكذلك لا يجوز ان يقال ان ظاهر اليد والوجه غير مراد ولا فرق بين ما هو من
صفاتنا جسم أو عرض للجسم ومن قال ان ظاهر شي من اسمائه وصفاته غير مراد
فقد اخطأ لانه ما من اسم يسمى الله به الا والظاهر الذي يستحقه المخلوق غير مراد
به فكان قول هذا القائل يفضي الى ان يكون جميع أسمائه وصفاته قد أريد بها
ما يخالف ظاهرها ولا يخفى ما في هذا الكلام من الفساد

والمعنى الثاني ان هذه الصفات انما هي صفات الله سبحانه على ما يليق بجلاله نسبتها الى ذاته المقدسة كنسبة صفات كل شيء الى ذاته فيعلم ان العلم صفة ذاتية للموصوف ولها خصائص ولا يدرك لها كيفية كما يعلم ان له ربا وخالقا ومعبودا ولا يعلم كنه شيء من ذلك بل بغاية علم الخلق هكذا يعلمون الشيء من بعض الجهات ولا يحيطون بكنهه وعلمهم بنفوسهم من هذا الضرب ، (ثم قال) افيجوز ان يقال ان الظاهر غير مراد بهذا التفسير ؛ لا يمكن ، فن قال ان الظاهر غير مراد بمعنى ان صفات الخلقين غير مرادة قلنا له اصبحت في المعنى لكن أخطأت في اللفظ وأوهمت البدعة وجعلت للجهمية طريقا الى غرضهم وكان يمكنك ان تقول تمر كاجات على ظاهرها مع العلم بان صفات الله ليست كصفات المخلوقين وانه منزه مقدس عن كل ما يلزم منه حدوثة او نقصه ، ومن قال الظاهر غير مراد بالتفسير الثاني وهو مراد الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والاشعرية وغيرهم فقط خطأ اه كلامه

وقد سبق شيخ الاسلام الى هذا الامام ابن بطه رحمه الله حيث قال في الفصل الثامن من كتابه . . . « ثم نهاية شغبهم ان اثبات هذه الصفات يقتضي التشبيه والتجسيم لما نراه في الشاهد وهذا الشغب ينعكس عليهم ويعلم بطلانه بذلك ، ألا نرى أن في الشاهد ان الفاعل للاشياء المتقنة العالم الخبير الحي السميع البصير جسم والله سبحانه حي سميع بصير علم خير فاعل وليس بجسم ، فاثبات الصفات له على ما جاء به النص عنه أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم لا يوجب التجسيم ولا التشبيه بل كل شيء يتعلق بالحدث مكيف ، وصفات الباري لا كيفية لها ، فالتجسيم والتشبيه منتفیان عنه وعن صفاته وبالله التوفيق »

وكذلك جوّد في ايضاح هذا المشرب الامام ابن القيم رحمه الله في طريق المهجرتين في مباحث التوبة فنقله عنه وجعله مسك الختام
قال رحمه الله بعد ان ناقش من اوقع الامة في اودية التأويلات وشعاب الاحتمالات والتجوزات

(فان قلت) فهل من مسلك غير هذا الوادي الذي ذمته فنسلك فيه أو من

طريق ليستقيم عليه السالك ؟ (قلت) نعم بحمد الله الطريق واضحة المنار بينة الاعلام
مضيئة للسالكين وأولها ان تحذف خصائص المخلوقين ، عن إضافتها الى صفات رب
العالمين ، فان هذه العقدة هي أصل بلاء الناس فمن حلها فما بعدها أسير منها ، ومن
هالك بها فما بعدها أشد منها ، وهل نفي أحد مانفي من صفات الرب ونعوت جلاله
الا لسبق نظره الضعيف اليها واحتجابه بها عن اصل الصفة وتجردها عن خصائص
المحدث فان الصفة يلزمها لوازم باختلاف محلها فيظن القاصر اذا رأى ذلك اللازم
في المحل المحدث انه لازم لتلك الصفة مطلقا فهو يفر من إثباتها للخالق سبحانه حيث
لم يتجرد في ظنه عن ذلك اللازم وهذا كما فعل من نفى عنه سبحانه الفرج والحبة
والرضا والغضب والكراهة والمقت والبغض وردها كلها الى الارادة فانه فهم فرحا
مستلزما لخصائص المخلوق من انبساط دم القلب وحصول ما ينفعه وكذلك فهم غضبا
هو غليان دم القلب طلبا للانتقام وكذلك فهم محبة ورضا وكراهة ورحمة مقرونة
بخصائص المخلوقين فان ذلك هو السابق الى فهمه وهو المشهور في علمه الذي لم
تصل معرفته الى سواء ولم يحيط علمه بغيره ولما كان هو السابق الى فهمه لم يجد بدا
من نفيه عن الخالق والصفة لم تتجرد في عقله عن هذا اللازم فلم يجد بدا من نفيها ،
ثم لاصحاب هذه الطريق مسلكتان أحدهما مسلك التناقض البين وهو اثبات كثير
من الصفات ولا يلتفت فيها الى هذا الخيال بل يثبتها مجردة عن خصائص المخلوق
كالعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر وغيرها فان كان اثبات تلك الصفات التي فهاها
يستلزم المحذور الذي قرّ منه فكيف لم يستلزمه اثبات ما اثبته ؟ وان كان اثبات
ما اثبته لا يستلزم محذورا فكيف يستلزمه اثبات ما نفيه ؟ وهل في التناقض اعجب
من هذا ؟ ، والمسلك الثاني مسلك النفي العام والتعطيل المحض هر با من التناقض
والتزاما لا عظم الباطل واعمل المحال ، فاذا الحق المحض في الاثبات المحض الذي
اثبته الله لنفسه في كلامه وعلى لسان رسوله من غير تشبيه ولا تمثيل ، ومن غير
تحريف ولا تبديل ، اهـ

وبالجملة فهذا المذهب الاخير مع المذهبين قبله كلها اجمالا من المعقول أعني
مما ابان العقل فيها معاني سليمة مما يوم محالا عنده ، وبه يعلم ان ليس في الدين ما يتأفر

العقل أو يعارضه بل هما كالسدى واللحمة في كونهما قوام الثوب وكالروح والجسم في حفظ الحياة

هذا مارآه الفكر القاصر في القصد من تنويه الاستاذ المرحوم بالعقل أغني حجج خصمه واعلاء منزلة العقل في الدين الاسلامي وتنبيه خصمه على ان بالعقل يميز الانسان بين احوال الماضي والحال فيفرق تبعا لذلك بين الشرائع فلا بد ان يعثر بسبب تعضيد العلم والبدائه (؟) على الدين الذي يجب ان يكون خاتمة الاديان كلها وبقايا بقاء النوع الانساني

والاستاذ المرحوم وان كان يجري في كلامه أحيانا على قواعد النظر والمتكلمين ويدافع بها فهو لم يخرج عن حبه للسلف واعتقاده بمشربهم واذكر انا ايلة كنا في ضيافته في داره وسمرنا معه اكثر من ثلث الليل أيام رحلتنا الى تلك الاقطار وقد كنت قرأت في مواضع من كلامه ميلاً لمذهب الخلف المأولين من الاشاعرة وغيرهم وقد افضى البحث بنا الى مسألة الصفات اني قلت له : اني لاعجب من هؤلاء التأولين المتدفعين على رفع الظواهر المكبرين لاطلاقها أقنهم أغير من الله على ذاته المقدسة حيث اطلق في كلامه وعلى لسان رسوله تلك النعوت الجليلة التي تأبى كثرتها التأويل الذي لا يؤمن في اكثره من التعطيل ؟ افليس الاثبات على الطريقة السلفية هو الاصول والاقترب ؟ ، فرأيت رحمه الله أقر على ماقلت وصدق ما ذكرت ولم ينتصر لمذهب الخلف ولم يشر اليه مع انه ليلتئذ في غير هذا المبحث حاور وناقش وحقق وصدق ، هذا ما أحققه منه ، رحمه الله ورضي عنه

نتيجة البحث

أوضحنا أن قصد الاستاذ هو التنويه بالعقل في الشرع وملاحظة انه الاصل في اثبات قواعد الايمان وهذا مما لا ريب فيه فان وجود الله تعالى ووحدته في ألوهيته وما يجب له من جلائل النعوت وتصديق رسوله بمراسلاته بما نصبه دليلاً على صدقه كل ذلك مما نظر فيه العقل وتدبره فأمن به ، وهذه الاصول التي هي قوام الشرائع انما مستند ثبوتها النظر العقلي اتفاقاً

فلحظ تقديم العقل على النقل أما هو رعاية العقل في النقل بالوجوه التي قدمناها وبه يظهر أن كلامه رحمه الله موجه لما تقتضيه حكمة التشريع في الاسلام وسره وتفوقه على ما عدها من الأذيان التي حرقها أربابها ، وعلى تسليم أنه وافق آراء الفلاسفة في هذه القاعدة كغيره من أئمة المتكلمين فلا غضاضة عليه في ذلك فقد خرجناها على وجه لا يبعد عن الصواب ، وجلي أن ليس كل ما للفلاسفة مذموما بل المذموم ما ناقض شرعا أو هدم ركنا ، وكلمة فيلسوف معناها محب الحكمة ، والحكمة متقبلة من أي لسان لأنها مساوقة للحق كما اشرنا له قبل ، قال الامام ابن عبد البر حافظ المغرب وإمامه في كتابه جامع بيان العلم وفضله في باب جامع في الحال التي تنال بها العلم « وروينا عن علي رضي الله عنه أنه قال في كلام له : العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من أيدي المشركين ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممن سمعها منه »

اشرتم الى أن التفويض فيه ما فيه والحق لكم لانه في طيه إشعارا بأن الناس خوطبت بما لا تعقله ولا تفهمه ولا هو من لغتها مع أن اللسان عربي مبين لقوم ساروا في الفصاحة ونبغوا في البلاغة ولم يتطال عليهم فيهما ، ومعلوم أن أشرف ما في القرآن المأمور بتدبره هو ما جاء فيه من نعوت الرب وصفاته الجليلة فإذا لم يعلم أحد معناها فأنى يستدل بها ، وفيه سد لباب الهدى والبيان منها ، وحينئذ فقول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف قول فيه ما فيه ، واحتجاج من احتج لهم بالوقف على قوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله) من الغلط في الاستدلال فإن المراد بتأويله ما يؤول اليه الامر فتأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر هو نفس الحقيقة التي أخبر عنها ذلك في حق الله تعالى هو كنه ذاته وصفاته التي لا يعلمها غيره ولهذا قال مالك وربيعة وغيرهما « الاستواء معلوم والكيف مجهول » وكذلك قال ابن الماجشون وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف : انا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وان علمنا تفسيره ومعناه

فلفظ التأويل في الآية إنما أريد به التأويل في لغة القرآن وهو الذي تعرفه السلف وهو الذي أراده الله في مثل قوله « هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله »

وقال يوسف « يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل » فجعل في الآية الاولى ما يؤول اليه أمرهم من العذاب وورود النار تأويلا وفي الآية الثانية نفس سجود أبويه له تأويل رؤياه

وأما التأويل الذي هو التفسير وبيان المراد به فهذا لا يصح ارادته من الآية لان الصحابة والتابعين فسروا جميع القرآن وكانوا يقولون ان العلماء يعلمون تفسيره وما أريد به وان لم يعلموا كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وكذلك لا يعلمون كيفيات الغيب فان ما أعدده الله لاوليائه من النعيم لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فذلك الذي أخبر به لا يعلمه الا الله نعم من وقف في الآية على قوله تعالى (والراسخون في العلم) أراد منها هذا المعنى وانه يعلم تأويله وهو منقول عن ابن عباس أيضا وهو قول مجاهد ومحمد بن جعفر وابن اسحاق وابن قتيبة والقول الاول منقول عن ابي بن كعب وابن مسعود وعائشة وابن عباس وهروة بن الزبير وغير واحد من السلف والخلف ، فلا منافاة بين القولين ، لانفكاك الجهتين ،

والتأويل المنفي غير التأويل المثبت ، ولشيخ الاسلام بسط لهذا البحث في كثير من مؤلفاته الشهيرة ،

واما ما ذكرتموه من أن التأويل حقيقته التبديل الذي هو اصطلاح المتفلسفة أي ولذلك اعترفوا بأنه غير اسلم لما فيه من خطر رفع الظواهر المنتهي الى تغييرها وتغيير البراهين أو اكثرها مع أن القصد بإيجازها والاعلام بها هو إفادة الامة ونصحها وهدايتها ، فمن التكلف أن يعدل عن البيان الناصح الرافع للبس المنزل للاجمال الى اسلوب يوقع الامة في أودية التأويلات ، وشعاب الاحتمالات والتجوزات ،

ما بمحتومه في التفويض والتأويل هو من نقد المدققين في باب الصفات الذين تجل لهم ذلك المشرب المعتدل في أزهى حلاله ، ومع ذلك فتقدم لا يحبط من قدر من ذهب الى التفويض والتأويل ، ولا يقضي عليهم بالتفسيق والتضليل ، فان ذلك قصارى جهدهم ، وغاية نظرهم ، وقدما ان للعقل قبولاً مآ ولا ملام على

من بذل جهده ، وأخلص قصده ، نعم يلام من جمد على التقليد المحض بعد أن وضحت الحجة ، واستبانَت الحجة ،

وقد قدمنا أن الحجة قوية في الإثبات بلا تشبيه ولا تأويل وقد قل الشعراني في البواقيت والجواهر عن الشيخ ابن عربي رحمه الله أنه حذر من التأويل وناقش متحليه في مواضع من فتوحاته فمنها قوله

« اعلم انه يجب الايمان بآيات الصفات وأخبارها على كل مكلف » قال « وقد أخبر الله تعالى عن نفسه على السنة رسله أن له يدا ويدين وأصبعاً وأصبعين وعينين وأعيناً ومعية وضحكا وفرحاً وتعجباً وإتياناً ومجيباً واستواءً على العرش ونزولاً منه الى الكرسي والى سماء الدنيا وأخبر أن له بصراً وعيلاً وكلاماً وأمثال ذلك » قال « وهذا كله معقول المعنى مجهول النسبة الى الله تعالى يجب الايمان به لانه حُكِمَ حكم به الحق على نفسه فهو أولى مما حكم به مخلوق وهو العقل »

وقال أيضاً « جميع الأحاديث والآيات الواردة بالألفاظ التي تنطلق على المخلوقات باستصحاب معانيها إياها لولا استصحاب معانيها إياها المفهومة من الاصطلاح ما وقعت الفائدة بذلك عند المخاطب بها مما يخالف ذلك اللسان الذي نزل به هذا التعريف الآتي قال تعالى « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » يعني يبين لهم بلغتهم ما هو الامر عليه ولم يشرح لنا الرسول المبعوث بهذه الألفاظ هذه الألفاظ بشرح يخالف ما وقع عليه الاصطلاح ، فنسب تلك المعاني المفهومة من تلك الألفاظ الى الحق جل وعلا كما نسبها الى نفسه ، ولا نحكم في شرحها بما لا يفهمها أهل ذلك اللسان الذين نزلت فيهم هذه الألفاظ بلغتهم فنكون من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ومن الذين يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يملكون بمخالفتهم ، فيجب علينا أن نقر بالجهل بمعرفة كيفية النسبة » قال « وهذا هو اعتقاد السلف قاطبة لا نعلم لهم مخالف وإطال في ذلك

وقال أيضاً رحمه الله « اعلم ان من أعجب الامور عندنا كون الانسان يقلد فكره ونظره وهما محدثان مثله وقوة من القوى التي جعلها الحق تعالى خديمة للعقل وهو يعلم من ذلك كونها لا تتعدى مرتبتها في العجز عن أن يكون لها حكم قوة

أخرى كالقوة الحافظة والمصورة والخيالة ، ثم أنه مع معرفته بهذا القصور كله يقلد قواه العاجزة في معرفة ربه ولا يقلد ربه فيما يخبر به عن نفسه في كتابه وسنة نبيه فهذا من أعجب ما طرأ في العالم من الغلط ، وكل صاحب فكر أو تأويل فهو تحت هذا الغلط بلا شك .

« فانظر يا أخي ما أقر العقل وما أعجزه حيث لا يعرف شيئاً مما ذكرناه الا بواسطة القوى المذكورة وفيها من العلل والقصور ما فيها ثم أنه اذا حصل شيئاً من هذه الامور بهذه الطرق يتوقف في قبول ما أخبر الله به عن نفسه ويقول ان الفكر يردّه فيقلد فكره وبزكّه ويجرح شرع ربه ، (وأطال مع ذلك ثم قال) وبالجملة فليس عند العقل شيء من حيث نفسه واذا كان كذلك فقبوله ما صبح عن ربه وأخبر به عن نفسه أولى من قبوله من فكره بعد أن علم أن فكره مقلد لخياله وخياله مقلد لحواسه انتهى

بقية البحث

ذكرتم انه يفهم من كلام الاستاذ رحمه الله انه بنى تلك الاصول على وجه يمكن انه من السنة الخ وكذلك ظاهر كلامه باديء بدء الا انا بمعونة ما قدمناه من ان قصده من مبحثه هو التنويه بالعقل في نظر الشرع يعلم ان مراده ان الكتاب العزيز وصحيح السنة والعمل النبوي كلها مما مهدت السبل بين يدي العقل فكان العقل يقفوا أينما انجبت ، ويساقوها كيفما سارت ، إلا أن نعمة أئمة أئمة من السنة يؤيد مذهب التأويل الذي يتبادر من سياق تقديم العقل ، وللاستاذ في تأليفه أسلوب غريب يبين المعهود فقد لا يراى من سبكه البليغ ما عهد ارادته من غيره ،

هذا ما سنح لسقيم البال ، في فهم كلام هذا الامام المفضل ، وما كنت أظن أن أختلس من وقتي هذه الكلمات فلدي من العوائق عنها ، ما لا يسمح لي بالدنو منها ، اللهم الا ان بركة دعائكم ، واغتنام بديع فوائدكم ، مما يرجى معه شرح الصدر ، وتسهيل الأثر ، وأرجو أن تدققوا فيما كتبت ، وترشدوني الى ما فيه سهوت ، فان القصد الوقوف على الحق ، واعتناق الفكر من اغلال الرق ، والحقيقة بنت البحث ، واراني بانتظار جوابكم الميمون ، وارشادكم الحصون ، نفعا المولى ونورا اذهانا بمعارفكم ، انه خير مجيب ،

منحني على اطالة الجواب وتكبير البحث نوعا ما الا ابلاغه لمسامع اخواني وصحبي ممن لم يتأهلوا بعد لمطالعة الكتب الكبيرة في هذا الموضوع ، وفيهم حرص على الوقوف على تحقيق ذلك فاردت ان اقدمه بين يدي مستقبلهم نموذجاً يشرفون منه على مجمل تلك المباحث الكبيرة، فلا ملام فيما تخلله من النقول المعروفة لديكم ،
زارني اثناء كتابتي هذه الاستاذ العلامة الشيخ طاهر الجزائري فقرأ كتابكم وجانباً كثيراً مما كتبت فاستحسن التوسع في هذا الموضوع وقال انه يقل دونه مجلد واحد علي ان تدققوا فيما كتبنا وان لاتنصوا علينا بما يظهر لكم من المناقشة لعم الفائدة وهو يسلم عليكم

واني أهدي اعظم التسليمات لحضرات السادة الآلوسيين الكرام شمووس الهدى الاعلام السيد محمود شكري افندي والسيد علي افندي وحضرة العلامة الشيخ عبدالرزاق افندي لاعظمي ومن يصحبهم من الاسانذة، ومن كل التلامذة ، بارك الله في حياتهم ، ونفع الامة بعلومهم ، ومن عندنا العلامة الشيخ عبدالرزاق افندي البيطار والشيخ محمد ديب الغنيمي واشقائي يهدونكم السلام ويرجون دعواتكم الصالحة ، في الاوقات الكاملة الراجعة

قاله بضمه وامر برقه وكتب هنا بقلعه الفقير محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي

في ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٢٤

جواب الجواب

لم يرض على ارسال الجواب لذلك السؤال ردح من الزمن حتى أرسل اليها صاحب السؤال العالم البركة الصالح الشيخ عبد العزيز السناني المتقدم ذكره بجواب كنا نود وايم الحق ان نستعيض عن تلك المدايح بالمناقشة والانتقاد ، ولكن ابي الحق الا ان يظهر ويكون له التأثير القوي ، والنفوذ الخارق في أمثال هاته المباحث الخطيرة ولو ذكره المعاندون . ونحن نذكر نص الكتاب حفظاً لتلك الآثار خشية ان تغتالها ايدي الضياع مع تصرف يسير، وحذف لجل خصوصية لانفيد فائدة عامة وهاك صورته:

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الى جناب الاجل الامجد العالم الفاضل اوجد زمانه ، مفزع السائلين ، مرشد الناسكين ، امام المحدثين ، الموفق لمنهج الراشدين ، شيخنا وبركتنا الشيخ محمد جمال الدين القاسمي سلمه الله تعالى من كل شر وجعلنا واياه من اتباع سيد البشر آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ومغفرته ومرضاته . وبعد وصل الينا كتابكم الشريف ، المفيد بالجواب السداد الموجز المنيف ، المقيد لشوارد المسائل المهمة ، والا نموذج لما حوته جل كتب الجهابذة المحققين اهل النظر الكبار ، فياله من جواب ما جله واشرفه ! كيف لا وقد حل حزازة الصدر ، في الذود بما عقده الاستاذ الحكيم من أصول الدين ، وانبلج به مأخذ الوجه المستقيم من الكتاب والسنة وافادنا فوائد وعاد الينا بعوائد كنا عنها في سدف ، فاستضات لنا وجوها ، فأنى بما فوق ما ملنا ، فلا خاب املنا ، ولا افلس مفزعنا ، تالله لقد حطعنا مؤنة النظر والتكلفات وحذرنا صعب العقبات المتحريات (كذا) بالهللكات ، وفتح لنا ابواب سني الطرق واقوم السبل ، وجعل بالسعادتين ، فيافوز من أهل لجني تلك الثمرات ، فلزم ان نحفظه ونستحفظ عليه ، ونجعله عدة لمراقبي سني السير ، ومردا لطامح الفكر ، وجامع الخطر ، وكذلك من نظر في الجواب من اهل التحقيق طلب مناصورة السؤال الباعث للجواب رغبة لتسخمها ولا غرو اذ كان صدره من ذوي السهم الراجح والمال الراجح ، والدرجة العليا من اهل العلم الذين شرفهم الله بشرف العلم ، وكرمهم بوقار الحلم ، فله الحمد جل ثناؤه حيث كلف لدينه حفظاء من خلقه ، يحملون قواعد شرائعه ، ويزبون عن عراه ، بني من بغاه ، ويدفعون عنه كيد كل شيطان وضلالة ، وجعلهم لاهل الدين اعلاما ، وللإسلام والهدى منارا ، ولاهل الحق قادة ، وللعباد أئمة وسادة يتحرون جزيل الثواب من الله ، ويتوخون رضى الله بالصواب ،

(ثم قال في وصف العلماء المصلحين ، الذين يقومون بالاصلاح ويقاومون) :
 فلم يكن ينشئهم عن النصيحة لله مامنهم - يريد الجهلة - يلقون ، بل كانوا يظلمهم على
 (المآرج ٨) (٨٠) (المجلد الثالث عشر)

جهلهم يهودون و بفضلهم على بغضهم يأخذون ، ويجمعون لمن بعدهم آثارا على الايام
باقية ، وسبلا الى الرشاد هادية ، جزاهم الله على أمة نبهم افضل جزاء ، وجاهم
من الثواب أجزل ثواب ، (الى أن قال) :

وهم الطائفة الموعودة بالبقاء لا يضرهم من خذلهم ولا من خافهم ، وجعلهم
مفرعا بما أودعهم الله من نور العلم ، يكشف بهم سدف ظلم الجهل ، والتباس الضلال ،
فمن نعمه جل شأنه أن جعل من تلك الطائفة في زمنا من اتصف بتلك الصفات ،
فنسأل الله أن لا يجرمنا فضلهم ، والافتباس من نور علمهم ، (الى أن كتب مايلي) :
هذه مسألة أهمتنا غاية ، وحدتني نفسي بمراجعة صاحب المنار التمس ابضاها ، فقصرتم
نجمتنا ، وارحبتهم صاحبنا ، وأزلتم سدفا ، جزا كم الله عنا وعنه أفضل جزاء ، وأجزل ثواب .
وجميع الاخوان المحيين أخذوا بنسخ السؤال والجواب المذكور وذلك
لاعجابهم به جزا كم الله عن الجميع خيرا .

الحب

عبد العزيز الحمد السناني

في : ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٢٤

التقاريف

﴿ ديوان الخطيب ﴾

للشعراء تأثير في ايقاظ الامم معروف لا ينكره الا من انكر التأريخ وانت تعلم
منزلة حسان بن ثابت وتأثير شعره في اوائل الدعوة الاسلامية ثم انك لا تجهل مقام
مثل الشاعر فيكتور هوغو في أمته ، ولقد ظلم في هذه الاثناء هلال في فلك شعراء
العربية جاء بمثال من الشعر لم نجد غيره حذاه ، ذلك الشاعر هو فؤاد افندي حسن الخطيب
احد موظفي المعارف في حكومة السودان المصري ، جاء بيدايات من نظمته برز
فيها على كثير من نهايات غيره ، انتهج بالشعر العربي منهجا جديدا وصدر ديوانه هذا
بمقدمة في تاريخ اللغة العربية والشعر لم يفسح على منوالها الشعراء والكتاب واليك مثالا
من قوله في العتاب

أإخواننا الاتراك مدونا لنا يدا من الود انا قد مددنا لكم يدا
أخذنا باهداب العتاب وانما اتينابه من كل ضغن مجردا

قلم وقلنا غير ان قلوبنا على العهد ترعى حرمة العهد سرمدنا
وما تقاضى ثورة دموية فلسنا عطاشا نطلب الدم موردا
ولكننا نرجو اخاء موطلا يعز علينا ان يكون مهددا
ومن قوله في الغزل

بعد موتي عناصر الجسم تنحل فيمتصها النبات طعاما
فاذكريني اذا تكلمت بالزهر رقيه هباء جسي اقاما
وانشقيه فان فيه اريجا عاطرا كان في فؤادي غراما
والديوان قد طبع طبعا حسنا على ورق جيد بمطبعة المنار ويباع في مكتبته بثلاثة
قروش صحيحة وتلاميذ المدارس العالية بقرشين

﴿ كتاب الكلية العلمانية الفرنسية ﴾

اهدت الى ادارة المنار الكلية العلمانية الفرنسية في بيروت كتابها السنوي
وفيه بيان فروعها وشروطها وقوانينها
وهي أربع دوائر التعليم العام ودائرة الاعداد للمدرسة الطبية والدائرة
الصناعية والدائرة التجارية وتنوي انشاء فرع زراعي في نواحي البقاع حيث انخصب
وسعة الارض ، ولا صبغة دينية لهذه الكلية ولعلها أول بعثة علمية غربية جاءت الى
الشرق باسم العلم عاريا عن اسم الدين فانها ذكرت انها لا تتعرض لدين التلامذة
كما انها لا تعارض أحدا بدينه وربما سهلت له الطريق كما تقول
وقد ذكر في مقدمة كتابها هذا ان غاية هذه البعثة العلمانية انما هي خدمة فرنسا
خارج فرنسا في مستعمراتها وفي البلاد الاجنبية ونشر لغتها ومبادئها الخ
فهل يعتبر أهل البلاد ومن ييدهم زمام الامور ويعلمون بانهم أولى من أولئك الافرنسيين
بترقية لغة البلاد وآداب الشرق وانهم ان لم يسبقوا الى ذلك سبقهم القوم العاملون وان إهمال
المعارف واللغة والآداب مضية للجامعة القومية وتفريق للعناصر الوطنية ولو انشئ في
كل بلد وكل قرية نواد باسم اتحاد العناصر أو الاتحاد والترقي
صالح مخلص رضا

مقدمة خديجة (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(ذكر الله تعالى والثناء عليه
والشكر له قبل كل شيء)

دخل هذه الدار عدد لا يحصى من بني آدم بمجموعهم عمرت القرى
والامصار، وتحركت أفلاك العلوم والاعمال، وتماقبت أسلاك الاجتماع
والاحوال، وإذا فتحت كتب السير والتاريخ لا نجد ذكراً لعشر من دخلها
ولا لعشر عشرهم ولا للواحد في الالف، ولا للواحد في ألف الالف منهم
فلماذا يعني المؤرخون بهذا القليل من بني آدم وبهملون الكثير منهم؟
ليس بمجيب ما صنم المؤرخون فإن الاكثرين من بني آدم متشاكلو
السيرة، متشابهو الحالة والغاية، على ما بين سيرهم من التباين، وبين أحوالهم
من التفاوت، وذلك أن حاصل أمرهم تعب وكد ومزاحمة وحيرات
وحسرات في تحصيل ما اشتبهوا أو تعودوه من المطالب جل أو حق، فإذا

(*) بقلم السيد عبد الحميد الزهراوي مؤلف سيرة السيدة خديجة

عسى أن يذكر المؤرخ من حكايات هؤلاء التي يمكن أن تكتب كلها
مكذا: « جاءوا الى هذه الدنيا فاشتغلوا بأسباب معاشهم وعاشوا
خاضعين للغالب وذهبوا غير تاركين أثرا في هذه الدار الا ان كان ولداً
على شاكلتهم »

وأما أولئك الافراد القليلون الذين لهم بعد مماتهم وجود ظاهر
بالآثار فان في سيرهم للتاريخ ذخراً من غرائب الاستعداد الانساني، وبدائع
مظاهره، وجلال مآثره، وامثلة التفاوت بين افراده، والارتقاء والتكامل
في مجموعه، بواسطة آحاد من جلته، بذلك يستمد التاريخ جدته كل يوم،
ويأخذ المزيد لرونقه عند كل فرد وكل قوم

وأولئك الافراد صنوف: فرسول مبشر، وحكيم مبصر، وكاتب
مفكر، وشاعر مذكر، وفاتح مغير، ومخترع محير، وكاشف منور، وباحث
مصور، واجتماعي محور، وشرعي مقرر، ونصاح مبرر، ولساني مفسر،
ومفضل ميسر

هؤلاء العنوف أقطاب التاريخ على أخبارهم يدور، ومآثرهم مشاركة
منها يستمد النور، ووراءهم في الذكر يأتي من اشتهروا بمخلق من الاخلاق،
ومن عرفوا في عشيرة بطيب الاعراق، ومن هنا يظهر لنا أن الشهرة
ليست بشيء عند التاريخ اذا لم تؤيد بمآثره. ولولا هذا لتعب المؤرخون
في سرد أسماء كثيرة لا يستطيعون أن يديضوا وجوه دفاترهم بشيء من
أعمال أصحابها ممن كانوا كباراً في العيون لانهم أبناء أمجاد مثلاً وهم لم
تجد لهم همة، ولم تؤثر عنهم منقبة، ويظهر لنا أيضاً أن اعراض التاريخ عن

ذكر من لم تهر ما أثرهم هو احسن درس في الاخلاق ألقاها علينا المؤرخون
عن عمد أو بالتصادف وذلك لان النفوس انما يغريها بالباقيات الصالحات
تذكر اهلها وتمدحهم ، وانما ينهئها عن الخول سرعة انطفاء الخاملين ،
وطول اشراق الباقي ذكرهم في العالمين

فمن ان من لهم الباقيات الصالحات التي يبقون ويذكرون بها هم افضل
الخدمة بالنفوس وانهمض بها الى المكرمات فخاية أحوالهم هي افضل
ما أخذ الاخلاقيين الذين يجتهدون في أن يفهموا قارئهم كيف يتكامل الانسان
وكيف يصير من الاقطاب اقطاب التاريخ

* * *

الهم اني أستسقي جودك وإحسانك لأرواح المؤرخين الذين تركوا
كنوزاً كثيرة لنفوسنا من سير الأقطاب من آبائنا ، وأستغفرك عن زلة
زلما أكثرهم من حيث لا يشعرون وهي إهمالهم كثيرا من سير الأقطاب
من أمهاتنا ،

لقد علمنا أن الفرق ليس بأكبر في الفطرة بين الرجل والمرأة ،
وليست المرأة بمحرومة من المزايا التي يعلو قدر المتحلي بمثلها من الرجال ،
ذلك أننا نرى لمن عقولا سايمة ، وقلوبا كريمة ، وهما عظيمة ، وهل
للرجال ينابيع للمكارم غير هذه العقول والقلوب والمهم ؟ . ونرى الاديان
اعتبرت المرأة كالرجل في التكليف بالمعقيدة والعبادة والآداب . ونرى
الاجتماع اعتبر المرأة كالرجل في التكليف بالعمل وما زال نصيبها منه

كيرا وتابعا لتقسيم الاعمال على حسب مرتبة محيطها من العالم ثم على حسب مرتبتها من محيطها . وهذا غير ما نعلمه من فضل بعض الفاضلات الماضيات اللاتي تصلح سيرهن أن تكون هدى للرجال قبل النساء ، ولولا تلك الزلة التي ذكرناها للمؤرخين لكان اللاتي نعلمهن أكثر وما اللاتي نعلمهن الآن من الفاضلات بقلائل

من هؤلاء سيدة قد سمع بفضلها العالم كله ولكن العارفين بتفاصيل فضائلها ومزاياها قليلون . الشرق سمع بهذه السيدة والغرب ، الترك يعظمون اسمها والعرب ، وفارس والهند ، والافغان والسند ، وفي أرض الصين تعظم ، وفي الدنيا الجديدة تكرم ، واذا فتحت دفاتر المؤرخين عفا الله عنهم لا تجد فيها تحت اسم هذه السيدة الجليلة الا كلمات يسيرة في ترجمة حالها ، وشرح خلاصها ، ولكننا نحن شاكرهم على هذه الكلمات التي يملأ سناها العقول والقلوب فتتهدي بها على قلتها الى عظيم أمرها كما يدرك المبحرون عظمة المنار اذا كانت أشعته عظيمة السطوع

واقد كنت تفكرت في ان اكفي والدتي بعض المكافأة فتبينت بمد طول التفكير ان عظيم فضلها علي هو أبعد من أن يوفى شيء من حقه ولكن تراهي لي أنه يسرها أن أعلن للملا فضل جنسها وأذكرهم بما نسوه من احترام حقوق هذا الجنس ولم أجد أحسن طريقة الى هذه الغاية الجليلة من شرح سيرة هذه السيدة التي هي إحدى جداتها

فمن مدد تلك الكلمات القليلة التي تركها لنا المؤرخون في ترجمة
حال هذه السيدة أولف هذه القصة الحقيقية والى روح والدني أرفعها
هدية على راحة خشوعي وضعفي ، ومن خزائن رحمة الله ورضوانه
أستنزل نحية طيبة مباركة لهذه الروح البارة

ومن راقه هذا المؤلف الصغير وحصلت له به لذة وفائدة فلي حق
أن أرجوه شيئا ولا أرجوه إلا أن يكون مساعدا في اقامة حقوق
المرأة وكرامتها وآدابها . ان النساء أمهاتنا مشعر الرجال وعلى حسب
تربيتهم نكون فلنطلب من محيطنا أن يهذب بالعلم الامهات ويسمى لترقية
مداركهن وآدابهن ١

أولئك الذين يمداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

غيرا كثيرا وما يذكركم الا اولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

الاثنين سلخ رمضان ١٣٢٨ - ١٣ أكتوبر (تشرين الاول) ١٢٨٦ - ١٩١٠ م

باب تفسير القرآن الحكيم

مفتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٥٧: ٤٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا، وَإِذَا كُنتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ، إِنْ أَلَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا

قال البقاعي في نظم الدرر : ولما وصف الوقوف بين يديه في يوم العرض والاهوال الذي أدت فيه سطوة الكبرياء والجلال الى تمنى العدم ومنعت فيه قوة

يد القهر والخبر أن يكتم حديثاً وتضمن وصفه انه لا ينجو فيه الا من كان طاهر القلب والجوارح بالايمان به والطاعة لرسوله (ص) - وصف الوقوف بين يديه في الدنيا في مقام الانس وحضرة القدس المنجي من هول الوقوف في ذلك اليوم والذي حظرت معاني اللطف والجمال فيه الالتفات الى غيره وأمر بالطهارة في حال التزين به عن الخبائث فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ الخ وقال بعضهم في وجه الاتصال انهم لما نهوا عن الاشرار به تعالى نهوا عما يؤدي اليه ولو بغير قصد وقيد لما أمروا فيما تقدم بالعبادة أمروا هنا بالاخلاص في رأس العبادة

الاستاذ الامام أمر الله تعالى في الآيات السابقة بعبادته وترك الشرك به وبالاحسن للوالدين وغيرهم وتوعد الذين لا يقومون بهذه الاوامر والنواهي وقد عرفنا من سور أخرى أن الله تعالى يأمر بالاستعانة بالصلاة على القيام بأمر الدين وتكليفه كما قال (٢ : ١٥٣) يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والعزيمة وقال (٢ : ٢٣٨) ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقال (٢٠ : ١٨) ان الانسان خلق هلوعا ١٩ اذا مسه الشر جزوعا ٢٠ واذا مسه الخير منوعا ٢١ الا المصلين وقد كثر في القرآن الامر بالصلاة لا بالصلاة هكذا مطلقا بل باقامتها وإلزاما لقيامها على الوجه الاكل وهو أن ينبعث المؤمن اليها يباعث الشهور بعظمة الله وجلاله ويؤديها بالخشوع له تعالى فهذه الصلاة هي التي تعين على القيام بالاوامر وترك النواهي ولذلك جاء ذكرها هنا عقب تلك الاوامر والنواهي الجامعة ، وقد ذكرت الصلاة في القرآن بأساليب مختلفة وذكرت هنا في سياق النهي عن الاتيان بها في حال السكر الذي لا يتأتى معه الخشوع والحضور مع الله تعالى بمناجاته بكتابه وذكره ودعائه فالمراد بالصلاة حقيقتها لا موضعها وهو المساجد كما قال الشافعية والنهي عن قربانها دون مطلق الاتيان بها لا يدل على ارادة المسجد اذ النهي عن قربان العمل معروف في الكلام العربي وفي التنزيل خاصة (١٧ : ٣٢ ولا تقربوا الزنا) والنهي عن العمل بهذه الصيغة يتضمن النهي عن مقدماته ومن مقدمات الصلاة الاقامة قد سنها الله لنا لاعدادنا للدخول في الصلاة

(الناشر ج ٩ م ١٣) تفنيد قول المقادير بالتكليف بالحال . تعريف السكران ٦٤٣

= وقال بعض الفرقين الذين يحملون القرآن على مذاهبهم المستحدثة ان الآية تدل على جواز بل وقوع التكليف بالحال إذ وجه الأمر الى السكران وهو لا يعي الخطاب . والجواب عنه من وجوه (أحدها) أن الخطاب موجه الى المسلم قبل السكر بأن يجتنبه اذا ظن انه ينتهي به الى التلبس بالصلاة في أثناءه فهو أمر بالاحتياط واجتناب السكر في أكثر الاوقات . اقول ولذلك قال العلماء ان هذه الآية تهديد لتحريم السكر تحريماً قطعياً لا هوادة فيه . فان من بقي أن يجيء عليه وقت الصلاة وهو سكران يترك الشرب عامة النهار وأول الليل لا تتشاور الصلوات الخمس في هذه المدة فالوقت الذي يتسع للسكر هو وقت النوم من بعد العشاء الى السحر فيقل الشرب فيه لمزاحمة للنوم الذي لا بد منه وأما أول النهار من بعد صلاة الفجر الى وقت الظهيرة فهو وقت العمل والكسب لاكثر الناس ويقل ان يسكر فيه غير المترفين الذين لا عمل لهم وقد ورد انهم كانوا بعد نزولها يشربون بعد العشاء فلا يصبحون الا وقد زال السكر وصاروا يملكون ما يقولون - قال (ثانيها) ان الأمر موجه الى جمهور المؤمنين لانهم متكافلون مأمورون بمنع المنكر فعليهم ان يمنعوا السكران من الدخول في الصلاة فالأمر على حد « فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها » أي على أحد الأقوال اذ يدخل فيه الزوجان (ثالثها) ان السكر الذي يطلبه الفواة لا ينافي فهم الخطاب وهو الذنوة والسرور ففي هذه الحالة يفهم السكران ويفهم ويصح ان يوجه اليه الخطاب ولكنه لا يضبط أعماله وأفكاره وأقواله بالتفصيل ولذلك قال تعالى ﴿ حتى تعلموا ما تقولون ﴾ فأما ما ينتهي اليه السكران مما لا يقصد فصاحبه لا يخاطب فيه وهو ما عرف به أبو حنيفة السكران اذ قال انه الذي لا يفرق بين الارض والسماء وهناك قول آخر في معنى هذا القول . وهذا التعليل للنهي يفيد ان العلم بما يقوله الانسان في الصلاة من تلاوة وذكر واجب أو شرط والعلم به فهمه ولهذا المعنى أجاز أبو حنيفة الصلاة بغير العربية لمن لا يحسنها أي الى أن يحسنها أو يمجز . هذا هو حاصل المعنى على القول بأن المراد بالصلاة حقيقتها كما هو الظاهر فان اريد بها موضعها فالمراد تنزيه المساجد وهي بيوت الله عن اللغو والكلام الباطل الذي من شأنه ان يبدد من السكران

أقول روى أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي والحاكم وصححه عن علي كرم الله وجهه قال صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر فأخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون . فترلت . وفي رواية ابن جرير وابن المنذر عن علي أن إمام القوم يومئذ هو عبد الرحمن وكانت الصلاة صلاة المغرب وكان ذلك لما كانت الخمر مباحة . وهذا يدل على أن المراد بالصلاة حقيقتها وروى عن سعيد بن المسيب والضحاك وعكرمة والحسن أن المراد بالصلاة هنا مواضعها وروى عن الشافعي أنه حمل اللفظ على الأمرين معا بناء على تميزه الجمل بين الحقيقة والمجاز . وروى عن جعفر والضحاك وهو أحدي الروايتين عن ابن عباس أن المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم ولعل من روي عنه ذلك شبه النعاس بالسكر وجعل حكمه حكمه فظن الراوي أنه فسر به والعلة في قياسه عليه ظاهرة وفي حديث أنس عند البخاري مرفوعا « إذا نفس أحدكم وهو يصلي فليصرف فليعلم ما يقول » . وحتى للغاية وفي بعض كلام الأستاذ الإمام ما يشعر بأنها للتعليل والظاهر الأول كحتم في الجملة الآتية

وقوله تعالى ﴿ ولا جنبا ﴾ عطف فيه قوله ولا جنبا على قوله وانتم سكارى والمعنى لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا فجعله وانتم سكارى حاله فهي في حيز النصب وفرق عبد القاهر في دلائل الإعجاز بين الحال المفردة والجملة الحالية فمعنى جاء زيد واكبا أن الركب كان وصفا له حال المجيء فهو تابع للمجيء . مقدر بقدره ومعنى جاء وهو راكب أن الركب وصف ثابت في نفسه وقد جاء هو في حال تلبسه به ، وقد تكون الجملة الحالية غير وصف لذي الحال كقولك جاء والشمس طالعة وقد تقدم مضمونها فعل ذي الحال الذي جعلت قيدا له وقد يتأخر عنه وأما الحال المفردة فيعتبر فيها مقارنة فعل ذي الحال ولهذا قال بعض فقهاء الشافعية من قال لله علي أن اعتكف صائما وجب عليه أن يصوم لاجل الاعتكف ولا يجوز له أن يعتكف في رمضان ، ومن قال لله علي أن أعتكف وأنا صائم لا يلزمه صوم لاجل الاعتكف

بل يجوزته أن يعتكف في رمضان لأن مضمون الجملة الحالية لا يشترط أن يكون مقارنا لفعل ذي الحال كما يشترط ذلك في الحال المفردة . هذا واني لا اذكر اني رأيت للمفسرين بيانا لنكتة اختلاف الحالين في هذه الآية فلم لم يقل لا تقر بوا الصلاة سكارى ولا جنبا أو لا تقر بوا الصلاة وانتم سكارى ولا وانتم جنب أو يحمل الأولى مفردة والثانية جملة ، وهل يقع هذا الاختلاف في تعبير القرآن اتفاقا أو لمجرد التنفن في العبارة ؟ كلا ان النكتة ظاهرة لا تخفى على من كانت اللغة ملكة له وقد تخفى عن من تكون صناعة عنده لا يفهم دقائق نكتتها الا عند تذكر القواعد الصناعية التي تدل عليها وتدبرها ، ومن كانت له الملكة والصناعة قد يفهم المراد في الجملة ويفعل من ايضاحها بالقواعد الصناعية . إن التعبير بجملة « وانتم سكارى » يتضمن النهي عن السكر الذي يخشى ان يمتد الى وقت الصلاة فيفضي الى أداؤها في أثنائه فالغنى احذروا أن يكون السكر وصفا لكم عند حضور الصلاة فتصلوا وانتم سكارى ولا يتحقق امثال هذا النهي الا بترك السكر في وقت الصلاة بل فيما يقرب من وقتها وليس المعنى لا تصلوا حال كونكم سكارى ، وعلى هذا لا يرد الاعتراض الذي أورده الاستاذ الامام وأجاب عنه بثلاثة أجوبة وانما كان يرد لو قال تعالى لا تقر بوا الصلاة سكارى ، أو يقال في دفعه هذا والجواب الأول من تلك الأجوبة في معنى هذا ولكنه ليس مأخوذا من منطوق الآية ومدلول الجملة الحالية وانما فهمنا منه انه مأخوذ من توقف الامثال على اجتناب السكر قبل الصلاة وصرح بأنه من باب الاحتياط . واما نهيبهم عن الصلاة جنبا فلا يتضمن نهيبهم عن الجنابة قبل الصلاة ولهذا لم يقل وانتم جنب . فيا لله العجب من دقة عبارة القرآن الحكيم وبلاغتها واشتمالها على المعاني الكثيرة باختلاف التعبير فقد دلت الآية باختلاف الحالين على ان الشارع يريد صرف التامس عن السكر وترتيبهم على تركه بالتدرج لما فيه من الانتم والضرر ولا يريد صرفهم عن الجنابة لانها من سنن الفطرة وانما ينهاهم عن الصلاة في أثنائها حتى يغتسلوا فهذا النهي تمهيد لفرض الطهارة من الجنابة وكونها شرطا للصلاة وذلك النهي تمهيد لتحريم الخمر ألينة في سياق ايجاب الفهم والتدبر لما في الصلاة من الاذكار والتلاوة

والجنب قال الاستاذ الامام يعرفه كل أحد يعني من قراء العربية لانه مستعمل الآن عند الخاصة والعامة في المعنى الذي جاء به القرآن ، ولكنه لم يذكر ما هي صيقته وما معنى أصل مادته . وقد استعملت العرب هذا اللفظ استعمال المصادر في الوصفية فقالوا هو جنب وهي جنب وهما جنب وهم جنب وثناه وجمعه بمضهم فقالوا جنبان وأجناب وجنوب . وقال أبو البقاء هو مشتق من الجنبية بمعنى المباحة وليس بظاهر . وقد قالوا جانبه بمعنى سار الى جنبه ومنه الصاحب بالجنب لرفيق السفر والاصل فيه انه يركب بجانب رفيقه في الشدق على البعير فيكون اشارة الى المضاجعة التي هي أهم أسباب الجنبية

﴿ إلا عابري سبيل ﴾ أي لا تقر بوا الصلاة جنباً في حال من الاحوال الاحال كونكم عابري سبيل أي مجتازي طريق ، وقيل ان هنا صفة بمعنى غير ولم يلتفت صاحب هذا القول الى ما اشترطه ابن الحاجب من تعذر الاستثناء . ومن قال ان المراد بالصلاة هنا حقيقتها فسر عابر السبيل هنا بالمسافر ومن قال ان المراد بالصلاة مواضعها أي المساجد فسر بالاحتياز لحاجة قاله الاستاذ وغيره وقد استدلل الشافعية بالآية على جواز مرور الجنب في المسجد اذا كانت له حاجة وعلى تحريم المكث فيه عليه . وقد علمت ان الشافعي يميز أن يراد بالصلاة هنا حقيقتها ومكثها معا وحينئذ يجعل استثناء العبور باعتبار المكان واني لا أستبعد التمييز عن السفر بعبور السبيل والسفر مذكور في الآية وفي غيرها من الآيات بلفظ السفر فالتعبد عندي في العبور ما قاله الشافعية وهو بالمرور بالمسجد لأنه من قرب الصلاة سواء أريد بها المكان وحده أم المكان والحقيقة أم الحقيقة وحدها لأن المكث في المسجد من مقدمات الصلاة فالنهي عنه يدخل في النهي عن قرب الصلاة . ويؤيد هذا ما هو معروف من كون بعض جيران المسجد النبوي كان لبيوتهم أبواب و منافذ من المسجد فكانوا يعبرون منه الى بيوتهم وكان كثير من فقراء الصحابة يقيمون في المسجد فلما نزلت الآية فهموا منها ولا بد ان اقامة الجنب في المسجد تعد من قرب الصلاة فلو لم يستثن عابري السبيل لكان على أولئك الجيران حرج في إلزامهم أن لا يخرجوا من بيوتهم قبل الاغتسال اذا كانوا جنباً . ولم يأمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بسد

تلك الابواب والكوى الا في آخر عمره الشريف وقد استثنى خوذة ابن أبي خفافة (أبي بكر - رض) والخوذة الكوة والباب الصغير مطلقا أو ما كان في الباب الكبير

(حتى تغسلوا) أي لا تقربوا الصلاة جنبا لا بأدائها ولا بالمكث في مكانها الى أن تغسلوا الا ما رخص لكم فيه من عبور السبيل في المسجد وحكمة الاغتسال من الجنابة كحكمة الوضوء هي النظافة والطهارة كما سيأتي في آية الوضوء من سورة المائدة ولما بين الطهارتين فوائد صحية وأدوية سنبينها هناك بالتفصيل ان شاء الله تعالى . والاغتسال عبارة عن إفاضة الماء على البدن كله ومن شأن الجنابة أن تحدث تهيجا في المجموع العصبي فيتأثر بها البدن كله ويعقبها فتور وضعف فيه يزيله الماء ولذلك جاء في الحديث الصحيح « إنما الماء من الماء »

وقد جهل هذا من اعترض على حكمة التشريع وقال لو كان الدين موافقا للعقل لما أوجب في الجنابة إلا غسل أعضاء التناسل فأوجب الله تعالى فيما جعله غاية للنهي عن صلاة الجنب أن يتحرى الانسان في صلاته النظافة والنشاط كما أوجب فيما جعله غاية للنهي عن صلاة السكران ان يتحرى فيها العلم والفهم وتدبر القرآن والذكر ويتوقف هذا على معرفة لغة القرآن فهي واجبة على كل مسلم . وهذا شيء من مشروعية الفصل

ولما كان الاغتسال من الجنابة يتعسر في بعض الاحوال ويتعذر في بعضها ومثله الوضوء وكانت الصلاة عبادة محتومة وفريضة موقوتة لا هراة فيها ولا مندوحة عنها لأنها بتكرارها تذكّر المرء اذا نسي مراقبة الله تعالى فعنده لتقوى بين له سبحانه الرخصة في ترك استعمال الماء والاستعاضة عنه بالتيمم فقال (وان كنتم مرضى أو على سفر) والشأن فيهما تعسر استعمال الماء ولا سيما في الحجاز وغيره من جزيرة العرب وقد يكون الماء ضارا بالمرض كعض الامراض الجلدية والقروح (أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء) أي أو أحدثتم حدثا أصفر وهو خروج شيء من أحد السبيلين (القبل والدبر) وعبر عنه بالجمي

من الفاظ كناية كما هي سنة القرآن في التزاوة بالكناية عما لا يحسن التصريح به والفاظ هو المكان المنخفض من الارض وأهل البوادي يقصدون بحاجتهم الا ما كن المنخفضة لأجل الستر والاستخفاء عن الابصار ، ثم صار لفظ الفاظ حقيقة عرفية في الحدث لكثرة الاستعمال ، ويكنى عن الحدث في المدن الآلهة التي تتخذ فيها الكنف بكنائيات أخرى . وملامسة النساء كناية عن غشيانهن والافشاء اليهن وحقيقته المس المشرق من الجانبين ولو باليد ﴿ تيمموا صعيدا طيبا فامسحوا

بوجوهكم وأيديكم ﴾ أي ففي هذه الحالات : المرض والسفر وقدر الماء عقب الحدث الاصفر الموجب للوضوء والحدث الاكبر الموجب للغسل - تيمموا صعيدا طيبا أي اقصدوا ونحروا مكانا ما من صعيد الارض أي وجهها طيبا أي طاهرا لا قدر فيه ولا وسخ فامسحوا هناك بوجوهكم وأيديكم تمثيلا لمعظم عمل الوضوء فصلوا . وفي حديث عمران بن حصين (رض) عند البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى رجلا معزلا لم يصل في القوم فقال يا فلان ما منعك ان تصلي ، فقال يا رسول الله اصابني جنابة ولا ماء قال « عليك بالصعيد فانه يكفيك » وهذا في الحضر

الاستاذ الامام : المعنى ان حكم المريض والمسافر اذا اراد الصلاة كحكم المحدث حدثا اصفر أو ملامس النساء ولم يجد الماء فعلى كل هؤلاء التيمم فقط . هذا ما يفهمه القارئ من الآية نفسها اذا لم يكلف نفسه حملها على مذهب من وراء القرآن يجعلها بالتكلف حجة له منطبعة عليه . وقد طالعت في تفسيرها خمسة وعشرين تفسيراً فلم أجد فيها غناء ولا رأيت قولاً فيها يسلم من التكلف ثم رجعت الى المصحف وحده فوجدت المعنى واضحا جليا ، فالقرآن أفصح الكلام وأبلغه وأظهره وهو لا يحتاج عند من يعرف العربية مفرداتها وأسايلها الى تكلفات فنون النحو وغيره من فنون اللغة عند حافظي أحكامها من الكتب مع عدم تحصيل ملكة البلاغة - الى آخر ما أطال به في الانكار على المفسرين الذين عدوا الآية مشكلة لأنها لم تنطبق على مذاهبهم انطباقا ظاهرا سالما من الرككة وضعف التأليف

والتكرار التي يتنزه عنها أعلى الكلام وأبلغه . وإذا كان رحمه الله قد راجع خمسة وعشرين تفسيراً رجاء أن يجد فيها قولاً لا تكلف فيه فإنا لم أراجع عند كتابة تفسيرها إلا روح المعاني وهو آخر التفاسير المتداولة تأليفاً وصاحبه واسع الاطلاع فإذا به يقول « الآية من معضلات القرآن » والله أن الآية ليست معضلة ولا مشكلة وليس في القرآن معضلات الا عند المفتونين بالروايات والاصطلاحات وعند من اتخذوا المذاهب المحدثه بعد القرآن أصولاً للدين يعرضون القرآن عليها عرضاً فإذا وافقها بغير تكلف أو بتكلف قليل فرحوا والا عدوها من المشكلات والمعضلات ، على أن القاعدة القطعية المعروفة عن من أنزل عليه القرآن (ص) وعن خلفائه الراشدين (رض) أن القرآن هو الاصل الأول لهذا الدين وأن حكم الله يلتمس فيه أولاً فإن وجد فيه يؤخذ وعليه يعول ولا يحتاج معه إلى مأخذ آخر وإن لم يوجد التمس من سنة رسول الله (ص) على هذا أقر النبي (ص) معاذاً حين أرسله إلى اليمن وبهذا كان يتوأسى الخلفاء والائمة من الصحابة والتابعين وقد رأى القارئ أن معنى الآية واضح في نفسه لا تكلف فيه ولا إشكال والله الحمد سيقول ادعياء العلم من المقلدين نعم أن الآية واضحة المعنى كاملة البلاغة على الوجه الذي قررتم ولكنها تقضي عليه أن التيمم في السفر جائز ولو مع وجود الماء وهذا يخالف للمذهب المعروف عندنا فكيف يعقل أن يخفى معناها هذا على أولئك الفقهاء المحققين ويعقل أن يخالفوها من غير معارض لظاهرها أرجعوها إليه . ولنا أن قول لمثل هذا - وإن كان المقلد لا يحتاج لأنه لا علم له - وكيف يعقل أن يكون أبلغ الكلام وأسلمه من التكلف والضعف معضلاً مشكلاً وأي الأمرين أولى بالترجيح : ألطعن ببلاغة القرآن لحمله على كلام الفقهاء أم تجوز الخطأ على الفقهاء لأنهم لم يأخذوا بما دل عليه ظاهر الآية من غير تكلف وهو الموافق للمتم مع غيره من رخص السفر التي منها قصر الصلاة وجمعها وإباحة الفطر في رمضان فهل يستنكر مع هذا أن يرخص للمسافر في ترك الغسل والوضوء وهما دون الصلاة والصيام في نظر الدين ؟ أليس من المحرب أن الوضوء والغسل يشقان على المسافر الواجد للماء في هذا

(المناج ٩) (٨٢) (المجلد الثالث عشر)

الزمان الذي سهلت فيه اسباب السفر في قطارات السكك الحديدية والبواخر ، أفلا يتصور المنصف ان المشقة فيهما أشد على المسافرين على ظهور الابل في مفاوز الحجاز وجبالها ؟ هل يقول منصف ان صلاة الظهر أو العصر أو بعضا في السفر أسهل من الغسل أو الوضوء فيه ؟ السفر مظنة المشقة يشق فيه غالبا كل ما يوثق في الحضر بسهولة واشق ما يشق فيه الغسل من الجنابة والوضوء وان كان الماء حاضرا مستغنى عنه . واضرب لهم مثلا هذه الجوارى المنشآت في البحر كالأعلام فان الماء فيها كثير دائما وفي كل باخرة منها حمامات أي بيوت مخصوصة للاغتسال بالماء الساخن والماء البارد ولكنها خاصة بالاغنياء الذين يسافرون في الدرجة الاولى أو الثانية وهو لا الاغنياء منهم من يصيبه دوار شديد يتعذر عليه معه الاغتسال أو خفيف يشق عليه الاغتسال ولا يتعذر فاذا كانت هذه السفن التي يوجد فيها من الماء المعد للاستحمام ما لم يكن يوجد مثله في بيت أحد من أهل المدينة زمن التنزيل يشق فيها الاغتسال أو يتعذر فما قولك في الاغتسال في قطارات سكك الحديد أو قوافل الجمال والبغال ؟

الا إن من أعجب العجب غفلة جماهير الفقهاء عن هذه الرخصة الصريحة في عبارة القرآن ، التي هي أظهر وأولى من قصر الصلاة وعدم الصيام ، وأظهر في رفع الحرج والعسر الثابت بالنص وعليه مدار الأحكام ، واحتمال ربط قوله تعالى « فلم نجدوا ماء » بقوله « وان كنتم مرضى أو على سفر » بعيد بل ممنوع ألينة على انهم لا يقولون به في المرضي لان اشتراط فقد الماء في حقهم لا فائدة له لان الاصحاء مثلهم فيه فيكون ذكركم لفوا يتنزه عنه القرآن ، ونقول ان ذكر المسافرين كذلك فان المقيم اذا لم يجد الماء يتيمم فلولا ان السفر سبب للرخصة كالمريض لم يكن له كره فائدة ولذلك وقف حمار الشيخ في القبة هنا . وما ورد في سبب نزولها من فقد الماء في السفر أو المكث مدة على غير ماء لا ينافي ذلك . روي انها نزلت في غزوة المريسيع ، عرس النبي (ص) في تلك الغزوة ليلة فسقطت من عائشة قلادة لاسماء أختها كانت عليها فلما رحلوا ذكرت ذلك للنبي (ص) فبعث رجلين في طلبها ونزلوا ينتظرونها على غير ماء فأصبحوا وليس معهم ماء فأغلظ ابو بكر على عائشة وقال حبست رسول الله (ص) والمسلمين على غير ماء فنزلت الآية فلما صلوا بالتيمم جاء اسيد بن الحضير

الى مضرب عائشة فجعل يقول ما أكثر بركتكم يا آل أبي بكر وفي رواية يرحمك الله تعالى يا عائشة ما نزل بك أمر تكرهينه الا جعل الله تعالى فيه المسلمين فرجا . فهذه الرواية وهي من وقائع الاحوال لاحكم لها في تغيير مدلول الآية ولا تنافي جعل الرخصة أوسع من الحال التي كانت سببا لها ، الا ترى انها شملت المرضى ولم يذكروا في هذه الواقعة انه كان فيها مريض شق عليهم استعمال الماء على تقدير وجوده وليس فيها دليل على أن كل الجيش كان فاقداً للماء ولا أن النبي (ص) جعل التيمم فيها خاصا بفاقد الماء دون غيرهم . وانما نرى رخصة قصر الصلاة قد قيدت بالخوف من فتنة الكافرين كما سيأتي في هذه السورة ونرى هؤلاء الفقهاء كلهم لم يعملوا فيها بمفهوم هذا الشرط المنصوص الذي كان سبب الرخصة افلا يكون ما هنا أولى بأن لا يشترط فيه شرط ليس في كتاب الله ؟ وروي في سبب النزول ايضا ان الصعابة نالتهم جراحة وابتلوا بالجناية فشكوا ذلك للنبي (ص) فنزلت

واذا ثبت ان التيمم رخصة للمسافر بلا شرط ولا قيد بطلت كل تلك التشديدات التي توسعوا في بنائها على اشتراط فقد الماء ومنها ما قالوه وجوب طلبه في السفر وما وضعوه لذلك من الحدود كحد القرب وحد القوث . وأذكر انني عند ما كنت أدرس شرح المنهاج في فقه الشافعية قرأت باب التيمم في شهرين كاملين لم أترك الدرس فيهما ليلة واحدة فهل ورد ان النبي (ص) أو أحد الصحابة تكلم في التيمم يومين أو ساعتين ؟ وهل كان هذا التوسع في استنباط الاحكام والشروط والحدود سعة ورحمة على المؤمنين أم عسرا وحرجا عليهم وهو ما رفعه الله عنهم ؟

﴿ ان الله كان عفوا غفورا ﴾ العفو ذو العفو العظيم ويطلق العفو بمعنى اليسر والسهولة ومنه في التنزيل « خذ العفو » وفي الحديث « عفوت لكم صدقة الخليل والرفيق » أي اسقطتها تيسيرا عليكم . ومن عفوه تعالى أن أسقط في حال المرض والسفر وجوب الوضوء والغسل . ومن معاني العفو محو الشيء . يقال عففت الريح الاثر ويقال عفا الاثر (لازم) أي أحمي ومنه العفو عن الذنب عفا عنه وعفا له ذنبه وعفا عن ذنبه أي محاه فلم يرتب عليه عقابا فالعفو أبغ من المغفرة لان المغفرة من الغفر

وهو الستر وبستر الذنب بعدم الحساب والعقاب عليه لا ينافي بقاء أثر خفي له ومعنى
العفو ذهاب الأثر فالفحوى عن الذنب جعله كأن لم يكن بأن لا يبقى له أثر في النفس لا ظاهر
ولا خفي . فهذا التذليل للآية مبين منشأ الرخصة والبسر الذي فيها وهو عفو الله
تعالى ومشعر بأن ما كان من الخطأ في صلاة السكاري كقولهم قل يا أيها الكافرون
اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون مغفور لهم لا يؤخذون عليه . وانا نختتم تفسير
الآية بمسائل لا بد منها

(المسألة الأولى معنى التيمم الغوي والشرعي) قد علمت ان التيمم في الآلة
بمعنى القصد وهو المعنى الغوي قال الأعشي

تيممت قيسا وكم دونه من الأرض من مهمه ذي شرن

ثم صار حقيقة شرعية في العمل المخصوص وهو ضرب اليدين بوجه الأرض
ومسح الوجه واليدين بهما وصاروا يقولون تيمم بالتراب وقد جمع بعضهم بين
المعنيين فقال

تيممتكم لما قدت أولي النهي ومن لم يجد ماء تيمم بالتراب

(المسألة الثانية محل التيمم) نص الآلة ان محلّه الوجه واليدان ولكن اليد
تطلق كثيرا على ما تزاوّل به الاعمال من الكف والاصابع وحدها الرسغ وان شئت
قلت الفصل الذي يربط الكف بالساعد وهي التي تقطع في حد السرقة ، وتطلق
على الذراع من أطراف الاصابع الى المرفق ، وتطلق على مجموع الذراع والعضد
الى الابط والكف ولذلك اختلف الناس في مسح اليدين على ثلاثة أقوال
واختلفت الروايات فيه أيضا عن النبي (ص) والصحابه والتابعين وانا نلخص ذلك
مع بيان الراجح فنقول : جاء في الصحيحين من حديث عمار بن ياسر ان النبي صلى
الله عليه وآله وسلم قال له « انما كان يكفيك هكذا » وضرب (ص) بكفيه الأرض
ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه وسبأني نصه وسببه وما قيل فيه . وفي لفظ
لدارقطني « انما كان يكفيك ان تضرب بكفيك في التراب ثم تنفخ فيهما ثم تمسح بهما
وجهك وكفيك الى الرسغين » وذكر النووي في شرح مسلم ان هذا مذهب عطاء
ومكحول والاوزاعي واحمد واسحق وابن المنذر وعامة اصحاب الحديث . أقول

وعليه الشيعة الامامية أيضا . وروى الترمذي ان ابن عباس احتج له باطلاق الايدي في آية السركة والاتفاق على ان المراد بهما الكفين ورد الحافظ مأوله به النووي وروى الدارقطني والحاكم والبيهقي من حديث ابن عمر مرفوعا « التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة للدين الى المرفقين » وهذا هو عمدة جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية وغيرهم وفي اسناده علي بن ظبيان وثقه يحيى بن القطان وهشيم وغيرهما ولكن قال الحافظ ابن حجر هو ضعيف ضعفه ابن القطان وابن معين وغير واحد وفي رواية من حديث عمار ان المسح الى الابطين وبها أخذ الزهري وستعلم ما فيها ولفظ حديث عمار في رواية الصحيحين وغيرهما عن عبد الرحمن ابن أبزى ان رجلا أتى عمر (رض) فقال إني اجنبت ولم أجد ماء فقال له لاتصل فقال عمار أما تذكر يا أمير المؤمنين اذ أنا وأنت في سرية فاصابتنا جنابة فلم نجد الماء فاما أنت فلم تصل واما أنا فتمسكت في التراب وصليت فقال (ص) « انما كان يكفيك ان تضرب يدك في الارض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفيك » فقال عمر اتق الله يا عمار فقال ان شئت لم أحدث به فقال نوليك ماتوليت أي بل نكلك الى ماقلت وزد اليك ما وليته نفسك وذلك اذن له برواية الحديث والافتاء به وهذا هو المعتمد الذي لا حجة على غيره وله باب البخاري في صحيحه قال الحافظ في الفتح :

« قوله باب التيمم للوجه والكفين أي هو الواجب الجزئي واتى بذلك بصيغة الجزم مع شهرة الخلاف فيه لقوة دليله فان الاحاديث الواردة في صفة التيمم لم يصح منها سوى حديث ابي جهم وعمار وما عداها فضعيف أو مختلف في رفعه ووقفه والواضح عدم رفعه فأما حديث ابي جهم فورد بذكر اليدين مجلا وأما حديث عمار فورد بذكر الكفين في الصحيحين وبذكر المرفقين في السنن وفي رواية الى نصف الذراع وفي رواية الى الآباط فأما رواية المرفقين وكذا نصف الذراع ففيها مقال وأما رواية الآباط فقال الشافعي وغيره ان كان ذلك وقع بأمر النبي صلى الله عليه وسلم فكل تيمم صح للنبي (ص) بعده فهو ناسخ له وان كان وقع بغير أمره فالحجة فيما أمر به . ومما يقوي رواية الصحيحين في الاقتصار على الوجه والكفين كون عمار كان يقف بعد النبي (ص) بذلك وراوي الحديث أعلم بالمراد به من غيره

ولا سيما الصحابي المجتهد « اه كلام الحافظ ابن حجر وهو فصل الخطاب في المسألة
 ﴿ المسألة الثالثة التيمم ضربة واحدة ولا ترتيب فيه ﴾ في المسألة روايتان وفي
 رواية شقيق الحديث عمار في الصحيحين التصريح بضربة واحدة فهي اقل ما يجزئ
 والجمهور من الفقهاء وأهل المذاهب على الضربتين قال الحافظ في الفتح
 « قوله ظهر كفه بشماله أو ظهر شماله بكفه كذا في جميع الروايات بالشك وفي
 رواية ابي داود نحرير ذلك من طريق أبي معاوية ايضا وافظه ثم ضرب بشماله على
 يمينه ويمينه على شماله على الكفين ثم مسح وجهه . وفي الاكتفاء بضربة واحدة
 في التيمم ونقله ابن المنذر عن جماهير العلماء واختاره وفيه ان الترتيب غير مشروط
 في التيمم قال ابن دقيق العيد اختلف في لفظ هذا الحديث فوقه عند البخاري بلفظ
 « ثم » وفي سياقه اختصار ولمسلم بالواو وافظه ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه
 ووجهه وللإسماعيلي ما هو اصرح من ذلك . قلت ولفظه من طريق هارون الجمال
 عن ابي معاوية « انما يكفيك ان تضرب بيدك على الارض ثم تنفضهما ثم تمسح
 بيمينك على شمالك وشمالك على يمينك ثم تمسح على وجهك » اه
 ﴿ المسألة الرابعة ما هو الصعيد ﴾ قال في القاموس والصعيد التراب أو وجه
 الارض ، وقال الثعالبي في فقه اللغة الصعيد تراب وجه الأرض . وفي المصباح
 الصعيد وجه الارض ترابا كان أو غيره ، قال الزجاج لا أعلم اختلافا بين أهل
 اللغة في ذلك . وقال في المصباح أيضا ويقال الصعيد في كلام العرب على وجوه:
 على التراب الذي على وجه الارض وعلى وجه الارض وعلى الطريق . أقول
 ولا أجل هذا اختلف الفقهاء فقال بعضهم يجوز ان يضرب يديه على أي مكان
 طاهر من الارض ويمسح وجهه ويديه . واستدلوا من الروايات بقيم النبي صلى الله
 عليه وسلم في المدينة من جدار كما في الصحيحين . وقال بعضهم انه لا يجزئ الا
 بالتراب واستدلوا على ذلك بحديث « جعلت تربتها لنا طهورا » وهو عند مسلم
 من حديث حذيفة مرفوعا وفي رواية ابن خزيمة بلفظ التراب . ومثلها حديث علي
 عند احمد والبيهقي باسناد حسن « جعل التراب لنا طهورا » وجعلوا للتراب معنى
 مقصودا كما ستعلم في مسألة حكمة التيمم

وأجاب الاولون عن هذا بأن لفظ التربة والتراب لا يؤخذ بمفهومه لانه مفهوم لقب ذهب جمهور الاصوليين الى عدم اعتباره فهو لا يخصص المنطوق وانما قال بمفهوم اللقب الدقاق . على ان التراب هو الاعم الاكثر من صعيد الارض فخص بالذكر في بعض الروايات . لأجل ذلك رجأت بعض الروايات بلفظ الارض كحديث جابر المرفوع في الصحيحين والنسائي « وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا » واستدلوا بلفظ « منه » في سورة المائدة اذ قال « فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه » فقالوا ان هذا لا يتحقق الا فيما ينفصل منه شيء ، وعارضهم الآخرون بما تقدم ذكره من تيمم النبي من الجدار في المدينة ولهم أن يقولوا انه ربما كان عليه غبار وفي رواية للشافعي انه حكاه بالعصا ثم مسح منه وفيها مقال على أن ما ينفصل منه شيء ليس خاصا بالتراب فأكثر مواد الارض ينفصل منها شيء اذا دبست أو سحقت ومن التراب اللزج الذي ييبس فلا ينفصل منه شيء بضرب اليدين عليه الا ان يداس كثيرا أو يدق ، وبرى هؤلاء ان « من » في آية المائدة للابتداء لا للتبعض وهو خلاف المتبادر وأقرب منه أن تكون لبيان ما هو الاكثر والاغلب ولو كان الغبار قيذا لا بد منه لذكر في آية النساء لأنها مقدمة في النزول على سورة المائدة وعمل الناس باطلاقها زمنا طويلا ، وهي التي تسمى آية التيمم وهذا التقيد فيه عسر ينافي الرخصة ونفي الحرج الذي علمت به في سورة المائدة فان المسافر يعسر عليه ان يجد التراب الطاهر الذي ينفصل منه الغبار في كل مكان ولهذا رأيت بعض المستمسكين بهذا المذهب يحملون في أسفارهم اكياسا فيها تراب ناعم يتيممون منه والعمل باطلاق الآية أوسع من ذلك وأيسر ، ولو كان الغبار مقصودا لما نفى النبي (ص) كفيه بعد ان ضرب بهما الارض كما في رواية شقيق لحديث عمار ولما امر بنفخهما في رواية عن عبدالرحمن بن ابري له وهل يبقى بعد النفخ والنفخ ما يكفي لاصابة الوجه واليدين من الضربة الواحدة ؟ فجملة القول ان الدليل على اشتراط التراب أو الغبار غير قوي فيضرب التيمم بيديه أي مكان طاهر من ظاهر الارض حيث كان ويمسح فان وجد مكانا فيه غبار واختاره للخروج من الخلاف فذاك ولكن ينبغي ان ينفذ بيديه أو ينفخهما من الغبار

ولا يغفر وجهه به . وان عد بعضهم التيمم من حكمة التيمم فالسنة تخافه
 ﴿ المسألة الخامسة التيمم عن الحديثين لفاقد الماء ، المسافر والمقيم فيه سواء ﴾
 تقدم حديث عمار في السفر وحديث عمران بن حصين في الرجل الذي اعتزل
 الصلاة مع الجماعة للجناية وفقد الماء وقول النبي (ص) له « عليك بالصعيد فانه
 يكفيك » وهو في الصحيحين وسنن النسائي . وفي حديث ابي ذر عند أصحاب
 السنن مرفوعا وصححه الترمذي بلفظ « ان الصعيد الطيب وضوء المسلم وان لم يجد
 الماء عشر سنين فاذا وجد الماء فليمسه بشرته فان ذلك خير » وفيها رواية شقيق
 لحديث عمار قال كنت عند عبد الله وأبي موسى فقال أبو موسى ارأيت يا أبا عبد
 الرحمن لو ان رجلا أجنب ولم يجد الماء شهرا كيف يصنع فقال لا يتيمم وان لم يجد
 الماء شهرا فقال أبو موسى كيف بهذه الآية في سورة المائدة « فلم تجدوا ماء فتيمموا
 صعيدا طيبا » قال عبد الله لو رخص لهم في هذه الآية لا وشك اذا برد عليهم
 الماء ان يتيمموا بالصعيد ، قال إنما كرهتم هذا لذا ؟ قال نعم فقال أبو موسى لعبد
 الله ألم تسمع قول عمار لعمر بعثني رسول الله (ص) فأجنبت فلم أجد الماء فتمرغت
 بالصعيد كما تتمرغ الدابة ثم اتيت رسول الله (ص) فذكرت له ذلك فقال « إنما
 كان يكفيك أن تصنع هكذا وضرب بكفه ضربة على الارض ثم نفضها ثم مسح
 بها ظهر كفه وشماله أو ظهر شماله بكفه ثم مسح بهما وجهه » فقال عبد الله أو لم تر
 عمر لم ينع بقول عمار أقول بل قنع عمر بقول عمار كما تقدم ولكنه كان يكره التوسع
 في هذه الرخصة وكان عمر وعبد الله يريان ان التيمم انما يكون عن الوضوء دون
 الجناية ويريان ان المراد بالملامسة مس البشرة وانه ينقض الوضوء وعليه الشافعية
 وروي ان عمر وعبد الله بن مسعود رجعا عن قولهما هذا ولم يحك ذلك عن غيرهما
 الا عن ابراهيم النخعي من التابعين وقد انعقد الاجماع بعد ذلك على مشروعية
 التيمم للوضوء والجناية وان كيفيته واحدة

﴿ المسألة السادسة في كون التيمم لا يعيد الصلاة اذا وجد الماء ﴾ وهذا هو ظاهر
 الآية فان الله تعالى اسقط عنه شرط الطهارة بالماء . وفي حديث ابي سعيد الخدري
 عند أبي داود والنسائي والدارمي والحاكم والدارقطني قال خرج رجلان في سفر

فحضرت الصلاة وليس معها ماء فتيما صعيدا طيبا فصليا ثم وجدا الماء في الوقت فأعاد أحدهما الوضوء والصلاة ولم يعد الآخر ثم أتيا رسول الله (ص) فذكر له ذلك فقال للذي لم يعد «أصببت السنة وأجزأتك صلاتك» وقال للذي توضأ وأعاد «لك الأجر مرتين»

(المسألة السابعة الرواية في تيمم المسافر مع وجود الماء) قد علمت أن هذا هو الظاهر المتبادر من الآية التي لا يظهر بدونه تفسيرها بغير تكلف بخلاف يلاغتها ولكني لم أر في ذلك رواية عملية صريحة الا حديث الاسلم بن شريك في سبب نزول الآية . ففي الدر المنثور للحافظ السيوطي ما نصه :

«واخرج الحسن بن سفيان في مسنده والقاضي اسماعيل في الاحكام والطحاوي في مشكل الآثار والبقوي والبارودي في الصحابة والدارقطني والطبراني وابونعيم في المعرفة وابن مردويه والبيهقي في سننه والضياء المقدسي في المختارة عن الاسلم بن شريك قال كنت أرحل ناقة رسول الله (ص) فأصابني جنابة في ليلة باردة وأراد رسول الله (ص) الرحلة ففكرت ان أرحل ناقته وأنأجنب وخشيت ان اغتسل بالماء البارد فأموت أو أمرض فأمرت رجلا من الانصار في حملها ثم رصفت احجارا فأسخت بها ماء فاغتسلت ثم سمعت (له ادركت) رسول الله (ص) وأصحابه فقال «يا اسلم مالي أرى رحلتك تغيرت» قلت يا رسول الله لم أرحلها رحلها رجل من الانصار . قال «ولم» قلت اني اصابني جنابة فخشيت القوم على نفسي فأمرته ان يرحلها ورفضت احجارا فأسخت بها ماء فاغتسلت به ، فأنزل الله «يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل - الى قوله - ان الله كان عفوا غفورا» واخرج ابن سعد وعبد بن حميد وابن جرير والطبراني والبيهقي في سننه من وجه آخر عن الاسلم قال كنت أخدم رسول الله (ص) وأرحل له فقال لي ذات ليلة «يا اسلم قم فأرحل» فقلت يا رسول الله اصابني جنابة فسكت عني ساعة حتى جاءه جبريل بآية الصعيد فقال «قم يا اسلم فتيم» ثم اراني الاسلم كيف

علمه رسول الله (ص) التيمم فضرب رسول الله (ص) بكفيه الأرض فمسح وجهه ثم ضرب فذلك أحدهما بالآخرى ثم نفضهما ثم مسح بهما ذراعيه ظاهرهما وباطنهما . وحديث الأسلم في التيمم بالضربتين في سنده الربيع بن بدر وهو ضعيف ومن رواه عنه الدارقطني . والروايات في التيمم في السفر قليلة وفي أكثرها ذكر قد الماء فهذا هو الذي جعل الآية مشكلة أو معضلة عند المفسرين على أن أكثر تلك الروايات منقولة بالمعنى ومن نظر في الآية نظرا مستقلا فهمها كما فهمنا قال السيد حسن صديق خان :

قال تعالى «وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم » وقد كثر الاختباط في تفسير هذه الآية والحق أن قيد عدم الوجود راجع إلى قوله «أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء» فتكون الأعذار ثلاثة السفر والمرض وعدم الوجود في الحضر وهذا ظاهر على قول من قال أن القيد إذا وقع بعد جمل متصلة كان قيذا لا آخرها وأما من قال أنه يكون قيذا للجميع إلا أن يمنع مانع فكذلك أيضا لأنه قد وجد المانع ههنا من تقييد السفر والمرض بعدم الوجود للماء وهو أن كل واحد منهما عذر مستقل في غير هذا الباب كالصوم ويؤيد هذا أحاديث التيمم التي وردت مطلقة ومقيدة بالحضر . اهـ شرحه للروضة الندية وقد اتفق لي أن رأيته عند أحد الأصدقاء بعد كتابة تفسير الآية وإرساله من القسطنطينية إلى مصر ليطلع فيها فألفقته بهذه المسألة

ولا يخفى أن الاحتياط الأخذ بالعزيمة وعدم ترك الطهارة بالماء المشقة شديدة وناهيك بما في استعمال الماء من النظافة وحفظ الصحة والنشاط للعبادة كما سيأتي بيانه في تفسير آية الوضوء من سورة المائدة إن شاء الله تعالى . واتي لم أتيمم في سفر من أسفاري قط على أنني وجدت في بعضها مشقة مافي الوضوء .

(المسألة الثامنة التيمم من الجراح والبرد) الجراح من المرض أو في معنى المرض فهو مظنة الضرر من استعمال الماء أو المشقة وقد ورد في أسباب نزول الآية أن بعض الصحابة فشئت فيهم الجراح وأصابهم الجنابة فنزلت آية التيمم فيهم

كما تقدم . وفي حديث جابر عند أبي داود وابن ماجه والدارقطني وصححه ابن السكن قال خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه هل يجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله (ص) اخبر بذلك فقال « قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا فأنما شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب على جرحه ثم يمسح عليه ويفسل سائر جسده » وقد تفرد بهذا الحديث الزبير بن خريق وليس بالقوي وروي من طرق أخرى فيها مقال . وعن عمرو بن العاص انه لما بعث في غزوة ذات السلاسل قال احتملت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت ان اغتسلت ان أهلك فتيمنت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح فلما قدمنا على رسول الله (ص) ذكروا له ذلك فقال « يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب ؟ » فقلت ذكرت قول الله تعالى « ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما » فتيمنت ثم صليت . فضحك رسول الله (ص) ولم يقل شيئا رواه احمد وأبو داود والدارقطني وابن حبان والحاكم واخرجه البخاري تعليقا . قال العلماء ان ضحك النبي (ص) ابلغ في اقرار ذلك من مجرد السكوت على ان سكوته حجة فانه لا يقر على باطل . واشترط العلماء في التيمم للبرد العجز عن تسخين الماء ولو بالأجرة وشراء الماء السخن بالثمن المعتدل

(المسألة التاسعة في حكمه التيمم) جرى جماعه العلماء على أن التيمم أمر تعبدي محض لا حكمه له الا الاذعان والخضوع لأمر الله تعالى وذلك أن لا كثير العبادات منافع ظاهرة لفاعليها ومنها الوضوء والغسل فاذا هي فعلت لأجل فائدها البدنية أو النفسية ولم يقصد بها مع ذلك الاذعان وطاعة الشارع الحكيم لم تكن عبادة ولذلك كان التحقيق ان النية واجبة في العبادات كلها ولا سيما الطهارة ومعنى النية قصد الامثال والاخلاص لله في العمل لا ما ذكره بعضهم من الفلسفة ، فالحكمة العليا للتيمم هي أن يأتي المكلف عند الصلاة بتمثيل بعض عمل الوضوء ليشير به الى انه اذا فاته ما في الوضوء أو الغسل من النظافة ، فانه لا يفوته ما فيه من معنى الطاعة ، فالتيمم رمز لما في الطهارة المتروكة للضرورة من معنى الطاعة

التي هي الاصل في طهارة النفس المقصودة من الدين أولا وبالذات والتي شرعت طهارة البدن لتكون عوناً عليها ووسيلة لها فان من يرضى لنفسه أن يعيش في الاوساخ والاقذار لا يكون عزيز النفس أبى الضيم كما يلبق بالمؤمن ، وسيأتي شرح هذا المعنى عند قوله تعالى في آية الوضوء من سورة المائدة « ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون »

وبلي هذه الحكمة حكمة أخرى عالية وهي ما في تمثيل عمل الطهارة بالاشارة من معني الثبات والمواظبة والمحافظة فمن اعتاد ذلك يسهل عليه إتقان العمل وإتمامه ومن اعتاد ترك العمل المطلوب الموقت في بعض أوقاته لعذر يوشك أن يتهاون في بعض الاوقات لغير عذر بل لمحض الكسل فلحكة المواظبة والمحافظة ركن من أركان التربية والنظام وترى مثل ذلك واضحا جليا في نظام الجندية الحديث فانهم في مأماتهم داخل المعازل والحصون يقيمون الخفراء عليهم آناء الليل والنهار في أوقات السلم والأمان لكيلا يقصروا في ذلك أيام الحرب ، ولم مثل ذلك أعمال كثيرة هم لها عاملون ، كذلك نرى العمال في المعامل والبواخر يتعاهدون الآلات بالمسح والتنظيف في أوقات معينة كما يتعاهد الخدم في القصور والدور العامة والخاصة للأمرأ والحكام وغيرهم من الذين يلتزمون النظام في معيشتهم يتعاهدون الأماكن بالكفوس والفرش والاثاث بالتنظيف والمسح في أوقات معينة وان لم يكن هنالك وسخ ولا غبار ، وبذلك تكون هذه المعاهد كلها وما فيها نظيفا دائما ، ومامن مكان ترك فيه هذه القاعدة العملية وتتبع قاعدة تنظيف الشيء عند طروء الوسخ أو الغبار عليه فقط الا وتراه عرضة للوسخ في أوقات كثيرة . فاذا تأملت هذا ظهر لك ان إباحة القيام للصلاة عند فقد الماء مثلا بدون الاتيان بعمل يمثل طهارتها ويذكر بها تضعف مدكة المواظبة حتى يصير العود اليها عند وجود الماء مستقلا وإن في التبعم تقوية لتلك الملكة وتذكيرا بما لا بد منه عند امكانه بغير مشقة . هذا ما ظهر لي ولم أسمعه قبل من استاذ ولا رأيت في كتاب ولذلك تراه معقولا مقبولا لا تكلف فيه ثم انني اقل لك ما قاله العلماء في ذلك . قال العلامة ابن القيم في اعلام الموقعين

(فصل) ومما يظن انه على خلاف القياس باب التبعم قالوا انه على خلاف

القياس من وجهين (أحدهما) ان التراب ملوث لايزيل درنا ولا وسخا ولا يطهر
البدن كما لا يطهر الثوب (والثاني) انه شرع في عضوين من أعضاء الوضوء دون
بقيتها وهذا خروج عن القياس الصحيح . واعلم الله انه خروج عن القياس الباطل
المضاد للدين وهو على وفق القياس الصحيح فان الله سبحانه جعل من الماء كل شيء
حي وخلقنا من التراب فلنا اذتان الماء والتراب فجعل منهما نشأتنا وافتاننا وبهما تطهرنا
وتعبدنا فالتراب اصل ما خلق منه الناس ، والماء حياة كل شيء . وهما الاصل في
الطبائع التي ركب عليها هذا العالم وجعل قوامه بهما وكان أصل ما يقع به تطهير الاشياء
من الادناس والافذار هو الماء في الامر المعتاد فلم يحجز العدول عنه الا في حال العدم أو العذر
بمرض أو نحوه وكان النقل عنه الى شقيقه وأخيه التراب أولى من غيره ، وان لوث
ظاهرا فانه يطهر باطننا ثم يقوي طهارة الباطن فيزيل دنس الظاهر أو يخففه ، وهذا
أمر يشهده من له بصر ناقد بحقائق الاعمال وارتباط الظاهر بالباطن وتأثر كل منهما
بالآخر وانفعاله عنه

(فصل) وأما كونه في عضوين ففي غاية الموافقة للقياس والحكمة فان وضع
التراب على الرؤوس مكروه في العادات وأما يفعل عند المصائب والنوائب ، والرجلان
محل ملازمة التراب في اغلب الاحوال . وفي تريب الوجه من الخضوع والتعظيم لله
والذل له والانكسار ما هو أحب العبادات اليه وأنفعها للعبد ولذلك يستحب
للساجد ان يترب وجهه لله وان لا يقصد وقاية وجهه من التراب كما قال بعض
الصحابه لمن رآه قد سجد وجعل بينه وبين التراب وقاية فقال ترب وجهك .
وهذا المعنى لا يوجد في تريب الرجلين . وأيضا فموافقة ذلك القياس من وجه
آخر وهو ان التيمم جعل في العضوين المفسولين وسقط من العضوين المسوحين
فان الرجلين تمسحان في الخف والرأس في العمامة فلما خفف عن المفسولين بالمسح
خفف عن المسوحين بالعفو اذ لو مسح بالتراب لم يكن فيه تخفيف عنهما بل كان
فيه انتقال من مسحهما بالماء الى مسحهما بالتراب فظهر ان الذي جاءت به الشريعة
هو أعدل الامور وأكملها وهو الميزان الصحيح

واما كون تييم الجنب كتييم المحدث فلما سقط مسح الرأس والرجلين بالتراب عن المحدث سقط مسح البدن كله بالتراب عنه بطريق الأولى اذ في ذلك من المشقة والخرج والعسر ما يناقض رخصة التييم ويدخل اكرم المخلوقات على الله في شبه البهائم اذا غرغ في التراب فالذي جاءت به الشريعة لا مزيد في الحسن والحكمة والعدل عليه والله الحمد اهـ

وقال الشعراني في الميزان في وجه قول الشافعي واحمد لا يجوز التييم الا بالتراب أو برمل فيه غبار وقول أبي حنيفة ومالك بجوازه بالحجارة وجميع اجزاء الارض حتي النبات عند مالك أقول وكذا الثلج والجليد في رواية ما نصه : « ووجه الأول قرب التراب من الروحانية لان التراب هو ما يحصل من عكارة الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي فهو اقرب شيء الى الماء بخلاف الحجر فان اصله الزائد الصاعد على وجه الماء فلم يتخلص للعانية ولا للترابية فكان ضعيف الروحانية على كل حال بخلاف التراب . وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول إنما لم يقل الشافعي وغيره بصحة التييم بالحجر مع وجود التراب لبعد الحجر عن طبع الماء وروحانيته فلا يكاد يجي المضو المسوح ولو سحق لا سيما اعضاء امثالنا التي ماتت من كثرة المعاصي والغفلات وا كل الشهوات . وسمعت مرة أخرى يقول نعم ما فعل الشافعي من تخصيص التييم بالتراب لما فيه من قوة الروحانية به بعد فقد الماء لاسيما اعضاء من كثر منه الوقوع في الخطايا من امثالنا فلم ان وجوب استعمال التراب خاص بالاصاغر ووجوب استعمال الحجر خاص بالا كبر الذين لا يعصون ربهم لكن ان تييموا بالتراب زادوا روحانية واتعاشوا . وسمعت مرة أخرى يقول وجه من قال يصح التييم بالحجر مع وجود التراب كونه رأى ان اصل الحجر من الماء كما ورد في الصحيح ان رجلا قال يا رسول الله جئت اسألك عن كل شيء فقال رسول الله (ص) « كل شيء خلق من الماء » انتهى - الى ان قال الشـمراني - لكن لا ينبغي للمتورع التييم بالحجر الا بعد فقد التراب لانه مرتبة ضعيفة بالنظر للتراب ثم أورد آية التقوى بقدر

الاستطاعة والحديث الذي بمعناها ثم قال ونظير ما نحن فيه قول علاننا في باب الحج ان من لا شعر برأسه يستحب إمرار المومى عليه تشبيها بالخاقين فكذلك الامر هنا فمن فقد التراب المهود ضرب على الحجر تشبيها بالضاربين بالتراب اه المراد منه

وقال الشيخ احمد المعروف بشاه ولي الله المحدث الدهلوي في كتابه حجة الله البالغة ما نصه : لما كان من سنة الله في شرائعه أن يسهل عليهم كل ما يستطيعونه وكان أحق انواع التيسير ان يسقط ما فيه جرح الى بدل لتطمين نفوسهم ولا تختلف الخواطر عليهم باهمال ما التزموه غاية الالتزام مرة واحدة ولا يألوا ترك الطهارات اسقط الوضوء والفسل في المرض والسفر الى التيمم . ولما كان ذلك كذلك نزل القضاء من الملاي الا على باقامة التيمم مقام الوضوء والفسل وحصل له وجود تشبيهي انه طهارة من الطهارات وهذا القضاء أحد الامور العظام التي تميزت بها الملة المصطفوية من سائر الملل وهو قوله صلى الله عليه وسلم « جمعت رزبتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء » أقول انما خص الارض لانها لا تكاد تفقد فهي أحق ما يرفع به الحرج ولانها طهور في بعض الاشياء كالخلف والسيف بدلا عن الفسل بالماء ، ولأن فيه تذلا بمنزلة تعفير الوجه في التراب وهو يناسب طلب الغفو . أو انما لم يفرق بين بدل الفسل والوضوء ولم يشرع التمرغ لأن من حق ما لا يعقل معناه بادي الرأي أن يجعل كالموثر بالخاصية دون المقدار فانه هو الذي اطمانت نفوسهم به في هذا الباب ، ولأن التمرغ فيه بعض الحرج فلا يصلح رافعا للحرج بالكلية . وفي معنى المرض البرد الضار لحديث عمرو بن العاص . والسفر ليس بقيد انما هو صورة لعدم وجدان الماء يقبدر الى الذهن . وانما لم يؤثر بمسح الرجل بالتراب لان الرجل محل الاوساخ وانما يؤثر بالماء حاصل يحصل به التنبيه اه

اقول احسن ما اورده الشرعاني التنظير بمسألة إمرار المومى على رأس من

لاشعر له عند التحلل من الاحرام ، وأحسن ما قاله الدهلي مسألة اطمئنان
النفس بالبدل وبقاء ان يألفوا ترك الطهارة وهذا قريب من الوجه الثاني الذي
اوردته أو شعبة منه على اتني مارأيته الا بعد ان قررت هذا المعنى مرارا وكتبته
قبل الآن والله الحمد اولا وآخرا و باطنا وظاهرا

(الاغلاط التي وقعت في الجزء الثامن من هذا المجلد وصوابها)

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٥٦١	٤	لدنه	لدنه
٥٦٢	٩	ولعابئين	(قال) ولعابئين
٥٦٢	١٧	الترموها	تقلدوها
٥٦٢	٢٣	والذي	(قال) والذي
٥٦٣	٣	وتترتب	وترتبت
٥٦٣	٥	ونفي	(قال) ونفي
٥٦٣	٦	الصغير	الصغير الاحمر
٥٦٣	١٨	توية	ثوبة
٥٦٣	١٨	ورد فيه	نزل فيه
٥٦٥	٥	بنفسه	نفسه
٥٦٥	١٨	فلا يكون	فقط بأن لا يكون
٥٦٦	١٨	اتباعه	اتباع نبيا
٥٦٨	٥	بشهادة	بشهادة

باب العقائد

بحث في الخلاف (*)

ولنوضح لك صورة من كثير صور من شطارة أهل وقتنا الذين هم كما ذكرنا خير الناس^(١) سيرة اليوم فيما علمنا وكيفية تصرفهم فانه انما تعد معائب من غلبت عليه مناقبه

كفي المرء نبلاً ان تعد معائبه

وضموا عن زكاة النعم على كل شاة أربعة دراهم من ضربهم وستسمع الآن قدرها فتؤخذ على مثلي شاة مثلاً ثمان مئة درهم مع أن الواجب شانان ولم يكونوا قبل يمتدون بنصاب الشاة والبقر ثم ذكروا النصاب لكن تؤخذ قيمة نحو ما ذكر كالتعينة لا من عين المال وهذا حق المال الشرعي بزعمهم ولا ندرى بأي وجه تعين ما ذكر من الصورتين ولا كيف تكون الثالثة وكثير من المأخذ له نحو ذلك من المدخل هذا ما سمعنا في بعض الجملات ويزيد قليلاً وينقص كذلك في بعض الجملات والمقصود التقريب . هذا حين يريدون الأخذ وأما حين يريدون انصاف المظلوم من الظالم فيأمرون باخذ الدية الف حرف والحرف عبارة عن أربعين درهما من ضربهم وهي تخرج الدية تقريباً من الذهب مئة دينار وستين أو سبعين ديناراً فيسقطون نحو أربعة أخماس الدية وعلى هذا فقس حال خير الناس الذين يجب شكر الله على أن انعم بهم نظراً الى سائر الارض وسألت بعض قضاتهم حسن

(٥) نقلنا عن كتاب العلم الشاخي في ايثار الحق على الآباء والشاخي (١) يريد الزيدية

الخيمي ما هذه الدية التي تحكمون فيها ؟ فقال قال الامام يعني المتوكل اسماعيل بن القاسم امام العصر تكون هذه الدراهم قيمة عن نوع آخر من انواع الدية يعني لان انواعها عندهم كلها اصول في أهل الايل والذهب وغيرها على السواء ويخير الجاني عندهم ايضا . فقلت للقاضي تعال ننظر في قيمة تلك الانواع فنظرنا فمارأيناها الا متقاربة بالنظر الى الارض التي كنفها صنعاء وما والاها وعلى الجملة فانما ذلك الجواب ترميم والمسألة ماثلة عن السنن كالخواتم في جميع الفرق انما الغرض التمسك للتنبيه

صورة أخرى قليل نفعها لهم كثير ضررها بل بلية عظيمة على جميع الناس في وقتنا هذا ضربة فضة من عمل الكفار يسمى القروش فاخذت هذه الدولة منها وضربت بها دراهم وخطوا فيها نحاسا نحو الربع تقريبا ليكثر عددها فيربحون بزعمهم ذلك القدر الزائد وهي سنة اقتدوا بها عن من مضى من الاتراك وغيرهم الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . لكن لم تر الناس اذ ذاك المصارفة وزنا لانه لا يصلح لهم بيع الفضة بالنحاس وهو ربا ايضا فصارت الضربة كسائر السلع يرتفع عنها تارة وينخفض أخرى ويبيعون الدراهم بالقروش بالعدل بالوزن ففعلوا هذا الباطل وهم يعلمون حين دعيتهم الضرورة الى الصرف ثم نهاهم الامام عن الصرف مع اصراره على الضربة وشدة حاجتهم الى المصارفة فكان عملهم معهم كما قال

القاه في اليم مكتوبا وقال له إياك إياك ان تبطل بالماء

ومن مفاسد الخلاف استحلال الاعراض وهو واضح فانظر ما في هذه المصنفات من العياط والهتور والتكفير بلا دليل حتى ان الاشاعة

اصلوا انه لا يكفر أحد من أهل القبلة وانما الكفر البواح ولا كفر بالتأويل
ثم نجد في تضاعيف كتبهم المناقضة وكذلك الماتريدي في كلام امامهم الاعظم
ان لا يكفر أحد من أهل القبلة ولم أر التكفير اسهل على أحد ولا اكثر
منه في متأخري الحنفية كأنهم يكفرون بكل إلزام ولو في غاية الغموض ،
ومنع بعض الناس قريبا من بعض متفقيهم نعله فقال كفرت لانك هونت
العلماء وهو تهوين للشريعة ثم للرسول ثم المرسل ونحو هذا يفعلون في كل
شيء ، وفعل بعضهم شيئا من منكرات الدولة فقال المظلوم: هذا ظلم وحاشي
السلطان من الامر والرضى به . فقال انا خادم الدولة المنتمية الى السلطان
فقد نسبت الظلم الى السلطان فهونت ما عظمت الشريعة من امر السلطان
فكفرت فأخذوه وجاءوا به الى القاضي وحكم عليه بالردة ثم جدد اسلامه
وفعل ما يترتب على ذلك. وهاتان الحكايتان في مكة عصرنا مجرد مثال ولا تزال
السننهم رطبة بذلك وهو في رسائل المتأخرين وفتاويهم وسائر كتبهم وهي
عظيمة هونها عموم الجهل وكساد الانصاف، ونفاق النفاق والاعتساف ،
نسأل الله حسن الخاتمة لنا ولجميع أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم

ثم رأيت كتاب التمهيد لابي شكور السالمي من الحنفية واذا هو لم
يكذب يسلم منه أحد من التكفير لان من أول الكتاب الخ يقول قال أهل
السنة والجماعة كذا وقالت الاشاعرة وقالت الفلانية ولا يزال يحكم بالكفر
كقوله قال أهل السنة والجماعة ان الله تعالى لم يزل كان خالقا^(١) موصوفا
بهذه الصفة وقالت الاشعرية والكرامية ما لم يخلق الخلق لم يكن خالقا وهذا
(١) يوشك ان يكون اصل العبارة ان الله تعالى كان - في الازل - ولم يزل كما

كان خالقا الخ

كفر انتهى صورة لفظه ومن العجب ان يسمي نفسه أهل السنة والجماعة في كل محل ثم يمد أفراد الفرق الذين يتسمون بذلك كالاشعرية وغيرهم، وغيره لم يبلغ هذا الحد بل يقع منهم ذلك نادرا يقول بعض الاشاعرة قال أهل السنة وخالفت الماتريدية او الحنابلة أو نحو ذلك على ان ذلك شائع باعتبار التسمية بذلك انما اخترعها صاحبها ولم يوافقها عليها الخصم ولكل ان يدعي (وليلي لا تقر لهم بهذا) وهذا المذكور لا أدري ما أقول فيه فانه يحكي الاقوال ويحجيء بما لا يوجد في أي كتاب ولا هو مما يتركب على الناقل ولا هو نادر واما المعتزلة فانما مدلول المعتزلي عنده من يصح ان ينسب اليه كلما اقتته الشياطين ، اوجات به وساوس المجانين ، فليطالع وعلى الجملة فاكثار الاطلاع سيما على الكتب المشهورة في كل فرقة يزيد المهتدي بصيرة وطمانينة في الهدى مع التوفيق والتسديد ، واخلاص النية للعزيز الحميد ،

واما المعتزلة فهم فريقان وليسوا كلهم بكفرون بالتأويل كما تراد في كتب الاشاعرة ولكن صار كل من الفرق يحكي الشر عن مخالفه ويكتم الخير بل يروي الكذب والبهت كما قدمنا وكما تذكر الاشاعرة ان المعتزلة تنكر عذاب القبر ترى ذلك فاشيا بينهم - حتى القشيري في التخيير شرح الاسماء الحسنی وكأنه استند في ذلك الى الكشف . واما النقل فباطل وهو شبهه قذف الغافلات فان المعتزلة لا يكاد يظن قائلا يقول هذا الاشذوذاً مثل المريسي وضرار وهمايت الفرائب مع ان ضرارا ليس من المعتزلة في روايتهم لانهم رووا عنه القول بالرواية بحاسة سادسة ورووا عنه القول بخلق الافعال وانه رجع عن الاعتزال بسبب شبهة ان يكون فعل العبد

أشرف من فعل الله تعالى وعلى الجملة فليس شذوذ عن الفريقين بفرب
وانما المنكر إلزام المتزلة قوله وانما هذه المسألة كسائر المسائل بل لا بد
فيها من شذوذ كشذوذات العنبري والظاهرية وهذا شيء كبير يطلمك عليه
كتب المقالات ودع عنك المتكلمين

ومن المضحكات عند المحدثين أنهم يتقنون على أمير المؤمنين علي
بن أبي طالب رضي الله عنه حتى يجرحون من يقول ودّ أنه معه في كل
المواطن كشريك القاضي ومن لا يحصي^(١) ثم تراهم يفتنون بكفر من لا
يساعدهم على نوادر ما عليها معرّج ويرون ما المعلوم خلافه لكل من
عرف ذلك بلا حياء كما حكى الذهبي ان ابن دحية قال في يحيى بن نهمان
ضال مضل عجز الله وقال نحن أقدر منه وهو قول القدرية جميعهم وهذه
الجملة الأخرى الظاهر أنها من قول ابن دحية ويحتمل أنها من قول
الذهبي مع أنه لم يعترضها ومن قال أنه أقدر من الله فهو كافر تصريح
لا من باب التأويل ونحو هذا ما حكى في ترجمة عمر بن ابراهيم العلوي
أنه جارودي لا يرى الفصل من الجنابة فلو صدق لكان قد انكر ضروريا
من الدين ولم يعاملوه بذلك وكلماتهم متناقضة اذا تكلموا في غير فهم

(١) تقدم قريبا كلام الذهبي في الجرح بالتشيع وان المراد به اذا بلغ الى الخط
على الشيخين فتكرير المصنف رحمه الله لمثل هذا عنهم داخل في قوله ومن مفساد
الخلافا استعمال الاعراض فالحديثون اتقى الله من مثل هذا فهم الذين رويوا أن
حب نبي رضي الله عنه علامة الايمان وبغضه علامة النفاق فكيف يرضون لاقسمهم
بالتناق الذي صاحبه في الدرك الاسفل من النار فليس هذا انصاف لهم من المصنف
رحمه الله اه من هامش الاصل

وهكذا كل دخيل وليس لهم في ذلك كل العناية مع ان قوله جارودي لا يرى الفصل من الجنبات يفهم من هذه العبارة انها وصف كل من كان جاروديا فيتسم الخرق على الواقع وكما مضى ذكره من قولهم من قال ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى فهو كافر وغير ذلك ولكن قال في صالح بن حي ذلك الاواه انه قد استصاب منذ زمان ولم يجد من يصلبه يعني لانه يرى الخروج على اهل الجور كراي الحسين بن علي ثم حفيده زيد بن علي ومن تبعهم من الزيدية بل وابن الزبير ومن تابعه من فضلاء الصحابة والتابعين بل طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم الا ان خطأهم كان واضحا لان امامهم لم يكن يتشبه به الريب ولقد كانوا قننة لهذه الامة كما قال عمار رضي الله عنه والله انها الزوجة نبىكم في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم اياه تطيعون أم هي فرضي الله عنها وعن طلحة والزبير وعن علي وعمار ومن هو من ذلك القليل كالحسين السبط وزيد بن علي وأبعد الله مروان وابن جرموز وابن ملجم والحجاج وزيد وابن زياد ومن هو من ذلك القليل أميرهم ومأمورهم

ولعمري لمقاصد أئمة الزيدية في قيامها وسيرها أشبه بالصالحين من الساف لولا دخل من الهوى وغلو فيما يعود على الرياسة وداؤها كمين ما يظهر الا بعد أن يستحكم وبعد الاستحكام لا يمكن علاجه كالكتاب ولقد دخل داؤها في كل ذي مقصد حتى في الوعاظ الذين رأس ما لهم التحذير من الدنيا التي قطبها الرياسة فتيقظ من الاحوال لما ذكرنا وغير ما ذكرنا مما يظلمك عليه كتب الجرح والتعديل وكتب السير والاخبار والحكايات والآثار مع التيقظ في كل باب لزواياه وخباياه وليتهم شفافهم ما في الكتب

(المنار ج ١٣ ص ٦٧١) مفسد الخلاف في ترك الجهاد وتعادي حكومات المسلمين

أعني المختلفين حتى يختص هذه المفسد من له اطلاع على الكتب ويسلم من ذلك العامة

ولكن استولى عليهم الشر فصاروا يكررونه على المنابر كل جمعة
كانه الذي وصاهم الله بالتذكير به لينفعوا المؤمنين وأمرهم بالسعي اليه
فالخارجي يلمن أمير المؤمنين والرافضي يلمن الخلفاء الراشدين والسني
يسب الشيعي والشيعي يسب الباغي والجبري وهذه سنة سنينة منها من
سبها في سب علي رضي الله عنه فيا لها من شذاعة ما أخزاها، وفضيحة عم
بلاها، ولولا ان عمهم الوهن في دينهم لقام أهل كل جامع حين سمعوها
والمعجب ممن يحسن الآن لواضعها كأنه يريد أن يشارك فيها لما تأخر
عن وقتها فأخزى الله المحاباة في الدين، والضنة بالنفس والاموال
والبنين، ولقد ضاهت هذه الامة أهل الكتائب في قولهم «وقالت
اليهود ليست النصراني على شيء وقالت النصراني ليست اليهود على شيء
وهم يتلون الكتاب» وبعضهم يقول في بعض ما ذكرنا والانصاف
أن الحق لم يخرج عن أيديهم جميعا والحمد لله فعند كلهم كل الحق وكل قد
ابتدع وان اختلف قلة وكثرة وصغرا وكبرا ومن يطلب الحق وقد هيأه
الله ويسره يعرف هذا من ذلك «فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه
من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم»

ومن مفسد الخلاف سد باب الجهاد لاعداء الاسلام مع انه فرض
كفاية وهو سنام الدين، ولا انقطاع له الى يوم الدين، ولما استحكمت
العداوة بين فرق المسلمين تركوا الكفار وصرفوا همهم في حرب بعضهم

بعضا وانما استحکم ذلك من حين استحکم التفرق وصاروا أجنادا مجندة وقد كان في الدولتين حين كان السلطان واحدا جهاد الكفار مستمرا مع عدم استقامة الخلفاء على الحق ولكن كم بين تلك الأحوال وهذه الأحوال لو يستطيع أحدكم اليوم أن يستعين على خصمه من المسلمين بالكفار لفعل^(١) وليتهم تصالحوا على أن يأمن بعضهم بعضا ويشتغل كل منهم بمن يليه من الكفار ويستعين بعضهم ببعض ولكن ذاك لو كان المراد مطلوب الله منهم ولو اتبعوه لكانت يدهم واحدة كما قدمنا نعم من اتصلت مملكته بالكفار حفظها منهم كحفظه من مخالفه المسلم وهذا نوع من الجهاد ويمكن المطلوب صرف هم المسلمين لحرب الكفار والغزو وان لم يخشوا الا من باب حفظ الملك ولكن عداوة في الله ولتكون كلمة الله هي العليا في جميع أرضه وهذا هو الفرض الذي لا يسوغ الاجتماع على تركه

ومن مفاصد الخلاف سد باب التفقه في الدين ومعرفة الكتاب والسنة حتى صار المنشوف لذلك متفقا على جنونه وخذلانه عندهم ويصرحون ان الاجتهاد قد استحال منذ زمان وانما دس لهم الشيطان ذلك لانه لو بقي الباب مفتوحا لوقع لتأخري المجتهدين ان يوافقوا هذا في مسألة وذلك في أخرى ويصير لبعضهم اتباع فينتقض عليهم استقرار المذاهب ويختلط الامر حتى يمود كما كان في وقت الصحابة رضي الله عنهم وهذا يقرر مغزى

(١) انهم قد استطاعوا وفعلوا والاولى ان لا يبيد ذكر ذلك ونحن نسمي في تلافيه

الشیطان لعنه الله تعالى قد دس لهم ذلك ومن لم یصرح بذلك فعمله علیه
 تراه یدأب اکثر عمره فی العربیة واصول الادلة ومعرفة الحدیث ثم اذا
 صار مدرسا متمكنا فی تلك الفنون اخذ فی كتب التفاریع المدونة من الباب
 الذی دخله الجاهل بتلك الفنون وكأن الكتاب والسنة مع هذه التفاریع
 اجنبیة لا تتراعى نیرانهما ولو نظر فی شيء من الادلة ووقع فی نفسه شيء مما
 ينبغي ان ينظر فیهِ لما قدر على التظہر بذلك لانهم يقومون علیه ویردون
 ما جاء به بلسان واحد ویقولون هذا ینقم على الائمة ویخالقهم یرى نفسه
 خیرا منهم ، وقل احواله معهم ان یسقط جاهه عندهم ویحرموه هذه
 الارزاق وان كان له ضد منافس قد یسعى به الى الدولة ویقضون فیهِ على
 حسب ما یقضي الهوى فی القضية . حتی ان السبکی ذکر انه نظر فی مسألة
 السماع فراها حلالا ثم قال الحمد لله الذی جعلنا من مقلدی امام اذا تآقت
 نفوسنا للنظر فی مسألة لم تقع الا على قوله فانظر هذه الکلیة التی تدل على
 عراقة هذا التحریر فی الکمال والدين . وكذلك ذکر ان الذین بلغوا درجة
 الاجتهاد من علماء الشافعیة مع عدم المخالفة لیسوا بمقلدة انما وافق اجتهادهم
 اجتهاده قال ولا یخرجهم ذلك عن الاتساع الى الشافعی فانظر طبقات
 المذكور ترى فیها العجائب ومن فعل نحو فعله صار وجیها عند أهل ذلك
 المذهب فی حیاته وبعد موته وأما من قال أنا اتبع هذه الآیة وهذه السنة
 وان خالفت الامام فذلك المتخبط المدعی الذی لا یرفع الى كلامه رأسا
 بل ینهی عنه وعن کتبه وهذا فی جمیع هذه الاحزاب المخزبة فصار الباب
 مغلقا ، حتی صار المعروف منكرا ، و ذکر التعلق بالكتاب والسنة وترك

المذاهب الممهدة كالزندقة عندهم خلا انهم لا يقولون الكتاب والسنة هو الضلال خشية ان يكون كفر بواحا ولكن يقولون قد انسد باب معرفتهما وما عرفوا انه اذا انسد باب معرفتهما فقد سقطت حجتهما فوجودهما وعدمهما على السواء ولكنهم لا يعبأون بهذا ويقولون قد اخذ عمرتهما الاثمة وفعلوا ما يجب فالحجة اليوم كلامهم لا غير وصارت تلاوة الكتاب مجرد تعبد والحذر أن يتدبره التالي فيخالف الاثمة فيضل وكذلك السنة الا ان قراءتها بركة وربما يتحصل لهم بذلك مراتب دنيوية ووجه في الناس والا كان فعلهم مجرد عبث

وهذا الذي وصفناه من يقن ولم يعرف حال الناس ما يسوغ له ان يقع هذا أبدا ومن عرفهم علمه ضرورة فذكرنا لنحو هذا مجرد انكار فن يجمله لا يصدقه في علماء الاسلام الذين طبقوا الارض ومن يعرفه يقول وما ثمة هذا الهذيان وهيهات ليس الشأن في معرفة ذلك من احوالهم انما الشأن في السلامة من الوقوع معهم فاننا رأينا الفضلاء فعلوا كما ذكره صاحب كيلة ودمنة من شأن السلطان ووزيره في شرب الماء فهذا هو سد باب التفقه في دين الله لأن دين الله الكتاب والسنة والفقيه انما هو من عرفهما واما معرفة هذه التفاريع فجرد استغناء عن عين الحكم فالمسمى بالمفتي والحراث والسوقة سواء اذ أولئك لا يخلون من أحكام قد قلدوا فيها فما زاد عليهم هذا المفتي الا بكثرة الصور التي جمعها وليست من الفقه في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في شيء. ألا تراه معترفا انه لا يقدر على معرفة النسبة بين ما عنده وبين الكتاب والسنة ؟

واعجب مما ذكر انهم جروا على هذا النمط فيما بين المتقدم والمتأخر

فيعتبرون المتأخر ويترحون المتقدم عصرافه صرا الى يومنا هذا مثلا لو
قال المنتسب الى الشافعي من الطلبة قال الشافعي لسخره منه وقالوا يرى
نفسه أهلا لمعرفة قول الشافعي^(١) بل لو قال قال الرافعي وانما المصرية منهم
اليوم مقصودون على الرمي يقولون لا يجوز الافتاء بغير قوله ويقولون
اخذ علينا المهذب ذلك لا ندرى اي الا باليس اخذ عليهم ذلك لكننا سمعنا ذلك
منهم وأهل مكة يقولون لا نعدل بقول ابن حجر الهيتمي فصار شأن العلماء
المتقدمين وكتبهم كشأن الكتاب والسنة ولذا ترى تلك الكتب مهجورة.
لقد وجدت في باب السلام اربعة عشر مجلدة عرضها صاحبها بثمن مجلدة
صغيرة من المحظية مع ان في تلك مثل العزيز شرح الوجيز ثم لم تنفق وأرجعها
الدلال لصاحبها وهذا في الشافعية أكد منه في غيرهم وكل قد فعله حتى
سمعنا من بعض الطلبة انه لا يجوز العمل على قول المتقدم لان المتأخر قد
ميز الصواب من الخطأ

ونقول لهم لو خلقكم الله سبحانه في العصر المتقدم عليكم وانتم على
الحال الذي انتم عليه الآن أكانت حجة الله عليكم قائمة عليكم؟ فلا ترام
يجيبون الا بنعم فنقول ننقل معكم الى العصر الذي قبله كذلك حتى نبلغ
الى عصر الصحابة ثم الى عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيعترفون
بالحق ويصرون الى ذلك الحال المألوف بمجرد الهوى وكأنهم لم يسمعوا كأنك

(١) طبع في هذه الايام كتاب (الام) للإمام الشافعي وبهامشه رسالته في الاصول
وختصر المزني فقال بعض علماء الشافعية في مصر والحجاز ان طبع هذا الكتاب مفسد
للمذهب وفيه ضرر عظيم وهم ينهاون عنه وينأون عنه ! افرحم الله المصنف وكل
طالم مستقل اه مصححه

لم تقل ، ونقول لهم هل المتأخر أفضل من المتقدم حتى رجعتهم اتباعه؟ فيقولون بل المتقدم أفضل فنقول فقد عدلتم عن الافضل وقد يقول أحدهم انما هو استقصار لنظرنا عن معرفة قول الاول فنقول لا فرق بين كتاب وكتاب وليس من اللازم ان المتأخر أجلى بيانا واوضح عبارة وبرهانا بل لا يزالون مختلفين وكلام الله ورسوله أصح وأوضح ، وأجل وأجلى واشرح ، وإذا بلغ عجزكم الى ما ذكرتم قلنا يا أغبا الناس وأدناهم ، ثم لانسلم لكم معرفة كلام احدث المصنفين ، ولا كلام اشياخكم المدرسين ، على قدر ما عترفتم به على نفوسكم من سوء الحال ، وسقوط الشأن وضيق المجال ، فأتقوا الله في هذه الصحف والاقلام ، والمساجد التي صدعتموها بالخصام ، ولكم بياقل أسوة في شعره ، فلقد كان اعرف منكم لقدره ، حيث يقول مترجما عن عنده

يلومون في حقه باقلا وللصمت أجدر بالاموق

خروج اللسان ومد البنان أحب الينا من المنطق

وهذا باعتبار شبيه قول الامامية : غير المعصوم يجوز عليه الخطأ قلت لبعضهم فهل المعصوم حاضر أبدا عند المكاف لكلاما عرض عليه كي يصونه عن الخطأ؟ قال لا بل لا بد من واسطة غير معصوم قلت فاذا ذلك مسلم والمعصوم موجود هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يدل هذا الدليل مع تسليمه الا على معصوم واحد لا على ثلاثة عشر معصوما فانقطع ويناسب هذا المحل قولي

برئت من التمدب طول عمري وآثرت الكتاب على الصحاب

ولي في سنة المختار صلي عليه الله ما يشفي التهاني

ومالي والتمذهب وهو شيء
وأما من يريد الحق صرفاً
ويرجو حسن عقباه إذا ما
وفيه همه عاقت وتاقت
وقد رزق الحياء فلا يسوي
فلا والله لا يرضى صديماً
لئن أبى الآله لهم صواباً
رضيت لهم من الوجه الذي لم
وأثري من سوى هذا فاني
لعمري إنما حاولت أمراً
ولكن جبههم حلوى هواهم
فلم تر من يسدد سهمه في
وغاية أمرهم لفظ وبهت
يقولون ادعى أمراً عظيماً
وقالوا ليس يعرف من إمام
لئن كنتم غلوتم في إمام
تبرضتم ثماداً ثم قلمتم
وقلمتم قد حجبتكم أن تنالوا
فن ذا بالفلاح أحق منا
وقلنا حجة الرحمن فينا
ولو لم يخلق النعمان أو من

يروح لدى الماري والمحابي
ويوجل قلبه ذكر العقاب
تميزت المنازل في الثواب
سقوط الشأن أو حسن المآب
رب العالمين بني التراب
أباه كل من تحت السحاب
لقد ضلوا كثيراً عن صواب
يخل من الشريعة بالنصاب
أرى انصافهم شيب الغراب
بيد أعن شكوك وارتباب
إذا قمهم الاصابة طعم صاب
حيال الحق في رجوع الجواب
ورفض للمروءة والعتاب
يكاد لديهم يدعى بصابي
مقاماً وهو للانصاف آبي
وما هبتم مفارقة الكتاب
تجنب وارد البحر العباب
بدون امامكم فهم الخطاب
ولم ير دون فهم من حجاب
الى يوم القيامة والحساب
يضاهيه من العلماء النجاب

ولكن ذا الكتاب وذا حديث م النبي وذا اللسان بلا استراب
ويستفتي الذي قصرت يدها بغير تحزب وبلا انتساب
كاعراب زمان الصعب كانوا واعلام سقوا صفو الشراب
ومن مفسد الخلاف ترك الجمعة والجماعة وهما من شعار الاسلام
أما الجمعة فللكثرة التحكيم في شرائطها وانما هي صلاة من الصلوات أقرب
ما يشترط فيها اتحاد الجماعة لانها شرعت لاجتماع المسلمين في هذا اليوم
وكانوا يعطون مساجد الجماعات لها وهذا أمر فوضي في مصر اليوم
يصلون في المساجد بلا تقييد بغير حتى أن الشافعية يصلون الجمعة ثم يصلون
الظهر على الاطلاق ورأيت مصريا في مكة فرغ من الجمعة ثم قام فصلي
الظهر فقلت ما هذا فقال أنا شافعي مذهبنا نصلي الجمعة ثم نصلي الظهر
فقلت لعل ذلك في مصر اتعمد الجمع على غير شرط التعمد وهاهنا ليس الا
جمعة واحدة فاستفاق فليت شعري لم لم يصلوا الجمعة في مكة أربع مرات
كسائر الصلوات نظرا الى أساليبهم المخترعة ؟ ولعل ذلك يكون بعد أن
تمادى نزول عيسى عليه الصلاة والسلام فتساهلوا في هذا الامر الواضح
وحافظوا على ما ليس كذلك كاشتراط إمام عادل كزعم بعضهم أغني
السلطان أو اشتراطه ولو جائرا أو اشتراط أربعين أو مصر جامع أو نحو
ذلك مما اتفق وقوعه في زمنه صلى الله عليه وآله وسلم من دون دليل
على الاشتراط وهذه أمور مطولة في الفروع والمقصود أن الخلاف هو
الذي عطل الجمعة ولم يكن ذلك في عصر الصحابة رضي الله عنهم ولقد
صلوا خلف الحجاج والله درة عثمان رضي الله عنه وأرضاه وقد قيل له
أنت إمامنا ويصلي للناس اليوم امام بدعة؟ يعني أيام حصره فقال رضي

الله عنه خيار أعمالهم الصلاة ان لم يقتدوا بهم فيها فهم يقتدون ؟ أو كما قال رضي الله عنه

ولقد غلت الزيدية حتى حرموا حضور صلاة الجمعة في بلد الساطان الذي ايس على شرطهم وقالوا لا تصح الصلاة ويعيد الظهر بل قال قائلهم وينتقض وضوء الخطيب للمعصية لأن بعض المعاصي عندم ينتقض الوضوء وما شئت من غلو وكذا اشتراط الاربعين عند الشافعية وتراهم في البلدان الصغار يعدون الجماعة كما يعد الغنم شيء لم يؤنس في السلف ولا متشبث الا آثار ضعيفة وتركت الجماعة لذلك في غير المجامع الكبار ولم يكن شيء مما تشبهوا به يصلح لتخصيص كتاب الله تعالى وأعجب منه اشتراط المسجد مطلقا أو المستقف كقول المالكية وسائر شرائعها مما ينبئك ويلزموك ان كنت ذاهمة أن لا تعدل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

ومما يصلح مقصدا للمتمكن أن يجمع ما وضع أنه بدعة في الفروع في كل فرقة فينجي من ذلك التصنيف الكثير وما باب من أبواب الفقه الا قد تمصبوا فيه أو لم يتعصبوا لكن بنوا على أصل منهار ثم فرعوا فروعا وطال الدليل الى أن تصير تلك الفروع سيما الأبعد الانزل في عداد الأجنبية ثم لم يلتفتوا الى النظر في الاصل المبني عليه فانه لو كان صحيحا لما أدى الى الامور المستشعبة لكن يصممون الى أن يخرج أحدهم عن الجماعة ويخرج خصمه في الباب الآخر تحقيقا لشر الخلاف واظهارا لعظم المفاسد فيما نهى الله سبحانه عنه ويراهم مسألة فرعية سهلة ويقولون مسائل الاجتهاد أمرها هين انما الشأن في العقائد وهذا من اصطلاحاتهم

وربما تكون تلك العقيدة التي رفعوا شأنها ليست من الدين لا اثباتا ولا نفيا ولا يظهر لها مفسدة وتلك الفرعية السهلة قد صارت مفسدتها من أعظم المفساد وهاك مثالا من ذلك

فما استعظموه من العقائد أن الانسان اذا أراد أن يكلم زيدا وجد نفسه حالة لم يكن قبل ارادة التكلم ولا بعدها وهذا القدر متفق عليه فقالت الاشاعرة هذه حالة مستقلة فينا وهي في الباري صفة مستقلة كذلك ونسبها الكلام ثم نعبّر عنها بالانفاذ وقالت المعتزلة الذي يجده الانسان انما يرجع الى علمه بمعنى ما سيكلم به زيدا وترتيب اللفظ الدال عليه مع علمه بالقدرة على ذلك وارادة التكليم فليس ما يجده بصفة مستقلة ومدلول كلم وتكلم في اللغة فعل الكلام والتكلم وهو اللفظ فقط واطلاقه على ما في النفس مجاز فقط كسائر الملائك فلا صفة للبارئ تعالى نفسية تسمى كلاما انما كلامه فعله فعني تكلم خلق الكلام في جسم من الاجسام وانما قالوا في جسم لان الكلام عرض لا بد له من محل والبارئ تعالى ليس محلا للاعراض فتعين اشتراط المحل عندم والكلام على هذه الصفة في الباري تعالى وغيره من فضول الكلام ومعنى تكلم في اللغة معروف فلنقتصر عليه لا سيما في حق الباري تعالى ونقول تكلم حقيقة لغوية ولم يتكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على غير هذا فانظر هذا الذي طبق الاقطار هل هو من الدين في شيء ان كنت ممن جعله الله أهلا لذلك

باب المقالات

الفسق العلني والدستور (*)

حدثنا غير واحد من الفضلاء الذين جاؤا العاصمة من طرابلس الشام ان بعض سماسة الفسق جاءها بثلة من الفساء الروميات العاهرات اللواني يتعرجن باعراضهن فانشأن برقصن كل ليلة في بعض الملاهي وهن في هيئة منكرة من التبذل والتبرج والتهتك تفري من رآها بالفسق ثم يعدن الى منازلهن وقد جذبن اليهن من جذبن من الفساق يختلفون اليهن جهرا فيبذلون لهن أموالهم وصحتهم وشرفهم ودينهم ويخرجون حاملين منهن جرائم داء الزهري (الحب الافرنجي) وسمه القتال المعدي فيلقونه في بيوتهم وبيوت من يؤاكلونهم ويشاربونهم حتى ان الدكتور ماريا أحد أطباء البلد المشهورين قال لبعض محدثينا انه عرض عليه كثيرون من المصايين بهذا الداء بعد استقرار هؤلاء العاهرات في طرابلس وكان ذلك نادر الوقوع فيها فكم يكون عدد الذين عرضوا على غيره وعدد الذين لم يعرضوا على الاطباء لجهلهم واهمالهم

واخبرنا أولئك المخبرون ان علماء طرابلس وأهل الدين والشرف فيها خرجت صدورهم واضطربت قلوبهم وضاعت عليهم نفوسهم وشكوا الامر الى حكومتهم فلم تشكهم ولا اجابتهم الى ازالة المنكر القبيح الذي لم تتعوده بلدتهم ، وظن الجماهير من الناس ان المجاهرة بالفسق من لوازم الحكومة الدستورية فهو بلاء واقع ماله

(*) نشرنا هذه المقالة والتي تليها بجريدة المضاولة

من دافع لان رجال الدستور هم الذين يحمونه ، واطلعتني أحد هؤلاء على كتاب جاءه من صديق له وكلاهما من مستخدمي الحكومة وأعضاء جمعية الاتحاد والترقي يقول فيه ان عدد الارتجاعيين يكاد ينمو ويزداد في طرابلس وقاها الله وسائر البلاد من شر الارتجاع وأهله ، وسنبين لهم بالبرهان خطأهم في سوء ظنهم هذا بالدستور ورجالهم ان طرابلس الشام قد امتازت منذ القرون الماضية والايام الخالية بمزايا قلما توجد بلدة في الدنيا تفوقها أو تضارعها فيها وهي المحافظة على شعائر الدين وآدابه الاجتماعية ، والخلو من مواخير الفسق ولو سرية ، وحانات السكر العلنية ، وبيوت القمار الخصوصية ، ولا اذ كر انني رأيت في السنين التي عشتها فيها أحدا من السكارى الارجلين أحدهما زنجي كبير السن كان يجول في حارة النصارى فيجتمع عليه الصبيان يعبثون به ويسخرون منه ، وقد اعتاد السكر من خدمته لبعض النصارى في أيام شبابه ، واثاني شاب من أولاد الصنائع كان يشرب سرا وربما خرج مترنحا غملا فكان لاقتالاعناق الناظرين المتعجبين ، ومحركا لاسنة المحوقلين المسترجمين ، وأذكر ان مدرعة فرنسية وقفت في ميناء طرابلس فخرج بعض ضباطها الى البلد فجعل يجول فيها فطلب من الترجمان أن يذهب به الى ماخور النساء أو يأتيه بامرأة يتمتع بها فلما سمع أهل السوق هذا هموا بالضابط فأندروهم بمض الاذكياء مغبة الامر واسرع باعلام الحكومة فأرسلت اليه من رجال الشحنة والشرطة من حافظ عليه الى أن عاد الى البحر بعد ما أفهمه الترجمان أن هذه البلدة ليس فيها نساء للفسق ان بلدة هذا وصفها وقد كانت ولا تزال من أكثر البلاد اشتغالا بالعلم الديني بالنسبة الى عدد السكان جديدة بأن تضيق ذرعا بالفسق العاني يفاجئها شر مفاجأة وقد كان لحكومتها سلطان من الدستور على منع هذا المنكر المخالف لأداب القوم العمومية ولكن متصرفها السابق كان جاهلا خاملا بليدا وأما المتصرف اللاحق فلم يلقنا أنهم شكوا اليه ذلك ولعلمهم لم ييأسوا من الحكومة ولعل المتصرف الجديد لا يقصر في تلافي هذا الامر الامر ، وإزالة هذا العمل النكر ، وهو قد رأى بعينه ، وسمع بأذنيه ، وعمل يديه ورجليه ، في منع ما هو دونه من المنكرات في العاصمة كنع تبرج النساء واختلاطن بالرجال في مثل يوم عيد الدستور ومنع الصبيان من

الحامات . كل ذلك عناية من الحكومة الدستورية العليا بالآداب الاسلامية ، ولا يتوهم أن الامر قد استقر فهو يدوم بحركة الاستمرار ، وانه يقتصر في الدوام ما لا يقتصر في الابتداء ، فالامر لا يزال في أوله ولا تزال أخطاره محصورة في دائرة ضيقة ، فيجب أن يرقع قبل اتساعه ، وتداوى العلة قبل إعضائها

قد استنظم هذا المنكر أهل العلم والدين والغيرة على العرض — وهم السواد الأعظم في طرابلس الشام — واكثرهم لا يعرف من شره الا انه عمل محرم في الشرع فإذا يقولون وماذا يعملون اذا علموا بما وراءه من الشرور والرزايا في هتك الاعراض واغتيل الاموال وفشو الامراض وفساد داخلية البيوت وهو ما سنشرحه في مقالة أخرى ؟؟

يجب على أهل العلم والدين أن يعيدوا الكرة بمطالبة الحكومة المحلية بمنع هذا المنكر من بلدهم المخالف لآدابهم العمومية التي نص القانون على وجوب احترامها وذلك يكون في كل مكان بحسبه ، وجمهور أهل العلم والدين والمروءة هم المحكومون في عرف بلدهم وآدابه ، ولانه هتك الحرمه الدين الذي كفّل القانون الاسامي حفظه واحترامه بل لم يقبل الا لبنائه على أساسه ، واقتباسه من نبراسه ، فان لم تبادر الحكومة المحلية الى اجابة طلبهم فليرفعوا الامر الى حكومة العاصمة ولو بلسان البرق

لا تصدقوا وسوسة شيطان الانحاج بتفضيل تلك الحكومة الاستبدادية البائدة على الحكومة الدستورية الدائمة ان شاء الله تعالى في حفظ الشرع وآداب الدين ، فانا قد رأينا من هذه الحكومة اكثر مما كنا نتوقع من اتقاء ما يחדش الشعور الديني ، ولم يكن أحد يستطيع أن يحتج بالدين على شيء في العصر الحبيدي المظلم فاعلموا الآن انكم أقدر على حفظ دينكم وعرضكم اذا عرقتكم كيف تحفظونه فحكومة الدستور هي حكومة الامة وحكومة الاستبداد هي حكومة رجل واحد لا قيمة فيها للامة ولا لدينها ولا لعرضها ولا لشرفها .

ألم يبايكم أن أهل البصرة أرادوا أن ينصبوا تمثالا لابي الدستور (مدحت باشا) فمنعتهم الحكومة العليا من ذلك لانه مخالف للشرع الاسلامي ، ألم تعلموا أن مجلس

الوكلاء قد منع انتشار كتاب تحرير المرأة اذ طبع منرجا بالتركية لئلا يكون سببا لكثرة الخوض في مسألة رفع الحجاب عن النساء، حتى عد بعض الناس الحكومة مغالية في ذلك، أقفرون أن هذه الحكومة ترضى بأن يثلم أولئك الروميات الفواجر شر فكم وبهتكن آدابكم الدينية والقومية ويسلبن أموالكم - في زمن بقاطع العثمانيون فيه تجارة اليونان المباحة - ويفسدن امر الصحة العمومية، ويزدن في اسباب التمدي والجنايات؟؟ حاش للحكومة ان ترضى بذلك اذا كنتم أنتم تكرهونه وتعتقونه، فاطلبوا المقاصد بأسبابها، واءتوا البيوت من ابوابها، واهتوا الله لعلكم تفلحون

مضار البغاء ومفاسده

للزنا مضار ومفاسد كثيرة في الصحة والاخلاق والروابط الزوجية والحياة الاجتماعية والاقتصادية والاتاج لاجلها كان محرما في الاديان فان الله تعالى لم يحرم على الناس شيئا إغنايا للناس ولا منعا لهم من التمتع بالذات التي لا ضرر فيها واما حرم عليهم كل ما هو ضار وأباح لهم كل ما هو نافع وما كان فيه نفع وضر فالترجيح في الشريعة لما فيه دفع المفسدة وحفظ المصلحة والمنفعة جار على الطرق الموافقة لنظام الفطرة وقوانين المنطق المعقولة، واشد الزنا ضرراً واكثر مفاسد البغاء المستباح الذي يتخذ العواهر حرفة تكون معروفة في البلد فكل من شاء ذلك تيسر له متى شاء مادام يملك أجرة البغي

هذا الضرب من الفسق هو الذي يسرع افساد الصحة والآداب وتقليل النسل وإيقاع الشقاق في البيوت حتى تصل الى درجة يستباح فيها اكثر الاعراض وتفسد القيادة والديانة حتى لا يوثق بنسل أحد الا النادر من الناس واكثر الشبان الجاهلين لا يعرفون من أمر هذه المفاسد شيئا فيقضي الفسق على حياتهم الجسدية والادبية والمنزلية من أول النشأة ولا يعرفون من أين جاءهم البلاء بل لا يدرون به الا بعد وصوله الى حد اليأس ولا سيما في البلاد الصغيرة (كطرابلس الشام التي سرى اليها هذا البغاء الآن) التي ليس فيها مستشفيات تداوى فيها الامراض

والادواء التي تتولد من الزنا كالزهري والسيلان ، ويعتبر بما يرى فيها من العبر من كان لا يعرف ذلك من الشبان

أول رزايا البغاء وأسرعها حصولا انتشار المرض الزهري القتال وباليث هؤلاء الشبان المساكين يعرفون شيئا من عواقب الزهري وما ينتهي اليه . ليتهم يدخلون المستشفى في مثل الاستانة ومصر فيشاهدون بأعينهم بعض المصابين بهذا الداء ومنهم الذي فقد بصره وسمعه ومنهم من سقطت أسنانه وتآكل لسانه . ومنهم من استوصلت منه أعضاء التناسل ، وأهونهم حالا من كان قريب عهد بالمرض وقد انتشرت البثور على جسده ولم تصل سمومها الى أعضائه الرئيسة ، وبألها من مناظر تشخص لها الابصار وترجف لهولها القلوب

باليث هذا الداء الخبيث لم يكن معديا اذا كان يكون وباله على أولئك الفساق وحدهم وهم له مستحقون ، ولكنه من الادواء التي تسري بضروب من العدوى لا يعرف طرق التوقي منها الا من لم يلأم بعلم الصحة وهم في بلادنا قليلون ، فباحسرة على أهل بيت يغوي الشيطان أحدهم فيقوده الى تلك المواخير النجسة فيعود حاملا الى أهله الأبرياء المساكين ذلك السم القتال فيلقح به امرأته وأولاده واخوته واخواته وربما أصاب به والديه فانه قد يقتل بفضل الطعام وسوء الشراب وبالتقييل واللمس اذا كان هناك جرح أصابه ذلك السم ولو جرح الخلال في اللثة ومن رزايا هذه الفاحشة ومصائبها أن من افتتن بها يصير يؤثر الحرام على الحلال فان كان أعزب تضعف داعية الزواج الشرعي في نفسه ولذلك يقل الزواج في جميع البلاد التي ينشو فيها الزنا ومضار ذلك كثيرة منها قلة النسل ومنها كثرة الابامى من النساء وذلك مدعاة لخروجهن من حظيرة العفة والصيانة حتى ان العوانس من العذارى الابكار يلبأن أحيانا يلتمسن الاخذان في البيوت السرية ، فكيف يكون حال الارامل ؟ وان كان متزوجا بهجر امرأته ولو جميلة وأوي الى بغي دونها جالا وفتاء وان شاركه فيها من لا يحصى من اسافل الناس وبذلك تضعف غبرته على العرض ويضيق ذرع امرأته ويخونها الاصطبار فتنتقم منه والجزاء من جنس العمل

يتوهم بعض المغرورين بأنفسهم انه سهل عليهم الجمع بين التهلك في الفسق وبين صيانة نساءهم عنه وان قل نصيبهم منهم ، وانما ذلك هو الجهل والغباء وعدم الخبرة والتجربة فما ذكرناه من افضاء تهتك الرجال في الفسق الى افساد نساءهم هو من القضايا المعقولة الثابتة بالتجربة المؤيدة بحديث « عفا تعف نساؤكم » فان استبعدته عقولهم الضعيفة فليعلموا أن المشاهدة والتجربة أقوى حجة من نظريات الفلاسفة الحكماء . أفلا تكون أقوى من نظريات الجهمية الاغبياء ؟ ولو كانت النظريات المتبادرة الى الرأي أقوى من علم المختبر للشيء ، والعالم به من المشاهدة أو خبر التواتر عن المشاهدين والمجربين لكان من المردود بادى الرأي ادعاء رغبة الفاسق عن زوجته الجميلة الطاهرة المقصورة عليه الى عاهرة دونها في كل شيء ، ولكنه واقع ومن أغرب وقائمه ان امرأة في مصر بحثت عن سبب هجر زوجها لمضجها زمنا طويلا فعلمت انه بأوي الى بعض مواخير الفسق الخفية فذهبت الى قوادة الماخور واعطتها صورتها ورغبت اليها أن تعرضها مع الصور اللواتي عندها على فلان (الذي هو زوجها) فلما عرضت الصورة عليه جذب بصره حسن صورة امرأته ولم يفتن لها لانه لم يخطر في باله أن تعرف ذلك المكان او تميل الى الفاحشة مثله وكانت اجمل من جميع النساء اللواتي يختلفن اليه فلما طلبها من القوادة طلبت منه مالا كثيرا فوق ما كانت تطلبه عادة فبذله وبعد أن اجتمع بامرأته وهو لا يعرفها وأظهر لها أنه كان أسعد الناس بلقائها وانه ماسر في حياته بامرأة كسروره بها تعرفت اليه ووبخته وقالت له كيف تكون أسعد الناس بقربي في الحرام مع الخسارة وبذل المال لهذه القوادة الملعونة ولا تكون أسعد الناس في الحلال مع حفظ المال ...

الا فليعلم أهل طرابلس الشام ومن على شاكتهم - من المتعرضين لانشاء البغاء في بلادهم - أنهم اذا لم يتداركوا هذا الامر قبل ثباته واستقراره فان أعراضهم على خطر وان ما عندهم من الغيرة والحماسة الآن سيكون في أول العهد بهذا البلاء سببا لسفك الدماء ثم تضعف الغيرة رويدا رويدا حتى تكثر القيادة والديانة كما في جميع البلاد التي نشأ فيها البغاء والبشر متشابهون في الاستعداد لذلك والعمل مربوطه بعملاتها والاسباب موصولة بمسبباتها

إن الغيرة على الاعراض في مثل طرابلس الشام شديدة عند جميع طبقات الناس حتى ان أجهل الجاهلين وافسقم ليندفع الى قتل من يعلم انه اعتدى على عرض اية امرأة من عشيرته بلا مبالاة ولا حذر من العاقبة فاذا استقرأمر هؤلاء المومسات اللواتي فتحن باب البقاء في هذه البلدة وترتب على ذلك أثره الطبيعي من فساد البيوت وابتذال الاعراض فلا بد أن يكثر سفك الدماء فيها، فهل تفكر العلماء والفضلاء وأهل الغيرة والنجدة في هذه العواقب ولم يبالوا بها أم هم عنها غافلون ؟؟

يفلب على ظني أنه لو جمع بعض العقلاء فتیان البلد الشجعان (الابضيات) وبين لهم أن هذه الفتنة ستكون سبباً لتنتك الاعراض وسفك الدماء وفساد الصحة واضاعة الاموال لسبقوا العلماء الى السعي في منعها وتلافي شرها قبل تمكنها ورسوخه إنما أخرت الاشارة الى ذهاب المال لانه في نظر أهل وطننا دون العرض والنفس ولكنهم اذا اعتادوا هتك العرض يرجحون المال فان البلاد التي فشا فيها الزنا كلها قد كثرت فيها القيادة والديانة لاجل المال حتى ان الرجل ليتجر بعرض امرأته وبناته وهذا مما يعمده أكثر بلادنا من المحال الذي لا يتصور وقوعه منهم لظنهم أن شدة الغيرة صفة من صفاتهم الطبيعية التي لا تتغير وكان غيرهم يظنون هذا الظن الباطل ولم يشعروا ببطالانه الا بعد موت الغيرة بفشو الفسق على ان المال عزيز عند كل الناس في كل مكان وزمان والمحافظة على الثروة هي اساس قوة الامم وعزتها في هذا العصر . ولست أعني باضاعة الفسق للثروة وذهابه بالاموال ما يتبادر الى اذهان الاكثرين الذين أوجه اليهم هذا الخطاب من الشفقة على الشاب الفقير الذي يضيع معظم كسبه بجمعه من نصيب هؤلاء المومسات وانما أعني ما هو أعظم من الشفقة على هؤلاء الظالمين لانفسهم أعني أن هذا البقاء يذهب بحظ عظيم من مال الامة الى جيوب الاجانب الذين أذلواها ويزوا دولتها باستغلالهم عليها بالثروة فان معظم المومسات في الشرق من اليونانيات والرومانيات والنمساويات والفرنسيات الخ وهن يرسلن معظم ما يسلبنه من فساقنا الى بلادهن فيكون قصصاً من ثروتنا ومزيداً في ثروة امهن ودولهن ولولا ما يأخذه اليونانيون واليونانيات من مصر وغيرها من البلاد الخارجية لاضمحلت دولتهم وضعفت أمتهم بالفقر المدقع

ان مفاسد البغاء في بلاد اسلامية صغيرة مثل طرابلس الشام ستكون أعظم
 وأكثر من مفاسده في البلاد التي آدابها غير اسلامية وفي البلاد الاسلامية الكبيرة
 التي يسهل فيها اخفاء الفسق قبل أن يخف وقعه على الجمهور بالاعتقاد الذي يضعف
 الدين ويفسد الفطرة ، فلا يمكن بيان تلك المفاسد بالتفصيل في مقالة أو مقالات قليلة
 واني لاعجب من سكوت حملة الاقلام في طرابلس عن ذلك وعن حفز الماهم لمقاومته
 وحشها على تلافيه كما اعجب من ضعف العلماء والفضلاء في المطالبة بمنع هذا المنكر
 هذا واتي قد بلغت خبر ماحل بطرابلس مولانا شيخ الاسلام وهو الذي
 عرفت منه النجدة والغبرة فاذا شكوا أهل هذه البلدة الى الحكومة الادارية ولم
 تشكهم فليرفعوا الامر اليه وأنا الضمين لهم بأنه يأخذ يدهم ولعله عهد الى نظارة
 الداخلية بوجوب الاهتمام بسماع شكوى الاهالي في مثل منع هذه المنكرات فيجب
 على أهل طرابلس ان يكونوا قدوة صالحة لغيرهم في الخير ولا يكونوا قدوة سيئة لهم
 بالسكوت على مثل هذا المنكر الذي سيجعل بهم مثلهم والله الموفق والمعين

حجاب المرأة في الاسلام (*)

تباينت آراء الناس في مسألة الحجاب في هذه الايام . وكثرت فيها مناقشات الكتاب . فمنهم من ضل الطريق . ومنهم من هدى الى سواء السبيل . ولما كانت هذه المسألة من أكبر مسائلنا الاجتماعية الحاضرة . رأيت أن افيض القول فيها واحصاها تمحيصا يبلج به الحق . ويتقشع به الباطل . مؤيدا قولي بالحجة العقلية والبرهان ومعززا له بمحدث الرسول (ص) وآي القرآن الحكيم فأقول : —

الحجاب عادة قديمة موجودة قبل الاسلام وبعده وعند أمم لم تعرف من هذا الدين الكريم شيئا فلم يكن الاسلام موجد له ولا مؤيده . وهو الآن عند المسلمين يكاد يكون قاصرا على نساء الطبقة الوسطى والعالية وقد خرج في هذه الايام الاخيرة عن معناه الحقيقي وأصبح ضربا من ضروب الزينة والتبرج تظهر به النساء كاسيات عاريات . مظهرات لمحسنهن . مخفيات لعبوبهن . فهن يخذعن به الرجال . ويفررون الناظرين بتلك المظاهر المروقة الكاذبة التي لولاهما ما بالى أحد بالنظر الى تسعة اعشارهن . ولا وجه مقتون عينه اليهن . ولا أعلم أن أحدا من العقلاء يستحسن هذا الحجاب الكاذب أو ينتصر له . ولا اظن ان غيره الرجال تثتم معه . أو تقنع به . فليس الخلاف بين العقلاء في أمر هذا الحجاب الحالي وانما خلافهم في الحجاب الحقيقي وهو ستر المرأة وجهها وكفيها عن الاجانب عنها فيقول قوم انه نافع ومفيد وان الدين يأمر به . ويقول آخرون انه ضار لا فائدة فيه وان الدين بريء منه . وكلا الفريقين يؤيد رأيه بالدلة . والحق يقال ان دلائل الفريق الاول سفسطة باطلة . ودلائل الفريق الثاني يقينية قاطعة ولولا خوف التطويل لسردنا دلائل الاولين . وادحضناها بالبرهان المبين . ولكننا نكتفي

(*) بقلم الدكتور محمد الفتدي توفيق صدقي

بذكر دلائل الآخرين . فانها هي الحق اليقين . وليس بعد الحق الا الضلال المبين .
أما مضار الحجاب فهي كثيرة متنوعة تأتي هنا على بعضها : —

أولاً - ان الحجاب يحول دون انتخاب الرجال لازواجهم فيجعل الزواج تابعا
للمصدقة والاتفاق بدلا من الاختيار والانتخاب . فمن أسعده حظه صادفته امرأة
حسنة توافق مشربه وهواه . ومن أشقاه وقع في قبيحة شوها . لا يمكنه أن يقيم
معه الا على البغضاء والشحناء . فيكثر بينهما الشقاق . المؤدي الى الطلاق . أو تعدد
الزواجات . ولا يخفى ما يجره علينا ذلك من المصائب الاجتماعية والاخلاقية
والدينية . ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لاحد الانصار وكان قد خطب امرأة
(أنظرت اليها) قال لا قال - (أنظر اليها فانه أخرى أن يوثدم بينكما) والنظر الى النساء
لاجل الزواج لا يتفق بحال من الاحوال مع الحجاب فاننا اذا كشفناه عنهن لمن
يريد الزواج لعرضناهن للخبيل والاستحياء والسخرية والازدراء ولا أصبحن كالسالم
في الاسواق تتناوبهن أعين المشتريين . وهو أمر تنفر منه الطباع السليمة .
وتأباه المروءة . ولا يتفق مع كرامة المرأة في شيء فتقع في حضيض الذل والاهانة
وتعرض لهزؤ الهازئين . وسخرية الساخرين العائشين بالاعراض ولعب الشبان
الفاسقين . ولا دواء لهذه الامراض سوى سفور النساء للرجال في جميع الاحوال
واتخاذ ذلك عادة لمن حتى تتقى أمثال تلك المعائب والمضار التي تنشأ للمتزوجين
والمتزوجات من الحجاب . ولا يخفى ان اصلاح مسألة الزواج عليها اصلاح البيوت
واصلاح الامة بأسرها

ثانياً - ان الحجاب يكثر من حوادث التزوير في سائر العقود كما لا يخفى
وهو عبة كثر في سبيل صحتها وفي الشهادة والمحاكمة . فكم من امرأة
سلبت أموالها بسبب الحجاب ؟ وكم من فتاة عقد عليها بدون اذنها وكان المتكلم
غيرها من وراء ستار ؟ وكم من نساء رمين بالافك والبهتان من غير علمهن وهن
محصنات غافلات ؟ وكم من شاهدة زورا تخفي خجلها أمام أعين القضاة بالبرقع
والنقاب وتفتري الكذب ولا يعلم من أمرها شيء ؟ الى غير ذلك من الرزايا
والمصائب التي جررها علينا الحجاب واني والله لاعجب غاية العجب كيف يصح

العقد على فتاة لم ترها ولم ترك . وربما اذا نظر أحدا كما للآخر اشماز منه ونفر . فكيف بعد ذلك يمكننا أن نقول ان الرضى حصل بين الطرفين مع انه رضى باللسان فقط وكل منها يوجس خيفة من منظر الآخر على أن الرضى اللساني أيضا في كثير من الاحوال لا يحصل من جانب الفتيات ويكون صادرا من احدي قريباتهم كما هو معروف

ثالثا - ان الحجاب يفسد صحة النساء ويمنعهن من الرياضة البدنية . ومن استنشاق الاهوية النقية في الاماكن الصحية . ففسدوا بنيتهم . وتكثر امراضهم . وتعلل صحتهم . ويلدن المولودين والمعلولات .

رابعا - ان الحجاب لاشك أنه أكبر مانع لانعام التربية والتعليم والتهذيب وعائق لتثقيف عقل المرأة وتوسيعه وتكثيره بالتجربة وممارسة الاعمال ومخالطة الرجال في بعض الاحيان في اجتماعاتهم الصالحة كالتي تحصل في المساجد للصلاة ولتعليم الدين . ومانع لها من مشاهدة المناظر الطبيعية . وبدائع الاختراعات الصناعية . فيبقى عقلها ضيقا . وذهنها فارغا . ومخها خروفا خاويا . فلا تثبت في أذهان بنيتها وبناتها سوى الاضاليل والترهات . والخرافات والخزعبلات . فتفسد عقولهم وآدابهم وأخلاقهم . ولا يخفى ان التعليم في الصغر كالنقش في الحجر ولذلك يصرف الواحد منا وقتا طويلا وتعبا كبيرا لتطهير عقله مما زرعه فيه أمه الغبية الجاهلة منذ طفولته ونشأته . ومن كان في شك مما أقول فما عليه الا أن يقارن بين عقول نساء الافرنج وأبنائهم وبين عقول ناسنا وأبنائنا ليتضح له صحة ما أقول . وقد علمت بالاختبار أن جمهور البنات اللاتي يأخذن الشهادات من مدارسنا لا يمتاز عقولهن بعد الحجاب عن البنات الجاهلات الاشياء يسيرا فان مدارك أكثرهن تجدها قاصرة ضيقة مفعمة بالاباطيل والترهات والاهوام والخرافات معجبة بما تعلمنه من القشور الفارغات

خامسا - ان الحجاب يمنع الفقيرات أو غير المتزوجات من الحصول على أقاتهن الاشقى الانفس ويضيق عليهن أنفاسهن ويعسر عليهن الاعمال أو الاشتغال بأي عمل . يكتسبن منه رزقهن من نحو خدمة أو صناعة أو زراعة أو تجارة ولا يخفى ما يجلبه البرقع على التاجرات مثلا (والتجارة أخف شيء يمكن عملن به) من الضيق والحرج

والعرق والاضرار بالصحة وعسر الحركة . والله تعالى يقول (ما جعل عليكم في الدين من حرج)

سادسا - ان الحجاب كثيرا ما يحرم الرجل لذة الخروج مع زوجته وأولاده واصطحابهم في رياضاته وأوقات فراغه وبمنهم من مشاركته في أنسه ولذاته . وهي أمور ضج منها المجرىون فنشأ عن ذلك كثرة هجران الرجل لزوجته وأولاده وعدم اجتماعهم الا وقت نومهم وهو يقضي معظم وقته في الاماكن العمومية (كالمقاهي) بين الميسر والخمر والفسق والسعي في اصطلياد الفواني مع أنه لو خرج مع زوجته لتمتع كل منهما بالآخر ونال كل منهما حظه من لذة الحياة والالتئاس برفيقه ومشاهدة المناظر الطبيعية والصناعية واكتفى كل منهما بالآخر واستفاد من حديثه وامتنع الرجل من النظر لغير امرأته وامتنعت هي من النظر الى غير زوجها لحياء الواحد منهما من الآخر وخشيته ومراقبته لوجوده معه . ولا يخفى على أحد فوائد ذلك من الوجهة الادبية والاجتماعية وقد كان صلى الله عليه وسلم يخرج مع بعض نسائه الى الاماكن الخلوية لاستنشاق الهواء النقي ولمسابتهم جرياً والمزاح معهم بالقول الحسن سابحا - ان البرقع أو النقاب المستعملان الآن مما يشوق النفوس لرؤية ما تحتها فان أُلذ شيء الى الانسان ما منع عنه فهو يحمل أهل الفسق والفجور على التعرض للنساء في الطريق ومغازلتهم والسعي في كشف سترهن كما هو حاصل الآن بكثرة فان أنواع البراقع تظهر عادة الاعين والحواجب وهي في أغلب النساء جميلة فيغتر الناظر ويظن أن باقي الوجه جميل مع أنه قد يكون منفرا اذا كشف جميعه . ولذلك قيل في أمثلة العامة (ان البرقع غشاش) وقد سمعت من بعض الشبان الفاسقين أن أحدهم يسعى وراء المرأة المتبرقة زمنا طويلا ويصرف مالا كثيرا في الحصول عليها وتعبا كبيرا حتى اذا نجح معها وقادها الى احدى دور الفسق وكشفت عن وجهها نفر منها وندم على ما فعل وحاول أن يخلص منها بكل وسيلة ولولا الحجاب ما غتر هذا الفروور بكل واحدة ولذلك تكثر مداعبة النساء المتبرقات في الطرق من الرجال وتقل مداعبة السافرات لان الجمال الحقيقي قليل جدا والنقاب يزين جميع النساء للرجال ويوهمهم أنهم كلهم جيلات فهو كالشيطان يغري الانسان ويحمله على الفسق والفجور . هذا

وان تعود الرجال لرؤية جمال النساء يقلل من التأثيرهن والافتتان بحسنهن والانسان المتعود على ذلك بملك نفسه أكثر ممن لم يتعود والخلصة أن الحجاب منبع الرذائل والفسور أصل الفضائل ولا شك ان الحجاب هو السبب الوحيد في أكثر ما وقعنا فيه من المصائب والزياو والبلايا . ولأعلم له من فائدة واحدة سوى غيرة الرجال الكاذبة من رؤية غيرهم لوجوه نسائهم مع أن الرؤية لا ضرر فيها ولا ضرار . والقول بأن الحجاب الحقيقي يقلل من الزنا اذا سلم فهو مدفوع بأن الزنا يمكن تقليله بوسائل أخرى كالتى أتى بها الدين الاسلامي المنيف (وسياتي بيانها) من غير أن يكون لها من المضار ما للحجاب مما سبق بيانه وهي اذا اتبعت تماما فان الزنا يكاد يمحى من الوجود وهذه الوسائل تنحصر في ثلاث مسائل وهي (١) التربية الدينية (٢) واقامة الحدود مع الرغبة في الزواج وتيسيره (٣) والالتيان بأداب للرجال والنساء وسياتي ذكرها تفصيلا وليس من بينها الحجاب لان ضرره أكثر من فعه ويمكن الاستغناء عنه بأشياء أخرى غيره . واليك الدليل : —

أجمع علماء المسلمين وأئمتهم على أن الوجه والكفين ليسا بعورة في الصلاة وأن كشفهما غير مبطل لها وعلى ذلك جرى عملهم من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى اليوم . وقال ابن جرير في تفسيره (ان للمرأة أن تبدي من بدنهما ما لم يكن عورة كما أن ذلك للرجال لان ما لم يكن عورة فغير حرام اظهاره) . وحكى القاضي عياض عن العلماء انه لا يجب على المرأة ستروجهما وكفها في طريقها وعلى الرجال غض البصر عنها وقل ان ذلك اجماع المسلمين . وروي عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت ابي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال (يا أسماء ان المرأة اذا بلغت الحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا) وأشار الى وجهه وكفيه ولذلك أبيع لنساء المسلمين أن يحضرن صلاة الجماعة في المساجد وهن مكشوفات الوجوه في زمن رسول الله وزمن أصحابه وأتباعهم . وأوجب الدين الاسلامي على المرأة أن تكشف وجهها في الحج مدة الاحرام كلها بحيث يبطل حجها اذا هي غطت وجهها والاحرام مدته طويلة فتبقى فيه النساء مختلطات بالرجال في سائر مواقف الحج وهن كاشفات لوجوههن . فلو كان في ذلك مفسدة لما أوجبه

الاسلام وقرره . ولو قشمت القرآن من أوله الى آخره والاحاديث الصحيحة لما وجدت فيها أمرا واحدا يوجب ستر المرأة وجهها وكفها بل بالعكس نجد أن القرآن يستثنيها في قوله (ولا يدين زينتهم الا ما ظهر منها) كما عليه اجماع المفسرين . وقد عدل عن الأمر بتغطيتها الى تغطية غيرها في قوله (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) . الآية ولم يقل على وجوههن فلو كانت كلامهم صحيحا لقال هنا (وليضربن بخمرهن على وجوههن) ، أما استشهادهم على الحجاب بآية (واذا سألتموهن متاعا فاسألهن من وراء حجاب) فسيأتي بيان معناها على ان هذه الآية هي الآية الوحيدة التي ذكر فيها لفظ الحجاب وسترى أنها لا تنهض بها لم حجة . ولم يرد في القرآن مطلقا ذكر للتبرقع والانتقاب أو ما في معناها ولو كانا واجبين لورد ذكرهما مرة واحدة بل مرارا كثيرة . واذا كانت نساء المسلمين في عصر التنزيل محتجبة فما معنى قوله (ولا تمدن عينيك) وقوله (يفضوا من أبصارهم) وقوله (ولو أعجبك حسنهن) فكيف يعجبه حسنهن وهو لا يراهن ؟ وما فائدة عدم مد العين اليهن وغض النظر عنهن وهن محتجبات ؟ ؟ (البقية تأتي)

﴿ كتاب الخمسة والمئة ، وكتاب الهمسة في الاصول الخمسة ﴾

الف حضرة العالم الفاضل السيد محمد طيب العلوي المكي مدرس درجة التكميل في مدرسة دار العلوم بلكنو « الهند » التي أنشأتها ندوة العلماء كتائين سمي أحدهما « كتاب الخمسة والمئة » في نصر الفئة ، ويحتوي هذا الكتاب على خمسة ومئة من الادلة عدا المهدات والتنبيهات

والكتاب الآخر سماه « الهمسة » في الاصول الخمسة ، جمعه كالمدخل الى التوغل في علوم البلاغة وقد تقرر تدريسه في مدرسة دار العلوم المذكورة والكتابان لم يطبعاه بعد وقد بعث لادارة المنار بأنموذجين من الكتائين المذكورين لينشرا في المنار

وما هما

(انموذج من كتاب الخمسة والمئة)

الاول ان الله ارسل الرسل ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه وليجمعوهم على كلمة واحدة ويعلموهم كيف الطريق الى مرضاة الله وما هي الاسماء التي يرضاها الله لنفسه فيدعاهم فلو وكلوا بعد ارسال الرسل الى عقولهم لكان ارسال الرسل فضلا لان دليل العقل قد كان وكيف يرسل الرسل لرفع الخلاف ثم يحكم على ما يأتون به ما هو منشأ الخلاف وانما قلنا ان العقل هو منشأ الخلاف لثلاثة اوجه (الاول) ان الحاجة انما وقعت عند الاختلاف والاختلاف انما وقع بين العقلاء لاختلاف عقولهم فكانت عقولهم هي منشأ الخلاف (الثاني) ان العقل مختلف في ذاته قوة وضعفا وغفلة وتقيا وباعتبار ما يقارنه من العوائد والمعارف واذا كانت العقول مختلفة اختلفت آراؤها ومتى اختلفت الآراء وقع التشاح والتحزب فكيف يقول من ارسل لرفع هذا الخلاف : ان كلامي ان خالف عقولكم فلا تقبلوه بل اولوه بحسب ما ترون فان هذا ليس رفعا للخلاف بل هو امر زائد اذ لكل أحد ان يقول ان هذا الكلام لا يقبله عقلي لانه يخالف ما لوني أو يخالف دليلي أو هذا الكلام يقوي رأي فلان وهو خصمي (الثالث) ان العقول لو لم تكن مختلفة لم يحتاج الى حكم لان الناس انما يرجعون الى الحكماء عند الاختلاف فاذا ثبت ان العقول هي منبع الخلاف امتنع ان تكون هي الحكم فالحكم ماسواها فاذن ثبت ان كلام الشارع هو الحكم فلا يؤول اذا خالف بعض ادلة المعقول ولا سيما والرسل جاءت لتبين للناس ما لا تصل اليه عقولهم وليكفوهم مؤونة البحث بعقولهم وليكفوهم عن الخلاف فيما بينهم فلوردهم الى عقولهم ل زادوا الطين بلة

قال : فهذا دليل واحد من الخمسة والمئة ليس باعلاها ولا أدناها، ثم قال :

(انموذج من كتاب الهمسة في الفنون الخمسة)

« لو » يستعملها الناس في الاخبار عن سبب عدم الخبر الذي هو الجزاء، تقول لو جئتني لأكرمك يعني ان سبب عدم اكرامي هو عدم مجيئك وقد خبط الناس هنا مدة الى ان حقق ذلك العلامة التفتازاني في شرحية المطول والمختصر الا انه

جوز وقوع الشرطية في الكلام موافقا لاصطلاح المنطقة فان معنى الشرطية عندهم هو الاخبار بأن بين المقدم والنالي تصاحب فعني ان جثني اكرمك ليس الوعد بالا كرام بل هذه القضية كاذبة أو محتملة عندهم أي معناها لان الاحتمال من معناها «أن جاء زيد» مصاحب لا كرم زيد ومعني مصاحبتهما انهما مجتمعان على الصدق في الواقع والظاهر انهما لا يجتمعان وان احتملا الاجتماع فمعناها عندهم محتمل وعند أهل اللسان متعين حتى انه يقول ان فلانا وعدني ثم ان المصنف حقق معنى قوله تعالى «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا» وبين انه لا يصح مجيئه على اصطلاح المنطقة فان العرب لا تعرف ذلك بل ولا علمائها فان أبا هلال حين ذكر المذهب الكلاسي نص على انه لا نظيره في كتاب الله ثم أيد ما قدره من ان المراد ليس نفي الالهة المستقلة الذي يحزم به الناس فطرة ودليلكم هذا باقداركم لا يثبت به العلم فكيف يستدل على المعلوم بما لا يثبت به العلم بل المراد ان الله تعالى لو كان معه من يتداخل في امره لفسد نظم السموات والارض وذلك لان الشفاعة لا تكون الا للدفاع عن أوجبت عليه القاعدة امره لا يحبه وهذه المداخلات مخلة بالانتظام قطعا ولهذا عقبها بقوله «لا يسأل عما يفعل» ثم بقوله «لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون»

﴿ تنبيه ﴾

﴿ كتاب الدارس في المدارس ﴾

هو كتاب خطي لم يطبع بعد والموجود منه نسخة واحدة قديمة عند حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ عبد الرزاق افندي البيطار من علماء دمشق الاعلام وقد نقل عنه نسخة حضرة العالم المؤرخ رفيق بك العظم وهو الكتاب الذي اتى عليه ذلك الدرس في دمشق وتراه منشورا بهذا الجزء من المنار ص ٦٨١ وقد فاتنا هذا التنبيه عقيب نشره

بَابُ الْإِخْبَارِ بِالْأَرْكَانِ

درس علی کتاب الدارس

﴿ فی المدارس ﴾ (۱)

۱

أیها السادة

إن تاریخ کل أمة سواء كان مجیدا أو غیر مجید لا یخلو مستقبله من ارتباط
بماضیه لا من حیث التشابه بین طرفیه بل من حیث النتائج التي تترتب علیها نهضة
الامم أحيانا وتغیر مجرى الحياة الاجتماعية بأن تسرع بخطى الشعوب الى مراقي الصعود
معناها اذا كان ماضي الامة عظیما محترما فی التاريخ تحرص علی أن یكون
أعظم احتراما فی حاضرها أو علی أن تسترد ذلك الاحترام اذا فقدت شیتا منه
واذا كان ماضیها سیئا غیر محترم فی التاريخ تدأب علی التخلص منه وتطلب لنفسها
حاضرا أسعد منه . فالنتیجة واحدة فی الحالین ولكن لمن ؟ ومن یتحصل علی مثل
هذه نتیجة من الامم ؟

تتحصل علیہ أمة تعلم ان لها تاریخا فتدروسه وماضیا فتبحث فیہ وترجع الیه
لأسما اذا كان تاریخا مجیدا له آثار معروفة فی الوجود وأنر محقق فی الاجتماع والامة

(۱) التي هذا الخطاب العلامة المؤرخ رفیق بك العظم فی حفلة حاقلة فی مدیفة دمشق ارصد
رعا لجمعية البعثات العلمیة

كالفرد فخورة بالماضي الجميل اذا تمثل لها نفخ فيها من روحه فلاها نشاطا ودفعها الى الامام اشواطا

وان أمة لا تعرف تاريخها فأحر بها أن ينكر لها الزمان وتذري بها الشعوب لجهلها بماضيها وان تنكرها الانسانية وتنكرها السماء والارض

إن المدينة الاسلامية التي رفع منارها أسلافنا الطاهرون وغيرت شكل الارض ومجرى الاجتماع كان لمدينتكم هذه حظ وفير منها ولا سيما في التوفر على انشاء معاهد العلم ودور التربية والتهديب

هذا أيها السادة ما دعاني لان اقف بينكم خطيبا افتح صحيفة من ماضي التاريخ فيما يتعلق بأسلافكم الغابرين ومدينتكم الفيعاء وفيها ذكرى للذاكرين ، وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين .

ان هذه الذكرى ماترونها في هذا الكتاب الضخم المشتمل على الف وثلاث مئة وستين صحيفة وهو كتاب (الدارس في المدارس) تأليف المؤرخ العلامة الشيخ محمد بن محيي الدين النعماني وهو خاص بما أنشئ من معاهد العلم والمساجد ودور المعجزة (التكايا) في دمشق وقد بلغ عدد ذلك مئتين وبضعا ومائتين . لو وزعت المدارس منها على السنين منذ انشاء أول مدرسة في القرن الخامس أي سنة ثلاث وتسعين وأربع مئة الى عهد المؤلف في أوائل القرن العاشر لاصاب دمشق كل سنتين مدرسة تنشأ أو دار للمعجزة والمرضى تشاد هذا فضلا عما أنشئ من المدارس بعد ذلك التاريخ ولم يدركه المؤرخ المذكور وهذا فهرست الكتاب نلو عليكم بعضها من أسماء المدارس التي جاءت فيه ولا أطيل خوفا من ضيق الوقت .

أما تواريخ انشاء هذه المدارس بالضبط والاوقاف التي حبست على الطلبة فيها والعلماء الذين نبغوا منها ودرسوا فيها كل هذا مذكور في صلب الكتاب وليس في الوقت متسع لتلاوته عليكم كما ترون من حجم الكتاب وحسبكم ان ممن درسوا في هذه المدارس وتولوا رياستها أو نبغوا فيها من علماء الشريعة مثل الحافظ الذهبي صاحب التاريخ المشهور والامام ان نيمية صاحب التآليف المشهورة وقاضي القضاة صدر الدين الازرعي صاحب الجامع الصغير وغيرهم من مشاهير العلماء ومن علماء

الطب مثل الرؤساء ابن أي أصيبعة صاحب تاريخ الاطباء ومهذب الدين بن الحاجب
ونجم الدين اللبودي وموفق الدين بن المطران ومهذب الدين الدخواز وعماد الدين
الدينسري واضرابهم

ومن علماء العقليات والرياضيات والموسيقى مثل محمد بن أبي الحكم الباهلي
وعز الدين السويدي وأبي الفضل الحارثي المهندس الذي كان باب البيمارستان
النوري القائم الى اليوم من عمل يده واضرابهم

وها نذا اقرأ لكم مثالا واحدا من ترجمة هؤلاء الرجال فاسمعوا ما قال تاريخ
المدارس هذا في ترجمة أفضل الدين ابن أبي الحكم تقلا عن الصفدي قال :

« محمد بن عبد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي » هو أفضل الدين أبو
المجد ابن أبي الحكم من الحكماء المشهورين كان طيبا حاذقا وله يد طولى في الهندسة
والنجوم (أي علم الفلك) له في سائر الآلات المطربة يد عمالة وعمل ارغنا
وبالغ في اتقانه وقرأ على والده وغيره في الطب وكان في دولة نور الدين بن الشهيد
ولما عمر البيمارستان والمستشفى النوري بدمشق جعل أمر الطب فيه اليه الخ ما قال
هؤلاء الرجال الذين ذكرتهم لكم وهذا الفاضل الكبير منهم وعدد كثير
مشاهير من أهل الشهرة بالعلم والفضل درسوا في هذه المدارس أو تخرجوا على
رؤسائها ومشايخها ثم ملأوا المكتبة العربية بالموثقات النافعة في كل فن ومن راجع
منكم كتاب الكواكب لابن عروة الحنبلي في اكثر من مئة مجلد ، وتاريخ الحافظ
ابن عساكر في اكثر من عشرين مجلدا وهما موجودان اليوم في المكتبة العمومية
في مدرسة الملك الظاهر بدمشق وقاس عليهما ما ألفه علماء تلك القرون الافاضل
وما قبلها من الكتب في علوم الشريعة والادب واللغة والتاريخ والتراجم والفلك
والطب والرياضيات كالمهندسة والحساب وغير ذلك من العلوم يعلم مقدار ما لهذه
المدارس ومؤسسيها من الفضل على الامة وما للنابعين فيها من الاثر العظيم في
الوجود بما سهره من الليالي الطوال في التحرير والتحجير وما عانوه من النصب في
وضع كتب العلم لافادة الناس حتى ملأوا بها المكاتب ونشروا العلم وما قولكم في
ان عالما واحدا من علماء الطب وهو موفق الدين بن المطران المتوفى سنة سبع

وثمانين وخمس مئة ترك في مكتبته عشرة آلاف مجلد في الطب والعلوم الحكيمة كما
ذكر ذلك ابن أبي أصيبعة في ترجمة الموما إليه
ولا يظن أحدكم ان هذه المدارس كانت مدارس دينية فقط وان أكثر
علمائها وطلبتها من طلبة العلوم الشرعية وآلاتها

كلا فان فيها مدارس لغير العلوم الشرعية كالطب مثلا ومن هذه المدارس
المدرسة الدخوازية والدينسرية واللبودية كما سترون ذلك فيما يأتي ان شاء الله
فضلا عن هذا فقد اخبرنا التاريخ ان معاهد العلم كانت مشاعا بين طلابه
من كل فن وان الطبيب أو الفلكي مثلا كان يلقي دروسه في أي مدرسة كانت
من مدارس العلم له فيها وظيفة بل في الجوامع والمساجد ايضا لانها كانت قبل ان
توجد المدارس على شكلها المهود أي قبل القرن الرابع أشبه بمدارس للعلم بل هي
المدارس عينها وما زالت كذلك معاهد للعبادة والعلم معا الى اليوم كما تعلمون

واذكر لكم مثالا واحدا على ان المدارس كانت شائعة لطلاب كل علم ما نقله
ابن أبي أصيبعة في ترجمة رفيع الدين الجيلي قال : « وكان مقبلا بدمشق وهو فقيه
في المدرسة العذراوية داخل باب النصر وله مجلس للمستغنين عليه في انواع العلوم
والطب وقرأت عليه شيئا من العلوم الحكيمة »

واعلموا أيها السادة ان كثيرا من علماء الشريعة مثل الجيلي جمعوا بين العلوم
الشرعية والعقلية والطب والفلك والرياضيات وكلهم من خريجي هذه المدارس
بالضرورة ومن جاء ذكرهم من هؤلاء في هذا التاريخ واذكره مثالا للباقيين احمد
بن الحسين الدمشقي واليكم ما جاء من ترجمته في هذا الكتاب قلا عن ابن
كثير قال :

« الجلال المحقق احمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقي » اشتغل على مذهب
الشافعي وبرع فيه واقى وأعاد وكان فاضلا في الطب وقد ولي مشيخة الدخوازية
(مدرسة طبية) لتقدمه في صناعة الطب على غيره وعاد المرحوم بالبجارسن النوري
على قاعدة الاطباء وكان مدرسا بالشافعية بالمدرسة الفروخشاهية ومعيدا بعدة مدارس
الخ ما قال

هذا يدل على ان العلوم كانت شاعا بين العلماء وان العالم بالشرع قد يكون عالما بعلوم أخرى من العلوم النظرية والعملية كالفلسفة والطب والموسيقى والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم التي قامت على دعائها المدنية الاسلامية وكانت الحلقة الوسطى بين المدنية القديمة والمدنية الحديثة حتى اعترف بفضلها على التمدن الغربي كثير من علماء التاريخ كدروني ومنسكيو وكوستاف لويون وافردوا للمدينة الاسلامية كتبا خاصة اتوا فيها على ذكر ما تركه التمدن الاسلامي من آثار الترقى والعلم التي يجملها أهله لهذا العهد يا للأسف وللعار!

نحن الآن أيها السادة بصدد علماء دمشق في القرون الوسطى وانما هم حلقة من سلسلة ذلك التمدن الاسلامي الذي اخى عليه الزمان واذا سمعتم لي فاني اختم كلامي بنبرة من تاريخ تلك السلسلة بعد استيفاء الكلام على كتاب المدارس هذا ان شاء الله

٢

علمنا مما سبق عدد المدارس ودور العجزة التي أنشئت في دمشق ولكن من الذي انشأ هذه المدارس ورفع بنيانها وادر الخيرات عليها وأنفق من ماله على طلابها اهي الحكومة أو الافراد او الجماعات؟

بلغ بنا الضعف ان صرنا كالاطفال نطلب كل شيء من الحكومة كما يطلب الطفل كل شيء من والديه اما اسلافنا فلم يكونوا كذلك بل كانوا استقلاليين اكثر منهم اتكاليين يعرفون قيمة الاعتماد على النفس فكان الفرد الواحد يقوم بما يقوم به الجماعة ولا يطلب من الحكومة امرا . ولهذا فان كل ما جاء ذكره في هذا الكتاب من المساجد والتكايا والمدارس انما أنشأه الافراد وقام به اهل السخاء والجود من اسلافكم الطيبين لمحض الخير و ارادة نشر العلم وخدمة الوطن والدين لم يختص بهذا العمل الجليل والشرف الرفيع الملوك والامراء وذوو السلطة كما قد يتوهم البعض كلا بل كان الافراد من كل الطبقات من أهل اليسار يتسابقون الى تشييد المعاهد العلمية حسبة لله وحبا لعمل الخير واستبقاء للذكر الحسن في الوجود فالتجار والعلماء والسيدات هم الذين اسسوا هذه المدارس ، كل مدرسة يؤسسها

شخص بمفرده ويجلس عليها من ملكه ما يكفي ريعه لبقائها، بل أقول لكم والخلج
يكاد يمنعي من التكلم والحزن يوشك أن يعقد لساني أن العبدان عبدان أسلافكم
أيها السادة شيدوا بأموالهم بعض هذه المدارس ورفعوا منار العلم فيالفضيلة كم ترفع
العبدان الى منزلة السادة في حين ينحط السادة الى منزلة العبدان !

ان العبدان كانوا ارفع نفوسا واسخا كغرفا منا الآن ياالخلج والخرسان
ان الكلام وحده لايفي عن برهان وانكم تنتظرون مني الدليل على هذاالبيان
واليكم امثلة من عمل العلماء والتجار والسيدات والعبدان
قال المؤرخ في فصل عقده لمدارس الطب :

﴿ المدرسة الطيبة الدخوازية ﴾

المدرسة الدخوازية بالصاغة العتيقة بقرب الخضراء قبلي الجامع الاموي انشأها
مذهب الدين عبد المنعم بن علي بن حامد المعروف بالدخواز في سنة احدى وعشرين
وست مئة بالصاغة العتيقة كما تقدم وأول من درس فيها واقفها ثم من بعده بدر الدين
محمد بن قاضي بعلبك ثم عماد الدين الدينسري وهو بها الى الآن الخ ...

﴿ المدرسة الدينسرية ﴾

غربي البمارستان النوري والصلاحية بآخر الطريق من قبله قال الذهبي في العبر
في اخبار سنة ست وثمانين وست مئة

« عماد الدين ابو عبدالله محمد بن عباس الربيعي » الرئيس الطيب ولد بدنسمر
سنة ست مئة وسمع بمصر من علي بن مختار وجماعة وتفق له الشافعي وصحب البهاء
زهير وتأدب به ووصف ، الى ان قال قلاعن الاسدي « العماد محمد بن عباس الحكيم
البارع في الطب صاحب المدرسة للاطباء بالقرب من بمارستان نور الدين الشهيد » الخ

﴿ المدرسة البودية ﴾

« البودية النجمية مدرسة خارج البلد ملاصقة لبستان افلك المشيري انشأها نجم
الدين يحيى بن محمد بن البودي في سنة اربع وستين وست مئة » الى ان قال قلاعن
ابن ابي اصيبعة « كان علامة وقته وأفضل أهل زمانه في العلوم الحكيمية » الخ ...

هذا عمل العلماء واسمعوا مثالا من عمل التجار في سبيل الخير والعلم والمنفعة العامة
لم يعمل مثله احد من اغنياء هذا الزمان :

﴿ المدرسة المزلقية ﴾

المزلقية بطريق مقابر باب الصغير الآخذ الى الصابونية انشأها تاجر الخصاص
الشريف شمس الدين ابو عبدالله محمد بن علي بن ابي بكر المعروف بابن المزلق
ميلاده سنة اربع وخمسين وسبع مئة وكان ابوه لبانا ادركه جماعة وهو يباشر ملبنة عند
جامع يلبغا فنشأ ولده هذا ودخل في البحر وحكى عن نفسه ان اول سفرة سافرها
كسب فيها مئة الف دينار وثمان مئة درهم وافتحت عليه الدنيا وعمر املاكا كثيرة
وانشأ على درب الشام الى مصر خانات عظيمة بالقنيطرة وجسر يعقوب والمنية وعيون
التجار. اتفق على عمارها ما يزيد على مئة الف دينار وكل هذه الخانات فيها الماء وجاءت
في غاية الحسن ولم يسبقه احد من الملوك والخلفاء الى مثل ذلك وهو صاحب المآثر
الحسنة بدرج الحجاز ووقف على سكان الحرمين الشريفين الاوقاف الكثيرة
الحسنة وعين للحجرة الشريفة على الحال بها افضل الصلاة واتم السلام الشمع والزيت
في كل عام الى آخر ما قال ...

وهذا مثال آخر لتاجر غيره ايضا

﴿ المدرسة الرواحية ﴾

شرقي مسجد ابن عروة بالجامع الاموي واصيقة شمالي جيرون وغربي الدويلق
وقبلي السيفية الحنبلية: قال ابن شداد بانها زكي الدين ابو القاسم التاجر المعروف
بابن رواحة وقال الذهبي في تاريخه العبر في من مات سنة اثنتين وعشرين وست مئة
«والزكي ابن رواحة هبة الله بن محمد الانصاري التاجر المعدل واقف المدرسة الرواحية
بدمشق وأخرى بحلب» الخ

ومن امثلة عمل الفناء

﴿ المدرسة العالمية ﴾

العالمية شرقي الرباط الناصري غربي سفيح قاسيون تحت جامع الافرم واقتضاها
الشيخة الصالحة العالمية اللطيفة بنت الشيخ الناصح الحنبلي المتقدم ذكره في المدرسة

التي قبل هذه (وهي المدرسة الشيعية بانها الشيخ ابو عمر الكبير) وكانت فاضلة لها
تصانيف وهي التي ارشدت ربيعة خاتون بنت نجم الدين ايوب اخت الملك صلاح
الدين الى وقف المدرسة الصاحبية بقاسيون على الحنابلة الخ ...
ومن امثله عمل العبدان

﴿ المدرسة الصارمية ﴾

الصارمية داخل باب النصر والجاية قبلي العذراوية بشرق ، قال القاضي
عز الدين بانها صارم الدين از بك مملوك قايمار النجيبى ورأيت مرسوما بعتبتها .اصورته

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« هذا المكان المبارك انشاء الطواشي الاجل صارم الدين جوهر بن عبد الله
الخرعقيق الست الكبيرة الجليلة عصمة الدين عذرى ابنة شاهنشاه رحما الله تعالى الخ .»
ارأيتم ايها السادة بماذا قامت هذه المدارس وبمن وكيف ان الافراد من
اسلافكم كانوا يعملون مالا يعمل الجماعات منكم اليوم ؟ ان الافراد هم الذين ينهضون
بالام وان المدنية الاسلامية التي تلوت عليكم حلقة من سلسلتها العظيمة كان للافراد
شأن عظيم في وضع دعائمها وتشيد بفيانها

تعملون ايها السادة ما كان لترجمة كتب أهل التمدن القديم كالليونان والفرس
الى العربية من الاثر الكبير في تأسيس المدنية الاسلامية في بغداد على عهد الخلفاء
العباسيين وقد يتوهم البعض ان الذي عني بترجمة هذه الكتب انما هم الخلفاء وحدهم
واخصهم امير المؤمنين المأمون ، والحال ان للكثير من الافراد ورجال الفضل والنبل
من الامة يدا لاتنكر في هذا السبيل

وهذا يدلكم على ان عمل الاشخاص منفردين لا يقل تأثيرا في الهيئة الاجتماعية
عن عملهم مجتمعين . ولذا لا ابالغ ان قلت ان نوابغ الامة الذين خدموا بذكائهم وعلمهم
المدنية وشيدوا اركانها الرفيعة انما قاموا بهذه الخدمة وقامت تلك المدنية بفضل أهل
السخاء والجلود من محبي العلم والترقي وانصار النجاح الذين كانوا ينفقون من مالم
على المترجين للكتب العلمية الى اللغة العربية . ومن هؤلاء الافاضل الاجواد

الذين رصدوا جزءاً كبيراً من اموالهم على المترجمين للكتب العلمية في تلك العصور
علي بن عيسى العباسي ومحمد بن موسى بن شاكر الرياضي الشهير وعلي بن يحيى
الكاتب وابن المدبر الكاتب وثاوري الاسقف ومحمد بن عبد الملك الزيات
وبخنشوع الطيب والعدد الكثير من امثالهم المولعين بالتلقي والعلم الذين كان ينفق
كل واحد منهم اموالاً طائلة على نقل العلوم الى اللغة العربية حتى لقد نقل ابن أبي
اصيبعة عن محمد بن عبد الملك الزيات انه كان ينفق في الشهر الواحد على المترجمين
الف دينار قال هذا فضلاً عما كان ينفقه الخلفاء من بني العباس لهذا القصد
وإنا والله لنتمنى ان نجتمع هذه الالف دينار في كل شهر من الف غني من اغنيائنا
اليوم لتنفق في سبيل نشر العلم وترقية الناشئة من ابناء الاوطان ولو فعلوا ذلك اليوم
لعوضوا عليهم ابناءؤهم اضعافاً مضاعفة في الغد بل اوفعل ذلك اهل كل ولاية عثمانية
لاصبحت المملكة العثمانية بعد عشرين سنة جنة قطوفها العلم وسياجها القوة والحياة
ولنعد الى ما كنا بصددده فنقول :

بمثل هذا البذل على ترجمة كتب العلم ونشرها بين الكافة والاستفادة منها
ظهر اركان النهضة في الشرق الذين ارتفع بهم شأن التمدن الاسلامي وذلك مثل
بني موسى بن شاكر المهندسين الرياضيين في عصرهم وبني بخنشوع وبني سهل
وبني ماسويه وبني حنين وبني ثابت بن قرة وبني زهرون وابو عثمان الدمشقي
وابن كرتيب وبجي بن عدي المنطقي وابي الفرج الطيب وابي الريحان البيروني
والشيخ الرئيس ابن سينا وابي نصر الفارابي والفخر الرازي واضرابهم من العلماء
الذين ظهروا في الشرق في عصور متفاوتة إبان التمدن الاسلامي
ومثل بني زهر وبجي بن السمينه وابي القاسم المرحيطي امام الرياضيين والفلكيين
في عصره وابن السمع الفرناطي المهندس وسعيد ابن عبد ربه وابي جعفر الترحالي
وابي الوليد بن رشد وابنه محمد واضرابهم ممن ظهروا كذلك في الغرب
ومثل بن الهيثم البصري صاحب التآليف الفيزية في الرياضيات والفلك
والمبشر بن فاتك وعلي بن رضوان وتلميذه افرايم ابن الزقات والشيخ السديد رئيس
(المار ج ٩) (٨٩) (المجلد الثالث عشر)

الاطباء شمس الرئاسة بن جميع الاسرائيلي ورشيد الدين أبي خليفة وأمثالهم
من ظهوروا في مصر

كل هؤلاء من علماء الفلسفة والطب والرياضيات والحكمة الطبيعية وغيرها
من العلوم ونسبتهم كنسبة واحد في المئة من ظهوروا في عصرهم وبعده في الشام
وبغداد ومصر وفارس والمغرب والروم أي آسيا الصغرى وغيرها من الامصار
الاسلامية في الشرق والغرب وانما وضع لهم الاساس افراد من الامة قدروا قدر
العلم فشيّدوا معاهده وترجموا كتبه واكرموا أهله فتكون من عمل أولئك هؤلاء
وتعاونهم جيلا بعد جيل بناء تلك المدنية العظيمة التي فقدناها بعد ولم نستطع
الاحاق بأبناء التمدن الحديث لاعراضنا عن العلم وغفلتنا عن تحدي الامم الراقية
وقبض اكفنا عن امداد معاهد العلوم وتشيد دورها مع اننا قد يطلب منا الآن
ونحن جماعات فلا نحجب ما كان يعمل به الافراد من اسلافنا من تلقاء أنفسهم وبمحض
رغبتهم بالعلم والمعارف وحبيهم للارتقاء فما هذا الفرق العظيم

وبالجملة أيها السادة إننا أمة ذات ماض مجيد وتاريخ جميل وقد ترك لنا أسلافنا
درسا لا يمحوه الزمان ، وقد نقش في كل زاوية من المشرق ومكان ، فلا يبلغ بنا
ضعف النظر أو ضعف القلوب والهمم وفساد الاخلاق واستحالة الدم إلى أن تناساه
ولا نقرأ صحفنا الزاهية التي يدعونا كل سطر منها إلى التذكر والتفكير والسعي الخيث
إلى الترقى الذي مناطه العلم . والعلم يحتاج إلى المال . فالمال المال ! الكرم الكرم !
الانتباه الانتباه ! والا قضي علينا بالدمار ولحق بنا العار وتبرأ منا أسلافنا الطاهرون
ولا يكون ذلك ان شاء الله ما دام فينا الكرام الفيورون والرجال المفكرون
والسلام عليكم .

حياة الزيتونيين

كتبت مقالة في المجلد الثاني عشر من المنار (ص ٦٥) عن اضراب الأزهريين عن حضورهم دروسهم إلا أن يجابوا الى مطالب لهم طلبوها وحبذت صنعهم ذاك وعدده نهضة لهم وكان الكتاب يسمون عملهم اعتصابا ولكن تلك النهضة أو ذلك الاعتصاب كانت نتيجته الفشل لأن مقدماته ألقت من التنازع ولأن أربي الامر هنا رايهم أمر الأزهريين واكبروا مطالبهم لهم بأن يتوفروا على اصلاح حالهم فخذلوهم وذلك شأن أرباب السلطة يزددون طلاب تغيير الحال ويعدونهم من المجرمين المذنبين !

اعتصب الأزهريون في العام الماضي وليست حالهم دون حال اخوانهم الزيتونيين بل ربما كانوا أرقى منهم فكان من المنتظر أن ترن اصدااء خطب الأزهريين في جامع الزيتونة فتزلزل قواعد الجود وتتداعى لها أركان الخمول وشاء الله أن يحذو طلاب جامع الزيتونة حذو طلاب الجامع الأزهر في طلب تغيير الحال الى ما هو أصلح للمال والنهج للأعمال وانما المدرستان أو الكليتان تسيران على نمط واحد هو ذاك الطراز القديم طراز الاقتراضات وكثرة النحل والتأويل فيها حتى صارت العلوم في هذين المعهدين مناقشات نظرية عقيمة تؤخر عن طلاب الدنيا ولا تلحق بأهل الدين

صاح صائح التونسيين واعتلى خطيبهم المنبر طالبا حياة جديدة تبعثه من قبر الخمول والجود فأجفلت لصيحته قلوب واغبطت أفئدة وانما أجفل أولئك الذين يستطيعون انبياشه ولكنهم لا يرضون منه إلا أن يبقى سادرا لاهيا ويحسبونه عاقا مارقا اذا تطال الى المجد وطمح الى العلو والسمو

لقد تفتحت مغالقي قلوبنا اذ حملت الينار ريج الغرب اريج اخواننا الزيتونيين الذين اعتصموا في مطالبهم بالآناة والصبر وجنحوا للسكينة والحلم واستمسكوا بالعروة

الوثقى التي لا انفصام لها ولا خذلان لمن استمسك بها . تمثلناهم غادين وراحمين ولهم من آداب الدين الخفيف وعظاته روادع من الادب وز واجر من الحياء ومن سيرة اعلام قرطبة وأئمة بغداد وأدباء غرناطة درس حكيم يهديهم الى الطريقة المثلى فكنا نشعر بسرور لا يدانيه سرور ونقول في أنفسنا تالله لو أعطيت لهم العلوم الصحيحة النافعة لفاق الخلف السلف والله يوئني فضله من يشاء فهو لا يختص بجبل ولا قبيل طال الأمد على سكون المسلمين وركونهم الى مخلفات قرون الظلمات التي ضعف فيها شأن العلم وجمدوا على التقاليد الخلقية التي لا تنهض بها حجة ولا يقام عليها دليل ولم تكن حالهم اذ أخذوها قضية مسلمة الا كحال أولئك الذين زل فيهم قوله تعالى « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » ولو رجعوا الى تاريخ أسلافهم في عصور السعادة لاحتذوا حذو أولئك ونبذوا طريقة هؤلاء ظهريا ويا بعد ما بينهما

لم يكن للمسلمين وقد احاطت بهم العظائم وطافت بهم النذر ان يرتضوا لانفسهم بقاء التسكع في دياجير الجهل والترطل في حياض الخمول وهم الذين أرشدهم دينهم الى الضرب في مناكب الارض والنظر في اسرار الكون والاعتبار بتاريخ الامم التي بادت واقترضت لكفرها بأنهم الله وجعل العزة وصفا لاهل دينه لانتفك عنهم ماداموا موثمين

ليس بعجيب أن ينهض المسلمون في مشارق الارض ومغاربها مادام القرآن الحكيم محفوظا في صدورهم متناولين أيديهم وهو الذي ينحي على التقليد واهله ويستفز لهم ويحدد العزائم الى طلب الآخرة بالعمل الصالح وطلب الدنيا بالسير في مناكبها وعلومها انما هي وسيلة موصلة اليهما ليس بعجيب ان ينهضوا وانما العجيب أن يلبثوا في عماية عن أمره ونهيه معرضين عن نذره وعظاته ولذلك قلنا ولا نزال نقول ان اصلاح المسلمين لا يأتي الا من ناحية دينهم وعلماؤه حملة القرآن فنحن اليوم نقرظ عمل الزيتونين ونعده مبدأ حياة جديدة ستكون زاخرة بالعلوم النافعة حافلة بالاعمال الرافعة ان شاء الله تعالى ونثني على أولئك الزعماء الفضلاء الذين نظموا الاعتصاب وساروا بهم على نهج التوادة والرزانة ونحمد للحكومة جنوحها لابن

واجابته المطالب التونسيين بعد تلك الذبذة والتفشم والانذار والوعيد واحراجها صدر
المدل بسجن فئة من زعماء الطلاب واننا نقول الآن عفا الله عما سلف ونهى
اخواننا الطلاب المجتهدين بفوزهم وقلجهم وزجروا أن تبقى نفوسهم دائما ظمأى الى
مالم يأتوا من العلوم واعيدهم ان يخذعوا بأماذج المادحين ويركنوا الى الفاشين
المتفقيين فليس ما أحرزوه هو كل الاصلاح وانما هو وشل من بحر وعلى الله قصد السبيل
ولطنا نوفق لكتابة مقال مطول في هذا الموضوع

حسين وصفي رضا

الشيخ جمال الدين الافغاني

(والشيخ محمد عبده)*

كنت كتبت رسالة يثبت فيها فساد زعم الذين يتعمون الشيخ جمال الدين
الافغاني بالمروق وأوضحت بطلان هذا البهتان بأجلى بيان وطبعت تلك الرسالة
ونشرتها فتداولتها الايدي واشتهرت بين الناس و بعد ذلك سمعنا ببهتان جديد وهو
أن الاستاذ لم يكن مارقا ولكنه كان وهابيا

عجبا هل يعرف هؤلاء الذين بهرفون بما لا يعرفون معنى ربهم الناس بالمروق
تارة وبالوهابية تارة أخرى ؟ أم هل درى أولئك الخراصون الاقا كون ناشرو
الافك والبهتان أنهم بعملهم هذا يدخلون تحت طائلة قوله تعالى « ان الذين يحبون
أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب في الدنيا والآخرة » الخ ؟

وأما الوهابية فهي بالحقيقة اسم للذين اعتنقوا هذا المذهب وهم معظم سكان
بلاد العرب ومذهبهم ليس بينه وبين مذهب الخبيلية فرق كبير

عجبا أصار من الدين عندنا أن تثق بكل كلام يراد به ايداء أي شخص

* (كتب محمد عاكف افندي الكاتب المعروف هذه المقالة ونشرها بمجريدة شوري التي
تصدر في اورنبورغ في الروسية تحت هذا العنوان فنقلناها عنها

والطعن عليه ؟ وكيف يجوز أن نعلم إلى رجل صحيح العقيدة صالح الأعمال ونقول إنه رجل صالح لكنه مارق من الدين ، ثم يتلقى الناس هذا القول وينتشر من دون ترو ولا نظر في أعمال وأحوال من نسب ذلك إليه فلا يمضي قليل زمن حتى يشيع بين الناس بأن فلانا مارق وإن فلانا زنديق

ثم كيف يجوز لنا الحكم بمجرد نقل قوم لا يعرفون من أحوال من يحكمون عليه بهذه الافتراآت ولا من كلامه شيئاً يصحح حكمهم ؟

اننا نعلم أن أكبر جرم في الاسلام هو أن يحكم الانسان على عقيدة انسان آخر ويتحكم فيها وينسبه الى الزندقة تارة والى الوهاية تارة أخرى بمجرد اختلاف في المشرب أو لاقل سبب مع أن الواجب الاسلامي يأمرنا باحترام عقيدة مطلق انسان ما دام يوجد دليل واحد على اسلاميته ضد تسعة وتسعين دليلاً على الكفر وانه لايجوز الحكم بالكفر مع وجود ذلك الدليل

ان اتهام كبار المصلحين بالوهاية في بلاد العرب و بالفرماسونية في بلاد الترك و بالباية في بلاد العمم و بالدهرية و الماروق في بلادار و سيارامرا معروف ومشهورا جدا . وان تعجب فعجب نعمت خيرة رجال الاسلام بتلك النعوت مثل جمال الدين الافغاني مع انهم هم وحدهم المعروفون بالدفاع عن الدين الاسلامي وهم انفسهم المجتهدون في ترقية بنيهم بتريتهم تربية صحيحة وهم الذين افنوا عمرهم الثمين بانشاء المدارس ليجعلوا لانباء ائمتهم حفاظا من العلوم التي تنهض بهم من حضيض الذل الى اوج العز وتوكلهم للجهاد في معترك هذه الحياة ليخرجوا من اسر المغلوية

اذا اعترض علينا معترض من أهل الملل الاخرى قائلا : انكم تهيمون افضل رجالكم واعلمهم واعقلهم واعلامهم قدرا واشدهم غيرة على ملتكم بالمروق والدهرية والفرماسونية والوهاية مع انهم لا يريدون لكم الا الخير والرفق والسعادة فلماذا ؟ الآن دينكم لا يجتمع مع العقل والعلم والفضل والادب والحمة وحسن الخلق ؟ فاذا يكون جوابنا ترى ؟

اذا بحثنا في تاريخ الرجال الغيورين في القطر المصري الذين بدأبون على منفعة

الاسلام ويخدمون المسلمين خدمة صادقة نجد انهم تلامذة جمال الدين الافغاني وانهم انما نبغوا بفضل تربيته القويمة

لو كان الرجل مارقا من الدين كما يقولون لما قدر ان يوجد رجلا ممثلين غيره على الدين وأهله يخدمونه أجل الخدم (لان فاقد الشيء لا يعطيه) ولا هم لهم سوى زرق الانسانية بكل همة ونشاط

ان جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى ضاقت عليه الارض بما رحبت سواء كان في الافغان أو العجم أو تركيا أو أوربا ولم يسمح له ان يقيم في احدى هذه البلاد ناعم البال منشرح الصدر . ولو كان من محبي المال والجاه والمناصب العالية لترك ما اضطهد لاجله وهو خدمة الاسلام الجليلة والقاء الدروس النافعة للعالم الاسلامي ولما حاول ايقاظ المسلمين من نومهم العميق المؤدي الى النوم الابدي ان لم يسعف بالتهبات من مثل ارشاد جمال الدين

نعم لو ان جمال الدين ترك خدمة الاسلام واشتغل ببحث افكاره في العالم ولم يعمد الى ايقاظهم لانهايت عليه سحب الدنانير ولكان موضع الاحترام وصاحب المقام الذي لا يرام في جميع البلاد

ولكن تلك الروح العالية والارادة القوية والنفوس السامية لم تنزل به في هذا الحضيض حضيض المجد الزائل فما زال مشمرا عن ساعد الجد مجتهدا بترويج مقاصده الخيرية بصارع الايام ويكافح النوائب غير هيب او وجل وثبت في موقف يتعذر على غيره الوقوف فيه حتي صح ان يقال عنه انه كان شهيدا في حياته وصدقت عليه عبارة كمال بك التركي « احسن شيء وافضله في هذه الدنيا ان يكون الانسان شهيدا في حياته »

هذا وان الذين يقترون على جمال الدين الافغاني بالمروق والوهاية تراهم لا يألون جهدا بري الشيخ محمد عبده باكثر مما رموه به (كان الكفر والمروق على نسبة النفع للامة) نعم ان هؤلاء الافاكين مصنع كفر لا يفتأ يصوغ من حلى الكفر اجودها هؤلاء الرجال العظام فانا ارجو منهم بعد النظر في مؤلفات الشيخ محمد عبده ان يثبتوا لي علامات الوهاية التي ينكرونها عليه ولو بأي صفة كانت ويظهروها للالا

ان بعض الناس يقول « انه لا موازنة بين زهد الشيخ محمد عبده وبين علمه » (١) وربما كان كذلك وهل اذا امضى الشيخ محمد عبده عمره معتكفا بالمساجد مواظبا على صلاة النافلة أ كان يفيد الاسلام أكثر مما افاده ؟ اننا لا نظن ذلك بل ان رده على عالم افرنجي مثل هانوتو ومدافعه عن حقوق الملايين من المسلمين هي في نظرنا أحسن عملاوا أكثر ثوابا من الاعتكاف وصلاة النافلة

انظروا الى قول عمر رضي الله عنه لأبي قلابة التابعي « أن اكنسباك الرزق لعيالك أحسن عندنا من اقامتك في المسجد » وهل يعجز أبو قلابة عن تربية عياله وأولاده في زمن يعيش فيه الناس بقليل من النفقة عيشة الرفاهية من غير نجش مشاق الكسب ؟ ومع ذلك فقد أمره عمر رضي الله عنه بالكسب ونهاه عن الإقامة في المسجد اما محمد عبده فانه لم يكن مثل أبي قلابة ولا هو في زمن مثل زمنه بل هو في زمن يحتاج فيه ان يشمر عن ساعد الجد لاجل تربية عائلة تبلغ الملايين من الاشخاص هانحن اليوم معشر المسلمين ليس لنا مثل جمال الدين ومحمد عبده وقد مضيا الى خالقهما وتركنا كالماشية بلا راع بل اننا اصبحنا واقفين موقف الحيرة لا ندرى ماذا فعل ولا نهتدي طريق النجاة

فالواجب علينا ان نذكر مثل هذين الاستاذين بالخير لانهما خدما الدين وكانا من حماته وأن نسأل لهما من الله الرحمة والغفران لكي ينالا جزاء عملهما الصالح نعم ويجب أن نعرف بفضلهما وارشادهما لئلا نجهلنا الاجيال المقبلة وتعيننا حيث اننا لا نعرف لاهل الفضل فضلهم ولا أجل أن يعلم القوم الآخرون اننا أناس نعرف فضل المصلحين واننا لسنا ممن يكفرون النعم ، وبحسن ان أورد هنا حكاية صغيرة وأجعلها ختاماً لهذا الموضوع وهو أنه قابلي قبل خمس سنوات رجل افرنجي وقال لي « انكم قوم محرومون من معرفة الصناعة وانتم معذورون في هذا أما في عدم تفكيركم في معرفة قدر الرجال فليست بمعذورين بل ان هذا ذنب لكم لا يغفر وهو من أشنع الذنوب » فاعتبروا يا أولي الابصار .

الخلافة الاسلامية

(والجامعة العثمانية) *

١

« الحكم الجاهلية يفتون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون »
« قرآن كريم »

ان الدين اعظم مهذب للنفوس وآثاره تظهر في الناس بقدر استعدادهم للخير أو الشر وبهذا كان التباين الذي لولاه لما ثبت دين اذ لو توحدت الفكرة الدينية لزالَت الصعوبات لان كل فريق مضطر ان يناضل الآخرين ليثبت لهم انه على حق . وما هي البراهين التي نعملنا على تصديق فريق وتكذيب آخر ؟ لماذا نعتبر والد ابراهيم مخطئا في عبادة الاصنام ولماذا نحبذ فعل ابراهيم عليه السلام لتعطيه تلك الاصنام وعبادته الحي القوم الذي لا يففل ولا ينام ؟ « ولو شاء ربك لجلل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم » الآية يتأمل الانسان فيما حوله من الكائنات فيجدها سائرة بنظام واحد ميسرة لما خلقت له « ماترى في خلق السموات من تفاوت » . وما الطبيعة الا ذلك الناموس الذي يخضع له كل شيء وفي الوجود واني بقدر ما وصل اليه بحقي اعتقد اعتقادا راسخا ان الاسلام هو الدين الطبيعي أو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ذلك هو الدين القيم ولكن أ كثر الناس لا يعلمون وان جميع مبادئه موافقة

(*) ليلي افندي فهمي الكاتب المروف

لنؤاميس الطبيعية واني أؤمل ان كل محب للحقيقة يسلم معي بهذا الاعتبار ويعترف بما للاسلام من المزايا النافعة والمبادئ الشريفة
 طرق كثير من كتاب الغرب باب الكلام في الاسلام، ونبه عليه الصلاة والسلام، ومن سوء حظي اني لم أتمكن من الوقوف على آراء السابقين وان فزت ببعض آراء اللاحقين مثل دانييل ولور وملائشون وهربوات. ولكنني أرى هؤلاء الناس يتناولون على ما ليس لهم به خبر شأن كثير من بني الانسان في كل زمان ومكان. ليست دهشتي من الذين يذمون الاسلام مثل هانوتو ولورد كرومر باكثر من دهشتي لما رثين لوثر وهو ذلك الحر الابي المفكر الذي كوز المذهب البروتستاني بالرغم عن سلاسل واغلال الفاتيكان في العصور الوسطى. ولكن الاغراض السياسية تسربت الى نفوس هؤلاء الكتاب فاعمت بصيرتهم فلم يخطوا الا ماتوحية اليهم اغراضهم. الا ان الحق لا يعدم انصارا وانا لذا كرون هنا في مقدمة هذه الرسالة بعض آراء المنصفين من كتاب الغرب في الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم ليرى كل منصف ان الاسلام لا يعدم من الاعداء ظهيرا وكفى بالله وليا ونصيرا.

كتب مستر جون ويفنبورت الرحالة الشهير في كتابه (تاريخ محمد):
 «هل في الامكان انكار فضل رجل (بني النبي صلعم) قام باصلاحات عظيمة خالدة لبلاده بان جعل جميع أهلها يعبدون الله الواحد القهار ويهجرون عبادة الاصنام ذلك الذي منع قتل المؤودة وحرم شرب الخمر ولعب الميسر؟»
 وكتب ادوارد جيبون: «ان دين محمد خال من الشكوك والظنون والقرآن أكبر دليل على وحدانية الله بعد ان نهى النبي عن عبادة الاصنام والكواكب

وهذا الدين أكبر وأجل من ان تدرك اسرارهِ المويضة عقولنا الحالية «
 وكتب مستر ديفونويت في كتابه (اعتذار الى محمد والاسلام): «انه لمن
 الحماقة ان نظن ان الاسلام قام بحد السيف وحده لان هذا الدين الذي
 يهدي للتي هي أقوم - يحرم سفك الدماء وأمر بالمعروف وينهى عن المنكر -
 ويجب ان نمتدح هنا بان علوم الطبيعة والفلك والفلسفة والرياضيات - التي
 أنمشت أوروبا منذ القرن العاشر - مقتبسة ومقتطفة من القرآن (؟) بل ان أوروبا
 مدينة للاسلام بأكثر من ذلك لانه الدين الذي أمر بالدستور
 والديموقراطية ونهى عن الاستبداد في قوله (تعالى) «وأمرهم شورى بينهم»
 «وشاورهم في الامر» . منح الاسلام الانسان جميع حقوقه
 المدنية ولتذكر أوروبا انها مدينة للمسلمين انفسهم بحفظ آداب الغرب
 القديمة حينما كانت هي في ظلام دامس حفظوا آثار فلاسفة اليونان
 وأنشأوا علوم الطب والهندسة وغيرها . وبعبارة أخرى ان المسلمين هم
 اساتذة أوروبا أثناء هجرتها من القرن التاسع الى القرن الثالث عشر »

وكتب كاتب مقالة تحت عنوان (الشرق والغرب) جاء فيها: «لقد ساوى
 الاسلام بين جميع الناس في الحقوق السياسية ورفع عن كواهلهم الضرائب
 القادحة في قديم الزمان وحفظ لهم جميع حقوقهم وذم استعباد الانسان
 للانسان » ومع ذلك فان سياسة أوروبا وخصوصا الانجليز منهم لا يدخرون
 وسعا في التناول على الاسلام ورميه بكل نقيصة وانه داعية التأخر بمناسبة
 وبغير مناسبة ، من ذلك انه عندما حصل اعتصاب طلبة الأزهر قالت التيمس
 والجرائد التي على شاكلتها ان الأزهريين مبالون للتأخر وهذه الافتراءات
 تنافي ميل علماء الاسلام وتعاليمه على خط مستقيم . قال أحد فضلاء الانجليز

في احدى الجرائد بهذه المناسبة: «اننا نعتقد انه اذا كان ثمة دين خال من مبادئ
 التمهق فما هو الا الدين الاسلامي الخفيف» وهل يقدر انسان على نسيان
 ما قام به علماء الازهر وشيخ الاسلام نفسه في اثناء تلك الحركة الدستورية
 التي قامت سنة ١٨٨٢؟ من غير العلماء اصدر قرارا ضد توفيق باشا؟ ألم يكن
 شيخ الاسلام في الآستانة هو الذي قال للسلطان: ان الشورى ليست من
 روح الاسلام فقط بل انه يأمر بها أمرا؟ ومن قام في مجلس المبعوثان
 وخطب الخطب المصمما بوجوب مساواة جميع العناصر العثمانية بصرف
 النظر عن الملل والنحل في مصالح الوطن غير العلماء؟

ولقد قام العلماء بمثل هذا العمل في روسيا فانه لما كان الارمن
 والترقيت بك بعضهم ببعض سنة ١٩٠٥ على مرأى من البوليس الروسي
 في باكو كان رجال الدين المسلمون أول من نهض لحسم النزاع بين
 الطوائف والمشار. وهام رجال الدين الاسلامي يبذلون جهدهم في
 سائر البلاد ويحثون التتر على تشييد المدارس لنشر العلوم الحديثة لترقية
 ابنائهم والقاء المحاضرات التي تعصمهم عن ارتكاب الآثام

ولكن الحكومة لسوء الحظ تحاول ايقافهم عن مساعيهم الحميدة
 خوفا من أن يستنير الاهالي فيسموا الاستقاطا او يتوسعوا بطابقتهم منها.
 ومن عجيب ما يلاحظ ان مسيحي تلك الجهة ومعظمهم من الفلاحين قد تأثروا
 بارشاد رجال الدين الاسلامي وسعيهم وراء العلوم والمعارف فدخل
 الكثيرون منهم في دين الله أفواجا واضطرت الحكومة ان ترسل
 الى تلك النواحي مرسلين خصوصيين لمقاومة تلك الحركة الضارة في نظرها.
 هذا هو الاسلام وهؤلاء هم رجاله ومع ذلك فان سواس الانجليز

لا ينجلون من أن يصموه ويصموا رجاله بالتأخر والتقهر .
ولا شك في أن آراء أولئك المنصفين من رجال الغرب اكبر حجة
عليهم اذ أقروا بأن هذا الدين القويم لا يترك صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها فتم بذلك قوله تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم وأنعمت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » .

ولا عجب أن يقر أولئك الناس بفضل النبي صلى الله عليه وسلم
بعد أن أقروا بمجزم عن معارضة خوى آيات الذكر الحكيم القائل
« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » « وانك لملى خلق عظيم » « ولو كنت
فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك » وهذه الآيات مصداق للحديث
الشريف « أدبني ربي فأحسن تأديبي » أو كما قال

يدعون ان الاسلام خال من الوطنية فهل يقتنع أولئك المفترون
بما جاء في الذكر الحكيم : « رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني
أن نعبد الأصنام » ألا ينجلون من حكاية أبي رنبال الذي دل صاحب
القبيل على طريق وطنه وخان بلاده فأمر النبي صلى الله عليه وسلم برجم
قبره كما فعل هو ذلك بيده الشريفة ؟ ألم يأتهم نبأ الحديث المتداول
« حب الوطن من الايمان »

يدعون ان الاسلام دين تواكل وتقاعد لا عمل ولا نشاط فيه .
وهذا قول مردود ودعوى كاذبة بنص الذكر الحكيم « وان ليس للانسان
الاماسى » والحديث المتداول على اللسان ايضا « اعمل لدنياك كأنك تعيش
أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » والحديث الشريف « ليس بخيركم
من أخذ من هذه وترك هذه انما خيركم من أخذ من هذه وهذه »

يدعون ان الاسلام لا يلائم بعض العلوم الحديثة مع انها في الحقيقة ونفس الامر فرية يدحضها ما حواه القرآن الشريف أصل هذا الدين الخفيف من الحث على العلم والسعي واكتشاف اسرار الطبيعة قال تعالى : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » « قل انظروا في السموات والارض » « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » « أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض ومما خلق الله من شيء » « وفي أنفسكم أفلا تبصرون »

يزعمون ان الاسلام استعبد المرأة ويستدلون على ذلك بالحجاب أو النقاب ولا يفقهون ان ذلك يمزى الى العوائد التقليدية اكثر مما يعزى الى الاصول الدينية . ولقد ساوى الاسلام بين الرجل والمرأة فلم يجعلها متاعا له كما يزعمون نظرا لاجاحة الطلاق وتعدد الزوجات ولا يدرون ان هذه التصرفات تكون لاسباب غير عادية وانه اذا افراط فيها المسلمون فذلك راجع لاخلاتهم الشخصية وليس افراطهم هذا من الدين في شيء . وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى « فاذا خفتم الا تمدلوا فواحدة الى قوله تعالى « ذلك أدنى الا تمولوا » ثم جاء بعد ذلك « ولن تستطيعوا ان تمدلوا بين النساء ولو حرصتم » . وفي حديث شريف « ابنفض الحلال الى الله الطلاق » . وفي قوله تعالى : « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان ذلك لايات لقوم يتفكرون » فمن ذلك يرى النصف ان تعدد الزوجات والطلاق أمران يكادان يكونان محرمين في الاسلام .

لقد أباح الاسلام للمرأة حتى القضاء اذا منعهما غير من الاديان من هذه الجملة ؟

ينكر هؤلاء القوم على المرأة مطالبتها بحقوقها بصفتها حقوقاً لاهية كما هو
الحاصل الآن في أمريكا وأوروبا ثم يطنطنون باستعباد المرأة في الإسلام وهي
تطالبهم ببعض مآمنحه الإسلام لها فيسخرون منها ! جاء في الذكر الحكيم :
« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما اتفقوا
من أموالهم » وهي ميزة لا تكاد تذكر والسبب فيها أن الرجل بناء على
النظامات الكونية هو الذي يسمى ويكد وهي أكثر منه راحة في خدرها
بوجه العموم وهي معرضة للتأثيرات القلبية والنفسانية التي قد تغلب
على العقل فكان الرجل في هذا المعنى كشكيمة لتطرف النفس والعقل .
يدعون أن الإسلام دين حرب وعداء ، لا سلام وصفاء ، وقيمون
على ذلك دليلاً معكوساً من الفتوحات التي تمت في صدر الإسلام ولو أبصر
هؤلاء المدعون لعلموا أن تلك الفتوحات لو تمت على أيدي غير المسلمين
لاذيق تلك الأمم التي غلبت على أمورها أنواع الذل والمسكنة بناء على
قواعد الاستعمار الأوروبية التي لا يسمع المقام شرها . جاء في القرآن :
« أن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس
أن تحكموا بالعدل أن الله نعماً يعظمكم به ، أن الله كان سمياً بصيراً » هذا
ما كان يعمل به الفاتحون من أمراء الإسلام أفلاتنجل أوروبا إذا قارنت
به عملها اليوم في الشعوب التي أخنى عليها الدهر فوقمت تحت سلطانها ؟
جاء في القرآن الكريم « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتتي هي أحسن » « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله » . « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي
فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام

لها « ولم يكن القتال في الاسلام الا لتأييد الدعوة وللدفاع عنها قال تعالى « وقاتلوا في سبيل الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » هذه بعض آيات من الذكر الحكيم فأين أمرها بما قاله المستر موط المرسل الامريكي في خطاب القاء على جمهور من المرسلين في الشرق الادنى : « بواسطة مئة رجل نظيركم يحتملون الصواب وعشرين الف جنيه يقدر الله ان يلاشي الاسلام وينتاش بلاد العرب من قبضة الشيطان ١١١ » ؟

ان نصارى الشرق لم يأمنوا الاكراه على ترك دينهم بفضل شجاعة افرادهم ولا بمجائب كنيستهم ولكن الذي وقام ذلك انما هو ماأوردناه من الآيات القرآنية فانها ضمنت لهم سلامة استقلالهم الديني وصانت عقيدتهم من كل اعتداء ولو كان المسلمون الآن كما كانوا في صدر الاسلام لما أمكن أولئك المرسلين ان يأتوا بمشار مايفعلونه في الشرق الآن بل لا تنتشر الاسلام في سائر انحاء العالم لانه دين مساوق للطبيعة ملائم للنوع الانساني في جميع اطواره يقبله كل عقل فطري لم تدنسه التقاليد . بل لو كان المسلمون الآن كما كانوا عليه في صدر الاسلام لما قدرت أوروبا أن تستعمر شبرا واحدا من بلادهم أو بلاد الشرق أو تستعبد قبيلة واحدة فيها . قال الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده « ان الازهر كالاسد محبوب في قفص والحكومة المصرية كالخارس على بابه فاذا فتح ذلك الباب كان أول فريسة لذلك الاسد ذلك الخارس » ^(١) ونحن نزيد على ذلك انه لو فتح ذلك الباب وتسلم ذلك الاسد نسيم الحرية لا عاد الشرق الى الشرق والغرب الى الغرب (لها بقية)

(١) المنار : تقتصر هذه العبارة الى اثبات ورودها عن الاستاذ الامام

فبشر مبادي الدين يستمعون القول فيتبينون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

بشرى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كنار الطريق

(الاربعاء ٣٠ شوال ١٣٢٨ - ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٢٨٦ - ١٩١٠ م)

باب تفسير القرآن الحكيم

مفتبس فيه الدروس التي كان يلقها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٤٧:٤٤) اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْنَ اَوْثَوْا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتٰبِ يَشْتَرُوْنَ الضَّلٰلَةَ وَيُرْبِدُوْنَ اَنْ تَضِلُّوْا السَّبِيْلَ ، وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِاَعْدَائِكُمْ ، وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَاٰيًا وَكَفٰى بِاللّٰهِ نَصِيْرًا (٤٨:٤٥) مِّنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا يُحَرِّقُوْنَ الْكٰتِبَ عَن مَّوٰضِعِهِ وَيَقُوْلُوْنَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالسِّيْتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّيْنِ ، وَلَوْ اَنَّهُمْ قَالُوْا سَمِعْنَا وَاَطَعْنَا وَاَسْمَعُ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاَقْوَمَ ، وَلٰكِنْ لَمَنْهُمْ اللّٰهُ بِكَفْرِهِمْ فَلَا يُوْمِنُوْنَ اِلَّا قَلِيْلًا

قال الرازي في وجه الاتصال بين هذه الآيات وما قبلها : اعلم انه تعالى لما ذكر من أول هذه السورة الى هذا الموضع أنواعا كثيرة من التكاليف والاحكام الشرعية قطع هنا ببيان الاحكام الشرعية وذكر احوال اعداء الدين وأقاصيص المتقدمين لان البقاء في النوع الواحد من العلم مما يكمل الطبع ويكدر الخاطر فاما الانتقال من نوع من العلوم الى نوع آخر فانه ينشط الخاطر ويقوي القريحة اه وقال النيسابوري الذي اختصر التفسير الكبير للرازي في تفسيره : ثم انه سبحانه لما ذكر من أول السورة الى هنا أحكاما كثيرة عدل الى ذكر طرف من آثار المتقدمين وأحوالهم لان الانتقال من اسلوب الى اسلوب مما يزيد السامع هزة وجدة اه

أقول غلط المفسران كلاهما في قولهما ان الكلام انتقل الى ذكر أحوال المتقدمين وإنما هو انتقل الى ذكر أحوال المعاصرين للنبي (ص) من أهل الكتاب فكأنهما توهموا ان الآية نزلت في زمنها وما قالاه في الانتقال من اسلوب الى آخر صحيح وهو أعم مما نحن فيه وقال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى

الكلام انتقل من الاحكام وما عليها من الوعد والوعيد الى بيان حال بعض الامم من حيث أخذهم بأحكام دينهم وعدمه ليذكر الذين خوطبوا بالاحكام المقدمة بأن الله تعالى مهيم عليهم كما هيمن على من قبلهم فاذا هم قصرُوا يأخذهم بالعقاب الذي رتبته على ترك أحكام دينه في الدنيا والآخرة . والمتنظر من المؤمنين بعد ذكر الاحكام الماضية وما قرنت به من الوعد والوعيد أن يأخذوا بها على الوجه الموصل الى اصلاح الأنفس وهو أثرها المراد منها وذلك بأن يؤخذ بها في صورتها ومعناها لا في صورتها فقط ولكن جرت سنة الله في الأمم أن يكتفي بعض الناس من الدين ببعض الظواهر والرسوم الدينية كما جرى عليه بعض اليهود في القرابين وأحكام الطهارة الظاهرة وهذا لا يكفي في اتباع الدين والقيام به على الوجه المصلح للنفوس كما أراد الله من التشريع فاراد الله تعالى بعد بيان بعض الاحكام التي لها رسوم ظاهرة كالفسل والتيمم ان يذكر المسلمين بحال بعض الامم التي هذا شأنها وكون هذا لم ينف عنها من الله شيئا ولم ينالوا به مرضاته ولم يكونوا به أملا لكرامته ووعدده فقال

﴿ ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن
تضلوا السبيل ﴾ قال ابن جرير نزلت في طائفة من اليهود وروى ذلك عن ابن عباس
وغيره ويرى بعضهم ان أهل الكتاب فيها أعم والرواية في قوله تعالى « ألم تر »
قلبية علمية كما قال ابن جرير وقيل بمعنى النظر والمعنى ألم يفته علمك أيها الرسول أولم
تنظر الى هؤلاء الذين أعطوا نصيبا أي حظا وطائفة من الكتاب الآتي كيف حرموا
هدايته واستبدلوا بها ضدها فهم يشترون الضلالة باختيارها لانفسهم بدلا من الهداية
ويريدون أن تضلوا السبيل أي طريق الحق القويم كما ضلوا فهم يكيدون لكم
ليردوكم عن دينكم إن استطاعوا . والتعبير بالنصيب يدل على أنهم لم يحفظوا كتابهم
كله وذلك أنهم لم يحفظوه في زمن انزاله عن ظهر قلب كما حفظنا القرآن ولم يكتبوا
منه نسخا متعددة في العصر الاول كما فعلنا حتى اذا ما فقد بعضها قام مقامه البعض الآخر
بل كان عند اليهود نسخة واحدة من التوراة هي التي كتبها موسى عليه وعلى نبينا
الصلاة والسلام فقدت كما بينا ذلك في تفسير الآية الاولى من سورة آل عمران
(ص ١٥٥ - ١٥٩ من الجزء الثالث من التفسير) وفيه بحث تاريخ كتابتها وحقيقة
الموجود الآن منها وبحث كتابة الانجيل كذلك . ويؤيد ذلك قوله تعالى في كل
من اليهود والنصارى « ففسدوا حفظا ما ذكروا به » وسيأتي في سورة المائدة فهو تصریح
بمفهوم ما هنا ، يقول هنا أنهم أوتوا نصيبا أي حظا ويقول هناك أنهم نسوا حظاء ، فالإكلام
يؤيد ويصدق بعضه بعضا والتعبير بأوتوا الكتاب في موضع آخر لا يعارضه لان
الكتاب للجنس ومن لم يعرف هذه الحقيقة من المفسرين قال ان المراد بالكتاب علمه
وقال الاستاذ الامام قال أوتوا نصيبا من الكتاب لانهم لم يأخذوا الكتاب كله
بل تركوا كثيرا من أحكامه لم يعلموا بها وزادوا عليها والزيادة فيه كالنقص منه
فالتوراة تنهاهم عن الكذب وإيذاء الناس وأكل الربا مثلا وكانوا يفعلون ذلك
وزاد لهم علماؤهم وروساؤهم كثيرا من الأحكام والرسوم والتقاليد الدينية فهم يتمسكون
بها وليست من التوراة ولا مما يعرفونه عن موسى عليه السلام وهم يدعون اتباعه
في الدين فالامر المحقق الذي لا شك فيه هو أنهم يعملون ببعض أحكام التوراة

وقد أهملوا سائرهما ففي مقام الاحتجاج بالعمل بالدين وعدمه يذكروا واقع وهو أنهم لم يؤثروا الكتاب كله اذ لم يعملوا به كله وانما عملوا ببعضه ، وفي مقام الاحتجاج عليهم بالايمان بالنبي والقرآن يناديهم « يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا » الخ كما ترى في الآية التالية لهذه الآية ومثلها كثير

هذا ما قرره الاستاذ في الدرس ولما انتهى الى هنا قلت أليس التعبير بالنصيب إشارة أو نصا على أنهم لم يحفظوا الكتاب كله بل فقدوا حظا ونصيبا آخر منه؟ فقال بلى فأجاز ما فهمته وأقره وكنت بينت هذا من قبل في الكلام على شريعة حمورابي ونسبتها الى التوراة وما هي التوراة وذلك في المجلد السادس من الماراج فالذي لم يعملوا به من التوراة على ما اختاره الاستاذ الامام يكون قسمين أحدهما ما أضعوه ونسوه وثانيهما ما حفظوا حكمه وتركوا العمل به وهو كثير أيضا . وقال بعض المفسرين ان المراد بما أضعوه من الكتاب نعت نبينا (ص) وجعل بعضهم اشتراء الضلالة هو بذل المال لتأييد اليهودية والكيد للاسلام ومقاومته فقال كان بعض عوام اليهود يعطون أبحارهم المال ليستعينوا به على ذلك

﴿ والله اعلم بأعدائكم ﴾ أي والله أعلم منكم بأعدائكم ذواتهم كالمنافقين الذين تظنون أنهم منكم وما هم منكم وأحوالهم وأعمالهم التي يكيّدون بها لكم في الخفاء وما يغشونكم به في الجهر بابرار الخديعة في معرض النصيحة وإظهار الولاء لكم والرغبة في نصركم ﴿ وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ﴾ لكم يتولى شؤونكم بإرشادكم الى ما فيه خيركم وفوزكم وينصركم على أعدائكم بتوفيقكم للعمل بأسباب النصر من الاجتماع والتعاون والتناصر واعداد جميع ما يستطاع من وسائل القوة فلا تفتروا بولاية غيره ولا تطلبوا النصر الا منه باتباع سنته في نظام الاجتماع وهدايته في القرآن ومنها عدم الاعتماد على الأعداء وأهل الأثرة الذين لا يعملون الا لمصلحة انفسهم كاليهود . وكفى بالله وليا أبغ من كفى الله وليا أو كفت ولاية الله لان الكفاية تعلقت بذاته من حيث ولايته

قد كان اليهود في الحجاز كالمشركين أشد الناس عداوة المسلمين ومقاومة لهم

كما أخبرنا العالم الخبير في سورة المائدة ثم كان من مصلحتهم فوز المسلمين في فتح سورية وفلسطين ثم الأندلس ليسلموا بعدلهم من ظلم النصارى لهم في تلك البلاد فكانوا مغبوطين بالفتح الاسلامي وقد كانوا يظلمون في جميع بقاع الارض غير الاسلامية حتى كان ما كان بكيدهم وسعيهم من هدم صروح استبداد البابوات والملوك المستعبدين لهم في أوروبا وادالة الحكومات المدنية من حكم الكنيسة فظلموا يظلمون في روسيا واسبانيا لأن السلطة فيها دينية وقد كادوا ولا يزالون يكيدون لهدم نفوذ الديانة النصرانية من هاتين المملكتين باسم الحرية والمدنية ونفوذ الجمعية الماسونية كما فعلوا في فرنسا وان لم يدا فيما كان في روسيا من الانقلاب وفيما تنمخض به اسبانية الآن، فهم يقاومون كل سلطة دينية تقف في وجههم لاجل تكوين سلطة دينية لهم وقد كانت لهم يد في الانقلاب العثماني لانهم كانوا مظلومين أو مضطهدين في المملكة العثمانية فانهم كانوا آمن الناس من الظلم فيها حتى انهم كانوا يفرون اليها لاجئين من ظلم روسيا وغيرها وانما يريدون أن يملكوا بيت المقدس وما حوله ليقموا فيه ملك اسرائيل وكانت الحكومة العثمانية تعارضهم في امتلاك الارض هناك فلا يملكون شيئا منها الا بالحيلة والرشوة ولم يطامعوا أخرى مالية في هذه البلاد فهم الآن يظهرون المساعدة للحكومة العثمانية الجديدة لتساعدهم على ما يبتغون فاذا لم تنبه الامة العثمانية لكيدهم وتوقف حكومتها عند حدود المصلحة العامة في مساعدتهم فان الخطر من نفوذهم عظيم وقريب فانهم قوم اعتادوا الربا الفاحش فلا يبذلون درهما من المساعدة الا لينالوا مثقالا أو قنطارا من الجزاء، واذا كانوا بكيدهم وأمواهم قد جعلوا الدولة الفرنسية ككرة اللاعب في أيديهم فازالوا منها سلطة الكنيسة وكانت تدعى بنت الكنيسة البكر وحملوها على الظلم في الجزائر وهي التي تفاخر الامم والدول بالعدل والمساواة وهي في الذروة العليا من العلم والمدنية والسياسة والثروة والقوة أفلا يقدرّون على أكثر من ذلك في الحكومة العثمانية وهي على ما نعلم من الجهل والضعف والحاجة الى المال ؟؟ وطمعهم فيها أشد، وخطره أعظم، فان بيت المقدس له شأن عظيم عند المسلمين والنصارى كافة فاذا تغلب اليهود فيه ليقموا فيه ملك اسرائيل ويجعلوا المسجد الأقصى (١) هيكلا

سليمان) - وهو قبلتهم - معبدا خالصا لم يوشك أن تشتعل نيران الفتن ، ويقع ما توقع من الخطر ، وفي الأحاديث المنبئة عن فتن آخر الزمان ما هو صريح في ذلك فيجب ان تجتهد الأمة العثمانية في درء ذلك ومدافعة سيله بقدر الاستطاعة لئلا يقع في ابان ضعفها فيكون قاضيا على سلطتها ونسأل الله السلامة

(من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) هذا بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب واتصفوا بالضلالة والاضلال وقوله « والله أعلم بأعدائكم » الخ جمل معترضة بين البيان والمبين أو بيان لأعدائكم والاعتراض ما بينها ، أو متعلق بنصبرا أي ينصركم من الذين هادوا ، أو التقدير من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم كما قال الشاعر

وما الدهر الا تارات فنهما أموت وأخرى ابقي العيش اكدح
أي فنهما تارة أموت فيها الخ ومثله كثير ، والأول أظهر . وتحريف الكلم عن مواضعه هو إمالته وتنحيته عنها كأن يزيلوه بالمرة أو يضعوه في مكان غير مكانه من الكتاب أو المراد بمواضعه معانيه كان يفسروه بغير ما يدل عليه قال الاستاذ الامام التحريف يطلق على معنيين (أحدهما) تأويل القول بحمله على غير معناه الذي وضع له وهو المتبادر لأنه هو الذي حملهم على مجاهدة النبي (ص) وإنكار نبوته وهم يعلمون إذ أولوا ولا يزالون يؤولون البشارات به الى اليوم كما يؤولون ما ورد في المسيح وبمحملونه على شخص آخر لا يزالون ينتظرونه (ثانيها) أخذ كلمة أو طائفة من الكلم من موضع من الكتاب ووضعها في موضع آخر وقد حصل مثل هذا التشويش في كتب اليهود : خلطوا فيما يؤثر عن موسى عليه السلام ما كتب بعده بزمن طويل وكذلك وقع في كلام غيره من الأنبياء وقد اعترف بهذا بعض المتأخرين من أهل الكتاب وإنما كان هذا منهم بقصد الاصلاح . وهذا النوع من التحريف لا يضر المسلمين ولم يكن هو الحامل على إنكار ما جاء به النبي (ص)

هذا ما قرره الاستاذ الامام في الدرس وكتبت في مذرتي عند كتابته كأنه وجد عندهم قراطيس متفرقة أي بعد أن فقدت النسخة التي كتبها موسى عليه السلام فأرادوا أن يؤلفوا بين الموجود فجاء فيه ذلك الخلط ، وهذا سبب ما جاء

في أسفار التوراة من الزيادة والتكرار . وقد اثبت العلماء تحريف كتب العهد العتيق والعهد الجديد بالشواهد الكثيرة وفي كتاب (اظهار الحق) للشيخ رحمة الله الهندي رحمه الله تعالى مئة شاهد على التحريف اللفظي والمعنوي فيها والأول ثلاثة أقسام تبديل الالفاظ وزيادتها وقصاها

فمن الشواهد على الزيادة ما جاء في سفر التكوين ٣٦: ٣١ وهو هؤلاء الملوك الذين ملكوا في ارض ادوم قبل أن ملك ملك بني اسرائيل ، ولا يمكن ان يكون هذا من كلام موسى عليه السلام لانه لم يكن لبني اسرائيل ملك في تلك الارض الا من بعده وكان أول ملوكهم شاول وهو بعد موسى بثلاثة قرون ونصف . وقد قال آدم كلارك أحد مفسري التوراة : اظن ظنا قويا قريبا من اليقين ان هذه الآيات (اي من ٣٢-٣٩) كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة من التوراة فظن الناقل انها جزء المتن فأدخلها فيه !!

ومنها في سفر تثية الاشراع ١٤: ٣ يا بئر بن منسي اخذ كل كورة ارجوب الى نخم الجشوريين والممكين ودعاها على اسمه باشان حوث ياثير الى هذا اليوم ، قال هورن في المجلد الاول من تفسيره بعد إيراد هذه الفقرة والفقرة السابقة « هاتان الفقرتان لا يمكن ان يكونا من كلام موسى (عليه السلام) لان الاولى دالة على ان مصنف هذا الكتاب (سفر التكوين او التوراة كلها) وجد بعد زمان قامت فيه سلطنة بني اسرائيل ، والفقرة الثانية دالة على ان مصنفه كان بعد زمان اقامة اليهود في فلسطين » الى آخر ما قاله ومنه ان هاتين الفقرتين ثقل على الكتاب ولا سيما الثانية .

وقد صرح هؤلاء المفسرون بأن عزرا الكاتب قد زاد بعض العبارات في التوراة وصرحوا في بعضها بأنهم لا يعرفون من زادها ولكنهم يجزمون بأنها ليست مما كتبه موسى . وكثرة الالفاظ البابلية في التوراة تدل على انها كتبت بعد سبي البابليين لبني اسرائيل وهناك شواهد على تحريف سائر كتبهم تراجع في الكتب المؤلفة لبيان ذلك

(ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا) أي ويقول هؤلاء لبني صلي الله عليه وآله وسلم سمعنا قولك وعصينا أمرك روي عن مجاهد أنهم قالوا

سمعنا قولك ولكن لا نطيعك ، ويقولون له أيضا « اسمع غير مسمع » قال المفسرون ان هذا دعاء عليه زاده الله تكريما وتشريفا ومعناه لا سمعت أولا أسمعت الله ، وهذا في مكان الدعاء المعتاد من المتأدين للمخاطب : لا سمعت مكروها ، أولا سمعت أذى ، وقيل معناه غير مقبول ما تقول وهذا مروي عن مجاهد . وقال الاستاذ الامام يحتمل أن يكون المعنى واسمع شيئا لا يستحق أن يسمع ، وأما « راعنا » فقد روي أن اليهود كانوا يتسابون بكلمة « راعينا » العبرانية أو السريانية فسمعوا بعض المؤمنين يقولون للنبي (ص) راعنا من المراعاة أو بمعنى ارعنا سمعت فاقترصوها وصاروا يلوون ألسنتهم بالكلمة ويصرفونها الى المعنى

الآخر (يا بألسنتهم وطعنا في الدين) فيجعلونها في الظاهر راعنا وبلي اللسان وإمالة « راعينا » ينون بذلك الشتم والسخرية أوجله راعيا من رعاء الشاء أو من الرعن والرعونة ، قال في الكشف (فان قلت) كيف جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا (قلت) جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز ان يقولوه فيما بينهم ويجوز أن لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا جعلوا كأنهم ينطقوا به ، وقد تقدم شرح ذلك في تفسير (١٠٣: ٢) يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا) من سورة البقرة وبيننا هنالك ان الاستاذ الامام لم يرتض ما قالوه في كون هذه الكلمة سبا بالعبرانية واختار في تعليل النهي عنها انها لما كانت من المراعاة وهي تقتضي المشاركة نهوا عنها تأديبا لهم اذ لا يليق ان يقولوا للنبي (ص) ارعنا نزعك كما هو معنى المشاركة كما نهوا أن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض (قال) وهناك وجه آخر يقال في اللغة : راعى الحمار الحرج ، اذا رعى معها فكان اليهود يحرفون الكلمة الى هذا المعنى وان كان فيها سب لا أنفسهم على حد « اقتلوني ومالك » ، ومن تحريف اللسان وله في خطابهم للنبي (ص) قولهم في التحية « السام عليكم » يوهمون بقتل اللسان وجمجمته انهم يقولون السلام عليكم وقد ثبت هذا في الصحيح وانه كان عليه السلام بعد العلم بذلك يجيبهم بقوله « وعليكم » أي كل أحد يموت

﴿ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرونا لكان خيرا لهم وأقوم﴾ أي لو أنهم قالوا سمعنا قولك وأطعنا أمرك ، واسمع ما نقول وانظرونا أي أمهلنا وانتظرونا ولا تعجل علينا ، يقال نظره بمعنى انتظره وهو كثير في القرآن ، أو انظر إلينا نظر رعاية ورفق لكان خيرا لهم وأقوم مما قالوه لما فيه من الادب والفائدة وحسن العاقبة

﴿ولكن لعنهم الله بكفرهم﴾ أي خذلهم وأبعدهم عن الصواب بسبب كفرهم أي مضت سنته في طباع البشر واخلقهم ان يمنع الكفر صاحبه من مثل هذه الروية والادب ، ويجعله طريقا لا يبدل الى الخير والرحمة بحبل ولا سبب ، ﴿فلا يؤمنون الا قليلا﴾ من الايمان لا يعتد به اذ لا يصلح عمل صاحبه ولا يزكي نفسه ولا يربي عقله ولو كان إيمانهم بكتابهم ونبيهم كاملا لكان خيرا هاد لهم الى الايمان بمن جاء مصدقا لما معهم من الكتاب ومهيئنا عليه بين ما نسوا منه وما حرفوا فيه ، ثم انه جاء باصلاح جديد في اتمام مكارم الاخلاق ونظام الاجتماع وسائر مقاصد الدين فمن كان على شيء من الخير وجاءه زيادة فيه لا يكون الا مضبوطا بها حريصا على الاستفادة منها - أو لا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه فان الامة مهما فسدت لا يمس الفساد جميع أفرادها بل تغلب سلامة الفطرة على أناس يكونون هم السابقين الى كل إصلاح جديد، هكذا كان وهكذا يكون فهي سنة من سنن الله في الاجتماع ، وقد نبهنا من قبل على دقة القرآن في الحكم على الامم اذ يحكم على الاكثر فاذا عم الحكم يستثنى وهي دقة لم تهمل في كلام البشر

(٤٩: ٤٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا

خاطبهم في هذه الآية بالذين أوتوا الكتاب كما تقدم آنفا في تفسير أوتوا نصيبا

من الكتاب فذاك نبي عليهم بما اضاعوا وحرفوا ، وهذا إلزام لهم بما حفظوا وعرفوا ،
يقول ﴿ يا أيها الذين اوتوا الكتب ﴾ الآهي أي جنسه على السنة أنبيائهم وأتوارة
خاصة ﴿ آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم ﴾ منه من تقرير التوحيد الخالص واتقاء الشرك
كله صغيره وكبيره واثبات النبوة والرسالة وما يبغي ذلك الايمان ويقويه من ترك
الفواحش والمنكرات وعمل الصالحات أي مصدقا لما معكم من أصول الدين وأركانها
التي هي المقصد من ارسال جميع الرسل لا يختلفون فيها وانما يختلفون في طرق حمل
الناس عليها وهدايتهم بها وترقيتهم في معارجها بحسب سنة الله في ارتقاء البشر بالتدريج
جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن كما أن العدل هو المقصد من جميع الحكومات وانما
تختلف الدول في القوانين المقررة له باختلاف أحوال الامم ، فليس من العقل
ولا الصواب ان تنكر الامة تغيير حاكم جديد لبعض ما كان عليه من قبله اذا كان
يوافقه في جعله مقررًا للعدل مقبلا لميزانه بين الناس كما كان أو اكمل ، وفي هذه
الحال يسمى مصدقا لما قبله لا مكذبا ولا مخالفا ، فالقرآن قرر نبوة موسى وداود
وسليمان وعيسى وصدقهم فيما جاؤا به عن الله تعالى ووبخ الاقوام المدعين لاتباعهم
على اضاعتهم لبعض ما جاؤا به وتحريفهم للبعض الآخر ، وعلى عدم الاهتداء والعمل
بما هو محفوظ عندهم ، حتى أن أكثرهم هدموا الاساس الاعظم للدين وهو
التوحيد فانخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما
أمروا الا ليعبدوا إلهًا واحدا كما سيأتي في سورة التوبة ويذكر أيضا في تفسير
الآية الآتية - فتصديق القرآن لما معهم لا ينافي ماناه عليهم من الاضاعة والنسيان
والتعريف والتفريط

﴿ من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها ﴾ أي آمنوا من قبل
أن نزل بكم هذا العقاب وهو طمس الوجوه وردها على أدبارها ، فالطمس في اللغة
هو ازالة الأثر بمحوه أو خفائه كما تطمس آثار الدار واعلام الطرق بنقل حجارتها
أو بالرمال تسفوها الرياح عليها ومنه « ربنا أطمس على أموالهم » و الطمس على
الاعين في قوله « ولو نشاء لطمسنا على أعينهم » يصدق بازالة نورها وبفθοورها

ومحو حدقتها وكذلك طمس النجوم، والوجه يطلق على وجه البدن ووجه النفس وهو ما توجه اليه من المقاصد ومنه « اسلمت وجهي لله » وقوله « ومن يسلم وجهه الى الله » وقوله « فأقم وجهك للدين حنيفا » والأدبار جمع دبر « بضمتين » وهو الخلف والقفاء، والارتداد على الأدبار هو الرجوع الى الوراء يستعمل في الحسيات والمعنويات فمن الأول الارتداد عن الأدبار في القتال وهو الفرار منه ومن الثاني « ان الذين ارتدوا على أديبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم » فظاهر معنى العبارة هنا آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوه مقاصدكم التي توجهتم اليها في كيد الاسلام وزردها خاسئة خاسرة الى الوراء باظهار الاسلام ونصره عليكم وفضيحتكم فيما تأتون به باسم الدين والعلم الذي جاء به الانبياء، وقد كان لهم عند نزول الآية شيء من المكانة والمعرفة والقوة، فهذا ما نفسرها به على جمل الطمس والرد على الأدبار معنويين وبه قال مجاهد ولكن أوجز فقال نطمس وجوها عن صراط الحق فنردها على أديبارها في الضلالة، وقال السدي نزلت في مالك بن الصيف ورفاعة بن زيد بن ثابت من بني قينقاع قال ومعناه فتعميها عن الحق ونرجعها كفارا، وقال الضحاك يعني أن نردهم عن الهدى والبصيرة فقد ردهم على أديبارهم فكفروا بمحمد (ص) وما جاء به . وظاهر كلام هؤلاء ان المخاطبين بهذه الآية هم الذين كانوا على ما يعتقدون انه الحق من التوراة وانهم كانوا معذورين عند الله فيما هم عليه كأنهم الذين قال فيهم « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » فحذرهم من إرجاء الايمان والتسوية به أن يطول عليهم العهد فيصعب عليهم الايمان ويضعف استعدادهم لقبوله بتعلق قومهم بهم وغرورهم هم بمجاهمهم فيهم

وجعل ذلك بعضهم حسيا ظاهريا فقال المعنى نطمس آثارهم من الحجاز ونردهم على اديبارهم بالجلاء الى فلسطين والشام وهي بلادهم التي جاؤا الحجاز منها ورواه ابن زيد عن أبيه . وروي عن ابن عباس ان المراد جعل وجوههم في أقيمتهم وفهم من رواه عنه انه تهديد بالمسخ وقالوا انه يكون في آخر الزمان أو في الآخرة أو هو مقيد بعدم ايمان أحد من أولئك المخاطبين وقد آمن بعضهم والوجه الذي قررناه

أولاً هو الذي اختاره الاستاذ الامام في الدرس فقال طمس الوجه ان يعرض له ما يفظيه فيمنع صاحبه ان يتوجه الى مقصده ومتى بطل التوجه الصحيح الى المقصد امتنع السعي اليه المؤدي الى الوصول وذلك هو الخذلان والخيبة ، أي آمنوا قبل ان نعي عليكم السبيل بما نبصر المؤمنين بشؤونكم ونفريهم بكم فتزدون على أذباركم بأن يكون سعيكم الى غير خيركم

وأورد الرازي وجوهاً أخرى منها ان المراد بالوجوه الوجوه الرؤساء أي قبل ان نزيل وجاهتهم وعزهم ، ومنها ان المراد بطمس الوجوه تقييح صورتها كما يقال طمس الله وجهه وقبح الله وجهه بمعنى تقييح صورتها ، يعني ان ذلك يكون بما يلاقونه من الذل والكتابة عند ما يظلمون على أمرهم

﴿ أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت ﴾ قال بعضهم انه هددهم بالطمس أو اللعن وهو الطرد والاذلال المعنوي ثم انفذ الثاني أي على قول من جعل الطمس بمعنى المسخ وأما من جملة بمعنى الخذلان أو الاخراج من المدينة وجوارها الى الشام فيقول ان الاول قد حصل حتماً ولا نزاع في ذلك . وقال الاستاذ الامام ورد في أهل السبت ان الله أهلكتهم فعنى اللعنة هنا الاهلاك بقرينة التشبيه وبه صرح أبو مسلم ويحتمل ان يكون معنى اللعن هنا عذاب الآخرة والمعنى آمنوا قبل ان تقعوا في إحدى الهاويتين الخيبة والخذلان وفساد الامر وذهاب العزة باستيلاء المؤمنين عليكم وقد كان ذلك في طائفة منهم أجلا من ديارهم وخذلو في كل امرهم - أو الهلاك وقد وقع بقتل طائفة أخرى وهلاكها ﴿ وكان أمر الله مفعولاً ﴾ أي واقما أي شأنه أن يفعل حتماً والمراد هنا امر التكوين المعبر عنه بقوله عز وجل « إنما امره اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون »

(٤٧ : ٥٠) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ

لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا مُّبِينًا (٤٨ : ٥١) أَلَمْ

تَرَى إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ
فَتِيلًا (٥٢ : ٤٩) أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ
إِنَّمَا مُبِينًا

روى ابن المنذر عن أبي مجلز قال لما نزل قوله تعالى (٥٣ : ٣٩) قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور
الرحيم) قام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فتلاها على الناس فقام اليه رجل فقال
والشرك بالله فسكت ثم قام اليه فقال يا رسول الله والشرك بالله فسكت مرتين أو ثلاثا
فنزلت هذه الآية ﴿ان الله لا يغفر ان يشرك به﴾ وروى ابن جرير نحوه عن
ابن عمر، وروى ابن أبي حاتم والطبراني عن أبي أيوب الانصاري في رجل شكك
ابن أخيه للنبي (ص) انه لا ينتهي عن الحرام . وذكر الفخر الرازي أنها نزلت
في وحشي قاتل حمزة (رض) اذ أراد أن يسلم وخاف أن لا يقبل إسلامه وذكر
في ذلك محاوره ومراجعة عزاها الي ابن عباس وهي لا تصح فلا حاجة الى إيرادها
الاستاذ الامام : قالوا ان سبب نزول هذه الآية قصة وحشي وانه ندم على
قتله لما أخلفه مولاه ما وعده من عتقه وراجع النبي (ص) في إسلامه فكأنهم
يثبتون ان الله جلت عظمتة كان يداعب وحشيا وأصحابه ويستميلهم بآية بعد آية
ولا حاجة الى هذا كله فالكلام ملتئم ببعضه مع بعض فهو بعد ما ذكر من شأن
اليهود وان عمدتهم في تكذيب النبي (ص) تحريف أخبارهم للكتاب واتباعهم
لهم في أمر الدين كما قال في آية أخرى (اتخذوا أخبارهم وورهبانهم اربابا من دون
الله) وورد في تفسيرها المرفوع انهم كانوا يتبعونهم في التحليل والتحرير من غير
رجوع الى أصل الكتاب ، فهذه الآية تشير الى انهم وقعوا في الشرك المشار اليه
في الآية الاخرى اذ الشرك بالله يتحقق باعتماد الانسان على غير الله مع الله في طلب
النجاة من رزايا الدنيا ومصائبها أو من المذاب في الآخرة كما يتحقق بالاخذ بقول

بعض الناس في التشريع كالعبادات والعقائد والحلال والحرام وثابت الشرك لليهود هنا وفي تلك الآية لا يناقش تسميتهم أهل الكتاب الذي يدخل فيه الإيمان بالله والانبياؤه فانه قال في الآية السابقة « فلا يؤمنون الا قليلا » أي إيماناً لا يعتد به اذ لا يقي صاحبه من الشرك

اقول قد بينا في مواضع كثيرة من التفسير حقيقة الشرك في الألوهية وهو الشعور بسلطة وتأثير وراء الاسباب والسنن الكونية لغير الله تعالى وكل عمل ينشأ عن ذلك الشعور ، والشرك في الربوبية وهو الاخذ بشيء من أحكام الدين والحلال والحرام عن بعض البشر دون الوحي وهذا النوع من الشرك هو الذي أشار الاستاذ الامام الى تفسير النبي (ص) لآية التوبة به وهي قوله تعالى في أهل الكتاب كلهم (٩ : ٣٢) اتخذوا أبحارهم ودهانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله الا هو ، سبحانه وتعالى عما يشركون) فسر النبي (ص) اتخذهم أرباباً بطاعتهم واتباعهم في أحكام الحلال والحرام كما ذكرنا غير مرة ، فهذا إثبات لطروء الشرك على أهل الكتاب وان لم يجعل ذلك عنواناً لهم في القرآن لانه ليس من أصل دينهم وليبزم عن مشركي الوثنيين ، وبينا أيضاً ان الشرك في الألوهية والربوبية قد سرى منذ قرون كثيرة الى بعض المسلمين حتى عرفت طوائف منهم بنيد الاسلام ألبته كطوائف الباطنية (راجع مباحث الشرك في ص ٥٧ و ٦٨ - ٧٦ و ٣٥٤ - ٣٦٠ من جزء التفسير الثاني وفي ص ٢٤ و ٤٥ و ٣٢٥ و ٣٤٧ من جزئه الثالث و ٨٢ من جزئه الخامس وفي غير هذه المواضع من التفسير والمآثر) وبإثبات الشرك لأهل الكتاب تظهر مناسبة وضع هذه الآية بين هذه الآيات في محاجتهم ودعوتهم الى الاسلام كانه يقول لا يفرنكم انتمواكم الى الكتب والانبياؤه وقد هدمتم اساس دينهم بالشرك الذي لا يغفره الله بحال من الاحوال

اما الحكمة في عدم مغفرة الشرك فهي أن الدين انما شرع للزكية نفوس الناس وتطهير أرواحهم وترقية عقولهم والشرك هو منتهى ما تهبط اليه عقول البشر وافكارهم ونفوسهم ومنه تتولد جميع الرذائل والخسائس التي تفسد البشر في أفرادهم وجماعاتهم لانه عبارة عن رفعهم لأفراد منهم أو بعض المخلوقات التي هي دونهم أو مثلهم الى

مرتبة قدسونها ويخضعون لها ويذلون بدافع الشعور بأنها ذات سلطة عليا فوق سنن الكون وأسبابه وان ارضاها وطاعتها هو عين طاعة الله تعالى أو شعبة منها ذاتها فهذه الخلقة الدينية هي التي كانت سبب استبداد رؤساء الدين والدنيا بالاقوام والامم واستعبادهم إياهم وتصرفهم في أنفسهم وأموالهم ومصالحهم ومنافعهم تصرف السيد المالك القاهر بالعبء الذليل الحقير وناهيك بما كان لذلك من الاخلاق السافلة والردائل الفاسية من الذل والمهانة والدناءة والتملق والكذب والنفاق وغير ذلك

والتوحيد الذي يناقض الشرك هو عبارة عن اعتناق الانسان من رق العبودية لكل أحد من البشر وكل شيء من الاشياء السماوية والارضية وجعله حرا كريما عزيزا لا يخضع خضوع عبودية مطلقة الا لمن خضعت لسننه الكائنات، بما أقامه فيه من النظام في ربط الاسباب بالمسببات ، فلسفته الحكيمة يخضع ، ولشريعته العادلة المنزلة يتبع ، وإنما خضوعه هذا خضوع لعقله وجدانه ، لا لامثاله في البشرية واقارانه ، وأما طاعته للحكام فهي طاعة للشرع الذي رضيه لنفسه ، والنظام الذي يرى فيه مصلحته ومصلحة جنسه ، لا تقديسا لسلطة ذاتية لهم ، ولا ذلا واستخذاء لاشخاصهم ، فان استقاموا على الشريعة أعانهم ، وان زاغوا عنها استعان بالامة فقوّمهم ، كما قال الخليفة الاول في خطبته الاولى بعد نصب الامه ومبايعتها إياه «وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فأعينوني ، وان زغت فقوموني » فهكذا يجب ان يكون شأن الموحدين مع حكامهم وهكذا يكونون سعداء في دنياهم بالتوحيد كما يكونون اشقياء بالشرك الجلي أو الخفي

وأما سمادة الآخرة أو شقاؤها فهو أشد وأبقى ، والمدار فيهما على التوحيد والشرك أيضا ، ان روح الموحدين تكون راقية عالية لا تنهيط بها الذنوب العارضة الى الحضيض الذي تهوي فيه أرواح المشركين ، فهما عمل المشرك من الصالحات تبقى روحه سافلة مظلمة بالذل والعبودية والخضوع لغير الله تعالى فلا ترتقي بعملها الى المستوى الذي تنعم فيه أرواح الموحدين العالية في أجسادهم الشريفة ومهما أذنب الموحدون فان ذنوبهم لا تحيط بأرواحهم ، وظلمتها لا تعم قلوبهم ، لأنهم بتوحيد الله ومعرفة وعز الايمان ورفعته يغلب خيرهم على شرهم ، ولا يطول

الآثم وهم في غفلتهم عن ربهم ، بل هم كما قال تعالى « اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » يسرعون الى التوبة ، وإتباع الحسنة السيئة « ان الحسنات يذهبن السيئات » فاذا ذهب أثر السيئة من النفس كان ذلك هو الغفران ، فكل سيئات الموحدين قابلة للمغفرة ، ولذلك قال تعالى

﴿ ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ أي يغفر ما دون الشرك لمن يشاء من عباده المذنبين وانما مشيئته موافقة لحكمته ، وجارية على مقتضى سننه ، كما بينا ذلك في مواضع كثيرة من التفسير (راجع في الفهارس عند مادة مشيئة) وقد اشرنا اليها آنفا بقولنا ومما اذنب الموحدون الخ وهو بيان لما يشاء غفرانه وسنته في ذلك ، وأما سنته تعالى فيما لا يغفره من الذنوب فتظهر من المقابلة وتلك هي الذنوب التي لا يتوب منها صاحبها ولا يتبعها بالحسنات التي تزيل أثرها السيئ من النفس حتى يترتب عليه أثره السيئ في الدنيا ثم في الآخرة فان العقاب على الذنوب عبارة عن ترتب آثارها في النفس عليها كما تؤثر الحرارة في الزئبق في الانبوبة فيتمدد ويرتفع ، وتؤثر فيه البرودة فيتقلص وينخفض ، فهذا مثال سنته تعالى في تأثير الاعمال الصالحة والسيئة في نفوس البشر وجزائهم عليها كما بينا ذلك مرارا في التفسير وغيره (راجع مادة ذنب وعقاب وجزاء في فهارس التفسير والمنار)

وقد اضطرب في فهم الآية على بلاغتها وظهورها اصحاب المقالات والمذاهب الذين جملوا القرآن عضيض فلم يأخذوه بحملته ويفسروا بعضه ببعض كالجمع بين المشيئة والحكمة والنظام بل نظروا في كل جملة على حدها وحاولوا حملها على مقالاتهم كالمرجئة والمعتزلة والخوارج وغيرهم فهذا يقول ان الشرك وغير الشرك سواء في كونهما لا يغفران الا بعد التوبة وهذا يقول انها دالة على عدم وجوب العقاب على الذنوب وجواز غفرانها كلها ما اجتنب الشرك وذاك يقول انها تكون على هذا مغفرة بالمعاصي مجرئة عليها ، والآية فوق ذلك تحدد ما يترتب عليه العقاب في الدنيا والآخرة حتما لافساده للنفوس البشرية وهو الشرك وتبين ان ماعداه لا يصل الى درجته في افساد النفس فمغفرته ممكنة تتعلق بها المشيئة الآتية فنه

(المارج ١٠ م ١٣) الشرك - فحشه . اليهود والنصارى وتزكيتهم نفوسهم ٧٣٧

ما يكون تأثيره السي في النفس قويا يقتضي العقاب ومنه ما يكون ضعيفا يغفر بالتأثير
المضاد له من صالح الاعمال (راجع تفسير انما التوبة على الله للذين يعملون السوء
بجهالة الخ ص ٤٤٠ - ٤٥٢ من جزء التفسير الرابع)

﴿ ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ﴾ هذه الجملة تشعر بعلة عدم غفران
الشرك والمعنى ومن يشرك بالله واجب الوجود قيوم السموات والارض القائم بنفسه
الذي قام به كل شيء بأن يجعل لغيره شركة مامعه - دع الاتحاد بانكار سلطته
التي هي مصدر النظام البديع في الكون - سواء كانت تلك الشركة بالتأثير في اليجاد
والامداد أو بالتشريع والتحليل والتحرير - من يشرك به في ذلك فقد افترى إثما عظيما
أي اخترع ذنبا مفسدا عظيم الفحش والضرر ، سيء المبدأ والاثر ، تستصغر في جنب
عظمته جميع الذنوب والآثام ، فيكون جديرا بأن لا يغفر وان كان مادونه قد جوه
الغفران ، والافتراء افتعال من فري يفري واصل معناه القطع ، ويطلق على الكذب
والافساد لأن قطع الشيء الصحيح مفسد له والشرك بالقول لا يكون الا كذبا وبالفعل
الا يكون الا فسادا . قال الراغب الفري قطع الجلد للخرز والاصلاح والافراء (قطعه)
للافساد والافتراء فيهما وفي الافساد أكثر ولذلك استعمل في القرآن في الكذب
والشرك والظلم ، وذكر الآية وغيرها من الشواهد .

كانت اليهود تفاخر مشركي العرب وغيرهم بنسبهم ودينهم ويسمون انفسهم
شعب الله وكذلك النصارى وقد حكى الله تعالى عنهم قولهم « نحن ابناء الله واحباؤه »
وقولهم « لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى » وقول اليهود خاصة « لن
نمسنا النار الا اياما معدودة » وكل هذا من تزكيتهم لانفسهم وغرورهم في دينهم
وروى ابن ابي حاتم عن ابن عباس قال كانت اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم
ويقربون قربانهم ويزعمون انهم لا خطايا لهم ولا ذنوب فانزل الله فيهم ﴿ ألم تر الى
الذين يزكون انفسهم ﴾ واخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة ومجاهد وابي مالك .
قاله السيوطي في لباب النقول . اقول وروى ابن جرير ايضا ان سبب نزولها تزكيتهم
لانفسهم بالآيات التي اثمنا اليها آثما . وروى عن السدي انه قال نزلت في اليهود

قالت اليهود انا نعلم أبناءنا التوراة صفارا فلا تكون لهم ذنوب وذنوبنا مثل ذنوب
أبنائنا ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل ، وذكروا روايات أخرى ورجح ان تزكيتهم لانفسهم
وصفهم إياها بأنها لا ذنوب لها ولا خطايا وانهم أبناء الله واحباؤه أما معنى « ألم نزر »
فقد ذكر قريبا والاستفهام للتعجب من حالهم . وتزكية النفس تكون بالعمل الذي
يجعلها زاكية أي طاهرة كثيرة الخير والبركة واصل الزكاة والنمو والبركة في
الزرع ومثله كل نافع فتزكية النفس بالفعل عبارة عن تنمية فضائلها ونخبرتها ولا يتم
ذلك الا باجتنب الشرور التي تعارض الخير وتعمقه وهذه التزكية محمودة وهي المرادة
بقوله تعالى « قد افلح من زكاها » أي نفسه . وتكون بالقول وهو ادعاء الزكاة
والكمال ومنه تزكية الشهود وقد اجمع العقلاء على استباح تزكية المرء لنفسه بالقول
ومدحها ولو بالحق وتزكيتها بالباطل اشد قبحا وهذا هو المراد هنا وهذا النوع من
التزكية مصدره الجهل والغرور ومن آثاره العتو والاستكبار عن قبول الحق والارتفاع
بالنصح ، وقد رد الله عليهم بقوله ﴿ بل الله يزكي من يشاء ﴾ أي ليست العبرة بتزكيتكم
لانفسكم بأنكم أبناء الله واحباؤه وانكم لا تعذبون في النار وانكم ستكونون اهل الجنة دون
غيركم لأنكم شعب الله المختار بل الله يزكي من يشاء من عباده من جميع الشعوب والاقوام
بهدايتهم الى العقائد الصحيحة والآداب الكاملة والاعمال الصالحة أو شهادة كتابه لهم
بموافقة عقائدهم وآدابهم وأخلاقهم وأعمالهم لما جاء فيه « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى »
﴿ ولا يظلمون قتيلا ﴾ أي ولا يظلم الله هؤلاء الذين يزكون أنفسهم ولا غيرهم
من خلقه شيئا مما يستحقونه بأعمالهم ولو حقيرا كالفيتل ، وقد بينا من قبل ان اصل
الظلم بمعنى النقص أي لا ينقصهم من الجزاء على أعمالهم الحسنة شيئا ما بعد تزكيتهم إياهم لان
عدم تزكيتهم انما تكون بظلمهم لانفسهم بعدم اتباعهم لما تكون به النفس زكية من هداية
الدين والعقل ونظام الفطرة . والفيتل ما يكون في شق نواة التمرة مثل الخيط وماقتله بين
اصابعك من وسخ او خيط وتضرب العرب به المثل في الشيء الحقير فهو بمعنى « ان
الله لا يظلم مثقال ذرة » وتقدم تفسيره من عهد قريب فخذلان الملوئين برذيلة الشرك
في الدنيا بالعبودية لغيرهم وغير ذلك من آثار انحطاطهم ، وعذابهم في الآخرة
وحرمانهم من نعمها ، لا يكون بظلم من الله عز وجل لهم ، ونقصه إياهم شيئا من ثواب

أعمالهم ، وإنما يكون بنقصان درجات أعمالهم ، وعجزها عن العروج بأرواحهم ، بل بتدبيرها لنفوسهم ، لتزكيتهم إياها بالقول الباطل دون الفعل ، ولكل درجات مما عملوا ، كدرجات الحرارة في ميزانها ودرجات الرطوبة في ميزانها ، فما كل درجة من الأولى يغلي بها الماء ، ولا كل درجة منها يكون بها جليداً ، ولا كل درجة من الثانية يكون بها المطر ، ودرجات امتحان طلاب العلوم في المدارس ، أو الأعمال في الحكومة لا ينال الفوز إلا بالدرجات العلى المحدد أدناها وأعلاها بالحكمة

والآية تدل على أن الله تعالى يجزي كل عامل خير بعمله وإن كان مشركاً لأن لعمله أثر في نفسه يكون مناط الجزاء فإذا لم يصل تأثير عمل المشرك إلى الدرجة التي تكون بها النجاة من العذاب ألبتة فإن عمله ينفعه بكون عذابه أقل من عذاب من لم يعمل من الخير مثل عمله ، مثال ذلك في الدنيا رجلان يشربان الخمر أحدهما مقل والآخر مكثراً فضرر المكثر يكون أكبر من ضرر المقل ، وآخران متساويان في الشرب ولكن بنية أحدهما قوية تقاوم الضرر إن يفتك بالجسم وبنية الآخر ضعيفة لا تستطيع المقاومة فإن ضرر هذا من الشرب يكون أشد من ضرر ذاك . كذلك الروح القوية السليمة الفطرة الصحيحة الإيمان المزكاة بالعمل الصالح لا تهبط بها السيئة الواحدة والسيئتان إلى درجة الاضرار الفجار فتجعلها شقية مثلهم بل يغاب خيرها على الشر الذي يعترض لها فيزيله أو يضعفه حتى يكون ضررها غير مهلك ، ومنه تعلم أن بعض المؤمنين الصالحين قد يعذب في الدنيا والآخرة بذنبه ولكنه لا يكون من المهالكين الخالدين

والعبرة بهذه الآية وما قبلها للمسلمين هي وجوب اتقاء ما هم عليه من الغرور بدينهم كما كان أهل الكتاب في عصر التنزيل وما قبله وما بعده بقرون ، واتقاء مثل ما كانوا عليه من تزكية أنفسهم بالقول واحتقار من عداهم من المشركين الذي أنجز إلى احتقار المسلمين عند ظهور الاسلام حتى كانت عاقبة ذلك الغرور وتلك التزكية الباطلة في الدنيا أن غلبهم المسلمون على أمرهم ، واستولوا على أرضهم وديارهم وليعلموا أن الله العظيم الحكيم لا يجازي في سنته المطردة في نظام خلقه مسلماً ولا يهودياً ولا نصرانياً لاجل اسمه ولقبه أو لانتسابه بالاسم إلى أصفائه

من خلقه بل كانت سننه حاكمة على أولئك الاصفياء أنفسهم حتى ان خاتم النبيين صلى الله عليه وعليهم اجمعين وسلم قد شج رأسه وكسرت سنه وردّي في الحفرة يوم أحد لتقصير عسكره فيما يجب من نظام الحرب ، فالى متى أيها المسلمون هذا الفرور بالانتماء الى هذا الدين وانتم لا تقيمون كتابه ولا تهتدون به ولا تعتبرون بما فيه من النذر ، ألا ترون كيف عادت الكرة الى تلك الامم عليكم بعد ما تركوا الفرور واعتصموا بالعلم والعمل ، بما جرى عليه نظام الاجتماع من الاسباب والسنن ، حتى ملكت دول الاجانب اكثر بلادكم ، وقام اليهود الآن ليجزوا على الباقي نكم ، ويستردوا البلاد المقدسة من أيديكم ، وقيموا فيها ملكهم ؟؟؟ فاهتدوا بكتاب الله الحكيم وبسننه في الاثم وتركوا وساوس الدجالين الذين يثبون فيكم نزغات الشرك فيصرفونكم عن قواكم العقلية والاجتماعية وعن الاهتداء بكلام ربكم الى الانتكال على الاموات ، والاستمسك بجمل الخرافات ، ويشغلونكم عن دينكم وديناكم بما لم ينزله الله تعالى عليكم من الاوراد والصلوات ، وما غرضهم بذلك الا سلب أموالكم ، وحفظ جاههم الباطل فيكم ، أفيقوا أفيقوا ، تنبهوا تنبهوا ، واعلموا ان الله لم يظلم ولا يظلم أحدا فتبلا فما زال ملككم ، وذهب عزكم ، إلا بترك هداية ربكم ، واتباع هؤلاء الدجالين منكم ،

﴿ انظر كيف يمترون على الله الكذب ﴾ أي انظر يا أيها الرسول كيف يكذبون على الله بتزكية أنفسهم وزعمهم أنهم شعبه الخاص وأبنائه وأجباؤه وانه يعاملهم معاملة خاصة بخروجون فيها عن نظام سننه في سائر خلقه ، وهذا تأكيد لتعجب من شأنهم في الآية السابقة لنعتبر به

﴿ وكفى به إمامين ﴾ أي وكفى بهذا الضرب من آثامهم إنما بينا ظاهرا فانه تعالى لم يعاملهم معاملة خاصة مخالفة لسنن الاجتماع البشري التي عامل بها غيرهم ولكنهم قوم مغرورون جاهلون ، وقد اطلق الاثم على الكذب خاصة ، وعلى كل ذنب ، وقال الراغب الاثم والاثام اسم للأفعال المبطنة عن الثواب ، يعني عن الخيرات التي يثاب الانسان عليها . ثم بين صدق ذلك على الحمر والميسر اذ قال تعالى « فيها لائم كبير » ولا شك ان تزكية النفس ، والفرور بالدين والجنس ،

ما يبطئ عن العمل النافع الذي يثاب عليه الناس في الدنيا بالعز والسيادة ، وفي الآخرة بالحسنى وزيادة ، وتقدم في تفسير « يسألونك عن الخمر والميسر » انه لا يطلق لفظ الأثم الا على ما كان ضارا واي ضرر اكبر من ضرر الغرور وزكوة النفس بالدعوى والتبجح كما يفعل المسلمون الآن في بعض البلاد يغشون أنفسهم بمدحها ، ويتركون الاعمال التي ترفعها وتعليها ، وقد ترك اليهود ذلك منذ قرون ، فهم يعملون للمتهم وهم ساكنون ساكنون ، لا يدعون ولا يتبجحون ، فاعتبروا يا ايها الضاللون ،

فَتَاوِي الْمُبْتَائِنِ

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وبقاقد منا متاخرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صريح لاغفاله

﴿ أسئلة من باريس ﴾

ارسلها منها محمد مختار افندي الى اخيه محمد سليم افندي المسلمي أحد قراء المنار بمصر

(ص ٣٧ - ٤٨)

- (١ من) ما هو الرق (٢) كلمة عمومية على الحقوق التي يفضل الحر فيها العبد (مقارنه) وتكفي الإشارة للفروق ولو البعض
- (٣) كيف ان الشريعة الاسلامية اباحت الرق مع انها شريعة العدل والمساواة
- (٤ - ٦) كيف يحل استمتاع السيد بمملوكته - وكيف يتزوج المسلم أربع حرائر ويتمتع بالاماء بلا حصر (لان ذلك توحشا)
- (٧) ما سبب زيادة أزواج النبي (ص) على أربع اللاتي أباحتهم (كذا) الشريعة
- (٨) لم لا يحكم القاضي بذهب المتخاصمين (بمصر) ولو فعل ماذا يكون الحكم

(٩) كيف كان الزواج في الجاهلية عند العرب وهل تعدد الزوجات كان الغالب أم الغالب (واحدة)
 (١٠ و ١١) ما هي الكفاءة المشروطة للزوجة في الجاهلية - وما هي حقوق المرأة في الجاهلية

سيدي الاستاذ الجليل السيد رشيد رضا

ارجوان تقطع من وقتك الثمين برهة ترد فيها على هاته الاسئلة بطريق الاختصار أو مشيراً الى الكتب التي ينبغي الاطلاع عليها للاستعانة بها على درء هاته الشبه دراً فلسفياً لان أوروبا هي التي تطلب ذلك وليس لها غيركم والرد يكون بالعنوان الموضح ادناه وفي الختام تفضلوا بقبول احترام وتسلميات المخلص محمد سليم المسلمي

﴿ أجوبة المنار ﴾

١ — ما هو الرق

الرق والاسترقاق هو ملك الانسان ويسمى المملوك وقيفاً وكان ذلك مشروعاً عند الامم قبل الاسلام فأقر الاسلام الناس عليه مع الاصلاح الذي يذكر في جواب السؤال الثالث

٢ — ما يفضل الحر به العبد

يفضل الحر العبد في الولاية والقضاء فالرقيق لا يكون إماماً ولا سلطاناً للمسلمين ولا قاضياً عليهم والعملة ظاهرة ، ويفضله بأنه يملك ويتصرف بملكه ، والعبد لا يملك ولذلك لا يرث أهله . وخففت الشريعة عن العبد بعض الاحكام فلا تجب عليهم صلاة الجمعة وعليهم نصف ما على الاحرار من عقوبات الحدود فالحر يجلد على قذف المحصنات ثمانين جلدة والعبد يجلد أربعين ، ويجلد الحر على الزنا مئة جلدة والعبد خمسين جلدة . وهناك أحكام أخرى في عدد الازواج وعدد الطلاق والقود من السيد وغيره من الاحرار وايسر كلها متفقاً عليها في حديث سمرة عند احمد وأصحاب السنن الأربعة ان النبي (ص) قال « من قتل عبده قتلناه ومن جدد عبده جددناه » حسنه الترمذي وفي رواية لأبي داود والنسائي « ومن خصى عبده خصيناه »

انما اقرت الشريعة الاسلامية الناس من المشركين وأهل الكتاب على الرق لانه كان من الامور الاجتماعية الراسخة التي لا يمكن تركها بمجرد تحريمها ولا يكون تركها فجأة خيرا للسادة ولا للارقاء ايضا لان الاولين قد ناطوا بالآخرين كثيرا من أعمالهم الزراعية والتجارية والصناعية والمترلية حتى صاروا عاجزين عن القيام بها بانفسهم وجرى العمل على ذلك قرونا كثيرة حتى ضعف استعداد السادة لهذه الاعمال وصار من المحقق ان العتق العام دفعة واحدة يفضي الى فساد اجتماعي كبير . واما كونه لاخير فيه للعبيد انفسهم اذا هو حصل دفعة واحدة بتكليف شرعي فهو ان هؤلاء صاروا بطبيعة الاجتماع عالة على ساداتهم حتى انهم اذا تركوهم لا يعرفون كيف يعيشون ، ولا كيف يعملون ، فكان من حكمة هذه الشريعة انظرية الاجتماعية ان تقرر الناس على ما جروا عليه في أصل الرق ونضع لهم أحكاما تكون تمهيدا لالغاء الرق بالتدريج فأمرت السادة ان يساواوا العبيد في الطعام واللباس وان لا يكلفوهم ما لا يطيقون وان يعينوهم على أعمالهم ويساعدوهم فيها ، وأوجبت عليهم العتق بأسباب متعددة فجعلته كفارة لبعض الخطايا كالظهار وملازمة النساء في نهار رمضان للصائمين والحنت باليمن ، وجعلت للعتق أسبابا كثيرة منها انه اذا مثل بعبده عتق عليه وصار حرا وورد هذا في الاحاديث المرفوعة وكذلك التعذيب الخفي كالذي اقدم أمته في مقل حار فأحرق عجزها فاعتقها عمر بذلك وعاقبه بل قال صلى الله عليه وسلم « من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته ان يعتقه » رواه مسلم في صحيحه وابو داود في سننه من حديث ابن عمر . وعن سويد بن مقرن قال كنا بني مقرن على عهد رسول الله (ص) ليس لنا الا خادمة واحدة فاطمها أحدنا فبلغ ذلك النبي (ص) فقال « أعتقوها » رواه مسلم وأبو داود والترمذي . وفي رواية انه قيل للنبي (ص) انه لا خادم لبني مقرن غيرها ، قال « فليستخدموها فاذا استغنوا عنها فليخلوا سبيلها » وروى مسلم وغيره عن ابي مسعود البدرى من حديث قال فيه كنت اضرب غلاما بالسوط فسمعت صوتا من خلفي - الى ان قال - فاذا رسول الله (ص) يقول « ان الله أقدر عليك منك على هذا الغلام » وفيه قلت يا رسول الله

هو حر اوجه الله فقال « لولم تفعل لفتحك النار - أو لمستك النار » ولو اتبع المسلمون هذا الارشاد وحده أو لو كان حكمهم بعد الخلفاء الراشدين نفذوا أحكام الشريعة كما كان ينفذها الراشدون لبطل الرق من القرن الاول في بلاد الاسلام على ان الفقهاء الذين اختلفوا فيما تدل عليه هذه الاحاديث من وجوب عتق العبد الذي يضرب ويهان قد صرحوا بأن العتق ينفذ ولو كان المعتق هارلا أو سكران وان حكم القاضي به ينفذ مطلقا ولو كان ظالما في حكمه ، وان الاقرار بالرق لا يمنع دعوى الحرية بعده وان الرقيق اذا ادعى انه حر يصدق ويحكم بحريته الا اذا اثبت سيده ملكه له وان من اعتق جزءا من عبد عتق كله . ثم ان الشريعة قد جعلت جزءا من مال الزكاة المفروضة لأجل فك الرقاب من الرق . ومع هذا كله رغبت المسلمين في العتق ترغيبا عظيما والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جدا . فهذه عدة طرق عملية لابطال الرق بالتدريج بحيث لا يشق ذلك على المالكين ولا يبطل مصالحهم ومنافعهم ولا يجعل أمر المعتوقين فوضي ويوقعهم في مهمة الخيرة في أمر معاشهم ، ومن قرأ أخبار تحرير العبيد في أمر يكة ظهرت له حكمة الاسلام فيما شرعه للناس في هذه المسألة ولكن المسلمين لم يقيموا دينهم كما أمرو ولا سبوا في المسائل التي هي من شأن الحكم . ولذلك قال بعض حكماء الافرنج ان لماوية الفصل الاكبر على أوربا اذ هو الذي حفظ لها استقلالها بحمل الحكومة الاسلامية حكومة شخصية موروثة ولو سار هو ومن بعده سيرة الراشدين لملك المسلمون أوربا كلها وسائر العالم القديم وقد سبق لنا بحث في هذه المسألة من قبل فلا نطيل فيها الآن

ينبغي غير مرة ان إباحة التسري قد كان رحمة من الله بالاماء المملوكات فقد كانوا في الجاهلية يرون ان الاماء يباح لهن الزنا ولا يباح للحرائر وكانوا يتخذونهن للبغاء لأجل الكسب بأعراضهن فحرم الاسلام الزنا تحريما باتا وأباح للناس أن يستمتعوا بما ملكت أيمنهم ليصونوا عرضهن وليكون ذلك وسيلة لتحريرهن فان الامه اذا صارت أم ولد بطل رقها وصارت حرة كالزوجة فما أعدل هذا الحكم وما أحكمه . ولولم ييح التسري بالمملوكه في أمه حريه كلامة الاسلامية يكثر فيها النساء

ويقل الرجال لثقل على النساء المملوكات الرقي بمنه إياهن من أعظم وظائف الفطرة ولا غراهن ذلك بالفسق الذي لا يبيحه الاسلام بحال من الاحوال
وأما حكمة تعدد الزوجات وما يشترط فيها فقد بيناها بيانا كافيا في نحو من ٣٠
صفحة من تفسير الجزء الرابع قترجع فيه من ص ٣٤٤ - ٣٧٤ أو في المنار
وأما كون التمتع بالاماء لا يشترط فيه العدد فقد علوه بكون الأمة ليس لها حقوق
على السيد كالتقسيم والمساواة فلا يضر الاستكثار منهن لذلك . والأصل الصحيح فيه
ان الحرب يقلل أو يفتي فيها الرجال ويبقى النساء لا كافل لهن فيكون من المصلحة العامة وكذا
من مصلحتهن الخاصة في بعض الاحوال ولا سيما في القرون الأولى للاسلام أن يوزعن
على الرجال الغالين لكفالتهم وكفائتهم أمر معيشتهم واخيرا لهن حينئذ ان تكون
معاملتهم كعاملته الأزواج لما تقدم آنفا ولا ضرر في الصحة ولا في الهيئة الاجتماعية
أن يكون للرجل الواحد نسل من نساء كثيرات يعوض على الأمة ما خسرت في الحرب
وانما الضرر ما عليه أوربا الآن من إباحة الزنا واختلاف الرجال الكثيرين على
المرأة الواحدة فان ذلك يقلل النسل كما هي الحال في فرنسا ويحدث أمراضا كثيرة
ولو لا ارتقاء فن الطب في أوربة لأفتها الأمراض الزهرية وغيرها ، ولم يكن في
التسري وتعدد الزوجات مفاسد منزلية كثيرة في أول الاسلام لما كانوا عليه من العدل
ومكارم الاخلاق وسلامة الفطرة وقلة الحاجات واما مسلمو هذا الزمان فان لتعدد
الزوجات فيهم مفاسد كثيرة كما بينا ذلك في تفسير آية التعدد . وجلة القول ان منع الزنا
ووجوب كفالة النساء وإحصانهم والحاجة الى كثرة النسل ، والتوسل الى عتق المملوكات
بصبرورتهن أمهات أولاد هو الذي كان سبب إباحة الاستمتاع بهن وعدم التقيد
بعدد فيهن ولا سيما في حال كثرتهم . وذهب الاستاذ الامام الى انه لا يجوز
للرجل أن يستمتع بأكثر من أربع منهن قياسا على زواج الحرائر بل قال أن آية
إباحة تعدد الزوجات بشرطه تدل على ذلك . والاسترقاق غير واجب في الاسلام
وانما ايج للضرورة ولا ولي الامر من المسلمين منعه اذا رأوا المصلحة في ذلك

٧ - حكمة تعدد أزواج النبي (ص)

ان النبي صلى الله عليه لم يتزوج في سن الشباب والفراغ الا بخديجة وكانت رضي الله عنها ثيبا ، وبعد الكهولة والقيام بأعباء النبوة ومكاشفة المشركين وغيرهم من أعداء النبوة تزوج عدة زوجات ثيبات ومنهن أمهات الاولاد وكبيرات السن ولم يتزوج فتاة بكرا الا عائشة بنت الصديق (رض) وأسباب ذلك بعضه سياسي كتوثيق الروابط بينه وبين القبائل كتزوجه بجورية وهي برة بنت الحارث سيد بني المصطلق فقد كان المسلمون امرؤا من قومها مثني يمت بالنساء والذراري فأراد (ص) ان يمتقوهم وكره ان يكرههم على ذلك اكراما فتزوج سيدتهم فقال المسلمون أصهار رسول الله (ص) لا ينبغي امرهم فأعتقوهم ، ومنها ما كان لاجل كفالة بعض المؤمنات السابقات الى الايمان المهاجرات بعد قتل أزواجهن أو وفاتهم كتزوجه أم سلمة (هند) على كبر سنها وما عندها من الاولاد ، ومنها ما كان لاجل الاصلاح وحمل الناس على الشريعة بالقُدوة كتزواجه بزَيْنَب بنت جحش لإبطال التبنّي وأحكامه الضارة الفاسدة . ومنها مكافأة صاحبيه ووزيره ابي بكر وعمر وتشريفهما بمصاهرته إياهما . وهناك مصلحة عامة وهو ان يوجد في بيت النبوة عدة من النسوة يتعلمن الاحكام الشرعية الخاصة بالنساء ويعلمنها للمسلمات ، وقد كان (ص) لشدة حياته يستحي ان يخاطب النساء بكل الاحكام المتعلقة بهن اذا لم يسألن عنها فكان أزواجه الطاهرات خير واسطة لذلك وهذه حكمة ما كانت تحصل لو اكتفى بزوجة واحدة لا يدري أتعيش بعد فقها كثيرا أم لا . وان شئت مزيد بيان وتفصيل فارجم الى ما كتبناه في ذلك في المجلد الخامس من مجلة المنار وجزء التفسير الرابع ، لا تنس مراجعته ما كتبه الاستاذ الامام وما كتبناه في مسألة زيد وزَيْنَب فان شبهة الاوربيين فيها اكبر وهي منشورة في المجلد الرابع من مجلة المنار وفي ملحق تفسير الفاتحة

٨ - حكم القاضي بمذهب الحنعم

السؤال في هذه المسألة مبهم والظاهر ان السائل يريد القاضي الشرعي الذي يحكم في المسائل الشخصية على الحنفي والشافعي والمالكي وغيرهم ولا يعقل ان يشترط

في القاضي معرفة مذاهب الناس والحكم لكل خصم أو عليه بمذهبه لأن ذلك على نسره أو تعذره مفسدة ويتعارض في الخصمين المختلفي المذهب على ان المذاهب الفقهية متفقة على ان حكم الحاكم يرفع الخلاف ويجب الاذعان له

٩ - الزواج في الجاهلية

كان الزواج عندهن أربعة أنواع كما روي عن عائشة في صحيح البخاري (الأول الاسقبضاع) وهو ان الرجل كان يرسل امرأته الى الآخر ولا يقربها حتى يظهر حملها من الآخر يفعلون هذا ابتغاء نجابة الولد (الثاني) ان ما دون عشرة رجال كانوا يصيرون المرأة فاذا حملت ووضعت اجتمعوا عندها حسب طلبها وقالت لمن أحببت ان هذا ابنك يا فلان فلا يستطيع أن يتمتع الرجل (الثالث) ان من الزواني (وهن البغايا من الاماء) من اذا حملت ووضعت اجتمع الناس ودعوا القافة فألقوا ولدها بالذي يرون فينسب اليه الولد لا يتمتع الرجل منه (الرابع) النكاح الذي بين المسلمين اليوم . فلما بعث النبي (ص) هدم نكاح الجاهلية كله الا نكاح المسلمين اليوم . ومنها نكاح البدل وهو ان يستبدل كل امرأة بامرأة الآخر ، ونكاح الشغار وهو ان يزوج احدهم من له الولاية عليها لآخر على أن يزوجه الآخر من الولاية عليها وتكون كل منهما مهراً للآخرى لا تأخذ شيئاً . ولم في الزواج مفاصد أخرى يينا بعضها في تفسير الآيات التي تشير اليها . ومنها انهم يرثون المرأة كما يرثون الرقيق والحيوان

واما تعدد الزوجات فكان فاشيا فيهم غير مقيد بعدد وقد أسلم بعضهم وعنده خمس أو ثمان أو عشر نسوة كما يينا ذلك في تفسير آية التعدد

١١ و ١٠ - الكفاءة وحقوق المرأة في الجاهلية

كانت الكفاءة عندهم تعتبر بالجنس والنسب والحسب أي الشرف فكانوا لا يرون العجم اكفاء لهم ولا الموالي من العرب وهم لا يزالون على ذلك في عقر جزيرتهم لا يزوجون عجميا عربية صريحة النسب فاذا ارتفعوه زوجوه من الموالي . وكان الشرفاء يترفعون أن يزوجوا بناتهم للأخساء

وأما حقوق النساء في الجاهلية فلم تكن شيئاً مذكوراً وكانوا يستعملون أكل
أموالهن ويعصلونهن أي يمنعونهن الزواج لذلك حتى جاء الاسلام فجعل النساء
مساويات للرجال في كل شيء الا الولاية العامة والخاصة وذلك قوله تعالى (ولهن
مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)

رحلتنا القسطنطينية

❦ أو إقامة عام ، في عاصمة الاسلام ❦

علم قراء النار كافة سبب رحلتنا في أواخر رمضان من العام الماضي الى هذه
العاصمة وشيئا من خبر عملنا وسعينا فيها ، اما وقد عدنا منها الى مصر ، في أوائل هذا
الشهر ، فاننا نذكر لهم ملخص ما بلغ اليه السعي ،

مسألة العرب والترك

اشرفنا في أول مقالة كتبناها عن الانقلاب العثماني عند حدوثه الى العقبات
التي يخشى أن تعوق سير الدستور ومنها تعصب العناصر العثمانية لجنسياتها وقد وقع
ماتوقنا فقد قام كل عنصر يسعى لتقوية عنصره . فأما اليونان والبلغار والارمن فلا
تسأل عما قالوا أو فعلوا ، ولا تعجب مما اقترحوا وطلبوا ، على أن الارمن أعطوا حتى
رضوا ، ولا سبيل الى مرضاة قوم لهم دولة تنازع الدولة العلية في أملاكها ، وتعلم
حتى في عاصمة ملكها ، واما الارنوؤد والكرد والجركس فقد قاموا يسعون لتدوين
لغاتهم ، وترقية أجناسهم ، ولكل منهم في العاصمة أندية وجمعيات ، وأما العرب
فأنسوا عقب الانقلاب جمعية سموها جمعية الاخاء العربي فكنت أنا وكل من اعرف
من العرب العثمانيين في مصر وسورية كارهين لتأسيسها ولما زرت سورية كنت أنفر
الناس منها . ثم ألفت لأن الرأي العام العربي لم يأخذ بيدها لأنه لم يكن يحب ان يعمل
عملا ما في الدولة باسم العرب ، ذلك بأن رأينا أن بقاء الدولة يتوقف على اتحاد

الترك بالعرب فيها ولكن قام بعض أصحاب الجرائد التركية في الآستانة بالدعوة الى الجنسية التركية وحفظ السيادة للعنصر التركي والتنفير من العرب ودعوة الترك الى الاستغناء عن اللغة العربية حتى عن القرآن العربي بترجمته الى اللغة التركية وبطهير التركية من الالفاظ العربية ، فتألم العرب من هذه الأقوال وزادهم تألماً أفعال أخطأت فيها الحكومة بينها في مقالات (العرب والترك) التي نشرناها في جرائد الآستانة التركية والعربية فلا نحب إعادتها

وأينا الحديث قد كثر في هذه المسألة وتناولتها أقلام الكتاب والشعراء فحننا ان تم وتصير مقررة عند العامة فيصعب نزع سوء التفاهم ويتعسر ما نحب من الاتحاد والاعتصام فكان أول سعينا في الآستانة موجها الى إزالة سوء التفاهم بين العنصرين فكتبنا تلك المقالات الست واخترنا لنشر ترجمتها بالتركية جريدة لإقدام لأنها كانت من الجرائد التي آذت العرب بعصبيتها الجنسية عسى أن يزول ذلك بما ننشر فيها ، ثم كان أول من كلمناه في ذلك هو الصدر الأعظم فاعترف لنا بأن الحكومة والجمعية أخطأتا في بعض تلك الامور قال ولكن ليس هنالك سوء نية وانه سيتدارك ذلك بالفعل . وكلمت في ذلك أيضا محمود شوكت باشا وناظر الداخلية وغيرهما من الكبراء ، وقد اهتمني بعض النابتة العربية في أول الأمر بمصانعة الترك أو الحكومة ثم بلوني وخبروني وعلّموا اني مخلص فيما أوافقهم وفيما أخالفهم فيه وبذلك تيسر لي أن اقنعهم بما اقتنعت به بعد طول اختبار الآستانة ورجالها وهو ان العرب والترك عنصران يكونان حقيقة واحدة كالعنصرين المكونين لحقيقة الماء أو الهواء وان الاسلام قد ألف بينهما هذا التأليف وزادته قوة مصلحة بقاء هذه الدولة بهما والخطر عليها من تفرقها ، وان الذين تحاملوا على العرب واللغة العربية من المتفرجين مختلفو الأصول فمنهم من أصله تركي ومنهم من أصله عربي ولعلنا لو بحثنا عن انسابهم لوجدنا أكثر آبائهم من الروم والارمن واليهود والنور وانه لا يجوز لاحد من العرب أن يجعل ذنبهم ذنباً للعنصر التركي ولا أن يحمل سعي الترك لترقية شعبهم منافياً لأخوة العرب ما دام خالياً من العصبية الجنسية كما لا يجوز لطلاب ترقية العرب ان يقصدوا بذلك الا التمهيد للاتحاد بالترك والقيام معهم بتأييد الدولة

واعزازها هذا هو رأي الذي واقفي عليه العقلاء من الترك والعرب في العاصمة وان كان يوجد فيها من المتعصبين المبغضين للعرب الذين يسترون بفضهم بأماج النفاق من يحرف كلامنا في التوفيق والتأليف عن مواضعه لينفروا اخوانا الترك منا والله من ورائهم محيط . وقد تداركت الحكومة بعض خطأها بإلقاء ما كانت امرت به من وجوب جمل المرافعات في محاكم البلاد العربية باللغة التركية وعدم قبول ما يقدم الى الحكومة من شكوى وغيرها باللغة العربية ، كانت شرعت في هذا وذلك ثم علمت بتعذره وبسوء أثره فنفتته ، ثم انها عينت في مدارسها الاعدادية عشر معلمين للغة العربية وذلك فاتحة خير ان شاء الله تعالى

مشروع العلم والارشاد

هذا هو المشروع الاعظم الذي هو المقصد الاول في الرحلة بل من الحياة كلها وهو اذا نفذ يقوي الرابطة والاخوة بين العرب والترك وبين غيرهم من المسلمين كالارمن والكرد بل يؤلف بين المسلمين وغيرهم من الملل كما يقتضي الاسلام - لان كل ما تصوره وادركه من اصلاح حال المسلمين محصور فيه ولذلك كان جل السعي أو كله في هذه السنة لهذا المشروع و بعد العناية الطويل والمراجعات الكثيرة واللجان المتعددة التي عقدت المناقشات فيه وقتنا لتأسيس جمعية العلم والارشاد كما عرف القراء وقد وافقت الحكومة على تأسيسها رسميا وعرف القراء بما نشرناه في الجزء السادس أن من أعضائها المؤسسين مومى كاظم افندي الذي صار بعد التأسيس شيخ الاسلام المملوك ورئيس الشرف للجمعية ومنهم مستشار المشيخة ، والرئيس الثاني لمجلس المبعوثين ، ورئيس كتاب مجلس الشورى وغيرهم من خيار رجال العاصمة فليراجع من شاء امماء وقانون الجمعية في ذلك الجزء من منار هذه السنة بعد التصديق الرسمي على نظام الجمعية توسلا بمولانا شيخ الاسلام الى الحكومة لتقرر لنا ما وعدتنا به من المساعدة المالية لتأسيس مدرسة «دار العلم والارشاد» فكتب أحسن الله جزاءه مذكرة للصدر الاعظم بعد مذاكرته في ذلك والاتفاق معه طلب فيها ان تعطى جمعية العلم والارشاد ثلاثة آلاف ليرة لاجل تأسيس المدرسة المذكورة في نظامها الاسامي وان يقرر مجلس الوكلاء جمل نفقات هذه المدرسة باللغة ما بلغت في ميزانية نظارة الاوقاف من ابتداء السنة المالية القابلة . فوضعت مذكرة الشيخ

موضع المذاكرة في مجلس الوكلاء الخاص بقرار المجلس قبول المذاكرة والمواقفة على المبلغ المطلوب واستحسان نظام الجمعية الا انه ذكر في صورة القرار الذي بلغ من مقام الصدارة الى المشيخة ونظارتي الاوقاف والمعارف ان المجلس استحسن ان يعبر عنها « بانجمن علم وارشاد » بدل (جمعية العلم والارشاد) وأن تكون المدرسة تحت ادارة ومسئولة شيخ الاسلام

بلغنا شيخ الاسلام قرار مجلس الوكلاء فاجتمع مجلس ادارة الجمعية يوم الجمعة (١٩ رمضان - ٢٣ سبتمبر) للمذاكرة فيه بقرار الاعتراض على جعل المدرسة تحت مسؤولية شيخ الاسلام لانها تكون بذلك رسمية وقد بلغ الكاتب العام للجمعية شيخ الاسلام ذلك كتابة وتكلم معه في وجوب جعل المدرسة خاصة بالجمعية خالية من الصفة الرسمية فوافق الشيخ على ذلك ووعد وعدا مؤكدا بالكتابة الى الباب العالي بوجوب تعديل قرار مجلس الوكلاء وجعل المدرسة مما يطلقون عليه اسم « المكاتب الخصوصية » وكذلك قال ناظر المعارف ووعد بعض اعضاء الجمعية بالكتابة الى الباب الى العالي بذلك وصرح بأن جعل المكتب ذا علاقة بالحكومة ضار وانه خلاف ما كان اتفق عليه ، ولماذا يكون ضارا ؟

صرحنا في المادة الثالثة من نظام الجمعية الاساسي بأن هذه الجمعية لا تشتغل بسياسة الدولة العلية الداخلية ولا الخارجية ولا سياسة غيرها من الدول ولكنها تراعي القانون الاساسي وتؤيده ، ونص المادة الثانية الميمنة مقصدها هو

« المادة الثانية - مقصد هذه الجمعية الجمع بين التربية الاسلامية وتعليم العلوم الدينية والدينية والتصنيف فيها وتوسل الى ذلك بانشاء مدرسة كلية في دار السعادة باسم « دار العلم والارشاد » لتخرج العلماء والمرشدين »

فالمراد من الجمعية ومدرستها الكلية هو الاصلاح الديني الاجتماعي اى إنارة عقول المسلمين بالعلوم النافعة وتربية نفوسهم تربية صالحة ليعلموا كيف يعمر دنياهم مع حفظ دينهم ذي الاداب العالية أن يتال منه الخراب . ويدخل في ذلك اقتباسهم لما لا بد لهم منه من المدنية العصرية وفنونها وأعمالها . فاذا دخلت السياسة في مثل هذا العمل أفسدته . ولا شك أن الدول الاوربية تعد جعله تحت ادارة شيخ

الاسلام عين السياسة وتتهم الدولة بأنها تريد به تهيج التعصب الاسلامي لان شيخ الاسلام هو العضو الأول في مجلس وزراء الدولة وإذا قاومت أوربا هذا المشروع لا يثمر النمرة المطلوبة ولا تتقى مقاومة أوربا الا بجعله في معزل على السياسة والحكومة ظاهرا وباطلا لأن الذين اكتشفوا الاشعة التي تخترق الكائنات حتى يرى ما وراءها ووضعوا المناظير المكبرة التي يرى بها ما لم تكن ترى مثله زرقاء البهامة لا يسهل على أمثالنا في ضعفنا وجهلنا ان نخدعهم ، وإذا كان هذا العمل في أيدي جمعية مخلصه ليس لها صفة رسمية لا يمكنهم ان يعترضوا عليها اعتراضا رسميا ، وإذا اتهموها بالسياسة باطلا سهل عليها مع الصدق والاخلاص اقناعهم ببرائتها كما وقع للجمعية الخيرية الاسلامية بمصر ، اهتمت بالسياسة ومساعدة مهدي السودان على الحرب ولكن لم تلبث أن ظهرت براءتها باخلاص وجاها

هذا هو رأيي ورأي محمود شوكت باشا ذكره لي قبل ان أذكره ووافق عليه شيخ الاسلام وناظر المعارف وهو رأي أعضاء الجمعية المؤسسين أيضا ولاجل هذا يسعون في تعديل قرار مجلس الوكلاء . ولولا هذا وافقت ناظر الداخلية أولا وشيخ الاسلام أخيرا على جعل نفقات المدرسة من المالية دون الاوقاف ولكنني ما زلت اراجع في ذلك من أول السعي الى آخره اذ قال لي شيخ الاسلام في يوم الاثنين ١٦ أو ١٧ شعبان (٢٢ اغسطس غ) ان الوكلاء الفخام يرون من المناسب ان تكون نفقات المكتب السنوية في ميزانية العلمية (التابعة للامشيخة الاسلامية) وأما أرى ذلك لان هذه خدمة دينية من جنس خدمة المشيخة فيحسن ان تكون نفقاتها تابعة لها فما تقول انت يا عزيزي (قلت) ما ترونه حسنا فهو حسن ولكنني لأزال أرى ان تجعل نفقات مكتبنا في ميزانية الاوقاف حتي لا يكون للمشيخة وجه للتدخل في امره إذ الأولى أن يكون مستقلا تمام الاستقلال دونها الخ ما قلته ووافقني عليه بل قلت لغيره من العطاء لولا انني خشيت ان تسيء الدولة الظن بالمشروع لا اقترحت ان يكون في الحجاز أو في مصر وأقول الآن اذا لم يعدل مجلس الوكلاء القرار كما وعد شيخ الاسلام وناظر المعارف فالمسلمون لا يستغفون عن جمعية اخرى كهذه الجمعية يكون مركزها مصر لان جمعية الاستانة لا تأتي بالفائدة المطلوبة اذا كانت رسمية أو شبه رسمية

الجمعية العلمية

❖ في الآستانة ❖

كان تأليف الجمعيات ممنوعاً من البلاد العثمانية في العصر الحديدي المظلم بل كان لفظها ممنوعاً أيضاً حتى كاد يمنع الاجتماع للعبادة بغير مراقبة كما منع غيرها البتة، وقد بينا ذلك في المجلد الثاني عشر. ولهذا اندفع العثمانيون بعد الانقلاب إلى تأليف الجمعيات كما هو شأن الناس في المنوع إذا أبيع بعد التشديد في منعه فألفوا جمعيات كثيرة بأسماء مختلفة لمقاصد مختلفة، وبعض تلك المقاصد أصل ثابت، وبعضها نشأ عن وهم عارض، ولما زرت سورية بعد الانقلاب رأيت في كل من بيروت وطرابلس ودمشق جمعية تسمى « الجمعية العلمية » ألفها أفراد من صنف العلماء المسلمين ولم يكن بينها صلة وربما كان بعضها تقليداً وقد سمعت يومئذ عن جمعية دمشق أن الغرض منها حفظ جاه مؤسسيها ومقاومة رجال الدستور وذلك لم يدخلوا فيها خيار العلماء الأحرار العاملين، ومهما قيل فيها وفي غيرها وسواء صح أو لم يصح فلا يمكن أن يدعي أحد أنها عملت شيئاً لخدمة العلم أو الدين

ولما زرت الآستانة في العام الماضي سمعت أخباراً متعارضة عن الجمعية العلمية أنني أسست فيها وكنت قد سمعت قبل ذلك أنها جمعية جهود تعارض كل إصلاح ديني أو غير ديني إذا لم يقم عندها دليل من فقه الحنفية عليه، وإن مجلتها (بيان الحق) أنشئت لهذا الغرض فهي ترد على المجلة التركية الإصلاحية (أصراط مستقيم) التي يكتب فيها محبو الإصلاح كوسي كاظم أفندي (شيخ الإسلام الآن) وإسماعيل حقي أفندي المناصري وأضرابهما من شيوخ الآستانة وشبانها المحبين للإصلاح، وبلغني أيضاً أنها ردت على المنار في مسألة الاستقلال والتقليد. بل كان شاع أن علماء الآستانة هم الذين أوقدوا نار فتنة ٣١ مارت (١٣ أبريل) المشهورة وأن الحكومة الدستورية قتلت كثيرين منهم

لهذه الاخبار والاشاعات كانت صورة الجمعية العلمية في ذهني غير جميلة عند ما جئت الآستانة واتفق ان سمعت من بعض اكابر رجال السياسة هناك شكوى من جمود العلماء وتعصبهم حتى قال لي من لا اسمي منهم ان مشروعك الذي جئت لتأسيسه هنا لا يخشى عليه الا من العلماء فانهم هم العقبة في طريق الاصلاح ولم نفوذ عظيم لاتباع العامة لهم . ثم اتيت علمت بعد طول الاختبار ان كثيرا مما كنت أسمعهم باطل و بعضه مبالغ فيه وانهم لم يكن لهم يد ولا أصبع في الفتنة بل كان لهم الأثر الصالح في إطفاء نارها وحمل الناس من العسكري وغيرهم على طاعة الحكومة الدستورية ولكن بعض رجال الفتنة قد لبسوا لها لباس العلماء حتى قيل انهم اشتروا نسيج العائم الأبيض من خارج الآستانة

لما عرضت مشروعي على الصدر الأعظم أول مرة عقد له بالاتفاق مع عميد جمعية الاتحاد والترقي لجنة علمية مؤلفة من أمين الفتوى أسعد افندي ومستشار المشيخة مصطفى افندي أوده مشلي واسماعيل حقي أفندي المنسترلي وموسي كاظم افندي من الاعيان وكلهم من كبار شيوخ العاصمة فلما اتفقوا على استحسان المشروع كما ذكرت ذلك في وقته في رسائلي من الآستانة حمدت الله على وجود أمثالهم واعتقدت انه لا بد ان يوجد كثير من العلماء على رأيهم ومشربهم ولا سيما من الشبان والكهول وصرت أمدح علماء الآستانة فيقول لي بعض أهلها لا تقس على هؤلاء فلا كثرون متعصبون غلاة في مقاومة كل إصلاح والجمعية العلمية هي بوثة التعصب ثم اسمعني التوفيق بقاء بعض رجال العلمية في مجلس المبعوثين وغيره فوأيت فيهم من آيات الغيرة والاخلاص والميل الى الاصلاح ما حمدت الله عليه واعتقدت أنه لا خوف على مشروعي منهم بل رجوت أن يكونوا من خير المساعدين عليه اذا هو تم بمساعدة جمعية الاتحاد والترقي وان يقوموا هم به اذا لم تساعدني تلك الجمعية من جهة الحكومة ولكنني لم أطالبهم بذلك لاني لم أكن اسمع من الحكومة الا الوعود الجميلة حتى تم المشروع على الوجه الذي بيناه

ولما عزمتم على السفر من الآستانة الى مصر كتبت في جريدة الحضارة ذلك الخطاب الى علماء الاسلام في الآستانة وسائر البلاد الاسلامية (وهو مسترأه قريبا في هذا الجزء)

وأحييت ان أجلة تهديد الزيارة الجمعية العلمية في ناديهما وابداء شيء من التفصيل في الاصلاح الاسلامي لجمهور رجالها ، فأريت للخطاب من التأثير فيهم فوق ما كنت احسب حتى كنت القى الواحد منهم في الطريق أو في بعض الدور أو المعاهد العامة كالمساجد والمدارس فأجده حافظا لبعض جملها يتلوها عليّ معجبا مثنيا وقال لي بعضهم ان رجال الجمعية العلمية قد أعجبوا بهذه المقالة واقترح بعضهم ترجمتها بالتركية ونشر الترجمة في مجلة الجمعية (بيان الحق) فملت ان ما كنت اسمعه من أبناء الدنيا في علماء الآستانة من التعصب والجود ناشيء عن سوء فهم أو سوء قصد كما يقال ورغبت في زيارة الجمعية في ناديهما وذكرت ذلك لبعض أعضائها فأخبرني انه قد تقرر أن لا يجتمعوا فيما بقي من ليالي رمضان القليلة (قال) فلا بد ان نرسل الى من يوجد منهم في الآستانة دعوة خاصة ولا شك انهم يسرون بذلك وموعدا ليلة الاثنين ٢٩ رمضان . ولما جئت النادي لمقاتمتهم ألفتهم حافلا بجمهور عظيم منهم غص به النادي و بعد التحية واستراحة قليلة أقيمت عليهم خطا بالارنجاليا طويلا لا تقل مدته عن ساعتين فتلوه بالقبول والارتياح التام وسألهم هل انتقدوا منه شيئا فلم أجدهم انتقادا بل إجماعا على جميع مسائله وثناء لا أنذكر جميع ماقلته في ذلك الخطاب من المسائل والدلائل ولكن لم أنس مقاصد الكلام وأقطابه وهي ثلاثة (١) وجوب تعارف العلماء وتعاونهم على خدمة الامة والدولة فان هذا العصر عصر الجمعيات لا يستطيع أحد ان يعمل عملا لامته الا ويتوقف نجاحه التام على قوة جمعية تظاهره وتعاونه عليه (٢) تساهل العلماء في خلاف المذاهب في الاصول والفروع والاكتفاء في عقد الاخوة الاسلامية بين جميع المسلمين بالمسائل المجمع عليها (٣) إحياء هداية الكتاب والسنة في المسلمين وبث دعوتهم والذب عنهما فما قلته في المقصد الاول ان علماء الاسلام في عهد نهضتهم العلمية الاولى في بلاد العراق والفرس والشام ومصر وافريقية والانديس كانوا يتعارفون بالسياحة ونقل الكتب من قطر الى قطر حتى كان المعاصرون في الشرق والغرب ينقل بعضهم عن بعض كما ترى في كلام ابن خلدون عن كتب سعد الدين التفتازاني وابن هشام . ثم ذكرت ما بين علماء المسلمين من التقاطع بين المسلمين في هذه العصور الاخيرة على سهولة المواصلات وكثرة المطابع . ويثبت ان علماء الآستانة من أجدر العلماء

بخدمة الاسلام والتعارف بين سائر علماء الاقطار ولكنهم على كثرتهم وجدهم واجتهادهم في العلوم الاسلامية لا يكاد يسمع لهم صوت في قطر من الاقطار كمصر والغرب والهند وقد كان لذلك سببان (احدهما) سياسي وهو ظلم السلطان عبد الحميد ومنعه لمثل ذلك وقد زال (وثانيهما) عدم التكلم والكتابة باللغة العربية وكان من غلظهم قراءة كتب الفنون العربية والعلوم الشرعية بالترجمة ولا سيما التفسير والحديث والاصول فان هذا يضيع عليهم زمانا طويلا في التحصيل ولو كانوا يتقنون اللغة العربية نفسها قراءة وتكلموا كتابة ثم يدرسون فنونها وعلومها لكان يكون تحصيلهم اسرع واكمل وتعبهم فيه اقل ، ولكن لم آثار كثيرة يعرفهم بها علماء الاقطار الاسلامية كلها وهذا السبب يسهل عليهم تداركه في زمن قليل وينبغي ان يكون في مجلتهم (بيان الحق) قسم عربي لتكون وسيلة لاتصالهم بسائر علماء المسلمين الذين يعرفون هذه اللغة هما كان جنسهم ولقبتهم وينت في المقصد الثاني ما دل عليه العلم بأخلاق البشر وطباعهم وما أفادته التجارب من اقتضاء رد الفرق بعضهم على بعض ثبات كل على رأيه ومذهبه وحرصه عليه وإغرائه بعداوة المخالف والنظر الى كلامه بعين السخط لا بعين الروية والانصاف ، ومن اقتضاء اتساع التنافس والمواودة والنظر الى الاشياء بقصد استبانة الحقيقة وعاقبة ذلك ظهور الحق على الباطل ، واستشهدت على هذا ما كانت عليه الأمم الأوربية من التنازع والتعادي في الدين والسياسة لاختلاف المذاهب والمطامع وما آل اليه أمرها من عقد الدول المحالفات والموالات السياسية بعضها مع بعض ، ومن حذو الجمعيات الدينية حذو الدول في الاتفاق على المخالفين ووضع الحدود للدعوة الدينية كحدود النفوذ السياسي ، وكان بين فرقهم الثلاث - الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت - نزاع شديد ومعارضات قوية بعد تلك الحروب المعروفة ، فضعف ذلك واتفقت جمعياتهم كما اتفقت دولهم على اقسام البلاد الاسلامية والوثنية كاقسام روسية وانكلترة ابلاد الفرس فعلينا أن نعتبر بأحوال الأمم ، ونجتهد في إدالة الوفاق من الخلاف والحب والاتلاف من العداوة والبغضاء ، والخلاف بين الفرق الاسلامية الكبرى - السنية ، والشيعة الامامية والزيدية ، والاباضية ، أهون من الخلاف بين المذاهب النصرانية التي يحكم كل فريق منها بكفر الفريق الآخر

وذكرت أيضا ما اتفق عليه أئمة أهل السنة من عدم تكفير أحد من أهل القبلة ومن افتاء الفقهاء بترجيح القول الضعيف بعدم التكفير على مئة قول قوي بالتكفير، ومقابلة ذلك بما عليه الجامدون من أدعاء العلم المتأخرين اذ يكفرون من يخالفهم حتى في الفروع الظنية بل في الامور العادية التي ليست من الدين في شيء، وبذلك شتتوا شمل الاسلام ومزقوا نسجه. وذكرت لهم جمعية ندوة العلماء في الهند وان من مقاصدها التأليف بين أهل المذاهب الاسلامية والدعوة الى الاسلام والحكومة الانكليزية مساعدة لهم على ذلك، وما ذكره لي بعض علماء الشيعة من ميل علماء النجف وايران الى الوفاق وترك بعضهم تدريس الكتب التي تشتمل على الرد على أهل السنة، وما أعلمه من ميل علماء الاباضية الى مثل ذلك، وان حوادث الزمان وعبره قد اعدت المسلمين للاتفاق والاتحاد الديني فعلى العلماء أن يقتنوا هذه الفرصة في كل البلاد ولا سيما في الآستانة فاذا قصروا فاتهم الفرصة وخرج الامر من أيديهم..... واشرت الى ما قاله الغزالي في القسطاس المستقيم من كفاية المتفق عليه في الدين للهداية وقلة من يعمل به فان المذاهب كلها متفقة على توحيد الله وتنزيهه وسائر أصول الايمان وعلى تحريم الفواحش مظهر منها وما بطن، وعلى أركان العبادات وأصول جميع الخيرات، فأين من يعمل بما اتفقوا عليه؟

وذكرت في بيان المقصد الثالث ان الدعوة الى الاصلاح الاسلامي وترقية المسلمين في دينهم ودنياهم لا يمكن ان تكون الا بهداية الكتاب والسنة لما لها من التأثير في النفوس باسنادهما الى الله عز وجل ورسوله (ص) ولما فيها من الحكم والعبر التي لا توجد في كتب الكلام والفقهاء ولائها الأساس المتفق عليه عند كل المذاهب. وقلت قد علمت ان بعض الناس هنا كانوا يظنون ان « المنار » قد سلك هذه الطريقة لأجل أن يدون مذهبا جديدا ويحمل الناس على ترك مذاهبهم اليه وقد صرحت بنفي هذه الشبهة غير مرة فأنا لا أريد ان احدث مذهبا جديدا ولا أجيئ لنفسي ذلك وإنما سلكتها لاسباب (١) ان المنار عام لجميع المسلمين لا لأهل مذهب واحد منهم فوجب أن يكون هديه بما هو الأصل المتفق عليه بينهم (٢) للكتاب والسنة من التأثير في النفس والسلطان على القلب ما ليس لكلام أحد كما تقدم آفنا

فالدعوة الى الاصلاح بها اسرع قبولا ، وأقرب حصولا (٣) انها مشتملان على كل ما يحتاج اليه لاجل الهداية والنهضة الاجتماعية التي هي أصل كل ارتقاء (٤) ان ما يذكر في المآرج من الأحكام الشرعية يقصد به إما بيان حكمة الشارع فيه وكونه موافقا لمصلحة الناس في كل زمان ومكان وإما الدفاع عن الاسلام ورد شبهات المعارضين عليه من الافرنج وغيرهم وهم لا يحفلون بالرد على أقوال الفقهاء وآرائهم الاجتهادية وانما يصوبون سهامهم الى أصل الدين وهو الكتاب والسنة وحسبنا ان ندافع عن أصل ديننا ونبين حقيقته وحكم أحكامه وموافقتها للعقل والفطرة ومصالح البشر . واني قد نشأت على مذهب الشافعي في الفروع والاشعري في العقائد (روح) ولست استطيع إقناع الناس بما ذكرت اذا انا التزمت هذين المذهبين الذين قرأت كتبهما وحاولت ان اود الشبه عن العقائد وأبين حكمة الشريعة منها أو بهما ، وكذلك يقال في سائر المذاهب

(قلت) مثال ذلك ما جرى لاحد إخواننا الذين على طريقتنا في مصر: كان مدرسا في مدرسة الحقوق للشريعة على مذهب الحنفية وكان بعض الطلبة من المسلمين وغيرهم يوردون الشبه على بعض المسائل الفقهية ويرون ان حكم القانون أقرب الى العدل وامن للمصلحة من الحكم الشرعي فكان ذلك المدرس يراجع قبل الدرس ما يتعلق بمسائله من الآيات والاحاديث ان كانت ومن أقوال سائر أئمة الفقه فاذا أورد طالب شبهة على حكم وظهر له جواب مقنع اجاب به والا قل للطالب ان ما ذكرته لا يرد على أصل الشريعة وانما يرد على رأي الامام ابني حنيفة أو الامام ابني يوسف (مثلا) في هذه المسألة وهو رأي اجتهادي ظني عنده وقد خالفه فيه الامام مالك أو الشافعي (مثلا) واحتج بحديث كذا (مثلا) فان كان هنالك آية أو حديث صحيح التزم الدفاع عنه والا ذكر من أقوال الأئمة الاجتهادية ما يراه أقرب الى إقناع السائل وامثاله يعدل الشريعة

هذا أهم ما ذكرته وأحييت نشره ، وبعد ان عدت الى مصر جاءني العدد ٨٠ من مجلة (بيان الحق) فقرأت فيها كلاما عن هذا الخطاب فيه اشارة الى غير ما تقدم من المسائل وهذه ترجمته بالمرية:

﴿ حول خطبة رشيد رضا افندي ﴾

خطب رشيد افندي رضا احد علماء طرابلس الشام وصاحب مجلة (المنار) التي تصدر في مصر خطبة شائعة في مركز الجمعية العلمية الاسلامية ليلة ٢٩ رمضان بحضور جم غفير من العلماء . ألقى هذه الخطبة التي نحن بصددناها باللغة العربية وقد فصل القول فيها تفصيلا استمر ساعتين من الزمن

ابان في موقفه هذا مارى اليه في مقالته التي وجهها الى جميع علماء المسلمين المنشورة في جريدة الحضارة بعددها ٢٤ الصادر في ٨ ايلول سنة ١٣٢٦ (مالية) واثبت بالادلة والبراهين القاطعة ان جمود علماء الاسلام الآن باعث على تأخر الامة الاسلامية وعدم سعادتها وبعد ان اقنع جميع الحاضرين بأنه اذا ظل العلماء على ما هم عليه ولم يحافظوا على علوم مركزهم تظهر فيهم اذ ذاك اعراض الاقراض والملاشاة ، ثم ذكر مآصده الجمعية العلمية من الموانع والمشاكل اذا بقيت منحصرة في لجان محدودة . وانه يجب ان يؤسس لها فروع في جميع اطراف المملكة العثمانية ثم تؤسس لها ايضا فروع ولجان عمومية في كافة اقطار الارض المعمورة بالام الاسلامية . وبين فائدة ارتباط شعب هذه الجمعية بعضها ببعض وما ينجم عنها من الفوائد العظيمة اذا سارت هذه اللجان بطريقة جديدة في الاتصال بمركز الجمعية العمومي في الامور الدينية المهمة والمباحثات المعضلة الدقيقة فهي تساعد على خدمة الاسلام خدمة حقيقية وتوسع دائرة نظامه في العالم المعمور

ثم ذكر ما كان بين علماء الاسلام في المشرق والمغرب من الارتباط في زمن سعد الدين التفتازاني يوم كانت وسائل النقل والسفر صعبة شاقة فقد كان حينئذ علماء الاسلام يبادلون المحابر والمباحثات في دقائق الامور وان آثارهم الموجودة الان لأعظم شاهد على إلحاح كل فريق منهم بمؤلفات الفريق الآخر

وأما اليوم فانه من المعلوم عند الجميع ان وسائل النقل تقدمت تقدما عظيما ولكن من المحزن ان علماء المسلمين لم يوجد بينهم أقل اتفاق ولا تعارف وقال انه مع الفخري هذه الخدمة الجليلة يسعى بتأسيس وتشكيل جمعية علمية اسلامية في مصر وسائر البلاد العربية

ثم تكلم عن شكل الجريدة التي ستكون ناشرة لافكار الجمعية العلمية فقال :
 ان من المتعسر نشر هذه الجريدة بلغات مختلفة ولكن من الامور المقررة ان علماء
 الاسلام معها اختلفت لغاتهم والى أي عنصر نسبوا بأي لسان تكلموا فلا بد ان يكونوا
 متضمنين في اللغة العربية ولذلك استصوب ان تنشر الجريدة باللسان العربي
 وتم بين علماء الصين والهند وجاوا والترك والافغان والمعجم وجميع البلاد الاسلامية
 وبهذه الطريقة المثلى يحصل التعارف بين كافة علماء هذه البلاد وتدور المباحثات في
 المسائل المهمة وعندها تظهر هذه الجريدة حافلة بالمقالات العظيمة التي تكون سببا لخدمة
 الدين والامة الاسلامية بما يورد فيها من الاسئلة والاجوبة التي تمحص الحقائق للمسلمين
 ثم انتقل مؤرخا في خطابه الى الكلام عن اختلافات المذاهب وتعدد الفرق
 وبين ان هذه المجادلات والمناقشات التي تحصل بين الفرق المتخالفة عقيدة لا فائدة
 فيها بل انها كانت سببا لتفريق كلمة المسلمين فقد ظهر بالاختبار ان هذه الاختلافات
 لم تولد الا الضرر العام وأوضح في عرض حديثه ضرورة الاحتراس من المجادلات
 والمباحثات التي تحصل من بعض الفرق باسم الدين الاسلامي لان كل فريق من
 هؤلاء المخالفين يكفر ويضلل الفريق الآخر لخلافته له في أمور ليست من الامة بمكان
 فيجب على من يكون صحيح الرأي في هذه المسائل ان يؤيد آراءه وأفكاره بالدلة
 والبراهين الناصعة ثم انتقل أيضا الى البحث في أحواله الخصوصية فذكر انه شافعي
 المذهب ومقلد وما ينسبه اليه بعض الناس من الدعوة الى الاجتهاد (كذا) هو ناشئ
 عن سوء التفاهم فقط وتكلم أيضا عن المذاهب الاربعة فقال ان ظهور مجتهد بعدهم
 متعسر ولا ينكر احد ان الاحوال تغيرت تغييرا محسوسا بعد زمانهم فيجب اذا ان
 تتغير بعض الاحكام

وذكر لنا انه برد في مجلته على المقالات التي تنشر في جرائد أوروبا باعتراضا
 على الاسلام مستدلا بالآيات والأحاديث ولذلك حلت كتاباته واستدلالاته محل
 الدقة والاعتبار وقال انه يجب لاقناع الخصم الاستدلال من الكتاب والسنة وختم
 كلامه بأن ما ينشره في مجلة المئارج يؤيد كل ما ذكر (١)

الى علماء الاسلام الاعلام (*)

« في الاستانة وسائر الولايات العثمانية ومهر وتونس والمغرب والنجف »
« وفارس والقوقاس وقران والهند وسائر البلاد المشرقية »

كنتم وكانت الامة الاسلامية بكم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيخضع لكم الملوك والامراء ، وتهتدي بكم الدهماء ، كنتم فبتم أو كدتم ، وبعدم عن الامة وبعدت الامة عنكم ، فسرى الإلحاد الى خواصها لانكم لستم أنتم الذين تتولون تعليمهم ، واستشرى الفسق والفساد في عوامها لانكم تركتم وعظهم وارشادهم ، فأنتم مسئولون في الدنيا والآخرة عن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فبم تحييون ، وماذا تقولون

اذا أضغتم الامة أضغتم أنفسكم ، ولا تفرنكم هذه البقية الضئيلة من احترام الحكام لكم ، واعلموا ان كل مالكم الآن من بقايا الشرف والرزق يكون حينئذ على شرف الزوال ، وإن منكم من حمله الشعور بذلك على تعليم أولاده في مدارس الحكومة أو مدارس الجمعيات النصرانية ليكون آمانا مطمئنا على رزقهم وكرامتهم في مستقبل أيامهم ، وإن أحدكم ليصوم وأولاده في الدار مفطرون ، ويصلي وهم لا يصلون ولا يتطهرون ، أرضيتكم لكم ولهم بالحياة الدنيا من الآخرة ، أم تزعموا انكم قتم بما يجب عليكم في هذه التربة الخاسرة ؟

إنكم حرمت في بعض البلاد من جميع أعمال الحكومة الا القضاء في بعض الامور الشخصية ، وللقاضي منكم بالشريعة الاحمدية ، أقل قيمة وراتبا من القاضي بالقوانين الوضعية ، وحرمت في بعض البلاد من اكثرها ، وسعتمون فيها اذا

(*) نشرنا هذه المقالة بجمريدة الحضارة في الاستانة

بقيتم على حالكم من باقيها ، بل سلبتم ما هو خير من ذلك وهو التعليم العام في مدارس الحكومة ومدارس الامة فلم يبق لكم الا قليل منها في بعض البلاد التي للتعليم الديني فيها بقية رسمية هي كالمضوء الاثري الذي لا عمل له ولا تأثير في المصلحة العامة

ما ظلمكم أحد واكنكم ظلمتم انفسكم أولا فأغريتم الناس بأن يظلموكم فان كانوا لما يفعلوا في بعض البلاد فسيفعلون وسيفعلون ، وان كانوا قد فعلوا فما فعلوا الا يذكر في جنب ما سيفعلون ، وفي أيديكم الآن أن تمنعوا انفسكم ، وتحفظوا كرامتكم ، وتستحيوا الزعامة الروحية الاجتماعية لكم في أمتكم ، وان لكم الآن في عهد حكم الشورى في الدولتين العثمانية والفارسية لفرصة إن اغتنمتوها كانت القاضية لكم ، والا فهي القاضية عليكم ، وعلى الأمانة التي في أيديكم ، فكونوا ركن هذا الحكم الركين ، وحصنه الحصين ، تستعيدوا في ظله مجدكم ومجد ملتكم وأمتكم

ظلمتم انفسكم أنكم لم تنظروا فيما تجدد للامة والدولة من الحاجات في هذا العصر ، وما ساقتهما الضرورة الى اقتباسه من العلوم والفنون ، وما يجب عليكم من حفظ مرتبة التعاليم والتربية لانفسكم ، فانكم لو نظرتم في ذلك لسارعتم الى تعلم جميع العلوم والفنون التي لا بد للامة والدولة منها لتحفظ نفسها في هذا العصر ، ثم لاحتكرتم تعليمها اياه مع التربية الدينية التي تحفظ عليها آدابها وأموالها وصحتها وجامعتها الملية ، انكم لم تفعلوا ذلك ولو فعلتموه لكان خيرا لكم ولامتكم ودولتكم ، ولماذا لم تفعلوا ؟

ورأيت منكم من يعتذر عن إهمال العلماء لمثل هذا الأمر الجليل باستعداد الحكام ، ورأيت منكم من يعتذر بجهالة العوام ، وعدم معرفتهم لقيمة العلماء الاعلام ، ورأيت منكم من يدعي ان العلماء لم يقصروا في شيء وانهم قائمون بما يجب عليهم ولكن الزمان قد فسد خلافا لقول الشاعر

يقولون الزمان به فساد وهم فسدوا وما فسد الزمان

ورأيت منكم الحائر الذي لا يدري كيف يعتذر ، ورأيت وسمعت ما لا ينسم هذا المقال لشرحه واني أذكر السبب الذي أراه أبا لجميع الاسباب ، والعلة التي أراها هي أم جميع العلل

ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم ، ولا وقع فساد في أمتكم أو حكوماتكم ، الا وسببه تفرقكم واختلافكم ، وعلته نخاذلكم وشقاقكم ، وما شدد دينكم في شيء كما شدد في حظر التفرق والخلاف ، ولا اكسد شيئاً كئداً كيده وجوب الاجتماع والانفاق ، فان كان الشيطان قد سؤل الكثير من الختفين منا ان في الخلاف قوام عصبيتهم ، وحفظ رياستهم ، فقد آن لعقلنا اليوم ان يعلموا ان هذا التفرق سينتهي بالافقراض والزوال ، اذا لم تتداركه بالاعتصام والالتزام ، فاعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وكونوا أنتم الامة التي تدعو الى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وأعدوا أنفسكم ازعامة هذه الامة بحق ، واهدوها الى مصالح الدين والدنيا بالحكمة والرفق ، كما هو شأن الاسلام في الجمع بين مصالح الدارين ألم تروا ان أهل الملل الذين لم يؤثروا بمثل أمرتم به من الاجتماع والتعاون ، ولم ينهوا مثلاً نهيتهم عن التخاذل والتباين ، قد الفوا جمعيات دينية ، تضاهي ثروتها ثروة الدول الغنية ، فجعلوا أزمة التربية والتعليم في أيديهم ، فحفظوا جامعة دينهم في أقوامهم ، ثم جذبوا اليه كثيراً من أهل الأديان الأخرى حتى في غير بلادهم ، أستم أولي منهم باحتكار تعاليم أبناء دينكم ، وبتعميم الدعوة اليه في غير قومكم ، فما لكم لا تنشطون الى ما فيه عزكم وشرفكم ، وفي تركه ذلكم وضعتمكم ، حماكم الله تعالى ووقاكم

بخطر في بال ضعفاء العزبة منكم ان المسلمين لا يبذلون من المال للجمعيات الدينية مثل ما يبذله النصارى في الغرب ، والوثنيون في الهند ، وهذا خطأ عظيم سببه عدم التجربة ، فلو أنشأتم جمعية اسلامية وأريتم الناس ثمرتها ، واقتسموهم بفائدتها ، وجشتموهم في ذلك من أبواب مصالحهم ، وأشرقتهم عليهم من يفاع منافهم ، لرأيتم انهم أسبق من غيرهم الى الخير ، والتعاون على عمل البر ، فما المسلمون الحاضرون ، الا سلائل أولئك السلف الصالحين ، الذين وقفوا تلك الاوقاف الكثيرة على المدارس والملاجي والمستشفيات ، وجميع ما كان يخطر في البال من أنواع البر والاحسان ، حتى ان بعضهم وقف على الكلاب ، وبعضهم وقف على ضمان التلغات والضائعات ، الخ

هذا وان لكم من الاوقاف الخيرية التي ضبطتها الحكومة كنزا عظيما ، وان في ايديكم دفع يدها عنها وجعل ادارتها اليكم بمساعدة مجلس الامة ، فان أوقاف جميع الملل في تصرف رجال الدين فهل تبقى حقوق المسلمين مسلوقة في عصر الشورى كما كانت في عصور الاستبداد ، اننا اذا نحن المغبونون ، وانا اذا نحن الخاسرون ، كلا ان لنا في نجدتكم أيها العلماء ما يجعلنا أسعد الناس في هذا العصر ، وآمنهم في بلادنا من الغبن والخسر ،

سارعوا الى تأليف الجمعيات في كل قطر ولتكن جمعياتكم متعارفة متألفة لا يصدنكم عن ذلك اختلاف المذاهب ولا اختلاف الالسنه ولا اختلاف الحكومات ، ولا وجود بعض المناقبين فيكم ، الذين يوضعون خلافكم يغيثونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ، فيد الله على الجماعة فاجتمعوا ، والاتحاد قوة فاتحدوا ، واجعلوا أساس الارتباط والاعتصام بينكم الاصول المتفق عليها ، والقسامح (والتعاذر) في مسائل الخلاف ، وقد فتح لكم هذا الباب المبارك اخوانكم علماء الهند بتأسيس جمعية ندوة العلماء وساعدتهم الحكومة الانكليزية على عملهم ومنه التأليف بين أهل المذاهب الاسلامية وتخريج الدعاة الى الاسلام ، فهل يلبق بكم ان تنكروا في ظل الحكومة الاسلامية ، عن مثل ما فعله اخوانكم في ظل الحكومة الانكليزية ؟ ؟

يجب أن نستعينوا على خدمة ملتكم وأمتكم في دولتي الاسلام - العثمانية والایرانية - بالنواب المبعوثين وان لكم في الاجتماع قوة لا يرد معها طلب عادل ، ولا يخيب معها قصد نافع ، بل يجب أن تجتهدوا في جعل المبعوثين في الانتخاب الآتي منكم ، ومن يساعدكم على خدمة ملتكم ، وان الحكومة النيابية لا تكون اسلامية حقيقة الا اذا كانت الغلبة في مجلسها النيابي لعلماء الاسلام أعني العارفين بسياسة العالية ، وعدالته العامة ، ومساواته بين الناس في الحقوق ، واعلانه لشأن الاجتماع ، ومحافظته على الفضائل والآداب ، وتحقيق هذه المقاصد كلها سهل عليكم في هذه الحكومة فاحمدوا الله أن أنقذكم من الاستبداد وجعل الدولة للأمة التي أنتم زعماءها واشكروا له ذلك بإقيام بحقوق هذه الزعامة لعلمكم تفعلون

رمضان في عاصمة السلطنة *

لهذا الشهر في هذه العاصمة مظهر غريب لا نعرف له نظيرا في غيرها من بلاد الاسلام وهو يرى على أكله وائمه في قسم استانبول منها ، أما في النهار فترى أكثر المطاعم والمشارب والملاهي والمجامع العامة مقفلة لا يختلف اليها أحد ، وترى أمارات الصيام ظاهرة على أكثر الناس فلا تكاد ترى أحدا يدخن ، وترى المساجد الشهيرة عامرة بالمصلين والواعظين والمستمعين والمتفرجين الطوافين ولهذا كله نظير في البلاد الاسلامية الاخرى وانما روقه ههنا بجمال المساجد وزينتها واختلاف الناس من جميع الطبقات إلى المشهور منها ولا سيما جامع اياصوفيا العظيم ، ويبتدى هذا من وقت صلاة العصر الى قرب المغرب فن الناس من يسمع الوعاظ ، ومنهم من يسمع الحفاظ ، وفي الاستانة كثير من حفاظ القرآن بعضهم من حملة العائم وبعضهم من حملة الطرايش ومنهم المرتلون المجيدون الذين يخشع المستمع لتلاوتهم مالا يخشع لتلاوة الحفاظ أمثالهم في مصر نخشوع جوارحهم واجتنابهم التطريب والتكلف والحركات التي اعتادها أكثر قراء المصريين . نعم ان أئمة المساجد هنا يقرأون القرآن في الصلاة ولا سيما صلاة الجمعة كما يلقون خطبتها بالنغم الموسيقي الذي يشبه نغم القسيسين في الكنائس ومنهم المسرفون في ذلك والمقتصدون

ويتنا يكون اخلق الكثير من الناس في المساجد بين العصر والمغرب يكون شارع «شهرزاده» مكتظا بالرجال والنساء الذين يؤثرونه من جميع ارجاء المدينة فيكون كالعرض العام لهم حتى ان كثيرا من أفراد الاسرة السلطانية يجيئون كل يوم في هذا الوقت . وفي الخامس عشر من الشهر وهو يوم زيارة البردة النبوية الشريفة التي يسمونها «خرقة سعاد» رأينا نساء القصر السلطاني ذاهبات في مركباتهن الكثيرة الى جهة شارع «شهرزاده» وليس لهذا الشارع مزية في السعة أو الجمال على غيره

(*) كتبناها في الاستانة لتشر في جزء رمضان فله تدرك

الآن ولعله كان في وقت ما وسم الشوارع وأجملها على أن السكان في تلك الجهة
جلهم أو كلهم من المسلمين وكان يكون فيه في هذا الوقت من تبرج النساء بزيتهن
ومغازلة الرجال لهن مالا يكون في مكان آخر في وقت آخر الا في معاهد النزهة في
أزمته الخاصة كالكاغدان ومروج (قاضي كوي) و«حيدر باشا» و«بكقوز»
وغيرها من المروج والوديان والغدران وموارد المياه والشواطئ والغابات وكل ذلك
كثير في ضواحي هذه العاصمة التي لا نظير لموقعها في الدنيا ولكل معهد من معاهد
نزهتها موسم من أيام الربيع والصيف والخريف يؤمه فيها الرجال والنساء بحللهن
الزاهية الالوان متبرجات بزيتهن الخاطفة للابصار، حاسرات عن وجوههن المائلة
للأعناق، ولا تسلم عما يكون هنالك من المغازلة ولكن مع الوقوف عند حدود الادب
قلما يمتدونها الا في المجامع الكبيرة التي يجتمع فيها عشرات الالوف من النساء والرجال
مجمع عيد الخضر في الكاغدان

في هذه السنة عنت الحكومة بالحفاضة على الآداب الاسلامية في شهر رمضان
ومنها منع الخلاعة والتهتك في معرض شارع الشاهزاده في أصيل النهار كنع إظهار
الفطر وسبب ذلك انها علمت ان من تدبير الجمعية الخفية التي شاع امرها، وانكشف
سرهما، انها كانت تريد ان تكيد للحكومة الاتحادية الحاضرة باغراء بعض الفواجر
من النساء بالاسراف في التهلك في رمضان بصفة لم يسبق لها نظير ليهيج على الحكومة
أهل الدين والغيرة على العرض، ولولا هذا لترك الحكومة الامر على حاله ولو تركته
لما وقف عند الحدود المعتادة من قبل لان الناس قد شعروا بما لم يكونوا يشعرون
به من الحرية والاطلاق في شئونهم الشخصية ودليل ذلك ماجرى من المنكرات
والفواحش في كثير من البلاد التي لم يكن يجري فيها ذلك وعدم ممانع الحكومة
لشكوى أهل الدين والادب والغيرة على العرض بل قبضت الحكومة على بعض
أهل العلم والفضل لمناهضتهم نساء الافرنج اللاتي جئن بلدهم الرقص والفحش
وأرستهم الى ديوان الحرب العرفي لمحاكمتهم على ذلك العمل الذي سمته حكومتهم
المحلية ارتجاعا ولكن قبل ان شيخ الاسلام لما بلغه ذلك كتب الى ديوان الحرب
العرفي بوجوب اطلاقهم لانهم عملوا ما هو الواجب عليهم وقد أمسكهم ديوان الحرب

أياماً لتحقيق ثم سرحهم الى بلادهم ، وجملة القول ان الحكومة المركزية عينت بحفظ آداب الدين الظاهرة في العاصمة وحكومة بعض الولايات باضاعتها طال بنا الاستطراد فنعود الى بيان مايتعلق برمضان خاصة فنقول ان وعظ بعض وعاظ الترك هنا يشبه وعظ بعض الشيوخ الدجالين بمصر في خلط المسائل الدينية بالخرافات والباطيل وقد وقفنا على واحد منهم في جامع أياصوفيا فاذا هو يقول في وعظه ان الدين يأمرنا بالذل والمسكنة والانكسار ورأينا بعض الواقفين للاستماع من الشبان المتعلمين يتبرمون ويتأفف منه فقلت له: الواعظ يقول هذا والله تعالى يقول (٦٣: ٨) والله العزة ورسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) ولعله لو راجعه أحد في قوله وذكره بالآية الكريمة لذكر له أنه أخذ هذا القول من بعض كتب الفقهاء والصوفية كالشيخ احمد الرفاعي رحمه الله تعالى ، وقال انما الواجب علينا ان نهتدي بأقوال العلماء والصلحاء لا بالقرآن لانهم اعلم منا بالقرآن ، ولجعل الاحتجاج بالآية ضلالاً مبيناً لانه يتضمن دعوى الاجتهاد وتخطئة العلماء ، فهذا ما تعودناه من مثله وما أجدرامة تروج فيها هذه التعاليم الباطلة ، وهذه الحجج الداحضة ، بأن تضرب عليها الذلة والمسكنة ، وتكون بهارضية مغنبطة ، لانسى الى العز سعيه ، أو ترفض امر الله ونهيه ، وهذا ما حل بالمسلمين ، من جراء تعليم هؤلاء الجاهلين المغفلين ، فقد أعرض المستعدون لادارة أمور الامة عن تعاليمهم الى تعاليم مينة على أساس الكفر والاحاد ، وقالوا انا اذا بقينا على هذا الدين فنحن سائرون الى العدم والافتراض ، لان الامة الذليلة المسكينة ، لا يمكن أن تحفظ استقلالها بين الامم العريضة الغنية ، فهكذا يوجد فينا من يهدم الدنيا والدين ، ووجهته على المصلحين تحريم الاجتهاد ووجوب تقليد جميع المؤلفين الميتين ،

هذا وان هنا وعاظاً لا يوجد لهم نظير في مصر ولا في سورية وامثالها من الاقطار الاسلامية وهم وعاظ السياسة واكثر وعاظ هذا العام يخوضون في السياسة بايعاز الحكومة الاتحادية وقد سهل عليها هذا الايعاز بأن شيخ الاسلام نهي أن يتصدى احد للوعظ الا من يأذنه مقام المشيخة به وهو لا يأذن الا لمن يعلم انه يتبع رغبة الحكومة في تأييد سياستها حتي ان الجمعية العلمية عينت واعظين من قبلها وأذنت شيخ الاسلام بذلك فأمر شيخ الاسلام بمنعها من الوعظ فهاج ذلك سخط الجمعية

وجاهير العلماء واظهروا ذلك في مجلتهم « بيان الحق » وما يقولونه أكثر مما كتبوه ومنه ان شيخ الاسلام ليس له حق في منع العلماء من الوعظ والارشاد وهو فرض عليهم الا اذا كان له حق في منعهم ومنع غيرهم من سائر فروض الكفاية كصلاة الجنائز مثلاً ، وزادهم سخطاً وحنقاً ما نقل اليهم من كتابته الى نظارة الداخلية بوجود منع هذين العالمين من الوعظ بالقوة اذا هما تصديداً له ونحمد الله انهما لم يفعلوا لانهما لو فعلا ومنعتها الحكومة بالقوة لكان لذلك من سوء التأثير في الامة ما لا خبير فيه

من هؤلاء الوعاظ السياسيون المعمون ومنهم غير المعمين ولعله لا يوجد في المعمين القدر الكافي للقيام بالوعظ وبلغني ان بعض الضباط وعظ الناس في أول جمعة من رمضان في « يكي جامع » - الكاف هنا تركية تقرأ نونا - فقال في وعظه ان من الأمور المنافية للحكومة الدستورية وجود إمارة مكة المكرمة لانها عبارة عن حكومة مستبدة في ضمن الحكومة « المشروطة » فيجب إلغاؤها وان لا يكون في الحجاز أمر ولا نهي لغير الوالي ومن تحت ادارته من المأمورين ، ومن هؤلاء الوعاظ من حث الناس على أن يدفعوا ما عليهم من الزكاة لخزينة الحكومة مع علمه بأن مال الزكاة خاص بالمسلمين وله مصارف متفق عليها لا تصرفها الحكومة فيها بل تضعها مع سائر أموالها وربما تنفق منها على بناء الكنائس التي قررت بناءها للروم والبلغار - ومنهم من استنبط من إكرام النبي (ص) لكعب بن زهير (رض) بيردته الشريفة وجوب تعظيم العسكر وطاعتهم لأن سبب إكرامه هذا بعد أن كان أهدر دمه هو قوله في قصيدته

ان الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
قال والمراد بالسيف العسكر ، فهذا هو وجه الدلالة على ما استنبطه ، ومنهم الذين يدور وعظهم على طلب الاعانة للاسطول فهم يفسرون الآيات الآمرة بالبذل يستو كفون بها الألف ومنهم من يجمع الدراهم والدنانير في درسه رأينا اسماعيل باشا مبعوث طوفاً يفعل ذلك وهو الذي قال في درسه ان الاسلام عبارة عن الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس ، أي فسادة الاسطول أحد شعري

الاسلام ، وقد وقفنا على درسه فأعجبنا منه حثه على الاهتداء بالقرآن وتصريحه بأنه لا حياة لنا الا به ، وبما قاله ان هذا القرآن أنزل علينا لأجل أن نكون به سادات العالم ومالكي الممالك كلها ، وبلغنا عنه كلام غريب في تأييد جمعية الاتحاد والترقي وكذا عن غيره ولا نخوض في ذلك وان قل بعضهم ان كلمة التوحيد معناها الاتحاد والترقي فالجمعية عين الاسلام وواضعها هو الله تعالى وكل مسلم هو من افرادها ، وعلى هذه القاعدة يكون من فيها من اليهود والنصارى مسلمين ولكنهم لم يعلموا بذلك

ووقفنا في مجلس أحد العلماء في جامع أياصوفيا فاذا هو احسن من رأينا في هذه المدينة وعظا وهو يدافع عن الاسلام وعن علمائه بعقل ويعرض بالشبان المتفرنجين المارقين يقول يظن بعض شبانا ان الاسلام يحول دون الترقى وان العلماء هم الذين يمنعون المسلمين من وسائله وهؤلاء يهرفون بما لا يعرفون فان الاسلام هو دين الترقى والمدنية والعمران وحملته من العلماء هم الادلاء على ذلك وما اصاب المسلمين من خير وسعادة فمنهم (قال) أرايتم هذه المدينة ان فاتحها السلطان محمد هو « خوجه » من اصحاب العائم وهكذا كان جميع الفاتحين الذين اسسوا ملك الاسلام

يمتاز علماء الآستانة على علماء مصر بالالمام بالسياسة علما وعملا وسبب ذلك أن الكثير من ابواب أعمال الحكومة مفتحة لهم ويكون منهم الوزراء ورؤساء المحاكم وغير المحاكم وناهيك بمنصب القضاء الشرعي في الدولة فان القاضي الشرعي يكون رئيس محكمة الحقوق والعضو الاول في مجلس الادارة وله وظائف أخرى في الحكومة ولو كان العلماء مستعدين كما يجب لكان زمام القضاء كله والادارة بأيديهم وسيسلب القضاء الشرعيون بعض ما كان لهم في هذا الدور من الحكومة والحق ان ما كان لهم هو كثير جدا

ليالي رمضان في استانبول

ذلك ما احببنا بيانه في أيام رمضان وأما لياليه فهي ليالي سرور ولهو وعزف

وقصف ، ترى وتسمع المآزف الوترية - كالعود والقانون والكنجا - وغير الوترية في أكثر الملاهي التي تدعى في البلاد العربية بالقهاوي وفي البلاد التركية بيوت القراء (قراءتخانه لر) وفي غير هذه الأماكن أيضا فيتعجب الإنسان من كثرة المآزف في هذه العاصمة وسبب ذلك أن لاهلها نساء ورجالا غنية بالعزف والموسيقى ويتعلمون ذلك في مدارس خاصة ، وترى اصحاب الطبول الكبيرة يجولون في الشوارع من أول الليل الى وقت الامساك قبيل الفجر ، وناهيك بدور التمثيل والرقص ولعل أكثر الناس يسهرون الليل في القهوه والسرور الا قليلا ، والتزاور في الليل معتاد أيضا كما نعهد في مصر وسورية ولكن لا يوجد في البيوت حفاظ يرتلون القرآن كما يوجد في مصر

وقد ظهر لي أن لصلاة الجماعة وصلاة التراويح من الاقبال والعناية في الآستانة فوق ما لها في مصر فالمصلون فيما أظن أكثر ، ومكثهم في الصلاة يكون أطول ، ولكنك ترى أكثر المصلين في بعض المساجد من العسكر وتجدهم عددا كثيرا من الصبيان ولا يخفى أن العسكر كله كان يكون من خارج الآستانة وبعد الدستور صار يؤخذ منها أيضا

نساء الآستانة في رمضان

يمتاز نساء الآستانة على نساء البلاد العربية بالصلاة في المساجد يقل ذلك منهن في غير رمضان ويكثر فيه حتى أن من المساجد الصغيرة ما هو خاص بهن لا يدخله من الرجال الا الامام الذي يصلي بهن والواعظ الذي يعظهن بعد الظهر وقد يكون الامام هو الواعظ ومنهن من يصلين في الجوامع الكبيرة وقد اتخذ لهن في هذه السنة حظائر في مؤخر المساجد تحجبهن عن الرجال فيها ويدخلن من باب خاص بهن ، وإنك لتراهن قبل العشاء بنصف ساعة أو أكثر ذاهبات الى المساجد افرادا واسرا بالأم وبناتها والجارة وجاراتها منهن المتلفعات بالملاآت والخبر ، ومنهن لابسات الأردية والجبب ، وأكثرهن سافرات ، ومنهن من تصلي التراويح في بيتهن وهذا مما يفضلن به نساء مصر وسورية ، اني أرى أن اختلاف النساء الى المساجد يعلي نفوسهن ويرفع قيمتهن في نظر صواحبها وقد كن يصلين في المسجد

على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما حمل المسلمين على منعهم منها في أكثر البلاد الا شدة الفيرة وكراهة تبرج بعضهن في غدوهم وواهن ولنساء الآستانة من هذا التبرج حفظ عظيم وناهيك بالمتبخرات في الشوارع والسبح في أيديهن يعشن بها فتكون أشد جذبا لأبصار الرجال اليهن من سائر حليهن وزينتهن ، وكأنني بهن يجبن من يعترض عليهن في ذلك بقول تلك الشاعرة العربية

ولله مني جانب لا أضيعه ولله مني وإخلاعة جانب

ومن زينة الآستانة في أيالي رمضان قناديل منارات المساجد ولكل مسجد من المساجد الكبيرة هنا منارتان على الأقل ولبعضها أربع منارات والجامع السلطان أحمد ست منارات فهم يمدون حبالا بين المنارات ويكتبون بالقناديل فيها كلمات : بسم الله ، الله محمد ، حسن حسين ، نور على نور ، يا حنان ، يا رمضان ، خوش كلدي ، وأمثال ذلك وما يكتب بين منارات هذا المسجد الليلة يكتب غيره في الليلة الأخرى ، وما يكتبونه يقرأ من الأماكن البعيدة لوضوحه وسعته ، فهذا نأ تاريخي عن حال أهل الآستانة في رمضان لا يخلو من الفوائد وربما يتغير بعضه في السنين الآتية فيكون مما يعرف به الفرق بين الماضي والآتي

حجاب المرأة في الاسلام *

أما ما ورد في القرآن والسنة في هذه المسألة من الآداب فهو قاصر على ما يأتي :
 (١) الأمر للرجال بغض النظر عن النساء بغض الغض وكذلك للنساء فقال تعالى (يفضوا من أبصارهم) و (يفضضن من أبصارهن) فان الواجب ان لا يطيل الانسان النظر الى وجه جميل يخشى منه الفتنة فان له النظرة الاولى وليس له الثانية . وقد سوى الله تعالى في أمر الغض الرجال بالنساء وهو يشعر بأن كلا الطرفين مكشوف للآخر

(٢) نهى الله سبحانه وتعالى النساء عن كثرة الخروج من بيوتهن فان طبيعتهم تقتضي ذلك بسبب ما يصيبهن من حيض وحمل وولادة وفاس ورضاعة وتربية الاولاد وادارة المنازل وملاحظة خدمها وجميع شؤونها وأعمالها . فالطبيعة في الحقيقة تلزمهم بالقرار في البيوت في أغلب الاوقات لان أعمالهن وشؤونهن لا تسمح لهن بكثرة الخروج ولذلك قال الله تعالى مخاطبا نساء النبي صلى الله عليه وسلم (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) فان كثرة خروج النساء مذموم ومضيعة لأعمالهن وشرفهن فلا يجوز لهن الخروج الا لضرورة (والضرورات تبيح المحظورات) فان كان ثم موجب للخروج جاز ذلك والا فلا . فمن موجبات الخروج قضاء بعض المصالح أو الحاجات اذا لم يوجد من يفعل ذلك لهن والسعي وراء العيش كذلك والسفر للحج والريضة البدنية والعقلية في الاماكن الخلوية والتمتع بروية المناظر الطبيعية والصناعية المباحة (قل انظروا ماذا في السموات والارض) وذلك في بعض الاحيان لافي أكثر الاوقات كما تفعل نساء الافرنج في الملاهي (والتيترات) فان ذلك من الافراط المذموم في الاسلام

قال بعض أهل النظر ان الامر بالقرار في البيوت هو خاص بنساء النبي لعدم حاجتهن للخروج في تلك الازمنة ولوجودهن في بيوت خاوية اذ ذاك قليلة السكان مستشهدا على صحة رأيه بسياق الآيات في سورة الاحزاب وبافرادهن بالخطاب في هذه الآية مع اشراكهن بغيرهن في آية (قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين) حينا أراد أن يكون الامر فيها عاما للجميع وهو قول وجيه ولكننا نحن لا نرى مانعا يمنع من كون المراد بأمر القرار جميع نساء الامة وانما اختصاص نساء النبي (ص) بالخطاب هو لانهن أولى الناس بذلك كما سبق بيانه ولشدة الرغبة في حسن سمعتهن وتطهير أعراضهن من كل شائنة كما قال تعالى في آخر الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فالامر بالقرار في البيوت هو لنساء المسلمين واجب عندنا ولكنه لنساء النبي أوجب . وبصح أن يقال ايضا ان هذا الامر للجميع هو للارشاد والتدبب لا للوجوب ونساء النبي بهذا الارشاد أولى من غيرهن ولذلك قال في أول هذه الآية (يا نساء النبي استن كاحد من النساء إن اتقيتن)

(٣) حرم الاسلام الخلوة بالاجنبية تحريماً باتاً لا هوادة فيه ونهى القرآن الشريف عن الدخول على النساء في خدورهن ومخاطبتن في منازلن الا من وراء حجاب لأن استباحة حرم النساء والدخول عليهن في بيوتن ومخاطبتن من غير حائل يؤدي الى الخلوة بهن أو مغازلتن أو رؤية شيء من زينتهن أو عوراتهن لانهن في البيوت يكشفن منهن ما لا يكشفنه في الخارج ويبدن فيها لازواجهن من زينتهن ما لا يبدنه لغيرهن ولا يجوز الاطلاع على شيء من ذلك قال الله تعالى (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) وقال (يستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات - الى قوله - ثلاث غورات لكم) الآية وقال أيضاً في آداب البيوت (لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم - الى قوله - وإذا سألتهم من متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب) أي فخطبوهن من وراء ستار ولا تدخلوا عليهن فإين هذا المعنى المفهوم من السياق من دعواهم انها تدل على تبرقم النساء واتقابهن في الطرقات فشتان ما بين هذا وذاك ، وإذا وجد داع للدخول عليهن في خدورهن وجب الاستئذان وتنبهن لذلك حتى يخفين زينتهن وعوراتهن واصطحاب أحد محارمهن قال عليه الصلاة والسلام في حق المرأة (لا يدخل عليها رجل الا ومعها محرم) فهذه الآداب هي خاصة بالبيوت . وللطرقات آداب أخرى غيرها والآية السابقة هي الآية الوحيدة التي ذكر فيها لفظ الحجاب كما قلنا وهي مع ذلك لا تدل على شيء مما زعموا

(٤) ومن آداب الاسلام اصطحاب المحارم في الخروج وعدم السفر الا معهم والخروج الا باذنهم وعلمهم فلا يجوز لامرأة أن تخرج إلا باذن زوجها أو تسافر الا مع ذي محرم وقد جري عمل المسلمين على ذلك من عهد الرسول وورد في ذلك كله أحاديث كثيرة منها قوله عليه الصلاة والسلام (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة الا مع ذي محرم) وقال (لا تسافر المرأة الا مع ذي محرم ولا يدخل عليها رجل الا ومعها محرم) وقال (لا تسافر المرأة بريد الا ومعها محرم يحرم عليها)

(٥) نهى القرآن الشريف عن التبرج بقوله (ولا تبرجن تبرج الجاهلية

(الاولى) وعن ابداء أي شيء من زينتهن في الطرقات سوى الوجه والكفين (ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها) وأمر بضرب الحمر (وهي أغطية الرأس) على الجيوب وهي الشقوق التي تكون في ملابس المرأة فوق صدرها ومنها تظهر النهود فقال (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) وألزمهن إطالة أثوابهن من جميع أطرافها حتى لا يظهر منها العنق ولا الذراعان ولا الساقان فقال (يدنين عليهن من جلابيهن) وهي الثياب التي تسمى الآن بالجلاليب أي انه يجب على المرأة أن تطيل أطرافها وتدها عليها حتى لا يظهر منها سوى الوجه والكفين أما الرأس فانه عندهن مغطى بالخمار لعدم جواز كشف الشعر . وهذه الملابس المذكورة في القرآن هي أشبه شيء بملابس نساء الفلاحين في مصر الآن ويمكن عملها بطرق أخرى كثيرة (مودات) بحيث لا يظهر من المرأة الا ما أباح الدين ظهوره وهو الوجه والكفان . فهذه هي آداب الطرقات .

ومما تقدم تعلم أن البرقع أو النقاب ليس له في الاسلام أثر ولا عين ولا نذري من اين أتوا به في الدين ان هو الاعداء ورتوها عن الامم الاخرى وهي لاخير فيها بل فيها كل الضرر كما بينا ذلك ولذلك لم يرد لها ذكر في الاسلام . فلو التزمت نساء المسلمين ما أتى به دينهم القويم من الآداب المذكورة هنا لفقن نساء العالم في العفة والفضيلة والكمال والاحتشام بدون أدنى احتياج للحجاب والا فقل لي بأبيك أي ضرر يلحق بنا اذا تركنا الحجاب واكتفت نسائنا بما أمرن به في الدين فأظهرت المرأة وجهها وكفها فقط وغضت من نظرها (وكذلك الرجال كما أمر القرآن) وسارت في طريقها غير متبخترة ولا متبرجة ولا مزينة . وأقلت من الخروج من بيتها الا لموجب واذا خرجت اصطحبت أحد محارمها ولا تخرج الا باذن زوجها وبعلمه ولا تسافر الا مع ذي محرم ولا تخلو بأجنبي عنها ولا يخاطبها رجل في بيتها الا من وراء حجاب . قل لي بأبيك اذا عمل المسلمون بهذه الآداب الشريفة فأني ضرر يحصل لنا ؟ وأي حاجة لنا بالبرقع والنقاب وهما قد جريا علينا من المصائب ما قد جريا ؟ فهل اذا التزمت نسائنا آداب هذا الدين أفلا يقن نساء العالمين ؟

على هذه الآداب الاسلامية جرى نساء سلفنا الصالح فكن يأتين المساجد ويحججن ويفشين الاسواق ويسعفن الجرحى في ميادين القتال ويخرجن في الفلوات للرياضة ولا تستشاق الهواء ويخطبن على الرجال ويحضرن مجتمعاتهم ويناقشن الامراء ومن في كل هذه الاحوال مكشوفات الوجوه وكن يفقن نساء العالمين في العفة والفضيلة ولم يكن هذا الحجاب معروفا ينهن وانما هن أخذنه بعد طول اختلاطن بالام الاخرى وتقليدهن في جميع أمورهن . وقد كثر بحث الفقهاء في الحجاب بعد القرن الثاني حينما امتدت الحضارة بين المسلمين وتعلقت الامراء به لفضهم أن يرى نساءهم وجواربهم أحد من عامة المسلمين وقد قلدهم في ذلك أهل الطبقة الوسطى والعليا من سكان المدن ووجدوا من الفقهاء من يقتهم بأنه من الدين (وهو ليس منه في شيء) . أما نساء المسلمين الآخرين البعيدات عن المدن وعن قصور الملوك والامراء فبقين على ماورثته عن أسلافهن من السفور الى يومنا هذا . ولو كان الدين الاسلامي هو الأمر بالحجاب لوجدته بين جميع الامم الاسلامية في سائر الطبقات وفي سكان المدن والبلدات وفي سائر الاوقات ولما وجدته عند الامم الاخرى غير الاسلامية قبل الاسلام وبعده كقدماء اليونانيين (الروم) والحق يقال ان الاسلام بريء منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب . وجميع ما قيل فيه ليس له أصل في الكتاب والسنة وانما هو من اجتهادات الفقهاء المحدثين بعد القرن الثاني وقتاوبهم ولسنا ملزمين باتباع آرائهم وأفكارهم الزائدة عن الدين بل يجب رفضها رفضا باتا وخصوصا اذا أدت الى ما أدى اليه الحجاب الآن بين المسلمين مما سبق بيانه . فالعاقلة من اكتفى بأوامر الدين ولم يعبأ بهوس المخرفين ولا بآراء الجاهلين وترك الابتداع في الدين أو تحريفه عن معناه القويم . (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) (وذکر فان الذکرى تنفع المؤمنين)

(المناور)

البرقم معروف عند العرب قبل الاسلام وفي كتب اللغة انه كان خاصا بالدواب ونساء الاعراب كأنهن لكثرة بروزهن في الشمس كن يقين به وجوههن منها ثم صار من آيات الحياء والحشمة ، قال توبة بن الحخير

وكننت اذا ماجئت ليلي تبرعت
وبنسب الى ذي الرمة
وقد رايت منها الغداة سفورها

اذا بارك الله في ملبس فلا بارك الله في البرقع
يريك عيون الدمي غرة ويسفر عن منظر اشنع

وقد بينا في المجلد الثاني من المنار ان الخلاف في هذه المسألة في مصر انما سببه العادات لا المحافظة على الشرع وعدم المحافظة عليه فلا يوجد أحد ممن شم رائحة الشرع يقول ان ما يشكونه اعداء الحجاب من الملات والبراقع هو شرعي ، وما كنت أحب ان تشن الغارة على هذه العادات باسم الحجاب الشرعي . والآية التي ذكر فيها الحجاب خاصة بنساء النبي (ص) حتما كما بينه المحدثون ولا سيما الطحاوي في شرح الآثار ولكن أطلق على عادات نساء المدن المسلمات في السترا سم الحجاب فلاجل هذا ينتقدها الكتاب في هذا العصر بهذا الاسم

كثير خوض الكاتبين والكاتبات بمصر في هذه المسألة في هاتين السنتين وكذلك يفعل الكاتبون والكاتبات في الآستانة وقزاق والقريم والهند أي في البلاد التي سرت اليها عادات المدنية الحديثة فأكثر المهاجرين للحجاب أو للعادات التي تسمى حجابا من المتفرجين الذين يرون تقليد الاوربيين في عاداتهم واكثر الذين يردون عليهم من الذين يكرهون هذا التقليد . ويرونه ضارا والدكتور توفيق صدقي من المعتدلين المستقلين في رأيه ولكن تغيير العادات في الأمة لا يمكن أن يكون بمجرد اقامة الحجة على كونها مخالفة للشرع أو للمصلحة أو موافقة لها وانما يكون بالتغيير التدريجي في التربية والتعليم الذي تتغير به الآراء والافكار والميول والرغبات ففى كثير الذين يرون تغيير العادة يتجرا بعضهم على التغيير بالفعل فينبهه من يوافقه في الرأي ويتبعهم المقلدون الذين لا رأي لهم ومحبو الجديد كيفما كان . وربما كان الانتقال السريع من العادة القومية الضارة الى ضدها ضارا ، وقد بدأ نساء الآستانة في تغيير العادات بما هو امثل من التغيير الذي نراه بمصر

بيننا غير مرة أن حكم الشرع في المسألة التي يسمونها مسألة الحجاب هي أن لا تخلو المرأة برجل من غير محارمها وأن لا تبدي زينتها للرجال بابداء ما لا ضرورة

الى إبدائه من بدنها وهو ما عدا الوجه والكفين ، ومن المشاهد ان لابسات
 الملائات والخبر والبراقع التي يشكو منها اعداء الحجاب يبدن من زينتهم
 ما لا حاجة الى إظهاره فاذا كان هذا هو الحجاب فالشرع بري منه وإنما يريد
 اعداء الحجاب شيئاً آخر غير ترك هذا النوع من زينة النساء يريدون أن يباح
 اختلاط الرجل بالنساء في البيوت والمجامع العامة والخاصة وان يشارك النساء الرجال في
 جميع أعمالهم أو أكثرها ، يريدون أن يكون هذا فجأة لا أن يكون أثراً طبيعياً لتربية
 جديدة وتعليم جديد كما كان يطلب زعيمهم قاسم أمين ، والاملا أكثر وامن طلب النتيجة قبل
 المقدمات والسبب بدون اتخاذ ماله من الاسباب بل يريدون أن يكون سبب ذلك اقناع
 الجمهور به في الجرائد ولا يتدبرون ما يكون وراء ذلك من الفساد وفوضى الآداب
 وقد جاء اسماعيل بك غصبرنسكي صاحب جريدة ترجمان التي تصدر في بفعجة
 سراي (القريم) بأسلوب جديد للاقناع فكتب ان امرأة من سروات النمسة
 غنية لها أملاك ومعامل تدير نظاماً بنفسها قد كتبت اليه تقول انها اطلعت على حقيقة
 الدين الاسلامي فأعجبها واعتقدت انه الحق واحبت الدخول فيه ولكن صدها
 عنه شيء واحد هو الحجاب فانها لا تستطيع ان تستر وجهها وتحول بينه وبين الهواء
 والنور ولا أن تكل أمر معملها في ادارته ونفقاته ودخله الى أحد سواها فهل يقبل
 اسلامها مع بقائها على ما كانت عليه من كشف الوجه ومزاولة الأعمال مع الرجال
 مع تقنها بعفة نفسها أم الاسلام يجعلها متهمه في عفتها ويحرم عليها كشف وجهها
 والنظر في مصالحها ؟ وكيف يسمح للمسلم أن يتزوج نصرانية ويأمره أن يأذن لها
 في البقاء على عاداتها من السفور والذهاب الى الكنيسة ولا يرى ذلك حداثاً لعقمتها
 أورد اسماعيل بك هذا السؤال الذي ذكرناه بالمعنى الذي بقي في ذهننا
 وقال انه لا يمكنه الاقناع به بل يعرضه على علماء الاسلام في روسية وآستانة ومصر
 والهند وبخارى وغيرهما من البلاد الاسلامية ويطلب منهم بيان الحكم الشرعي ليكون
 هو القول الفصل في هذه المسألة ، كأنه يطلب اتفاق العلماء أو إجماعهم لتقطع جهيزة
 قول كل خطيب ، وقد نقل ذلك عنه بعض جرائد الآستانة ولما نطلع على جواب لأحد

الخطب سهل فلا يمكن ان يقول أحد من العلماء ان صحة إسلام تلك المرأة تتوقف على ستر وجهها وترك أعمالها المالية فأما الأعمال المالية في نفسها فهي مباحة للنساء كالرجال بالاجماع وأما ستر الوجه فقد قال بعض العلماء بوجوبه لسد ذريعة الفتنة لالانه مما تتوقف عليه العفة وماوجب لسد الذريعة يباح للحاجة فضلا عن الضرورة وهي أعلم بحاجتها وثقتها بنفسها على ان أكثر نساء المسلمين في البدو واقري وبعض المدن كالأستانة يكشفن وجوههن ولعل اللواتي يسترن وجوههن فلا يراها غير محارمن لا تبلغ نسبتهم الى الحاضرات نسبة الواحد الى الالف ، ومن العلماء من يرى ان وجوب ستر الوجه ليس من أصل الشرع ولم يكن في اول الاسلام لالذاته ولا لسد الذريعة وانما قال به العلماء بعد ما دب ديب الفسق في المدن الاسلامية ويرى جميع علماء الاسلام ان اسماعيل بك قد أخطأ في ارجاء إفتاء تلك المرأة بصحة إسلامها ان صح ان الواقعة أصلا لان من يطلب الدخول في الاسلام لا يجوز إرجاء قبوله ساعة ولا دقيقة واذا صح هذا فلا يقاس عليه إباحة مثله للنساء اللواتي نشأن على عادة ستر الوجه وعدم معاملة الرجال لما يترتب على الانتقال الفجائي من ذلك الى ضده من المفاسد التي لا تقابلها مصلحة حقيقية ناجزة وان وقفن فيه عند حد ما يبيحه الشرع فكيف وهن يتعدينه حتما حتى الى العشق وطلب الزواج بغير المسلمين !!! وقد سمعوا بخبر التركية مع الرومي بعد الدستور الذي قطعه الترك في الأستانة إربا إربا وصفوة القول ان هذه المناظرات في الجرائد لا تأتي بما يفيقه المتناظرون ، واذا ظلت مصر والاستانة وما مثلهما من بلاد المسلمين على ما نراه من التفرنج التدريجي فسيكون نساؤنا أنفسا الافرنج في شر ما هن عليه ينتهين الى ذلك بالتدرج السريع او البطيء كما سبق رجالنا المتفرنجون في الغالب الى شر ما عليه الافرنج من السكر والزنا والقمار ، واما اذا وجدت جمعيات اسلامية تتولى التربية والتعليم للبنات مراعية حاجة العصر مع حفظ آداب الدين وأحكامه فيمكن أن تكون المرأة المسلمة خير نساء العالمين أدبا وعلما وفضيلة مع القدرة على النظر في مصالحها ومصالح بيتها واثقاء كل ما يبعد من ضرر العادات التي تنسب الآن الى الحجاب واهما الخطبة والنظر الى الخطية وحفظ المرأة لاموالها وحقوقها فالعبرة بالأعمال وإما العمل في مثل هذا للجمعيات الخيرية

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ حياة الناسك ﴾

(في ان القبض في الصلاة هو مذهب الامام مالك)

العبادات العملية الظاهرة لا مجال للخلاف في اركانها وواجباتها لانها تقام بالعمل الذي لا يحتمل التأويل ولذلك ترى صلاة السنيين على اختلاف مذاهبهم والشيعية الامامية والزيدية والخوارج الاباضية وغير الاباضية كلها واحدة وانما وقع خلاف بينهم في بعض الاعمال غير المفروضة كرفع اليدين عند الركوع والقيام والقنوت في صلاة الفجر وسبب هذا الخلاف أن النبي (ص) فعل ذلك في بعض الاوقات وتركه في بعضها لسبب أو لغير سبب يعرف فأخذ بعضهم دائماً برواية الفعل وبعضهم برواية الترك أو عدم الفعل وكان الاظهر فيما عرف سببه ان يناط به ومالم يعرف سببه ان يفعل تارة ويترك أخرى ولا يختلف طوائف المسلمين فيه فان الاختلاف في الاعمال من اسباب اختلاف القلوب كما يعلم من احاديث الامر باستواء الصفوف في الصلاة ومن التجربة الدالة على كون ذلك من سنن الله تعالى في خلقه وقد اهتدى الى هذه السنة الامم العليمة بطبائع النفوس واخلاقها وسنن الاجتماع فاجتهدوا في جعل أفرادهم متفقين في الاخلاق والآداب المنزلية والاجتماعية والعادات في اللباس والطعام والشراب وغير ذلك وكان هذا من اسباب اتحادهم بقوتهم واستيلائهم على البلاد الاسلامية وغيرها . وهذه هي الحكمة في تشديد النبي (ص) في تسوية الصفوف بقوله «لنسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم» أو قال بين وجوهكم رواه الشيخان في صحيحهما واصحاب السنن من حديث النعمان بن بشير (رض) والوجه يراد بها القلوب ، فهل قدرنا هذا القسم حق قدره وبمحتنا

وبحثنا عن حكمته وسره ؛ انما حكمته وسره ما ذكرنا وفي معناه التشديد في رفع الرأس قبل الامام ولكن وجد في خلف المسلمين اقوام فتوا بحج الخلاف فصاروا يتعلقون بأوهى الروايات وأضعفها يخالفوا سائر اخوانهم في عمل ما ولا سيما اذا كان دينيا . وكنا نرى ان أغرب خلاف بين المسلمين في صلاتهم هو لإرسال اليدين في الصلاة الذي جرى عليه اخواننا المالكية لانهم خالفوا سائر المسلمين فيه بل لاننا لم نعرف له اصلا في كتب السنة لافي موطا الامام مالك ولا في غيره فكنا نقول كيف قال بذلك عالم دار الهجرة ولم يرو هو ولا غيره فيه شيئا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا عن أحد من اصحابه (رض)

وقد كشف الغمة في هذه المسألة صديقنا الشيخ محمد المكي بن عزوز في رسالة له سماها (هيئة الناسك في ان القبض في الصلاة هو مذهب الامام مالك) فبين بالقول الكثيرة عن اشهر علماء هذا المذهب انه لاخلاف بين المسلمين في هذه المسألة فذهب المالكية كسائر المذاهب فيها وأن سبب ما جرى عليه المالكية منذ قرون هو رواية لابن قاسم في المدونة عن مالك معناها الذي اوضحه المحققون انه يكره القبض بوضع اليمنى على اليسرى اذا قصد المصلي الاعتماد والاستناد لاجل الاستراحة وخص ذلك بصلاة الفريضة والمراد انه يكره لمصلي الفريضة ان يقصد الاعتماد والاستناد بقبض يديه وانما ينبغي أن يقصد بذلك السنة ، ونقل عن كثير من فقهاءهم التصريح بأنه لو فعل ذلك لالاعتماد بل تسفنا لا يكره وانه لا يكره في النفل ولو قصد به الاعتماد ، وان في هذه المسألة لعمدة يبين بها الفرق بين المقلدين العميان الذين لا بصيرة لهم في دينهم وبين أهل البصيرة من المستقلين والمتبعين للأئمة والفقهاء قلنا مرارا لانه يجب على جميع المسلمين أن يهتدوا بالكتاب والسنة وان ذلك لا يمنعهم من اتباع أئمة العلم والاتفاق بكتبهم فالمتبع لهم حقيقة لا تنقطع صلته بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأما المقلد الأعمى الذي يتبع آباءه ومشايخه من حيث لا يعلم وجه صلاتهم بالكتاب والسنة فهو منقطع عن تلك الهداية غير معتصم بحبل الله كما أمر عز وجل فهو يأخذ عنهم الحكم الموافق لا من حيث انه موافق ويأخذ عنهم الحكم المخالف وقد يدري انه مخالف وشبهته وشبهة من

قد علم ان أولئك الائمة أعلم منا بالكتاب والسنة فيجب أن نعتمد على فهمهم لها دون فهمنا ونحن على تقدير تسليم ان الله يكلف كل إنسان بما يفهمه من يظن هو أنه أجود منه فهما نقول أولاً ان معنى اتباعنا لهذا الجيد الفهم هو أن نتلقى عنه الكتاب والسنة ونعمل بما يلقىه الينا من فهمه لها وما عليه جماهير المقلدين من الخلف الجاهلين ليس كذلك فان أحدا منهم لم يتلق شيئاً عن إمام مجتهد وانما يتلقى دينه من آباءه ومشايخه المقلدين كما فهموا من مشايخهم المقلدين ومن كتب أمثالهم عصراً بعد عصر وقد يكون مشايخنا مخطئين فيما فهموا من مشايخهم ومن كتبهم وقد يكون من قبلهم كذلك مخطئين وهكذا كما أخطأ الملايين من المالكية قرناً بعد قرن في ترك قبض اليمين وعزوا ذلك الى مالك خطأ في فهم رواية ابن قاسم عنه : فما جاز في هذه المسألة عليهم ووقع منهم يجوز مثله على غيرهم ويقع منهم بل هو واقع لا محالة فان المسائل الخلافية الكثيرة لا يعقل أن يكون المصيب فيها دائماً واحداً وانما يكون كل منهم مصيباً في بعضها ومخطئاً في البعض الآخر وحكم الله في مثلها ان ترد الى الكتاب والسنة فانها هي المسائل المتنازع فيها وقد قال عز وجل « فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً » أي رده الى كتاب الله ورسوله في عصره والى سنته بعد وفاته

فلو جرى الخلاف منا على سنة سلفنا الصالح في جعل علم الدين بياناً للكتاب والسنة دائماً لما استمر الجمهور منا على الخطأ في شئ زماناً طويلاً ولما تفرقت كلمتنا ولو جعلنا الواسطة بيننا وبين الكتاب والسنة كلام الائمة المجتهدين الاولين وحدهم لما بعدنا عنها هذا البعد الشاسع لا سيما اذا اتبعناهم فيما أمروا به من رد كلامهم الى كلام الله وسنة رسوله دون العكس ولكن الواسائط كثرت بيننا وبينهم جداً فنحن مخدوعون بدعوى اتباع الائمة ولم نلتق عنهم ولم نقرأ ما كتبوه بأيديهم وليس لأكثرنا نفوذ اليهم أسانيد متصلة كأسانيد السنة نميز بين صحيحها وضعيفها وموضوعها بالرجوع الى تاريخ رجالها

وجملة القول إن هذه الرسالة (حياة الناسك) قد جاءت حجة ناصمة على المقلدين

العميان الذين يزعمون انهم باتباع آباؤهم ومشايخهم آخذون بما فهمه الاثمة المجتهدون عليهم الرحمة والرضوان من الكتاب والسنة ومستغنون به عن دراستها وفهمها والاهتداء بهما مباشرة أو بواسطة ما فسرهما به الاثمة فقط

هذا وان اكثر الناس يوثرون ما اعتادوه على ما يصح عن الاثمة كما يوثرونه على الكتاب والسنة وسنرى هؤلاء يصرون على سدل أيديهم في الصلاة ولا يرجعون عنه بعد ما بين لهم هذا العالم الواسع الاطلاع ان مذهب مالك واساطين علماء مذهبه هو مذهب سائر المسلمين الثابت بالسنة الصحيحة قولاً وعملاً وانما يرجع الى ذلك بعض الاتقياء الذين يوثرون الحق على العادات والتعاليم الموروثة وههنا يظهر فضل علماء المالكية فان رجعوا بالعامية الى العمل بهذه السنة وموافقة المتبعين الى سائر الاثمة فذلك مما يحمد لهم ويحمد الله على توفيقهم للحق والانصاف

واننا نذكر عناوين أبواب الرسالة ترغيباً للناس في مطالعتها والاعتبار بها وهي عشرة (١) في نصوص الفقهاء على مشروعية القبض وكراهة السدل (٢) في تأويل رواية ابن القاسم كراهة القبض (٣) في احتجاج الفقهاء المحققين لسنة وضع اليد على اليد في الصلاة (٤) في اتفاق جميع شرائع الانبياء على سنية ذلك (٥) في ان القول المشهور لا ينحصر في المدونة (٦) في الفرق بين المشهور والراجح (٧) في محل اليدين عند الوضع (٨) في تكميل مهم قاطع للنزاع في المسألة (٩) في عذر الافاضل الذين كانوا قائلين بالسدل (١٠) في جواز الافتاء بالسدل لمن علم كراهته وكونه بدعه . فجزى الله المؤلف الجزاء الاوفى فانه لم يؤبد السنة على البدعة فقط بل أيد الاصلاح الاسلامي بتأييد هذه السنة وكشف شبهة البدعة عن وجهها وهكذا يكون نفع العلماء المستقلين الذين لا يكتفون بما ورثوه عن الآباء والمعاشرين بل يطلبون بأنفسهم الحق اليقين

﴿ حسن الصحابة . في شرح أشعار الصحابة ﴾

الشعر ديوان العرب ، ومادة الادب ، وخير اشعار العرب وأنفعها شعر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فإن فيه ما في شعر الجاهلية من الفوائد وزيادة فإنه يشارك شعر الجاهلية في ضبط متن اللغة وجواز الاستشهاد به في بيان فنونها من النحو والصرف والبلاغة والاستعانة به على فهم القرآن والحديث وغير ذلك من الفوائد كتاريخ العرب وأنسابهم وسائر شؤنهم ويزيد عليه بما فيه من النزاهة والآداب وبيان نشأة الاسلام ومبدا تاريخه وشيء من فضائل وآدابه ، فالرغبة في تحصيله يجب أن تكون أقوى والعناية به ينبغي أن تكون أتم ، وقد كان متفرقا في كتب السير والتاريخ والادب فوفق الله له من غني بجمعه وشرحه ليسهل تحصيله ودرسه وحفظه وفهمه ، ذلك الذي ادخر الله له هذه المنقبة هو الشيخ علي فهمي بن شاكر المستاري المعروف بالقب « جابي زاده » الذي كان مفتيا في هرسك ثم هاجر الى القسطنطينية وصار معلما للادبيات العربية في دار الفنون أعلى مدارسها وأرقاها

لقيت هذا الرجل الصالح فألفت عنده من العناية بأشعار العرب وأنسابها ما لم أجده أومثله عند أحد في دار السلطنة الا ان يكون الشيخ محمد خالص (افندي) وكيل الدرس في المشيخة الاسلامية على ما عند علماء هذه الديار من الضعف في هذه اللغة لتلقيهم علومها الآلية والشريعة بالترجمة لان السياسة قضت بأن لا تقوى اللغة العربية في الضعف التركي ، بل أقول قلما يوجد في مصر وسورية من له عناية بانساب العرب واشعارهم وآدابهم كهذا العالم المستاري الهرسكي الذي نشأ في ظل حكومة النمسا نشوءه العلمي

رتب المؤلف ما جمعه من أشعار الصحابة على حروف المعجم وقد طبع الجزء الأول من شرحه لما قبلت صفحاته ٣٦٢ وهو من قافية الهمزة الى قافية الدال . ومن طر يقته في هذا الشرح أنه يترجم كل صحابي له شعر عند ذكر أول شعر له ، وهو يعزو كل شعر الى الكتب التي نقله منها وما كان مختلفا في غزوه الى صاحبه ذكر

الخلاف في ذلك ، ومن طريقته في الشرح انه يفسر المفردات ويبين معاني الجمل ويشرح الوقائع التاريخية التي تشير اليها الآيات ويأتي عليها بالشواهد والأمثلة أحيانا ويبين إعراب بعض الجمل عند ما يرى حاجة الى ذلك .

والكتاب يباع في مكتبة المنار ومن النسخة منه اثني عشر قرشا ماعدا أجرة البريد فنحث طلاب الادب على مطالعته فانه من خير الكتب التي تطبع ملكة اللغة في النفس وتعين مطالعها على اعادة النظم والنثر وعسى ان يقرر في مدارس الحكومة فانه من افضل كتب الادب التي ترغب في مثلها نظارة المعارف

﴿ طلبية الطالب في شرح لامية ابي طالب ﴾

هي رسالة لطيفة شرح بها صاحب هذا الكتاب قصيدة ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم وكافله وناصره اللامية الشهيرة وقد سبق لنا نشر هذه القصيدة البليغة في المنار ويا ليت كل طالب للأدب يحفظ هذه القصيدة ويستفيد من بلاغتها . وهي تباع أيضا في مكتبة المنار ومن النسخة منها قرشان

﴿ تحرير المرأة - ترجمته ﴾

رجم « الاصمعي » كتاب تحرير المرأة المشهور بالتركية والاصمعي هذا معروف عند الادباء بما ترجمه من الآثار العربية بالتركية ككتاب السياسة الشرعية وغيره . وقد طبعت الترجمة التركية بعد الانقلاب العثماني وكان يظن انها تروج في الآستانة ولكن لم تكد نسخها تعرف فيها حتى قرر مجلس الوكلاء (النظار) منعه فكان ذلك غريبا جدا مع كثرة خوض كتاب الترك في مسألة النساء والحجاب وتقيب بعضهم للحجاب وتنفيرهم منه حتى بعد منع هذا الكتاب وربما نذكر شيئا من ذلك في جزء آخر . وأغرب من هذا ان الحكومة العثمانية تمنع القول في شيء تساعد عليه بالعمل فانها كما قيل مساعدة لآحمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثين على المدرسة التي يريد أن يعلم فيها بنات المسلمين مع بنات الافرنج وغيرهم من غير تربية دينية ولا تعليم إسلامي

بِإِذْنِ خَبْرَةِ الْأَنْدَلِ

حفلة وداع البستاني

وصلت الى القاهرة ظهر يوم الاثنين لست اوسبع خلون من شوال فأخبرني من لقيني من أصدقائي السوريين أنهم سيجتمعون بعد المغرب في فندق كوتنتال للاحتفال بوداع صديقنا سليمان افندي البستاني مبعوث بيروت وانه يحسن أن أحضر الاحتفال ان لم يمنعني مانع فأجبت وجئت المكان متأخرا وكان رفيق بك العظم واقفا يتكلم في مسألة سوء التفاهم بين العرب والترك ويعهد الى البستاني بتلافي ذلك عسى أن يرتق الفتق قبل اتساعه

لم أسمع كلام الخطيب كله ولكنني أعرف رأيه وحرصه على الاتحاد العثماني فقد قضينا السنين الطوال في العمل لذلك سرا وجهرا والبستاني يعرف لنا ذلك حتى قال لي في الآستانة وكنا نتكلم في هذه المسألة انني لا أعرف أحدا من إخواننا السوريين أو قال العرب موافقا لرأيي مثلك ومثل رفيق بك أو قال غيركما

ثم قام بهتوب افندي صروف فرد على رفيق بك بعد الاعتراف له بما اشتهر به من الفيرة على الدولة والاخلاص لها وقال انه لا يوجد شيء من سوء الظن بين الترك والعرب وأن الترك يفضلون العرب على أنفسهم وان القابضين على زمام الاحكام يعملون بالاخلاص التام لتوحيد العناصر ومتى وجد الاخلاص لا يضر الخطأ ان وجد وان سبب عدم نيل العرب لتصبيهم من الوظائف هو عدم تمرنهم وتدريبهم على اعمال الحكومة وادارتها كالترك !!

ثم قام البستاني فأثنى على رفيق بك وغيرته واخلاصه وذكر ان سوء التفاهم

(المارچ ۱۰) (۹۹) (المجلد الثالث عشر)

الواقع بين العنصرين سببه عدم الاطلاع على حقيقة الحال في الدولة فأكثر المناصب العسكرية في أيدي العرب وذكروا منهم محمود شوكت باشا ناظر الحرية ومحمد هادي باشا قائد الفلق الثالث وسامي باشا قائد حملة حوران قال والعسكرية هي كل شيء الآن ، ثم ذكر الشريف حيدر بك ناظر الاوقاف ووالي البصرة الجديد ، وان عمال الحكومة من الترك يبيرون لا يزيدون على سبعة في المئة - وأن الترك يشتغلون لخدمة لغتنا أكثر منا والحكومة تعد مشروعا لجعل تعلم العربية اجباريا في المملكة ، ومن البراهين على ترقيتها للغة العربية مساعدتها لمشروع السيد رشيد رضا صاحب المنار فانه اقترح إنشاء مدرسة كلية عربية في العاصمة فتلقت الحكومة مشروعه بالقبول وقررت مساعدته عليه بالمال

قال البستاني هذا كما قال هو وغيره من المبعوثين مثله في بيروت والشام ولم يكن عالما بأني جئت من الاستانة واني في المجلس اسمع لاتي جئت في اثناء الخطابة فلم يرني الا من جلست بالقرب منهم ، فقبل له هاهو ذا السيد رشيد خياني واستشهدني فأرجأت شهادتي الى ان يتم كلامه وبعد ان أنهت قامت فتاة سورية عذراء فوقفت تحت العلم العثماني المحبوب وحيته بخطاب مشور مؤثر صفقت له أيدي الحاضرين ورقصت له قلوبهم ثم قت فقلت كلاما حاصله ان العثمانيين الحاضرين في هذه الحفلة هم من ارقى العثمانيين ان لم يكونوا ارقامهم في علومهم وأفكارهم وانهم مستمسكون بعقائدهم متحدون تحت علمهم الذي تهتف له ألسنتهم وقلوبهم ويحييه حتى العذارى منهم (قلت) فقد سمعتم ما فاهت به هذه العذراء العربية العثمانية في تحية العلم العثماني بالكلام الفصيح البليغ الصادر عن وجدان يتدفق غيرة وحمية واخلاصا لا يوجد ارق منه في نساء الاستانة نفسها على ان نساء الاستانة ارقى من نساء سائر الولايات العثمانية تربية وتعلما ، ولكن لدينا في النساء السوريات من هن في الذروة التي لا تعولها ذروة أخرى في الاستانة ولا في غيرها من هذه المملكة

ان المرتقين من الامة يجب أن يعرفوا كل شيء من أحوالها فاذا يجب أن يعرف هذا الجمع ان ما نعتبر عنه بسوء التفاهم بين العرب والترك واقع حتما وان رفيق بك مصيب فيما خاطب به مبعوثنا العاقل المتروي من وجوب السعي

في تدارك ذلك وتلافيه وكيف نكابر أنفسنا وننكر أمر الهجت به الجرائد في العاصمة والولايات ومصر وتناوله خيال الشعراء وعرفه العامة والخاصة وشكا منه العقلاء حتى قال أحد كبراء الحكومة في العاصمة لأحد مبعوثي العرب اننا وصلنا بسياسة الأطفال الى درجة من سوء التفاهم صار يخجل الي فيها اذا رأيتك مقبلا لمعاقتي انك واثب علي لتفتك بي وانت يخجل اليك مثل هذا

المسألة وصلت الى العامة فاذا تغفلت فيها صعب نزعمها لذلك كان من حرص رفيق بك مخاطبة سليمان افندي بما خاطبه به لعله بأنه على رأيه في ذلك . واني قد بذلت جهدي في الآستانة لتلافي خطر هذه المسألة وكللت فيها أولياء الامور الصدر الأعظم وغيره (وأشرت الى ذلك أيضا في نبذة الرحلة من هذا الجزء) والبستاني كان يسمى مثل هذا السعي وجري الحديث بيننا في ذلك غير مرة فاذا كان يقول لكم ههنا كما كان يقول في سورية انه لا خلاف ولا تغاير ، وماثم الا الاتحاد والتآزر ، فما ذاك الا انه يجري على ما تعود من الدعوة الى الوفاق فهو يريد أن يسكب الماء البارد على هذه القلوب الحري ليرد حرايتها ، ولكنه كان يخاطب اخوتنا الترك في العاصمة بغير ما خاطبكم به ، كان ينكر عليهم كل ما يبالغه من الامور التي تحرك العصبية الجنسية والتنافر بين العنصرين فهو يقول في كل مكان ما ينبغي أن يقوله مثله من دعاة الوفاق والاتلاف فأنا اشكر له ذلك وأفاخر به أنه عربي سوري

ثم بينت لهم رأيي وما وصل اليه سعيي في هذه المسألة وهو ما تقدم في نبذة الرحلة من هذا الجزء ، وما يئتمه من قبل في مقالات (العرب والترك) وغيرها من المقالات التي نشرتها في الآستانة ، وملخصا ان الترك والعرب اخوة في الاسلام وفي المصلحة العثمانية لا يستطيع ان يفرق بينهما أحد فهما كالعنصرين المكونين للاء أو الهواء وان ما كان من سوء التفاهم فسيبه افراد من المتفرجين في العاصمة فهناك ولدت هذه المسألة ومن هناك دببت ودرجت وهناك تتلافي

ثم ذكرت أيضا ما وصل اليه مشروع العلم والارشاد (وتقدم بيانه في نبذة الرحلة فلا نعيده) ولكن زدت ان نظام المدرسة (دار العلم والارشاد) مبني على ان التعليم كله بالعربية وان التركية إلزامية فيها وان بعض أعضاء الجمعية يقترحون

ان تعلم بعض الفنون بالتركية . والنظام الداخلي لها لما تصدق عليه الجمعية بعد هذا قام البستاني فتكلم كلاما وجيزا لم ينقض فيه شيئا من كلامي ولكنه صرح بأن أحسن ما قلته هو ان سوء التفاهم جاء من بعض الافراد فلا يجوز أن ينسب الى الترك أنفسهم وانه يعلم ان رفيق بك مخلص فيما اقترحه وانه هو أعلم الناس بغيرته وإخلاصه (قال) الا السيد رشيد فلا ادعي انني أعلم منه بذلك ثم تكلم خليل افندي مطران فأيد رفيق بك وذكر فضل العرب ومكاتهم وحقوقهم وقال ولي الدين بك يكن كلمة وجيزة في وجوب مزج العنصرين وجعل العرب تركا والترك عربا ، وهذا ما كان صرح به حقي باشا الصدر الاعظم . ثم انفضت الحفلة والجميع متفقون على وجوب ازالة الخلاف فلهذا در العرب ما أشد لإخلاصهم وقد بلغتني بعد أيام أنه نشر في جريدة العلم مقالة لكاتب مجهول في تخطئة رفيق بك وتخطئتي فيما قلناه وان من ضرره انه يحرك سائر العناصر العثمانية على المطالبة بحقوقهم اذا رأوا العرب يطالبون بحقوقهم وان الذي حمل رفيق بك على هذا الكلام هو طمعه في الوظائف بل زعم الكاتب انه طلب لنفسه وظيفة فلم ينلها فقام ينتقم لنفسه ويخمد الانكليز بمقاومة الدولة وتهديدها واستدل بكلام البستاني على خطاه لم أر ما كتبه هذا الا عن المفات ولكن رأيت لرفيق بك ردا عليه وعلى العلم في الاهرام ومثله لا يرد عليه لانه سيئ النية بدليل كذبه في دعواه ان رفيقا طلب وظيفة والبستاني يعلم كما نعلم ان رفيقا لو عرضت عليه الصدارة لما قبلها لأن صحته تمنعه من العمل حتي انه لم يقبل ان يكون مبعوثا ، ولأنه (أي الكاتب) جاهل بحال الدولة لا يدري ماذا طلبت العناصر الأخرى من الدولة بحق الدستور وبغير حقه أيضا ، ولا يدري ان هذه العناصر لا تنتظر الكلام الذي دار في حفلة وداع البستاني لتبني مطالبها عليه بل لا تعلم به وان نشر في الجرائد المصرية وان كلامه هو لا يصل اليها أيضا ولا الى أولي الامر في الآستانه فهو تملق ضائع ونحن لم نطالب بحقوق العرب في الاحتفال وانما طالبنا بوجوب الاتفاق ولذلك لم تعرض لبيان الحقائق فيما قاله البستاني وغيره بل كتبنا في المئارج من قبل انه لا يضرنا ان تكون أكثر الوظائف في الترك وانما يضر ان تكون في غير الاكفاء . . .

﴿ عباس أفندي البائي البهائي ﴾

البهائية فرقة من البائية رئيسها الآن عباس أفندي بن ميرزا حسين علي الملقب بالبهاء أو بهاء الله دفين عكا. وهم آخر طوائف الباطنية يعبدون البهاء عبادة حقيقية ويدينون بألوهيته وربوبيته ولهم شريعة خاصة بهم ، وكان عباس أفندي محجورا عليه في عكا فلما صارت الحكومة العثمانية دستورية تسنى له أن يخرج من عكا وقد جاء الاسكندرية في هذا الشهر وكتب مدير المويد نبذة عنه وصفه فيها بالعالم المجتهد وبالتضلع من العلوم الشرعية والاحاطة بتاريخ الاسلام وقال ان أتباعه يعدون بالملايين وانهم « يحترمونه الى حد العبادة والتقديس حتى أشاع عنه خصومه ما أشاعوا » ثم قال مدير المويد « ولكن كل من جلس اليه يرى رجلا عظيم الاطلاع حلو الحديث جذابا للنفوس والأرواح يميل بكليته الى مذهب (وحدة الانسان) وهو مذهب في السياسة يقابل مذهب (وحدة الوجود) في الاعتقاد الديني تدور تعاليمه وارشاداته حول محور إزالة فروق التعصب للدين أو الجنس أو الوطن أو لمرق آخر من مرافق الحياة الدنيوية »

أقول ان عباس أفندي رجل عظيم سيامي جذاب الحديث يخاطب كل أحد بما يرى انه يرضيه ويعجبه وكان منذ ثلاثين سنة يجيء ييروت فيصلي الصلوات الخمس مع المسلمين وكذلك كان يعامل المسلمين في عكا ، يجتمع بالعالم السني فيهمه ان فرقته لم يكن همها من الاصلاح الا إزالة تعصب الشيعة وتقريبهم من أهل السنة والتوفيق بين الطائفتين كما سمعت ذلك عنه من شيخنا الشيخ حسين الجسر (رح) وهو في الحقيقة زعيم دين جديد في بعض تعاليمه ومسائله وان كان مبنيا على أصول الباطنية الذين منهم الاسماعيلية والقرامطة والدروز والنصيرية ، وهم يدعون المسلمين الى دينهم بدعوى أنهم منهم ويريدون ان يحملوهم على بصيرة في دينهم اي وثنيين يعبدون البشر فيالله من هذا الارتقاء ، والتقدم بالرجوع الى الوراء ، وكذلك يدعون النصاري بتسليم الوهية المسيح وادعاء انه هو البهاء وقد جعل قداموهم للدعوة أصولا

وأساليب حكيمة بينها المقر يزي وغيره من المؤرخين كالتشكيك في آيات القرآن وتأويلها بما تبتدأ منه اللغة والدين كتأويل البهائية السموات السبع بالآديان واختصاص الملائكة الأعلى باختصاص أولاد البهاء عباس وأخوته ، وتفسير «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة» بظهور البهاء وأتباعه فهو إلههم وأتباعه ملائكتهم !! وعندما ان القيامه قد قامت بظهور الباب والبهاء

ولما كان ما ذكره المؤيد عن عظيم القوم يومهم انه من علماء الاسلام المجتهدين في الدين كالأئمة الاربعة (مثلا) وان سياسته كسياسة الماسون وكان هذا مما يسهل عليه نشر دعوته في مصر ويحمل من يغتر بظاهر كلام المؤيد على الثقة به رأيت انه يجب عليّ ان أنبه الناس الى الحق الذي اعتقده بعد الاختبار الطويل وما قرأته وسمعته عن هؤلاء القوم وما قرأته في كتبهم وما جرى لي من المناظرة والمحاوره مع داعيتهم بمصر ميرزا أبي الفضل

أقول ان عباس أفندي ليس إماما من أئمة المسلمين المجتهدين والمويد ان يقول انه غنى بالمجتهد معناه اللغوي لا الأصولي بل لا يعد من علماء المسلمين لان قومه ليسوا منهم ولكن لا ننكر انه مطلع على تاريخ المسلمين وعلمهم ، واجتماع مدير المؤيد به مرتين لا يكفي للحكم بأحاطته بالتاريخ وتضلعه من العلوم الشرعية ، وقوله إن أتباعه يعدون بالملايين غير مسلم أيضا وطالما سمعناهم يدعون ذلك لانه مما يجذب الناس اليهم بل يجمعون هذا دليلا على حقية دينهم وقد سبق لي كلام معهم في ذلك . والمؤيد أخذ ذلك عنهم بالتسليم

واما مسألة وحدة الانسان فانهما يفتون بها دعوة الناس الى دينهم المبني على عبادة البشر وتقديسهم حتى قال داعيتهم أبو الفضل في أحد الملاحم العامة بمصر في البهاء «هو الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر» فقلونا نحن فاصلة الآية (سبحان الله عما يشركون) والمسلمون يدعون الى اتحاد البشر واتفاقهم على عبادة الله وتقديسه وحده وجهلهم أخوة في الاسلام لا يفرق بينهم تعصب لدين ولا جنس ولا وطن ولا غير ذلك ، والنصارى يدعون أيضا الى وحدة الانسان في النصرانية وعبادة المسيح عبد الله ورسوله (عليه السلام) فبماذا امتاز البهائية

ألا فليعلم الناس ان هؤلاء الباطنية قد قصدوا في وضع نمايلهم الاولى نحو الاسلام وازالة سلطانه من الارض ، وضعا بمض مجوس الفرس لما فتح المسلمون بلادهم وازالوا ملكهم واستعانوا عليها بالشيعه وهم حزب سياسي يرى ان الحكومة يجب ان تكون (أرستقراطية) للاشراف من آل بيت النبي (ص) فصاروا يبشون دعوتهم في هذا الحزب بحمله على الغلو في بغض عمر بن الخطاب (الذي فتح بلادهم) وابي بكر وجمهور الصحابة الذين كانوا أقرب الى القول بحكومة الشعب (الديمقراطية) وقد وجد هذان الحزبان في الاسلام ووجد فيهم حزب الفوضوية ايضا وهم الخوارج كما وجد ذلك عند غيرهم لان وجود هذه الاحزاب السياسية طبيعي في البشر ، وكذلك خلق الغلو طبيعي في البشر ولذلك نجح الباطنية في دعوة غلاة الشيعة الى تكفير جماهير الصحابة ورميهم بكتمان بعض القرآن ولم يدروا ان ذلك يعد طعنا في أئمة آل البيت الذين يتعصبون لهم لان رئيسهم عليا كرم الله وجهه كان يحفظ القرآن كله فلماذا لم يظهر المكتم ؟ انهم يجيبون عن هذا بما لا يقبله ذو عقل مستقل كالنقية وما كان علي بالجبان فيخاف في اظهار أساس دينه أحدا . على انه كان يمكنه ان يثبت ذلك سرا في آل بيته وشيعته وغرض الباطنية إخراج الشيعة من الاسلام كما كانوا يريدون إخراج غيرهم ولكنهم خابوا ولا يزالون خائبين وللمسلمين من الشيعة وغيرهم السلطان والبرهان الغالب عليهم . ولما ظهر غلاة المتصوفة توسل الباطنية بهم الى مقصدهم أيضا فأضلوا كثيرا من الناس ولكن الاسلام ظل غالبا على أمره في الصوفية أيضا الا من كان أو صار من الباطنية وسنزيد هذه المسألة بيانا . وعسى أن ينشر مدير المؤيد هذا في جريدته لينزيل الابهام الذي علق بالاذهان من كلامه ولا يعقل ان يكون مقصودا له لأن آحاد العامة المتهاونين في الدين لا يمهدون السبيل لدعوة دين وضع لمحو دينهم فكيف يفعل ذلك مثل مدير المؤيد وهو من يعد من خواص المسلمين في علمه وسياسته

ومن أراد أن يعرف تاريخ هؤلاء الباية وشيئا من التفصيل في دينهم فيطالع كتاب مفتاح الأبواب تأليف الدكتور محمد مهدي خان وثمته خمسة عشر قرشاً صحيحاً ويوجد في مكتبة المنار وغيرها

﴿ امیر مکة المکرمة الشریف حسین ﴾

« سعيه المشكور في نجد »

علمت منذ أشهر وأنا في الآستانة ان الامير سافر من الطائف الى نجد في عسكر
لجب من العرب الخاضعين له وان قصده من ذلك منع امير نجد عبد العزيز بن
سعود من أخذ الزكاة من قبائل عتيبة التابعة للشریف والاعتداء عليهم لان امير مكة
هو الذي كان يأخذ زكاتهم، ثم عقد الصلح بين ابن سعود وابن الرشيد، وبلغنا ان والي
الحجاز عرض يومئذ على الشریف أن يأخذ معه ماشاء من العسكر فأبى، وكان ذلك
حكمة منه تدل على بعد نظره وسعة علمه بأخلاق العرب وطبائعهم، وقد ظهر أثر ذلك
فانه أدرك ما أراد ولم يسهك دما ولا زاد القبائل خلافا وعدوانا فيما بينها وبعدا عن
الدولة وتكرار منها وسوء ظن بها كما كانت تفعل بعثات الدولة العسكرية بل أصلح
إصلاحا لم يسبق الى مثله فدل عمله على فساد رأي الذين يريدون إلغاء إمارة مكة
دفعه واحدة ورأي الذين يرون أن تلغى سلطة الشریف أولا ثم تلغى وظيفته،
ولا خير في هذا الرأي للدولة ولا في ذاك بالأولى، وان محاولة سياسة عرب الجزيرة
ولا سيما الحجاز وادارتهم بالقوانين التي تنفذ في أوربة العثمانية تعد ضربا من الجنون
والاعتماد في إخضاعهم لها بالقوة فن آخر من الجنون أشد مما قبله خطأ وخطورا
قرأنا في الجرائد ان الشریف فاز وأفلح فيما أراد ونحن نعلم أن عبد العزيز بن سعود
كان قد استعد للقتال لما سمع بزحف الشریف على نجد ظاهرا منه انه زحف بعسكر نظامي
للقتال وإخضاعه بالقوة القاهرة حتى انه كتب في أواخر شعبان الى سليمان بن جبري
وجماعة أهل القوعية يأمرهم بالنفير العام قال في كتابه « ولا يتربصن منكم أحد
وترى أعرفكم عرقكم رطب هل فزع لكن والله ما يذكر أحد متخلف تكون عقوبة
الله عليه ، الله الله في العجلة لغاية ما يكون، ولكنه لم يذكر السبب ولا اسم الشریف.
ثم علم ابن سعود أن نية الشریف صالحة ومطلبة حق وأن القبائل الموالية له تحارب
معه كل أحد الا الشریف، وانه قد انضم الى عسكر الشریف الفاخيل عربي من

القبائل التي مربها في طريقه الى نجد فعلم ان الخير له في السمع والطاعة ، ثم ان الشريف امر اخاه (سعدا) فعظم عليه ذلك ، ولولا ثقته بوفاء الشريف لتهور وأقدم على الحرب بمن معه فانه مانكر عرب الجزيرة من رجال الدولة وقوادعسكرها الاعدم الوفاء والوفاء هو الخلق الذي كانت تدين به في جاهليتها وزاده الاسلام تأكيدها عندما لو شاء الشريف لدخل نجداً وأمر أميرها عبد العزيز بن سعود آل فيصل أوقته ان لم يفر هاربا ولكنه لحكمته وسياسته العالية لم يفعل وقد خضع ابن سعود له وأجابه الى كل ما طلبه وأرسل اليه أخاه عبد العزيز عبد الله آل سعود بهديته النفيسة وهي الصقلاوية والمحمداني وكحيلان ، وهي أكرم الخيل العربية في نجد . وجاءنا من أخبار الحجاز ونجد انه قد تم الاتفاق بينهما على الامور الآتية كتب بها ابن سعود (تعهدا) امضاه وختمه وأرسله الى الشريف وهي

(۱) عدم التعرض لعقوبة كافة بحال من الاحوال من تنزيل أو ترحيل أو كل ما يحسب ويعد من التعرض عليهم من زكاة أو خلافه

(۲) عدم أخذ الباج (المكس) منهم بأي صورة كانت من أي قرية أمدوها واذا وقع منهم ما يخالف يخبر عنه

(۳) طاعة أمير مكة في كل ما يأمر به حسبما تقتضيه حقوق ومنافع الدولة العلية

(۴) القصيم وهو بريدة وتوابها على خيرة أهله إن جاءت مضبطة منهم بأنهم يختارون اماره الامير عبد العزيز بن سعود صاحب هذا التعهد يبقون تحت يده ويدفعون ثلاثة آلاف مجيدي سنويا باسم الخزينة العامرة السلطانية بمكة المكرمة وان لم يجي منهم مضبطة يعين أميرهم برضاهم ويدفعون المبلغ المذكور على كل حال . وموعد المضبطة يمتد الى آخر شوال

هذا ما تقرر وتعهد بانفاذه ابن سعود وكتب وأمضاه وختمه وأشهد على نفسه فيه كبار قومه وهم محمد بن عبد الرحمن السعود وسعد بن عبد الرحمن السعود وسعيد بن عبد الرحمن السعود . والشيخ عبد الله عبد اللطيف ومحمد بن سعود بن عيسى

وعبدالله بن ابراهيم العسكر . وامضاء ابن سعود هكذا (خادم الدولة والملة والوطن
أمير نجد ورئيس عشائرها عبد العزيز السعود)

وقد اطلق الشريف سراح أخيه سعد فعاد معززا مكروما يثي اطيب الشاء على
عناية الامير الشريف به . ووضع الشريف محمد بن هندي شيخ قبائل عتيبة وكيله
في نجد . وكذلك خضع ابن الرشيد وأرسل الهدايا الى الشريف ودان لأمره في
عدم التعرض لعتيبة وفي الكف عن محاربة ابن سعود ، ويقال ان ابن السعود وابن
الرشيد كليهما عزموا على التشرف بزيارة الشريف وانهما ربما حضرا في الموسم
أليس هذا الاتفاق والسلام خيرا مما كان في عهد الاستبداد المشؤم
من لغواء ابن الرشيد بابن سعود وايقاع المداوة والبغضاء بين القبائل ؟ أليس
من المعجب ان يوجد في الدولة الآن من يظن أن اتباع خطوات عبد الحميد في
هذه السياسة السوءى هو الذي يحفظ سلطة الدولة ، أليس أعجب منه ان يتوهم
آخرون ان السياسة والادارة يجب ان تكون بالقهر والشدة والبأس والقوة .
لابلل والحكمة ؟ ألا يعتبر رجالنا بادارة الانكليز في السودان وكيف استمالوا
اليهم العرب والزنوج ؟ حتى ان فرنسا ارسلت وفدا الى السودان ليتعلم كيفية الادارة
فيه لعل فرنسا تتبعها في افريقية . ألا يعتبرون بسياسة انكلترا فيما جاور عدن من
بلاد اليمن ؟ لو عرف هذا ذلك الضابط الذي خطب في « يكي جامع » بعد صلاة
أول جمعة من رمضان خطبة استحسّن فيها إلغاء امارة مكة لما فاه بكلمة في ذلك
فسمى ان يترك هو وأمثاله السياسة فالامة محتاجة اليهم فيما تعلموه من فن الحرب
والدفاع وحسبها سياسة طلعت بك واخوانه

فعلى كل عثماني ان يشكر للشریف الحكيم أمير مكة المكرمة عمله
السلمي وادارته المثلى وعسى ان تشكره له الحكومة الدستورية باناطة لإصلاح جميع
عرب الجزيرة بحكمته وتفويضها الى رأيه ، فقد عمل لها بغير اهراق دم ولا اتفاق
درهم ماعجزت عن مثله حكومة الاستبداد بسفك الدماء وخسارة الاموال ، في
السنين الطوال ،

ومن أخبار الحجاز أن قبائل غامد وزهران (في حدود اليمن) الذين كانوا قد

انحرفوا عن الشريف ووالوا الادريسي قد ندموا على ما كان منهم وطرردوا وكيل الادريسي الذي كان عندهم وتبرءوا منه وارسلوا (مرايطهم) الى الشريف بالطاعة والاقبياد . وأما قبائل حرب فهم في خوف ووجل وينتظر ان يلقوا الى الامير الشريف السلم لئلا ينكل بهم تنكيلا ، فنسأل الله تعالى أن يوفقهم لما فيه حقن الدماء وسعادة البلاد المقدسة في ظل الدولة الدستورية ايدها الله تعالى

➤ الإصلاح في حكومتنا الدستورية

يساءلني الناس مشافهة ومكاتبه عما عملته الحكومة الدستورية من الإصلاح والفرق بينها وبين الحكومة الاستبدادية الغابرة ، فأما الفرق فهو مثل الصبح ظاهر ، وهل يماري في الصبح الا الأعمى أو المكابر ، كنا في آخر عهد الاستبداد بين ذراعي ومخلب الأسد ، يُتربص بنا الهلاك نفسا بعد نفس ، وقد قال لي صديق لي من ضباط أركان الحرب في الآستانة : لو أن البلغار حاربنا عقب الانقلاب ، لدخلت علينا العاصمة من الطاق والباب ، والآلآن قددر أن نحارب البلغار واليونان والصرب والجبل الاسود في وقت واحد ونرجو بحسب ما نفيذه قواعد فن الحرب أن نكون الغالين . فأبشر قراء المنار بأن الإصلاح الذي وقفنا له في جيشنا عظيم ويليه الإصلاح في البحرية فالهمة المبذولة فيه عالية ولكن فتك عبد الحميد في البحرية كان أشد من فتكه في سائر النظارات فنحتاج الى زمن طويل لإصلاحها كما يجب . على أن المدرعتين اللتين اشتريتهما من ألمانيا قد جعلتا لنا قيمة بحرية عظيمة عند جارتنا في البحرين الابيض والاسود (اليونان وروسية) وان سائر النظارات موجهة وجوها الى الإصلاح ولكن ليس عندنا من رجال الادارة مثلاً عندنا من رجال الحرب فلا بد من الانتظار والأمل . وعندي أن مجلس الأمة لم يأت بأقل مما كان ينتظر منه وهو في بدايته والرجاء في الانتخاب الآتي أكبر ، وعلنا نشرح ما سمعناه واستفدناه في الآستانة من آراء الوزراء والكبراء والعلماء والاعيان ورجال جمعية الاتحاد والترقي وغيرهم من أصحاب الرأي في إصلاح الدولة ومستقبلها ، ونجمل ذلك محاوره خيالية في

صورتها حقيقية في معناها ، اذ لا يجوز لنا أن نصرح بأسماء أصحاب تلك الآراء المختلفة وبما علمته في الآستانة اننا كنا مخطئين في اعتقادنا أن فتنة ٣١ مارت (أو ١٣ ابريل) كانت لاسقاط الدستور واعادة الاستبداد فالصواب انها كانت لاسقاط جمعية الاتحاد والترقي ومنع سيطرتها على الحكومة وسمعت هذا من بعض رجال الجمعية المستقلين . وأما كون محمود شوكت باشا ليس عمر يا فاروقيا في نسبه لأبيه فقد علمناه قبل رحلتنا الى الآستانة فوالدته عمرية ووالده من (الفلن) ولكن أسرتهم صارت عمرية وهو يصرخ بأنه عربي

﴿ الرد على أعداء الإصلاح الاسلامي ﴾

تركنا عملنا ورحلنا الى عاصمة دولتنا لاجل السعي العملي النافع لدولتنا وأمتنا وديننا ، وكنا ونحن مجدون لبنا ونهارنا في هذا السعي نأخذ المرة بعد المرة مكتوبات من الشرق والغرب والجنوب يطالبنا فيها أصحابها بالرد على الدجالين والمفرقين من أعداء الإصلاح كالنبهاني والشيخ احمد جمال التونسي وصاحب جريدة جديدة في سنغافوره والشيخ محسن العاملي ، ويرسلون الينا رسائل وقصائد وجرائد لهؤلاء المفرقين طلاب المال والجاه عند العامة ، فما كنا نسمح بأن نضيع شيئا من وقتنا لمطالعة ما يرسلونه الينا من رسائل وجرائد هؤلاء المفسدين لأن الوقت والمال قد صُرفا الى ضد سعيهم ، فنحن نشكر للذين طالبونا بالرد غيرتهم ونذكركم بقوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) ولكنني رأيت بعض اخواننا مغرورين بالنبهاني لما كتبه من الاوراد والصلوات ونحوها فأقول لهؤلاء المغرورين ان هذه الكتب كسجد الضرار صورتها خدمة للدين وهي في معناها مفسدة ضارة

لم يكن يوجد شيء من هذه الكتب وأمثالها في القرون الثلاثة الاولى وهي بشهادة النبي (ص) خير القرون أيام كان الاسلام في كماله الديني ، ولا انتشرت في القرون الثلاثة التي بعدها أيام كان الاسلام في كماله المدني ، وانما راج أمثال هذه الكتب في أيام ضعف المسلمين في الدين والعلم والمدنية وكانت هذه الكتب من أسباب ضعفهم إذ صرفتهم عما آتاهم الله من المواهب واقتوى التي فاز بها سلفهم

وعلفت آمالهم بالأموات ، وصرفتهم عن تدبر القرآن والتعبد به وبما ورد في السنة من الأدعية والأذكار الى أوراد من وضع الناس الذين لا حق لهم في التشريع فيضعوا للناس عبادات جديدة ما أنزل الله بها من سلطان ، وان خلطوها بشيء من المأثور ترويحاً لها ، وكتب النبهاني مملوءة بالروايات الموضوعية المكذوبة والمنكرة والضعيفة الشديدة الضعف ولذلك قلنا من قبل انه لا يوثق بملءه ولا بنقله

كان لهذا الرجل جاه في حكومة الاستبداد الماضية يتملقه لا أعوان عبد الحميد الذين كادوا يقضون معه على هذه الدولة وكانوا يستعينون بقصائد النبهاني في مدحهم ومدح سلطانهم على غش الأمة به من طريق الدين ، وناهيك بأكاذيب الشعراء المتملقين ، وتأثيرها الذي يستتبعون به الغاوين ، (والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون) كان النبهاني يمدح أبا الهدي لما كانت كلمته عند عبد الحميد هي الكلمة العليا ، فكان يرفعه الى الدرجات العلى ، ويجعله من أئمة الدين ، وأقطاب الأولياء العارفين ، فلما غلبه وبزه عزت العابد في الزلفى قلب له النبهاني ظهر المحن وصار يتقرب الى عزت العابد بدمه ، ويدعي ان عزت هو ركن الدولة والاسلام بعد عبد الحميد الذي يربو غلوه في مدحه على كل غلو في ظل هذا الجاه الباطل والمدح الكاذب والغش للمسلمين والعثمانيين كان بروج النبهاني كتبه الملققة وناهيك بنفوذه في المحكمة النظامية ببيروت وكان يهد بذلك السبيل لادعاء المهدي لنفسه كما قلنا بعض المطالعين على محبته ، ومن تمهيداته ومقدماته لذلك ما كان يدعيه من الروى والنامات ،

اين المسلمون الذين تركوا الفواحش والمنكرات ، وقاموا بما ورد في الكتاب والسنة من الفرائض والمندوبات ، والأدعية والذكر والفكر ، وسائر أعمال البر ، ثم وجدوا فراغاً لقراءة أوراد النبهاني وصلواته . وأين من قرأ التفسير والحديث الصحيح والتوحيد والفقهاء ثم وجد فراغاً لقراءة ما لفته من الكتب ، وخط فيه بين الحق والباطل ، ألا إن أمثال هذه الكتب هي التي خدرت أعصاب المسلمين حتى غفلوا عن أنفسهم فملك الأجانب عليهم أمرهم فليتهم كانوا كذلك الاعرابي الذي حاف انه لا يزيد على ما فرض الله عليه ولا ينقص منه فقال النبي (ص)

« أفلاح الأعرابي إن صدق » رواه الشيخان وفي رواية دخل الجنة إن صدق ، فإن الاسلام ما جاء ليجمع أتباعه كهباد بني اسرائيل في الصوامع ، ولا كرهبان النصارى في الاديار ، بل جاء ليجمعهم سادة الارض ووارثيها لتكون لهم مزرعة للآخرة
 يا حيرة على المسلمين كيف سلبوا استقلال عقولهم وبعدوا عن هداية ربهم وسنة نبيهم وسيرة سلفهم وساروا وراء الدجالين الذين استهووهم وسلبوا منهم قلوبهم وأموالهم ومهدوا بذلك السبيل للأجانب فسلبوا ملكهم وأزالوا من بلادهم حكم شريعتهم ، فأضاعوا دينهم ودنياهم ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ،
 كان النبهاني يشغل جمهور المسلمين بكتبه وقصائده عن الاخطار المحيطة بهم من كل جانب وعن كل ما يجب عليهم للدفاع عن دينهم وأنفسهم بالخضوع والعبودية الظاهرة للسلطان عبد الحميد ورجاله ، والخضوع والعبودية الباطنة له ولا مثاله ، وما كان اتصارهم لعبادة أصحاب القبور وتأويل عبادتهم بتسميتها توسلا واستشفاعا لائميداً لانفسهم . وقد فضح الزمان كيدهم الاول ، وكلما استيقظ المسلمون من غفلتهم افتضح كيدهم الآخر (ما كان الله ليذكر المؤمنين على ما أنتم عليه حتي يميز الخبيث من الطيب) والعاقبة للمتقين
 ومن أراد الاطلاع على جهل النبهاني وخطئه في كتبه فليقرأ كتاب (غاية الاماني في الرد على النبهاني) وهو مجلدان لاحد العلماء المحققين وقد طبع في مصر

* * *

﴿ الطيب الشيخ حامد والي ﴾

قرأنا في جرائد الآستانة ونحن فيها أن صديقنا الحميم الشيخ حامد والي قد فاز بائقده المولى في الامتحان الاخير لمدرسة الطب العليا في براين (عاصمة ألمانية) فكان صاحب الشهادة الاولى من متخرجي المدرسة في هذا العام فسررنا سرورا خاصا أن كان هذا الفوز لمن نعدده من أخص أصدقائنا الاوفياء وسررنا سرورا عاما أن كان السبق في أعلى المدارس الاوربية لشيخ عربي شرقي نشأ في المدارس الدينية العربية وهي الازهر ودار العلوم المصرية فنهشته ونهنى افنسنا وامتنا به

* * *

﴿ وفاة امير الالاي صادق بك المؤيد العظمي ﴾

نجعت الحكومة العثمانية والامة العربية بوفاة هذا الرجل الكريم في وقت نرى الدولة فيه في أشد الحاجة الى مثله « ومثل كثير في الانام قليل » في معارفه العسكرية والادارية وغيرته وصدقه واستقامته واخلاصه فهو من الافراد الذين خدموا الدولة في العهد الماضي خدما كثيرة ولم يتلوثوا من ادراؤه بشي . فقد كانت ايامه كلها عملا نافعا وقد ولته الحكومة الدستورية قائمقامية (او متصرفية) جده في العام الماضي فظهر من كفاءته وحسن ادارته ما لم يظهر من أحد غيره من رجال الادارة بعد الدستور فظهر انه من اعظم رجال الادارة كفاءة في حكومتنا . وقد سمعنا أن العسكرية كانت عازمة على رفع رتبته لتعود الى ما كانت (رتبة الفريق) ولكن أراد الله أن يرفعه الى دار كرامته (ان شاء الله تعالى) فتوفاه اليه ولو كان المنار صحيفة تاريخ لاطلنا في ترجمته ولكن ذكرنا هذه الكلمات للعبارة بأقدار الرجال فرحمه الله وعزى أسرته وقومه عنه

(اغلاط في الاجزاء الاخيرة : السابع والثامن والتاسم يجب اصلاحها بالقلم)

صفحة سطر خطأ	صواب	صفحة سطر خطأ	صواب
٤٨٣ ١١ عن سفته	من سفته	٤٩٧ ٦٦ وذلك منتهى الكبير X	صواب
٤٨٥ ١٧ الوالدين	سلطة الوالدين	٤٩٩ ٦ وهو	هو
٤٨٩ ٨ يقضيان	يقضيان	٥٠٢ ٢٢ قال	قاله
٤٩٤ ١٦ الاجتهاد	أهل الاجتهاد	٥٢٨ ٢٣ علم	علم
٤٩٦ ٢٠ تطرس	تطرز	٥٣٠ ٢٣ واحد (٩)	واحد
٢٤ د	استخفاقا	٥٣١ ١٧ الذي	أن الذي
٤٩٦ ٢٥	تطرس الرجل لم يضطر ولم يشرب الاطيبيا	٥٣٢ ١٧ بوجوه	بوجود
	بديلا من الفخر	٥٣٨ ١٣ بأسرة	بأثرة
٤٩٧ ١٥ و ١٦	والز هو عليهم X	٥٤٠ ١٢ انتقل	أنتقل
	بالقول والعمل	٥٤٦ ٢١ ولا أثر	ولا أثر

صفحة سطر خطأ	صواب	صفحة سطر خطأ	صواب
١٤ ٥٤٦	في	١٤ ٥٤٦	في
١٩ ٥٥١	من استقلال	١٩ ٥٥١	في استقلال
٦ ٥٥١	باستنجاذهم الديني	٦ ٥٥١	باستنجاذهم
١٠	المبين	١٠	المبني
٥ ٥٦١	(٥٦:٤١)	٥ ٥٦١	(٤٦:٤١)
١٤ ٥٦٢	من	١٤ ٥٦٨	الحضر
٤ ٥٦٥	عليه	٢٣ ٦٥١	أعجى
١٠ ٥٧١	ويعلمون	١٦ ٦٥٢	يربط
١٥	أصوله	٨ ٦٥٣	عبدالرحمن
٢١ ٥٧٢	قبله	٣ ٦٥٥	الدقاق
١١ ٥٧٤	فريقان فريق	٢١	عبدالرحمن
١٢	وفريق	١٤ ٦٥٧	حملها
٥ ٥٩٢	الجهل	١١ ٦٦١	ناقذ
١٣ ٥٩٣	وأجله	٢٠	المفسولين
٩ ٥٩٦	سوء	١٦ ٦٦٣	وأما
٢١	عجب	١٨	بشرته
١٩ ٥٩٨	واكتساب	٥ ٦٦٥	معائب
١٩ ٥٩٩	تقضي	٦	معايه
١٧ ٦١٧	التهيد	٥ ٦٨٠	يكن
٨ ٦٢٦	الفرج	٢١ ٦٨٥	يلتمسن
١٤ ٦٢٨	ساروا	٢٠ ٦٨٦	لانتشار
٢٠ ٦٢٨	ذلك	٢٣	كما وقع في
٢١ ٦٢٩	والتجوزات	٨ ٦٨٧	لتهتك
٢٣ ٦٢٦	لايحبط	٢١ ٦٩٦	ص ٦٩٧
		٢٢ وقد غابتنا الخ	×

بُذِرَ الْحِكْمَةُ مِنْ بَشَاءٍ وَمِنْ بُؤْسِ الْحِكْمَةِ قَدْ بَاتِي
خَيْرًا كَذِبًا وَمَا يَنْصَحُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

المسحاة

فَيُفَرِّجُ صَادِي الدِّينِ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيُتِمُّونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَإِلَى اللَّهِ مَرْجِعُهُمْ

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كنفار الطريق

الجمعة ٣٠ ذي القعدة ١٣٢٨ - ٢ دسمبر (كانون أول) ١٢٨٩ هـ ١٩١٠ م

باب تفسير القرآن الحكيم

مفتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٥٤ : ٥٠) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ
بِالْجَنَّةِ وَالطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ
آمَنُوا سَبِيلًا (٥٥ : ٥١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن
تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٦ : ٥٢) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ
النَّاسَ قِيعَرًا (٥٧ : ٥٣) أَمْ يَخْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ
فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَهُم مَّا كَانُوا عَظِيمًا
(٥٨ : ٥٤) فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّن صَدَّ عَنْهُ، وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا

(المجلد الثالث عشر)

(١٠١)

(الخارج ١١)

أخرج أحمد وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت قريش ألا ترى هذا المنصبر المنبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن أهل الحجيح وأهل السدانة وأهل السفاية ، قل انتم خير ، فنزلت فيهم « ان شأنتك هو الأبر » ونزلت فيه « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب - الى قوله نصيرا » وأخرج ابن اسحاق عن ابن عباس قال كان الذين حاربوا الأحزاب من قريش وغطفان و بني قريظة حيجا بن أخطب وسلام بن ابي الحقيق وأبو عمارة وهودة بن قيس وكان سائرهم من بني النضير ، فلما قدموا على قريش قالوا هؤلاء أبحار اليهود وأهل العلم بالكتب الأولى فأسألوهم أدينكم خير أم دين محمد ؟ فأسألوهم فقالوا دينكم خير من دينه وأنتم اهتدي منه ومن اتبعه !! فأنزل الله « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب - الى قوله - ملكا عظيما » اه من باب النقول

أقول الرواية الأولى عند البزار وغيره في سبب نزول سورة الكوثر وهي مكة ووقائع هذه السورة مدنية كما بيناه ومحااجة اليهود وبيان أحوالهم لم يفصل الا في السور المدنية بعد ابتلاء المؤمنين بكيدهم فيها وفي جوارها ، ففي الرواية خلط سببه اشتباه بعض الرواة في الاسباب المتشابهة ، وسيأتي بعض روايات ابن جرير في ذلك ، والآيات متصلة بما قبلها ولا يبعد ان يكون هذا السياق كله قد نزل بعد غزوة الأحزاب أو في أثناءها اذ نقض اليهود عهد النبي صلى الله عليه وسلم واتحدوا مع المشركين على استئصال المسلمين وذلك هو تفضيلهم للمشركين على المؤمنين بالفعل ولا بد ان يكونوا صرحوا بالتفضيل بالقول عند النداء بالنفير لحرب المؤمنين

﴿ ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ الاستفهام للتعجب من هذه الحال من أحوالهم كما سبق نظيره في الآية التي افتتحت بمثل ما افتتحت به للتعجب من ضلالهم في انفسهم وإرادتهم لإضلال المؤمنين . (الجبت) قال بعض اللغويين أصله الجبس فقلبت التاء سينا ومعناه فيها الردي الذي لا خير فيه . واطلق على السحر وعلى الساحر وعلى الشيطان وقيل انه حبشي الاصل ، روي عن ابن عباس وابن جبير وابي العالية انه الساحر وفي رواية عن

ابن عباس ومجاهدانه الاصنام، وعن عمر ومجاهد في رواية أخرى وابن زيد انه السحر،
 و(الطاغوت) من مادة الطغيان وتقدم تفسيره في تفسير آية الكرسي من الجزء
 الثالث (ص ٢٧ ج ٣) بأنه كل ماتكون عبادته والايمان به سببا للطغيان والخروج
 عن الحق من مخلوق يعبد، ورئيس يقلد، وهوى يتبع، وقد روي عن عمر
 ومجاهد ان الطاغوت الشيطان، وعن ابن عباس ان الطاغوت هم الناس الذين
 يكونون بين يدي الاصنام يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس، وقيل الطاغوت
 الكهان، وقيل الجبت والطاغوت صنمان كانا لقريش وان بعض اليهود سجدوا لهما
 مرضاة لقريش واستماله لم ليتحدوا معهم على قتال المسلمين، وفي حديث قطن
 ابن قبيصة عن أبيه مرفوعا عند ابي داود «العيافة والطيرة والطرق من الجبت»
 وفسر العيافة بالخطوهو ضرب الرمل، وتطلق العيافة على التفاؤل والتشاؤم بما يؤخذ
 من الانفاظ بطريق الاشتقاق كقول الشاعر

تفالت في أن تبذلي طارف الوفا بأن عن لي منك البنان المطرف
 وفي عرفات ما يخبر اني بعارفة من طيب قلبك أسف
 واما دماء الهدى فهو هدى لنا يدوم ورأي في الهوى يتألف
 فأوصلت ما قلته فتبسمت وقالت أحاديث العيافة زخرف

والطيرة التشاؤم وأصله من زجر الطير، والطرق هو الضرب بالحصا أو الودع أو
 حب الفول أو الرمل لمعرفة البخت وما غاب من أحوال الانسان. وهذه الامور كلها من
 الدجل والحيل فالمعنى الجامع للفظ الجبت هو الدجل والالوهام والخرافات، والمعنى
 الجامع للفظ الطاغوت هو ما تقدم آفنا عن تفسير آية الكرسي من ماثرات الطغيان
 ومعنى الآية ألم ينته علمك أيها الرسول أو ألم تنظر الى حال هؤلاء الذين أتوا
 نصيبا من الكتاب كيف حرموا هدايته فهم يؤمنون بالجبت والطاغوت وينصرون
 أهلها من المشركين على المؤمنين المصدقين بنبوة أنبيائهم وحقية أصل كتبهم ﴿ويقولون
 للذين كفروا﴾ أي لاجلهم وفي شأنهم والحكاية عنهم ﴿هؤلاء أهدى من الذين
 آمنوا سبيلا﴾ أي يقولون ان المشركين أهدى وأرشد طريقا في الدين من المؤمنين

الذين اتبعوا محمدا (ص) قال ابن جرير : ومعنى الكلام ان الله وصف الذين اتوا نصيبا من الكتاب من اليهود بتعظيمهم غير الله بالعبادة والاذعان له بالطاعة في الكفر بالله ورسوله ومعصيتهما وانهم قالوا ان اهل الكفر بالله أولى بالحق من اهل الايمان به وان دين اهل التكذيب لله ورسوله اعدل واصوب من دين اهل التصديق لله ورسوله اه ثم ذكر الروايات في ذلك عنهم ومنها ما تقدم عن كعب بن الاشرف ، ومنها ما رواه أيضا عن عكرمة أن كعب بن الاشرف انطلق الى المشركين من كفار قريش فاستجاشهم على النبي صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يغزوه وقال انا معكم تقاتله ، فقالوا انكم اهل كتاب وهو صاحب كتاب ولا نأمن ان يكون هذا مكرا منكم فان أردت أن تخرج معنا فاسجد لهذين الصنمين ، وأمرهما ففعل ، ثم قالوا نحن أهدي أم محمد فنحن ننحر الكوماء (الناقة الضخمة السنام) ونسقي اللبن على الماء ، ونصل الرحم ونقري الضيف ونطوف بهذا البيت ، ومحمد قطع رحمه وخرج من بلده ، فقال بل اتم خير وأهدى . ومنها عن السدي قال لما كان من أمر رسول الله (ص) واليهود بني النضير ما كان حين أناهم يستعينهم في دية العامرين فهموا به وبأصحابه فأطلع الله رسوله على ما هموا من ذلك ورجع رسول الله (ص) الى المدينة فبوب كعب بن الاشرف حتى أتى مكة فعاهدهم على محمد ، فقال له ابو سفيان نحن قوم ننحر الكوماء ونسقي الحبيج الماء ، ونقري الضيف . ونعمر بيت ربنا ، ونعبد آلهتنا التي كان يعبد آباؤنا ، ومحمد يأمرنا ان نترك هذا وتبعه ، قال دينكم خير من دين محمد فاثبتوا عليه . وذكر روايات أخرى

﴿ اولئك الذين لعنهم الله ﴾ أي اولئك الذين بينا سوء حالهم هم الذين لعنهم الله أي اقتضت سنته في خلقه ان يكونوا بعداء عن موجبات رحمته وعنايته من الايمان بالله وحده والكفر بالجبت والطاغوت ﴿ ومن يلعن الله فان تجدد له نصيرا ﴾ أي ومن يلعه الله - بالمعنى الذي ذكرناه آنفا - فلن ينصره أحد من دونه اذ لا سبيل لأحد الى تغيير سنته تعالى في خلقه ، ومنها ان يكون الخذلان والانكسار نصيب المؤمنين بالجبت والطاغوت اي بثمار الدجل والخرافات والطفاني أي مجاوزة سنن

الفطرة وحدود الشريعة ، ولا سيما اذا اراد هؤلاء مقاومة أهل التوحيد والحق والاعتدال في سياستهم وأعمالهم بسيرهم على سنن الاجتماع فيها . وهذه الآية تدل على ان سبب لمن الله للامم هو إيمانها بالخرافات والباطيل والطفیان ، وانه تعالى إنما ينصر المؤمنين باجتناهم ذلك ، وتدل بطريق اللزوم على أن الامم المغلوبة تكون أقرب الى الجبت والطاغوت من الامم الغالبة المنصورة فليحاسب المساهون أنفسهم بها وبما في معناها من الآيات كقوله تعالى (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) ليتبين لهم من كتاب ربهم صدقهم في دعوى الايمان من عدوه ولعلمهم يرجعون اليه ويعولون في أمر دينهم ودنياهم عليه

﴿ أم لهم نصيب من الملك ﴾ قالوا ان « أم » هنا منقطعة وهي عند جمهور البصريين للاضراب والاستفهام والمراد بالاضراب هنا الانتقال من توبيخهم على الايمان بالجبت والطاغوت وتفضيل المشركين على المؤمنين الى توبيخهم على البخل والشح والاثرة ، واختار الاستاذ الامام ان « أم » اذا وقعت في أول الكلام تكون للاستفهام المجرد (راجع ص ٣١١ ج ٢ من التفسير) والاستفهام هنا للانكار والتوبيخ يستفاد من قرينة المقام أي ليس لهم نصيب من الملك كما لم نصيب من الكتاب بل فقدوا الملك كله بظلمهم وطفانهم ﴿ فاذا لا يوتون الناس قتيلاً ﴾ أي ولو كان لهم نصيب من الملك لسلوكوا فيه طريق البخل والاثرة بمحصر منافعه ومراقفه في أنفسهم فلا يعطون الناس قتيلاً منه إذ ذاك . والقتير هو النقرة أو النكتة في ظهر نواة التمر وهي الثقب التي تنبت منها النخلة شبت بما تقرر بمنقار الطائر أو منقار الحديد الذي تحفر به الارض الصلبة والقتير كالقتيل في الآية السابقة (٤٧) يضرب به المثل في الشيء القليل والحقير التافه . ويطلق القتيير أيضاً على ما تقرر أي حفر من الحجر أو الخشب فجعل إناء ينبذ فيه ، وكذلك يضرب المثل بالقطير وهي القشرة الدقيقة التي على النواة بينها وبين الثمرة .

وحاصل المعنى ان هؤلاء اليهود أصحاب اثره شديدة وشح مطاع يشق عليهم ان ينفع منهم أحد من غير أنفسهم فاذا صار لهم ملك حرصوا على منع الناس أدنى

النفع وأحقه فكيف لا يشق عليهم ان يظهر نبي من العرب ويكون لأصحابه ملك يخضع لهم فيه بنو إسرائيل . وهذه الصفة لا تزال غالبة على اليهود ظاهرة فيهم فان تم لهم ما يسعون اليه من اعادة ملكهم الى بيت المقدس وما حوله فانهم يطردون المسلمين والنصارى من تلك الارض المقدسة ولا يعطونهم منها تقيرا من نواة أو موضع زرع نخلة أو نقرة في أرض أوجيل ، وهم يحاولون الآن وحاولوا قبل الآن ذلك بقطع أسباب الرزق من غيرهم فالنجار اليهودي في بيت المقدس يعمل لك العمل بأجرة أقل من الاجرة التي يرضى بها المسلم أو النصراني وان كانت أقل من أجرة المثل ، ولعل جمعياتهم السياسية والخيرية تساعد على ذلك ، فالدلائل متوفرة على ان القوم يحاولون امتلاك الارض المقدسة وحرمان غيرهم من جميع اسباب الرزق فيها ، يفعلون هذا وليس لهم نصيب من الملك « هذا وما كيف لو »

وهل يعود اليهم الملك كما ينفون؟ الآية لا تثبت ذلك ولا تنفيه ، وإنما بين ما تقتضيه طباعهم فيه لو حصل ، وسيأتي البحث في ذلك في تفسير سورة الاسراء التي تسمى ايضا (سورة بني اسرائيل) ويدخل في ذلك ما يقتضيه تأسيس الملك من الكثرة وهم على قلتهم متفرقون ومتعلقون بأموالهم في كل الممالك ، ومن الاستعداد للحرب والزراعة وقد ضعف ذلك في اكثرهم ، ولكنهم يعتقدون اعتقادا دينيا انهم سيقومون الملك أو سوف يقيمونه في البلاد المقدسة ، وقد ادخروا لذلك مالا كثيرا فيجب على العثمانيين ان لا يمكنوا لهم في فلسطين ولا يسهلوا لهم طرق امتلاك أرضها وكثرة المهاجرة اليها فان في ذلك خطرا كبيرا كما نبهنا في تفسير الآيات السابقة من عهد قريب

﴿ ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ الاستاذ الامام: سبق في الآيات قبل هذه ان اليهود حكموا بأن المشركين أهدي سبيلا من المؤمنين وذلك من الحسد والغرور بأنفسهم فانهم يقولون ذلك مع انهم يؤمنون بالحب والطاغوت فهم في شر حال ، ويعيرون من هم في احسن حال ، فانه تعالى يقول ان هؤلاء يريدون ان يضيق فضل الله بعباده ولا يحبون أن يكون لآمة من الآثم فضل أكثر مما لهم أو مثله أو قريبا منه لما استحوذ عليهم من الغرور بنسبهم وتقاليدهم مع سوء

حالم فكانه قال هل غرر هؤلاء بأنفسهم تفريرا ، أم لهم نصيب من الملك في هذا الكون فهم يمنعون الناس فلا يؤتونهم منه تقيرا ، أم يحسدون الناس على ما أعطاهم الله من فضله ، أي العرب . ﴿ فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ﴾ والعرب منهم فانهم من ذرية ولده اسماعيل وقد كانت ظهرت تبشير الملك العظيم فيهم عند نزول هذه الآيات فانها مدنية متأخرة وكانت شوكة المسلمين قد قويت فالآية مبشرة لهم بالملك الذي يتبع النبوة والحكمة ، والحاصل أن حال اليهود يومئذ كان لا يمدو هذه الامور الثلاثة : إما غرور خادع يظنون معه ان فضل الله محصور فيهم ، ورحمته تضيق عن غير شعب اسرائيل من خلقه ، واما حسبان ان ملك الكون في أيديهم فهم لا يسمحون لاحد بشيء منه ولو حقيرا كالنقيير ، وأما حسد العرب على ما أعطاهم الله من الكتاب والحكمة والملك الذي ظهرت مبادي عظمته . اه ماقاله في الدرس وليس عندنا عنه في ذلك غيره

وأقول فسروا الحسد بأنه تمنى زوال النعمة عن صاحبها المستحق لها ولم يرد ذكره في القرآن الا في هذه الآية وفي قوله من سورة البقرة (٢: ١٠٨) ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره) وفي سورة الفلق ، وأهل الكتاب في آية البقرة هم اليهود فهو لم يسند الحسد الى غيرهم لانهم وقد سلب منهم الملك يتمنون عودته اليهم وقد كبر عليهم ان تسبقهم العرب الى ذلك ولم يكن النصارى يومئذ يحسدون المسلمين لانهم متمتعون بملك واسع ولا مشركو العرب لانهم ما كانوا يظنون ان النبوة التي قام بها واحد منهم حق ولأنها تسبق ملكا فان من ظهر له حقية الدعوة صار مسلما واما اليهود فانه لم يؤمن ممن ظهرت لهم حقية دعوة الاسلام الا نفر قليل ومنع باقي الرؤساء الحسد وتبعهم العامة تقليدا لهم ، وقلما يمنع الناس من اتباع الحق بعد ظهوره لهم مثل الحسد والكبر فالחסود يؤثر هلاك نفسه على اقيادها لمن يحسده لانه يفسد الطباع . وفي التفسير المأثور ان المراد بالناس هنا النبي (ص) ولا شك انهم حسدوه وحسدوا قومه العرب لانه منهم وهم اسبق الى الخير الذي جاء به

ورد في بعض اسباب نزول الآية ان بعض اليهود ككعب بن الاشرف لم يجدوا مطلقا يقولونه في النبي (ص) الا تعدد أزواجه والآية ترد هذه الشبهة لان بعض انبيائهم كداود وسليمان كان لهم أزواج كثيرة كما رد عليهم استبعادهم أن يكون الملك في غير آل اسرائيل بأنه تعالى أعطى آل ابراهيم من ذرية اسحق الكتاب والحكمة والنبوة فضلا منه من غير ان يكون لهم حق عليه تعالى فكذلك يعطي ذلك لآله من ذرية اسماعيل ولا حرج على فضله فان كان هذا الفضل الالهي لا يناله الا من له سلف فيه فالعرب هذا السلف على أن هذه الدعوى باطلة والا لكانت هذه العطايا قديمة ازلية وليس الانسان قديما أزليا ولو كان أزليا لما أمكن ان تكون بعض فروعه أزلية فإيتاء الله تعالى بعض البشر الفضل إما ان يكون بمحض الاختصاص والاختيار وذلك موكل الى مشيئته عز وجل وإما ان يكون لمزايا وفضائل فيمن يعطيه ذلك وحينئذ يكون كل من يكتسب مثل تلك المزايا مستحقا لهذا الفضل والنبوة ومقدماتها بمحض الاختصاص

أما كثرة النساء لداود وسليمان عليهما السلام فقد نقل بعض المفسرين انه كان لداود مائة امرأة ويؤخذ ذلك من سورة (ص) وانه كان لسليمان ألف وثلاث مئة امرأة وسبع مئة سرية فكيف يستنكر اتباعهما ان يكون للنبي (ص) نسم نسوة وقد تزوج أكثرهن لحكم وأسباب عامة أو خاصة كما تقدم بيان ذلك في تفسير آية تعدد الزوجات من الجزء الرابع . في سفر الملوك الأول من كتابهم المقدس ما نصه : ١ : ١١ د وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات ٢ من الامم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون اليكم لانهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم فالتصق سليمان بهؤلاء بالحبة ٣ وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراي فأمات نساؤه قلبه الخ ما هناك من الطعن فيه عليه السلام وبرأه الله

(فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه) القول المشهور المقدم في كتب التفسير التي بين أيدينا ان الضمير في قوله « آمن به » للنبي (ص) أو ما أنزل عليه أي

من اليهود من آمن به ومنهم من أعرض عنه يقال صد الرجل عن الشيء إذا أعرض عنه ، ويقال أيضا صد غيره عنه إذا صرفه عنه ونفزه منه ، وقيل انه عائد الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام أي من آله من آمن به ومنهم من لم يؤمن به ، وقبل الى ما ذكر من حديث آل ابراهيم وقبل الى الكتاب ، وقال الاستاذ الامام برجع الضمير الى ما ذكر من الكتاب والحكمة والملك العظيم فاما الايمان بالكتاب والحكمة (وهي ما جاء به الانبياء من بيان أسرار الكتاب) فظاهر وأما الايمان بالملك فهو الايمان بوعد الله تعالى به ، وهكذا شأن الناس في كل شيء لا يتفقون عليه وانما يأخذ به بعضهم ويعرض عنه آخرون

﴿ وكفى بجهنم سعيرا ﴾ أي نارا مسعرة لمن صد عنه وآثر إرضاء حسده والعمل بما يزينه له على اتباع الحق فهو لا يزال يفر به بنصر الباطل ومعاذة الحق حتى يفسد نفسه ويفسدها ويهبط بها الى دار الشقاء وهاوية النكال المعبر عنها بجهنم وبالسعير وبئس المثوى وبئس المصير

(٥٩ : ٥٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا تَضَيَّتْ جُلُودُهُمْ بِدَلِّهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ، إِنْ اللَّهُ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٦٠ : ٥٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ، وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا .

الاستاذ الامام : قال تعالى في الآية السابقة « فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه » وتوعد من صد عنه بسعير جهنم ثم فصل هذا الوعيد بقوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا ﴾ وقلوا عن سيئويه ان « سوف » تأتي للتهديد وتنوب عنها السين

ويستشهدون بهذه الآية - أي على سوف وبما قبلها على السين - ولكن ورد دخول السين على الفعل في مقام الوعد في الآية الآتية « سندخلهم جنات » والصواب ان السين وسوف على معناهما المشهور في افادة التنفيس والتأخير ومنها اشتق لفظ التسويف بمعنى التأخير ولكن بعضهم استشكل التسويف هنا ولو نظروا في مثل هذا الوعيد لرأوا أن حصوله يكون متأخرا جدا عن وقت نزول الآية به ، على ان للتأخري والبعد معني آخر بحسب اعتبار المقام في الخطاب فاذا نظر الى حال المفرورين بما هم فيه من قوة وعزة ، الذين صرفهم غرورهم وطفيانهم بعزتهم عن النظر فيما جاء به النبي (ص) من البيانات والهدى فصدوا عنه استغناء بما هم فيه يراهم بهذا الغرور بعداء جدا عن تصور الوعيد والتفكير فيه فيكون هذا التسويف مرعيا فيه حالهم ليتفكروا في مستقبل أمرهم

أقول وقد تركت هنا في مذكري التي كتبتها في درسه يابضا بقدر ثلاثة أسطر بعد قوله تصور الوعيد والتفكير فيه ولا أذكر ماذا كنت أريد ان اكتب فيها ولا يظهر لي الآن وجه استشكل التأخير، والوعيد انما هو بعذاب الآخرة والعرب تستعمل التسويف فيما هو أقرب منه . وقد ابتداء الآية بذكر الذين كفروا ليعلم ان هذا الوعيد ليس خاصا بأولئك الكفار من اليهود ، والمراد بآيات الله هنا ما يدل على حقيقة دينه مطلقا ويدخل فيها القرآن دخولا أوليا لانه أدل الدلائل واظهر الآيات وأوضحها ، ونصليهم نارا معناه نجعلهم يصلونها أي يدخلونها ويمذبون بها (راجع بحث الصلي والاصلاء في ص ٣٩٤ ج ٤)

(كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) قال الاستاذ الامام نضج الجلود هو نحو نضج الثمار والطعام وهو عبارة عن فقد التماسك الحيوي والبعد عن الحياة وانما تبدل لان النضج يذهب القوة الحيوية التي بها الاحساس فاذا بقيت ناضجة يقل الاحساس بما يحسها أو يزول لذلك تبدل بها جلود حية غيرها (ليذوقوا العذاب) لان الذوق والاحساس يصل الى النفس بواسطة الحياة في الجلد ، ومن هنا قال بعض المفسرين ان المراد بتبديل الجلود دوام بالعذاب فالكلام تمثيل أو كناية عن

دوام الاحساس بالعذاب فانه أراد أن يزيل وهما ربما يعرض للناس بالقياس على ما يهودون في أنفسهم من ان الذي يتعود الألم يقل شعوره به ويصير عاديا عنده كما نرى من حال الرجل تعمل له عملية جراحية وتكرر فانه في المرة الاولى يتألم تألما شديدا ثم لا يزال التألم يخف بالتدريج حتى نراه لا يبالي به ، وهكذا نشاهد في كثير من الآلام والامراض التي يطول أمرها

ثم تكلم عن اسنشكال بعض المتكلمين تعذيب الجلود الجديدة مع ان العصيان لم يكن بها ولم اكتب ما قاله ولا أتذكره والمشهور في الجواب عندهم ان البديل يكون عين الاصل المبدل منه في مادته وغيره في صورته ، وهذه سفسطة ظاهرة ، وذكر الرازي بعد هذا الجواب جوابا ثانيا وهو ان المذهب هو الانسان وذلك الجلد ما كان جزءا من ماهيته بل هو كالشيء الزائد المتصق به ، وثالثا وهو ان المراد بالجلود السراويل قال وطمن فيه القاضي بمخالفته للظاهر - ورابعا وهو ان هذا استعارة عن الدوام وعدم الاقطاع قال كما يقال لمن يراد وصفه بالدوام : كلما انتهى فقد ابتدأ وكلما انتهى الى آخره فقد ابتدأ من أوله فكذلك قوله « كلما انضجت جلودهم بدناتهم جلودا غيرها » يعني كلما ظنوا انهم نضجوا واحترقوا واتهوا الى الهلاك اعطيناهم قوة جديدة من الحياة بحيث ظنوا انهم الآن حدثوا ووجدوا فيكون المقصود دوام العذاب وعدم اقطاعه اه تصويره لهذا الوجه وقد علمت انه يوافق ما اختاره الاستاذ الامام في العبارة ورأيت انه صورها بما هو اقرب من هذا التصوير الى العقل واللفظ وذكر الرازي عن السدي وجها خامسا ورده لظهور بطلانه وقد رد الآوسي الاشكال من أصله قال وعندي ان هذا السؤال مما لا يكاد يسأله عاقل فضلا عن فاضل ، وذلك لان عصيان الجلد وطاعته وتألمه وتلذذه غير معقول لانه من حيث ذاته لا فرق بينه وبين سائر الجمادات من جهة عدم الادراك والشعور وهو أشبه الاشياء بالآلة فيد قاتل النفس ظلما مثلا آلة له كالسيف الذي قتل به ولا فرق بينها الا بأن اليد حاملة للروح والسيف ليس كذلك وهذا لا يصلح وحده سببا لاعادة اليد بذاتها وإحراقها دون إعادة السيف وإحراقه لان ذلك الحل غير اختياري فالحق ان العذاب على النفس الحساسة بأي بدن حلت وفي أي جسد

كانت وكذا يقال في النعيم اه وقد أيد هذا الرأي بما ورد من الاحاديث في كبر اجساد أهل الآخرة ثم قال : ولولا ما علم من الدين بالضرورة من المعاد الجسماني بحيث صار انكاره كفرا لم يبعد عقلا القول بالنعيم والعذاب الروحانيين فقط ولما توقف الامر عقلا على إثبات الاجسام فعلا ، ولا يتوهم من هذا أنني أقول باستحالة اعادة المعدوم معاذ الله تعالى ولكنني أقول بعدم الحاجة الى اعادته وإن أمكنت والنصوص في هذا الباب متعارضة فمنها ما يدل على إعادة الاجسام بعينها بعد إعدامها ومنها ما يدل على خلق مثلها وفناء الاولى ولا أرى بأسا بعد القول بالمعاد الجسماني في اعتقاد أي الامرين اه وله الحق في رد الایراد ولكنه استقل في بعض القول وقلد المتكلمين في بعض آخر كاعادة المعدوم ولهذا البحث موضع آخر نحرره فيه ان شاء الله تعالى وذكر بعضهم في الآية اشكالا آخر وهو ان أصل الذوق تناول شيء قليل بالفم ليعرف طعمه فلا يتجاوز به عن العذاب القوي الشديد أو أشد العذاب ، وأجاب الرازي بقوله « المقصود من ذكر الذوق الاخبار بأن إحساسهم بذلك العذاب في كل حال يكون كاحساس الذائق المذوق من حيث انه لا يدخل فيه نقصان ولا زوال بسبب ذلك الاحتراق اه

ولست أدري ما هو المانع من كون هذا العذاب يسمى أشد العذاب وان كان هو في نفسه كما يدل عليه ظاهر لفظ يذوقوا قليلا وقد استعمل القرآن لفظ الذوق في العذاب كثيرا فاخياره مقصود وانما يعرف الأشد بالقياس على غيره فمنها كان عذاب الآخرة فهو أشد من عذاب الدنيا ، واكثر الذين يظنون انهم ناجون من العذاب في الآخرة يودون ان يكون عذاب المهذين شديدا بالغاً متتهى ما يمكن من الشدة ، كأنهم حرموا من ذوق طعم الرحمة ، على انه ليس ييدهم موثق من الله بنجاتهم وأمنهم من العذاب ،

والظاهر ان نضح الجلود من العذاب ان كان حقيقة لا مجازا يكون هو اثر لفتح النار بسمومها لأهل تلك الدار كما قال تعالى « تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون » ومتى لفتح الجلد مرارا يبطل إحساسه ويفصل عن البشرة ويتربى تحته جلد آخر كما هو مشاهد في الدنيا

﴿ إن الله كان عزيزا حكيما ﴾ أي انه تعالى غالب على أمره ، حكيم في فعله ، فكان من حكمته أن جعل الكفر والمعاصي سببا للمذاب وجعل سنته في ربط الاسباب بمسبباتها مطردة لا يستطيع أحد أن يغلبيه فيبطل اطرادها لأنه عزيز لا يقلب على أمره ، كما جعل الايمان والعمل الصالح سببا للنعيم المقيم وبين ذلك بقوله

﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ﴾ جعل دخول الجنة جزاء من آمن وعمل صالحا إذ الايمان بغير عمل صالح لا يكفي لتزكية النفس وإعدادها لهذا الجزاء ، ولا يكاد يوجد الايمان بغير العمل الصالح الا ان يموت المرء عقب إيمانه فلا يتسع الوقت لظهور آثار الايمان وممراته منه ، ويقول البصريون ان سوف أبلغ من السنين في التنفيس وسعة الاستقبال في المضارع الذي تدخل عليه ويرى ابن هشام انه لا فرق بينهما وكأنهم أخذوا ذلك من قاعدة دلالة زيادة المبني على زيادة المعنى فلما كانت سوف أكثر حروفا كان معناها في الاستقبال أوسع ولا بد على هذا من نكتة للتعبير عن جزاء أهل النار بقوله « سوف نصليهم » وعن جزاء أهل الجنة بقوله « سندخلهم » وكأنه من رحمته تعالى بالفريقين يعجل لأهل النعيم نعيمهم ولا يعجل لأهل العذاب عذابهم وفيه إشارة الى امتداد وقت التوبة . والخلود طول المكث وأكده هنا بقوله « أبدا » أي دائما

﴿ لم فيها أزواج مطهرة ﴾ قالوا أي من الحيض والنفاس ، والعيوب والادناس ، أي سواء كانت حسية أم معنوية ، وتقدم مثل هذه الجملة في سورة البقرة (٢ : ٢٤) وهناك كلام في نساء أهل الجنة ومعنى مصاحبتهم والاستمتاع مع العلم بأن الجنة عالم غيبي ليس كعالم الدنيا

﴿ وندخلهم ظلالا ظليلا ﴾ قال الراغب الظل أعم من الفيء فانه يقال ظل الليل وظل الجنة ويقال لكل موضع لم تصل اليه الشمس ظل ولا يقال الفيء إلا لما زال عنه الشمس ويعبر بالظل عن العزة والمنعة وعن الرفاهة . وأورد الشواهد على ذلك من الآيات ومن كلام الناس كقولهم أظلي افلان أي حرسني وجعلني في ظله أي عزه

ومناعته ، ثم قال وظل ظليل أي فائض ، وندخلهم ظلا ظليلا كناية عن غضاوة العيش ، وقال غيره ان شدة الحر في بلاد العرب هي السبب في استعمالهم لفظ الظل بمعنى التعيم ، والظليل صفة اشتقت من لفظ الظل يؤكد بها معناه كما يقال ليل أليل أي ظل وارف فينان لا يصيب صاحبه حر ولا سموم ، ودائم لا تنسخه الشمس وأقول لعل ذلك اشارة الى التعيم الروحاني بعد ذكر التعيم الجسماني كما عهد في القرآن ويؤكد ذلك اسناده اليه سبحانه وتعالى جده وجل ثناؤه

(٦١:٥٧) إِنْ أَلَّهِ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ، إِنْ أَلَّهِ نِعْمًا يَعْظُمُكُمْ بِهِ ، إِنْ أَلَّهِ كَانَ سَمِيمًا بَصِيرًا (٦٢ : ٥٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا

هاتان الآياتان هما اساس الحكومة الاسلامية ولولم ينزل في القرآن غيرهما لكفتا المسلمين في ذلك اذ اهتم بنوا جميع الاحكام عليهما وقد ذكرنا لنزلها اسبابا وصرحوا بأن السبب الخاص لا يخص عموم الخطاب . قال في لباب النقول اخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال لما فتح رسول الله (ص) مكة دعا عثمان ابن طلحة فلما اتاه قال ارني المفتاح (أي مفتاح الكعبة) فلما بسط يده اليه قام العباس فقال يا رسول الله بأبي انت وأمي اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده فقال رسول الله (ص) هات المفتاح يا عثمان فقال هاك امانة الله فقام ففتح الكعبة ثم خرج فطاف بالبيت ثم نزل عليه جبريل برد المفتاح فدعا عثمان ابن طلحة فأعطاه المفتاح ثم قال « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها » حتي فرغ من الآية . واخرج شعبة في تفسيره عن حماد عن ابن جريج قال نزلت هذه الآية في عثمان

ابن طلحة أخذ منه رسول الله (ص) مفتاح الكعبة فدخل به البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الآية فدعا عثمان فناوله المفتاح . قال وقال عمر بن الخطاب ماسمعه يتلوها قبل ذلك ، قلت ظاهر هذا انها نزلت في جوف الكعبة اه

أقول بل الظاهر انها نزلت قبل فتح مكة وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلاها يومئذ استشهاده وإن لم يتذكر عمر انه سمعها قبل ذلك ان صحت الرواية وصح ان عمر قال ذلك فقد صح عنده انه ذهل عند وفاة رسول الله (ص) عما ورد في ذكر موته حتى قرأ ابو بكر « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » الآية فتذكر . وذهل عن آية « وآتيتهم احداهن قطارا » حتى ذكرته بها المرأة التي راجعته في مسألة تحديد المهور كما تقدم في أوائل هذه السورة وكل احد عرضة للنسيان والذهول ، والرواية عن ابن عباس لاتصح وإن اعتمدها الجلال فقد ذكرنا من قبل ان المحدثين قالوا ان أوهى طرق التفسير عن ابن عباس هي طريق الكلبي عن ابي صالح قالوا فان انضم اليها مروان الصغير فهي سلسلة الكذب . وأما رواية شعبة عن حجاج فان كان حجاج هذا هو المصيصي الاعور فقد كان ثقة ولكنه تغير في آخر عمره وهو ممن روى عن شعبة وابن جريج ولم يذكر وا ان شعبة روى عنه ولكن شعبة روى عن حجاج الاسلمي وهو مجهول كما قال ابو حاتم . وفي الروايتين بحث من جهة المعنى أيضا فان النبي (ص) أولى بمفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة ومن كل أحد فلو أعطاه للعباس أو غيره لم يكن فاعلا لإلاماله الحق فيه ومن أعطاه لإياه يكون هو أهله واحق به ، وليس هذا من باب « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » بل لان الكعبة من المصالح العامة وإنما كان يكون من هذا الباب لو كان المفتاح مفتاح بيت عثمان بن طلحة نفسه ونزع ملكه منه وأعطاه آخر بل الحكام الآن في جميع الممالك ينزعون ملك من يرون المصلحة العامة في نزع ملكه منه ولكنهم يعطونه ثمنه شاء أم أبى

الاستاذ الامام : بعد ما بين الله تعالى لنا من شأن أهل الكتاب ما بينه حتى تفضيلهم المشركين في الهداية على المؤمنين بالله وحده وبجميع كتبه وورسله ادبنا بهذا الادب العالي وامرنا بالامانة العامة وهي الاعتراف بالحق سواء كان الحق حسيا

أو معنويا فقال ﴿ ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ﴾ فالكلام متصل بما قبله بمناسبة قوية تجعل السياق كقصد من الجوهر متناسب اللآئى فسواء صح ما ذكر من حكاية مفتاح الكعبة أو لم يصبح فان صحته لا تضر بالتثام السياق ولا بعموم الحكم اذ السبب الخاص لا يناقى عموم الحكم

والامانة حق عند المسكف يتعلق به حق غيره ويودعه لاجل ان يوصله الى ذلك الغير كالمال والعلم سواء كان المودع عنده ذلك الحق قد تعاقد مع المودع على ذلك بمقد قولي خاص صرح فيه بأنه يجب على المودع عنده أن يؤدي كذا الى فلان مثلا أم لم يكن كذلك فان ما جرى عليه التعامل بين الناس في الامور العامة هو بمثابة ما يتعاقد عليه الافراد في الامور الخاصة فالذي يتعلم العلم قد أودع امانة وأخذ عليه العهد بالتعامل والعرف بأن يؤدي هذه الامانة ويفيد الناس ويرشدهم بهذا العلم وقد أخذ الله العهد العام على الناس بهذا التعامل المتعارف بينهم شرعا وعرفا بنص قوله (٣ : ١٨٧) واخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبينته للناس ولا تكتُمونه) ولذلك عد علماء أهل الكتاب خائنين بكتمان صفات النبي (ص) فيجب على العالم أن يؤدي امانة العلم الى الناس كما يجب على من أودع المال أن يرده الى صاحبه ، ويتوقف اداء امانة العلم على تعرف الطرق التي توصل الى ذلك فيجب ان تعرف هذه الطرق لاجل السير فيها . واعراض العلماء عن معرفة الطرق التي تتأدى بها هذه الامانة بالفعل هو ابتعاد عن الواجب الذي أمروا به . واخفاء الحق باخفاء وسائله هو عين الاضاعة للحق ، فاذا رأينا الجهل بالحق والخير فاشيا بين الناس واستبدلت به الشرور والبدع ورأينا ان العلماء لم يعلموهم ما يجب في ذلك فيمكننا ان نحزم بأن هؤلاء العلماء لم يؤدوا الامانة وهي ما استحفظوا عليه من كتاب الله ولا عذر لهم في ترك استبانة الطريق الموصل الى ذلك بسهولة وقرب فهم خونة الناس وليسوا بالامناء أقول يعني رحمه الله تعالى انه يجب على العلماء ان يعرفوا الطرق التي تؤدي الى ايصال العلم الى الناس وقبوله وهذه الطرق تختلف باختلاف الزمان والمكان كما تختلف الطرق التي تؤدي بها امانة المال ففي هذا العصر تؤدي الأموال الى أصحابها بطرق لم تكن معروفة في العصور السابقة منها التحويل على مصلحة البريد

ومنها المصارف ومنها غير ذلك . وكذلك توجد طرق لنشر العلم بين الناس أسهل من الطرق السابقة فمن ابى سلوكها لا يعذر بعدم تأديته لأمانة العلم النافع واكثر العلماء المتأخرين يقولون انه لا يجب على العالم أن يتصدى لتعليم الناس وإنما يجب عليه ان يجب اذا سئل وربما قيدوا هذا بما اذا فقد من يقوم مقامه في الافناء . وإنما قال مثل هذا من قاله من المتقدمين في المسائل الخاصة التي يحتاج اليها عند وقوع الوقائع فأما ما لا بد منه ولا يسم الناس جهله من العقائد والواجبات وأحكام الحلال والحرام فلم يشترط أحد فيه هذا الشرط ولذلك اتفقوا على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يقيدوه بالاستفتاء والمجهول لا توجه النفوس الى السؤال عنه أفترك الجاهلون بالسنن العاملون بالبدع حتى يطرقوا أبواب العلماء في بيوتهم و مدارسهم مع العلم بأنهم لا يفعلون

ولا يخرج علماء الدين من بعة الكتمان والخيانة في أمانة الله بتصديهم لتدريس كتب الفقه والعقائد فان هذه الكتب لانفهمها العامة ولا نجب عليها معرفتها لانها وضعت للمفطمين للعلم يستعينون بها على القضاء والافناء في المسائل التي لا يحتاج اليها كل الناس دائماً ومنها مآثر الاعصار ولا يقع بل منها ما يستحيل وقوعه . فيجب على العلماء ان يتصدوا لتعليم الجمهور ما لا يسم أحد منهم جهله وان يأمرهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر من أقرب الطرق وأسهلها وإنما يعرف ذلك بالتجربة والاختبار والله در الشاعر الذي قال

لو صح منك الهوى ارشدت للحيل

(واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) قال الاستاذ الامام بعد ما تقدم آفا وكذلك أمر الله من يحكم بين الناس ان يحكم بالعدل ، والحكم بين الناس له طرق منها الولاية العامة والقضاء ومنها تحكيم المتخاصمين لشخص في قضية خاصة فكل من يحكم يجب عليه أن يعدل وقد أمر الله بالعدل في آيات أخرى كقوله (١٦ : ٩٠) ان الله يأمر بالعدل (الآية) وقوله (٦ : ٧) اعدلوا هو أقرب للتقوى) وقوله (٥ : ١٣٤) كونوا

قوامين بالقسط) ونهى عن الظلم وأوعد عليه في آيات كثيرة، ولم يذ كر لنا حد العدل ولا تفسيره ولم يرد في السنة تفسير له أيضا . والعدل وقف على أمرين (أحدهما) أن يعلم الحاكم الحكم الذي شرعه الله ليكون الفصل بين الناس به مثال ذلك قوله تعالى (١: ٥) يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) فهو يوجب علينا أن نوفي بما نتعاقد عليه وقوله (١٨٧: ٢) ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) الآية وهو قد حرم أكل أموال الناس ورشوة الحكام، وكذلك ماورد في السنة المتواترة من أحكامه وقضائه صلى الله عليه وآله وسلم فيجب على الحاكم تطبيق أحكامه على ما علم من حكم الله ورسوله وقد يكون التطبيق ظاهراً وقد يحتاج فيه إلى قياس واستنباط واجهاد للفكر فهذا النوع من العدل معروف عند الناس وإنما يذ كر لتفسيه الناس وتذكيرهم والركن الثاني للعدل (هكذا عبر تارة بالنوع وتارة بالركن) يتألف من أمرين (أحدهما) فهم الدعوى من المدعي والجواب من المدعى عليه ليعرف موضوع مابه التنازع والتخاصم بأدلته من الخصمين ١ ثانيهما) استقامة الحاكم وخلوه من الميل إلى أحد الخصمين ومن الهوى بأن يكره أحد الخصمين وإن كان لا يميل إلى الآخر، وهذا المعنى معروف للناس أيضا فكل من ركني العدل معروف ولذلك ذكر الله العدل ولم يفسره لانه معروف بنفسه كالنور

ولك وقد فهمت ماقلناه ان تقول العدل عبارة عن إيصال الحق إلى صاحبه من اقرب الطرق إليه ولا يتحقق ذلك الا باقامة الركنين اللذين بينهما فكل ماخرج عنهما فهو ظلم . فاذا اخرج القاضي النظر في القضية اتباعا لرسم وعادات لا يتوقف عليها اقامة العدل أو لم يقبل الشهادة لانها لم تؤد بالفاظ مخصوصة وان تبين بها الحق المراد أو اخرج الحكم بعد انتهاء المحاكمة واستيفاء أسبابها هل يكون مقبلا للعدل؟ (قال الاستاذ هذا في الدرس فضج الحاضرون بقول لا لا) اذا علمنا هذا وتأملنا في الاحكام التي تجري عندنا اليوم فهل نراها جارية على أصول العدل (قالوا لا لا) نجد محاكنا الشرعية نشترط في توجيه الدعوى وفي شهادة الشهود شروطا وألغافا معينة كلفظ أشهد ولفظ هذا او المذكور وتبين النقد وذكر البلد الذي ضرب فيه وان كان ذلك مفهوما من الكلام لا يختلف في فهمه القاضي ولا الخصم، فهذه

الاصطلاحات كثيرا ما يحول دون العدل اذ ترد الدعوى من أصلها أو الشهادة لعدم موافقتها للالفاظ المصطلح عليها وان أدت معناها ، وكذلك كل ما يحول بين الناس وفهم الشريعة يكون من أسباب إضاعة العدل ولا عذر للناس بالجهل اذ يجب عليهم فهم الشريعة وازالة كل ما يحول دون فهمها من الاصطلاحات ولو كنا نقيم العدل لما كنا في هذه الحالة من الضعف وسوء الحال

ثم قال الاستاذ في درس آخر انه اطلم بعد الدرس الاول (الذي لخصناه بما رأيت) على كتاب السياسة الشرعية لابن تيمية فاذا هو كله مبني على هذه الآية فانه توسع في ذكر انواع الامانة التي أودعها الله في أيدي الحكام ومنها أن لا يولوا الامور إلا اخبار الناس الصالحين لها وأورد في ذلك أحاديث كثيرة منها الحديث المشهور (أي برواية البخاري له) « اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظروا الساعة » أي ساعة قيامة الامة وهلاكها لان لكل أمة ساعة

أقول إن معنى الآية لم يتجلى تمام التجلي فيما ذكرناه فلا بد من زيادة البيان وفصله في مسائل

(المسألة الاولى في معنى الامانة) الامانة ما يوثن عليه الانسان من الامن وهو طمأنينة النفس وعدم الخوف ، يقال أمتته على الشيء « هل آمنكم عليه الا كما أمتكم على أخيه » ويقال آمنه بكذا « ومن أهل الكتاب إن تأمنه بقنطار يوذه اليك » ويقال ائتمن فلانا أي عده أو اتخذه أمينا وائتمنه على الشيء كأمنه عليه « فليؤد الذي ائتمن امانته » وكل أمانة يجب حفظها ومنها ما يحفظ فقط كالسروفي الحديث المرفوع « اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة » رواه أحمد وأبو داود والترمذي والضياء عن جابر وأبو يعلى في مسنده عن أنس وأشار السيوطي في الجامع الصغير الى صحته ، ومنه يعلم ان كل ما يدل على الائتمان من قول وعمل وعرف وقرينة يجب اعتباره والعمل به وتقديم تصریح الاستاذ الامام بذلك ، ومنها (أي الامانة) ما يحفظ ليؤدى الى صاحبه سواء كان هو الذي ائتمنك عليه أو غيره ، ويسمى من يحفظ الامانة ويؤديها حفيظا وأمينا ووفيا ويسمى من لا يحفظها أو لا يؤديها خائنا « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون »

فن خان عالما عامدا كان من العصاة ووجب عليه الضمان

(المسألة الثانية في معنى العدل) والعدل بالفتح والكسر المثل والعدل المثل

قاله ابن الاثير وغيره قال في لسان العرب : وفلان يعدل فلانا أي يساويه ، ويقال ما يعدلك عندنا شيء أي ما يقيم عندنا شيء ، وموقعك ، وعدل المكاييل والموازين سواها . وعدل الشيء يعدله عدلا وعادله وازنه ، وعادلت بين الشئتين وعدلت فلانا بفلان اذا سويت بينهما . وتعديل الشيء تقويته ، وقيل العدل تقويته الشيء بالشيء من غير جنسه حتى يجعله له مثلا ، والعدل والعدل والعدل سواء أي النظير والمثل وقيل هو المثل وليس بالنظير عنه . وفي التنزيل « او عدل ذلك صياما » قال مهمل على ان ليس عدلا من كليب اذا ظهرت مخبأة الخدود

والعدل بالفتح اصله مصدر قولك عدلت بهذا عدلا حسنا ، يجعله اسما للمثل لفرق بينه وبين عدل المتاع كما قالوا امرأة رزان وعجز رزين لفرق . (ثم قال) والعدل (بالكسر) نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير ، وقال الازهري العدل اسم حمل معدول بحمل آخر مسوى به والجمع اعدال وعدول عن سيويه . ثم قال العدلتان الفرارتان لان كل واحدة منهما تعادل صاحبها . الاصمعي : يقال عدلت الجواقق على البعير اعدله عدلا بحمل على جنب البعير ويسوى بآخر . ابن الاعرابي : العدل محرك تسوية الاونين وهما العدلان ، ويقال عدلت امتهة اليت اذا جعلتها اعدالا مستوية للاعتكاف يوم الظعن ، والعدل الذي يعادللك في الحمل اه

وهذا الذي ذكره عن أهل اللغة الاولين هو المستعمل في كلام المعاصرين في الجزيرة وسورية وغيرهما ومن يعلم ان العدل في الحكم بين الناس هو تحري المساواة والمائلة بين الخصمين بأن لا يرجح أحدهما على الآخر بشيء قط بل يحملها سواء كالعدلين على ظهر البعير أو غيره فالعدل المأمور به معروف عند أهل اللغة وليس معناه الحكم بما ثبت في الشرع فان هذا ثابت بدليل آخر وكل ما ثبت في الشرع من ذلك موافق للعدل وليس هو عين العدل بل العدل يكون بالعمل به وتطبيقه على الدعوى بحيث يصل الى كل ذي حق حقه ، وقد امر الله تعالى بالعدل مطلقا في

بعض السور المكية قبل بيان الاحكام الشرعية وما كل المسائل التي يتعامل بها الناس ويتخاصمون قد بينت احكامها في الكتاب والسنة فما بين فيها كان خيرا عون على العدل المقصود منها وما لم يبين يجب على الحكم ان يتحرروا فيه المساواة بقدر طاقتهم اني يصل اليها اجتهادهم . وسأتي في الآية التالية بيان ما يجب من اتباع احكام الله ورسوله فيما حكما به وبيان ما يجب فيما لم يحكما به .

قال الرازي قال الشافعي رضي الله تعالى عنه ينبغي للقاضي ان يسوي بين الخصمين في خمسة أشياء: في الدخول عليه ، والجلوس بين يديه ، والاقبال عليهما ، والاستماع منهما ، والحكم عليهما ، قال والمأخوذ عليه التسوية بينهما في الافعال دون القلب فان كان يميل قلبه الى احدهما ويحب أن يقلب بحجته على الآخر فلا شيء عليه لانه لا يمكنه التحيز عنه . قال ولا ينبغي ان يلقن واحدا منهما حجته ولا شاهدا شهادته لان ذلك يضر بأحد الخصمين ولا يلقن المدعي الدعوى والاستحلاف ، ولا يلقن المدعي عليه الانكار والاقرار ، ولا يلقن الشهود أن يشهدوا أو لا يشهدوا ، ولا ينبغي ان يضيف أحد الخصمين دون الآخر لان ذلك يكسر قلب الآخر ولا يجب هو الى ضيافة احدهما ولا الى ضيافتهما ما دام متخاصمين ، وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يضيف الخصم الا وخصمه معه . وتام الكلام فيه مذكور في كتب الفقه ، وحاصل الامر فيه ان يكون مقصود الحاكم بحكمه لإيصال الحق الى مستحقه وان لا يمتزج ذلك بفرض آخر ، وذلك هو المراد بقوله تعالى « واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » اه وهو

(المسألة الثالثة انواع الامانة) الامانة على انواع ولذلك جمعت في الآية وفي سورة الانفال بقوله تعالى (٢٧: ٨) يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم) وسورة المؤمنون والماعراج بقوله تعالى (٢٣ : ٨ و ٧٠ : ٣٢) والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) وقد ذكرنا عن الاستاذ الامام امانة العلم وامانة المال ، وجعلها بعضهم ثلاثا (إحداها امانة العبد مع الرب) وهي ما عهد اليه حفظه من الاثمار بما أمره به والالتزام عما نهاه عنه ، واستعمال مشاعره وجوارحه فيما ينفعه ويقر به من ربه فالعاصي كلها خيانة الله عز وجل . وقد ورد في المأثور ما يدل على

ذلك (ثانيها أمانة العبد مع الناس) ويدخل فيها رد الودائع وعدم الفش في شيء من الأشياء وحفظ السر وغير ذلك مما يجب لأحد الناس وللحكام وللأهل والأقربين . قال الرازي ويدخل في هذا القسم « عدل الأمر مع رعيته وعدل العلماء مع العوام بأن لا يحملوهم على التعصبات الباطلة بل يرشدونهم إلى اعتقادات وأعمال تنفعهم في دنياهم وأخراهم » فعلى هذا يكون العلماء الذين يعلمون العامة مسائل الخلاف التي تثير التعصب بينهم والذين لا يعلمونهم ما ينفعهم في دنياهم من أمور التربية الحسنة وكسب الحلال وما ينفعهم في آخرتهم من المواعظ والأحكام التي تقوي إيمانهم وتفرهم من الشرور وترغبهم في الخيرات - كل أولئك العلماء من الخائنين للامة . وهذا القسم يمكن أن يقسم إلى أقسام فيجعل رعاية أمانة الحكماء قسماً ورعاية أمانة الأقرين من الأصول والفروع والخواشي قسماً، ورعاية أمانة الزوجية قسماً ومنها أن لا يفشي أحد الزوجين سر الآخر ولا سيما السر الذي يختص بهما ولا يطلع عليه عادة منهما سواهما ، ورعاية أمانات سائر الناس قسماً (ثالثها أمانة الإنسان مع نفسه) وعرفها الرازي بأن لا يختار لنفسه إلا ما هو النافع والأصلح له في الدين والدنيا وإن لا يقدم بسبب الشهوة والغضب على ما يضره في الآخرة . أقول ومن ذلك الذي أجمله توقي الإنسان لأسباب الأمراض والأوبئة بحسب معرفته وما يستفيدة من الأطباء وذلك يدل على أن رعاية هذا النوع من الأمانة يتوقف على تعلم ما يحتاج إليه من علم حفظ الصحة ولا سيما في أيام الأمراض الوبائية المنتشرة . مثال ذلك أنه قد عرف بالتجارب نفع بعض ما يعمل للوقاية من المرض كتلقيح الجدري ، ومن ذلك التداوي عند وقوع المرض . وتفصيل رعاية هذه الأمانات يطول وسنعيد البحث فيها عند تفسير تلك الآيات إن أنسا الله لنا في العمر (المسألة الرابعة) قدم الأمر بأداء الأمانات على الأمر بالعدل لأن العدل في الأحكام يحتاج إليه عند الخيانة في الأمانات التي تتعلق بحقوق الناس والتخادم إلى الحاكم والأصل أن يكون الناس أمناء يقومون بأداء الأمانات بوازع الفطرة والدين ، والخيانة خلاف الأصل ، ومن شأنها أنها لا تقع في الامة المتدينة الأشدوداً ، وقبلها يحتاج إلى العدل في الحكم إذا راعى الناس أماناتهم وأدوها إلى أهلها

(المسألة الخامسة) ورد في الامانة عدة آيات ذكرنا بعضها آنفا وورد فيها احاديث كثيرة مشددة في وجوب رعايتها وأدائها وتشجيع الحياة والوعيد عليها منها حديث « آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان » رواه الشيخان والترمذي والنسائي من حديث ابي هريرة وفي معناه حديث « ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وحج واعتمر وقال اني مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان » رواه رسته (عبد الرحمن بن عمر ابي الحسن الزهري الاصفهاني) في الايمان وأبو الشيخ في التوبيخ من حديث انس . وهو مروي عن غيره عند غيرهما بألفاظ أخرى . ومنها حديث « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » رواه احمد وابن حبان من حديث انس ورمز له السيوطي في جامعه بالصحة . ومنها حديث « لن تزال أمتي على الفطرة ما لم يتخذوا الامانة مفعما والزكاة مغرما » رواه سعيد بن منصور في سننه

(المسألة السادسة) في حكمة تأكيد الامر بالامانة وبيان فائدها ومضرة الخيانة. ذكر حكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني في رسالته (الرد على الدهريين) التي ألفها بالفارسية وترجمها بالعربية تليذه الأستاذ الامام - ان الدين قد أفاد الناس ثلاث عقائد وثلاث خصال أقاموا بها بناء مدينتهم . ومن هذه الخصال أو الصفات الامانة وهاك ما قاله فيها فهو يعني عن غيره

« من المعلوم الجلي أن بقاء النوع الانساني قائم بالمعاملات والمعاوضات في منافع الاعمال وروح المعاملة والمعاوضة انما هي الامانة فان فسدت الامانة بين المتعاملين بطات صلات المعاملة وانبرت حبال المعاوضة فاختلف نظام المعيشة وأفضي ذلك بنوع الانسان الى الفناء العاجل

« ثم من البين أن الأثم في رفاهتها والشعوب في راحتها وانتظام أمر معيشتها محتاجة الى الحكومة بأي أنواعها إما جمهورية أو ملكية مشروطة أو ملكية مقيدة والحكومة في أي صورها لا تقوم الا برجال يلون ضروبا من الاعمال فمنهم حرامس على حدود المملكة يحمونها من عدوان الاجانب عليها ويدافعون الواج في ثغورها ، وحفظه في داخل البلاد يأخذون على أيدي السفهاء ممن يهتك ستر الحياء ويميل

الى الاعتقاد من فلك أو سلب أو نحوهما، ومنهم حملة الشرع وعرفاء القانون يجلسون على منصات الاحكام لفصل الخصومات والحكم في المنازعات ومنهم أهل جباية الاموال يحصلون من الرعايا ما فرضت عليهم الحكومة من خراج مع مراعاة قانونها في ذلك ثم يستحفظون ما يحصلون في خزان المملكة وهي خزان الرعايا في الحقيقة وان كانت مفاتيحها بأيدي خزنتها، ومنهم من يتولى صرف هذه الاموال في المنافع العامة للرعية مع مراعاة الاقتصاد والحكمة كانشاء المدارس والمكاتب وتمهيد الطرق وبناء القناطر واقامة الجسور واعداد المستشفيات ويؤدي أرزاق سائر العاملين في شؤون الحكومة من الحراس والحفظة وقضاة العدل وغيرهم حسبما عين لهم . وهذه الطبقات من رجال الحكومة الوالين على أعمالها انما تؤدي كل طبقة منها عملها المنوط بها بحكم الامانة فان خزيت امانة اولئك الرجال وهم أركان الدولة سقط بناء السلطة وسلب الأمن وزاحت الراحة من بين الرعايا كافة وضاعت حقوق المحكومين وفشا فيهم القتل والتناهب ووعرت طرقات التجارة وتفتحت عليهم أبواب الفقر والفاقة وخوت خزائن الحكومة وعميت على الدولة سبل النجاح فان حزبها أمر سدت عليها نوافذ النجاة ولا ريب ان قوما يساسون بحكومة خائنة إما أن ينقضوا بالفساد واما أن يأخذهم جبروت أمة اجنبية عنهم يسومونهم خسفاً ويستبدون فيهم عسفاً فيذوقون من مرارة العبودية ما هو أشد من مرارة الانقراض والزوال

« ومن الظاهر ان استعلاء قوم على آخرين انما يكون اتحاد آحاد العاملين والتتام بعضهم ببعض حتى يكون كل منهم ابنية قومه كالمضوء للبدن ولن يكون هذا الاتحاد حتى تكون الامانة قد ملكت قيادهم وعمت بالحكم افرادهم »
 « فقد كشف الحق ان الامانة دعامة بقاء الانسان ومستقر أساس الحكومات وباسط ظلال الأمن والراحة ورافع ابنية العز والسلطان وروح العدالة وجسدها ولا يكون شيء من ذلك بدونها »

« واليك الاختيار في فرض أمة عطلت نفوسها من حلية هذه الخلقة الجليلة فلا نجد فيها الا آفات جائحة ورزايا قاتلة وبلايا مهلكة وفقرا معوزا وذلا معجزا ثم لا تلبث بعد هذا كله ان تتلهم بالبلع الدم ، وتتهمها امهات اللهم »

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسم الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واثنا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا ورمقاد منا متاخرا السبب كعاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا ، ولن مفي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

(س ٤٩ - ٥١) من صاحب الامضاء

حضرة أستاذنا العالم المفضل السيد محمد رشيد رضا الحسيني حفظه الله وادامه
نرجوكم الاجابة على الاسئلة الآتية بلسان منار الاسلام ولكم الفضل ، وهي :
١ ماهو تفسير قوله تعالى « حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة »
٢ احقيقي ماقاله ابن خلدون من ان حملة العلم في الاسلام أكثرهم من المعجم
٣ هل يجوز لعربي الجنس ان يتزوج بشريفة أو قرشية وهل يجوز لاعمجي
الجنس ان يتزوج بأعرابية . افتونا مأجورين ولكم الشكر محمد الانور قريط
من قبيلة أولاد علي
بناحية فراشة

(غروب الشمس في عين حمئة)

(ج ١) المعنى ان اذا القرنين لما وصل الى نهاية بلاد المغرب المعروفة في عصره
بالنسبة الى بلاده وجد الشمس تغرب في ماء كدر لكثرة ما فيه من الحماة أو الحمأ
ومعناها الطين الاسود . وقد ذكر الراغب في مادة « وجد » من مفرداته ان الوجود
أنواع فيطلق على ما يدرك باحدى الحواس الخمس وبالعقل وبالوجدان الباطن

(المجلد الثالث عشر)

(١٠٤)

(المنار ج ١١)

كالغضب والشهوة فيقال وجدت الشيء أو الشخص ووجدت طعمه حلوا ووجدت وأثمت طيبة ووجدت صوته حسنا ووجدت خشونته شديدة ، ووجدت الشعب والمرور ، ووجدت برهانه صحيحا . وقال في تفسير « حيث وجدتموهم » حيث رأيتموهم وفي تفسير « وجدت امرأة تملكهم » وقوله « وجدتوا وقومها يسجدون للشمس » انه وجود بالبصر والبصيرة فلقد كان منه مشاهدة بالبصر واعتبار بالبصيرة ف قوله تعالى « وجدها تغرب » بمعنى رآها وذلك كما نراها ونحن مسافرون في البحر تطلم منه وتغرب فيه وكذلك نراها في السواحل ويرى بعض الناس أن المراد بهذه العين الحثة البحر المحيط العربي المعروف بالأثلاثيك وكانت العرب تسميه بحر الظلمات ، ويجوز أن يراد بها بعض البحيرات التي جفت أو الباقية فان ذا القرنين قديم لا يعرف في أي عصر كان وليس هو الاسكندر المكدوني المشارك له في اللقب وقد كانت الارض مغمورة بالمياه وظهرت اليابسة منها بالتدريج البطيء وكثيرا ما حصل في الاقاليم الاستوائية ان توجد البحيرة ثم تجف في مدة قصيرة

(زعم ابن خلدون ان أكثر حملة العلم في الاسلام من المعجم)

(ج ٢) أخطأ ابن خلدون في هذه المسألة فقد كان للعلم في الاسلام دول أو مناطق متعددة واحدة في الشام والحجاز وثانية في العراق وبلاد فارس وثالثة في مصر وما إليها من افريقية ورابعة في الأندلس وما جاورها . وكان في كل منطقة من هذه المناطق العلمية ألوف من العلماء برعوا في العلوم وافننوا الدينية واللغوية والادبية والعقلية النظرية والعملية ولم يكن المعجم كثيرين الا في واحدة منها وهي منطقة البلاد الفارسية وما جاورها . على أن الذين نبغوا في العلوم هنالك لم يكونوا كلهم من المعجم ولا يمكن الحكم على أكثرهم أيضا لان الاسلام بمؤاخاته بين العرب والمعجم ومزجه بعضهم ببعض صار يتعذر التمييز بينهم إذ صار علماء العرب ينسبون الى البلاد التي يقيمون فيها من بلاد المعجم وهي بلادهم مذ صارت دار اسلام فيقال في صاحب القاموس المحيط هو (مجد الدين الفيروز بادي الشيرازي) فيظن الجاهل لنسبه أنه عجمي النسب وهو عربي صديقي كان يرفع نسبه الى أبي

بكر الصديق (رض) قال الحافظ ابن حجر ولم يكن مدفوعا فيما قاله ، ويقال في صاحب الاغانى (أبو الفرج الاصهباني) فيظن انه عجمي النسب وهو عربي أموي . ومن الناس من يحكم في النسب بدلالة الاسم واللقب فاذا وجد اسم الرجل أو اسم أبيه عجميا قال انه من العجم وليس هذا بدليل ولو صح دليلا لحكمنا بأن أكثر العجم المسلمين من العرب لاطلاق الاسماء واللقاب العربية عليهم ولا يمكن أن يتصل قوم بقوم الا يأخذ بعضهم الاسماء والعادات من بعض ولكن الادنى يكون أكثر أخذنا عن الاعلى فهذا عبد القادر الجيلي لم يخرجته تلقيب أبيه أو جده بجنكي دوست عن كونه عربي النسب علويه وانا نعرف الآن عدة أعلام فارسية وتركية قد استعملها العرب كلفظ أرسلان ونازلي بل نرى العرب حرفوا كثيرا من الاعلام وغير الاعلام من لغتهم اتباعا للترك . ولعلنا نوفي هذا الموضوع حقه في مقال خاص خدمة للتاريخ والا فالعرب والعجم في الاسلام سواء

(المصاهرة بين العرب والعجم)

(ج ٣) يجوز للعربي أن يتزوج القرشية والشريفة العلوية الفاطمية وللعجمي أن يتزوج الاعرابية (البدوية) والعربية وان كانت شريفة اذا هي رضية ورضي أولياؤها . وانما ترد مسألة الكفاءة اذا لم يتفق الاولياء والزوجات على ذلك فليس للولي وان كان أباً أوجداً أن يزوج بنته بدون رضاها لرجل ليس كفواً لها حتى عند من يرى ان الاب لي يجبر كالشافعية وليس المرأة ان تزوج نفسها من غير كفواً اذا لم يرضه أولياؤها حتى عند من يقول ان أمرها في الزواج لنفسها كالحنفية - على ما للفريقين من الشرط في ذلك - والكفاءة تعتبر في النسب عند بعض الفقهاء وصرح بعضهم بأن غير الشرفاء ليسوا أكفاء للشرفاء وان العجم ليسوا أكفاء للعرب ولا نص على ذلك في الكتاب ولا في الاحاديث التي يحتج بها وانما العبرة في ذلك بالعرف فكل من يهد تزويجه في عرف قوم عارا عليهم لا يكون كفواً لمن يلحقهم العار بين قومهم بمصاهرته ، ولكن العادات الضارة والعرف الضار ينبغي إغفاله أن يقاوموها . وقد حررنا هذه المسألة في المجلدين السابع والثامن فراجع

في الاول لفظ الزواج حرف الزاي من الفهرس وفي الآخر لفظ كفأة الزواج
من حرفه الكف في فهرسه

﴿ حديث ان شريعتي جاءت على ٣٦٠ طريقة ﴾

(م ٥٢) من م . م الجاوي في بتاوى

ما قولكم دام فضلكم في حديث رواه الطبراني مرفوعا وهو قوله صلى الله
عليه وسلم « ان شريعتي جاءت على ثلاث مئة وستين طريقة فمن سلك طريقة منها نجاء »
فما معنى الطريقة التي ميزت بها الشريعة الى ذلك العدد وكلها على هدى وصواب
بدليل قوله صلى الله عليه وسلم « فمن سلك طريقة منها نجاء » وكل واحدة منها على
خلاف الاخرى بدليل قوله « منها » الذي يشير الى التبعية ذك ذلك الحديث الولي
الرباني الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه ميزان الخضرية وقال قبيل ذلك
الحديث وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول اياكم والانكار على كلام
أحد من العلماء الا بعد الاحاطة بجميع طرق الشريعة ولم تجدوا ذلك الكلام فيها ثم
عقب واستنبط بهذا الحديث بقوله « فقد روى الطبراني مرفوعا » ففضلا وياسادات الكرام
بالجواب بهذا وقد سألنا عنه مشايخ الجاوه مرارا ولم يكشف أحد على ذلك فبقينا متألين
(ج) هذا الحديث لا يصح بل يمكن الجزم بوضعه لما يأتي من الدليل ولم يذكر
في أي كتب الطبراني هو وسليمان الطبراني قد أورد في معجمه الاوسط عن كل شيخ
من شيوخه ماله من الغرائب والعجائب في روايته قال الحافظ ابن حجر « وفيه كل
نفيس وعزيز ومنكر » والظاهر أن هذا من منكراته وصنف المعجم الصغير وهو عن كل
شيخ له حديث واحد . ومتى اطلق المحدثون ما انفرد به الطبراني عنوا انه ضعيف ، ونقل
الشعراني للحديث واحتججه به لا يدل على صحته ولا على كونه صالحا للاحتجاج
به وهذا الحديث مخالف لما ورد في الكتاب والسنة من كون سبيل الحق وطريقه
واحدة كقوله تعالى « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله » وما فسر به النبي (ص) فيما رواه ابن مسعود قال : خط رسول

الله (ص) خطا ثم قال « هذا سبيل الله » ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال « وهذه السبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه » ثم قرأ هذه الآية . رواه احمد وابن حميد والبخاري وابن المنذر وابن ابي حاتم وابو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه . والآية والحديث المفسر لها موافقان للآيات والاحاديث الكثيرة الناهية عن تفرق المسلمين في دينهم الى الشيع والطوائف ، وحديث الطبراني هذا يخالفها ومنها قوله تعالى « وانا منا الصالحون ومنادون ذلك كنا طرائق قددا » ثم قال في هذه السورة (سورة الجن) « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » فلمن من ذلك ان الطريقة المعروفة هي طريقة الحق التي كان عليها الصالحون وان الذين كانوا على سائر الطرائق القدد ليسوا على الحق . ويخالف حديث تفرق الامة على ٧٣ فرقة كلها في النار الا واحدة ، وهو مع ذلك لا ينطبق على حديث شعب اليمان كما ظن بعض أصحابنا لان تلك الشعب تجمعها طريقة واحدة هي طريقة الكتاب والسنة على الوجه الذي كان عليه النبي (ص) وأصحابه فان أعلاها شهادة التوحيد وأدناها إمالة الاذى عن الطريق ، ولا يمكن ان يكون التوحيد طريقة والصلاة طريقة أخرى وإمالة الاذى عن الطريق شعبة أخرى .

فالحديث موضوع قطعاً

﴿ مسافة القصر ﴾

(من ٥٣) من م . ب . ع . في سبب برنيو (جاوه)

حضرة فخر الانام ، سعد الملة وشيخ الاسلام ، سيدي الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء أدام الله بجزز وجوده النفع آمين وبعد اهداء أشرف التحية وأزكى السلام فيا سيدي وعمدتي أرجو منكم الالتفات الى ما أقيه اليكم من الاسئلة لتجيبوني عنها وهي : —
هل تحدد مسافة القصر بحديث « يا أهل مكة لا تقصروا في أدنى من أربعة برد من مكة الى عسفان والى الطائف » أم لا ؟ وهل أربعة البرد هي ثمانية وأربعون ميلا هاشمية ؟ وعليه فكم يكون قدر المسافة المعتبرة شرعا بحساب كيلومتر ؟ أفنونا

فتوى لا نعمل الا بها ولا نقول إلا عليها فلا زلم مشكور بن وكنا لكم ذا كرين . —
(ج) الحديث الذي ذكره السائل رواه الطبراني عن ابن عباس وفي اسناده
عبد الوهاب بن مجاهد بن جبير قال الامام أحمد ليس بشيء ضعيف ، وقد نسبته
النووي الى الكذب وقال الازدي لا تحمل الرواية عنه ، ولكن مالكا والشافعي
روياه موقوفا على ابن عباس واذا لم يصح رفعه فلا يحتج به . وفي الباب حديث
أنس انه قال حين سئل عن قصر الصلاة فقال « كان رسول الله (ص) اذا
خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين » رواه أحمد ومسلم وأبو داود
من طريق شعبة وشعبة هو الشاك في الفراسخ والاميال . قال بعض الفقهاء الثلاثة الاميال
داخلة في الثلاثة الفراسخ فيؤخذ بالاكثر . وقد يقال الاقل هو المتيقن ، وفيه
ان هذه حكاية حال لا تحديد فيها والعدد لا مفهوم له في الاقوال فهل يعد حجة
في وقائع الاحوال؟ وهناك وقائع أخرى فيما دون ذلك من المسافة فقد روى سعيد بن
منصور من حديث أبي سعيد قال « كان رسول الله (ص) اذا سافر فرسعا
يقصر الصلاة » وأقره الحافظ في التلخيص بسكوته عنه وعليه الظاهرية وأقل ما ورد
في المسافة ميل واحد رواه ابن أبي شيبة عن ابن عمر باسناد صحيح وبه أخذ ابن
حزم وظاهر إطلاق القرآن عدم التحديد وقد فصلنا ذلك في (ص ٤١٦ و ٦٤٩
من المجلد السابع من المنار)

والمشهور أن البريد أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال وأصل الميل مد البصر
لأن ما بعده ميل عنه فلا يرى وحدوده بالقياس فقالوا هو ستة آلاف ذراع
والذراع ١٤ أصبعا معترضة معتدلة والاصبع ست حبات من الشعير معترضة معتدلة .
وقال بعضهم هو اثني عشر ألف قدم بقدام الانسان . وهو أي الفرسخ ٥٥٤١ مترا

(صلاة الظهر بعد الجمعة احتياطا)

(س ٥٤) من صاحب الامضاء في (اكرام من ولاية وياتنا - روسية)

حضرة الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأرجوكم ان تفيدنا عن الفتوى الآتية:

ماقولكم دام فضلكم في قول رجل يدعي ان الصلاة المسماة باحتياط الظهر بدعة والنبي (عم) ماصلاها وليس فيها رواية من الصحابة والتابعين ، والعلماء المجتهدين (أول من بين في القرآن بدعية هذه الصلاة الشيخ شهاب الدين الجرجاني) ومذهب ابي حنيفة والباقي من الأئمة فرضية الجمعة فقط ما عندهم شيء خفي عنا فمن ادعى مشروعية احتياط الظهر فليثبت لنا بالكتاب أو السنة والا فما يقنعنا مجرد كتابة الالفاظ العربية ان كان من ترك الجمعة بالعذر جزاؤه من الشارع صدقة ربح دينار أو صاع ونصف من الحنطة وليس مأمورا بأداء الظهر بدلا عن الجمعة فان كان الامر كذلك فادعاء بدعية الظهر عن الجمعة ليس بصحيح والقول بوجوب الاحتياط المصلي بعيد جدا .

محسوبكم بعد ما فهمت بدعية الاحتياط ما أصلها منذ عشرين سنة وأنه أيضا سامعي كلامي وبعد ما يسلم الامام أخرج من المسجد وأرجع الى بيتي وأصلي فيه ركعتين وهذا فعلي موافق لقوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا) ومطابق أيضا لسنة رسول الله (بخاري ٢ جزء ١٤ ص) وسب الجهال فعلي هذا بالاعتزال وغيره ليس بشيء عندي ولا أبالي به وفتاوى التاشكندان نظرا بما يقتضي الوجدان والانصاف ليست بشيء وقولهم رد الفتوى كفر أيضا كذلك . الحاصل عندي القول بوجوب الاحتياط شيء كبير لاجراة لي عليه لان الشارع صلى الله عليه وسلم ماصلي هذه الصلاة في عمره ولا مرة انتهى المترجم من مجلة الشورى عدد ٣٣

السياح الحجازي أبو اديب حافظ حلمي

(ج) تراجع ص ٧٢٩ و ٩٣٨ من مجلد المنار السابع فهناك بيان نافع ، ثم انا نعلم ان نية السائل في تركه لما جرى عليه بعض الناس في وطنه من صلاة الظهر بعد الجمعة ونية اولئك المصلين لها كلاهما حسنة والمسألة متنازع فيها وقد قال الله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) أي وأحسن عاقبة وما لا في الدنيا لانه يزيل النزاع والفرق ويجمع الكلمة وفي الآخرة لانه المرضي عند الله تعالى . واذا رددنا المسألة الى الله تعالى بمرضها على كتابه والى رسوله (ص) بمرضها على سنته لان نجد

ففيها دليل على مشروعية صلاتين مفروقتين في وقت واحد بل على عدمه وهو الاصل
 فمن كان يعتقد ان صلاة الجمعة لا تصح منه حرم عليه ان يصليها ووجب عليه الظهر وحده
 ومن صلاها معتقدا صحتها منه اجزأته ولم يجب عليه غيرها في وقتها الى العصر ومن اعتقد
 ان صلاته للجمعة صحيحة ولكنها ناقصة نقصا لا يقتضي بطلانها فله ان يجبرها
 بالنوافل الرواتب وغير الرواتب وقد صح في حديث ابن عمر المتفق عليه ان النبي
 (ص) كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته . وفي حديث أبي هريرة عند مسلم
 وأصحاب السنن الامر بصلاة أربع ركعات بعدها وورد بهلفظ « من كان منكم مصليا
 بعد الجمعة فليصل أربعاً » أي ان شاء والا فضل أن تكون في البيت كسائر النوافل
 ولا يتوهم الذين يصلون الظهر بعد الجمعة ان الخطب في ذلك سهل لانه
 زيادة من الخير الذي هو الصلاة فان فيه خطراً عظيماً من حيث انه شرع عبادة
 لم يأذن بها الله والشارع هو الله وحده فمن أحدث في الشرع شيئاً فقد جمل نفسه
 شريكاً لله في ألوهيته أو ربوبيته ومن وافقه فقد اتخذ شريكاً كما قال تعالى
 (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقد بينا مراراً تفسير النبي
 (ص) لاتخاذ أهل الكتاب أجباهم وذهبهم أو بابا بأنهم كانوا يضعون لهم أحكام
 الحلال والحرام فيتبعونهم فيها وهم ما كانوا يضعون تلك الأحكام الا بمثل الشبهات
 التي حدثت بها البدع الدينية في الاسلام من حيث انها زيادة في الخير أو العبادة
 أو احتياط في ترك ما لا يرضي الله تعالى كما هو معروف في تاريخهم
 فإيا أيها المسلمون لا تغلوا في دينكم وان لكم في الفرائض والمندوبات اثابنة في الكتاب
 والسنة بالنص الصريح غنية عن سواها وقد قال النبي (ص) في الاعرابي الذي حلف انه
 لا يزيد على المكتوبات الخمس وسائر الفرائض من أركان الاسلام ولا ينقص « أفأفح ان
 صدق » ودخل الجنة إن صدق ، وبأليت السواد الاعظم من المسلمين يأتون جميع
 الفرائض القطعية ويتركون جميع المحرمات القطعية وفي النوافل المشروعة ما يستغرق العمر
 وما قاله السائل في رد الفتوى صحيح وانما غنى أولئك المشددون المكفرون
 من رد الفتوى يحتقرها وهو يعتقد انها من دين الله تعالى ويقصد بذلك احتقار
 الدين لامن اعتقد خطأ المفتي

الباطنية

﴿ وآخر فرقهم البائية البهائية ﴾

قلنا في الجزء الماضي إن البائية البهائية فرقة من الباطنية وإن الباطنية قد وضعوا تعاليم السرية منذ القرن الاول لافساد دين الاسلام وإزالة ملكه فهم ماوضعوا شيئا يعتقدون حقيقته وهداية الناس بدعوتهم اليه ، ونقول الآن انهم لما انتشرت دعوتهم وكثر عددهم وصار لهم قدرة على الحرب اضرموا نيران الفتن والحروب بنحو وجههم على الدول الاسلامية مرارا ، وقدخابوا ولم ينالوا ماطلبوا بالملكيدة ولا بالقوة ، ثم صار لبعض رؤسائهم قناعة بعبادة اتباعهم لهم وبذلهم أموالهم في سبيلهم كأنهم الامامعليه المتأخرين ، وضعفت دعوتهم حتى جددوها البائية في هذا العصر وإذا نقل لقراء المنار شيئا مما حفظه التاريخ من أخبارهم وطرق دعوتهم وتأويلهم للقرآن ثم نبين حقيقة دعوة فرقة البائية منهم

قال أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) وهو من علماء القرن الخامس توفي سنة ٤٢٩ أي منذ تسعة قرون مانصه

(الفصل السابع عشر من فصول هذا الباب - أي الخامس)

« في ذكر الباطنية وبيان خروجهم عن جميع فرق الاسلام »

اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان . لان الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم الى يومنا هذا أكثر من الذين يضلون في وقت ظهوره لان فتنة الدجال لاتزيد مدتها على اربعين يوما ، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر . وقد حكى اصحاب المقالات ان الذين أسسوا دعوة

الباطنية جماعة منهم ميمون بن ديسان المعروف بالفداح وكان مولى لجمفر بن محمد الصادق وكان من الاهواز . ومنهم محمد بن الحسين الملقب بذيضان وميمون بن ديسان في سجن والي العراق أسسوا في ذلك السجن مذاهب الباطنية .

ثم ظهرت دعوتهم بعد خلاصهم من السجن من جهة المعروف بذيضان وابتدأ بالدعوة من ناحيته فدخل في دينه جماعة من اكراد الجبل مع أهل الجبل المعروف بالبدين ثم رحل ميمون بن ديسان الى ناحية المغرب وانتسب في تلك الناحية الى عقيل بن ابي طالب وزعم انه من نسله . فلما دخل في دعوته قوم من غلاة الرافض والحوالية منهم ادعى انه من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق فقبل الاغبياء ذلك منه على (أن) اصحاب الانساب (صرحوا) بأن محمد بن اسماعيل بن جعفر مات ولم يعقب

ثم ظهر في دعوته الى دين الباطنية رجل يقال له حمدان قرمط لقب بذلك لقرمطة في خطه أو في خطوه وكان في ابتداء أمره أكارا من أكرة سواد الكوفة واليه تنسب القرامطة

ثم ظهر بعده في الدعوة الى البدعة ابو سعيد الجنابي وكان من مستجيبة حمدان وتقلب على ناحية البحرين ودخل في دعوته بنو شير

ثم لما تمادت الايام بهم ظهر المعروف منهم بسعد بن الحسين احمد بن عبد الله بن ميمون بن ديسان القداح فقير اسم نفسه ونسبه . وقال لاتباعه انا عبيد الله بن الحسن بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق . ثم ظهرت فتنته وأولاده اليوم مستولون على أعمال مصر

وظهر منهم المعروف بابن كرويه بن مهرويه الدنداني من تلامذة حمدان قرمط وظهر مأمون اخو حمدان قرمط بأرض فارس . وقرامطة فارس يقال لهم المأمونية لاجل ذلك .

ودخل أرض الديلم رجل من الباطنية يعرف بأبي حاتم فاستجاب له جماعة من الديلم منهم اسفار بن شرويه .

وظهر بنيسابور داعية لم يعرف بالشعراني فقتل بها في ولاية ابي بكر بن محتاج

عليها . وكان الشمراني قد دعا الحسين بن علي المروروذي قام بدعوته بعده محمد بن احمد النسفي داعية أهل ما وراء النهر وأبو يعقوب السعدي المعروف ببندانه وصنف النسفي لم كتاب المحصول وصنف لم أبو يعقوب كتاب اساس الدعوة وكتاب تأويل الشرائع وكتاب كشف الاسرار وقتل النسفي والمعروف ببندانه على ضلالتهم وذكروا أصحاب التواريخ ان دعوة الباطنية ظهرت أولا في زمان المأمون وانتشرت في زمان المعتصم . وذكروا انه دخل في دعوتهم الافشين صاحب جيش المعتصم وكان مرافقا لبابك الخرمي وكان الخرمي مستعصيا بتاحية البدين وكان أهل جله خرمية (١) على طريقة المزدكية فصارت الخرمية مع الباطنية يدا واحدة . واجتمع مع بابك من أهل البدين ومن انضم اليهم من الديلم مقدار ثلاث مئة الف رجل . واخرج الخليفة لقتلهم الافشين فظنه ناصحا للمسلمين وكان في سره مع بابك وتواني في القتال معه ودله على عودات عساكر المسلمين وقتل الكثير منهم . ثم لحقت الامداد بالافشين ولحق به محمد بن يوسف الثغري وأبو دلف القاسم بن عيسى العجلي ولحق به بعد ذلك قواد عبد الله بن طاهر واشتدت شوكة البابكية والقرامطة على عسكر المسلمين حتى بنوا لانفسهم البلدة المعروفة ببيرزند خوفا من بيان (كذا) البابكية ودامت الحرب بين الفريقين سنين كثيرة الى أن أغفر الله المسلمين بالبابكية فأمر بابك واصل بسر من رأى (٢) سنة ثلاث وعشرين ومشتين ثم أخذ أخوه اسحاق واصل ويفداد مع المازيار صاحب الحمرة بطبرستان وجرجان . ولما قتل بابك ظهر للخليفة غدر الافشين وخيائته للمسلمين في حروبه مع بابك فأمر بقتله وصلبه ففعل ذلك .

وذكروا أصحاب التواريخ ان الذين وضعوا اساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس وكانوا مائنين الى دين أسلافهم ولم يحسروا على إظهاره خوفا من سيوف المسلمين فوضع الاغمار منهم اساسا من قبلها منهم صار في الباطن الى تفضيل أديان المجوس وتأولوا آيات القرآن وسنن النبي عليه السلام على موافقة أساسهم . وبيان ذلك

(١) المنار : الخرمية بضم الخاء وتشديد الراء معناه الاباحية وأصل الكلمة فارسي قيل معناه السرو (٢) هو البلد الذي يقال له الآن سامرا

٨٣٦ الباطنية دعوتهم الى عبادة النار وإباحة الزنا. اللواط (المنار ج ١١ ص ١٣)

أن الثنوية زعمت أن النور والظلمة صانعان قديمان والنور منها فاعل الخيرات والمنافع ، والظلام فاعل الشرور والمضار ، وأن الاجسام ممتزجة من النور والظلمة وكل واحد منهما مشتمل على أربع طبائع وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والاصلان الاولان من الطبائع الاربع مدبرات هذا العالم . وشاركهم المجوس في اعتقاد صانعين غير انهم زعموا أن أحد الصانعين قديم وهو الاله الفاعل للخيرات والآخر شيطان محدث فاعل للشرور . وذکر زعماء الباطنية في كتبهم أن الاله خالق النفس فالاله هو الاول والنفس هو الثاني وهما مدبران هذا العالم . وسموها الاول والثاني ور بما سموهما العقل والنفس . ثم قالوا إنها يدبران هذا العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الاول .

وقولهم إن الاول والثاني يدبران العالم هو بعينه قول المجوس باضافة الحوادث الى صانعين أحدهما قديم والآخر محدث الا ان الباطنية عبرت عن الصانعين بالاول والثاني وعبر المجوس عنها بيزدان وأهرمن فهذا هو الذي يدور في قلوب الباطنية ووضعوا أساسا يؤدى اليه ولم يمكنهم إظهار عبادة النيران فاحتالوا بأن قالوا للمسلمين ينبغي أن نجمر المساجد كلها وان يكون في كل مسجد حجرة يوضع عليها الذن والعود في كل حال . وكانت البرامكة قد زينوا للرشد أن يتخذ في جوف الكعبة حجرة يتبخر عليها العود ابدا فلم الرشيد انهم أرادوا من ذلك عبادة النار في الكعبة وان تصير الكعبة بيت نار فكان ذلك أحد أسباب قبض الرشيد على البرامكة

ثم ان الباطنية لما تأولت أصول الدين على الشرك احتالت أيضا لتأويل أحكام الشريعة على وجوه تؤدى الى رفع الشريعة أو الى مثل أحكام المجوس . والذي يدل على أن هذا مرادهم بتأويل الشريعة انهم قد أباحوا لاتباعهم نكاح البنات والاخوات وشرب الخمر وجميع اللذات . ويؤكد ذلك ان الفلام الذي ظهر منهم بالبحرين والاحساء بعد سليمان بن الحسين القرمطي سن لاتباعه اللواط وأوجب قتل الفلام الذي يمنع على من يريد الفجور به وأمر بقطعه يد من أطفا نارا بيده وبقطع لسان من أطفاها بنفخة . وهذا الفلام هو المعروف بابن أبي زكريا الطائي

وكان ظهوره في سنة تسع عشرة وثلاث مئة وطالت فتنته الى ان سلط الله تعالى عليه من ذبحه على فراشه

ويؤكد ما قلناه من ميل الباطنية الى دين المجوس أنا لا نجد على ظهر الارض مجوسيا إلا وهو مواد لم منتظر لظهورهم في الديار يظنون أن الملك يعود اليهم بذلك . وربما استدل انماهم على ذلك بما يرويه المجوس عن زرادشت انه قال لكتاسب ان الملك يزول عن الفرس الى الروم واليونانية ثم يعود الى الفرس ثم يزول عن الفرس الى العرب ثم يعود الى الفرس . وساعده جاماسب المنجم على ذلك . وزعم ان الملك يعود الى المعجم تمام الف وخمس مئة سنة من وقت ظهور زرادشت . وكان في الباطنية رجل يعرف بأبي عبد الله العردي يدعي علم النجوم ويتعصب للمجوس وصنف كتابا ذكر فيه ان القران الثالث عشر من مولد محمد صلى الله عليه وسلم يوافق الالف العاشر وهونوبة المشتري والقوس . وقال عند ذلك يخرج انسان يعيد الدولة المجوسية ويستولي على الارض كلها . وزعم انه يملك مدة سبع قرانات . وقالوا قد تحقق حكم زرادشت وجاماسب في زوال ملك المعجم الى الروم واليونانية في أيام الاسكندر ثم عاد الى المعجم بعد ثلاث مئة سنة ثم زال بعد ذلك ملك المعجم الى العرب وسيعود الى المعجم تمام المدة التي ذكرها جاماسب . وقد وافق الوقت الذي ذكره أيام المكتفي والمقتدر وأخلف موعدم وما رجع الملك فيه الى المجوس .

وكانت القرامطة قبل هذا الميقات يتواعدون فيما بينهم ظهور المنتظر في القران السابع في المثثة النارية . وخرج منهم سليمان بن الحسين من الاحساء على هذه الدعوى وتعرض للحجيج وأسرف في القتل فيهم . ثم دخل مكة وقتل من كان في الطواف وأغار على أستار الكعبة وطرح القتلى في نثر زمزم وكسر عساكر كثيرة من عساكر المسلمين وانهزم في بعض حروبه الى هجر فكتب للمسلمين قصيدة يقول فيها
أغركم مني رجوعي الى هجر ؟ فما قليل سوف يأتيكم الخبر
إذا طلع المربخ في أرض بابل وقارنه النجمات فلخدر الخدر
ألسنت أنا المذكور في الكتب كلها ؟ ألسنت أنا المبعوث في سورة الزمر ؟

سأملك أهل الأرض شرقا ومغربا إلى قبروان الروم والترك والخرز
وأراد بالنجمين زحل والمشتري . وقد وجد هذا القرآن في سني ظهوره ولم
يملك من الأرض شيئا غير بلدته التي خرج منها . وطمع في أن يملك سبع قرانات
وما ملك سبع سنين بل قتل بهيت رفته امرأة من سطجها بلبنة على رأسه فدمغته
وقتل النساء أخس قتيل وأهون قعيد .

وفي آخر سنة ألف ومشتين وأربعين للأسكتندرتي من تاريخ زرادشت الف وخمس
مئة سنة وما عاد فيها ملك الأرض إلى المجوس بل اتسع بعدها نطاق الاسلام وفتح
الله تعالى للمسلمين بعدها بلاد بلاساغون (١) وأرض التبت وأكثر نواحي الصين ثم فتح
لهم بعدها جميع أرض الهند من لغان إلى قنوج وصارت أرض الهند إلى سترسقا
بحرها من رقعة الاسلام في أيام أمين الدولة أمين الملة محمود بن سبكتكين رحمه الله .
وفي هذا رغم أنوف الباطنية والمجوس الجاماسية الذين حكموا بعود الملك اليهم
فذاقوا وبال أمرهم وكان عاقبة إيمانهم بورا بحمد الله ومنه

ثم إن الباطنية خرج منهم عبيد الله ابن الحسين بناحية القبروان وخدع قوما من كتامة
وقوما من المصادمة وشرذمة من اغنام بربر بحيل ونيرنجات اظهرها لهم كروية الخيالات
بالليل من خلف الرداء والازار وظن الاغمار انها معجزة له فتبعوه لاجلها على بدعته فاستولى
بهم على بلاد المغرب ثم خرج المعروف منهم بأبي سعيد الحسين بن بهرام على أهل
الاحساء والقطيف والبحرين فأبى أتباعه على أعدائه وسبى نساءهم وذرايرهم واحرق
المصاحف والمساجد ثم استولى على هجر وقتل رجالها واستعبد ذرايرهم ونساءهم .
ثم ظهر المعروف منهم بالصناديقي باليمن وقتل الكثير من أهلها حتى قتل الاطفال
والنساء وانضم اليه المعروف منهم بابن الفضل في أتباعه ثم إن الله تعالى ساطع عليهما
وعلى أتباعهما الآكلة والطاعون فماتوا بهما

ثم خرج بالشام حفيد لميمون بن ديسان يقال له أبو القاسم بن مهوريه وقالوا
لن أتبعهما هذا وقت ملكنا . وكان ذلك سنة تسع وثمانين ومشتين فقصدهم سبك
صاحب المعتضد فقتلوا سبكا في الحرب ودخلوا مدينة الرصافة واحرقوا مسجدها الجامع

(١) بلاساغون بالعين المدجمة بلد عظيم في ثغور الترك وراء نهر سيحون قريب من كاشغر

وقصدوا بعد ذلك دمشق فاستقبلهم الحامي غلام بن طيلون وهزمهم الى الرقة فخرج اليهم محمد بن سليمان كاتب المكتفي في جند من أجناد المكتفي فهزمهم وقتل منهم الالوف فانهزم الحسن بن زكريا بن مبرويه الى الرملة فقبض عليه والي الرملة فبعث به وبجماعة من أتباعه الى المكتفي فقتلهم ببغداد في الشارع بأشد عذاب . ثم انقطعت بقتلهم شوكة القرامطة الى سنة عشر وثلاث مئة

وظهرت بعدها فتنة سليمان بن الحسن في سنة احدى عشرة وثلاث مئة فانه كبس فيها البصرة وقتل أميرها الملقبي وقتل أموال البصرة الى البحرين . وفي سنة اثنتي عشرة وثلاث مئة وقع على الحجيج في التهدير لشمر بقيت من الحرم وقتل أكثر الحجيج وسبي الحرم والذاري . ثم دخل الكوفة في سنة ثلاث عشرة وثلاث مئة فقتل الناس واتهب الاموال . وفي سنة خمس عشرة وثلاث مئة حارب ابن أبي الساج وأسرهم وهزم أصحابه وفي سنة سبع عشرة وثلاث مئة دخل مكة وقتل من وجدته في الطواف . وقيل انه كان بها ثلاثة آلاف وأخرج منها سبع مئة بكر واقطع الحجر الاسود وحمله الى البحرين ثم ردها الى الكوفة ورد بعد ذلك من الكوفة الى مكة على يد أبي اسحاق بن ابراهيم محمد بن أبي يحيى مزكي نيسابور في سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة

وقصد سليمان بن الحسن بغداد في سنة ثمان عشرة وثلاث مئة فلما ورد هبت رمت امرأة من سطحا بلبنة فقتلته واقطعت شوكة القرامطة وصاروا بعد قتل سليمان بن الحسن مبدقين (١) للحجيج من الكوفة والبصرة الى مكة فخصاة، ومال مضمون لهم الى ان غلبهم الاصغر العقيلي على بعض ديارهم .

وكانت ولاية مصر وأعمالها للاخشيدية وانضم بعضهم الى عبيد الله الباطني الذي كان قد استولى على قبروان ودخلوا مصر في سنة ثلاث وستين وثلاث مئة وابتنوا فيها مدينة سموها القاهرة يسكنها أهل بدعته وأهل مصر ثابتون على السنة الى يومنا وان اطاعوا صاحب القاهرة في اداء خراجهم اليه .

وكان أبو شجاع فناخسرو بن بويه قد تأهب لقصد مصر وانزعاعها من أيدي

الباطنية وكتب على اعلامه بالسواد : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ،
ادخلوا مصر ان شاء الله آمين : وقال قصيدة أولها

اما ترى الاقدار لي طوائعا قواضيا لي بالعيان كالخبر
ويشهد الانام لي بأني ذاك الذي يرجى وذاك المنتظر
لنصرة الاسلام والداعي الى خليفة الله الامام المفتخر

فلما أخرج مضارب للخروج الى مصر غامضه (١) الاجل فمضى لسبيله فلما قضى
فناحسروحبه طمع زعيم مصر في ملوك نواحي الشرق فكاتبهم بدعوتهم الى البيعة
له فأجاب قابوس بن وشمكير عن كتابه بقوله : اني لا أذكرك الا على المستراح .
وأجابه ناصر الدولة ابو الحسين محمد بن ابراهيم بن سيمجور بأن كتب على ظهر كتابه
اليه (قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون) الى آخر السورة . وأجابه نوح بن
منصور والي خراسان بقتل دعائه الى بدعته .

ودخل في دعوته بعض ولاية الجرجانية من أرض خوارزم فكان دخوله في
دينه شوئا عليه في ذهاب ملكه وقتله أصحابه ثم استولى يمين الدولة وأمين الملة محمود
ابن سبكتكين على أرضهم وقتل من كان بها من دعاة الباطنية .

وكان أبو علي بن سيمجور قد وافقهم في السرفذاق وبال أمره في ذلك وقبض
عليه والي خراسان نوح بن منصور وبعث به الى سبكتكين فقتل بناحية غزنة وكان
ابو القاسم الحسن بن علي الملقب بن الشمتد داعية أبي علي بن سيمجور الى مذهب
الباطنية وظفر به بكتودون صاحب جيش السامانية بنيسابور فقتله ودفن في مكان
لا يعرف وكان اميرك الطوسي والي ناحية ناربويه قد دخل في دعوة الباطنية فأمر
وحمل الى غزنة وقتل بها في الليلة التي قتل فيها أبو علي بن سيمجور . وباد بذلك
نصرأ الباطنية من تلك البلاد ومن هذا بيان شوئم الباطنية على متحملها فليعتبر
بذلك المعتبرون (لها بقية)

(١) النار : كذا في الاصل ولعل الصواب غاصه أي فاجأه واخذته على غرة

﴿ جمیل صدقی افندی الزهاوی ﴾

« مهاجته بشعرباته للشریعة الاسلامیة فی حقوق النساء »

نشرت جریدة المؤید فی شهر شعبان من هذه السنة مقالة لجمیل صدقی افندی الزهاوی الشاعر البغدادی المشهور ینتصر فیها بتخیلاته الشعریة للنساء علی الشریعة الاسلامیة الحکیمة ، ومقالة أخرى بدعو فیها العرب الی ترک اللغة العربیة الفصحیة واستعمال اللغات العامیة الی بتخاطبون بها علی سخطها وعسر ضبطها وما تحتاج من العناء والزمن الطویل لدونها ووضع الفنون لها التحفظها وتجعل تعلمها طریقة فنیة وعلی ما فی ذلك من تمزیق شمل العرب وجعلهم أمتا مختلفة فی اللغة فرد علیه الکتاب المسلمون فی مصر وسوریة والعراق ویقال ان أهل العلم والدین هاجوا علیه فی بغداد ورفعوا أمره الی الحکومة قعزته من عمله فی نظارة المعارف وکان معلما للشریعة فی مدرسة الحقوق

كنت علمت بما کتبه جمیل افندی وانا فی الآستانة فلم أر کتابته هذه أهلا لان تقرأ أو یرد علیها ولکنی رأیت نصیر الحریة الفیلسوف شبلی شمل قام ینتصر له فی هذه الايام ویدعو الکتاب الی ذلك فکتب فی المقطم یرستی الرأي العام العثماني والمصري فی حادثته وقد بنی استفتاء هذا علی رسالة جاءت من بغداد یرستنکر فیها کاتبها (ولله جمیل افندی نفسه) عزله فی عهد الدستور بواسطة مبعوث دستوري (هو مصطفی افندی مبعوث الحلة) وحاکم دستوري (هو ناظم باشا والی بغداد) ویقول ان فریقا من الثائرين یریدون ان تفصل الحکومة بین الرجل وزوجته لانه کفر وفریقا یطالب بإبعاده عن البلاد الاسلامیة وفریقا یریدون قتله .

وقد عقب المقطم علی استفتاء شبلی شمل بکلام فی متعی الشدة والانکار مع اعتراف المعقب بأنه لم یقرأ مقالة الزهاوی ولكن الظلم الفظیع الذی اصاب الزهاوی اضرم نار السخط فی صدره وجعل دمه یغلی فی عروقه

طالبني الدكتور شميل بأن اكتب رأيي في المسألة فرجعت الى مقالة الزهاوي في المؤيد لا تثبت وأتبع حقيقة الذنب الذي ترتبت عليه العقوبة فرأيت يعترض فيها على ما ثبت في القرآن العزيز وينسبه الى خطأ المسلمين وجهلهم يشير بذلك الى ان القرآن من أوضاعهم بل هو يصرح بذلك بقوله في الجنة « التي وصفوها بقولهم فيها ما تشتهي الانفس » وهاك جملة من تلك المقالة بنصها

« وليست المرأة مهضومة من جهة واحدة بل هي مهضومة من جهات عديدة:

ولو كان ربحاً واحداً لاقيته ولكنه ربح وثان وثالث

« فهي مهضومة لان عقدة الطلاق بيد الرجل يحلها وحده ولا أدري لماذا يجب

رضاء المرأة في الاقتران ولا يجب رضاها بالفراق الذي تعود تبعته عليها وحدها

« وهي مهضومة لانها لا ترث من أبويها الا نصف ما يرثه أخوها الرجل

« وهي مهضومة لانها تعد نصف إنسان وشهادتها نصف شهادة

« وهي مهضومة لان الرجل يتزوج عليها بثلاث آخر وهي لا تزوج

الا به وحده

« وهي مهضومة لانها وهي في الحياة مقبورة بحجاب كشف يمنعها من شم الهواء

ويمنعها من الاختلاط بيني نوعها والاستئناس بهم والتعلم منهم في مدرسة حياة الكبرى

« وليست المرأة المسلمة مهضومة في الدنيا فقط بل هي مهضومة كذلك في الاخرى

لان الرجل المصلي يعطى من الخور العين من سبعين الى سبعين ألفاً وأما المرأة

المصلية فلا تعطى الا زوجها وربما اشتته (١) في الجنة التي وصفوها قائلين (فيها ما تشتهي

الانفس) على حين يشتهي هو غيرها من الخور العين اللاء أعطينه » اهـ

فهذه الجملة الوجيزة من تلك المقالة كلها تهكم بالشريعة واعتراض على القرآن

العزيز ولا يمكن أن يصدر مثلها من مسلم يؤمن بالله ورسوله (ص) وسمعت من

كثير من الذين عرفوا جميل صدقي افندي في الآستانة انه ملحد لا يدين بدين

وما كان يجوز لي ان اكتب ذلك جازماً به اعتماداً على شهادتهم وان لم أتهمهم

بالكذب لاني عهدت من الناس تكفير من أعلم بالاختبار قوة دينهم ولكن هذه

العبارة كافية للجزم بأن قائلها ليس مسلماً ومن يقولها لا يختلف احد من قهاء المسلمين في رده ، لان جميع هذه المسائل التي ذكرها ثابتة بنص القرآن الا الحجاب على الوجه الذي ذكره والا مسألة عدد الحور العين لكل مصل فانه عزاه الى الشريعة لجهله بالكتاب والسنة فلا أصل لها في القرآن ولا في الاحاديث الصحيحة وانما ورد في الحديث الصحيح انه يكون للرجل في الجنة زوجان اثنتان وما ورد من السبعين واثنتين وسبعين حوراء فمن روايات الضعفاء والمتهمين بالمنكرات والموضوعات

هذه الاحكام التي اعترض عليها الكاتب اعترض تهكم وازدراء هي من القوانين الشرعية التي يحكم بها في محاكم الدولة الدستورية وهي من دين الاسلام الذي هو الدين الرسمي للدولة العثمانية بمقتضى قانونها الاساسي ، وقانون المطبوعات الذي وضعه وأقره مجلس الامة لا يبيح الاعتراض والتهكم بدين الحكومة الذي تجب عليها حمايته بل ولا بغيره من الاديان التي أقرتها الحكومة الدستورية في بلادها - فالدستور العثماني لا يبيح اذاً نشر مثل تلك المقالة التي نشرت باسم الزهاوي والذي ينتصر له بعد العلم بحقيقة ذنبه في نشرها يكون جانياً على الدستور خارجاً عن محيط الحرية التي يشترط عند جميع الامم ان لا يتعدى بها حدود القوانين التي عليها العمل

لو أن الزهاوي اتبع سبيل الحكمة والعقل ، في اعتدائه حدود القانون والشرع ، لقال كثير من العقلاء انه يستحق الرأفة في الحكم ، وأين الحكمة والعقل ممن يزعم انه يريد إصلاح قوم فينكر عليهم ما هو ثابت في أصل دينهم وكتاب ربهم لانه هو لا يفتقه ولا يدري حكمته ،

كان من مقتضى الحكمة والعقل أن يفكر في عاقبة نشر هذا القول ويعلم أن عدم قبوله - وهو الأرجح ان لم يكن القطعي المحتم - يهيج عليه الناس فيتأذى هو ولا ينتفعون هم على فرض ان ما دعاهم اليه نافع وان قبوله لا يكون الا بطلان الثقة بالدين من أصله واذاً يقعون في فوضى نستباح فيها الاعراض والاموال فيكون انه اكبر من نفعه

إن كان الزهاوي يرى انه لا يمكن إصلاح حال المسلمين ماداموا متمسكين بدينهم وكان حريصاً على إصلاحهم فالذي كان يعقل منه أن يعمل هو أن يدعوهم

الى ترك هذا الدين إما تركه الى إلحاد وكفر مطلق وإما الى دين آخر يراه يتفق مع الإصلاح . وان كان يرى انه يمكن إصلاح حالهم مع محافظتهم على دينهم فالذي يعقل منه أن يدعوهم الى ترك ما لا يحصى من المفاسد التي فعلوها والمصالح الكثيرة التي تركوها مخالفين للإسلام في فعلهم وتركهم وأما هذه الذبذة وقوله تارة قال الله تعالى ويذكر آية من القرآن وإشارته تارة أخرى الى بعض الآيات بقوله « وصفوها قائلين » فليست من العقل ولا من الحكمة في شيء .

بعد هذا كله أقول فيما ذكر من عزله واضطهاد الناس له انه كان ينبغي أن يستل أولاً عن هذه المقالة فإن اعترف بأنه هو الكاتب لها فللحكومة أن تعزله قائلة انه لا ينبغي أن يدرس الشريعة من ينكر أصلها الأحكام ومراجها الأئمة ، وللناس ان ينكروا عليه ذلك اذ لا يأمن آباء التلاميذ على أولادهم من يشككهم في عدل شريعتهم وحقيقتها ويجب عليهم شرعا أن يطالبوا الحكومة بمنعه من التدريس ويجب على الحكومة ان تجيبهم الى ذلك . واذا دفع أمره الى القاضي الشرعي وثبت عنده انه هو الذي تهكم بالشريعة ونسبها الى الجور والظلم في أحكام الارث والطلاق وتعدد الزوجات بشرطه فعليه أن يحكم برده ويفرق بينه وبين امرأته ان كانت مسلمة

هذه هي شريعة الدولة ليس لعقل أن ينكر عليها تنفيذها ما دامت هي شريعتها وان كان هو لا يدين الله بها ولا يرى انها عادلة كما ان بعض رجال القانون بمصر يرون ان في القانون المصري امورا منتقدة ضارة يجب تقيحها أو تغييرها ولكنهم لا يجيزون تقصير الحكومة في تنفيذها ما دامت مقرر في القانون

نعم اننا لا نفتي الناس بجواز الاعتداء عليه بقتل ولا ضرب ولا سب ولا على ماله فصب ولا سلب فان اجازة اعتداء الناس على من يروونه مذنباً بالكفر أو المعصية يوقع البلاد في الفوضى والفتن ويسلب منها الأمن على الأنفس والأموال والأعراض ويبطل سلطة الحكومة ، ولكن لهم أو عليهم أن يظهروا له السخط والانكار فان انكار المنكر فرض محتتم وهو الركن الأقوى لحفظ الآداب العامة والفضيلة فكل أمة تكرم أهل المنكر تهبط وتفسد وكل أمة تحقرهم تعلو وتصلح ، وقد علمنا ان بعض

سراة الانكليز ارتكب فاحشة الواط فلما عرف ذلك عنه فضل بجمع نفسه (الانتحار)
على الظهور بين قومه مهينا محتقرا ، ومن يعظم ويكرم من يعتقد انه لا يستحق
التكريم فهو منافق ويستحيل ان ترقى أمة يفشو فيها النفاق ما لم تتركه

نعم ان احترام استقلال الفكر من أعظم أسباب ارتقاء العقل والعلم ولكن
مسألة الزهاوي لا تدخل في هذا الباب لانه لم يبد رأيا دينيا في ضمن دائرة الدين مخالفا
لبعض المذاهب بالدليل ، ولا رأيا علميا في ضمن دائرة العلم بعيدا عن مس كرامة
الدين ، بل أهان الامة باتهمك بدينها ، والحكومة بالخروج على شريعته وقوانينها ،
ويعتقد كل من الامة والحكومة ان ما كتبه يضر لانه يبطل ثقة العامة بدينها ،
وما رأينا الدكتور شميلا استباح لنفسه مثل هذا وهو اشهر كتاب العرب استقلالاً
في رأيه وعلمه ولذلك يحترم استقلاله المسلمون كغيرهم ويكرمونه تكريماً ، وما أراه
يرضيه ما كتبه الزهاوي - وقد علمه - بل يرضيه منه إما ان يكون مسلماً يدع لكل
ما يعتقد انه من دينه وإما أن يصرح بأنه ليس مسلماً ويظهر رأيه المخالف للإسلام
على انه رأي له مع التزام الادب واجتناب جرح قلوب القوم الذين يخالفهم ، وما
أراه يستحسن منه في هذه الحال ان يكون مدرسا يقرر شريعة يعتقد انها ظالمة بل
لعله يحتم عليه ان يرفض هذا الدرس من نفسه كما رفض الفيلسوف سبنسر الوسام
الذي أهداه اليه عاهل الالمان لانه هو يرى وجوب ترك الحرب وذلك الملك اشد
الملوك استعداد لها

وأما الحكومة فيجب عليها أن تحمي الزهاوي من اعتداء الناس عليه ومن
اهانتها بما يعاقب عليه القانون وان لا تعاقبه هي الا بعد المحاكمة وثبوت الجرم والحكم
به . ولتعلم ان اتباعها لاهواء العامة أو الخاصة في معاقبة الناس هو قلب لمعنى السلطة
وإضاعة للحكومة فان اهواء الناس لا تقف عند حد الشرع والقانون ولا العقل
والمصلحة فاذا لم تكن الحكومة في كل مكان بحفظ الحرية الشخصية اشد العناية فان
الدستور لا تقوم له قائمة وتظل البلاد هاربة في الشقاء والخراب ، وقد قصرت حكومتنا
الدستورية بهذه المسألة في كل الولايات حتى ان الناس يشعرون أن النفوذ الاعلى
لا يزال لاصحاب العصية ولعصباتهم من الاشقياء ، وبلي هذا تأمين عمالها الموظفين

على وظائفهم وعدم عزل أحد منهم بغير محكمة والمطالب بهذا عاصمة البلاد في هيئتها
النائية والتنفيذية فليس الامر خاصا بالعراق ، بل مصدره عاصمة المملكة فيجب
على الاحرار المحيين للاصلاح أن يطلبوه من هناك
وليس هذا المقام مقام الرد على شبهات الزهاوي ومن راجع مجلدات المنار
وال تفسير يجد فيها الرد الكافي

بعد هذا ننصح لجبل صدقي افندي فنقول ان ما حصل هو نتيجة طبيعية لتلك
المقالة تكاد تكون بديهية وان أهل بلادنا العثمانية لا يطبقون الجهر بمخالفة عاداتهم
فيشغبون على صاحبه باسم الدين وانك رجل مستعد ومبال للفلسفة والعلوم الطبيعية
والادبية فدع البحث في الدين لاهله المستعدين له واشتغل بخدمة الامة من الطريق
الذي يرجى ان تنفعها به . وقد قال الاستاذ الامام ان من اسباب عقم الامة ان من
يتقن فيها علما أو عملا أو من هو مستعد لاتقانه ذلك يشتغل بغيره مما لم يتقنه ولم يخلق
مستعدا له فلو صرفت ذكائك الى وضع كتب صغيرة حسنة الترتيب سهلة الاسلوب
لطلالمة العوام والتلاميذ وتعليمهم ما يطبع السفنهم على اللغة الصحيحة ويقوى ملكة
الآداب والفضائل في انفسهم او رسائل لتعليم بعض الفنون التي تحسنها لافدت
واستفدت وكنت من المصلحين ، ولعلك تفعل ذلك بعد ان تنجلي هذه
الغمرة عن قريب

﴿ حجة جديدة لبراءة الزهاوي من المقالة ﴾

بعد كتابة المقالة جاءنا المؤيد يقول إنهم قابلوا خط رسالة مقالة الدفاع عن
المرأة بخط بعض القصاصد التي كان أرسلها الزهاوي للمؤيد من قبل فوجدوا الخط
مختلفا غير متشابه فاذا انكر الزهاوي تلك المقالة وتبرأ مما فيها من الاعتراض على
الشرعية تبرؤا جليا واضحا لا كما كتب في جريدة الرقيب فان ما كتبه المؤيد الآن
يصلح حجة على تأييد إنكاره وحينئذ نطالب الحكومة والاهالي بجعل الحادثة
كان لم تكن شيئا مذكورا

النظام الجديد

﴿ للجامعة الازهرية ﴾

ففتح الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في الازهر روح الاصلاح وشوق طلابه الى النظام والعلوم والفنون ، وقال يستحيل أن يبقى الازهر على حاله بعد قاما أن يصلح وإما أن يسقط وبزول ، وقد ظهر صدق رأيه بعده فقام طلاب الازهر وكثير من شيوخه يطالبون باصلاح التعليم وادخال العلوم والفنون الطبيعية والرياضية التي تدرس في مدرسة القضاء الشرعي في الازهر ، وهاج الازهريون في العامين السابقين واعتصبوا لاجل ذلك حتى انفضت حلق الدروس كلها من الازهر ، ووضعت لهم الحكومة في أثناء ذلك نظاما جديدا لم يقبلوه بل طلبوا أمورا أخرى لم تجبهم اليها الحكومة وسنين ذلك في مقال آخر . بعد ذلك عهدت الحكومة الى احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية أن يضع نظاما جديدا للازهر بمساعدة اسماعيل صدقي باشا وكيل نظارة الداخلية وعبد الخالق ثروت باشا النائب العمومي . وقد غني رئيس هذه اللجنة احمد فتحي باشا بالامر واشتغل به مدة صيف هذه السنة وراجع لاجله جميع القوانين والنظامات التي وضعت للازهر من ١٢٨٨ الى الآن اي منذ اربعين سنة وبعد وضع النظام الجديد طبعته اللجنة وطبعت معه القوانين والنظامات التي أشرنا اليها في دفتر خاص فكان سفرا كبيرا قدمته للحكومة واننا ننشر في هذا الجزء من المار المذكرة التي بين فيها ما يشتمل عليه النظام الجديد بالاجمال وننشر بعدها قانون هذا النظام كله

مذكرة

(بيان مشتملات المشروع)

لما كانت المعاهد الدينية الاسلامية آخذة في النمو وكان من الواجب أن يكون

نظامها وحالة التعليم فيها موافقا لرقى الامة وحاجاتها وجب الاهتمام بأمر هذه المعاهد وتوحيد بروغراماتها وتنظيم ادارتها بما يكفل الحصول على الفائدة المطلوبة منها ولذلك وضع مشروع القانون المرفق بهذه المذكرة شاملا للقواعد والاحكام التي تناسب حالة المعاهد المذكورة وخلاصته ما يأتي

(١) اعتبرت المعاهد الدينية الاسلامية الموجودة الآن بالقطر المصري مجموعا تتكون منه جامعة واحدة سميت (الجامعة الازهرية) نسبة الى الجامع الازهر الذي هو أكبرها وأقدمها وكرت المعاهد الاخرى وهي الموجودة في الاسكندرية وطنطا ودسوق ودمياط وذكر على وجه الاجمال الغرض من هذه الجامعة وهو تعلم العلوم الدينية وتعليمها على وجه يفيد الامة

ويدخل في الجامعة كل معهد يؤسس في القطر المصري بارادة سنية ثم لوحظ أن هناك معاهد أهلية يطلب منشئوها الحاقها بالجامع الازهر وقد يوجد مثل ذلك في المستقبل فقرر أن مجلس الازهر الاعلى يضم لائحة ببيان الشروط التي يجوز بمقتضاها الحاق المعاهد التي من هذا القبيل بالجامعة الازهرية وأن يصدق على اللائحة المذكورة بارادة سنية (راجع المادتين ٢٠٩)

أما الرئاسة الدينية بالنسبة لاهل العلم ومن ينتمي الى الجامعة فقد جعلت لشيخ الجامع الازهر جريا على ما كان معروفا من قبل كما صار بصفته رئيسا لمجلس الازهر الاعلى المنفذ العام لجميع القوانين واللوائح والقرارات المختصة بالجامعة الازهرية (المادتين ٣ و ٤)

(٢) فوضت الادارة العليا في الجامعة الازهرية الى مجلس أعلى يتألف تحت رئاسة شيخ الجامع الازهر من مقبي الديار المصرية وروساء المذاهب ومدير عموم الاوقاف المصرية وثلاثة يختارون من ذوي المكانة والدراية ممن تستفيد منهم ادارة هذه الجامعة نظرا لخبرتهم ومعارفهم في المسائل النظامية والادارية وجعل لكل معهد شيخ تناط به ادارته وشكل تحت رئاسته مجلس ادارة في الجامع الازهر ومعهدى الاسكندرية وطنطا للنظر في المسائل التي تقتضي المشورة

وليكون ذلك ضامنا لحسن سير المعاهد وكفيل لاهلها فيما لهم من الحقوق وفيما على أداء ما هو مطلوب منهم من الواجبات

وأباح القانون تعيين وكلاء المشايخ في المعاهد اذا اقتضت حالة الادارة ذلك وأما بقية المعاهد فجعل أمر إيجاد مجالس الادارة فيها موكولا الى أحوالها الخصوصية فاذا ارتقت وأصبح ذلك لازما لها فللمجلس الاعلى أن يقرره بقيود وشروط مخصوصة

وحددت اختصاصات كل ركن من أركان هذه الادارة بما يناسبه على وجه يضمن حسن سير النظام ودرقي التعليم

ولما كان التعليم في الجامع الازهر يحتاج الى مراقبة كبيرة نظرا لكثرة طلابه أنشئت فيه ثلاث ادارات للتعليم لكل قسم من أقسامه الثلاثة ادارة خاصة به تحت رئاسة شيخ مخصوص ومعه ما يلزمه في ذلك من المراقبين والعمال (راجع المواد ٥ الى ٢٠) (٣) قرر أن يكون تعيين شيخ الجامع الازهر ومشايخ المعاهد والوكلاء ومشايخ المذاهب وأعضاء المجالس بإرادة سنية

وأن يختار شيخ الجامع الازهر ومشايخ المذاهب من هيئة كبار العلماء وأن يختار الباقون ماعدا أعضاء المجلس الاعلى ممن أمضوا سنين معدودة في التدريس وكانوا من أرباب كساوي التشریف (راجع المواد ٢١ الى ٢٣)

(٤) أما العلوم التي تدرس بالجامعة فهي العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية يضاف اليها ما يلزم من العلوم والفنون الاخرى التي تلزم لمثل هذه الجامعة مما يكون فيه لطلابها عون على التضلع من علومهم الاصلية التي هي المقصد الاول من وجودها وقسم التعليم الى ثلاثة أقسام أولى وثانوي وعال وخصصت مواد كل قسم كما حددت مدة التعليم فيه

ووضعت البروغرامات بحيث ينتهي تعليم العلوم التي من النوع الاخير في نهاية القسم الثانوي حتى بذلك يتفرغ الطلبة الى العلوم الاساسية في الجامعة (راجع المواد ٢٤ الى ٣١)

(٥) تكفلت (المواد ٣٢ الى ٣٦) ببيان مبدأ الدراسة السنوية ونهايتها وأيام العطلة في المواسم المخصوصة لكل معهد بحسب أحوال المدينة التي هو موجود فيها
(٦) وضعت في الباب الثالث قواعد الامتحان والشهادات وتقرر أن الامتحانات تكون نصف سنوية و سنوية والامتحان الاولي والامتحان الثانوي والامتحان العالي وفصلت طريقة اجرائه وحددت الدرجات التي يعتبر الطالب التي يحوزها ناجحا في الامتحان (راجع المواد ٣٨ إلى ٥٣)

واعتبرت الشهادات ثلاثا شهادة للقسم الاولي وشهادة للقسم الثانوي وشهادة للقسم العالي وحددت الامتيازات التي تكون لحامل كل واحدة منها بحسب العلوم التي يكون قد تلقاها

وأهم ما في هذا القسم هو إلقاء درجات العالمية الثلاث واعتبار الحاملين لشهادة العالمية الجديدة متساوين في الامتيازات المترتبة عليها مع ترتيبهم بحسب متوسط درجات الامتحان « راجع المواد ٥٤ الى ٥٥ »

(٧) وفي الباب الرابع بيان شروط الانتساب في الجامعة الازهرية بالنسبة للمصريين والغرباء والشروط التي يمكن قبول الطلبة بها في غير السنة الاولى وذكرت واجبات الطلبة والمدرسين على وجه الاجمال مما تتكفل اللائحة الداخلية بتفصيله (راجع المواد ٦١ الى ٧٥)

(٨) واشتمل الباب الخامس على بيان الاجازات الاعتيادية والاستثنائية والمرضية التي يجوز الترخيص بها للطلبة والمدرسين وبقية الموظفين (المواد ٧٦ الى ٨٦)
(٩) وذكر في الباب السادس الاحكام المختصة بتأديب الطلبة والمدرسين والموظفين وخولت السلطة فيها المجالس الادارة بصفة ابتدائية بالنسبة لغير الطلبة والمجالس الاعلى بصفة مجلس استئناف

وحددت العقوبات وكلها مما هو معروف عند الازهرين وفي بقية المصالح واختصت هيئة كبار العلماء بالنظر في أمر من يأتي من العلماء بما لا يناسب وصف العالمية وأجيز الحكم عليه من ثلثي الهيئة بابطال شهادة عالميته راجع (المواد ٨٧ الى ١١١)

(١٠) ونص في الباب السابع على ايجاد هيئة من كبار العلماء يكونون من الاختصاصيين في الفنون الازهرية بشروط وقيد مخصوصة (المواد ١٠٣ الى ١١٥)
(١١) وفي الباب الثامن بيان الاحكام المختصة بميزانية الجامعة الازهرية واستقلالها وفيه ابطال توزيع النقود المعبر عنها بيدل الكساوي وكذلك مشن الغلال القابل للانحلال ومرتبات أولاد العلماء على النحو الذي كان معروفا من قبل وتقرر ايجاد لأنحة خاصة بالتقاعد وما يعود من ذلك على أولاد العلماء المشار اليهم (المواد ١١٦ الى ١٢٠)

وشكلت لجنة للبحث على تأليف الكتب النافعة لاهل الجامعة وجعلت لمؤلفيها مكافآت مخصوصة وكذلك جعلت مراقبة الاوقاف التي للجامعة الازهرية نصيب فيها حالا أو مآلا لشيخ الجامع الازهر ومجالس الادارة ومجلس الازهر الاعلى مع المحافظة على ما لديوان الاوقاف من الحقوق والاختصاصات في ذلك وشكلت لجنة لحصر الاوقاف المذكورة والنظر في توحيد المرتبات المأخوذة من ريعها وللنظر في ابدال الجرايات بنقود (المواد ١٢١ الى ١٣٣)
وينت الأحكام المختصة بمنح كساوي التشريف العلمية والمظهرية (المواد ١٣٤ الى ١٣٧)

(١٢) واشتمل الباب التاسع على الاحكام العمومية وهي ترجع الى بيان من هو العالم والى وجوب مراعاة شروط الواقفين والى ما يجب على مجلس الازهر الأعلى أن يضعه من اللوائح المختصة بالمكاتب التحضيرية واللائحة الداخلية للجامعة الازهرية ونظام الاروقة والحارات وترتيب درجات المدرسين والموظفين والتقرير السنوي العام (المواد ١٣٨ الى ١٤٦)

(١٣) أما الباب العاشر فيشتمل على الاحكام الوقتية وهي نوعان عامة وخاصة فالاولى تختص بأرباب المرتبات الحاليين وبما للازهر من المرتبات التي كانت خرجت من الازهر بأحكام سابقة وبأولاد العلماء من ذوي المرتبات وبابطال التمييز بين المال الذي يأتي للجامعة الازهرية من ديوان الاوقاف العمومية وبين المال الذي يأتيها من قبل الحكومة وبالعلماء الغير المخصيين بالجامعة الازهرية

وأما الاحكام الوقتية الخاصة فانها تتعلق بكيفية سريان هذا النظام وانه خاص بالمتنسين للجامعة الازهرية ما عدا طلبة الجامع الازهر الذين انتسبوا فيه قبل وجوب العمل بذلك النظام

أما هؤلاء فوضعت لهم أحكام مخصوصة تلائم أحوالهم وتناسب التعليم الذي كان متبعاً في الجامع الازهر قبل ذلك

المنها

إنما لم نكن نظن ان ينال الازهر هذه المنح الجليلة ، في هذه المدة القصيرة ، ومن السنن الالهية المطردة في الاجتماع وال عمران ان الاصلاح والترقي لا ينجح ويثبت الا اذا تدرج أهله فيه تدرجاً ، وقد قلنا في مقدمة العدد الاول من سنة المنار الاولى فيما ينه من مذهبه وخطئه ، وترشد (اي الصحيفة) العاملين الى ان محاولة الطغور غرور ، وان طلب الغاية في البداية عجز وحرمان ، وان مراعاة السنن الالهية ، ومسايرة النواميس الطبيعية ، كافية بفضل الله تعالى لبلوغ كل مقصد ونيل كل مرام ، فعملاً بهذه القاعدة ننصح لآخواننا الازهرين أن يتقوا هذا النظام باقبال والشكر ، والعناية بتنفيذه فإني أخشى وأنا لأراه منتهى الكمال أن نعجز عن تنفيذه وان يكون ماروعي فيه من سنة التدرج تدرجاً سريعاً

ان المنار عني بالحث على إصلاح التعليم وتوسيع دائرته في الازهر منذ أنشئ (منذ ١٣ سنة) وكنا ننكر تلك الحالة فيفضب منا الكثيرون اذ يسمون الشكوى من تعليم الازهر إهانة لعلمائه ثم اتفق سوادهم الاعظم على الشكوى مثلنا فاتفقنا والله الحمد وعسى أن يكون مما تتفق فيه قبول هذا النظام والعناية بتنفيذه فقد أعطاهم من السلطة الدينية الرسمية ما لم يكن لهم ووسع عليهم الرزق الذي يعينهم على ان يفرغوا لالم وأباح لهم تقطيع النظام والتصرف فيه عند الحاجة الى ذلك وما أظن انهم يفلون فيطلبون الطفرة ويدعون ان ما نراه كثيراً قليل

وقد كان مما طلبه الازهريون إلغاء مدرسة القضاء الشرعي وكان هذا أشد ما أنكرته عليهم فهذه المدرسة ستكون أم الاصلاح للجامعة الازهرية بتخرجها

المعلمين القادرين على تدريس العلوم والفنون التي يسمونها الجديدة وقد جعلها النظام الجديد تابعة للآزهر دون نظارة المعارف فكان الأزهر دبح بها ما تنفقه الحكومة عليها وهو يزيد على عشرين ألف جنيه ، وسيعلى الأزهر ثلاثين ألف جنيه لاجل تنفيذ النظام الجديد ، فهل يعذر من لا يشكر الله على هذا النظام ثم الأمير وحكومته ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » رواه أحمد وأبو داود وابن حبان من حديث أبي هريرة وأحمد والترمذي والضياء بلفظ « من لم يشكر الناس لا يشكر الله » وبهذا اللفظ أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وعلم عليه بالصحة

باب المراسلة والمناظرة

﴿ جمعية المبشرين في روسية ﴾

أنشأت مجلة الشورى التي تصدر في أرينبوغ من روسية في عددها السابع عشر الصادر في سنة ١٩١٠ مقالة عنوانها « نحن والمبشرون » بقلم هادي أفندي أطلاسف الذي كان عضوا في مجلس « الدوما » الأول فاستحسننا نقلها لقراء مجلة المنار الاغر ، وتصرفنا فيها تصرفا قليلا

بعد ما بين حضرته في مقالته معنى التبشير لآبناء جنسه قال ما يأتي بعد .
إننا نعرف من الجمعيات جمعية تدعى « جمعية مبشري الكاثوليك » المقصد الاساسي لها هو التبشير بالنصرانية والاجتهاد في تنصير المجوس والوثنيين وغيرهم من أصحاب الاديان . وهذه الجمعية المذكورة تجتهد في ذلك الصدد وتجده فيه منذ أمد غير قريب ، فهي قصدت بمطالبا هذا ممالك الهند والصين من القرن الخامس عشر بل الثالث عشر ، وأخذت تنصر من أهالي تبتك المملكتين بقدر ما تستطيع فتيسر لها أن تنصر من المجوس ما بلغ عددهم الآلاف بل الملايين . وكما بينا عدد هؤلاء الذين تنصروا باجتهاد تلك الجمعية يلزم علينا أيضا أن نبين ماصرته في هذا الصدد

أي في تنصيرهم . ولا نكون مخطئين اذا قلنا : إن هذه الجمعية لم تحظ بذلك الحظ الموفور ، إلا باتعاب نفسها القوية وصرف جهدها وبصرف المبالغ الكبيرة التي تعد بالملايين من الاصفر الرنان في سبيل ذلك .

وهؤلاء الضيوف الذين جاءونا من غير دعوة (أي المبشرون) ، ما اقتصر تدعوتهم الى النصرانية على البلاد التي أهلها من المجوس ، بل تصرف جهدها الجهد الآن باتخاذ الوسائل لنشر دعوتها في الملك الاسلامية مثل سورية ومصر وتركيا وإيران . كان عيسى عليه السلام رؤوفا رحيا بجميع الناس ووعظ أمته بقوله هذا : ولا تقتلوا نفسا وأحبوا أعداءكم ، ولكن كيف كانت سيرة هؤلاء الذين يدعون أنهم ناشرو دينه عليه السلام ؟ هل سلكوا مسلكه تماما ؟ أم خالفوه مخالفة لا يرضى عنها عليه السلام لو كان حيا ؟ الحق ان هؤلاء الذين يدعون أنهم ناشرو دين عيسى عليه السلام قد سلكوا مسلكا يخالف تعليمه وهديه أشد المخالفة . منذ أمد بعيد أسست في روسية جمعيات كثيرة لأجل التبشير بالنصرانية وتنصير من لم يتنصر في هذه البلاد الى الآن . وكثرت في الاماكن التي يكثر فيها المسلمون . بل يصح لنا أن نقول في بلاد المسلمين كقران وقوقاز وقرغيز وغيرها .

أسسوا تلك الجمعيات بين المسلمين . ولكن كيف كان حظهم منهم ؟ هل نالوا الحظ الموفور مثل ما نالوا من المجوس ؟ لا لا انهم ما نالوا ذلك قط . بل كان حظهم منهم الاقل في الاقل . مثلا في سنة ١٨٩٣ صرفت جمعية اكتاي ، جهدها المستطاع في هذا الصدد فنصرت ثلاث مئة واثنين وخمسين نسمة ولكن لم يتيسر لها أن تنصر في هذا العدد الكبير غير ثمانية أشخاص فقط من المسلمين . وفي سنة ١٩٠٦ لم يقع أحد في شركهم وأما في سنة ١٩٠٧ فنصروا مئة وأربعا وستين نسمة منهم ثلاث من المسلمين لا غير . قلنا كثرت تلك الجمعيات في الاماكن التي يكثر فيها المسلمون ، فذكر الآن من عمل تلك الجمعيات « جمعية مبشري القرغيز » ، وهم تنصير من القرغيز بهمة تلك الجمعية ؟ انه يتيسر لها في سنة ١٩٠٦ أن تنصر ١٩ منهم . ولكنها لم يتيسر لها تنصير أحد في سنة ١٩٠٧ من أبناء القرغيز غير اثنين من أرذال الناس « كان أحد هذين الاثنين مسلما قبل تنصيره »

ولو جعلنا نفقات تلك الجمعية من الدنانير في هذه المدة من أجل ذلك أمام أعيننا لوجدناها تبلغ أربعة عشر ألفا من الروابل « كل روبل عشرة قروش مصرية » ووجدنا أيضا هذين الشخصين من رغام القرغيز وأرذالها قد بلغت قيمة كل واحد منهما على الجمعية « سبعة آلاف روبل » ولوجدنا ربح هذه الجمعية أنقص من ربح تلك التي تصدت لتبشير الجيوس بكثير

أسست في غضون هذه الأسابيع فقط في « ايركونسكي » جمعية تدعى أيضا جمعية المبشرين فأسرعت جريدة « الرييج » « جريدة روسية تصدر في بطرسبورج » باللوم عليها في مقالاتها التي نشرتها في عددها الموالي ميتين ، قالت فيها : إن مبشريننا لا يعرفون ما يجب عليهم لانهم كسالى من جهة وجهلاء من أخرى ، ولا يقدرّون أن يؤدّوا وظيفتهم التي أخذوها على عاتقهم حق التأدية ، ولكني لا أوافق فكرة جريدة « الرييج » بل أريد أن أخالفها أريد أن أمدح هؤلاء المبشرين ولا أعيبهم . ولكن مدحي لهم يكون كأضحوكة كما أنهم كذلك ، ولاني وإن لم استحسن أن أمدحهم من حيث أنهم يحاولون دائما أن ينصروا المسلمين ويجهتدون في ذلك بالتشجيع ساعد جدم لا أرى بأسا بمدحهم من جهة أخرى ، فاني أفهم من محاولتهم هذه أنهم بذلك يظهرون أمة التتر التي طال مكثها في سباتها العميق وانفاسها في بحر الغفلة سنين طويلة . وكأنني بهم أي بالمبشرين يعينون بعملهم هذا أمة التتر اعانة تذكر ، ويوقفونها إيقافا لا يطرأ عليها النوم بعده أبدا ، والذي لا شك فيه عندي : ان الذين بثوا روح الملية وحسها وغيره الدين في روسية الوسطى أي « في أطراف قزان وسمبر وساراتوف وأرينبورغ الى آخره » ليسوا الا أولئك المبشرين

والحمة الدينية وغيرها التي يستفيدوا الذي يقرأ ويطالع مؤلفات المبشرين مطالعة جيدة مما لا يمكن تحصيلها من مؤلفات « الايشان » وهم « رؤساء طرق الصوفية » هذا معلوم لكل انسان . والذي لأشك في نفعه في بث روح الملية وحسها وغيره الدين للامة هو المكاتب المشهورة « لايمنسكي » الذي كان من أكبر المبشرين في زمانه وأعلمهم وأكثرم دهاء « ولوييدونفس » وهذا ايضا كان كذلك حتى اني أعد تلك المكاتب أنفع وأفيد من مكاتب الامام الرباني كرات عديدة

الآن تصدر في مدينة مسكوف مجلة تدعى مجلة « فيرنوست » من قبل المبشر « واسترغوف » المشهور في مجلس « السناتو » ويكتب في هذه المجلة أشياء كثيرة في شأن المسلمين ، وعلى الخصوص المقالات التي تكتب بقلم « واسترغوف » نفسه وقلم كاتب آخر يدعى « مبدفيسكي » تكون عائدة للملل غير ملّة الروس ، وفي هذه المجلة مجلة « فيرنوست » من تنبيه الافكار و احياء الشعور الاسلامي لمن يعني بقراءتها ومطالعتها مطالعة جيدة وليس في قراءة مجلة « دين ومعيشة » التي من شأنها أن تكون دائماً عتبة كأداء أمام العلوم والمعارف ولا أثر لها في المحافظة على الدين ولا المعيشة وإن ادعت ذلك بل لا يمكن لأحد تحصيل تلك التيقظات والتنبيهات من مجلة دينية محضة أيضاً . ولو كان الامر لي في قراءة المجلات المنبهة للانسان من سبائه العميق كما أريد لأمرت كل مشايخ التتر بقراءة مجلة « فيرنوست » لكي يعتبروا بما فيها ويكونوا بعد ذلك اثبت قدما في الدين الاسلامي المبين

نرى في بادئ النظر أن المبشرين أشد الناس ضرراً للمسلمين ، وإذا أمعنا النظر لانجدهم كذلك بل نجدهم عكس ما نعتقد فيهم ، نجدهم مما لا بد منهم في تزييد محبة ابناء التتر للتتر وتثبيت جرثومة الاتفاق والاتحاد فيما بينهم . نعم إنهم ينصرون منا عدة اشخاص ، فلينصروا ؟ وهم لا يضررنا بذلك شيئاً بل العكس يفيدوننا لان الذين يعتقدون النصرانية بسيدهم لا يكونون الا من الذين لا يعرفون من الدين والشرعة شيئاً بل يكونون من الفسقة والجهلة وشياطين الناس لان المسلمين حقيقة ماذا يحصل علينا إن طهروا ملتنا النجاسة التتيرية وشذبوها من مثل هؤلاء الرغام الاراذل ؟ : ولاني لأرى من تنصر مثل هؤلاء أقل ضرر للاسلام بل أرى إنه ليست فيهم اهمية للاسلام . إن الضرر الذي يطرأ على الاسلام من اجتثاث تلك الاعضاء الفاسدة فيه وتشذيبه وتنقيته منها ليس شيئاً يذكر بالنسبة الى ما يحصل في الاسلام من المانة وفي المسلمين من القوة والغيرة على الدين . وهذه الفائدة التي نحصل من ذلك مما لا تقاس بشيء ومن أجل ذلك نحن نعد أنفسنا مجبورين على مدح هؤلاء المبشرين ونقول فيهم أنهم منبوذ التتر من سبائهم العميق ، بثناء لطيف جداً يعادل بثناء المؤذن « حي على الفلاح »

احد قراء المآرج

الخلافة الاسلامية

(والجامعة العثمانية) *

٢

تنبأ المستر غلادستون مرة على ما يقال فقال « ان الاسلام لا يطول عمره اكثر من ٢٠٠ سنة ثم يتلاشى » فقال خليل بك خالد ردا عليه في كتاب « الهلال والصليب » : « ان ذلك المتنبئ يريد بنبوءته أحد أمرين — اما ان تقضي الدول المسيحية بالقوة القاهرة كل مسلم على وجه الارض كما تفعل روسيا أو ينصر جميع المسلمين بعد مائتي سنة . ولكننا نقول ولا نخشى لومة لائم انه اذا تلاشى الاسلام في ذلك الزمن فلن تكون النصرانية اطول منه عمرا »

وبالرغم من هذه التخربات لا يزال الاسلام على مكانته وسعة انتشاره وتمسك اهله به مع ما يبد النصارى من قوة المال والرجال التي ليس للاسلام شيء منها ولكي يقف القارئ على ما عند المبشرين المسيحيين من معدات التبشير بدينهم نقل له هنا شيئا عن دعاة النصرانية من الانسكلوبيديا البريطانية « ان عدد جمعيات التبشير ٧٨ جمعية وعدد عمالها ٥٤٤٠ مرسلا ومجموع دخلها السنوي ٣٩٩ و ١٧٧٩ جنيها »

يدعون مع هذا ان الاسلام دين اعتداء مذموم وتعصب وهجوم تهيدا لاعمالهم وامالة للرأي العام في العالم المدني . وهل يجحد أولئك القوم ما جاء في القرآن : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بقت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله

(*) تأهب لما نشر في الجزء التاسع (ص ٧١٣) بقلم علي افندي فهمي محمد

يجب المقسطين « فمن ذلك يرى النصف ان محكمة التحكيم الدولي أو مؤتمر الهامي الذي بذلت أوربا مجهوداتها في تكبير شأنه وتأثيره دون ان تفلح بعد الذي بلغته من الرقي المدني لم يأت بما قد جاء به الاسلام منذ ثلاثة عشر قرناً. وفي حديث شريف: « احب الناس الى الله اكثرهم تحبياً الى الناس » والتحب الى الناس أول وسائل السلم والمصافاة. وفي حديث شريف: « لا يضيق سم الخياط عن متحابين ولا تنسع الدنيا بمبتاغضين » وفي حديث آخر « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا »

(ثم أورد الكتاب آيات من القرآن على تسامح الاسلام واعتباره لأديان الانبياء السابقين وعدها مع الاسلام ديناً واحداً وذكر حرية الاسلام وعده ثم قال) اذا وجدت حرية دينية أو سياسية أو اجتماعية أو مساواة أو اخاء فكل ذلك مقتبس بل مقتضب من القرآن والاسلام قال بوسرت سميث المؤلف الانجليزي الشهير في كتابه (محمد والاسلام) : « ان مسيحياً في العصور الماضية اعتنق الاسلام وجعل يقذف المسيح عليه السلام ظناً منه ان ذلك يسر المسلمين فساقه الذين كانوا معه منهم الى القاضي فحكم عليه بالقتل » . وقد حصل مثل ذلك في تركيا منذ ٤٠٠ سنة كما هو مدون في سجلات محاكمها فان يهودياً أهان مسيحياً بمسه كرامة السيدة مريم العذراء فساقه الذين سمعوه من المسلمين الى القاضي فحكم عليه بالقتل كما ورد في كتاب (فتاوى علي أفندي) ومع ذلك لا يدخر ساسة أوربا وسعاً ورجال الدين أيضاً في رمي الاسلام بالتعصب والاعتداء . جاء في انسكلوبيديا شمبرس : لاشيء اغرب من ذم قسوس من النصارى وتطاولهم على الدين الاسلامي واتهامهم اياه بالقسوة : من هم الذين طردوا المغاربة من اسبانيا لانهم لم يقبلوا دين النصرانية؟ ومن هم الذين فتكوا بالملايين في بلاد المكسيك وبيرو لعدم اعتناقهم المسيحية؟ وما الذي فعله المسلمون في اليونان من هذا القبيل؟ لقد عاش المسيحيون قروناً عديدة بجانب المسلمين غير مضغوط عليهم ولم يجبروا في يوم من الايام على ترك عقيدتهم أو التخلي عن قسوسهم أو كنائسهم

ولكننا لانكر ان بعض المسلمين اتوا افعالاً شائنة ولا يعزى عنهم هذا الى

عقيدتهم الدينية بل لاخلاقهم الشخصية والاوجب علينا ان نبحث هل الدين يأمرهم بتلك الاعمال أم ينهاهم عنها فيتضح لنا جليا ان الاسلام يذم كل معتداتهم غير اننا اذا قارنا ما ارتكبه امثال هؤلاء (الافراد) بما كانت تأتبه (حكومات) أوربا المسيحية البروتستانتية وغيرها ضد مذاهبها المختلفة لمان علينا كل شيء وهاهي انجلترا البروتستانتية كانت منذ ٣٠٠ عام فقط تذيب الكاثوليك انواع العذاب والذل لتحملهم على ترك مذهبهم القديم واعتناق المذهب الجديد

ولكي يقف القارىء على مقدار توحش أوربا في تعصبها الديني — ذلك التعصب الذي كان يصدر رسميا من الحكومات لامن الافراد — ننقل هنا ما كتبه الاسقف (جودمان) عن معاملة البرتستان وهم الغالبية للكاثوليك وهم الاقلية في انجلترا

دانهم (أي الكاثوليك) غنوا أنفسهم اتس حظا مما كانوا في زمن اليصابات لانهم كانوا يؤملون خيرا بعد وفاتها كما ان الذين اضطهدوهم لم يفرطوا في ظلمهم خوفا من ان تدور عليهم الدوائر وكانوا يتحملون أشد عقوبات القانون بكل نفس ذائقة الموت فلم تحفظ أرواحهم قوانين البلاد وكان احضار قسيس كاثوليكي إلى انجلترا خيانة كبرى عقابها الاعدام فقد شق رجل ذو وجهة لاستقباله قسيسا واعدم غيره لجاهرته بالانتماء لكنيسة رومية وكانت العقوبات تنفذ على الفور والبروتستان يسلبون ما يباع ويشترى في السوق من أيدي الكاثوليك وقد أكد لي أحدهم ان الثلث الذي بقي له من املاكه لم يقيم بحاجة الابشق النفس حتى عجز عن دفع المظالم عن نفسه بالرشوة . وكان أولاد الكاثوليك يؤخذون صفارا ليشبوا على المذهب الآخر وكانوا لا يعاملون بالقانون الاسامي ولا يوظفون ولا يربون أولادهم ولا يزوجون بناتهم اللاتي لم يكن لهن أديرة راهبات يلجأن إليها . اما من كانوا خارج انجلترا فلم يصرح لهم بالعودة الا بعد دفع مبلغ يعجزون عن ادائه لفقرهم المدقع ولم تقف المحاكم عند هذا الحد بل كانت تسجن كل من وصل اليها ولم تصرح لاحد بالدفاع عن نفسه . كانت حالة الكاثوليك في بدء حكم جيمس الاول وكان قد سن قانونا في عهد اليصابات خلاصته تغريم من لم يكن من المذهب الجديد

٢٠ جنبها كل شهر قمري وذلك هو الذي حزب الكاثوليك على خلعهما واجلاس غيرها على العرش . وفي زمن الملك الذي خلفها اعيد ذلك القانون وانت ترى ان هذا القانون يشتمل على جملة عقوبات أخرى منها ان من حرض أو سعى في تحريض أحد من أهل المذهب الجديد على تركه عد جانيا وعوقب على ذلك بغرامة قدرها ١٠٠ مارك وسجن سنة كاملة . ومنها ان من قابل قسيسا متسنرا تحت اسم معلم عوقب القسيس بالسجن سنة والآخر بغرامة عشرة جنيهات في الشهر »

وقال اينسورث مؤلف « جاي فوكيس » عن الثورة الانجليزية الدينية : « كان اذا صاح أحد الناس بأحد المارة (كاثوليكي) فلا يكاد يلفظ الكلمة حتى يكون هذا التعس تمزق اربا اربا وكانت الحكومة تقبض على كل من تشبه في أمره وتذيقه أنواع العذاب يستوي في ذلك الرجال والنساء ليدلوها على أسماء الكاثوليك ولو زورا فكانت درجات التعذيب أولا سحق اصابع اليدين بوضعها بين خالب حديدية . وثانيا تعليق الشخص من رجله في السقف وبتراصابعها . وثالثا شد وثاقه وربطه في بلاطة تشوي ظهره حيا كالسمكة . ورابعا وضعه في حفرة أرضية مملوءة ماء فتخرج اليه الجرذ وتنش له حتى لا تبقي الا العظام . ومن العجيب انهم كانوا يطيبون المسكين بمد كل نوبة حتى يشفى ثم يجي دور العذاب التالي وهكذا »

ومهما تقول المتقولون وادعى المدعون فان الاسلام على سمو مكاته يسابق الاديان الاخرى عند ذوبها وهي المزية التي خلت منها جميع المذاهب المسيحية ويخشون منها نجاح دعوته ولذلك يجيزون كل واسطة توصلهم الى عرقلة مساعيه والفوز عليه عملا بأمر دينهم « ان يذهبوا ويبشروا جميع الامم » ولما كان هذا الامر إلزاميا تراهم متى فشلوا بالطرق السلمية عمدوا الى نشر عقيدتهم اعتمادا على قوات الدول المسيحية ومدافعها التي تعلي شأن مدينتها المسيحية بهذه الوسائل المقوثة ولكن الاسلام بالرغم مما يحيط به من الظروف السيئة لا يزال أهله يعتقدون حقيقته اعتقادا راسخا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وله تأثير في نفوس أهله وغيرهم على السواء . ومما يدحض فرية كل هماز مشاء بنميم ما كتبه (دينالي) في وصف

عبادة المسلمين في كتابه « الاسلام والعلم » قال : « ما دخلت مسجدا الا واعتراني تأثير شديد بل كنت آسف اني لم أخلق مسلما » وما كتبه (كوست) الذي قام بخدمات جليلة لانصرانية في الشرق الاقصى في كتابه (تنصير غير النصارى) قال : « لا يدخل الانسان الى مسجد اسلامي الا وتدهشه مظاهر الاخلاص والولاء والوقار والتشعب والجلال البادية على وجوه المصلين »

ذلك مجمل القول على الدين الاسلامي الحنيف فمن يلومنا بعد ذلك اذا صحنا بملء افواهنا « ان الدين عند الله الاسلام » ؟

ولا يحسبن اخواننا غير المسلمين اننا نحترق الاديان الاخرى كلا بل نحن على وسوختنا في ديننا نعرف لاهل كل دين حقهم ولكننا نقول لمن يريد منا نبذ ديننا : « وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » . ويعجبني قول بعض كتاب الافرنج : « ان الاسلام مسيحية هرطوقية أو ان المسيحية اسلام هرطوقي » على ان دين الله واحد في كل زمان ومكان ولكنها الاهواء والسلطة فرق بين الناس . هذا مجمل القول من الوجهتين الدينية والاجتماعية ولنبحث الآن عما نرمي اليه من الوجهة السياسية .

ان أول من استعمل لفظ الجامعة الاسلامية (بانسلامزم) بمعناه المقصود الآن أعني ازالة سوء التفاهم واستبدال الامور السياسية والاجتماعية ونحوها به وان يكون المسلمون بعضهم لبعض ظهيرا في الحق لا في التعصب المقوت - أول من استعمل هذا الاسم هو عبد الله كويلم عند ما أسس جمعية الاسلام في لندن (*) وهي التي يطلق عليها الآن اسم جمعية الجامعة الاسلامية . ففي سنة ١٩٠٣ ظهرت هذه الجمعية الى عالم الوجود فقابلها انصار الاسلام وأعداؤه هاشين باشين . وانا

(*) المنار ، الصواب ان أول من نبه المسلمين في هذا العصر الى ما بينهم من التقاطع والتناكر ، ونبههم الى ما يجب عليهم من التعارف والتعاون ، هو السيد جمال الدين الافغانى وقد بدأ عمله بمصر على عهد اسماعيل باشا سرا وأظهره في أوروبا

لموردون هنا المبادئ التي ترمي اليها هذه الجمعية ليرى اخواننا المسلمون وغيرهم انه ليس القصد من هذه الحركة الايقاع أو التكنيل بالغير وانما هو تحسين أحوال المسلمين الاجتماعية والادبية وتبعمها السياسية وذلك تقلا عن كتاب أصدره بالانجليزية المشير حسين قدواي سكرتير شرف جمعية الجامعة الاسلامية »

« سلام قولاً من رب رحيم »

- ١ — ترقية العالم الاسلامي في شؤونه الدينية والاجتماعية والادبية والعقلية .
 - ٢ — إيجاد حسن تفاهم بين جميع مسلمي العالم في المسائل الاجتماعية .
 - ٣ — تنمية شعور الاخاء بين المسلمين (وغيرهم) وتبادل مصالحهم
 - ٤ — ازالة سوء التفاهم الحاصل الآن بين المسلمين وغير المسلمين .
 - ٥ — مساعدة المسلمين بقدر المستطاع في سائر أنحاء العالم .
 - ٦ — إيجاد معاهد علمية اسلامية في غير الاقطار الاسلامية
 - ٧ — إيجاد فروع لجمعية الجامعة الاسلامية في أنحاء العالم وانشاء مناظرات ومحاضرات وطبع ونشر الصحف التي يمكن أن تفيد الاسلام .
 - ٨ — جمع الاكتابات من جميع أنحاء العالم الاسلامي لتشييد جامع في لندن ونحن نرى ان من مصالح العالم الاسلامي ان يزداد على هذه المبادئ ما يأتي : (*)
 - ٩ — تمضيد الخلافة في آل عثمان
 - ١٠ — العمل لهذه الغاية حتى يعترف بذلك ويخضع له جميع امراء الاسلام وسلاطينه
 - ١١ — ان تساعد الخلافة العظمى مقابل ذلك الامم الاسلامية وتتوسط لدى الدول الاوربية المسيطرة على بعض ممالك الاسلام في دفع ظلاماتها
 - ١٢ — ان تلفت الجمعية أو الجمعيات حكومات العالم الاسلامي الى تصرفاتها التي تتنافى أصول الدين الحنيف اذا كانت تؤثر في مجموع الامة وتسيء سمعة الاسلام .
- فأي انسان في قلبه ذرة من الانسانية وفي عقله ذرة من المدنية لا يعطف على مثل هذه المبادئ إن لم يشجعها بكل قواه ؟ ليس في هذه المبادئ كما هي ظاهرة

(*) المئذ : ان ما زاده الكاتب تعارض فيه جميع الدول القوية ومن يقف في وجهها اذا قاومت فالاولى ان لا يكون في العمل سياسة ان كان هنالك عمل

جلية ضرر ألبته بغير المسلمين وإنما تخاف الدول الأوروبية الكبرى المسيطرة على الشرق وأكثراً أهله من المسلمين أن يهبوا من رقادهم متأزدين متكاتفين فيكون لهم بذلك قوة تقف في وجوه الطامعين المسيطرين لذلك يزعمها كل عمل يقومون به أو يحاولون إتمامه ونحن فوجس خيفة من كل حركة تبدو من جانب هذه الدول وهكذا نبقي من خوف الضرر في الضرر. لقد قام الكثيرون من الأفرنج بحاربون جمع كلمة المسلمين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً حتى قام مثل أرتان يقول في ملأ من الأفرنج: «اعلموا أيها السادة أن هذه النهضة إذا تمت بالرغم منا فستقلب علينا وتم على مآلنا رضاه وما لا يتفق مع مصالحنا» فهم بذلك «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره»

قال الأستاذ المرحوم عبد الله براون المستشرق الشهير في كتابه (بونابرت في مصر): «أنه حيث يوجد الإسلام توجد نهضته للجامعة الإسلامية وهي صغيرة بوجه عام ولكنها كبيرة بزعمائها المفكرين. وهذه الحركة تسير بزعماء أولئك الأبطال بقصد الدفاع لا بقصد الهجوم فهي والحالة هذه حركة عقلية سلمية لا حربية ولا عدائية يحاربها الإنجليز لأنهم يخشون أن تتحقق في يوم من الأيام فتكون القاضية على سلطانهم في الشرق. أن هذه الجامعة الإسلامية تكون أشبه بالمحالفات المنعقدة الخناصر بين الدول المسيحية التي هي كما قال السلطان عبد الحميد «تحاربنا حروباً صليبية بشكل سيامي». وليس عجيبي من محاربة أوروبا للجامعة أو الخلافة الإسلامية إذ من الواجب عليها أن تنظر لمصلحتها السياسية والاقتصادية وإنما عجيبي أنها تستعين ببعضنا على محاربة البعض الآخر عملاً بقاعدة (فرق تسد) فيفسد ذلك البعض الخارج على قومه «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» (لها بقية)

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ كتاب الاربعين في أصول الدين ﴾

هذا الكتاب قسم من كتاب جواهر القرآن لحجة الاسلام الغزالي وقد اجاز أن يكتب مستقلا كما قال في كشف الظنون فكتب وطبعه في هذه الايام الشيخ محيي الدين صبري الكردي في قطع كقطع كتاب الاسلام والنصرانية فكانت صفحاته زهاء ٣٦٠ ويبيع النسخة منه بخمسة قروش

وانما سماه الاربعين لانه جملة أربعين أصلا عشرة في العقائد و١٠ في الاعمال الظاهرة وهي العبادات وكسب الحلال وآداب الصعبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع السنة و١٠ في تزكية النفس من الاخلاق المذمومة و١٠ في تحليتها بالاخلاق الحميدة . فهو ملخص من كتابه الاحياء وفيه من التحقيق لبعض المسائل مالا نظيره في الاحياء وهالك نموذج منه :

(تحقيق مسألة القضاء والقدر)

« وفيه وصف الساعة الدقاقة في زمنه »

(قال) والقضاء هو الوضع الكلي للاسباب الكلية الدائمة والقدر هو توجيه الاسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة الى مسبباتها المحدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص . ولذلك لا يخرج شيء عن قضائه وقدره .

ولا تفهم ذلك إلا بمثال ولعلك شاهدت صندوق الساعات التي بها تعرف اوقات الصلوات وان لم تشاهده فجملة ذلك انه لا بد فيه من آلة على شكل اسطوانة تحوي مقدارا من الماء معلوما وآلة أخرى مجوفة موضوعة فيها فوق الماء وخط مشدود أحد طرفيه في هذه الآلة المجوفة . وطرفه الآخر في أسفل ظرف صغير

موضوع فوق الآلة المجوفة وفيه كرة ونحت طاس بحيث لو سقطت الكرة وقعت في الطاس وسمع طنينها ثم تنقب أسفل الآلة الاسطوانية ثقباً بقدر معلوم ينزل الماء منه قليلاً قليلاً . فاذا انخفض الماء انخفضت الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء فامتد الخيط المشدود بها فحرك الطرف الذي فيه الكرة تحريكاً يقربه من الاتسكاس الى أن ينتكس فتتدحرج منه الكرة وتنع في الطاس وتطن وعند انقضاء كل ساعة نفع واحدة . وانما يتقدر الفصل بين الوقعتين بتقدير خروج الماء وانخفاضه . وذلك بتقدير سعة الثقب الذي يخرج منه الماء ويعرف ذلك بطريق الحساب . فيكون نزول الماء بمقدار مقدر معلوم بسبب تقدير سعة الثقبة بقدر معلوم . ويكون أعلى الماء بذلك المقدار به ويتقدر ، وانخفاض الآلة المجوفة وانجرار الخيط بها المشدود . وتولد الحركة في الظرف الذي فيه الكرة . وكل ذلك يتقدر بتقدير سببه لا يزيد ولا ينقص ويمكن أن يجعل وقوع الكرة في الطاس سبباً لحركة أخرى . وتكون الحركة الأخرى سبباً لحركة ثالثة . وهكذا الى درجات كثيرة حتى يتولد منها حركات عجيبة مقدرة بمقادير محدودة وسببها الأول نزول الماء بقدر معلوم .

فاذا تصورت هذه الصورة فاعلم ان واضعها يحتاج الى ثلاثة أمور أولها التديير وهو الحكم بأنه ما الذي ينبغي أن يكون من الآلات والاسباب والحركات حتى يؤدي الى حصول ما ينبغي أن يحصل وذلك هو الحكم والثاني إيجاد هذه الآلات التي هي الاصول وهي الآلة الاسطوانية لتحويل الماء والآلة المجوفة لتوضع على وجه الماء . والخيط المشدود بها والظرف الذي فيه الكرة والطاس الذي تقع فيه الكرة . وذلك هو انقضاء

الثالث نصب سبب يوجب حركة مقدرة محسوبة محدودة وهو ثقب أسفل الآلة ثقبه مقدرة السعة ليحدث نزول الماء منها حركة في الماء تؤدي الى حركة وجه الماء بنزوله ، ثم الى حركة الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء بنزوله ، ثم الى حركة الخيط ثم الى حركة الظرف الذي فيه الكرة ، ثم الى حركة الكرة ، ثم الى الصدمة بالطاس اذا وقع ، ثم الى الطنين الحاصل منها ، ثم الى تنبيه الحاضرين

واستماعهم ، ثم الى حركاتهم الى الاشتغال بالصلوات والاعمال عند معرفتهم باقضاء الساعة ، وكل ذلك بقدر معلوم ومقدار مقدر بسبب تقدر جميعها بقدر الحركة الأولى - وهي حركة الماء ،

فاذا فهمت ان هذه الآلات أصول لا بد منها للحركة ، وان الحركة لا بد من تقديرها ليقدر ما يتولد منها فكذلك فانهم حصول الحوادث المقدرة التي لا يتقدم منها شيء ، ولا يتأخر إذا جاء أجلها أي حضر سببها . وكل ذلك بمقدار المعلوم ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا .

فالسماوات والافلاك والكواكب والارض والبحر والهواء وهذه الاجسام العظام في العالم كتلك الآلات ، والسبب المحرك للافلاك والكواكب والشمس والقمر بحساب معلوم كتلك الثقبية الموجبة لنزول الماء بقدر معلوم ، وافضاء حركة الشمس والقمر والكواكب الى حصول الحوادث في الارض كاقضاء حركة الماء الى حصول تلك الحركات المفضية الى سقوط الكرة المعروفة لا قضاء الساعة ، ومثال تداعي حركات السماء الى تغيير الارض هو ان الشمس بحركتها اذا بلغت الى المشرق فاستضاء العالم تيسر على العالم الابصار ، فيتيسر عليهم الانتشار في الاشغال ، فاذا بلغت المغرب تعذر عليهم ذلك فيرجعون الى المساكن ، واذا قربت من وسط السماء وسامت رؤوس أهل الاقاليم حيي الهواء واشتد القيظ وحصل نضج الفواكه ، واذا بعدت حصل الشتاء واشتد البرد ، واذا توسطت حصل الاعتدال فظهر الربيع وانبثت الارض وظهرت الخضرة . وقس بهذه المشهورات التي نعرفها الغرائب التي لا نعرفها

فاختلاف هذه الفصول كلها مقدرة بقدر معلوم لانها منوطة بحركات الشمس والقمر و (الشمس والقمر بحسبان) أي حركتهما بحساب معلوم - فهذا هو التقدير ، ووضع الاسباب الكلية هو القضاء والتدبير الاول الذي هو كالمح البصر هو الحكم ، وكما أن حركة الآلة والخيوط والكرة ليست خارجة عن مشيئة واضع الآلة . بل ذلك هو الذي أراد بوضع الآلة - فكذلك كل ما يحدث في العالم من الحوادث شرها وخبرها نفعها وضرها غير خارج عن مشيئة الله تعالى ، بل ذلك مراد الله

نعالى ولاجله دبر أسبابه ، وتفهم الامور الالهية بالامثلة العرفية عسير ، ولكن المقصود من الامثلة التنبيه ، فدع المثل وتنبه للغرض ، واحذر من التمثيل والتشبيه اه
(المنار) يرى القارئ ان هذا التحقيق لمسألة القدر هو عين ما ذهبنا اليه وحققناه في المنار غير مرة ولم نكن قد اطلعنا عليه لاحد ولكننا رأيناه صريحاً من آيات القرآن الكثيرة عند تتبعها وتدبرها ومنه يعلم ان الجمهور يفهمون القدر الآن بضد معناه ونحمد الله أن وفق أبا حامد وهداه اليه من قبل وآخر ما كتبناه في ذلك نشرناه في المجلد الثاني عشر (راجع ص ١٨٩ - ٢٠٠ منه)

وما كتبه في الساعة الدقاقة التي كانت مستعمله الى زمنه مما كان يتوق الناس الى معرفته بهذا التفصيل وقدرatab الشيخ احمد فارس في تسمية هذه الآلة «ساعة» ان يكون تسميته عربية قال في ص ٢١٨ من كتابه (كشف الخبا عن فنون أوربا) « قال مؤلف كتاب (المخترعات العجيبة) ذكر المؤرخون من الفرنسيين ان أول ساعة عرفت في بلادهم كانت الساعة التي أهداها الخليفة هارون الرشيد الى شارلمان ملك فرنسا وذلك في سنة ٨٠٧ م وكانت بدعا في ذلك العصر حتى انها أورثت رجال الديوان حيرة وذهولا ، والظاهر انها كانت من الآلات التي يديرها الماء المنحدر ، وكان لها اثني عشر بابا صغيرا تنقسم بها الساعات فكما مضت ساعة افتتح باب وخرج منه كرات من نحاس صغيرة تقم على جرس فيطن بعدد الساعات وتبقى الابواب مفتوحة وحينئذ تخرج صورة اثني عشر فارسا على خيل وتدور على صفحة الساعة . (قلت) بودي لو أعرف اسم الساعة في ذلك العصر فاني انكر هذه اللفظة ، وأهل الغرب يقولون « منكالة » وهي انكر اه

وقد عرفت من كلام الغزالي انهم استعملوا لفظ الساعة وفي الكتاب فوائد كثيرة ومعظمه من الاحياء له وفيه من القسائل في اراد ما لا يصح من الاحاديث مثل ما في الاحياء ، وكان يرى ان العمل بكل ما ورد من الاحاديث أولى من تركه

﴿ ميزان العمل ﴾

للشيخ ابي حامد الغزالي أيضا وهو مختصر في علم النفس والاخلاق على طريق

الفلاسفة والصوفية والمتكلمين جميعا وهو مختصر لطيف حسن الترتيب والتمثيل وفيه فوائد كثيرة وتحقيقات مفيدة وانفع ما فيه خاتمة وهي في اختلاف الناس في المذاهب وهذا نصها :

(بيان معنى المذهب واختلاف الناس فيه)

لعلك تقول كلامك في هذا الكتاب انقسم الى ما يطابق مذهب الصوفية والى ما يطابق مذهب الاشعرية وبعض المتكلمين ولا يفهم الكلام الا على مذهب واحد فما الحق من هذه المذاهب ؟ فان كان الكل حقا فكيف يتصور هذا ؟ وان كان بعضه حقا فما ذلك الحق ؟

فيقال لك اذا عرفت حقيقة المذهب لا تنفك قط اذ الناس فيه فريقان ، فريق يقول المذهب اسم مشترك ثلاث مراتب (احداها) ما يتعصب له في المباحة والمناظرات (والاخرى) ما يسهل به في التعليمات والارشادات (والثالثة) ما يعتقده الانسان في نفسه مما انكشف له من النظريات . ولكل كامل ثلاثة مذاهب بهذا الاعتبار فاما المذهب بالاعتبار الاول فهو غلط الآباء والاجداد ومذهب المعلم ومذهب أهل البلد الذي فيه النشوء . وذلك يختلف بالبلاد والاقطار ويختلف بالمعلمين . فمن ولد في بلد المعتزلة أو الاشعرية أو الشيعوية أو الحنفيه انفرس في نفسه منذ صباه التعصب له والذب دونه والذم لما سواه . فيقال هو اشعري المذهب أو معتزلي أو شيعوي أو حنفي . ومعناه انه يتعصب أي ينصر عصابة المتظاهرين بالموالاة ويجري ذلك مجرى تناصر القبيلة بعضهم لبعض .

ومبدأ هذا التعصب حرص جماعة على طلب الرياسة باستتباع العوام ولا تنبث دواعي العوام الا بجامع يحمل على التظاهر فجعلت المذاهب في تفصيل الاديان جامعا فاقسم الناس فرقا وتحركت غوائل الحسد والمنافسة فاشتد تعصبهم واستحكم به تناصرهم وفي بعض البلاد لما اتحد المذهب وعجز طلاب الرياسة عن الاستتباع وضعوا أمورا وخيلوا وجوب المخالفة فيها والتعصب لها كالملم الاسود والعلم الاحمر فقال قوم الحق هو الاسود وقال آخرون لا بل الاحمر وانتظم مقصود الرؤساء في استتباع العوام بذلك القدر من المخالفة وظن العوام ان ذلك معهم وعرف الرؤساء الواضعون غرضهم في الوضع

(المذهب الثاني) ما ينطبق في الارشاد والتعليم على من جاءه مستفيدا مسترشدا - وهذا لا يتعين على وجه واحد بل يختلف بحسب المسترشد فيناظر كل مسترشد بما يحتمله فهمه فان وقع له مسترشد تركي أو هندي أو رجل جلف بليد الطبع وعلم انه لو ذكر له أن الله تعالى ليس ذاته في مكان وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا بالعالم ولا منفصلا عنه لم يلبث أن ينكر وجود الله تعالى ويكذب به فيبغى أن يقرر عنده أن الله تعالى (مستو) على العرش وانه يرضيه عبادة خلقه ويفرح بها فيثيهم ويدخلهم الجنة عوضا وجزاء . وان احتمل أن يذكر له ما هو الحق المبين يكشف له فالمذهب بهذا الاعتبار يتغير ويختلف ويكون مع كل واحد على حسب ما يحتمله فهمه

(المذهب الثالث) ما يعتقد الرجل سرا بينه وبين الله عز وجل لا يطلع عليه غير الله تعالى ولا يذكره الامع من هوشريكه في الاطلاع على ما اطمع أو بلغ رتبة (من) يقبل الاطلاع عليه ويفهمه - وذلك بأن يكون المسترشد ذكيا ولم يكن قد رسخ في نفسه اعتقاد موروث نشأ عليه وعلى التعصب له ولم يكن قد انصبغ به قلبه انصباغا لا يمكن محوه منه ويكون (*) مثاله ككاغد كتب عليه ما غاص فيه ولم يمكن إزالته الابحرق الكاغد وخرقه - فهذا رجل فسد مزاجه ويئس من صلاحه فان كل ما يذكر له على خلاف ما سمعه لا يقنعه بل يحرص على أن لا يقنع بما يذكر له ويحتال في دفعه . ولو أصغى غاية الاصغاء وانصرفت همه الى الفهم لكان يشك في فهمه فكيف اذا كان غرضه أن يدفعه ولا يفهمه ؟ - فالسبيل مع مثل هذا أن يسكت عنه ويترك على ما هو عليه فليس هو بأول أعى هلك بضلالاته - فهذا فريق من الناس .

وأما الفريق الثاني وهم الاكثرون فيقولون المذهب واحد هو المعتقد وهو الذي ينطق به تعليما وارشادا مع كل آدمي كيفما اختلفت حاله وهو الذي يتعصب له وهو إما مذهب الاشعري أو المعتزلي أو الكرامي أو أي مذهب من المذاهب والاولون يوافقون هؤلاء على انهم لو سئلوا عن المذهب أنه واحد أو ثلاثة لم يجز أن يذكر

(*) المنارة: الظاهر انها فيكون بفتح النون

أنه ثلاثة بل يجب أن يقال أنه واحد - وهذا يطل تعبك بالسؤال عن المذهب ان كنت عاقلا فان الناس متفقون على النطق بأن المذهب واحد . ثم يتفقون على التعصب لمذهب أيهم أو معلمهم أو أهل بلدهم ولو ذكر ذاكر مذهبها فما منفعتك فيه ومذهب غيره يخالفه وليس مع واحد منهم معجزة يترجح بها جانبه ؟

فجانب الالتفات الى المذاهب واطلب الحق بطريق النظر لتكون صاحب مذهب ولا تكن في صورة أعمى تقلد قائدا يرشدك الى طريق وحوالك ألف مثل قائدك ينادون عليك بأنه أهلكك وأضلك عن سواء السبيل . وستعلم في عاقبة أمرك ظلم قائدك فلا خلاص إلا في الاستقلال

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طالع الشمس ما يغنيك عن زحل ولولم يكن في مجاري هذه الكلمات الا ما يشكك في اعتقادك الموروث لتتندب للطلب فهايك به نفعاً اذ الشكوك هي الموصلة الى الحق فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال نعوذ بالله من ذلك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اه

(المنار) ليعتبر بهذا من ترنم فرائضهم من ذكر الدعوة الى الكتاب والسنة والنعي على التقليد الاعمى الذي يصرف صاحبه عن الاهتداء بهما وليعلموا انه مانع عالم في الاسلام الا وكان منتهى شوطه وجوب الرجوع الى الكتاب والسنة والاهتداء بهما استقلالاً وللغزالي في ذلك كلام كثير بين تصريح وتلويح دارى فيه دولة المتعصبين وناهيك بما تقدم لنا نقله عنه من كتابه القسطاس المستقيم

ومن هذا الكتاب أربعة قروش صحيحة

✽ الرسالة الدنية ورسالة مالا بد منه للمريد ✽

الاولى لابي حامد الغزالي يتكلم فيها عن العلم الدني والالهام والوحي والنفس والروح واقبال واثنائية للشيخ محيي الدين بن عربي في آداب سالك طريق التصوف وقد طبعهما الشيخ محيي الدين الكردي معاً وضمنها قرشان صحيحان

بَابُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ

الاسلام والمسلمون

﴿ رأي المسيو مونتيه ناظر المدرسة الجامعة بجنيف فيها ﴾

بدأ المسيو ادموند مونتيه ناظر مدرسة جنيف الجامعة بالقاء محاضرات ست في مدرسة فرانس (كوليج دي فرانس) عن حالة الاسلام الحاضرة والمستقبل . وذلك في كل يوم اثنين وخميس في الساعة الثانية ونصف مساء ابتداء من يوم ٧ الجاري وينتهي منها يوم ٢٤ الجاري . أما مسائل بحثه فهي :

د صالح المسائل الاسلامية . احصائيات الاسلام . انتشار الديانة الاسلامية . التمسك الشديد بالدين الاسلامي . التغييرات التي طرأت عليه . الانشقاق والاختلافات والمذاهب . عبادة الاولياء المسلمين . ارباب الطرق الاسلامية . تصوفهم ومحافظتهم على الاصول . تأثيرهم الاجتماعي والسياسي . محاولة اصلاح الاسلام . الباطية والبهائية . مستقبل الامم الاسلامية . الاميال نحو الحرية والمجهرودات التي تبذل في سبيل التخلص من الاجانب في الاسلام .

ولما كان المسيو ادموند مونتيه كاهنا بروتستانيا حر الافكار كانت افكاره وآراؤه في هذا الشأن من الاهمية بحيث لا يستهان بها

لذلك أرسلت جريدة « السيككل » الى جنابه من يسأله عن آرائه في شأن الموضوعات التي سيجعلها موضوع بحثه فصرح له بالتصريحات الآتية :

« أما آرائي فيها فهي كثيرة جدا وان السؤال الذي أقيته علي سؤال مركب

كثير الفروع . فاسمح لي أن أحييك عليه بعدة أجوبة لان الاسلام يظهر امامنا في مظاهر شتى »

« وأول ما يبدو أمام نظر الذي يرقب حركات الاسلام وبهمه شأنه حاله الحاضرة فالعالم الاسلامي الذي يشاع عنه خطأ انه في سبات عميق لا يتحرك هو في الحقيقة اليوم في حركة شديدة فهو عالم يسير ويتقدم . فالترك . ومصر . وفارس من جهة يظهر فيها الشوق الى الرقي ونور العلم ظهورا جليا . ومن جهة أخرى ترى في المستعمرات الانجليزية والفرنسية والمستعمرات الاوروية الاخرى تلك الحاجة بعينها تدفع جمهور المؤمنين الى طلب الزيادة في الحرية والحرية »

« ولكن رب قائل يقول لي ألا تظن أن تركيا التي كانت الثورة فيها على النسق اللاتيني سببا في وجود مذهب سيامي جديد . ليست كسائر الجهات التي ليس فيها الا مجرد آمال مبهمه في الوصول الى حالة خير من الحالة الحاضرة من الوجهة الاجتماعية أو السياسية ؟ »

« واتي لأذهب هذا المذهب . وفي رأيي أن العالم الاسلامي كان كأنه محقون بسم نافع يفنك به وينتشر في جميع أعضائه . أما هذا السم فهو سم المدنية الحديثة . سم (مدنيتنا) التي يتحتم على كل أمة أن تعتنقها مها يكن ماضيها ومها تكن مدنيته الخاصة بها قديمة كانت أو حديثة . وبمجرد مريان هذا السم في أي جسم يكون من المستحيل اخراجه منه . فان فتكه يستمر فيه ولا مناص . ويقتاد هذا الجسم مع مرور الزمن الى الانقلاب التام »

« أما الموقف الذي سيقف فيه الاسلام حيال مدنيتنا فينبغي أن ينظر الى الاسلام من وجهتين مختلفتين الاولى أن ينظر اليه من حيث هو مجموع الامم الاسلامية وسكان البلاد منهم والاجناس المختلفة التي تعتق دين محمد صلى الله عليه وسلم والثانية أن ينظر اليه من حيث هو دين الاسلام نفسه »

« وانه ليخيل لي أن الامم الاسلامية يزداد دخولها في حظيرة المدنية الحديثة شيئا فشيئا . وذلك ما يفعله أكثر الامم الاسلامية . بعضها بقصد والبعض الآخر بلا قصد لان الامر في نظرهم ينحصر في مسألة اما الحياة واما المات لان تيار المدنية

الحديثة لا يستطيع مقاومتها والذي يريد أن يهرب من وجهه لا بد أن يكفسه .
والذي يريد أن يقاومه لا بد أن يسحقه . ذلك ما يعتقد كثير من المتنورين منهم
اليوم وكثير من أبناء وطنهم يتبعون أثرهم بحكم التقليد في سبيل التقدم الحديث ،
« أما من الوجهة الدينية فإن الموقف يختلف عن ذلك كل الاختلاف . فإن
الاسلام بصفته ديناً كانت له غايات شبيهة بغايات النصرانية وقد وجد فيه التصوف
والمذاهب والميل الى المحافظة على القديم والى التخلص من ربة القيود ولا يزال
كل ذلك موجوداً فيه الى الآن واذا كانت المسيحية قد ضمنت لها مستقبلاً في
الرقى وفي البقاء غير محدود فإن شأن الاسلام في ذلك شأن النصرانية تماماً . فإن
الاسلام احدى ديانات التوحيد الكبرى وان التوحيد في الديانة لا يمكن أن يزول
بل تبقى مبادئه بقاء أبدياً ولو تغير في اعراضه »

« اني شديد اعتقاد الخير في الاسلام نفسه بصفته دين توحيد اعتقته على
الخصوص أم آسيا وأفريقية والمسلمون على وجه العموم »

« ولطالما كانت لي علاقات شخصية مع المسلمين وأكثرهم من أصل عربي
أوبربري (مغربي) واني لأحفظ لهذه العلاقات جميل الذكري . واني شديد
الاحترام للأتراك والمصريين المتنورين الذين لقيتهم بل ان لي من بينهم
بعض الاصدقاء المخلصين اخلاصاً تاماً . ولكني أتمسك على الخصوص بالصدقة
التي نشأت بيني وبين المتواضعين الخاشعين من المسلمين وهم على الخصوص في مراکش
فان هؤلاء المسلمين الذين يعيشون عيشة في غاية البساطة والغربة في نظرنا بالنسبة
لطرائق تفكيرنا قد حافظوا على أجل الفضائل التي نحترمها نحن ولا شك ولكننا
نعمل العمل بها واني أريد بذلك فضيلة حسن الضيافة والكرم ، وفضيلة الوفاء التام
في الصدقة والاخلاص . وهم يصح انه يقال عنهم انهم الامثلة الصالحة في هذه
الفضائل . ولقد كان في خدمتي بعض المرء كاشيين فأظهروا لي في كثير من الظروف
الحرجة دليلاً على اخلاصهم المتناهي . ولعمري انني مانسيتهم قط واني على يقين

من انهم لم يفسوني أيضا . وماذا كنت أنا بالنسبة لهم ؟ كنت رجلا غريبا بل مسيحيا ولكنني كنت مسيحيا غريبا وأصبحت صديقا لهم ،
 « ولي كلمة قبل أن أختم معك هذا الحديث لا يسعني الا أن أقولها وهي ان روح الاسلام (وأريد روح الديانة الاسلامية) صعب على الغريب عنها أن يقف على سرها . ولكن الذي يقف على كنهها ويفقهها يرى أن هذه الروح جميلة جذابة . ومتى فقهها المرء فليس في قدرة أي شيء أن يحو من فوائده التأثير الذي تحدثه فيه وليس في استطاعة المرء أن ينفصل عنها » اهـ من ترجمة المؤيد بتصحيح قليل

الترك والعرب

(دليل على ما سميناه سوء التفاهم وشهادة كاتب تركي للعرب)

كان يحب على جرائد الآستانة أن محمد سعي الشريف أمير مكة المكرمة في نجد ولا سيما إخضاع أكبر أمرائها ورئيس عشائرها الأمير عبد العزيز آل سعود للدولة العلية وحمله على الثقة بها ولكنه لم يسلم من اللوم والمواخذة حتى قالت بعض تلك الجرائد ان سعيه كان حسنا ولكنه كان مخطئا فيه لأنه ليس له صفة ولا سلطة تجيز له أن يحمل ويصدق !!! وقد كانت جريدة « يكي تصوير أفكار » خاضت في مثل هذا الإنكار والتجاهل ثم اقترحت على سليمان بك نظيف الذي كان الى عهد قريب واليا للبصرة أن يكتب اليها شيئا مما وصل اليه اختباره عن عرب الجزيرة فكتب اليها مقالا ترجمته جريدة المفيد فقلناه عنها لما فيه من الانصاف واستقلال الرأي (١) وهو : قال الكاتب « ان السلطة العثمانية في جنوب العراق وجزيرة العراق لا تتأيد ما لم تتأيد

(العدالة وحسن الادارة) ففي كل وقعة من الوقائع خطر يتطاول شره

« ان هذه البقاع المباركة بقاع بائسة وقعت عصورا متطاولة في زوايا الاهمال من قبل الحكومة الا في عهد مدحت باشا

« ارتكز فيلقنا السادس ودق وتاده حيث كانت نجوس جيوش بابل وأشور

(١) بعد هذا رأينا في جريدة أخرى ان الكاتب ذكر ان نجدا هدية كان أهدها مدحت باشا للدولة وان الشريف اعتدى على حقوق الدولة في إخضاع ابن سعود لها !!!

بسطونها وهبتها فرايناه اليوم يندحر امام بعض القبائل البدوية اياما اندحار . كانت (الجزيرة) في الغابر بمثابة اكبر مستغل يستمد منه العالم بأسره مؤنته وزراه اليوم يموت أهله جوعاً ، على حين ان الارض لم تفقد قوة النمو ولا الخصب وبعد فليس نمت من سبب لهذه المصائب الاسوء ادارتنا التي اشترك بها هذا العاجز مدة احد عشر شهرا

« كنت اعتقد قبل قدومي البصرة اعتقادا ولدته في نفسي الاقوال المتضاربة ان الامة العربية عنصر يقبض من الجامعة العثمانية ولكن اقامتي بينها ومحاولتي كشف النقاب عن الحقائق اثبتت لي ان هذا الاعتقاد وهم محض فسررت ماشاءت حميتي العثمانية . اذا صرفنا النظر عن عائلة واحدة في البصرة مكروهة منفور منها لا يتجاوز افرادها عدد الاربعة فانا نشعر بحس واحد راسخ في نفوس عرب الولاية كافة من بدويهم الى حضريهم الا وهو حب الجامعة العثمانية
« ولكن ينبغي لنا أن نتعرف ونقر بأننا أسأنا المعاملة بجانب عرب البصرة في جميع الاحايين وقسمنا أراضيهم الى مقاطعات تحت اسم أميرية وسفية ودعونا المتغلبين الى أن يدوا اليها أيديهم الجائرة الظالمة وعززناهم بقوة من الحكومة ووقارها حتى بلغنا الى درجة التحكم بالقوت البومي الذي كان يتناوله كل عربي بجده وسعيه
« كل ذلك كان وكان هذا الشعب الصادق الجليلد يتلقى من الحكومة تلكم الصدمات بصبر وثبات كأنما هي من الاقدار ولم يك ينبس بينت شفة

« حادثة « شطرة المتفك » بسيطة جدا أي انها فاجعة بسيطة سببها ان فريقا عسكريا مأمورا بالاصلاح ظن ان سلطته نخوله فسخ احالة (ابطال عقد التزام اعشار) مقاطعة برمتها . فان عشيرة « عبوده » التي هزمت الفريق يوسف باشا قائد أربعة عشر تابورا وحاصرته والتي تركت قوة أمير اللواء محيي الدين باشا جامدة لا حراك فيها كانت حتى في أوقات ظفرها تبرق البرقيات الى الولاية تعرض اطاعتها للحكومة وتبين انها مضطرة لمحاربة الفريق المسوق بسائق المطامع الشخصية دفاعا عن نفسها وذودا عن شرفها . ولقد اثبت رجال هذه العشيرة صدق دعواهم بالفعل فان القوة العسكرية البالغة واحدا وعشرين تابورا تخلصت من ربة الحصار الشديد بأمر واحد تلقاه

المحاصرون من الحكومة وليس تمت دليل اكبر من هذا الدليل على صدق عثمانية هؤلاء واطاعتهم للحكومة

د اهداني قنصل روسيا في البصرة الموسيو (طوخوفا) كتابا افرانسيا غوانه (الثورة العربية والدول) اثناء (سيري) الى المتفك فوجدت صاحبه يملأ الكتاب بحوادث المتفك ويتحرى في جميع ابجائه ان يثر على امارات الانفصال والاستقلال فعظم الوهم الذي ولكن حينما شهدت عائلات المتفك ايقنت اليقين التام ان ذلك الكتاب مجموعة نفاق وبهتان وانا اليوم على ثقة تامة انه ليس في البصرة ازمة سياسية ما ليست تلك الاصوات التي تمتد احيانا الى العاصمة فتنبهها من غفلتها الاصمعات متصاعدة من أفئدة عضها الجوع بأنيابه ولو كنا مكان هؤلاء العرب لأتينا أشد مما يأتونه . واذا تدبرنا وعقلنا الامر وانقلبت تلك الصرخات الى سكوت ينم الى الابد عن شكر (المئاد) بينا في المقالات التي نشرناها في جرائد الآستانة ونحن فيها ان العرب كلهم مخلصون للدولة لا يخطر في بال أحد منهم ان بينهم وبين اخوانهم الترك أدنى فرق ، وان اتهم بعض رجال السياسة فيها إياهم وما تكتبه الجرائد التركية عنهم وفي العصبية الجنسية وما يسمعه أبناءهم في مكاتب الدولة يخشى أن يفرق قلوبهم ووعظنا رجال حكومتنا بالحديث الشريف « اذا ابتغى الامير الرية بالناس أفسدهم » فلم يغن النصح شيئا فعمى أن يقبلوا شهادة هذا الشاهد منهم ويزيلوا أسباب التفرق وسوء الظن ويعلموا اننا كنا لهم ولا نزال من اخلص الناصحين

﴿ الاحتلال الاجنبي في ايران ﴾

هذا الاسلوب الاوربي من أساليب الفتح صار معروفا عند الباحثين والمستبصرين من أهل الشرق ومعناه فتح البلاد بدون ان يخسر الفاتح شيئا يذكر من الرجال والمال فان طريقه أن يضرب بعض البلاد ببعض ويحدث فيها الفتن ثم يدخل جيشه بحجة إطفاء الفتنة وتأمين تجارته وحفظ رعيته في البلاد ثم يحكم بعضها ببعض كما ضرب بعضها ببعض . ولا يعاب الفاتحون بهذا الضرب من ضروب الفتح والاستعمار ، بل يحمدون بتخفيف الضرر والضرار ، وإنما تعاب الامم التي تفتح بلادها بجيولها وتفرقها

وما فيها من الخلل والضعف الذي مكن الاجنبي من سلب استقلالها كانت روسية وانجلترا تتنازعان النفوذ في فارس لمجاورة الاولى لها من جهة الشمال والثانية من جهة الجنوب كما تتنازعان النفوذ في البلاد العثمانية وقد اتفقتا بعد طول التنازع والعداء ولكن أعقب اتفاقهما نهوض المملكتين الاسلاميتين بالدستور فأما العثمانية فانها نهضت بجيش قوي منظم فكان ذلك مانعا من التعرض لها بالقوة العسكرية والاحتلال الذي كان ينوى البدء به في مكدونية وأما الفارسية فمن سوء الحظ انه ليس لها جيش قوي منظم فبادرت روسية الى احتلال منطقة نفوذها وهددت ان تكتسب باحتلال منطقة نفوذها أيضا، بادرنا بذلك صلاح حالها، وأخذها بأسباب القوة التي تحول بينها وبينها ،

لقد علم المستبصرون من الايرانيين وغيرهم ان المراد بهذا الاحتلال الامتلاك فاضطربت له قلوب المسلمين في المملكة العثمانية والبلاد الهندية وبلاد التترالروسية ومصر وتونس وزادهم ميلا الى الاتفاق والاتحاد، وظهر هذا الاضطراب بأشد مظاهره في الآستانة وفي بعض بلاد الهند ولم يظهر في مصر لان المشتغلين فيها بالسياسة شغلهم حلهم أو شغلوه ان يمار؟ ويتحامون الاتهام باليل الى الجامعة الاسلامية يقال ان الايرانيين يفضلون أن يقاوموا محتلي بلادهم بالاغراض عن تجارتهم وقد أمرهم علماءهم بذلك جهرا فان لم يقد فتأليف عصابات كالعصابات المكدونية المؤلفة من البلغار بين واليونانيين لمقاومة حكومتهم العثمانية وانهم يفضلون تخريب البلاد على سلب الاجانب لاستقلالهم . فأما غيرتهم وحميتهم المالية وشجاعتهم الشخصية فما لا ينكر بعد ظهوره لاعيان في مقاومة حكومتهم الماضية المستبدة الماعونة، وأما آفتهم فوجود المنافقين من الباطنية والمتفرجين الذين فسدا عقادهم بالمساومين الاجنبية بوضهون خلاصهم يفونهم الفتنة وفيهم سماعون لهم، وجهل العامة يمد المنافقين سبيل التضليل وعندي أن ما يصلح هذه البلاد في هذه الحال لا يدركه الا الافذاذ من العقلاء العارفين بالسياسة العامة و بأحوال الامة الروحية والاجتماعية، وان العارف لا يقدر أن ينفعها بمعرفته الا اذا اقنع أصحاب النفوذ فيها من العلماء، والزعماء فهل يسهل تأليف جمعية من العارفين وأصحاب النفوذ تقرر ما يجب أن يعمل وتنفعه ؟ ؟

﴿ المشيخة الاسلامية ، والقضاء الشرعي في الدولة العلية ﴾

خطاب من جماعة المسلمين العثمانيين الى شيخ الاسلام ومجلس المبعوثين في عاصمة الدولة أيدها الله تعالى بهم وأيدهم بها :

الى متى يكون حظ القضاء الشرعي دون حظ سائر مصالح الدولة من عنايتكم والى متى تظل المحاكم الشرعية استبدادية لا يقيد القضاة فيها بأحكام معينة معروفة يطالب بها الخصماء ووكلاء الدعاوي (كمجلة الاحكام العدلية) ولا بأعضاء يسفشارون في الاحكام كالمحاكم النظامية ، ولا يرسل اليهم مفتشون يطلعون على أحكامهم ويتعرفون سيرتهم وأعمالهم في ادارة تلك المحاكم ، ولا ينشأ لأجلهم قلم مراقبه تحفظ فيه سيرتهم الرسمية ، ولا مجلس تأديب يحاكمون فيه إذا جاروا وظلموا ؟ ألا إن هذا الإهمال لهذه المحاكم يفسد نظام البيوت التي تتألف منها الامة ويضيع الاوقاف ويخرب المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه بل يؤدي الى الاشتباه في حقبة الشريعة السمحة الحكيمة

من أمثلة الخلل في هذه المحاكم الذي عرفناه بالروية والنظر والخبر والخبر ان عبد المجيد افندي هاشم الجعفري كان عين نائباً لمحكمة نابلس (بلده) فهاجت سيرته الاهالي عليه على شرف بيته ويقال أن بعض الوجهاء أمر بضربه فضر به فضر ولم يتحملوه الى آخر مدته ثم عين نائباً لصيدا فأحدث الفتن بين الاهالي حتى هاجوا عليه وهموا به فهرب الى بيروت ليلاً ، ثم عين في بلاد الترك فكانت عاقبته النفي ، وبعد الدستور عين نائباً لطرابلس الشام فهاجت سيرته الناس عليه حتى هجم الالوف منهم على المحكمة الشرعية لاجل الفتك به كمارأينا في الجرائد السورية وقتئذ وأرسلت الشكاوى البرقية عليه الى المشيخة فأمرت بمحاكته في بيروت ولكن المحاكمة انتهت بالصالح رحمة من مقبي بيروت به ، ثم ان لجنة التنسيقات حكمت بأنه لا يجوز توليته في البلاد السورية وعزاته المشيخة عزلاً

بعد عزله ذهب الى الآستانة وطلب من المشيخة توليته القضاء فسأله مجلس

الانتخاب عن السبب في الامتناع من ختم إعلام الحكم ببعض الدعاوى فأنكر الدعوى ألبتة وزعم انه لم ينظر فيها ولا رفعت اليه فطلب شيخ الاسلام حسني افندي من خلفه في طرابلس الشام صورة ضبط تلك الدعوى مصدقا عليها فأرسلت الى المشيخة فحاجه بها مجلس الانتخاب فاعترف بالدعوى واعتذر عن ختم الاعلام بكلام مجعوم فيه ولم يبين وفر من الاستانة يائسا ومجلس الانتخاب يحفظ هذا عليه قولا وكتابة بعد هذا كله كتب الينا من يافا وغيرها انه عين نائباً لبنغازي وانه لا يقبلها بل يرجو ان يرتقي الى نيابة (قضاء) ولاية بيروت لما ورثه من المال الكثير من أخيه ... فنعيد الذكرى للمشيخة الاسلامية ومجلس الامة ونكرر طلب إصلاح هذه المحاكم وعسى أن يوجد في مجالس المبعوثين من تحملهم الفيرة وحب الإصلاح على الاستيضاح من شيخ الاسلام عن هذا النائب الباقعة ان صح أنه تقلد القضاء في عهده الآن

﴿ لجنة ترقية الوعظ الديني والخطابة في المساجد ﴾

ألفت لجنة في الازهر بهذا الاسم رئيسها الشيخ محمد شاكر وكيل المشيخة ولما بلغني خبرها وأنا في الاستانة سررت سرورا عظيما ثم بلغني أن عمل هذه اللجنة محصورا في اقتراح إنشاء خطب في بعض المسائل الدينية كالحث على العبادات والنهي عن المحرمات لاجل أن تنشر في مجلة الملاجئ العباسية وتصل الى خطباء المساجد ، واطلعت على بعض تلك الخطب التي قبلتها اللجنة وأجازت منشئها فاذا هي ليست خيرا من خطب خطيب جامع الست الشامية وخطيب جامع عزبان ولا مثالا نعم أنها أمثل من خطب خطيب جامع الحين ومن في طبقته من العوام ، وليس هذا هو الإصلاح الذي ننشده من زمن طويل ولا العمل الذي يحتاج الى لجان وانما يكون الإصلاح بتعليم طائفة من طلاب الازهر وغيرهم الخطابة الدينية على نحو ما شرحناه في كتاب (الحكمة الشرعية) منذ ٢٠ سنة أي تعلمهم ليكونوا أصحاب ملكة يقتدرون بها على الخطابة ارجاء لا في جميع مهمات الدين وما يصلح به حال الناس في الدنيا

﴿ باب الانتقاد على المنار وصاحبه ﴾

انتقد صاحب جريدة البريد التي تصدر في (ريودي جانيرو) ما كتبناه في خطاب علماء الاسلام الذي نشرناه في جريدة الحضارة ونحن في الآستانة وفي المنار انتقد منه حثا العلماء على الاستعانة بالمبعوثين لاجل الوصول الى حقوقهم في التعليم والمناصب الشرعية وعلى الاجتهاد في جعل المبعوثين في الانتخاب الآتي منهم ومن يرجى ان يساعدهم على خدمة ملتهم

انتقد هذا لانه فهم منه انني أريد جعل أكثر النواب من صنف العلماء الذين يجهل أكثرهم حاجات الامة وانني لأريد ان يكون في المجلس نواب من غير المسلمين وجعل هذا منافيا للدستور القاضي بالمساواة قال « وكأنه استكثر وجود مسيحي واحد بين نواب العرب فقام يدعو الامة المسلمة الى حرمان المسيحيين قاطبة كرسيا واحدا في مجلس المبعوثين العثمانيين »

« أساء سمعا فأساء جابة » رويك أيها الرصيف الكريم انني كنت أول مساعد لاتخاذ المسيحي العربي الذي تشير اليه فقد كنت أيام الانتخاب في بيروت ورأيت جماعة من المسلمين أصحاب النفوذ يعارضون في انتخابه لانه مسيحي بل لانهم لا يعرفونه معرفة تفيدهم الثقة به فقلت لم انني عرفته بمصر وعاشرته واثبت عليه بما أقنعهم وحملهم على انتخابه ومساعدته

انني عندما كتبت ما كتبت في تلك المقالة لم يخطر في بالي المسيحيون ولانوابهم وانما خطر في بالي وملا قلبي عند الكتابة ما علمته من حيولة بعض الملاحدة من المسلمين الجغرافيين (أي الذين يعدون مسلمين في كتب الجغرافية) دون خدمة رجال الدين الاسلامي لدينهم وما علمت أحدا من النصارى يعارضهم ولا يقاومهم في ذلك، وان المبعوثين من النصارى يدافعون عن امتياز طوائفهم وكنائسهم افليس للمسلمين حقوق دينية في الدولة يجب ان يدافع عنها العلماء؟ وسأبين رأيي في المبعوثين من غير المسلمين واذكر ما أقنعت به المسلمين وأزلت به شبهتهم على مناقاة وجودهم في مجلس المبعوثين ومجلس الوكلاء لكون الحكومة اسلامية فقد ضاق عنه هذا الجزء

وفي الحكمة من يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

بشر عبادي الذين يستمعون القول فيستمعون أحسنه
واتك القين هداهم الله وأوتك هم أولو الألباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كثار الطريق

(الاحد ٣٠ ذي الحجة ١٣٢٨ - ١ يناير (كانون الثاني) ١٢٨٩ ١٩١١ م)

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(المسألة السابعة) ورد الامر بالعدل والتعظيم لشأنه في كثير من الآيات والاحاديث كقوله تعالى (١٦ : ٩٠ ان الله يأمر بالعدل والاحسان) وقوله (٤٩ : ٩ فأصلحوا بينها بالعدل وأقسطوا ان الله يحب القسطين) والا قسط هو العدل وقوله آمرا للنبي (ص) ان يبلغه للناس (٤٢ : ١٥ وأمرت لأعدل بينكم) وقوله (١٣٤ : ٥) يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو والوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) الآية . وفي معناها قوله تعالى (٥ : ٧ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خير بما تعملون) وسبأتي تفسيرها في مواضعها ولا حاجة الى ايراد الاحاديث هنا ولا الآيات المحرمة للظلم المتوقعة عليه

(المسألة الثامنة) المسلمون مأمورون بالعدل في الاحكام والاقوال والافعال والاخلاق وقد قل تعالى (١٥٢: ٦) واذا قلتم فاعدوا ولو كان ذا قربى) وهذا الامر موجه الى الحكم وغيرهم

قال تعالى ﴿ ان الله نعماء يعظم به ﴾ أي نعم الشيء الذي يعظم به وهو هنا أداء الامانات والحكم بالعدل لانه لا يعظم الا بما فيه صلاحكم وفلاحكم ما علمتم به مهتدين متعظين ﴿ ان الله كان سميعا بصيرا ﴾ فلا يخفى عليه شيء من قوالكم ولا من أفعالكم ولا من نياتكم فلا تدعوا ما ليس فيكم من الامانة والعدل ولا تقولوا ما لا تفعلون فانه سيجزي كل عامل بما عمل

أمر الله تعالى برد الامانات الى أهلها وبالحكم بين الناس بالعدل مخاطبا بذلك جمهور الامة ، ولما كان يدخل في رد الامانات توسيد الامة أمر الاحكام الى أهلها القادرين على انقيام أعبائها ، وكان يجب في الحكم بالعدل مراعاة ما جاء عن الله تعالى وعن رسوله (ص) وما يتجدد الامة من الاحكام ، وكانت المصلحة في ذلك لا تحصل

الا بالطاعة - قال عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ﴾ وقال الاستاذ الامام في مناسبة الاتصال : ان هذه الآية وما قبلها وردتا في مقابلة قول الذين أوتوا نصيبا من الكتاب از الكافرين أهدي من المؤمنين ، بعد ما بين تعالى أنهم يؤمنون بالحب والطاغوت ، ومن الطاغوت عند المشركين الاصنام والكهان فكانوا يحكمون الكاهن ويجعلونه شارعا ويقسمون عند الصنم ويعدون ذلك فصلا في الخصومة ، وقد اتخذ اليهود الحب والطاغوت مثلهم وطواغيتهم رؤسائهم الذين يحكمون فيهم بأهوائهم فيقبعونهم ككعب بن الأشرف مع ان عندهم التوراة فيها حكم الله ، ولكنهم كانوا يقولون ان هؤلاء الرؤساء أعلم منا بالتوراة وبصلحتنا فله تعالى قد بين لنا حالهم وقرنه ببيان ما يجب ان نسير عليه في الشريعة والاحكام حتى لا نضل كما ضل المشركون وأهل الكتاب الذين اتخذوا أفرادا منهم أربابا إذ جعلوهم شارعين فكانوا سبب طغيانهم ولذلك سموا طواغيت (قال) أمر بطاعة الله وهي العمل بكتابه العزيز وبطاعة الرسول لانه هو الذي

يبين للناس منازل اليهم وقد أعاد لفظ الطاعة لتأكيده طاعة الرسول لان دين الاسلام دين توحيد محض لا يجعل لغير الله أمرا ولا نهيا ولا تشريعا ولا تأثيرا فكان ربما يستغرب في كتابه الامر بطاعة غيره وحي الله ، ولكن قصت سنة الله بأن يبلغ عنه شرعه للناس رسل منهم وتكفل بمصمتهم في التبليغ ولذلك وجب ان يطاعوا فيما يبينون به الدين والشرع . مثال ذلك ان الله تعالى هو الذي شرع لنا عبادة الصلاة وأمرنا بها ولكنه لم يبين لنا في الكتاب كيفيتها وعدد ركعاتها ولا ركوعها وسجودها ولا تحديد أوقاتها فينبغي الرسول (ص) بأمره تعالى إياه بذلك في مثل قوله (١٦ : ٤٤) وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) فهذا البيان بارشاد من الله تعالى فاتباعه لا ينافي التوحيد ولا كون الشارع هو الله تعالى وحده

(قال) وأما أولو الامر فقد اختلف فيهم فقال بعضهم هم الامراء واشترطوا فيهم أن لا يأمروا بحرم كما قال مفسرنا (الجلال) وغيره والآية مطلقة (أي وانما أخذوا هذا القيد من نصوص أخرى لتحديث لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق) وحديث « إنما الطاعة في المعروف » (أو بعضهم أطلق في الحكم فأوجبوا طاعة كل حاكم وغفلوا عن قوله تعالى « منكم » وقال بعضهم إنهم العلماء ولكن العلماء يختلفون فمن يطاع في المسائل الخلافية ومن يعصى ؟ وحجة هؤلاء أن العلماء هم الذين يمكنهم أن يستنبطوا الاحكام غير المنصوصة من الاحكام المنصوصة . وقالت الشيعة إنهم الأئمة المعصومون ، وهذا مردود إذ لا دليل على هذه المعصية ولو أريد ذلك لصرحت به الآية . ومعنى أولي الامر الذين يبايهم النظر في أمر اصلاح الناس أو مصالح الناس ، وهؤلاء يختلفون أيضا فكيف يؤمر بطاعتهم بدون شرط ولا قيد ؟

قال رحمه الله تعالى إنه فكر في هذه المسألة من زمن بعيد فاتمى به الفكر الى أن المراد بأولي الامر جماعة أهل الحل والعقد من المسلمين وهم الامراء والحكام والعلماء وروساء الجند وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع اليهم الناس في الحاجات والمصالح العامة فهؤلاء اذا اتفقوا على أمر أو حكم وجب أن يطاعوا فيه بشرط أن يكونوا منا ، وأن لا يخالفوا أمر الله ولا سنة رسوله (ص) التي عرفت بالتواتر ،

وان يكونوا مختارين في بحشم في الامر واتفاقهم عليه ، وان يكون ما يتفقون عليه من المصالح العامة وهو ما لاولي الامر سلطة فيه ووقوف عليه . وأما العبادات وما كان من قبيل الاعتقاد الديني فلا يتعلق به أمر أهل الحل والعقد بل هو مما يؤخذ عن الله ورسوله فقط ليس لأحد رأي فيه الا ما يكون في فهمه .

فأهل الحل والعقد من المؤمنين اذا اجمعوا على أمر من مصالح الامة ليس فيه نص عن الشارع مختارين في ذلك غير مكرهين عليه بقوة أحد ولا نفوذ فطاعتهم واجبة ويصح ان يقال هم معصومون في هذا الاجماع وذلك أطلق الامر بطاعتهم بلا شرط مع اعتبار الوصف والاتباع المفهوم من الآية . وذلك كادبوان الذي أنشأه عمر باستشارة أهل الرأي من الصحابة (رض) وغيره من المصالح التي أحدثها برأي أولي الامر من الصحابة ولم تكن في زمن النبي (ص) ولم يعترض أحد من علمائهم على ذلك

(قال) فأمر الله في كتابه وسنة رسوله الثابتة القطعية التي جرى عليها (ص) بالعمل هما الاصل الذي لا يرد وما لا يوجد فيه نص عنهما ينظر فيه أولو الامر اذا كان من المصالح لانهم هم الذين يثق بهم الناس فيها ويتبعونهم فيجب أن يشاوروا في تقرير ما ينبغي العمل به فاذا اتفقوا واجمعوا وجب العمل بما أجمعوا عليه ، وان اختلفوا تنازعوا فقد بين الواجب فيما تنازعوا بقوله فإن تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول وذلك بأن يعرض على كتاب الله وسنة رسوله وما فيهما من القواعد العامة والسيرة المطردة فما كان موافقا لما علم انه صالح لنا ووجب الاخذ به وما كان متافرا علم انه غير صالح ووجب تركه وبذلك يزول التنازع وتجتمع الكلمة ، وهذا الرد واستنباط انفصل في الخلاف من القواعد هو الذي يبر عنه بالقياس والاول هو الاجماع الذي يعتد به ، وقد اشترطوا في القياس شروطا بالنظر الى العلة ، والغرض من هذا الرد ان لا يقع خلاف في الدين والشرع لانه لا خلاف ولا اختلاف في أحكامهما كذا قال الاستاذ والمراد ان لا يفيض التنازع الى اختلاف التفرق

الذي يلبس المسلمين شيعة و يذيق بعضهم بأس بعض وسيأتي بيان ذلك مفصلا ولكنهم لم يعملوا بالآية ففارقوا واختلافوا

ذكر الاستاذ الامام في الدرس إن ما اهتدى اليه في تفسير أولي الامر من كونهم جماعة أهل الحل والعقد لم يكن يظن أن أحدا من المفسرين سبقه اليه حتى رآه في تفسير النيسابوري وأقول ان النيسابوري قد تلخص في المسألة ما قاله الفخر الرازي بل جميع تفسيره تلخيص لتفسير الرازي مع زيادات قليلة وانما خصه الاستاذ بالذكر لأن ظاهر عبارة الرازي تشعر بأن أولي الامر هم أهل الاجماع المصطلح عليه في أصول الفقه وهم المجتهدون في الاحكام الظنية الفقهية وان عبر عنه تارة باجماع الامة وتارة باجماع أهل الحل والعقد كأنه رأى أنه يسمي أهل الاجماع أهل الحل والعقد لقوله إن العلماء هم أمراء الامراء ، أي يجب أن يكونوا كذلك ولكنهم ليسوا كذلك بالفعل . وأما النيسابوري فعبارة هي التي تؤدي المعنى الذي قاله الاستاذ فانه قال بعد إبطال الاقوال المشهورة في تفسير أولي الامر : واذا ثبت أن حمل الآية على هذه الوجوه غير مناسب تعين أن يكون المعصوم كل الامة أي أهل الحل والعقد وأصحاب الاعتبار والآراء فالمراد بقوله وأولي الامر ما اجتمعت الامة عليه ، اه . فقلوه أهل الحل والعقد وأصحاب الاعتبار والآراء هو بمعنى قول الاستاذ الذي ادخل فيه امراء الجند اور و ساء المصالح وهذا هو المعقول لان مجموع هؤلاء هم الذين تثق بهم الامة وتحفظ مصالحها ، وباتفاقهم يؤمن عليها من التفرق والشقاق ولهذا أمر الله بطاعتهم لا لأنهم معصومون من الخطأ فيما يقررونه وقد رأينا ان ننقل بعض ما قاله الرازي لتصريحه فيه بما يسمونه اليوم في عرف أهل السياسة بسلطة الامة وتقنيده قول من قال ان المراد بأولي الامر الامراء والسلاطين وهو ما يتراف به المتزلفون اليهم حتى إنهم كانوا يتلون هذه الآية على مسامع السلطان عبد الحميد في كل صلاة جمعة على اننا قد صرحنا بهذه الحقائق في النار وفي التفسير من قبل

قال الرازي بعد تقرير كون الجزم بطاعة أولي الأمر يقتضي عصمتهم فيما يطاعون فيه مانصه : ثم نقول ذلك المعصوم إما مجموع الامة أو بعض الامة ، لاجاز ان

يكون بعض الامة لاننا بينا ان الله تعالى أوجب طاعة أولى الامر في هذه الآية قطعاً وإيجاب طاعتهم مشروط بكوننا عارفين بهم قادرين على الوصول اليهم والاستفادة منهم ، ونحن نعلم بالضرورة اننا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الامام المعصوم (أقول ومثله المجتهدون في الفقه : عاجزون عن الوصول اليهم) كذا عاجزون عن استفادة الدين والعلم منهم . واذا كن الامر كذلك علمنا ان المعصوم الذي أمر الله المسلمين بطاعته ليس بعضاً من أبعاض الامة ولا طائفة من طوائفهم ، ولما بطل هذا وجب ان يكون ذلك المعصوم الذي هو المراد بقوله « وأولي الامر » أهل الحل والعقد من الامة وذلك يوجب القطع بأن إجماع الامة حجة .

ثم ذكر أن الاقوال الماثورة عن علماء التفسير في أولى الامر أربعة (١) الخلفاء الراشدون (٢) أمراء السرايا أقول وهم قواد العسكر عند عدم خروج الامام فيه أي في العسكر (٣) علماء الدين الذين يقتون ويعلمون الناس دينهم (٤) الائمة المعصومون وعزاه الى الرافضة

ثم أورد على التفسير الذي اختاره ابراهيم أو سواين (أحدهما) لما كانت أقوال الامة في تفسير هذه الآية محصورة في هذه الوجوه وكان القول الذي نصرته خارجاً عنها كان ذلك بإجماع الامة باطلاً (السؤال الثاني) ان نقول حمل أولى الامر على الامراء والسلاطين أولى مما ذكرتم ويدل عليه وجوه (الاول) ان الامراء والسلاطين أوامرهم نافذة على الخلق فهم في الحقيقة أولو الامر أما أهل الاجماع فليس لهم أمر نافذ على الخلق فكان حمل اللفظ على الامراء والسلاطين أولى (والثاني) ان أول الآية وآخرها يناسب ما ذكرناه : أما أول الآية فهو انه تعالى أمر الحكام بأداء الامانات وبرعاية العدل وأما آخر الآية فهو انه أمر بالرد الى الكتاب والسنة فيما أشكل وهذا انما يليق بالامراء لا بأهل الاجماع (الثالث) ان النبي (ص) بالغ بالترغيب في طاعة الامراء فقال « من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني » وهذا ما يمكن ذكره من السؤال على الاستدلال .

(قال) : والجواب انه لانزع ان جماعة من الصحابة والتابعين حملوا قوله

« وأولي الامر منكم » على العلماء فإذا قلنا المراد منه جميع العلماء من أهل الحل والعقد لم يكن هذا قولاً خارجاً عن أقوال الامة بل كان هذا اختياراً لأحد أقوالهم وتصحيحاً له بالحجة القاطعة فاندفع السؤال الاول

وأما سؤالهم الثاني فهو مدفوع لأن الوجوه التي ذكروها وجوه ضعيفة والذي ذكرناه برهان قاطع فكان قولنا أولى على انا نفرض تلك الوجوه بوجوه أخرى أقوى منها (فأحدها) ان الامة مجمعة على ان الامراء والسلاطين إنما تجب طاعتهم فيما علم بالدليل انه حق وصواب وذلك الدليل ليس الا الكتاب والسنة فحينئذ لا يكون هذا قسماً منفصلاً عن طاعة الكتاب والسنة وعن طاعة الله وطاعة رسوله بل يكون داخلاً فيه ، كما ان وجوب طاعة الزوجة للزوج والولد للوالدين والتلميذ للاستاذ داخل في طاعة الله وطاعة الرسول . اما اذا حملناه على الاجماع لم يكن هذا القسم داخلاً تحتها لانه ربما دل الاجماع على حكم بحيث لا يكون في الكتاب والسنة دلالة عليه فحينئذ أمكن جعل هذا القسم منفصلاً عن القسمين الاولين فهذا أولى (وثانيها) ان حمل الآية على طاعة الامراء يقتضي إدخال الشرط في الآية لأن طاعة الامراء إنما تجب اذا كانوا مع الحق فاذا حملناه على الاجماع لا بدخل الشرط في الآية فكان هذا أولى (وثالثها) ان قوله من بعد « فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول » مشعر باجماع مقدم يخالف حكمه حكم هذا التنازع (ورابعها) ان طاعة الله وطاعة رسوله واجبة قطعاً وعندنا ان طاعة الاجماع واجبة قطعاً . وأما طاعة الامراء والسلاطين فغير واجبة قطعاً بل الاكثر أنها تكون محرومة لانهم لا يأمرون الا بالظلم وفي الاقل تكون واجبة بحسب الظن الضعيف فكان حمل الآية على الاجماع أولى لانه أدخل الرسول وأولي الامر في لفظ واحد وهو قوله « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر » فكان حمل أولى الامر الذي هو مقرون بالرسول على المعصوم أولى من حمله على الفاجر الفاسق (وخامسها) ان أعمال الامراء والسلاطين موقوفة على فتاوى العلماء والعلماء في الحقيقة أمراء الامراء فكان حمل لفظ « أولي الامر » عليهم « أولى »

(قل) وأما حمل الآية على الأئمة المعصومين كما تقوله الروافض ففي غاية

البعدلوجه (أحدها) ما ذكرناه ان طاعتهم مشروطة بمقتضى قدرة الوصول اليهم
فلو أوجب علينا طاعتهم قبل معرفتهم كان هذا تكليف مالا يطق ، ولو أوجب علينا
طاعتهم اذا صرنا عارفين بهم وبمذاهبهم صار هذا الایجاب مشروطا وظاهر قوله
« أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » يقتضي الاطلاق . وأيضاً ففي
الآية ما يدفع هذا الاحتمال وذلك انه أمر بطاعة الرسول وطاعة أولي الامر في لفظة
واحدة وهي قوله « وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » واللفظة الواحدة لا يجوز
ان تكون مطلقة ومشروطة معاً ، فلما كانت هذه اللفظة مطلقة في حق الرسول وجب
ان تكون مطلقة في حق أولي الامر (الثاني) انه تعالى أمر بطاعة أولي الامر ، وأولو
الامر جمع وعندهم لا يكون في الزمان الا إمام واحد وحمل الجمع على الفرد خلاف
الظاهر (وثالثها) انه قال « فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول » ولو كان
المراد بأولي الامر الامام المعصوم لوجب ان يقال فان تنازعتم في شئ فردوه الى
الامام . ثبت ان الحق تفسير الآية بما ذكرناه كلام الامام الرازي

أقول ان القائلين بالامام المعصوم يقولون ان فائدة اتباعه انقاذ الامة من ظلمة
الخلاف وضرر التنازع والتفرق وظاهر الآية بيان حكم المتنازع فيه مع وجود أولي
الامر وطاعة الامة لهم كأن يختلف أولو الامر في حكم بعض النوازل والوقائع ،
والخلاف والتنازع مع وجود الامام المعصوم غير جائز عند القائلين به لانه عندهم
مثل الرسول (ص) فلا يكون لهذه الزيادة فائدة على رأيهم

وحصر الرازي الاقوال المنقولة في الاربعة التي ذكرها غير مسلم فقد روي
عن مجاهد ان أولي الامر هم الصحابة وفي رواية عنه وعن مالك والضحالكوهي
مأثورة عن جابر بن عبد الله (رض) انهم أهل القرآن والعلم فان كان الرازي يعني
بأهل الاجماع المجتهدين على اصطلاح أهل الاصول فهم أهل العلم والقرآن وان
كان يعني بهم أهل الحل والعقد الذين ينصبون الامام الاعظم كما يفهم من تعبيره
الآخر فقد يوافق قوله ابن كيسان إن أولي الامر هم أهل العقل والرأي . وقلنا
نجد أحدا من المتأخرين قال قولاً إلا ونجد لمن قبله قولاً بمعناه ولكن القول اذا
لم يكن واضحاً مفصلاً حيث يحتاج الى التفصيل فانه يضيع ولا يفهم الجمهور المراد

منه . وهذا الرازي على إسبابه واطنا به في المسائل لم يحل المسألة كما يجب إذ عبر قارة بأهل الاجماع والمتبادر الى الذهن ان المراد به المجتهدون في المسائل الفقهية وقارة بأهل الحل والعقد والمتبادر الى الذهن انهم هم الذين يختارون الامام الاعظم وهذا ما فهمه أو اختاره النيسابوري وهو الصواب وبه يكون الرازي قد حقق مسألة الاجماع أفضل التحقيق كما سنبينه

قال السعد في شرح المقاصد « وتنفق الامامة بطرق احدها بيعة أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء ووجوه الناس » الخ . فأهل الحل والعقد الذين هم خواص الامة من العلماء ورؤساء الجند والمصالح العامة هم أولو الامر الذين تجب طاعتهم فيما يتفقون عليه لان عامة الناس ودعاهم يتبعونهم بارتياح واطمئنان ، ولانهم هم العارفون بالمصلحة التي يحتاج الى تقرير الحكم فيها ، ولأن اجتماعهم واتفاقهم ميسور ، ولاجل ذلك كان إجماعهم بمعنى إجماع الامة برمتها ، وهذه المعاني لا تتحقق باجماع المجتهدين في الفقه إن أمكن أن يعرفوا وأن يجتمعوا وأن تعلم الامة باجماعهم وتثق به اذا تمهد هذا فالآية مبنية أصول الدين وشريعته والحكومة الاسلامية وهي

(الاصل الاول) القرآن الحكيم والعمل به هو طاعة الله تعالى

(الاصل الثاني) سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعمل بها هو

طاعة الرسول (ص)

(الاصل الثالث) إجماع أولي الامر وهم أهل الحل والعقد الذين تثق بهم الامة من العلماء والرؤساء في الجيش والمصالح العامة كالتجارة والصناعة والزراعة وكذا رؤساء العمال والحزاب ومديرو الجرائد المحترمة ورؤساء نحريرها وطاعتهم حينئذ هي طاعة أولي الامر

(الاصل الرابع) عرض المسائل المتنازع فيها على القواعد والاحكام العامة المعلومة في الكتاب والسنة وذلك قوله تعالى « فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول » فهذه الاصول الاربعة هي مصادر الشريعة ولا بد من وجود جماعة يقومون بعرض المسائل التي يتنازع فيها على الكتاب والسنة وهل يكونون من أولي الامر

(المتار ج ١٢) = (١١٢) (المجلد الثالث عشر)

أو بمن يختارهم اولو الامر من علماء هذا الشأن سيأتي بيان ذلك قريباً
ويجب على الحكام الحكم بما يقرره اولو الامر وتنفيذه وبذلك تكون الدولة
الاسلامية مؤلفة من جماعتين أو ثلاث ، الاولى جماعة الميئين للحكام الذين يعبر
عنهم أهل هذا العصر بالهيئة التشريعية والثانية جماعة الحاكمين والمنفذين وهم الذين
يطلق عليهم اسم الهيئة التنفيذية . والثالثة جماعة المحكمين في التنازع ويجوز أن تكون
طائفة من الجماعة الأولى

ويجب على الامة قبول هذه الاحكام والخضوع لها مسرعا وجها ، وهي لا تكون
بذلك خاضعة خائفة لاحد من البشر ولا خارجة من دائرة توحيد الربوبية الذي
شعاره إنما الشارع هو الله ، « إن الحكم الا لله أمر ان لا تعبدوا الاياه » فانها لم
تعمل الا بحكم الله تعالى أو حكم رسوله (ص) بأذنه أو حكم نفسها الذي استنبطه
ها جماعة أهل الحل والعقد والعلم والخبرة من أفرادها الذين وثقت بهم واطمأنت
باخلاصهم وعدم انفاقهم الا على ما هو الاصلح لها فهي بذلك تكون خاضعة
لوجدانها لا لشعر باستبداد أحد فيها ، ولا باستبداله واستعبادها لها ، بل يصدق
عليها مادامت لحكومتها على هذا الوجه بقية انها أعز الناس نفوسا وأرفعهم رءوسا
وان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين

ولا بد لنا قبل ان نحرر مسألة التنازع من فتح باب البحث في اجتماع أولي
الامر وتقريرهم للاحكام في المصالح العامة التي تحتاج اليها الامة فقد علمنا ان أولي
الامر معناه أصحاب أمر الامة في حكمها وإدارة مصالحها وهو الامر المشار اليه في
قوله تعالى (٣٨: ٤٢) وأمرهم شورى بينهم) ولا يمكن أن يكون شورى بين جميع
أفراد الامة فتمين ان يكون شورى بين جماعة تمثل الامة ويكون رأيها كراي مجموع
أفراد الامة لهم بالمصالح العامة وغيبتهم عليها ولما لساأ أفراد الامة من الثقة بهم
والاطمئنان بحكمهم ، بحيث تكون بالعمل به عاملة بحكم نفسها وخاضعة لقلبها وضميرها
وما هو لاء الا أهل الحل والعقد الذين تكرر ذكرهم في هذا السياق . ولكن كيف
يجتمع هؤلاء ومن يجمعهم ولماذا لم يوضع لهم نظام في الاسلام كنظام مجالس الشورى
التي تسمى مجالس النواب في عرف أهل هذا العصر

بمخالف في هذه المسألة في تفسير (٣: ١٥٩) وشاورهم في الامر) فبينما الحكم والاسباب لعدم وضع النبي (ص) هذا النظام وكيف كانت خلافة الراشدين بالشورى بحسب حال زمنهم وكيف أفسد الامويون بعد ذلك حكومة الاسلام وهدموا قواعدها وسنوا للمسلمين سنة الحكومة الشخصية المؤيدة بمصيبة العالم فعليهم وزرها ووزر من عمل ويعمل بها الى يوم القيامة . وصفوة ما هالك أن هذا الامر يختلف باختلاف أحوال الامة الاجتماعية في الزمان والمكان فلم يكن من الحكمة أن يوضع له نظام موافق لحال الصدر الاول وحدهم والمسلمون قليل من العرب وأولو الامر فيهم محصورون في الحجاز ويعمل عاما لكل زمان ، ولو وضعه النبي (ص) لانتخذه ديناً وتقيدوا به في كل زمان ومكان وهو لا يمكن أن يوافق كل زمان ومكان ، ولكان اذا عمله باجتهاده غير عامل بالشورى واذا عمله بالشورى جاز ان يكون رأي المستشارين مخالفاً لرأيه كما وقع في غزوة أحد فيكون رأيهم قياداً للمسلمين مدى الدهر ويتخذونه ديناً كما اتخذوا كثيراً من آراء الفقهاء (راجع تفصيل ذلك في ص ٢٠٠ وما بعدها من جزء التفسير الرابع أو في المآراج)

فلا امر الذي لا ريب فيه ان الله تعالى هدانا الى أفضل وأكل الاصول والقواعد لتبني عليها حكومتنا ونقيم بها دولتنا وוכל هذا البناء البناء أعطانا بذلك الحرية التامة والاستقلال الكامل في أمورنا الدنيوية ومصالحنا الاجتماعية . وذلك أنه جعل أمرنا شورى بيننا ينظر فيه أهل المعرفة والمكانة الذين تثق بهم ويقررون لنا في كل زمان ما نقوم به ومصالحنا وتسعد أمتنا لا يتقيدون في ذلك بقيد الا هداية الكتاب العزيز والسنة الصحيحة الميمنة له وليس فيهما قيود تمنع سير المدنية أو ترهق المسلمين عسراً في عمل من الاعمال ، بل أساسهما اليسر ، ورفع الحرج والعسر ، وحظر الضرر ، وإباحة النافع ، وكون ما حرم لذاته يباح للضرورة ، وما حرم لسد الذريعة يباح للحاجة ، ومراعاة العدل لذاته ، ورد الامانات الى أهلها ، ولكننا مارعينا هذه الهداية حق رعايتها ففقدنا أنفسنا بألوف من القيود التي اخترعناها وسميناها ديناً ، فلما أقعدتنا هذه القيود عن مجارة الامم في المدنية والعمران صار حكامنا الذين خرجوا بنا عن هذه الاسس والاصول المقررة في الكتاب والسنة فريقين فريقاً

رضوا بالعود واختاروا الموت على الحياة توهمها منهم أنهم بمحافظتهم على قيودهم التقليدية يحفظون على الاسلام ، قائلين ان الموت على ذلك خير من الحياة باتباع غير المسلمين في أصول حكومتهم ، و فريقا رأوا انه لا بد لهم من تقليد غير المسلمين في قوانينهم الاساسية أو الفرعية ، فكان كل من الفريقين بجعله حجة على الاسلام في الظاهر ، والاسلام حجة عليهم في الحقيقة ، فكتاب الله حي لا يموت ، ونوره متألق لا يخفى ، وان جعلوا بينه وبينهم ألف حجاب (٦ : ١٩٤ قل فله الحجة البالغة)

ليس بين القانون الاساسي الذي قرره هذه الآية على إنجازها وبين القوانين الاساسية لأرقى حكومات الارض في هذا الزمان الفرق يسير نحن فيه أقرب الى الصواب وأثبت في الاتفاق منهم اذا نحن عملنا بما هداها اليه ربنا : هم يقولون ان مصدر القوانين الامة ونحن نقول بذلك في غير المنصوص في الكتاب والسنة كما قرره الامام الرازي آتفا والمنصوص قليل جدا

وهم يقولون انه لا بد ان ينوب عن الامة من يمثلها في ذلك حتى يكون ما يقررونه كأنها هي التي قرره ونحن نقول ذلك أيضا كما علمت

وهم يقولون ان ذلك يعرف بالانتخاب ولهم فيه طرق مختلفة ونحن لم يقيدنا القرآن بطريقة مخصوصة فلنا ان نسلك في كل زمن ما نراه يؤدي الى المقصد ، ولكنه سمى هؤلاء الذين يمثلون الامة أولى الامر أي أصحاب الشأن في الامة الذين يرجم اليهم في مصالحها وتطمئن هي باتباعهم وقد يكونون محصورين في مركز الحكومة في بعض الاوقات كما كانوا في الصدر الاول من الاسلام فالسنة الذين اختارهم عمر للشورى في انتخاب خلف له كانوا هم أولى الامر ولذلك اجتمعت كلمة الامة بانتخابهم ولو بايع غيرهم أميرا لم يبايعوه لان شقت المصاوت فرقت الكلمة ، وقد يكونون متفرقين في البلاد فلا بد حينئذ من جمعهم ولهم ان يضعوا قانونا لذلك وهم يقولون ان هؤلاء اذا اتفقوا وجب على الحكومة تنفيذ ما يتفقون عليه وعلى الامة الطاعة ولهم ان يسقطوا الحاكم الذي لا ينفذ قانونهم ونحن نقول بذلك وهذا هو الاجماع الحقيقي الذي نعمة من أصول شرعنا

وهم يقولون انهم اذا اختلفوا بحجب العمل برأي الاكثر وظاهر الآية على

ما اختاره الاستاذ الامام ان ما يخالفون فيه عندنا يرد الى الكتاب والسنة ويعرض على اصولها وقواعدها فيعمل بما يتفق منهما . ونحن نعلم كما يعلمون ان رأي الاكثرين ليس اولى بالصواب من رأي الاقلين ولا سيما في هذا الزمان حيث يتكون الاكثر من حزب ينصر بعض افراده بعضا في الحق والباطل ويتواضعون على اتباع اقلهم لا اكثرهم في خطاهم . فاذا كان اعضاء المجلس مثنين منهم مئة وعشرة يتبعون حزبا من الاحزاب واراد زعماء هذا الحزب تقرير مسألة فاذا اقموا بالدليل أو النفوذ ستين منهم يتبعهم الخمسون الآخرون وان كانوا يعتقدون خطاهم فاذا خالفهم سائر أهل المجلس يكون عدد الذين يعتقدون بطلان المسألة ١٤٠ والذين يعتقدون حقيقتها ستين وهم اقل من النصف وتنفذ برأيهم

الا كثرية لا تستلزم الحقبة والاصابة في الحكم ولا هي بالتي تطمئن الامة الى رأيها فر بما كان الا كثرون الذين يقررون مسألة مالية أو عسكرية مثلا ليس فيهم العدد الكافي من العارفين بها فيظهر للجمهور خطاها فتزلزل ثقته بمجلس الامة ويفتح باب الخلاف والفرق ويخشى أن تتألف الاحزاب للمقاومة فاما أن يكره الجمهور المخالف على القبول لكرهاه وحينئذ يكون الحكم للعصية الغالبة ، لا للامة المتحدة ، وإما أن تتطاع روس الفتن وهذا ما يجب اتقاؤه وسد ذريعته في أساس الحكم وأصول السلطة لئلا تنهك الامة بقيام بعضها على بعض ويكون بأسها بينها شديدا فيتمكن بذلك الاعداء من مقاتلتها وقد نهينا في الكتاب والسنة عن الفرق والتنازع والخلاف التي تؤدي الى مثل هذا البلاء .

فتبين بهذا حكمه عرض المسائل التي يتنازع فيها أولو الامر على جماعة يردونها الى الكتاب والسنة ويحكمون فيها بقواعدها التي أشرنا الى بعضها آنفا فان الامة كلها ترضى بفصل هذه الجماعة عند ما تؤيده بدليله ، وهل تكون هذه الجماعة من علماء الدين فقط أم من طبقات أولي الامر المختلفة ؟ للمفسرين في المخاطبين بقوله تعالى « فان تنازعتم في شئ فمن شأنه » قولان مشهوران (احدهما) أنهم أولو الامر على طريق الالتفات عن الغيبة الى الخطاب . وعلى هذا يكون أولو الامر مخبرين في طريقة رد الشيء المتنازع فيه الى الله والرسول بين أن يكون ذلك بواسطة بعض منهم أو من غيرهم

بشرط أن يكونوا عالمين بالكتاب والسنة والمصالح العامة فإن اتضح الامر برده الى الكتاب والسنة لوضوح دليله وجب العمل به حتماً وإلا كان المرجح هو الامام الاعظم كما تدل عليه السنة في ترجيح النبي (ص) لما اختلف فيه الصحابة بيد واحد، وعلى أي شيء يبني ترجيحه ؟ الذي ظهر لي ان النبي (ص) رجح في أحد رأيي الا كثيرين مخالفاً لرأيه ، ورجح في بدر الرأي الموافق لرأيه ولم يكن هناك أكترية ظاهرة ، فيجب أن يراعي الامام ذلك . ولا مجال في هذا للتفرق والخلاف

والقول الثاني ان المخاطبين هم غير أولي الامر أي العامة ومصرح بعضهم بأن هذا يختص بامر الدين فهو الذي لا يعمل فيه برأي أولي الامر والاولي أن يقال هم مجموع الامة وعلى هذا يكون للامة أن تقيم من يحكم فيما يختلف فيه أولو الامر برده الى الكتاب والسنة ويأتي هنا ما ذكرناه آنفاً في الاتفاق والاختلاف

والتنازع من النزع وهو الجذب لان كل واحد من المختلفين يجذب الآخر الى رأيه أو يجذب حجته من يده ويليقي بها . والمسائل الدينية لا ينبغي أن يكون فيها تفرق ولا خلاف « اقيموا الدين ولا تفرقوا فيه » لان العمل فيها بالنص لا بالرأي كما تقدم ويؤيد القول الاول آية الاستنباط الآتية وهي قوله تعالى « واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » فبين أن ما ينظر فيه أولو الامر هو المسائل العامة كمسائل الأمن والخوف وان العامة لا ينبغي لها الخوض في ذلك بل عليها ان ترده الى الرسول وإلى أولي الامر وان من هؤلاء من يتولى أمر استنباطه واقناع الآخرين به . وهذه الآية تنفي أن يكون أولو الامر هم الملوك والامراء لانه لم يكن مع الرسول ملوك ولا أمراء ، وان يكونوا هم العارفين بأحكام الفتوى فقط لان مسائل الأمن والخوف وما يصلح للامة في زمن الحرب يحتاج فيه الى الرأي الذي يختلف باختلاف الزمان والمكان ولا يكفي فيه معرفة أصول الفقه وفروعه ولا الاجتهاد بالمعنى الذي يقوله علماء الاصول وقد بينا ذلك في مواضع كثيرة

قال تعالى ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ أي أطيعوا الله وأطيعوا

الرسول الخ أو ردوا الشيء المتنازع فيه الى الله ورسوله بعرضه على الكتاب والسنة إن كنتم تؤمنون بالله الخ فإن المؤمن لا يؤثر على حكم الله شيئا والمؤمن باليوم الآخر بهم بمجزاء الآخرة أشد من اهتمامه بحفظ الدنيا فلو كان له هوى في المسألة المتنازع فيها فإنه يتركه لحكم الله ابتغاء مرضاته ومثوبته في اليوم الآخر وفيه تعريض أو دليل على أن من لا يؤثر اتباع الكتاب والسنة على أهوائه وحظوظه ولا سيما في مسائل المصالح العامة فيه لا يكون مؤمنا بالله واليوم الآخر إيمانا يعتد به

﴿ ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ هذا بيان لفائدة هذه الاحكام أو هذا الرد في الدنيا بعد بيان فائدته في الآخرة كما هو اللائق بدين الفطرة الجامع بين مصالح الدارين . أي ذلك الذي شرعناه لكم في تأسيس حكومتكم واصلاح أمركم أو ذلك الرد للشيء المتنازع فيه الى الله ورسوله خير لكم في نفسه لانه أقوى أساس لحكومتكم والله أعلم منكم بما هو خير لكم فلم يشرع لكم في كتابه وعلى لسان رسوله من الاصول والقواعد الا ما هو قيام لمصالحكم ومنافعكم ، وهو على كونه خيرا في نفسه أحسن تأويلا أي مالا وعاقبة لانه يقطع عرق التنازع ، ويسد ذرائع الفتن والمفاسد الاستاذ الامام : قيل ان الشرط متعلق بالخير وهو الرد الى الله والرسول والغرض منه تذكيرهم بالله حتى لا يستعملوا شهواتهم وحظوظهم في الرد وقيل متعلق بكل ما تقدم من طاعة الله وطاعة الرسول وأولي الامر ، وهو الظاهر وجهور المفسرين على انه تهديد من الله تعالى لمن يخالف أمرا من هذه الاوامر وإخراج له من حظيرة الايمان ، ومعني كونه خيرا انه أنفع من كل ماعداه ولو جرى المسلمون عليه لما أصابهم ما أصابهم من الشقاء فقد رأينا كيف سعد المهتدون به وكيف شقي الذين أعرضوا عنه واستبدوا بالامر وأما كونه أحسن تأويلا فهو أن الاوامر والاحكام انما تكون صورا معقولة وعبارات مقولة حتى يعمل بها فتظهر فائدتها وأثرها ، فعلنا بالآخرة ليس الا صورا ذهنية لانعرف الحقائق التي تنطبق عليها الا اذا صرنا اليها

أقول تلك اصول الشريعة الاسلامية المدنية السياسية القضائية لا ترى فيها عوجا ولا أمثا ، ولا تبصر فيها غلا ولا قيذا ، وليس فيها عسر ولا حرج ، ولا مجال فيها

للاضطراب والهرج ، ولكن لم يعمل بها الا الخلفاء الراشدون عليهم السلام الرضوان ، بحسب ما اقتضته حال الامة في ذلك الزمان ، فكانوا مع ذلك حجة الله على نوع الانسان ، اذ لم تكتحل بمثل عدلهم عين الدنيا الى الآن ،

واذا كان الله تعالى قد اكمل لنا بالاسلام دين الانبياء اصولا وفروعا ووضع لنا اصول الكمال للشريعة المدنية واكل بنا أمر الترقى فيها بمراعاة تلك الاصول فكان ينبغي لنا بعد اتساع ملك الاسلام ودخول الممالك العامرة التي سبقت لها المدنية في دائرة سلطانه ان نرتقي في نظام الحكومة المدنية ويكون خلفا فيها ارقى من سلفنا لما لاخلف من اسباب ووسائل هذا الترقى ولكنهم حولوا الحكومة عن اساس الشورى كما تقدم واضاعوا الاصول التي امروا باقامتها في هذه الالة فخرى اكثرهم على ان اولي الامر هم افراد الامراء والسلاطين ، وان كانوا جائرين ، ومنهم من قال انهم العلماء المجتهدون في الفقه خاصة ثم قالوا انهم قد انقرضوا وانه لا يجوز ان يخلفهم احد وان الاجماع خاص بهم وكذلك استنباط الاحكام الفرعية خاص بهم ، ومما اشتدت حاجة المسلمين الى استنباط احكام لوقائع واقضية جديدة فلا يجوز لاحد ان يستنبط لها حكما ، وان ما تنازع فيه المسلمون لا يجوز رده الى الله ورسوله بعرضه على الكتاب والسنة والعمل بما يهديان اليه بل يجب ان يقلد كل طائفة من المسلمين من شاؤوا من المختلفين في الاحكام الشخصية ويتبعوا الحكماء في غيرها ، ولا ضرر في اختلافهم وتفرقهم شيئا وان تفرقت كلمتهم في الاحكام والقضايا وفي العبادات حتى صار الحنفي يكثر في المسجد وامام الشافعية يصلي الصبح بالمتنسين الى مذهبه فلا يصلي هذا الحنفي حتى يجي امام مذهبه فياتم به

وقف المسلمون في دينهم وشريعتهم عند الكتب التي ألفها المقلدون في القرون الوسطى وما بعدها ولكن الزمان ما وقف حتى صار حكماءهم فريقين كما تقدم وصار الناس ينسبون كل ما هم عليه من الضعف والوهن والجهل والفقر الى دينهم وشريعتهم وسرى هذا الاعتقاد الى الذين يتعلمون علوم اوروبا وقوانينها ففهم من مرق من الاسلام وفضل تلك القوانين على الشريعة ، اعتقادا منهم ان الشريعة هي ما يعرفه من كتب الفقه وهو لا يعرف من القرآن ولا من السنة شيئا ، ومنهم من تركوا العمل

بهذا الفقه في السياسة وأحكام المعقوبات وأحكام المعاملات المدنية واستبدل بها القوانين الاوربية ، فصارت حكومتهم أمثل مما كانت عليه فقويت بذلك حجة أهل القوانين الوضعية على أهل الشريعة الالهية فظنوا انها حجة على الشريعة نفسها وقام طلاب إصلاح الحكومة في الدولتين العثمانية والبرانية من المتفرجين يطلبون تقليد الافرنج في إصلاح قوانين حكومتها لانهم جاهلون بما في القرآن الحكيم من أصول حكومة الشورى وتقوى يضها الى أولى الامر الذين تثق بهم الامة وتعمل على رأيهم اذا كان قهواً ولا يبالون بما يقول فينا أهل مصر لاجلهم ولاجل بعض كتب الفقه فيجب أن يبالوا ولا يرضوا بأن ينسب الجود الى أصل الشريعة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) نعم انهم لا ينكرون هذه الأصول ولكنهم يقولون إنه لا يوجد في المسلمين الآن ولا قبل الآن بقرون من هم أهل للاجماع ولا لاستنباط الاحكام التي تحتاج اليها الامة من الكتاب والسنة . ومادام المسلمون راضين بهذا الحكم عليهم فان حالم لا تتغير فان الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (للتفسير بقية)

فَتَاوِي الْمُبْتَائِنِ

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورماداً من امتاخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مفي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا اغفاله

﴿ افتراق الامة الاسلامية والفرقة الناجية ﴾

(من ٥٥) من صاحب الامضاء الرمزي في (شانكين - سومطرا)

سلام الله عليكم . والرجاء من سيادتكم إيضاح ما ابهم ولكم من الله الاجر . يزعم بعضهم ان افتراق الامة الى شيع أمر لازب اخبر به النبي صلى الله (المتارج ١٢) (١١٣) (المجلد الثالث عشر)

عليه وآله وسلم . في حديث « ستفترق أمي الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار لا فرقة » رواه الطبراني .

وبناء عليه فلا مطمع في توحيد كلمتهم وإصلاحهم بل لا يزالون مختلفين . وقد سألناهم عن الفرقة الناجية فقالوا هي المتبعة لمذاهب الأئمة الأربعة المشهورة . فمن عاد عن أحد هذه المذاهب فهو ولا شك (بزعمهم) في الدنيا من المغبونين وفي الآخرة من الخذولين . (هذا ما تقوله حجة التقليد والأقرب انه آخر سهم في الكبتانة)

فأقولكم سيدي في الحديث . هل هو صحيح متواتر أم مطعون في الزيادة الأخيرة كما أشار إليها الأستاذ الحكيم السيد أبو بكر بن شهاب من أبيات نشرت في الم - ٧ - ص ٤٢٦ من المنار وهي .

وحديث تفترق النصارى واليهود وأممي فرقا روى الطبراني
لكن زيادة كلها في النار لا فرقة لم تخل عن طعان
فتفضلوا علينا بالبيان الشافي المعهود من حضرتكم لازلم خير خلف لخير سلف
ح . م . في - شانيكين - (سمعوا)

(ج) أما افتراق الأمة الإسلامية فهو واقع بالفعل ولكن لا يوجد دليل من القرآن ولا من الحديث يدل على اليأس من اتفاقهم في الأمور العامة والأخوة الإسلامية والتعاون على مقاومة من يعاديههم كلهم وعلى ما ينفعهم كلهم وان ظلوا مختلفين في كثير من المسائل بأن يكونوا في اختلافهم على هدي السلف الصالح في عذر بعضهم لبعض واتقاء التكفير والعدوان

وأما الحديث الوارد في الافتراق فقد رواه غير واحد من الحفاظ منهم أحمد وأبو داود والترمذي وهو في الجامع الصغير بلفظ « افتقرت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافتقرت النصارى على اثنتين وسبعين وتفترق أممي على ثلاث وسبعين » رواه أحمد عن أبي هريرة . أقول ورواه الترمذي عنه بلفظ « تفرقت » ثم قال : في الباب عن سعيد وعبد الله بن عمرو وعوف بن مالك حديث حسن صحيح . حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو داود الجفري عن سفيان عن عبد الرحمن بن زياد

الافريقي عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله (ص) ليأتين على أمتي مأتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل - الى أن قال (ص) - وان بني اسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة كلهم في النار الا ملة واحدة « قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال « ما أنا عليه وأصحابي » هذا حديث حسن غريب مفسر لانعرفه مثل هذا الا من هذا الوجه اه كلام الترمذي فهذه الرواية التي نعين الفرقة الناجية بشيء من القوة في إسنادها عبد الرحمن بن زياد الافريقي رواها وهو قاضي افريقية قال فيه الامام احمد ليس بشيء نحن لا نروي عنه شيئاً وقال النسائي ضعيف في الثقات . وقال بعضهم لا بأس به وقال ابن حبان انه يروي الموضوعات عن الثقات ولما نقل الذهبي عنه هذا القول قرنه بقوله « فأسرف » وروي بأسانيد أضعف من هذه وأوهى فالرواية اذا لم تخل من طعن فيها

ورواه الحاكم في صحيحه وما انفرد الحاكم بتصحيحه لا يسلم من مقال أيضا ولكن قال في المقاصد ان الحديث حسن صحيح يعني بزيادة كلهم في النار الا فرقة واحدة وروي بلفظ كلهم في الجنة الا فرقة واحدة . فستل عنها فقال الزنادقة والقدرية . رواه العقيلي والدارقطني وهو موضوع وضعه ابن الاشرس وفي شرح عقيدة السفاريني مانعه : ذكر أبو حامد الغزالي في كتاب التفرقة بين الاسلام والزندقة ان النبي (ص) قال « ستفترق أمتي نيفا وسبعين فرقة كلهم في الجنة الا الزنادقة وهي فرقة (؟) » هذا لفظ الحديث في بعض الروايات قال وظاهر الحديث يدل على انه أراد الزنادقة من أمة إذ قال « ستفترق أمتي » ومن لم يعترف بنبوته فليس من أمة ، والذين ينكرون المعاد والصانع فليسوا معترفين بنبوته إذ يزعمون ان الموت عدم محض وان العالم كذلك لم يزل موجودا بنفسه من غير صانع ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وينسبون الانبياء الى التليس فلا يمكن نسبتهم الى الامة انتهى

« قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الاسكندرية اما هذا الحديث فلا أصل له بل هو موضوع كذب باتفاق أهل الحديث المعروفين بهذا اللفظ بل الذي في كتب السنن والمساند عن النبي (ص) من وجوه إنه قال « ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثلاث وسبعون في النار » وروي عنه انه قال

« هي الجماعة » وفي حديث آخر « هي من كان على مثل ما أنا اليوم عليه وأصحابي » وضعفه ابن حزم لكن رواه الحاكم في صحيحه وقد رواه أبو داود والترمذي وغيرهم . قال : وأيضاً لفظ الزندقة لا يوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يوجد في القرآن . وأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في توبته قبولاً ورداً فالمراد به عندهم المنافق الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر اهـ

« قلت » وقد ذكر الحديث الذي ذكره الفزالي الحافظ ابن الجوزي في الموضوعات وذكر أنه روي من حديث أنس ولفظه « تفترق أمي على سبعين أو إحدى وسبعين فرقة كلهم في الجنة إلا فرقة واحدة » قالوا يا رسول الله من هم ؟ قال « الزنادقة وهم القدرية » أخرجه العقيلي وابن عدي ورواه الطبراني أيضاً . قال أنس كنا نراه القدرية . قال ابن الجوزي وضعه برد بن اشرس وكان وضاعاً كذاباً وأخذه عنه ياسين الزيات فقلب أسناده وخلطه وسرقه عثمان بن عفان القرشي وهؤلاء كذابون متروكون

« وأما الحديث الذي أخبر النبي (ص) أن أمته ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة واثنان وسبعون في النار فروي من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبي الدرداء ومعاوية وابن عباس وجابر وأبي أمامة ووائل وعوف بن مالك وعمرو بن عوف المزني فكل هؤلاء قالوا واحدة في الجنة وهي الجماعة . ولفظ حديث معاوية ما تقدم فهو الذي ينبغي أن يعول عليه دون الحديث المكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم اهـ ما أورده السفاريني

أقول حديث معاوية الذي أشار إليه رواه عنه أحمد والطبراني والحاكم بلفظ « أن أهل الكتاب ائترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة وان هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة » وفيه زيادة عزها السفاريني إلى أبي داود فقط وهي « وانه ستخرج في أمي أقوام تتجاري بهم الأهواء كما يتجاري الكلب بصاحبه فلا يبقى منهم عرق ولا مفصل إلا دخله » وهذا أمثل ما رواه الحاكم من ألفاظ هذا الحديث وسنده لا يسلم من مقال ورواه بغير

هذا الانظ عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن ابيه عن جده . وكثير هذا طعنوا فيه حتى قال الشافعي وابو داود انه ركن من أركان الكذب وقال ابن حبان له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة وذكر الذهبي ان العلماء لا يمتدنون على تصحيح الترمذي لأنه روى عنه حديث « الصلح جائز بين المسلمين » وصححه

وجملة القول ان تمدد طرق هذا الحديث يقوي بعضها بعضا على طريقته المتبعة في ذلك وأظن انه لا تسلم رواية منها عن طعان أو مقل كما قال ابن شهاب خلافا لمن اعتمد تصحيح الحاكم لبعضها وكلها مشكلة مخالفة للاحاديث الصحيحة كما يأتي وأما معنى الحديث بصرف النظر عن سنده فهو ان الفرقة الناجية هي الفرقة التي تبقي السنة التي كان عليها النبي (ص) وأصحابه أي سنة السلف الصالح قبل ظهور البدع وهؤلاء هم الجماعة قلوا أم كثروا وهم لا ينحصرون في هذا الزمان بأهل مذهب معين من المذاهب المعروفة على ان أهل الاثر والحنابلة أقرب من غيرهم الى السنة وابتعد عن البدعة وذلك ان المسائل التي اختلف فيها أهل المذاهب لا ينحصر الحق فيها في مذهب دون غيره فتارة يكون الصواب مع الاشعرية وتارة مع الماتريديّة فيما يختلفان فيه وقل مثل هذا في خلاف المعتزلة والشيعة وغيرهم وفي الفروع وسائر المذاهب . ثم ان المتبعين الى هذه المذاهب ليسوا متبعين لانتمائها حق الاتباع فيكون أتباع المصيب هم الفرقة الناجية . فالظاهر ان الناجين في كل زمان هم أهل الاتباع الذين يتقون الابتداع ولا يخلو المنتسبون الى مذهب من المذاهب المعتد بها في الاسلام عن طائفة أو افراد منهم يؤثرون السنة على كل بدعة وبجموعهم طائفة واحدة يجمعهم الاعتصام بالكتاب والسنة (ثلة من الاولين ، وقليل من الآخرين) وقد عد بعضهم هذا الحديث مشكلا وتوسع الشيخ صالح المقبلي في بيان هذا الاشكال وحله في كتابه العلم الشامخ واننا نلخص منه ما يأتي

قال « والاشكال في قوله كلها في النار الامة فمن المعلوم انهم خير الامم وان المرجو أن يكونوا نصف أهل الجنة مع أنهم في سائر الامم كالشعره البيضاء في الثور الاسود أو كالشعره السوداء في الثور الابيض حسبما صرحت به الأحاديث فكيف يتمشى هذا ؟ فبعض الناس تكلم في ضعف هذه الجملة وقال هي زيادة غير ثابتة وبعضهم تأول

الكلام بأن الفرقة الناجية صالحو كل فرقة وهو كلام مستقضى لان الصلاح ان
رجع الى محل الاقتراق فهم فرقة واحدة لأفراد من الفرق وان رجع الى غير ذلك
فلا دخل له لان الكلام انهم في النار لأجل الاقتراق وما صاروا به فرقا

« ثم ان الناس صنفوا في هذا المطلب وأخذوا في تعداد الفرق ليباغوا بها الى ثلاث
وسبعين ثم يحكم كل منهم لنفسه ومن واقفه بأنه الفرقة الناجية وانما يصنعون ذلك لادعاء
كل منهم انه على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ثم صرح بذلك
صلى الله عليه وآله وسلم ثم اتفق عليه جميع الفرق الاسلامية انما ينحصر النظر فيمن
الباقى على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ومن المعلوم ان ليس
المراد ان لا يقع منها أدنى اختلاف فان ذلك قد كان في فضلاء الصحابة انما الكلام
في مخالفة نصير صاحبها فرقة مستقلة ابتدعها

« واذا حققت ذلك فهذه البدع الواقعة في مهمات المسائل وفيما يترتب عليه
عظائم المفساد لا تكاد تنحصر ولكنها لم تخص معينا من هذه الفرق التي قد تحزبت
والثام بعضهم الى قوم وخالف آخرون بحسب مسائل عديدة حتى ادخلوا نوادر
المسائل وما لاضرر في مخالفته فرما لم يكن من مهمات الدين أولم يكن من الدين في
شيء ولكن كل تسمى باسم مدح اخترعه لنفسه وصاروا يعملون المسائل شعارا لهم
من دون نظر في مكانة تلك المسألة في الدين والخوارج يسمون نفوسهم الشراة
والاشاعة يسمون نفوسهم أهل السنة والمعتزلة يسمون نفوسهم العدلية أو أهل
العدل والتوحيد لان خصمهم يثبت الصفات أمورا مستقلة فليسوا بموحدين أولاتهم
مشبهة اما صريحا أو إلزاما ونحو ذلك مما تخبرك به كتب المقالات والكلام . والانصاف
ان كلا منهم قد اخترع ما لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة
رضي الله عنهم واختلفت البدع فمن كبير وأكبر وصغير وأصغر وما بينهما اغني الكبير
والصغير اللغويين لا الاصطلاحيين فذلك مما لا سبيل اليه الا بالتوقيف والمفروض ان
هذه أشياء مخترعة فكيف التوقيف على ما لم يذكر بنفي ولا إثبات انما غايته ان يكون
دخل في عموم نهي أو نحو ذلك فتعين الفرق وتعدادها فرقة فرقة وانها هي التي
أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا سبيل اليه ألبتة انما تكلموا فيها خطبا

وجزافا سهل لهم ذلك وجرائمهم عليه البدعة الاولى التي خالفوا بها السنة
 « فان قلت ومن ذا الذي بقي على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 وأصحابه ولم يشارك الناس في تحزبهم وابتداعهم (قلت) اما في العصور المتقدمة فكان
 ذلك هو الغالب وما زالوا من عام الى عام يردلون وأما الآن في زمن الغربة فأما
 من يرجع اليه في مسائل الدين وهم المتفقهة ففي غاية القلة وبذلك تصدق الغربة
 لان العلماء هم المعتد بهم وبهم يصير الدين غريبا وأهيبا على انهم قد قلوا في أنفسهم
 لا تكاد تجد اليوم مدعيا عنده ينة، وأما الاعصار المتوسطة من المئتين الى سبع مئة
 تقريبا ففيها ثورة العلماء وجلة الجهابذة الحكماء وما شئت ان تأخذ منهم من خير وشر
 وجدته أما الخير فبتحقيق فنون العلم وبثها وأما الشر فبتأييد الفرقة »

ثم انه قسم الناس الى عامة وخاصة وقال ان العامة ومنهم النساء والعبيد براء
 من البدعة ولا يسمون أهل السنة أيضا بل يسمون مسلمين

قال « وأما الخاصة فمنهم مبتدع اخترع البدعة وجعلها نصب عينيه وبلغ
 في تقويتها كل مبلغ وجعلها أصلا يرد اليها صرائح الكتاب والسنة ثم تبعه أقوام من
 نمطه في الفقه والتعصب وربما جددوا بدعته وفرعوا عليها وحملوه ما لم يتحملة ولكنه
 امامهم المقدم وهؤلاء هم المبتدعة حقا لكن تختلف تلك البدعة في كونها ذات مكانة
 في الدين أم لا »

ثم ذكر ان من الناس من تبع هؤلاء وناصرهم وقوى سوادهم بالتدريس
 والتصنيف ولكنه عند نفسه راجع الى الحق وقد دس في تلك الابحاث قوضها
 لكن على وجه خفي لغرض . ومنهم من تدرب في كلام الناس وعرف أوائل الابحاث
 وحفظ كثيرا من غناء ما حصلوه ولكن أرواح البحث بينه وبينها حائل لقصور الهمة
 والرضا من الأوائل قال « وهؤلاء هم الاكثرون عددا والارذلون قدرا فانهم لم
 يحفظوا بخصيصة الخاصة ولا أدركوا سلامة العامة » وقال ان هؤلاء لم يحكم الابتداع
 والذين قبلهم ظاهرهم الابتداع ورأيه أن تعامل هذه الاقسام الثلاثة معاملة المبتدعة
 وحسابهم على الله تعالى

قال « ومن الخاصة قسم رابع ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين أقبلوا

على الكتاب والسنة وساروا بسيرها وسكتوا عما سكتا عنه وأقدموا وأحجموا بها وتركوا تكلف ما لا يعنيه وكان تهمهم السلامة وحياة السنة أثر عندهم من حياة نفوسهم وقرة عين أحدهم تلاوة كتاب الله تعالى وفهم معانيه على السليقة العربية والتفسيرات المروية ومعرفة ثبوت حديث نبوي لفظا وحكما فهو لاء هم السنية حقا وهم الفرقة الناجية واليهم العامة بأسرهم ومن يشاء ربك من أقسام الخاصة الثلاثة المذكورين بحسب علمه بقدر بدعتهم ونياتهم »

ثم بين ان هذا هو المخرج من الاشكال ومناقضة هذا الحديث لأحاديث فضائل الامة المرحومة واحتج لذلك بحديث حذيفة في الصحيحين وسنن أبي داود قال كان الناس يسألون رسول الله (ص) عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بك بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال « نعم » قلت فهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال « نعم وفيه دخن » قلت وما دخنه قال « قوم يستننون بغير ستي ويهتدون بغير هدي تعرف منهم وتنكر » قلت فهل بعد هذا الخير من شر قال « نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها » قلت يا رسول الله فما تأمرني إن أدركني ذلك قال « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » قلت وان لم يكن جماعة ولا إمام قال « فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » ثم شرح المصنف هذا الحديث وطبقه على أحوال المسلمين الى عصره في القرن الحادي عشر وأكبر العبرة فيه الامر باعتزال جميع فرق المسلمين اذا لم تكن كلمتهم مجمعة على الامام الحق الذي يقيم الدين وينشر دعوته في العالمين

الاسلام دين التوحيد وما أمر المسلمون الا ليعبدوا إلها واحدا ويتبعوا دينها واحدا ويقيموا لهم إماما واحدا ويكونوا أمة واحدة لا يفرقهم نسب ولا لغة ولا وطن وقد نهوا عن التفرق كما نهوا عن الكفر ولكن ظهر الاسلام في الاميين فلم تكدر الامم والشعوب بتبين بعض معارفه حتى دخلوا فيه أفواجا من غير دعوة منتظمة ولا مدارس مشيدة لانهم فصلوا بعض ما عرفوا منه على كل ما كانوا يعرفون من

أديانهم فكان هذا الاقبال السريع على الدخول فيه من أسباب تفرق أهله شيعة ومذاهب ودولا وأما كل حزب بما لديهم فرحون تنصر أحزاب السياسة أحزاب الدين وأحزاب الدين أحزاب السياسة على حزب التوحيد وتفرق الموحدين حتى جنوا على التوحيد نفسه توحيد الألوهية بالتوجه الى غير الله ودعاء سواه ، وتوحيد الربوبية بشرع ما لم يأذن به الله ، وحتى سلط الله تعالى على جميع هذه الاحزاب أعداء خضدوا شوكتها ، وزلزلوا دولتها ، فضعف الغرور بها ، وعلى قدر ضعفهم وضعفها صار بعض المسلمين يشعرون بحاجتهم الى الاتحاد بسائر اخوانهم ، وكان أول من دعاهم في هذا العصر الى وجوب التعارف والاتحاد المصلح الحكيم الشهير السيد جمال الدين الافغانى رحمه الله تعالى ورضي عنه ، وقد صار المقتنعون بوجوب ذلك كثيرين ان تفرق المسلمين في السياسة والدولة قد خرج أمر تلافيه من أيدي المسلمين لانهم صاروا كلهم عالة على دول أوربا القوية حتى ان أقوى دولهم تعيش بمال أوربا ويعمل فيها نفوذ أوربا ما لا يستطيع أحد ان يمنعه فلانبحث في هذا فان له اجلا لا بد ان يبلغه وإنما نستفيد من حوادث الزمان في ضغط أوربا مانستمين به على تلافى ضرر التفرق في المذهب والجنس واللغة فقد رأينا ميل الفرس وإحساسهم باخوة سائر المسلمين قد قوي بعد احتلال روسية لبعض بلادهم وتهديد انكثرة إياهم باحتلال البعض الآخر أما التفرق في المذاهب فقد ضعف بقلّة المذاهب وجهل المنتسبين اليها بما وقلة انتفاعهم بمصبيتها وتوجه كثيرين منهم الى علوم وآداب أخرى غريبة عنها فلم يبق أمامنا فرق كبيرة يذكرّون بلقب مذهبي الا الامامية والزيدية من الشيعة والاباضية من فرق الخوارج والواهابية من فرق أهل السنة وكانوا يسمون الخنابلة ومعظم النزاع بينهم وبين الاشعرية وقد تلاشى لقب اشعري وما ترويدي من غير الكتب وأما الخلاف في الفروع فألقاب المذاهب فيه محفوفة ولا يعرف الجماهير من المذاهب التي ينتسبون اليها الا قليلا من المسائل التي يخالفون فيها غيرهم كقنوت الشافعية في الصبح وسدل المالكية أيديهم في الصلاة ، وقد بقي لكل مذهب في الاصول والفروع طائفة من المنقطعين الى تعلمها وتعليمها يتعصبون لها لانها مورد معيشتهم ومصدر جاههم

فهم الآن دعاة التفريق وأنصاره ولكن حوادث الزمان ستمحق هؤلاء باظهار دواعي
 الالفة والوحدة ومضرات التفريق فيكون المؤمنون أخوة متحابين لا يمتهم من ذلك
 الاختلاف في بعض المسائل الدينية ، بل يكون كاختلاف في المسائل العلمية والعادية
 وأما التفريق باختلاف اللغة والجنس والوطن فله في العصر دعاة من المتفرجين
 هم أشد آفة وقتنة من دعاة التفريق بالمذاهب لانهم يتغلبون على المناصب وأعمال
 الحكومة ومصالحها بميل الحكومات الى تقليد الأفرنج في كل شيء حتى صار في مسلمي
 مصر من يفخر بالفراغة وإن كان فيهم من اعنه الله وكلهم في الوثنية واستعباد البشر
 سواء ، ومن الفرس من يفخر بسلفه من المجوس ، بل يرى بعض الشعوب التي
 لا يعرف لها سلف مدني له آثار في العلوم والفنون قبل الاسلام أشد عصبية للصنف
 واللغة من الشعوب التي لها سلف في ذلك ، فيجب على علماء الاسلام الاعلام ان
 يتحدوا ويتعاونوا في جميع البلاد الاسلامية لكبح شر هؤلاء وتحقيق الوحدة
 الاسلامية التي جعلت المسلمين كلهم أخوة حتى تنسى بها اعتيق حبشي أسود ان
 يعتقل أميراً قرشياً فاتحاً بهامته في مكان سلطانه وسوئده امام الناس ويقوده بها
 الى المحاسبة على ما أنفق من مال الامة ، ذلك العتيق الحبشي هو بلال رضي الله عنه
 وذلك الأمير هوسيد بني مخزوم سيف الله ورسوله خالد بن الوليد رضي الله عنه
 ان الوحدة الاسلامية الدينية الادبية التي يشدها المصلحون تتوقف على تعميم
 لغة الاسلام بين جميع الشعوب الاسلامية اذ لا تألف بغير تعارف ، ولا تعارف بغير تفاهم ،
 ولا يسهل التفاهم بين المسلمين الابلغة دينهم المشتركة بينهم وهي العربية التي لم تعد خاصة
 بالعصر العربي بالنسب كما ان الاسلام ليس خاصاً به - وعلى تعارف علماء المسلمين
 وتعاونهم بالجمعيات العلمية الادبية والجراند على توحيد طريقة التعليم الديني والاجتماعي
 وقد أنشأوا بشعرون بهذه الحاجة لحياتهم وسيكون العمل قريباً ان شاء الله تعالى

* * *

﴿ القرآن في الفونوغراف ﴾

(١٥٦) من صاحب الامضاء في روسية

أرجو يا حضرة الاستاذ أن تفيدنا عن السؤال الآتي :

قد افتتح البحث بطرفنا في جواز استعمال القرآن في صندوق الفونوغراف

الذي حدث في هذا الزمان وهل بعد قرآنا وهل اذا كان قرآنا يجوز استعمال الصندوق للقراءة ويجوز سماعها منه .

وعندنا في هذه المسألة فريقان يختصمان فريق يحرمونه بالكليّة ويقولون انه استعمال للقراءة في محلّ اللهو واللعب وإن الصندوق لا يستعمل للعبادة . وفريق يجوزونه والمحسوب من جملتهم . لأن أهل بلاد القرآن محتاجون لاصلاح قراءة القرآن الكريم بالانغام العربية ولا يفسر لكل أحد منهم أن يذهب الى مصر أو الحجاز حتى يتلقى من أفواه المشايخ وان قلنا بجواز استعماله كنّا نتعلم ونأخذ ما في الصندوق من الانغام العربية المطربة والاصوات المدهشة وكنا كأبي سلامة الحجازي وغيره من القراء .

ولا شك ان استعماله بهذا القصد يكون عبادة أفيدونا ولكم الاجر والثواب

أبو أديب حافظ حلبي

(ج) اذا كانت علة تحريم استعمال هذا الصندوق في القراءة هي أنه استعمال له في محلّ اللهو فالتحريم غير ذاتي عندهم ولا هو تحريم لا يداع القرآن في ألواح هذه الآلة أو اسطواناتها ولا لادارتها لأجل أدائها للتلاوة وانما تحريم لأجل هذا الاداء في محلّ اللهو واللعب الذي ينافي احترام القرآن واذا كان الحكم يدور مع العلة فيمكن أن يقال بانتفاء الحرمة عند انتفاء تلك العلة والسماع من الصندوق لأجل العظة أو ضبط القراءة أو غير ذلك من المقاصد الصحيحة فان قيل انه ينبغي القول باطراد الحرمة لأجل سد ذريعة إهانة القرآن يمكن أن يجاب بمنع كون هذه الإهانة محققة أو غالبية في استعمال المسلمين لهذه الآلة في التلاوة ، وعلى تقدير التسليم يقال أن ما حرم لسد الذريعة يباح للحاجة كإباحة رؤية المرأة الأجنبية عند القائلين بتحريم رؤية وجهها لسد ذريعة الفتنة اذا احتيج الى ذلك لأجل توكيل أو شهادة وجواز رؤية الطيب لأي جزء من بدنها المحرم ابدائه بالاجماع لأجل المداواة فالصواب ان استعمال هذه الآلة في التلاوة لا يحرم الا اذا كان فيه إخلال بالأدب الواجب في الاستعمال والسماع والعمدة في ذلك النية والعرف وقد يكون مستحبا اذا كان فيه عظة أو ضبط للقراءة وربما كان واجبا كأن يتوقف عليه ضبط وحفظ ما نحب تلاوته في الصلاة كالفاتحة . وقد انتقدنا على السائل تعبيره عن الاداء

الصحيح والتجويد لتلاوة القرآن بلفظ الانعام المطربة فلتطرب الذي يكون من
بعض اقراء بمصر محذور لأنه ينافي الخشوع . واذا كان يعني بأبي سلامة
الحجازي الشيخ سلامه حجازي المصري المشهور فليعلم انه ليس من القراء ولكنه
من المطربين . والحاصل أن الاقدام على التحريم ليس بالأمر السهل لأنه تشريع
جديد بخلاف القول بالحل فانه الاصل في الاشياء ، والنيات في القلوب ، والعرف
العام ليس مما يخفى فيختلف فيه الناس ، ولا أنكر أن في مصر من لا براعي الادب
الواجب في هذا الاستعمال فالحذر الحذر

(باب المقالات)

مشروع إحياء الآداب العربية (*)

﴿ مقاومه جريده قبطية ﴾

عزمت الحكومة المصرية على طبع بعض الآثار العربية من المصنفات النافعة
النادرة بالمال الخاص بدار الكتب المصرية (المكتبة الخديوية) وكان لديها
في الميزانية ألف جنيه لتنشيط الاداب العربية فقررت اضافته الى المحبوس على
دار الكتب والاستعانة به على طبع تلك الآثار

عزم شريف على عمل صالح بحمده كل أديب عربي ولا ينتقده عاقل أعجمي
لان هذه الحكومة عربية والامة الذي تحكمها عربية وهي حكومة غنية تعد الالف
الجنيه قليلة منها على مثل هذا العمل التي تنفق حكومات أوربة وشعوبها في سبيله
ألوفاً كثيرة من الجنيهات حتى صارت دور الكتب في بلادهم (كباريس ولندن
وليدين وبرلين) أغنى من دار الكتب المصرية بمصنفات سلفنا العرب من
المصريين وغيرهم وصاروا يطبعون من نفائسها ما يضطر الى ابتاعه منهم بل صرنا
نرسل أولادنا ليتعلموا الآداب العربية في أوربا وهذا عار علينا عظيم
لم تكن العناية ببذل المال على جمع الكتب العربية ونشرها قاصراً على الحكومات

(*) ترى الكلام على هذا المشروع مفصلاً في موضع آخر من هذا الجزء

ورجال العلم من الأوروبيين بل رأينا بعض الجمعيات الدينية النصرانية تفعل ذلك كجمعية اليسوعيين فقد رأينا مكتبتها في بيروت جامعة لنفائس الكتب العربية التي يعز نظيرها في مكتبتنا المصرية وقد طبعت لنا كثيراً من هذه النفائس لا ريب في أن العمل الذي شرعت فيه الحكومة المصرية العربية جليل ، ولا ريب في أن المال الذي خصصته له في هذا العام من ميزانيتها قليل ، فهي تنفق أكثر منه في ضيافة أحد ضيوف الأمير يوماً واحداً ، وتنفق أكثر منه في مساعدة النثيل الأجنبي الذي يرى جمهور الأمة أن إئمه أكبر من نفعه . وتنفق أكثر منه في البحث عن أممك النيل والوقوف على أنواعها وهو عمل قلما يوجد مصري ينتفع به وإنما يعد مثله من كاليات فروع العلوم في أوربا وأين نحن من مبادئ أصول هذا الفرع الآن على هذا كله حمد العقلاء والادباء مشروع الحكومة الجديد ، وهم يرجون منها المزيد ، ولم يكن يخطر في البال أن يلقي هذا المشروع اعتراضاً ، ولا أن يصادف امتعاضاً ، حتى سمعنا ناعب صاحب جريدة الوطن القبطية يدعو بالويل والثبور وينعي على الحكومة المصرية عملها ويندب الشعب المصري مدعياً أن الحكومة تريد بهذا العمل افساد آدابه ومنعه من العلوم والمعارف والآداب الصحيحة التي ترقيه وتجمله من الشعوب العريضة الرأفة ! وزعم الكاتب أنه لا يوجد في الكتب العربية والسخافات والجهالات العربية : ؟ وزعم الكاتب أنه لا يوجد في الكتب العربية غير تلك المضار التي استفرغ كل ما في جوفه وجمله وصفاً لها وكل اناء ينضح بما فيه رأيت في بعض الجرائد بعض عبارات جريدة الوطن البذيئة في هذه المسألة وأطلعني بعض الناس على عدد منها رأيت الكاتب فيه لم يكتف بتحقير جميع العرب والقذح في كل ما كتبوا وصفوا حتى صرح بدم دينهم في ضمن ذلك فقال في سياقه البذيء : « وهل أصبح كل ما في مصر آداب العرب وتاريخ العرب وحضارة العرب ودين العرب وكتب العرب وخرافات العرب وغلاطات العرب وحرم علينا أن نلم بالمفيد وأن ينفق مالنا فيما يرق الآداب والمعيشة ويرفعنا من هذا الخفيض القدر الى مقام الذين تطهروا من سخافات الأجداد » الخ

يعني الكاتب بدين العرب دين الاسلام وهو يريد أن يحمي الاسلام واقته

وآدابها من مصر وتحمل محالها القبطية وهذا هو السبب الذي جعل مشروع طبع الكتب العربية ينقض عليه اقتضاض الصاعقة كما قال في مقالة يوم السبت (٨ ذي الحجة) التي نقلنا هذه الجملة منها آنفا وهي أهون ما كتب وأقله بذاء، وما هو بالمصاب الكبير في نفسه الذي يصعق له الناس فيصرعون فيقومون كما يقوم الذي يتخطه الشيطان من المس لا يدرون ماذا يقولون

صاحب الوطن جاهل بلغة العرب وآداب العرب وحضارة العرب، وتاريخ العرب ودين العرب لا يعرف من ذلك ما يميز له الحكم في نفعها وضررها . ولكن الجهل وحده لا يستطيع أن يهبط بصاحبه الى الدرك الاسفل الذي وقع فيه صاحب الوطن ومن عاونه على تلك الكتابة وإنما ذلك الغلو في التعصب الديني وبغضه لمسلمي وطنه جعله يصعق من كل شيء يستفيدون منه في دينهم وان كان نافعا للبلاد المصرية لو كانت علته هي الجهل وحده لا يمكن مداواتها في هذه المسألة باعلامه ان اللغة العربية ليست خاصة بالمسلمين وإنما هي مشتركة بينهم وبين غيرهم في نفس جزيرة العرب لا في مصر وحدها وقد كانت لغة لليهود والنصارى فيها قبل ظهور الاسلام وقد صارت بعده اللغة الطبيعية لجميع العراقيين والسوريين والمصريين وسائر القسم الشمالي من أفريقية وانه ليس في استطاعة صاحب جريدة الوطن وصاحب جريدة مصر القبطيتين ومن على رأيهما من المتعصبين نسخها واستبدال القبطية بها وإذا كان الامر كذلك وكان من البديهيات ان ارتفاع أمة بدون ارتقاء لغتها وآداب لغتها من المحال وكان يجب ارتقاء المصريين عامة في العلوم والفنون والمدنية كما يدعي فالواجب عليه أن يشكر للحكومة عماها في خدمة آداب لغتها ولغة أمتها لا أن يصعق عند علمه بذلك لو كانت علته هي الجهل وحده لا يمكن مداواتها باعلامه بما قال منصفو علماء الافرنج في بيان فضل لغة العرب وآدابهم وحضارتهم كفوستاف لوبون صاحب كتاب مدنية العرب وسديو صاحب تاريخ العرب ودرابر وغيرهم ، وقد سئل أحد علماء الانكليز : اذا أراد البشر أن يوحدوا لغتهم بأي اللغات تختار أن تكون لغة جميع البشر ؟ قل اللغة العربية . وقد قال لي مرة مستر (منشل أنس) الانكليزي الذي كان وكيلاً لنظارة المالية ما أظن انه يوجد في العربية شعر راق كالشعر الانكليزي

فقلت وأنا أظن العكس ولا عبرة برأيي ولا برأيك في ذلك فيجب أن نرجع الى العارف باللغتين، صاحب الذوق في الشعرين، ثم لقيت مستر (بلنت) الكاتب الشاعر الانكليزي المشهور الذي نظم المعلقات السبع العربية بالانكليزية فذكرت له ذلك فقال قل (لمنشأ أنس) ان العرب كانوا ينطقون بالحكمة في شعرهم عند ما كان الانكليز مثل الوحوش يطوفون في الغابات عراة الاجسام

لو كانت علته هي الجهل وحده لامكن مداواتها باعلامه ان الامم الحية تبحث عن الكتب القديمة في لغتها وكذا في لغة غيرها لاجل الوقوف على سير العلوم والفنون والآداب فيها توسعا في التاريخ وتحقيقا لمسائله ولا سيما اذا كانت كتب تلك اللغات من حقايق سلسلة المدنية والحضارة كاللغة العربية التي هي الحلقة الموصلة بين المدنية الاوربية الحاضرة والمدنيات القديمة باجماع العارفين

لو كانت علته هي الجهل وحده لا يمكن مداواتها باعلامه بما في الكتب العربية من الآداب والفضائل ولو بالاجمال، وبوجه حاجة الامة الي نسير في طريق الارتقاء من معرفة تاريخ لغتها وآثار سلفها فيه، وبأن تكونتها من شعوب كثيرة لهم سلف آخرون في النسب والدين أو المدنية لا ينافي حاجتها الى احياء آثار سلفها في اللغة لان رابطة اللغة هي التي تربط هذه الشعوب بعضهم ببعض وتجعل ارتقاءهم بها وحياتهم العامة بحياتها لو كانت علته هي الجهل وحده لامكن مداواتها باعلامه أن البشر متشابهون في الصفات والاعراض البشرية وان ذلك خيره وشره يظهر في لغاتهم فاذا كانت عين التعصب أرتة في بعض الكتب العربية طعنا من مسلم في دين النصارى فيعلم أن في الكتب العربية القديمة والحديثة طعنا من النصاري في الاسلام مثل ذلك أو أشد اذا كان قد عمي عما يكتبه هو وغيره من قومه في هذا العصر من الطعن في الاسلام وحسبه منه العبارة التي قلناها آنفا التي جعل فيها دين العرب وآدابهم من الاقدار التي قامها في جريدته، ويوجد في كتب الافرنج من الطعن في الدين الاسلامي والمسلمين ما هو أشد من ذلك وأقبح وكله بهتان لم يخطر على بال أحد من أجهل جهلاء المسلمين بالاسلام. واذا كان قد رأى أو سمع أن في بعض الكتب العربية مجونا فليسأل المطلعين على اللغات الاوربية يخبروه أن في بعضها من فنون المجون ما لم يكن

يخطر على بال أحد من العرب ولا يجري على لسانه ولا على قلبه ، وهل انتفت الدنيا بفواحش بغايا أوربة وبقيت لغاتهم منزهة عن التعبير عن ذلك ؟ لو كانت علته هي الجهل وحده لا يمكن مداواتها بإعلامه أن طبع الحكومة لبعض الكتب العربية لا تقصد أن تستغني به عما ستفيد من الإفراج مما لا بد لنا منه من الفنون الصناعية والزراعية والاقتصادية ولا أن تبطل به نظام التعليم في المدارس فتعلم تلاميذها الجغرافية القديمة بدلا من الجغرافية الحديثة (مثلا) بل لا نظن أن هذا مما يخفى عليه لو كانت علته هي الجهل وحده لا يمكن مداواتها بإطلاعه على نظام التعليم في مدارس الحكومة التي يدعي أنها تريد قتل الأمة بجهالات العرب ... وإخباره بأن نظارة المعارف قد أنشأت قلمًا جديدًا لترجمة الكتب المفيدة فهي إذا التفتت إلى ترقية لغتها بأحيااء تاريخها الماضي لفترة واحدة فقد نظرت إلى ترقيتها بإدخال العلوم الأوروبية فيها قبل ذلك وكل مدارسها شاهدة على ذلك ، وإنما قلم الترجمة الجديد حسنة من حسنات الناظر الجديد أحمد حشمت باشا

ليست علة صاحب جريدة الوطن هي الجهل فتداوبها بما ذكرنا وما لم نذكر من العلم الصحيح فإن الجهل وحده لا يستطيع إلى أن يهبط به إلى هذه الدركة من الخذلان وإنما علته هي الغلو في التعصب القبلي وكرهه كل شيء ينفع الإسلام والمسلمين وإن نفع غيرهم ولم يضرهم وقد باقني وأنا في الاستانة أن التعصب قد لج به وبزميله صاحب جريدة مصر في هذا العام حتى أنكر ذلك عليهما قومهما وهذه العلة لا علاج لها ولا دواء ولكن يمكن تخفيف أعراضها بحكمة الحكومة وعدلها أو بإظهار جمهور القبط السخط عليها إن كانوا يفعلون

نشرنا هذه المقالة في المؤيد ثم إن الحكومة أنفرت صاحب جريدة الوطن بهذا الذنب وكان قد أنذر من قبل فذا أي بعد هذا بأي ذنب يماقب عليه القانون تقتل جريدته . وأما القبط فقد ظهر من جمهور كبير منهم أنهم راضون من وقعة جريدة الوطن وتهجموا ولذلك ساعدتها جريدتهم الثانية (مصر) على ذلك ، وأيدتهما جريدة (الأنباء) أيضا ، والظاهر أن القوم يريدون بهذا التهجم الذي لا يقر له سبب أحداث فتنة بين المسلمين والقبط ويطنون أن ذلك يكون سبب البطشة الكبرى من أنكلترا فلا تبقي للمسلمين في هذه الحكومة باقية

الدين والاحاد والاشترائية

﴿ نصر المقتطف الايمان على التعطيل ﴾

يظن الكثيرون ان صاحبي مجلة المقتطف من الملاحدة المعطلين وكنت أنا أظن ذلك حتى اتفق من بضع سنين ان جرت بيننا مناظرة خاصة جريها الكلام العادي وكنت أنا الموجب المثبت بالطبع وكان آخر قولي المقبول فيها وصفوته أن هذه الكائنات في مجملها حادثة لم يكن شيء منها كما نعرفه الآن وفيها من الابداع والنظام ما يستحيل ان يكون حصل بالمصادفة أو يكون مصدره الدم المحض بل يجب عقلا ان يكون لهذا الابداع والنظام العجيب في العوالم العلوية والارضية مصدر وجودي ولكن حقيقة هذا المبدع الموجد للنظام والحافظ له بمجھولة فنحن نسميه (الله) فاذا اعترف الماديون باقنائه وسمو ذلك المبدع (المادة) فالاختلاف انما يكون بالتسمية والالفاظ، الخ مادار بيننا يومئذ وواقفي فيه مناظري أو محدثي على اثبات وجود الباري عز وجل، وان من كفر من علماء أوربا بأله الكنيسة لا يمكنه ان يكفر بأله الطبيعة، واعني بأله الكنيسة الموصوف بما تصفه به من الاقانيم والصفات، وكنت أقول في نفسي بعد ذلك هل الدكتور يعقوب صروف مادي حقيقة وهل كانت مناظرته لي استرسالا في هذا البحث العلمي أم انتصارا لاعتقاده أم اختبارا لي ؟

ذكرت في كتابي (الحكمة الشرعية) الذي كان أول شيء أفتته أو كتبت فيه المسائل العلمية الدينية والاجتماعية ان أجدر الناس بقوة الايمان بالله تعالى علماء الطبيعة الواقفون على ما لا يعرفه غيرهم من علماء الدين بنظام الكون وآيات الله تعالى فيه وهم العلماء المشار اليهم في قوله تعالى (٢٦: ٣٥) ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود ٢٧ ومن الناس

والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك، انما يخشى الله من عباده العلماء، ان الله عزيز غفور) فلا ريب ان المراد بالعلماء هنا العلماء بآياته تعالى وحكمه في نظام هذه الكائنات المذكورة في الآيات

ثم رأيت في فاتحة جزء المقتطف الذي صدر في هذا الشهر مقالة علمية لمحرر المقتطف يرد فيها على أحد المعطلين الاشتراكيين ويستدل على وجوده تعالى بآياته في خلقه على طريقة القرآن لا على طريقة المتكلمين النظرية وبشرح هذه الآيات شرحا علميا على طريقة علماء الكون في هذا العصر، وقد أشار في هذه المقالة الى سبب كتابتها وهو ما نشره بعض المعطلين في باب المراسلة والمناظرة منه

راجعنا باب المناظرة فرأينا فيه رسالة بامضاء (سلامه موسى) يرتأي فيها أن الحكومة المصرية لا يصلح حالها الا بالسير على مذهب الاشتراكيين الذي عنوانه (لا رب ولا سيد) أي لا دين ولا سلطة، وقال الكاتب في رسالته ما نصه «ما هي اعتراضاتكم على الاشتراكية وعلى الاحاد؟ ماتت بالأمس زوجة لصديق اشتراكي لي فشيّعناها الى القبر بلا صلاة وكان على عربة المائنة علم كبير مكتوب عليه بحروف واضحة يكاد يقرأها الاغبي «لا رب ولا سيد» ولم أر العالم اختل بذلك ولا الطريق تغيرت ولا الله ظهر ليثبت وجوده»

وقد عنق المقتطف على هذه الرسالة تعليقاً وجيزاً ثم أيده بتلك المقالة فرأينا أن ننقل في الناصر كل ما كتبه تذكيراً للعالم وعبرة للمقلدين في الكفر الذين يقولون لو كان أصل الدين حقاً لما انكر وجود الله تعالى العلماء العارفون بنظام الكائنات، وقد كثر عندنا هؤلاء المقلدون الذين قال في مثلهم الشاعر العربي

عمي القلوب عموا عن كل فائدة لانهم كفروا بالله تقليداً

وقد رأينا أن ننقل ما كتبه المقتطف في التعليق على رسالة ذلك الملحد أولاً ثم ننقل مقالته التي أيد فيها الايمان، ثم نقب ببعض ما كنا كتبناه في العام الماضي في مسألة من المسائل التي ألهمها المقتطف وهي حال المتدينين في الفضيلة وتكون العمران مبني على أسامس الدين والكفر داعية الفساد والخراب وهذا نص تعليقه على الرسالة (المقتطف) نشرنا هذه الرسالة على جاري عادتنا من نشر وسائل المراسلين

ومناظرات المناظرين ولو كانت على غير رأينا . والغرض من نشرها إطلاع القراء على كيفية نظر الاشتراكيين في المسائل الاجتماعية ولا شبهة ان في الاجتماع البشري مساوى كثيرة يجب نزعها وأمراضا مزمنة يجب علاجها وان الاشتراكية أفادت فائدة كبيرة في التنبيه الى هذه المساوى وهذه الامراض ولكن سير العمران لم يتوقف على الاشتراكية والمصلحون الذين لم اليد الطولى في اصلاح حال المجتمع لم يتبعوا خطة واحدة وطريقة مقررة فبعضهم أفاد المجتمع بنشر المبادئ الادبية وبعضهم أفاده بنشر المبادئ الدينية وبعضهم بالثورة على المستبدين . ولا تفلح طريقة من الطرق ما لم تنهأ وسائلها وتستعد الامم لها والا كانت كالضرب في الحديد البارد . وعلمنا واختبارنا يدلنا على أن الامة المصرية سائرة في الطريق الذي يكن سيره في هذا القطر للبلوغ الى نزع المساوى القديمة . قلنا الامة المصرية ولم تقل الحكومة المصرية لأن الحكومة جزء من الامة والموظفون الاجانب الذين فيها من الانكليز وغيرهم لا يقلون عن الوطنيين اهتماما باصلاح البلاد . والاصلاح المالي مقدم على الاصلاح العلمي دائما كما يشهد تاريخ الاجتماع فلم يخطئ لورد كرومر في سياسته المالية أي تقديم الاصلاح المالي على الاصلاح العلمي لان الانسان اذا أصلح ماله سهل عليه بعد ذلك تعليم أولاده والافلا . والحكومة الفنية يسهل عليها انشاء المدارس ونشر التعليم وأما الحكومة الفقيرة فيصعب عليها ذلك أو يتعذر والتعطيل أي انكار وجود الله ونسبة الانسان اليه من مقوضات دعائم العمران ولا عبرة بثبوت العمران الآن بين الاقوام الذين شاع التعطيل عندهم لانهم تربوا تربية دينية فوسخ في نفوسهم عمل الواجب وكراهة الكذب والاعتداء على الغير ونحو ذلك من الشرور ولكن اذا نزع مبدأ الحلال والحرام الديني تعذر وضع مبدأ آخر يقوم مقامه وبرسخ رسوخه ولذلك يوجس المفكرون شرا مما ستصير اليه حال أوربا وأميركا في أواخر هذا القرن اذا انتشر التعطيل فيها . هذا فضلا عن ان التعطيل غير معقول لذاته ففرضه خطأ علميا كما هو ضرر اجتماعيا والمجاهرة به تفضي الى اكبر المضار على نوع الانسان » اهـ

وهذه مقاله الافتاحية :

آيات في خلقه

في باب المراسلة في هذا الجزء رسالة لكاتب برى ان التعطيل أي انكار وجود الخالق لا يضر أحدا . ونحن نرى انه يأتي بأكبر المضار ولكن هب انه لا يضر فهل هو معقول ؟

في إدارة المقتطف مطبعة أو آلة طباعة يديرها سير من الجلد تحركه الكهر بائية قسحب الورق من لفتين كبيرتين وغره فوق حروف الطباعة بعد ان تحبرها وتطبعه من وجهيه وتقص منه صفحتين بعد صفحتين وتضم إحداهما داخل الاخرى وتلصقها بها وتطويهما طولا وعرضا أربع طيات فيخرج المقطم منهما مطبوعا مقصوصا ملصوقا مطويا . وهي تطبع كذلك اثني عشر الف نسخة في الساعة وتقصها وتلصقها وتطويها وتعددها تفعل ذلك كله من غير ان تساعد ايد أو يرشدها عقل . ولكن لقد اشتغلت عقول مئات من العلماء وعملت أيادي الوف من العمال مدة سنين كثيرة الى ان صارت هذه الآلة تعمل هذا العمل . وحتى الآن لا يخرج منها عدد واحد من المقطم مطبوعا الا بعد ان تشتغل العقول وتعمل الايدي في بلدان كثيرة في عمل الورق والحبر واستخراج الفحم الحجري وتوليد الكهر بائية ناهيك بما يلزم للآلات الكهر بائية من المواد والعمال وبما لزم لسبك الحديد والنحاس والرصاص والنيكل ونحو ذلك من المعادن التي دخلت في عمل آلة الطباعة وعمل الحروف وعمل الآلات الكهر بائية . ولو احصينا جميع الذين اشتغلوا في عمل كل ما يلزم لطبع جزء واحد من المقطم لبلغ عددهم ألوف وعشرات الألوف . فمن يقول ان المطبعة تطبع الجريدة لذاتها وينكر كل ما وراءها من العقول يخالف كل معقول .

يزرع القمح في هذا القطر في نحو مليون وربع مليون من الافدنة ومساحة الفدان أربعة آلاف ومثني متر مربع ولا يقل عدد السنابل في المتر المربع من مثني سنبل . فعدد السنابل كلها التي تفت كل سنة في القطر المصري وحده لا يقل عن مليون مليون سنبل أي أكثر من عدد كل سكان الارض ست مئة ضعف . وفي

كل سنبله بل في كل حبة من حبوبها من الدقة في التركيب والحكمة في الوضع والصفات الموروثة والمكتسبة والاستعداد للنمو والتوليد مالا يوجد عشر معشاره في آلة الطباعة المشار اليها آنفا . فمن يستطيع ان ينكر وجود العقل الموجد لها والمتولي شئونها ولو بايجاد القوى التي تحرك كل دقيقة من دقائقها وكل ذرة من ذراتها

واذا استنرت بنور الكيمياء وحلت دقائق حبة القمح رأيت ان كل دقيقة منها مؤلفة من ملايين وملايين الملايين من الذرات الصغيرة وكلها متحركة ولا تحرك اجزاء آلة الطباعة وفيها من الصفات والخواص ما يميز القمح الصعيدي عن البجيري والهندي عن البلدي . ثم اذا علمت ان ما يزرع من القمح في هذا القطر ليس جزءا من مثله مما يزرع في الارض كلها ولا جزءا من مثله الف جزء مما ينمو من سائر

الحبوب والبزور رأيت ان عالم

النبات وحده يذهل العقول حتى

لا ترى لها مندوحة عن الاعتراف

بالقوة الخالقة المدبرة

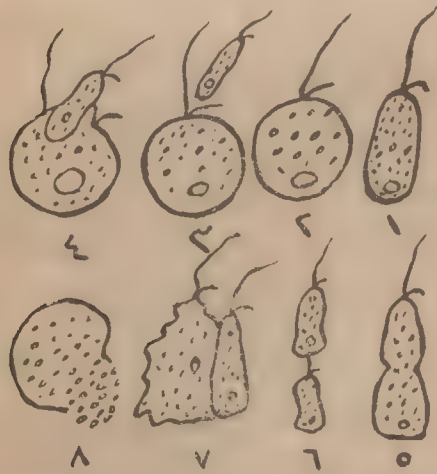
وعالم الحيوان لا يقل عن عالم

النبات في غرائبه . ترى في هذا

الرسم حيوانا من اصغر الحيوانات

الدنيا السابحة في الماء طوله جزء

من ثلاثة آلاف جزء من العقدة



أي لو جمع ثلاثة آلاف حيوان منه ونظمت طولها في سطر واحد ما بلغ طولها أكثر من عقدة (بوصه) فلا يرى الا بالميكروسكوب (المجهر) راقب بعضهم هذا الحيوان في العالم الماضي ودرس طبائعه وكتب عنه يقول :- رأيتُه أولا كما في الشكل الاول مستطيلا وله ذنب دقيق طويل وعند مفترق هذا الذنب في بدنه ذنب آخر غليظ قصير فيسبح في الماء بتحريك هذين الذنين وبعد ان يسبح مدة تختلف من بضع دقائق الى بضع ساعات يسكن و يصير كرويا كما ترى في الشكل الثاني ويبقى ذنبه الطويل متحركا متمعجا كالافعى وحركته تجعل أمواجا في الماء تندفع

اليه بما فيها من الميكرو بات . وحينما تدنو هذه الميكرو بات منه ينحني عايمها ذنبه الطويل وتفتح لها فتحة بين الذنيتين فتتلمها . على هذه الصورة يلتقم هذا الحيوان غذاءه وقد يلتقم حيوانات صغيرة من نوعه كما ترى في الشكل الثالث والرابع فهو من الحيوانات المفترسة على صغر جسمه وحقارة قدره . وقد التقم واحد امامي خمس حيوانات صغيرة من نوعه في تسع ساعات وقبض على ثلاثة أخرى ليتلم الكنها تملصت منه وهربت بمد ان كاد يقتربها . وفي باطنه سائل حامض يهضم ما يقتربه كما تهضم معدنا الطعام ثم يسكن مدة بعد ما يقتدي الغذاء الكافي ويعود جسمه مستطيلا كما كان اولاً وتكثر المادة الحبيبية فيه ويحدث له حيفئذ امر من امرين إما ان يستدق من وسطه كما ترى في الشكل الخامس ثم ينقسم الى حيوانين مستقلين كما ترى في الشكل السادس كل منهما مثل الحيوان الاول وإما أن يتغير شكله وتضعف حركته ويأتي حيوان آخر يشبهه وهو في شكله الاول ويلتصق به كما ترى في الشكل السابع فيمتزج الحيوانان امتزاج التزاوج الحقيقي ويصيران حيوانا واحدا كرويا فيزول ذنباه ويسكن مدة طويلة ست ساعات أو أكثر ثم ينفجر من احد جوانبه وتخرج البزور منه كما ترى في الشكل الثامن وكل منها جزء من ثلاثين ألف جزء من العقدة . وهذه البزور نعوم في الماء وتنمو رويدا رويدا وبعد نحو ساعتين يتولد لكل منها ذنبان ويصير حيوانا كاملا . أي ان هذا الحيوان الذي لا يرى بالعين لصفرة يولدهو يتحرك ويتغذى ويتزوج ويلد حيوانات كثيرة من نوعه إما بالانقسام وإما بالولادة

وكم في مياه الارض من الملايين وملايين الملايين من مثله ؟ وكم في هوائها وتوابها من مثل ذلك ؟ وكل حيوان منها يولد ويسمى ويأكل ويتغذى ويتزوج ويلد وفي بنيتة من الاعضاء والآلات ما يفوق آلة الطباعة المشار اليها آنفا إلتقانا واحكاما عدا ما فيها من ذرات العقل المدبر والاعصاب التي تشعر وتدير حركات الحيوانات وتكيفها حسب الاحوال التي تعرض لها حتى تهاجم وتدافع وتفترس ونهضم وتتغذى وتتزوج وتتوالد

وما هي هذه الحيوانات الميكروسكوبية بالنسبة الى الحيوانات الكبيرة بالنسبة الى الاسماك والطيور والزحافات والى الحيوانات العليا كالهر والاسد والفرس والفيل

بل بالنسبة الى الانسان سيد المخلوقات في هذه الارض ؟ فهل يعقل ان ليس في الكون قوة خالقة مدبرة أوجدت هذه الكائنات أو أوجدت القوى التي توجد بها وتدبرها وتدير حركاتها ؟

هذه هي بعض الآيات البينات التي لا يفضي عقل الانسان عنها وعن ما تدل عليه الا اذا تكلف الاعضاء تكلفا أو كان خاملا لا يفكر ولا يقيس ولا يستنتج اه

(المتأرجح) رأينا ان نعيد هنا ما كنا كتبناه في قوله تعالى ذلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ، في معنى ما جاء في تعليق المقتطف عن ضرر الكفر وفساده للعمران ، وبيان ان الايمان بالله تعالى لا يكفي لحفظ العمران من افساد الكفر حتى يضم اليه الايمان بالوحي والرسول عليهم الصلاة والسلام وهو الاستاذ الامام : طاعة الرسول هي طاعة الله بعينها لانه انما يأمرنا بما يوحى اليه الله من مصالحنا التي فيها سعادتنا في الدنيا والآخرة وانما يذكر الرسول مع طاعة الله لان من الناس من كانوا يمتدحون قبل اليهودية وبعدها وكذلك بعد الاسلام الى اليوم ان الانسان يمكن أن يستغنى بعقله وعلمه عن الوحي ، يقول أحدهم انني أعتقد أن للعالم صانعا عليا حكيما وأعمل بعد ذلك بما يصل اليه عقلي من الخير واجتناب الشر وهذا خطأ من الانسان ولو صح ذلك لما كان في حاجة الى الرسل وقد تقدم في تفسير سورة الفاتحة ان الانسان محتاج بطبيعته النوعية الى هداية الدين وانها هي الهداية الرابعة التي وهبها الله للانسان بعهداية الحواس والوجدان والعقل فلم يكن العقل في عصر من عصوره كافيا لهداية أمة من أممه ومقيا له بدون معونة الدين أقول برد على هذا من جانب المرتابين والملاحدة : اننا نرى كثيرا من أفراد الناس لا يدينون بدين وهم في درجة عالية من الافكار والآداب وحسن الاعمال التي تنفعهم وتنفع الناس حتى ان العاقل المجرد عن التعصب الديني يتمنى لو كان الناس كلهم مثله بل يسعى كثير من الفلاسفة لجعل الامم مثل هؤلاء الافراد في آدابهم وارتقائهم . وأجيب عن هذا (أولا) بأن الكلام في هداية الجماعات من البشر كالشعوب والقبائل والامم الذين يتحقق بارتقائهم معنى الانسانية في الحياة الاجتماعية سواء كانت بدوية أو مدنية ، وقد علمنا التاريخ انه لم تقم مدنية في الارض من المدينيات

التي وعاءها وعرفها إلا على أساس الدين حتى مديات الام الوثنية كقدماء المصريين والكلدانيين واليونانيين ، وعلنا القرآن انه مامن أمة إلا وقد خلا فيها نذير مرسل من الله عز وجل لهدايتها فنحن بهذا نرى ان تلك الديانات الوثنية كان لها أصل الهي ثم مرت الوثنية الى أهلها حتى غلبت على أصلها كما سرت الى من بعدهم من أهل الديانات التي بقي أصلها كله أو بعضه على سبيل القطع أو على سبيل الظن . وليس للبشر ديانة يحفظ التاريخ أصلها حفظا تاما الا الديانة الاسلامية وهو مع ذلك قد دون في أسفاره كيفية سريان الوثنية الجلية أو الخفية الى كثير من المنتسبين اليها كالنصيرية وسائر الباطنية وغيرهم ممن غلب عليهم التأويل أو الجهل حتى أنه يوجد في هذا العصر من المنتسبين الى الاسلام من لا يعرفون من أحكامه الظاهرة غير قليل مما يخالفون به جيرانهم كجواز أكل لحم البقر في الاطراف الشاسعة من الهند وكيفية الزواج ودفن الموتى في بعض بلاد روسيا وغيرها !! ، فمن علم هذا لا يستبعد تحول الديانات الالهية القديمة الى الوثنية

فاتباع الرسل وهداية الدين أساس كل مدينة لان الارتقاء المعنوي هو الذي يبعث على الارتقاء المادي وهانحن أولاء نقرأ في كلام شيخ الفلاسفة الاجتماعيين في هذا العصر (هربرت سينسر) ان آداب الام وفضائلها التي هي قوام مدينتها مستندة كلها الى الدين وقائمة على أساسه وان بعض العلماء يحاولون تحويلها عن أساس الدين وبنائها على أساس العلم والعقل وان الام التي يجري فيها هذا التحويل لا بد ان تقع في طور التحويل في فوضى أدبية لا تعرف عاقبتها ولا يحدد ضررها . هذا معنى كلامه في بعض كتبه وقد قال هو للاستاذ الامام في حديث له معه : ان الفضيلة قد اعتلت في الامة الانكليزية وضعفت في هذه السنين الاخيرة من حيث قوي فيها الطعم المادي . ونحن نعلم أن الامة الانكليزية من أشد أم أوربا تمسكا بالدين مع كون مدينتها أثبت وتقدمها أعم لأن الدين قوام المدنية بما فيه من روح الفضائل والآداب على أن المدنية الاوربية بعيدة عن روح الديانة المسيحية وهو الزهد في المال والسلطان وزينة الدنيا ، فلولا غلبة بعض آداب الانجيل على تلك الام لا سرفوا في مدينتهم المادية امرا فاعرف مقترن بشي من البر وعمل الخير واذا لبادت

مدنيهم سرعاً . ومن يقل انه سيكون أبعدها عن الدين أقربها الى السقوط والهلاك لا يكون مقتناً في الحكم ولا بعيداً عن قواعد علم الاجتماع فيه . فحاصل هذا الجواب الاول عن ذلك الابرار أن وجود أفراد من الفضلاء غير المتدينين لا ينقض ما قاله الاستاذ الامام من كون الدين هو الهداية الرابعة لنوع الانسان التي تسوقه الى كماله المدني في الدنيا كما تسوقه الى سعادة الآخرة

وثانياً انه لا يمكن الجزم بأن فلانا الملحد الذي تراه عالي الافكار والآداب قد نشأ على الالحاد وتربى عليه من صغره حتى يقال انه قد استغنى في ذلك عن الدين لاننا نعرف أمة من الامم تربى أولادها على الالحاد واننا نعرف بعض هؤلاء الملحدين الذين يعدون في مقدمة المرتقين بين قومهم ونعلم أنهم كانوا في نشأتهم الاولى من أشد الناس تديناً واتباعاً لآداب دينهم وفضائلهم ثم طرأ عليهم الالحاد في الكبر بعد الخوض في الفلسفة التي تناقض بعض أصول ذلك الدين الذي نشأوا عليه ، والفلسفة قد تغير بعض عقائد الانسان وآرائه ولكن لا يوجد فيها ما يوجب له الفضائل والآداب الدينية ، أو يذهب بملكاته وأخلاقه الراسخة كلها ، وانما يسطو الالحاد على بعض آداب الدين كالتقاة بالمال الحلال فيزين لصاحبه ان يستكثر من المال ولو من الحرام كأكل حقوق الناس والقمار بشرط ان يبقى ما يجعله حقيراً بين من يعيش معهم أو يلقيه في السجن وكالعفة في الشهوات فيبيع له من الفواحش ما لا يخل بالشرط المذكور آنفاً هذا اذا كان راقياً في أفكاره وآدابه ، وأما غير الراقين منهم فهم الذين لا يصدهم عن الفساد في الارض واهلاك الحرث والنسل الا القوة القاهرة ولولا أن دول أوربا قد نظمت فرق المحافظين على الحقوق من الشحنة والشرطة (البوليس والضابطة) أتم تنظيم وجمعات الجيوش المنظمة عوناً لها عند الحاجة لما حفظ لأحد عندها عرض ولا مال ، ولعمت بلادها الفوضى والاختلال ، ولقد كانت الحقوق والاعراض محفوظة في الامم من غير وجود هذه القوى المنظمة أيام كان الدين مرعياً في الآداب والاحكام . فتبين بهذا ان طاعة الله ورسوله لا بد منها للسعادة الدنيا ، على ان السياق هنا قد جاء لما يتعلق بالسعادة الدائمة في الحياة الأخرى

الباطنية (*)

﴿ وآخر فرقهم الباطية البهائية ﴾

وقد اختلف المتكلمون في بيان اغراض الباطنية في دعوتها الى بدعتها فذهب اكثرهم الى ان غرض الباطنية الدعوة الى دين المجوس بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنة واستدلوا على ذلك بأن زعيمهم الاول ميمون بن ديسان كان مجوسيا من سبي الاهواز . ودعا ابنه عبد الله بن ميمون الناس الى دين آبيه واستدلوا أيضا بأن داعيهم المعروف بالبزدهي قال في كتابه المعروف بالمحصول ان المبدع الاول أبدع النفس . ثم ان الاول مدبر العالم بتدبير الكواكب السبعة والطائفة الاربع وهذا في التحقيق معنى قول المجوس ان أليزدان خلق اهرمن وانه مع اهرمن مدبران للعالم غير ان أليزدان فاعل الخيرات وأهرمن فاعل الشرور . ومنهم من نسب الباطنية الى الصابئين الذين هم بحران واستدل على ذلك بأن حمدان قرمط داعية الباطنية بعد ميمون بن ديسان كان من الصابئة الخرافية واستدل أيضا بأن صابئة حران يكتمون أديانهم ولا يظهرونها الا لمن كان منهم . والباطنية أيضا لا يظهرون دينهم الا لمن كان منهم بعد احلافهم اياه على أن لا يذكر امرارهم لغيرهم .

قال عبد القاهر : الذي يصح عندي من دين الباطنية انهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها لميلها الى استباحة كل ما يميل اليه الطبع . والدليل على انهم كما ذكرناه ما قرأته في كتابهم المترجم بالسياسة والبلاغ الاكيد والناموس الاعظم وهي رسالة عبد الله بن الحسن القيرواني الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجناني اوصاه فيها بأن قال له : ادع الناس بأن تقرب اليهم بما يميلون

(*) تابع لما نعر في الجزء السابق (ص ٨٤٠) قلا عن كتاب الفرق بين الفرق

اليه وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم فمن انست منه رشدا فاكشف له الفطاء .
 واذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا وانا وإياهم مجمون على ان
 نواميس الانبياء (كذا) وعلى القول بقدم العالم لو ماخالفنا فيه بعضهم من ان العالم
 مدبرا لا يعرفه . وذكروا في هذا الكتاب القول بالميعاد والعقاب وذكروا فيه أن الجنة
 نعيم الدنيا وان العذاب انما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج
 والجهاد وقل أيضا في هذه الرسالة : ان أهل الشرائع يعبدون إلهها لا يعرفونه ولا
 يحصلون منه إلا على اسم بلاجسم . وقال فيها أيضا : اكرم الدهرية فانهم منا ونحن
 منهم . وفي هذا تحقيق نسبة الباطنية الى الدهرية

والذي يؤكد هذا ان المجوس يدعون نبوة زرادشت ونزول الوحي عليه
 من عند الله تعالى والصابئين يدعون نبوة هرس وواليس ودور وتيوس وافلاطون
 وجماعة من الفلاسفة : وسائر أصحاب الشرائع كل صنف منهم مقرون بنزول
 الوحي من السماء على الذين أقروا بنبوتهم ويقولون ان ذلك الوحي شامل للامر
 والنهي والخبر عن عاقبة الموت وعن ثواب وعقاب وجنة ونار يكون فيها الجزاء
 عن الاعمال السالفة : والباطنية يرفضون المعجزات وينكرون نزول الملائكة من
 السماء بالوحي والامر بالنهي بل ينكرون أن يكون في السماء ملك وانما يتأولون
 الملائكة عن دعائهم الى بدعتهم ويتأولون الشياطين على مخالفتهم والاباسه على
 مخالفتهم . ويزعمون أن الانبياء قوم أحبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس والحيل
 طلبا للزعامة بدعوى النبوة والامامة . وكل واحد منهم صاحب دور مسبب اذا انقضى
 دوره سبعة تبعه في دور آخر واذا ذكروا النبي والوحي قالوا النبي هو الناطق والوحي
 أساسه الفائق والى الفائق تأويل نطق الناطق على ما نراه يميل اليه هواه فمن صار
 تأويله الباطن فهو من الملائكة البررة ، ومن عمل بالظاهر فهو من الشياطين
 الكفرة ، ثم تأولوا لكل ركن من أركان الشريعة تأويلا يورث تضليلا فزعموا
 ان معنى الصلاة موالاة امامهم والحج زيارته وادماة خدمته . والمراد بالصوم
 الامساك عن افشاء سر الامام دون الامساك عن الطعام ، والزنا عندهم افشاء سرهم
 بغير عهد وميثاق . وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها وتأولوا في ذلك

قوله تعالى «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» وحلوا اليقين على معرفة التاويل .
وقد قال القيرواني في رسالته الى سليمان بن الحسن : اني اوصيك بتشكيك الناس في
القرآن وانتوراة والزبور والانجيل و بدعوتهم الى ابطال الشرائع والى ابطال المعاد
والنشور من القبور وابطال الملائكة في السماء وابطال الجن في الارض وأوصيك بأن
تدعوهم الى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير فان ذلك عون لك على القول بقدم العالم
وفي هذا تحقيق دعوانا على الباطنية انهم دهرية يقولون بقدم العالم ويجحدون
الصانع . ويدل على دعوانا عليهم بالقول بابطال الشرائع وأنت القيرواني قال ايضا
في رسالته الى سليمان بن الحسن : وينبغي أن تحيط علما بخاريق الانبياء ومناقضاتهم
في قولهم كيسي بن مريم قال لليهود : لا أرفع شريعة موسى ثم دفعها بتحريم الاحد بدلا
من السبت وأباح العمل في السبت وأبدل قبة موسى بخلاف جهتها ولهذا قتله البلاد
لما اختلفت كلمته . ثم قال له : ولا تكن كصاحب الامة المنكوسة حين سأله عن
الروح فقال : « الروح من أمر ربي » (١) لما لم يحضره جواب المسألة . ولا تكن
كموسى في دعواه التي لم يكن له عليها برهان سوى المحرقة بحسن الحيلة والشعبذة
ولما لم يجد الحق في زمانه عنده برهانا قال له : « انن اتخذت إلهي غيري » . وقال لقومه :
« أنا ربكم الاعلى » لانه كان صاحب الزمان في وقته . ثم قال في آخر رسالته :

وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعي العقل ثم يكون له أخت أو بنت
حسنة وليست له زوجة في حسننها فيحرمها على نفسه وينكحها من اجنبي . ولو عقل
الجاهل لعلم انه أحق باخته وبنته من الاجنبي ما وجه ذلك الا أن صاحبهم
حرم عليهم الطيبات وخوفهم بفائب لا يعقل وهو إله الذي يزعمونه وأخبرهم
بكون ما لا يروونه أبدا من البعث من القبور والحساب والجنة والنار حتى استعبدتهم
بذلك عاجلا وجعلهم له في حياته ولذريته بعد وفاته خولا واستباح بذلك
أموالهم بقوله « لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى » (٢) فكان أمره معهم

(١) الروح هنا ملك ذكر في القرآن أو الوحي ولا يمكن الجواب عنه بنير هذا

(٢) مطالبهم بالمودة في القربى أي الاقربين من أولى ارحامه (ص) لا يقضي جعلهم عبيداً
وخولا لهم فكيف والظاهر انه اراد اقاربهم وارحامهم والاستثناء منقطع قطعاً

نقد وأمرهم معه نسيئة . وقد استعجل منهم بدل أرواحهم وأمواهم على انتظار موعود لا يكون . وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها ؟ وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائم من التعب والنصب في الصلاة والصيام والجهاد والحج ؟ ثم قال سليمان بن الحسن في هذه الرسالة : وأنت واخوانك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس وفي هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها المحرمة على الجاهلين المتمسكين بشرائع أصحاب النواميس فهينثا لكم ما نلتهم من الراحة عن أمرهم . وفي هذا الذي ذكرناه دلالة على أن غرض الباطنية القول بمذهب الدهرية واستباحة المحرمات وترك العبادات ثم أن الباطنية لهم في اصطلياد الاغنام ودعوتهم الى بدعتهم حيل على مراتب يسمونها الفرس والتائس والتشكيك والتعليق والربط والتدليس والتأسيس والمواثيق بالايمان واليهود وآخرها الخلع والسلخ . فأما الفرس فأنهم قالوا : من شرط الداعي الى بدعتهم أن يكون قويا على التلبس وعارفا بوجوه تأويل الظواهر ليردها الى الباطن ويكون مع ذلك ممبزا بين من يجوز أن يطعم فيه وفي اغوائه وبين من لا مطمع فيه . ولهذا قالوا في وصاياهم للدعاة الى بدعتهم لا تتكلموا في بيت فيه سراج يعنون بالسراج من يعرف علم الكلام ووجوه النظر والمقاييس . وقالوا أيضا لدعاتهم : لا تطرحوا بزركم في أرض سبخة : وأرادوا بذلك منع دعاتهم عن اظهار بدعتهم عند من لا تؤثر فيهم بدعتهم كما لا يؤثر البذر في الارض السبخة شيئا . وسموا قلوب أتباعهم الاغنام أرضا زكية لأنها تقبل بدعتهم . وهذا المثل بالعكس أولى وذلك أن القلوب الزاكية هي القابلة للدين القويم والصراط المستقيم وهي التي لا تصدأ بشبه أهل الضلال كالذهب الابريز الذي لا يصدأ في الماء ولا يبلى في التراب ولا ينقص في النار . والارض السبخة كقلوب الباطنية وسائر الزنادقة الذين لا يزجرهم عقل ، ولا يردعهم شرع ، فهم أرجاس أنجاس «أموات غير أحياء» «انهم كالانعام بل هم أضل سبيلا» وأقل حويلا قد قسم لهم الحظ من الرزق من قسم رزق الخنازير في مراعيها ، وأباح طعمة العنب في براريها ، «لا يستل عما يفعل وهم يسألون»

وقالوا أيضا: من شرط الداعي الى مذهبهم أن يكون عارفا بالوجوه التي تدعى الانصاف.

فليست دعوة الانصاف من وجه واحد بل لكل صنف من الناس وجه يدعى منه الى مذهب الباطن . فمن رآه الداعي مائلا الى العبادات حمله على الزهد والعبادة ثم سألته عن معاني العبادات وعمل الفرائض وشككه فيها . ومن رآه ذاججون وخلاعة قال له : العبادات بله وحماقة وان الفطنة في نيل اللذات وتمثل له بقول الشاعر

من راقب الناس مات هما وقاز بالاذة الجسور

ومن رآه شاكيا في دينه أو في المعاد والثواب والعقاب صرح له بنفي ذلك وحمله على استباحة المحرمات واستروح معه الى قول الشاعر الماجن

أترك لذة الصبياء صرفا لما وعدوه من ابن خمر

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو

ومن رآه من غلاة الرافضة كالسبائية والبيانية والمغيرية والمنصورية والخطائية لم يحتج معه الى تأويل الآيات والاخبار لانهم يتأولونها معهم على وفق ضلاتهم . ومن رآه من الرافضة زيديا أو إماميا مائلا الى الطعن في أخبار الصحابة دخل عليه من جهة شتم الصحابة وزين له بغض بني تيم لان أبا بكر منهم وبغض بني عدي لان عمر بن الخطاب كان منهم وحشه على بغض بني أمية لانه كان منهم عثمان ومعاوية وربما استروح الباطني في عصرنا هذا الى قول اسماعيل بن عباد

دخول النار في حب الوصي وفي تفضيل أولاد النبي

أحب الي من جنات عدن أخلدها بيم أو عدي

قال عبد القاهر قد أجبت هذا القائل بقولنا فيه :

اتطمع في دخول جنات عدن وأنت عدو تيم أو عدي

وهم تركوك أشقى من نمود وكم تركوك أفضح من دعي

وفي نار الجحيم غدا ستصلي اذا عاداك صديق النبي

ومن رآه الداعي مائلا الى أبي بكر وعمر مدحهما عنده وقال لهما حظ في تأويل الشريعة ولهذا استصحب النبي أبا بكر الى الفار ثم الى المدينة وأفضى اليه في الفار تأويل شريعته . فاذا سألته الموالي لابي بكر وعمر عن التأويل المذكور لابي بكر وعمر أخذ عليه العمود والمواثيق في كتمان ما يظهره له . ثم ذكر له على التدرج بعض

التأويلات فان قبلها منه اظهر له الباقي وان لم يقبل منه التأويل الاول ربطه في الباقي وكتبه عنه وشك الفر من أجل ذلك في أركان الشريعة .

والذي يروج مذهب الباطنية أصناف . أحدها العامة الذين قتل بصائرهم بأصول العلم والنظر كالنبط والاكراذ وأولاد الجوس . والصف الثاني الشعبي الذين يرون تفضيل المعجم على العرب ويتمنون عود الملك الى المعجم . والصف الثالث اغنام بني ربيعة من أجل غضبهم على مضر لخروج النبي منهم . ولهذا قال عبد الله بن حازم السلمي في خطبته بخراسان : ان ربيعة لم تزل غضابا على الله مذ بعث نبيه من مضر . ومن أجل حسد ربيعة لمضر بايعت بنو حنيفة مسيلة الكذاب طمعا في أن يكون في بني ربيعة نبي كما كان من بني مضر . فاذا استأنس الاعجمي الفر أو الربيعي الحاسد المطن بقول الباطني قومك أحق بالملك من مضر سأله عن السبب في عود الملك الى قومه فاذا سأله عن ذلك قال له ان الشريعة المضرية لها نهاية وقد دنا اقتضاؤها وبعد اقتضاها يعود الملك اليكم . ثم ذكر اه تأويل إنكار شريعة الاسلام على التدريج . فاذا قبل منه ذلك صار ملحدا خرسا واستنقل العبادات واستطاب استحلال المحرمات . فهذا بيان التفرس منهم

ودرجة (التائيس) قرية من درجة التفرس عندهم وهي تزين ماعليه الانسان من مذهبه في عينه ثم سؤاله بعد ذلك عن تأويل ما هو عليه وتشكيكه إياه في أصول دينه فاذا سأله المدعو عن ذلك قال : علم ذلك عند الامام ووصل بذلك منه الى درجة التشكيك حتى صار المدعو الى اعتقاده ان المراد بالظواهر والسنن غير مقتضاها في اللغة وهان عليه بذلك ارتكاب المحظورات وترك العبادات

والربط) عندهم تعليق نفس المدعو بطلب تأويل أركان الشريعة . فاما ان يقبل منهم تأويلها على وجه يؤول الى رفعها وإما أن يبقى على الشك والخيرة فيها .

ودرجة (التدليس) منهم قولهم للفر الجاهل بأصول النظر والاستدلال : ان الظواهر عذاب وباطنها فيه الرحمة وذكر له قوله في القرآن (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) فاذا سألهم الفر عن تأويل باطن الباب قالوا : جرت سنة الله تعالى في أخذ العهد والميثاق على رسله . ولذلك قال «وإذ أخذنا من النبيين

ميثاقهم ومنك ومن نوح و ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ،
 وذكر له قوله « ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا » فاذا
 حلف الغر لهم بالايمان المفاظة وبالطلاق والعق و بتسبيل الاموال فقد ربطوه بها
 وذكروا له من تأويل الظواهر مايؤدي الى رفعها بزعمهم . فان قبل الاحق ذلك منهم
 دخل في دين الزنادقة باطنا واستتر بالاسلام ظاهرا . وإن نفر الخالف عن اعتقاد
 تأويلات الباطنية الزنادقة كتبها عليهم لانه قد حلف لهم على كتمان ما أظهره له
 من أسرارهم . واذا قبلها فقد حلفوه وساخوه عن دين الاسلام وقالوا له
 حينئذ : ان انظار كالكشر والباطن كالب واللب خير من القشر . قال عبدالقاهر :
 حكى له بعض من كان دخل في دعوة الباطنية ثم وفقه الله تعالى ارشده وهداه الى
 حل ايمانهم انهم لما وثقوا منه بايمانه قالوا له : ان المسلمين بالانبياء كنوح و ابراهيم وموسى
 وعيسى ومحمد وكل من ادعى النبوة كانوا أصحاب نوايس ومخاريق أجوا الزعامة
 على العامة فخدعهم بنيران نجات واستعبدهم بشرائهم . قال هذا الحاكمي لي ثم ناقض
 الذي كشف لي هذا السر بأن قال له : ينبغي ان تعلم ان محمد بن اسماعيل بن جعفر
 هو الذي نادى موسى بن عمران من الشجرة فقال له « اني انا ربك فاخلع نعليك » قال
 فقلت سخنت عينك تدعوني الى الكفر برب قديم خالق للعالم ؟ ثم تدعوني مع ذلك
 الى الاقرار بربوبية انسان مخلوق ونزعم انه كان قبل ولادته لها رسلا لموسى ؟
 فان كان موسى كذابا فالذي زعمت انه أرسله أكذب . فقال لي انك لا تفصح
 أبدا وندم على افشاء أسرارهم الي وتبت من بدعتهم . فهذا بيان وجه حيلهم على اتباعهم
 وأما أيمانهم فان داعيهم يقول للحالف : جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه
 وذمته وذمة رسله وما أخذ الله على النبيين من عهد وميثاق انك تستر ما تسمعه مني
 وما تعلمه من أمري ومن امر الامام الذي هو صاحب زمانك وامر أشياعه وأتباعه في
 هذا البلد وفي سائر البلدان وأمر المطيعين له من الذكور والاناث فلا تظهر من ذلك
 قليلا ولا كثيرا ولا تظهر شيئا يدل عليه من كتابة أو اشارة إلا ما أذن لك فيه الامام
 صاحب الزمان أو أذن لك في اظهاره المأذون له في دعوته فتعمل في ذلك حينئذ
 بمقدار مايؤذن لك فيه . وقد جعلت على نفسك الوفاء بذلك وألزمته نفسك في

حاتي الرضا والغضب والرغبة والرهبة قال نعم . فاذا قل نعم قال له : وجعلت على نفسك أن تمنعني وجميع من أسميه لك مما تمنع منه نفسك بهمد الله تعالى وميثاقه عليك وذمته وذمة رسله وتنصحههم نصحا ظاهرا وباطنا ، وأن لا نخون الامام وأولياءه وأهل دعوته في انفسهم ولا في أموالهم . وانك لا تتأول في هذه الايمان تأويلا ولا تعتقد ما يحلها . وانك ان فعلت شيئا من ذلك فأنت بريء من الله ورسله وملائكته ومن جميع ما أنزل الله تعالى في كتبه . وانك ان خالفت شيئا مما ذكرناه لك فله عليك ان تهج الى بيته مئة حجة ماشيا نذرا واجبا ، وكل ما تملكه في الوقت الذي انت فيه صدقة على الفقراء والمساكين ، وكل مملوك يكون في ملكك يوم تخالف فيه أو بعده يكون حرا ، وكل امرأة لك الآن أو يوم مخالفتك أو تزوجها بعد ذلك تكون طالقا منك ثلاث طلاقات والله تعالى الشاهد على نيتك وعقد ضميرك فيما حلفت به . فاذا قل نعم قال له : كفى الله شهيدا بيننا وبينك

فاذا حلف الغر بهذه الايمان ظن انه لا يمكن حلها ، ولن يعلم الغر انه ليس لايمانهم عندهم مقدار ولا حرمة وانهم لا يرون فيها ولا في حلها اثما ولا كفارة ولا عارا ولا عقابا في الآخرة . وكيف يكون لليمين بالله وبكتبه ورسله عندهم حرمة وهم لا يقررون بالقديم بل لا يقررون بحدوث العالم ولا يشبتون كتابا منزلا من السماء ولا رسولا ينزل عليه الوحي من السماء . وكيف يكون لايمان المسلمين عندهم حرمة ومن دينهم أن الله الرحمن الرحيم انما هو زعيمهم الذي يدعون اليه ؟ ومن مال منهم الى دين المجوس زعم ان الاله نور بازائه شيطان قد غلبه ونازعه في ملكه . وكيف يكون لنذر الحج والعمرة عندهم مقدار وهم لا يرون للكعبة مقدارا ويسخرون بمن يحج ويعتمر ؟ وكيف يكون للطلاق عندهم حرمة وهم يستحلون كل امرأة من غير عقد ؟ فهذا بيان الايمان عندهم

فأما حكم الايمان عند المسلمين فانا نقول : كل يمين يحلف بها الخالف ابتداء بطوع نفسه فهو على نيته وكل يمين يحلف بها عند قاض أو سلطان يحلفه ينظر فيها فان كانت يمينا في دعوى لدع شيئا على الخالف المنكر وكان المدعي

ظالما المدعى عليه فيمين الخائف على نيته ، وان كان المدعي محقا والمذكر ظالما المدعي فيمين
المنكر على نية القاضي أو السلطان الذي أحلفه . ويكون الخائف خائفا في يمينه .
واذا صحت هذه المقدمة فالبحث عن دين الباطنية اذا قصد اظهار بدعتهم
للناس أو أراد النقص عليهم معذور في يمينه ويكون يمينه على نيته . فاذا استثنى
بقوله مشيئة الله تعالى فيها لم تنعقد عليه أيمانه ولم يبحث فيها باظهاره أسرار الباطنية
للناس ولم تطلق نساؤه ولا تمتق ممتلكاته ولا تلزمه صدقة بذلك . وليس زعيم
الباطنية عند المسلمين إماما ، ومن أظهر سره لم يظهر سر إمام وانما أظهر سر كافر زنديق .
وقد جاء في الحديث المأثور « اذكروا الفاسق بما فيه يحذره الناس » فهذا بيان
حيلتهم على الاغمار بالايان

فأما احتيالهم على الاغمار بالتشكيك فمن جهة أنهم يسألونهم عن مسائل من
أحكام الشريعة يوهمونهم فيها خلاف معانيها الظاهرة . وربما سألوهم عن مسائل
في المحسوسات يوهمون ان فيها علوما لا يحيط بها الا زعيمهم . فمن مسائلهم قول
الداعي منهم للغر : لم صار للانسان أذنان ولسان واحد ؟ ولم صار للرجل ذكرا واحد
وخصيتان ؟ ولم صارت الاعصاب متصلة بالكبد والشرابين متصلة بالقلب ؟ ولم
صار الانسان مخصوصا بنبات الشعر على جفنه الأعلى والأسفل وسائر الحيوان
ينبت الشعر على جفنه الأعلى دون الأسفل ؟ ولم صار ثدي الانسان على صدره .
وثدي البهائم على بطونها ؟ ولماذا لم يكن للفرس غدد (١) ولا كرش ولا كعب ؟
وما الفرق بين الحيوان الذي يبيض ولا يلد ولا يبيض ؟ وبماذا يميز بين السمكة
النهرية والسمكة البحرية ؟ ونحو هذا كثير يوهمون ان العلم بذلك عند زعيمهم .
ومن مسائلهم في القرآن سؤلهم عن معاني حروف الهجاء في أوائل السور كقوله
« الم » و « حم » و « طس » و « يس » و « طه » و « كهيعص » وربما قالوا ما معنى
كل حرف من حروف الهجاء ؟ ولم صارت حروف الهجاء تسعة وعشرين حرفا
ولم عجم بعضها بالنقط وخلا بعضها من النقط ، ولم جاز وصل بعضها بما بعدها بحرف ؟
وربما قالوا للغر : ما معنى قوله « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية : » ولم
(١) الندد جمع غدة وهي كل عقدة في الجسد أطاف بها شحم ، وكل قطعة صلبة بين العصب

جعل الله أبواب الجنة ثمانية ، وأبواب النار سبعة ؟ وما معنى « عليها تسعة عشر » ؟
وما فائدة هذا العدد ؟

وربما سألوا عن آيات وأوهوا فيها التناقض وزعموا انه لا يعرف تأويلها الا زعيمهم
كقوله « فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان » مع قوله في موضع آخر
« فو ربك لنسألنهم أجمعين »

ومنها مسائلهم في أحكام الفقه كقولهم : لم صارت صلاة الصبح ركعتين والظهر
أربعا والمغرب ثلاثا ، ولم صار في كل ركعة ركوع واحد وسجدة واحدة ، ولم كان الوضوء
على أربعة أعضاء والتيمم على عضوين ، ولم وجب الغسل من المني وهو عند أكثر
المسلمين طاهر ولم يجب الغسل من البول مع نجاسته عند الجميع ، ولم أعادت
الحائض ما تركت من الصيام ولم تعد ما تركت من الصلاة ، ولم كانت العقوبة في
السرقه بقطع اليد وفي الزنا بالجلد ، وهلا قطع الفرج الذي به زنى في الزنا كما قطعت
اليدين بها سرق في السرقه ،

فاذا سمع القره هذه الاسئلة ورجع اليهم في تأويلها قالوا له : علمها عند إمامنا وعند
المأذون في كشف أسرارنا . فاذا تقرر عند القر أن إمامهم أو مأذونه هو العالم بتأويله
اعتقد أن المراد بظواهر القرآن والسنة غير ظاهرها فأخرجوه بهذه الحيلة عن العمل
بأحكام الشريعة . فاذا اعتاد ترك العباداة واستحل المحرمات كشفوا له القناع وقالوا
له : لو كان لنا إله قديم غني عن كل شيء لم يكن له فائدة في ركوع العباد وسجودهم
ولا في طوافهم حول بيت من حجر ولا في سعي بين جبليين . فاذا قبل منهم ذلك
قد انسلخ عن توحيد ربه وصار جاحدا له وزنديقا .

قال عبد القاهر : والكلام عليهم في مسائلهم التي يسألون عنها عند قصدهم الى
تشكيك الاغمار في أصول الدين من وجهين (احدهما) ان يقال لهم : إنكم لا تخلون
من أحد أمرين إما أن تقروا بحدوث العالم وتثبتوا له صانعا قديما عالما حكما يكون له
تكليف عباده ماشاء كيف شاء وإما أن تنكروا ذلك وتقولوا بقدم العالم ونفي
الصانع . فان اعتقدتم قدم العالم ونفي الصانع فلامعني لقولكم : لم فرض الله كذا ولم
حرم كذا ولم خلق كذا ولم جعل كذا على مقدار كذا اذ لم تقرروا بالله فرض شيئا

أوحى له أو خلق شيئاً أو قدره . ويصير الكلام بيننا وبينكم كالكلام بيننا وبين الدهرية في حدوث العالم وإن أقررتم بحدوث العالم وتوحيد صانعه وأجزتم له تكليف عبادته ماشاء من الاعمال كان جواز ذلك جواباً لكم عن قولكم : لم فرض ولم حرم كذا لاقراركم بجواز ذلك منه إن أقررتم به وبجواز تكليفه . وكذلك سؤلهم عن خاصية المحسوسات يبطل إن أقروا بصانع أحدثها وإن أنكروا الصانع فلا معنى لقولهم : لم خلق الله ذلك ؟ مع انكارهم أن يكون لذلك صانع قديم .

والوجه الثاني من الكلام عليهم فيما سألوا عنه من عجائب خلق الحيوان أن يقال لهم : كيف يكون زعماء الباطنية مخصوصين بمعرفة علل ذلك وقد ذكرت الأطباء والفلاسفة في كتبهم وصنف أرسطاطاليس في طبائع الحيوان كتاباً وما ذكرت الفلاسفة من هذا النوع شيئاً إلا مسروقاً من حكماء العرب الذين كانوا قبل زمان الفلاسفة من العرب القحطانية والجرهمية والطسمية وسائر الاصناف الجبرية . وقد ذكرت العرب في أشعارها وأمثالها جميع طبائع الحيوان ولم يكن في زمانها باطني ولا زعيم للباطنية . وإنما أخذ أرسطاطاليس الفرق بين ما يلد وما يبيض من قول العرب في أمثالها كل شرقة ولود وكل صكاء بيوض ، ولهذا كان الخفاش من الطير ولوداً لا بيوضاً لأن لها أذناً شرقة . وكل ذات أذن صكاء بيوض كالحية والضب . والطيور البائضة

(ثم ذكر هنا كلاماً طويلاً في طبائع الحيوان والنبات الذي عرفته العرب ثم ختم الكلام بقوله) :

فهذا وما جرى مجراه من خواص الحيوانات وغيرها قد عرفته العرب في جاهليتها بالتجارب من غير رجوع منها إلى زعماء الباطنية . بل عرفوه قبل وجود الباطنية في الدنيا بأحقاب كثيرة . وفي هذا بيان كذب الباطنية في دعواها أن زعماءها مخصصون بمعرفة أسرار الأشياء وخواصها وقد بينا خروجهم عن جميع فرق الاسلام بما فيه كفاية والمحمد لله على ذلك . انتهى

باب المراسلة والمناظرة

(الخلافة الاسلامية والجامعة العثمانية) (*)

٣

« تفتحن القسطنطينية وننعم الامير

اميرها وننعم الجيش جيشها »

حديث شرف

كان المرحوم عبد الرحمن الكواكبي وهو ذلك العالم الحر والمفكر الابي يشكو من حالة الدولة السابقة فارتاح الانجليز الى مطالبته بالخلافة العربية هو عن حسن نية وبدون انعام النظر السياسي وهم عن خبث طوية لأن تقهر الدولة لم يكن قاصرا عليها فقط بل كان ماسا بمصالحهم . الف المرحوم كتابه « أم القرى » ولو أنعم نظره السياسي لرأى الضرر الذي يلحق العالم الاسلامي بوجه عام والشرق الادنى بوجه خاص من جراء هذا المسمى . ولم يقتصر الانجليز عند حد استغواء هذا العالم من الذين لا يلمون كثيرا بالاعتبارات السياسية والظروف الخصوصية بل ان جرائهم فاقت حد التصور واللباقة اذ كانوا لا يمترونون بالقاضي الشرعي في الصومال الا اذا أقره شريف مكة . وبمثل هذا التفرير كادوا يضعون غشاوة على بصيرة بعض أمراء الشرق لا يقدر أحكام وضعها الا السياسة الانجليزية .

واني آتي هنا على مثالين اثبتهم اجليا كيف ان الانجليز بحاربون الخلافة الاسلامية ثم يستفيدون بادعائهم صداقة (أمير المؤمنين) وشيخ الاسلام سياسيا ولو بالتزوير والتزييف يعلم الكثيرون بالحركة الوطنية المتأججة ناراها في الهند . ولما كان الانجليز في حسن تفاهم مع العثمانيين زوروا كتابات باسم الخليفة وسماحة شيخ الاسلام وادعوا فيها انهما يوصيان مسلمي الهند بالولاء والاخلاص للدولة الانجليزية . واقرب هذه

(*) تابع لما نشر في الجزء العاشر (ص ٨٥٧) بقلم علي افندي فهمي محمد

الكتابات ذلك الحديث الذي عزاه مكتب التيمس الى سماحة شيخ الاسلام في الاستانة الذي نفى مفزاه رسميا وفي ذلك الوقت نفسه كانوا يهر بون الاسلحة الى بلاد العرب فضبطت أخيرا عند الشواطئ وانصاع من التحقيق انها من صنع يد الانجليز وكان لسان حلم يقول انه ذلك ينافي صداقتهم للدولة العلية صاحبة الخلافة الاسلامية هذه القوة الاسلامية السياسية التي يحللها الانجليز لانفسهم ويحرمونها على غيرهم ترتعد فرائضهم منها حتى ان كثيرا من جرائدهم الاستعمارية كالديلي تلغراف وبحوها لما هنأت جمعية الاتحاد والترقي جلالة السلطان بقولها « الى صاحب الخلافة والجلالة أمير المؤمنين و السلطان العثمانيين » زارت وزجرت وجردت قول العدوان وشهرت وقالت ان مرسلي التلغراف متشبعون بمبدأ الجامعة الاسلامية الشديدة المقتوة! وهكذا السياسة الانجليزية تلتوي علينا وتسحق حين ترتوي منا وتفتنخ!

نحن نود ابقاء الخلافة الاسلامية في آل عثمان ونعمل لذلك بعامل المصلحة وذلك لان الدولة العثمانية هي أقوى ممالك الاسلام في الحال وستبقى كذلك في المستقبل وهي التي بيدها الحرمان الشريفان فينبغي أن تكون الخلافة في أيدي العثمانيين حقنا للدماء ومراعاة للمصلحة العامة. وليس لها من منازع قوي يؤمل أو يخشى نجاحه وانما الدول الاجنبية تفرق بيننا وتغري بعضنا ببعض حتى تنهك قوانا الفرعية وتضعف السلطة المركزية والواجب على كل عاقل مخلص ان يجعل هذا السبب نصب عينيه. قال حضرة الكاتب الاسلامي الكبير محمود بك سالم : « جاء اسماعيل باشا فتدبع سعيدا في سياسته الفرنسية فبالغ في مجاملة نابليون الثالث الذي افهمه انه سيساعده على الوصول الى ترمي الملكية المستقلة فأكثر من الترف والبذخ ليعلو على الاكاسرة والقياصرة وجبايرة الفراعنة ووزع الهدايا الفاخرة على ملوك أوروبا وملكاتهن وعلينها وكتابها ووزرائها وأغنيائها وصهاليكها بطريقة أبكت العقلاء وأضحكت الجهلاء. وما زال كذلك حتى انكسر نابليون الثالث سنة ١٨٧٠ فنبت فرنسا وتعلق بانجلترا فأنهم أنه لا يكون ملكا مستقلا الا اذا قارب عدد رعاياه عدد رعايا السلطان نفسه. ومن هنا ابتدأت حروب السودان والصومال والحبس ودارفور وأوغنده وزنجبار على غير جدوى المصريين بل لفائدة الانجليز الذين أرسلوا صموئيل بيكر

باشا وغردون باشا والمرسلين لينشروا المدنية على شواطئ النيل الايض والنيل
الازرق تمهدا لسياستهم الكبرى . وكل عاقل نظر الى قوة الجيش المصري وسعة
تلك الاقطار والى النفقات الباهظة التي أنفقت جزافا والى الرجال الذين ماتوا هدرا
ويعدون بمئات الالوف علم مقدار ما لحكامنا من قصر النظر وسوء التدبير »

هذا شيء قليل جدا من كثير جدا مما يشه الا جانب فينا من عوامل الشقاق
والخلاف فعسى أن تزول هذه البواعث النفسانية التي أدت بنا جميعا الى التهلكة .
واني أتذكر انه لما زار المرحوم مظفر الدين شاه إيران الآستانة في أواخر
أيامه ذكرت جرائدها انه لما قال السلطان قبل يده فلما انتهى اليه هذا الخبر قال
« انها نبهتني الى واجب فائتي أدائه لان السلطان هو أمير المؤمنين شرعا » فأبن
هذه الروح العالية والنفس الكبيرة من محمد علي شاه إيران السابق الذي كان
يحتج بشدة على التجاء الاحرار الى السفارة العثمانية ويتعافل عن سفارتي روسيا
وانجلترا اللتين سلبتا بلاده ولم تنفعا يوم ان ثل عرشه وقد كان يقول : إن روسيا
أحب الممالك الى قلبه . اللهم انك على كل شيء قدير تخرج الظلمات من النور .

ولا أدري ما الذي ينفر العثمانيين غير المسلمين من الخلافة الاسلامية وهي
كما شرحناها لا تنافي معنى الجامعة العثمانية الوطنية ولا تضربهم في شيء ما بل
بالعكس تجعل لهم منزلة خصوصية في سائر انحاء العالم لكونهم عثمانيين من رعايا صاحب
الخلافة . ان العثماني غير المسلم الذي يتأفف من الخلافة الاسلامية اما ان يكون
غير صادق في عثمانيته واما أن يكون قصير النظر السيامي . قال كاتب رسائل
الاسلام والمدنية « لم يفت تأثير هذا الارتباط العجيب تلك الفتوحات السريعة
التي قام بها المسلمون على عهد الدول العربية والتركية بيد أن الدول الاسلامية
الاولى حاوات أن تفصل بين تبك الصفتين المدنية والدينية فكان عصر الانفصال
مبدأ انحطاط . ولا تزال الى اليوم خلافة السلطان الاعظم رابطة تربط الشعوب
الاسلامية من غير الاراك بالدولة العلية فتكون بهم قوتها واذا جردت السلطان من
هذا اللقب لا تلبث ان ترى الدولة العلية تنحل وتصبح دولة ثانوية .

لذلك اكرر القول بأن أنصح لجميع العثمانيين بالتآزر والتماسك فان يد الله مع

الجماعة ولا يهوانهم القول بالخلافة الاسلامية التي هم احترامها لشماثرهم الدينية
تكسبهم كثيرا من المزايا السياسية والاقتصادية واني اوصيهم بما اوصاهم به شاعر
مصر حافظ ابراهيم في تهنته اياهم بالدستور:

فتفتأوا ظل الهلال فانه جم المبرة واسع الففوان
يرعى اوسى والمسيح وأحمد حق الولاء وحرمة الاديان
فخذوا المواثيق والهود على هدى التوراة والانجيل والفرقان
وما قاله شوقي بك شاعر الامير:

أما الخلافة فهي حائط يتحكم حتى يبين الحشر عن أحواله
اخدت بحمد المشرفي ونالها لكم القنا بقصاره وطواله
طمع القريب أو البعيد بئيلها طمع الفقى من دهره بمحاله
ما الذئب يرتد على ليث الشرى في الغاب معقديا على اشبهاله
بأقل عقلا وهي في ايمانكم ممن يحاول أخذها بشماله

واني بما قدمته من الحجج اثار بخرية والنظريات السياسية أو مل الا يكون لمساعي أولئك
الاعداء السياسيين المتلبسين بحزمهم بوشاح الصداقة الكاذبة ادنى نصيب من الالتفات
فلا تنهوا ولا تحزنوا ولا يغتب بعضكم بعضا واعملوا بنص الحديث الشريف:

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » اهـ

(المنار) نشرنا هذه الرسالة كما هي ولم تعرض لتخريج ما ذكر من الاحاديث
فيها ولا للبحث في مسائلها ولكننا نقول ان افكار الكواكبي السياسية كانت
مبنية على قواعد منها اليأس من الدولة العلية ولم يكن يريد أن يكون الخليفة القرشي
الذي يخلف الخليفة التركي سلطانا حاكما سائسا للعرب أو لغيرهم وانما كان رأيه أن
يكون رئيسا دينيا ينظر في مصالح المسلمين الروحية الادبية وبرقيها ، واكثر الذين
يتكلمون عن سياسته لا يعرفون منها شيئا ولم يكن للانكليز ولا لغيرهم من الاجانب
رأي ولا علم بتأليفه لسجل جمعية أم القرى فانه كتبه في حلب وزاد فيه بمصر ولم يكن يعلم
بذلك أحد الا افراد من العثمانيين كصالح أفندي جمال من حزب تركيا الفتاة . وقد
ذكرنا في ترجمته في المجلد الخامس اننا لم نكن موافقين له في جميع آرائه السياسية

إحياء اللغة العربية

﴿ وطبع نواذرهم صنفاتها ﴾

كانت العلوم العربية والآداب العربية في عهد الدول العربية في الشرق والغرب والجنوب والشمال زينة الدنيا وأساس عمرانها ومدنيتها وعنهما أخذت أوربا مدنيتهما وعلومها وفنونها وارتقت فيها بعد أن تدلى العرب وضعفوا بذهاب دولهم وتقلب الاعاجم عليها ، وإنما ترتقي العلوم والفنون بتأييد الدول القوية لها .

لم يرقم في الشرق الاسلامي بعد الدول العربية الاصلية والمستعربة دولة قوية الا الدولة العثمانية ، ومن سوء حظ الشرق والاسلام ان كان الترك المؤسسون لها من أهل البداوة ولم يجعلوا عاصمتهم في مدينة من مدن الحضارة العربية ك بغداد والشام ومصر فيتعربوا ولو فعلوا لتجددت الحضارة العربية الاسلامية واستمرغوها وكنا نحن السابقين لاوربا . لكنهم لم يفعلوا ذلك جهلا منهم لارغبة في جعل لغتهم هي لغة العلم والحضارة لان اهتمهم بقيت على بداوتها لم تدون ولم يوضع لها نحو ولا صرف ولا بيان في عهد قوتهم وعظمتهم وإنما حاولوا ذلك في هذا العصر فالدولة العثمانية كانت سبب ضعف اللغة العربية بجهلها لاتعمدا منها اذ لم تكن دولة علم ولا حضارة بل دولة حرب وقوة

وبحاول كثير من ساستها اليوم ان يحجوا لغتهم ويجعلوها اللغة الطبيعية للشعوب العثمانية كلها ولو كان ذلك ممكنا لكانوا معذورين في عرف السياسة الجنسية ، ومعذولين في حكم الديانة الاسلامية ، ويرى كثير منهم أن اللغة العربية هي العقبة الكؤود في طريق مقصدهم هذا فهم يحاولون إماتة هذه اللغة وان كان موتها موتا للدين الاسلامي (وحاش لله أن يميت) ولهذا السياسة المبينة على العصبية الجنسية

الجاهلية يمنع بعض حكام الترك العرب من إنشاء المدارس في بلادهم كما فعل متصرف نابلس في منع فضلاء وجهائها من إنشاء مدرسة فيها وحجته في ذلك أنهم يحبون اللغة العربية فتضعف اللغة التركية عندهم . ولا نذكر هنا ما فعلوه في المحاكم وغيرها من مصالح الحكومة في الولايات العربية فأوجب الشكوى واللفظ رأيت كثيرا من العرب العثمانيين خائفين على اللغة العربية أن تموت بمقاومة بعض حكامهم لها ويجهل هؤلاء أن الله تعالى قد سخر لهذه اللغة أمم الأفرنجية يتدارسون ويحبون موات علومها وآدابها ، وإن لها دولة هي أقوى من الدولة العلية حضارة . وإن كانت دونها جنسية وهي تحت سيادتها دون سياستها وإدارتها . ألا وهي الحكومة المصرية العربية

التعليم في الأزهر ولاحقته من المدارس الدينية في هذه البلاد كله باللغة العربية ، وجميع مدارس الحكومة والمدارس الأهلية فيها تدرس اللغة العربية وتعلم بعض الفنون بها وبعضها بأحدى لغتي العلم في الغرب الانكليزية والفرنسية وقد شرعت الحكومة تستعد لجعل تدريس جميع الفنون بالعربية وقد شرعت في هذا العام بإحياء المصنفات العربية القديمة في الفنون المختلفة بطبعها في مطبعتها المشهورة ، واسترشدت في ذلك بصديقنا أحمد زكي بك الكاتب الثاني لمجلس النظار لما له من الخبرة الواسعة في هذا الباب ، وقد جاءنا منها الرسالة الآتية في بيان هذا المشروع وما هي ذي بنصها :

الحكومة الخديوية المصرية

« مجلس النظار »

﴿ إحياء الآداب العربية ﴾

اجتمع مجلس النظار بسراي رأس التين بالاسكندرية في يوم الاثنين ٢١

شوال سنة ١٣٢٨ (٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٠)

تحت رئاسة الجناب الخديوي المعظم عباس حلمي الثاني

بمحضور صاحب العطوفة محمد سعيد باشا	رئيس المجلس وناظر الداخلية
وامصعاب السعادة سعد زغلول باشا	ناظر الحفانية
وحسين رشدي باشا	ناظر الخارجية
وامامعيل صري باشا	ناظر الاشغال العمومية والحربية
واحمد حشمت باشا	ناظر المعارف العمومية
ويوسف سبابا باشا	ناظر المالية

وحضر الجلسة جناب المستر هنري بول هرفي المستشار المالي

كاتب السر الثاني احمد زكي بك

اطلع المجلس على المذكرة المقدمة من صاحب العطوفة محمد سعيد باشا رئيس المجلس وعلى التقرير الذي كتبه صاحب السعادة احمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية عن الوسائل المقترضة اتخاذها لاهياء الآداب العربية بالديار المصرية وبعد المناقشة قرر المجلس الموافقة على جميع الاقتراحات التي تضمنتها تلك المذكرة وتكليف نظارتي المعارف العمومية والمالية بتنفيذها
رئيس المجلس كاتب السر
(محمد سعيد) (احمد زكي)

مذكرة

مرفوعة الى مجلس النظار

كان من دأب الحكومات التي تناوبت الحكم على وادي النيل منذ الزمان القديم طلب المباراة في ميادين السبق لرفع منار العلوم ونشر رايات العرفان سعيا وراء الفخر المخلد والمجد الموبد وكان من همها على الاخص توجيه عنايتها الى اعلاء شأن اللغة العربية وآدابها بما كانت تبذله من الرغائب لانبعاث الهمم من رقتها وانعقاد العزائم على خدمتها وتمضيدها أهل العلم وذوي الفضل على دوام البحث والاستنباط غير أن نوب الزمان وطواريء الحدثن تناوات هذه العناية فيما تناولته فاختدت نارها وحجبت أنوارها فانحلت العزائم وتلاشت الهمم وكادت محنة الدهر تقضي

على ملكة الاختراع والابتكار بين أهل هذه الديار وتققدم ميل النفس الى التصنيف والتأليف ثم تفرع على ذلك اندثار دور الكتب واندراس آثارها بينما بعد ان كانت قاعة على الدهر تشهد للأمة المصرية بعلو كعبها وجميل أثرها في هذا الباب وما زالت يد الزمن تعيث وتدمر حتى سخر الله لهذه البلاد محيي موانها وباعث رفاقها ذلك الرجل العظيم محمد علي الكبير رأس هذه الاسرة المالكة فزواج بين ترقية الامة المصرية ماديا وأديا ومزج بين اصلاحها معاشا ومعادا حتى منحه التاريخ لقباً ينطبق عليه بكل حق وعدل وهو « محيي مصر »

ثم كانت سيرة خلفائه الفخام من بعده على نحو ما رسم وقدر فكان من حسنات المغفور له اسماعيل باشا ان جمع من هنا وهناك ما بقته عوادي الايام من حطام تلك الدور النفيسة دور الكتب القيمة فتلقف شواذرها وضم اشتاتها وأسس دار الكتب الخديوية القائمة الآن وأفاض عليها هو وابنه الخديو توفيق على الاخص ما يضمن طول بقائها ودوام الانتفاع بها فكانت غلة العقار المحبوس عليها كفيلاً بتقدم هذا المعهد وارتقائه .

ولكننا لانزال نرى الى اليوم ان دار الكتب هذه لم تتجاوز في مهمتها المطلوبة منها وهي نشر العلوم والمعارف حد الاستعداد والتأهب للعمل . وقد آن الوقت الذي يجب ان تخطو فيه خطواتها الواسعة في هذا السبيل وتبرز للملا من جليل الاعمال ما فيه سرعة ارتقاء الآداب والعلوم

وأما اليوم فرصة حاضرة حانت لنا بالنظر في المفكرة التي وضعها حضرة احمد بك زكي الكاتب الثاني لاسرار مجلس النظار وضمنها ما عن له من وجوه الاصلاح وضروب الوسائل التي من شأنها احياء الآداب العربية بديار مصر . وقد ذيلها ببند قصيرة عن عدة كتب ومصنفات بخط اليد توصل الى نقل صورها بطريقة التصوير الشمسي في القسطنطينية والبلاد الاجنبية .

وقد مضى على واضع هذه المفكرة زهاء عشرين سنة وهو يوالي البحث والتقيب عن انواع الطرق انوصلة الى تعميم المعارف واستنهاض الهمم لاجتياز باب العمل في فنون الاصلاح المطلوب لاحياء العلوم والآداب العربية . ولذلك

قابل اصحاب الحل والعقد ماشرحه من سديد الآراء ومحكم الوسائل بعين الرضا والقبول . وعهدت الحكومة الخديوية الى صاحب السعادة احمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية ان ينظر في الامر ويقرر فيه مايرشدها الى الطريق القويم في هذا الباب

ولست أرى وسيلة لشرح مارآه سعادته في هذا الموضوع افضل من إلقاءات مجلس النظار الى نص التقرير الجليل الذي يشير فيه الى وجوب العمل على حسب الخطة التي رسمها صاحب المفكرة مع بيان الوسائل الفعالة لابرار هذا المشروع الى حيز الوجود ولقد بادرت ببلاغ هذا التقرير الى نظارة المالية مشفوعا برأيي في الموافقة عليه من جميع الوجوه مع تأييد كل ماأشار به سعادته من الاقتراحات النافعة لتجديد الآداب العربية

ولما درس سعادة سبابا باشا ناظر المالية هذا المشروع كتب الى كتابا تاريخه ١٨ اكتوبر سنة ١٩١٠ قال فيه « ان نظارة المالية تشاهد بمزيد الرضا ونهاية الامتنان تلك المجهودات التي مازال يبذلها احمد بك زكي ولإنها توافق بتمام الارتياح على الغاية التي يسعى وراءها في سبيل تجديد الآداب العربية »

وختم سعادته كتابه بأن نظارة المالية مستعدة لان تخصص لهذا الغرض مبلغ الالف جنيه مصري المربوط في الميزانية لتشجيع الاعمال الادبية

فهذه الاربحية الكريمة تدعونا الى تدقيق البحث في الاسباب التي يكون من شأنها استمرار هذه الحركة المباركة بما يضمن ظهور آثارها بدون انقطاع

وبما انه من الضروري النظر في تدبير الوسائل التي تكفل لهذا العمل ما يقتضيه من البقاء والاستمرار ، وبما أن المصنفات التي تقامها حضرة أحمد زكي بك بالفتوغرافية هي ذات قيمة عظيمة من الوجهة العلمية والتاريخية والادبية ، وبما أن معظم هذه المصنفات التي أشار إليها هي من وضع المؤلفين المصريين ولا نكاد نرى لها أثرا في البلاد التي تولدت فيها وظهرت بها

فلهذه الاسباب

اقترح على مجلس النظار تكليف نظارة المعارف العمومية بما يأتي :

أولا - المبادرة بدون تأخير في تدبير الوسائل التي تضمن إحياء الآداب العربية حسب البيانات التي أوضّحها سعادة أحمد حشمت باشا في تقريره المؤرخ في ١١ رمضان سنة ١٣٢٨ (١٥ سبتمبر سنة ١٩١٠)

ثانيا - تخصيص المبلغ الاحتياطي المتكون بدار الكتب الخديوية لهذا الغرض ثالثا - الابتداء في إحياء الآداب العربية بطبع ونشر الموسوعتين الكبيرتين المعروفتين باسم « نهاية الارب في فنون الادب » لشهاب الدين النويري و « مسالك الابصار في ممالك الامصار » لابن فضل الله العمري

رابعا - الاستمرار على موالاة هذه النهضة التجديدية بطبع ونشر بقية الكتب التي أشار اليها حضرة أحمد زكي بك حسب الكشف المرفق بهذه المذكرة ثم سائر المخطوطات العربية الاخرى الكثيرة النادرة العظيمة الفائدة

هذا وانني أرى من جهة أخرى ان ضمان النجاح لهذه الحركة الخصبية يوجب على مجلس النظار أن يسهل على نظارة المعارف العمومية اقيام بمهمتها بالفلاح الذي نتقبه لهذا الاصلاح فلذلك يحسن بحكومة الجناح الخديوي المعظم أن تكلف نظارة المالية بأمرين اثنين أيضا وهما :

أولا - جعل مبلغ الالف جنيه تحت تصرف نظارة المعارف العمومية بصفة اعانة خصوصية لطبع الموسوعتين المذكورتين قبل

ثانيا - اصدار الاوامر اللازمة الى مطبعة بولاق الاهلية للاسراع في انجاز أعمال الطبع بكل ما في الامكان وأملّي وطيد في أن المجلس يتكرم بالموافقة على ما أبديته من الاقتراحات ليجري العمل بانتظام وفق المرغوب فان انجاز هذا المشروع على أجل حال مما يجمل بحسنيات هذا العصر ويكون غرة في جبين الدهر تشهد بارتقاء العلوم والآداب بين مولانا الخديو ناسر رايات العدل ورافع اعلام العلم والفضل

رئيس مجلس النظار

القاهرة في ١٧ شوال سنة ١٣٢٨ (٢٠ أكتوبر سنة ١٩١٠) محمد سعيد

كشف

﴿ بأسماء الكتب المشار اليها في المذكرة السابقة ﴾
وهي التي ستخذ أساساً لاجياء الآداب العربية بمصر

﴿ موسوعات ﴾

نهاية الارب في فنون الادب لشهاب الدين النويري
مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري
جوامع العلوم لفرعيعن تلميذ أبي زيد أحمد بن سهل البلخي

﴿ أدب وبلاغة وانشاء ﴾

الفاخر للمفضل الضبي
ديوان الحامسة الصغرى المعروف بالوحشيات لابني تمام
سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي
التسهيل بالتمثيل وهو المعروف بتسهيل السبيل الى تعاليم الترسيل للحميدي
رسائل وخطب وأشعار السلطان الملك الناصر يوسف صلاح الدين الايوبي
من جمع حفيده
مجموعة ترسل القاضي الفاضل عبد الرحيم اليسانبي

﴿ حديث ﴾

فنون المعجائب
اكرام الضيف

﴿ آداب الملوك ﴾

كتاب التاج للجاحظ

محاسن الملوك

رسائل الملوك ومن يصلح للسفارة ومن أمر بارسال رسول ومن نهى عن ذلك
وكيف ينبغي لمن أرسل الى ملك أن يعمل في الاحتياط لنفسه ولئن أرسله ومن
ذم من الرسل ومن حمد لابي علي الحسن المعروف بابن الفراء
كتاب تنبيه الملوك (وسياساتهم في تدبير الامم والممالك)

التاريخ

كتاب المقاتلين من الاشراف في الجاهلية والاسلام لمحمد بن حبيب
ذيل تجارب الامم وتغاقب الهمم في وقائع العرب والعجم لابن مسكويه
تأليف أبي شعاع أحد وزراء الدولة العباسية
درر التيجان وغرر تواريخ الزمان لابي بكر بن عبدالله بن أيك الدواداري المصري
كنز الدرر وجامع الغرر له أيضا

التراجم

لمناه الرواة على أنباء النخاة للقاضي الاكرم الوزير القفطي
نزهة الالباب في الاقارب لابن حجر
التأليف الطاهر في شيم الملك الظاهر القائم بنصرة الحق أبي سعيد
جقق لابن عربشاه
هدية العبد القاصر الى الملك الناصر أبي السعادات محمد بن السلطان
الملك الاشرف لعبد الصمد الصالح
سبك النصار وكسب المفانر ونثر الدر ونظم الجواهر من سيرة المقر الاشرف
السيفي اقباي الاسد الظاهر كاهل المملكة الغزية (في أيام قايتباي) لعبد الله
بن محمد بن عبد الله الزكي الغزي الحنبلي

﴿ النسب ﴾

شجرة النسب النبوي الشريف تأليف السلطان الملك الاشرف أبي النصر
قانسوه الغوري

﴿ الجغرافيا ﴾

صور الاقاليم الاسلامية لابي زيد أحمد بن سهل البلخي (بالخرط)
صورة الارض وصفة أشكالها ومقدارها في الطول والعرض وأقاليم البلدان
ومحل الفامر منها والعمران من جميع بلاد الاسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما تفرد
بالاعمال المجموعة اليها (بالخرط)

هيئة أشكال الارض ومقدار صورها في الطول والعرض (بالخرط)
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق المعروف بكتاب رجار (Roger) للشريف
الادريسي (بالخرط)

﴿ رحلة ﴾

تاريخ الامير يشبك الفاهري (وهو رحلة الجنود المصرية وفتوحاتهم في
آسيا الصغرى في أيام السلطان الملك الاشرف قايتباي)

﴿ علم حفظ الصحة ﴾

كامل الفرحة في دفع السموم وحفظ الصحة للقوصوني الطيب في عصر
السلطان قانسوه الغوري

﴿ علوم طبيعية وميكانيكية ﴾

سرور النفس بمدارك الحواس الخمس لابن المكرم صاحب لسان العرب
الباهر في علم الحيل

الجامع بين العلم والعمل اثنافم في صناعة الحيل (بالاشكال والصور)

(المنار ج ١٢) (١١٩) (المجلد الثالث عشر)

﴿ علم الحيوانات ﴾

الدر المطابق في علم السوابق (في طب الخيل وقد ظفر به ملك الارمن في خزان العباسيين عند ما هاجمها مع التتر فقله الى بلاده وأمر ترجمته ثم ضاعت النسخة العربية الاصلية وقد ظفر جنود مصر بالترجمة في بلاد الارمن حينما فتحوها فترجمه الى العربية ابن الخليفة العباسي بمصر بمساعدة بعض الاسرى من الارمن طب الطيور (مستخرج من خزانه الرشيد)

﴿ علم المعادن ﴾

الجواهر في الجواهر نفيلسوف الاسلام بالهندابي الريحان البيروني
ازهار الافكار في جواهر الاحجار لتيقفاشي

﴿ علم الفلك ﴾

التفهيم لصناعة التنجيم لابي الريحان البيروني
علم الساعات والعمل بها لرضوان بن محمد الخراساني بخط يملك بن عبد الله القبيجاني

﴿ علم الموسيقى ﴾

كتاب العود والملاهي للمفضل الضبي
كشف الغموم والكرب بشرح آلة الطرب (بالصور والاشكال)

﴿ علم الحرب ﴾

العز والمنافع للمجاهدين بالآلات البارود والمدافع لابن غانم الاندلسي (بالاشكال)
الانيق في المناجيق (بالصور والاشكال)
التذكرة المروية في الحيل الحربية للساح المروني

﴿ ديانات قديمة ﴾

فلسفة الوثنيين (وهو قطعة بقيت من كتاب نمسطس الذي احرقه بعضهم

(الناشر ج ١٢ م ١٣) تقريرا ناظر المعارف في إحياء الآداب العربية ٩٤٧

وترجمها أحد المسلمين مع شرح الاناشيد والالان الموسيقية الخاصة بديانة الوثنيين
وبديانة المجوس)

كتاب الاصنام لابن الكلبي

﴿ فنون متنوعة ﴾

لطائف المعارف للنيسابوري

عين السبع مختصر طرد السبع للصالح الصفدي

الامام بأداب دخول الحمام

الكوكب الدرري في أجوبة السلطان الغوري

نفائس المجالس السلطانية في حقائق الاسرار القرآنية لجمعية من العلماء في عصر

السلطان الغوري وهو في جملتهم

الترقيق في العطر للفيلسوف الكندي

كتاب الاطعمة المستعملة في مصر على عهد سلاطين المماليك

الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب

﴿ احياء الآداب العربية ﴾

مقتبس من التقرير المقدم الى صاحب المطوقة محمد سعيد باشا رئيس مجلس النظار

« من صاحب السعادة احمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية »

بتاريخ ١١ رمضان سنة ١٣٢٨ (١٥ سبتمبر سنة ١٩١٠)

رئيس مجلس النظار عطوفتو افندم حضرتاري

تفضلتم عطوفتكم بدعوتي لدرس المفكرة المقدمة من حضرة احمد بك زني

« عن الاسباب والوسائل المؤدية لاهياء العلوم والآداب العربية بمصر » مع مجموعة

الكتب التي استندخها حضرته بالفوتغرافية واستحضرها من الآستانة وأوربا

ولقد امنت النظر في هاتين المسألتين وأبدي اليوم لعطوفتكم ماأراه في هذا الشأن

ان هذه المفكرة تشرح بأجلى بيان ما كان للقاهرة من التأثير في رفع منار
العرفان وترقية الآداب العربية فانها بفضل مركزها وعناية أهلها أصبحت في أوائل
العصور الحديثة محطاً لرجال أهل العلم ومهبطاً لطلاب الفضل
ولقد أشار صاحب المفكرة الى مبلغ الأريحية التي كان يجود بها ملوك مصر
وسلاطينها والى مقدار المساعي المتواصلة التي بذلها رعاياهم لاعلاء شأن الحضارة
الاسلامية وازدهاء رونقها في بلاد الشرق فكانت النتيجة من هذا العمل المزدوج
ان ظهرت في سماء المعارف العربية كتب جليلة حافلة بالبحث في الموضوعات المفيدة
في كل فن ومطلب ولكن سوء الحظ قضى بأن لا يصل الى أيدينا من تلك المصنفات
الثمينة سوى النزر اليسير

ثم جاء دور الافول فكان من دواعي الانحطاط ان مصر أضاعت ذخايرها
وكنوزها في أثناء التلقيات التي اصابها والحن التي توالى عليها مما لافائدة من
ترديد ذكرها الآن

فانطفأ ذلك السراج الوهاج وخبا ذلك الذكاء المصري . بيد ان شعاعاً ضئيلاً
من الامل تبدى في الافق فانبعث معه ذلك الذكاء من مرقده بعد ان كان الناس
يظنون قد دخل في خبر كان ولكنه في الحقيقة انما كان في سبات لافيمت والفضل
في تجديد هذه الحياة الادبية راجع الى محمد علي الكبير والى حفيده اسماعيل
لذلك توخى صاحب المفكرة ان يستفيد من هذه القطة الادبية فأخذ يعمل على
ايجاد الوسائل اللازمة لتجديد عهد الآداب العربية في ظل خديوينا المحبوب عباس
الثاني الذي تعود ان يقفوا آثار اسلافه الفخام في سلوك المكارم وتجديد مفاخر المآثر
والوصول الى هذه الغاية التي مازال ينشدها واضع المشروع قد اقترح
حضرته تنظيم دار الكتب الخديوية تنظيمًا يشمل جميع فروع الإصلاح التي
تستوجبها مكاتبتها لتأتي بالثمرة المطلوبة وتقوم بالخدمة الواجبة عليها
وانتي أوافق حضرته من هذه الوجهة موافقة تامة ولذلك شرعت فعلا في
درس هذا الإصلاح درساً دقيقاً لا يمكن في وقت قريب من جعل خزانة كتبنا
الثمينة كفيلاً بالقيام بجميع الأغراض التي انشئت لاجلها أو التي يحق لنا انتظارها

منها حتى تتكون من أقوى العوامل في نشر أنوار العلوم العربية
ثم أشار صاحب المفكرة الى انه يجب ارجاع المطبعة الاهلية الى مجيد عملها
السابق وذلك بطبع التأليف التي تفخر بها علماء مصر حتى يقسنى لأهل الجيل
الحاضر ان يشمروا عن ساعد الجد ويواصلوا سلسلة الابتكار في العلوم والآداب
التي بدأ بها أجداده الامجاد

وقد رأى صاحب المشروع من الواجب عليه ان لا يقف عند الاشارة الى
نظريات مبهمه أو ابداء رغائب مجردة عن وسائل التنفيذ مما لا يكون كفيلا باستكمال
وسائل النجاح فلذلك افرغ وسعه وبذل جهده ولم يضمن بشيء من ماله ووقته
وراحته حتى تيسرت له كل الاسباب المؤدية لتحقيق الخطة التي رسمها لنفسه وذلك
انه قرن العلم بالعمل وأتبع القول بالفعل فاتهز فرصة الانقلاب الذي حصل في
الدولة العلية وشخص الى الآستانة وتمكن هناك من استخدام الفتوغراف في قتل
جلائل المؤلفات التي تزدهي بها الآداب العربية خصوصاً تلك التي كانت فيما
مضي من أجل الذخائر في الخزائن المصرية

ولم تقف همه هذا البعثة عند حد التنقيب وتلمس تلك الآثار من كنوزها
في القسطنطينية بل واصل سعيه أيضاً في ربوع العلم بأوربا لاستيفاء كل المعدات
ولانعام عمله على احسن حال

هذا وقد ألمع في مفكرته بإيضاح وجيز الى كل واحد من هذه المصنفات
النادرة فكتب نبذة قصيرة تكشف عنها اللثام وتبين الفوائد التي تعود على اللسان
العربي والامة المصرية من العناية بطبعها وتعميم نشرها

ولقد رأيت من الواجب أن استعلم عما اذا كان لهذه المصنفات أو لبعضها أثر
ما في دار الكتب الخديوية أو في إحدى مكتبي الازهر الشريف والمجلس البلدي
بالاسكندرية فوافقتي هذه المعاهد الثلاثة ببيانات تسمح لي بالتصريح بأن المؤلفات
التي نقلها حضرة أحمد بك زكي واستحضرها لا توجد أصلاً ضمن مكاتبنا وبمجاميعنا
الاهلية وانها لم تطبع حتى الآن وان في طبعها نفعا عظيماً للمتوردين من أبناء مصر
وسائر أهل العلم على الاطلاق

ولا ريب في أن حكومة الجناح العالي الخديوي الآخذة بناصر الآداب العربية العاملة على ترويحها وتعميم الانتفاع منها ستقدر هذه الكنوز حق قدرها وتعمل على اقتنائها وإضافتها إلى خزانة كتبها النفيسة خصوصا وأن معظمها مما جادت به قوائم البارعين من المصريين

وليس من الصواب أن يقف عمل الحكومة الخديوية عند هذا الحد من الاغتياب بالحصول على هذه المجموعة وإضافتها إلى دار الكتب الخديوية بل يتحتم علينا أن نبادر إلى السعي في طبعاها بحيث لا يمضي قليل من الزمن حتى تصبح منها سائفا للقاصد وموردا عذبا لكل طالب .

ونحن إذا نظرنا إلى أهل الشرق وإلى العلماء المستشرقين في هذه الأيام نراهم جميعا يتهاقون إلى الوقوف على كل ما له ارتباط بالحضارة الإسلامية ولا شك عندي في أن الحظ الأوفر في هذه النهضة المباركة ينبغي أن يكون لمصر أن لم تكن هي القائدة لحركتها والمدبرة لشؤونها وذلك نظرا لمركزها الطبيعي ولما كان لها من الأيادي البيضاء على العلوم والآداب وبهذه المناسبة أرى من الواجب علينا أن نشكر المعاهد العلمية الغربية لما تبذله من المساعي في تأييد هذه الحركة والاختصاص بها . ولا غرو فإن المستشرقين الذين تفتخر بهم المدارس الجامعة في بريطانيا العظمى وسانر أوروبا وأمريكا لا يألون جهدا في العمل على نشر الكتب التي صنفها جهابذة العرب وبحوثها فيها عن شتى الموضوعات وأبعدها عن مجال الخواطر والأوهام . فهوؤلاء المستشرقون لا يزالون يدأبون على العمل مع الصبر في التحصيل والدرس والبراعة في التنقيب والبحث . وبذلك تيسر لهم أن ينشروا طائفة كبيرة من أمهات الكتب العربية النفيسة وقد يترجمونها في بعض الأحيان إلى لغاتهم أو يتخذونها موضوعا لمباحثهم كما يشاركونهم في الاستفادة منها وهم بهذا السعي يشيرون فينا روح الأمل باسترجاع كنوز آدابنا الشرقية رويدا رويدا ومن المؤكد أن هذا الأمل لا يلبث أن يدخل في حيز الإمكان ويتحقق في عالم الوجود إذا ما نهضته مصر بالقسط الواجب عليها من المساعدة والمعاونة على إحياء العلوم والآداب العربية ولقد آن للحكومة الخديوية أن تعضد العلماء المصريين وتفتح لهم مجال البحث

ليتمكنوا من الاستمرار على التنقيب والتأليف في مصر عصر آبائهم وبصنعوا
مثل ما صنعوا واني لعل يقين من أنهم سيجدون في المجموعة التي توفر حضرة
أحمد بك زكي على تكوينها وإيجادها جميع الوسائل التي تبعث فيهم روح العمل
فيخضل عود الدرس ويثمر بما يعود بالنفع العام على مصر وغيرها من أقطار الشرق
وأرى لاطراد هذه الحركة أن تبدأ منذ اليوم بطبع الموسوعتين اللتين تفتخر
بها مصر والعرب على الإطلاق وأعني بها « نهاية الأرب في فنون الأدب »
للنويري و « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » لابن فضل الله العمري لأن
هذين الأثرين الجليلين قد انعدما من بلادنا في جملة ما أضاعته من الكنوز
الغوالي على إر ما اقتابها من الطوارق والطواريء

ولقد أعجب العلماء الغربيين استكمال هذين الأثرين النفيسين فلم يوقفوا الى
جمع أشتات هذه الضالة المنشودة مع ما بذلوه من الجهد في كثير من الأزمان حتى
أتاح الله (ذلك) لأحد مواطنينا تفسير له بعد متاعب احتملها مدة عشرين عاما واهتدى
لجمع المواد والاجزاء التي يتألف منها هذان السفران واثبتها كلها بالفتوغراف فحق
لنا بعد ذلك أن نهني أنفسنا على هذا النجاح الباهر

وإذا أخذنا في طبع هاتين الموسوعتين بسمد الجذاب الخديوي العالي الذي
تفضل فأظهر عنايته العالية بأمرها فلا شك أن الاقبال على اقتنائها سيكون عاما
عند جميع الطبقات وخصوصا عند الفئة المولعة بالدرس وأرباب العقول المستفيرة
بمصر والشرق بل يتعداهما الى الجامعات ودور الكتب في البلاد الاجنبية
والمستشرقين الذين يقدرونها حق قدرهما لانهم طالما استفادوا منها

وعلى ذلك فاني أشير بتشكيل لجنة من أهل الدراية تختارها نظارة المعارف
العمومية لتهيئة هذين السفرين للطبع ويكون من خصائصها النظر في الاصول
وضبطها بالدقة قبل تسليمها للطبعة الاهلية لان الطبع اذا ما باشرته الحكومة
الخديوية بنفسها وأشرفت عليه برعايتها يجب أن يكون مستوفيا لكل أسباب الكمال
ليجبي مناسبا لحاجات العلم والنقد في العصر الحاضر

وبهذه المناسبة أقول إن الضرورة والعدل يقضيان بأن تكون إدارة هذا المشروع من الوجهة الفنية موكولة الى حضرة أحمد زكي بك لواسع علمه وعظيم شهرته خصوصا وأنه هو البادئ بالتفكير في هذا المشروع الخطير والمهم الذي جمع شوارده بعد أن كانت مبعثرة هنا وهناك

ولا جرم أن طبع هاتين الموسوعتين في مطبعة بولاق سيكون جامعا لما ينبغي من الدقة والجمال خصوصا بعد أن دخل التحسين الجديد على حروفها ونظر الماهي عليه الآن من كمال الاستعداد وبذلك تعود هذه المطبعة الى ما كان لها من المكانة السامية والاثر النافع في نشر نور العرفان العربي

وأرى أيضا مخبرة نظارة المالية لتأمر المطبعة الاهلية بتوسيع نطاق القسم الادبي حتى يتسنى له طبع ثلاث ملازم أو أربع في اليوم الواحد فذلك أمر يتحتم علينا الوصول اليه بقدر رغبتنا في تسهيل أمر الطبع حتى لا يمضي زمن طويل على ظهور هذا العمل الجسيم في حيز الوجود

ولعل سعادة ناظر المالية يسمح بتخفيض شيء من مصاريف الطبع للمعاونة على ترويج هذا العمل الادبي العقيم الفائدة الذي من شأنه المساعدة على ترقية الافكار وتعميم المعارف اذ بفضل هذه المنحة يمكننا ان نزيد في عدد النسخ بغير زيادة في النفقات والا كلاف وبذلك يتسنى لنا أيضا تخفيض قيمة الاشتراكات واثمان البيع تخفيضا محسوسا يساعد على زيادة الاقبال وتسهيل اسباب الانتفاع

بقي علينا ان ننظر في تدبير المال اللازم للمشروع في هذا العمل الخطير وهو متوفر لدينا لوجود المبالغ الاحتياطي في دار الكتب الخديوية فان هذا الاحتياطي مخصص بطبيعة الحال لاحراز واستنساخ وطبع المخطوطات العربية وقد بلغ في آخر اغسطس الماضي ٩٣٩٢ جنيتها مصريا ويجب الاشارة الى ان استخدام ذلك المبالغ الاحتياطي في هذا السبيل النافع ستنتج عنه ثمرة مفيدة ادار الكتب الخديوية من الوجهة المادية المحضة فضلا عما يترتب عليه من المزايا الادبية الكثيرة

وعلى كل حال فلو فرضنا أن هذا المشروع لا يكون من ورائه مغن مادي فان الحكومة الخديوية ينبغي لها أن تقتبط بهذا المسعى الذي يفضي الى إفاضة نور

الادب العربي في بلاد الشرق وذلك لان الجامعات في بلاد الانكليز والمطابع
الاهلية في ديار أوروبا هي التي تأخذ دائما على عاتقها طبع المؤلفات الاهلية
الكبيرة القيمة الواسعة الحجم ولو أدى الى ذلك خسارة مالية فادحة وذلك لقصور
يد الافراد عن القيام بما تقتضيه من النفقات الجسيمة أما مشروعنا هذا فانه بعيد
عن ذلك بالمرّة لما فيه من المكاسب التي تدعو الى الاقدام عليه والاهتمام بشأنه
فاذا صادفت هذه الآراء والاقتراحات ما ابتغيه لما من حسن القبول لدى
عطوفة الرئيس رجوته أن يسمح لي باتخاذ الوسائل اللازمة لانجاز هذا المشروع
على أحسن حال لكي يزيد في شرف هذا العصر الاسعد ، المشمول بين خديونا
المحبوب الامجد، الحامي لواء العلم والادب ، الراغب في تقدم لسان العرب

ناظر المعارف العمومية

(أحمد حشمت)

تقرير المطبوعات الجديدة

﴿ الهيئة والاسلام ﴾

كتاب جديد في استخراج مسائل علم الهيئة الفلكية الذي وصل اليه علماء هذا العصر
من غواهر الكتاب والسنة وأقوال أئمة آل البيت الكرام ، وعلماء الصعابة الاعلام ، عليهم
السلام والرضوان ، يشتغل بتصنيفه أحد علماء النجف الاعلام (السيد هبة الله الشيرستاني)
وقد صدر جزآن منه في أكثر من ثلاث مئة صفحة كهفحات رسالة التوحيد
وتفضل المؤلف باهدائه لنا ونحن في القسطنطينية مع كتاب مودة وتبنيه الى وجه
الحاجة الى مثل هذا الكتاب في هذا العصر الذي كثرت فيه المشككون في الدين
بشبهات منتزعة من علم الهيئة وغيره من العلوم . وقد حالت الشواغل الكثيرة
هناك وهنا دون مطالعة الكتب التي تمكنا من بيان مزيته وتلخيص شيء من فوائده

(المجلد الثالث عشر)

(١٢٠)

(المتارج ١٢)

فأينا أن نكتفي الآن بذكر بعض مسائله المهمة من الفهرس وسنقل في جزء آخر نموذجاً منه للقراء إن شاء الله تعالى

المسألة الأولى حقيقة الفلك توافق النصوص فيها ما عليه المتأخرون وتختلف ما كان عليه اليونانيون ، (المسألة ٢) شكل الأرض وحاملها ، (٣) حركة الأرض . (٤) تمدد الأرضين . (٥) في أن السيارات تسع فكيف تكون الأرضون سبعة ، (٦ و ٧) في حقيقة السموات السبع والأرضين وترتيبهما ، (٨) مركزية الشمس لحركة السيارات . المسألة التاسعة الصفات الخمس لجرم الشمس ، (١٠) في أوصاف القمر (١١) عدد السيارات (١٢) في سكنى السيارات (١٣) لذنبات والشهب (٧٤) في تمدد العوالم . يذكر المؤلف في كل مسألة أقوال علماء الهيئة وما ورد بعضها في الكتاب أو السنة أو كلام الأئمة أو الصحابة رضي الله عنهم

﴿ منطق المشرقيين ﴾

هو آخر ما ألفه الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا في فن المنطق فهو زبدة التحقيق عنده لهذا العلم وقد قال فيه « دوماً جمعنا هذا الكتاب لنظهره إلا لأنفسنا أعني الذين يقومون منا مقام أنفسنا » ، وأما العامة من مزاويلي هذا الشأن فقد أعطيناهم في منطق الشفاء ما هو كثير لهم وفوق حاجتهم ، وقد طبعه في هذا العام صاحب المكتبة السلفية بمصر وطبعاً معه القصيدة المزدوجة في المنطق للشيخ الرئيس أيضاً . وطبعاً في مقدمته ترجمة طويلة للمؤلف وهو يطلب من مكتبته ومن مكتبة المنار بمصر وثمنه أربعة قروش صحيحة

﴿ منتخبات البارودي ﴾

إن قوى النفس ، كقوى الحس ، تضعف وتقوى ، وتعرض وتشفى ، وتهبط وترقى بل تنمو وتنحيا ، وأما حياتها وارتقاؤها بركة الشعور والوجدان ، ودقة التوسم والإدراك ، يدرك حديد البصر من معارف وجه محدثة ولو على بعد ، مالا يدرك الكليل على القرب ، ويستشف من توسم ما يعرض لها من التأثير ، ما تنقطع دونه أشعة بصر الحسير ، فهذا يعاين إدراك دقائق معارف الوجه ، وحركات الطرف ، فلا يعرف

امامه الاشبع مائلا ، وهيكلا شاخصا ، وذاك يدرك ما وراء هذه المعارف من آثار الخطاب في نفس المخاطب ، فيميز بين ما عرف منه وما أنكر ، وما أحب وما كره ، يتوسم فيه فيوحي اليه ذلك انبساط الاسارير وانقباضها ، ولما نها واقتسامها ، واحمرار البشرة واصفرارها ، ونخاوص العينين وجحوظهما ، وترنيقهما ورنوهما ، وحركتها وسجوها ، وتصويبهما وتصعيدهما ، وسائر ضروب النظر ، كالخدج والشزر ، والشخوص والشفن ، فلكل نظر أثر باعث من نفس الناظر ، وأثر حادث في نفس المنظور اليه ، فن لا يؤثر بنظر عينيه ، ولا تؤثر فيه نظرات العيون ، فنجدير به ان يعد من الاموات لا من الاحياء ، أو من مرضي النفوس لا الاصحاء ،

في القرآن العزيز آيات كثيرة في تأثير النظر ، وأحوال البصر ، كقوله تعالى « وان يكاد الذين كفروا ليزفونك بأبصارهم » وقوله « فاذا برق البصر » وقوله « تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت » ولشعراء في ذلك رقائقي هي المظهر الأعلى لدقائق صناعتهم كقول الكيواني

وانظر اليّ مرّقا حتى أغيّب عن الشعور

وقول عليّ بنت المهدي

وراني منه اني لا أزال أرى في طرفه قصرا عني اذا نظرا

وقول أبي نواس حكاية

ويعمل الطرف نحو ي ان مررت به حتى ليخجلني من حدة النظر

والشعر في هذا المعنى كثير يدخل في فنون شتى

وان من كان سميعا خيرا بأنواع الاصوات ، وضروب الهجات ، ودلالة

كل جرس ، على كيفية خاصة في النفس ، وما في لحن القول وفخواه ، من إيحاء الى غير ما يدل عليه مبناه ، ليسمع مع الكلام ما كان باعثا عليه من نفس المتكلم ، وما ينثني عليه صدره ، وينطوي عليه قلبه ، من حب وبنفس ، ووفاء وغدر ، وأمن وخوف ، ورضى وكره ، قال تعالى « ولو نشاء لأرينا لهم فلهم فقههم بسماعهم » وتعرفهم في لحن القول ، أي فخواه ومعارضه ، ومن أعجب الكلام الي في استخراج خبايا السرائر من كيفية أداء القول ، وجرس اللفظ ، قول امرأة كعب ابن الأشرف

له عند ما دعاه في الليل الذين يريدون قتله ، مظهرين الاتجاه الى حصنه ، وقد نهته عن الخروج اليهم » انني اسمع صوتا يقطر منه الدم »
 ان دقة الادراك ، ودقة الشعور والاحساس ، هما آيتا ارتقاء النفس في درجات الكمال الانساني ، ويرى الحكماء ، ان مظهر هذا الارتقاء ، يكون في ثلاثة اشياء ، الشعر والتصوير والموسيقى ، وهي التي يعبرون عنها بالفنون الجميلة ، فالتصوير هو الاشارة بالاشياء برسمها في الالواح والصحف ، والشعر هو تصوير الاشياء بالقول ، ومتعنى الكمال فيهما ان لا يفوت صاحبهما شي . من دقائق الصورة الظاهرة ، ولا من دقائق أنواع الشعور الباطنة ،
 لولا أن كانت العرب على حظ عظيم من الارتقاء في الشعر لما انتشر فيهم الاصلاح الاسلامي بتلك السرعة ثم رقى بهم في معارج المدنية حتى صاروا الاساتذة المصلحين لجميع الامم ، ذلك بأن الابداع في الشعر قد أعلى مداركهم ، وأودع في طباعهم الرقة ، وقبول التأثير بالمؤثرات الشريفة ، فالشعر هوديان حكمتهم ، وكتاب تاريخهم ، ودقتر آدابهم ، وقد ارتقى بلغتهم الواسعة وارتقت هي به ، حتى انك لتجد فيها من الدقائق ما يسلس لك زمام التعبير عن كل محسوس ومعقول ، قربية الخيال الشعري فيها أكبر معين على ترقيتها ، وما مرضت آدابنا ، الا بما طرأ علينا من الجهل بلفتنا وآدابها وأشعارها ، حتى صار يمسر على أخطب الخطباء وأشعر الشعراء أن يحفزهم الجمهور منا الى دفع خطر نخذه ، أو المبادرة الى خير عام نرجوه ،
 أفسدنا لفتنا فأفسدنا نفوسنا ، فضعف ذوقها واعتل وجدانها ، وضعف تأثيرها وتأثرها ، ولم نستعص عما فقدناه من دقائق الشعر بالبراعة في الموسيقى ولا التصوير ، وان أقرب الوسائل الى اصلاح ذوق آخرنا ، هي الوسيلة التي صلح بها ذوق أولنا ، ألا وهي الشعر الذي لا ترتقي آداب اللغة وذوق أهلها الا بارتقائه ، أعني ان يكون كل عربي شاعرا ، وان لم يكن ناضجا ، وإنما الشاعر من يشعر بدقائق المعاني ، في صورها من المباني ، ويبلغ بالكلام ما يبلغه الكلام منه ، اذا أصاب موقع الوجدان من النفس ، والاقناع من العقل ،
 جعل الادباء شعراءنا أزواجاً ثلاثة الجاهليين والمخضرمين الذين أدركوا الاسلام منهم والمولدين ، ولكل منهم أسلوب وفنون من المعاني تختلف باختلاف

الحال الاجتماعية التي عاشوا فيها ، وقد جمعت الدواوين للمشهورين الذين منهم حفظت أشعارهم فوصل إلينا بعضها دون بعض ، وأتى علينا حين من الدهر لا يبالي جماهير المتعلمين منا بالموجود ، ولا يبحثون عن المفقود ، حتى كانت النهضة الادبية العلمية الحاضرة وطفق الناس ينشرون آثار السلف ، كما ينشدون ما جدد الخلف ، حتى أنروا بمالديهم من كسب وميراث ، فتكاثرت الظباء على خراش ، وضاعت الاوقات عن النظر في كل ما ينشر ، واشتدت الحاجة الى اختيار أحسن ما يروى منه ويؤثر ، عندنا شيء من مختار أشعار الجاهليين (كديوان الحماسة لابي تمام) وقد وفق الله تعالى نافذة هذا العصر ، وامام أهله في الأدب والشعر ، محمود سامي باشا البارودي الشهير ، لجمع ما اختاره من اشعار ثلاثين شاعرا من فحول المولدين ، في الادب والمديح والثناء والصفات والنسيب والمجاء والزهد ، ورتبها في كل باب على حروف المعجم ، ووضع لما هو امش في تفسير بعض الغريب والمبهم ، فكان ذلك أربعة أسفار كبار ، جديرة بأن تكون ندامى للكبار وأساتذة للصغار ،

فأما الشعراء الذين اختار أحسن أشعارهم ، ومثل لنابذائع خيالهم وأفكارهم ، فهم فرسان البلاغة السابقون ، وفحول الشعر المقرمون ، وأساتذته المقدمون ، كبشار وأبي نواس وأبي العتاهية ومسلم بن الوليد وأبي تمام والبحري وابن الرومي وابن المعتز والمنذبي والشريف الرضي والمعري والديلمي والتهامي والخفاجي والطفراي الخ وأما ذلك المنتخب فهو صاحب الأدب الرائع ، والذوق السليم ، والنقد الصحيح ، الذي جرى مع أولئك الفرسان في كل حلبة ، وضرب معهم بكل سهم ، وعارضهم في كل ضرب من ضروب الشعر ، وقد طبعت بمطبعة الجريدة بحرف جديد على ورق جيد ، فكان حسن طبعتها ، لانتقا بحسن وضهها ، كما تجلى غواني العرائس بمعارضها ، او كما تجلى الشجعان بسابقاتها وأسلحتها ، فكان ذلك مما يبعث النشاط في قراءتها ، وصححها كاتب يد منتخبها (الشيخ ياقوت المروسي) أحد علماء الأزهر ، فأجدر بهذه المختارات أن تكون ذكرى حبيب ، ومدد أديب ، ودرسا لطالب البلاغة والأدب ، وعرونا على إحياء آداب لغة العرب

﴿ حل مشكلة اليمن وسائر جزيرة العرب ﴾

إن أقصى أماننا أن تكون الدولة العلية أقوى دول الأرض بأسا ، ومملكتها
أوسع الممالك عمرانا ، وشعوبها أشد الشعوب اتحادا ، ولا شيء أعز علينا من دولتنا
الديننا ، ولا قوام لديننا الا بلفقه ، فلهذا كثر الكلام في مثل سورية من بلاد
الحضارة العربية بالمسألة العربية وقد صدق ذلك الكاتب التركي الذي كتب الى
جريدة طنين انه ليس في سورية مسألة ترك وعرب انما فيها مسألة عربية وتركية ، فأهم
ما يطلبه العرب أهل الحضارة من الدولة هو المحافظة على اللغة العربية وترقيتها بمجملها
إجبارية في جميع مدارسها الرسمية وتسهيل طريق تعليمها في المدارس الدينية والأهلية
وأما من تغلب عليهم البداوة من العرب كأهل اليمن ونجد وخليج فارس و بوادي
العراق وما بين النهرين فتمنى ان يدخلوا في الاتحاد العثماني كافة وترتقي بلادهم في
ظل الدولة ، ولكننا نعتقد أن هذا الاتحاد يستحيل ان يكون بالقوة العسكرية القاهرة ، كما
يرتأى المغرورون بالعاصمة ، وان إبادتهم أسهل من إخضاعهم بالقوة لشعب لا يعدونه منهم ،
ولا يحترم حالم الروحية والاجتماعية ، وانما يسهل إخضاعهم بالاسلام والحكمة ، فلقد اقترحت
على الحكومة الدستورية مساعدة جمعية من فضلاء الامة على تأسيس مدرسة لتخريج
المُرشدين الذين يسهلون لها هذه السبيل في جزيرة العرب و بلاد الاكراد والارنود
ان جزيرة العرب لم تر الدلة العلية حاكمة فيها الا في بعض البلاد الساحلية
وليس لها عند القوم هناك أثر حسن ولا ذكرا صالح في شيء من الاشياء وانما يوجد في
اليمن والعراق آثار الخراب والدمار وتوارى بخ الغدر وسفك الدماء ونهب الاموال ويعرف
عنهم هذا جيرانهم ، وهم لا يفرقون بين نوع الحكم الاستبدادي الماضي والحكم
الدستوري الذي وقفت الدولة ببابه الآن فلا ينتظرون منها الا مثل الايام التي خلت من
قبل ومع هذا كله فأنني أعتقد انه يمكن وضع قانون لاصلاح جزيرة العرب يكون
من أوائل مواده ان هذه البلاد كلها تابعة للدولة العلية وليس لأحد من أمرائها
ولا زعمائها حق في معاملة دولة من الدول الأجنبية معاملة ما لا تأذن لها بقوانين
الدولة ، وأن تدفع للدولة أموالا أميرية ، وأن تقر الدولة لإمام اليمن على إمامته

في طائفته، وكذا كل أمير وزعيم على إمارته ، بأن يكون هو المنفذ للنظام الداخلي فيها . وأن يترك لهم سلاحهم ويحتم عليهم حفظ الأمن في هذه البلاد وتكافل الأمراء والزعماء على منع الغزو ومساعدة الدولة على نشر التعليم وتحضير الأعراب وتبعية ذلك الجندية اذا وقتت الدولة لمثل هذا العمل فانها تملك جزيرة العرب ملكا حقيقيا من غير سفك دماء أبنائها ، ولا إضاعة الملايين من الليرات التي تأخذها من أوربا بالربا الفاحش والذل ، وتفتح لنفسها بابا واسعا من الثروة ، وان أبت الا التعجيل بإزالة نفوذ كل ذي نفوذ بالقوة العسكرية فإني أخشى ان يكون الخطر عليها من هذه السياسة من أشد الأخطار لانها تكون سياسة سفك دماء وتدمير بلاد، وتمزيق القوة العسكرية في بلاد لا يمكنها البقاء فيها ، وما وراء ذلك الا العذاب الواصب ، أو استيلاء الأجانب

﴿ جمعية ندوة العلماء في الهند ﴾

كنافرحين مغبوطين بفضل الله على المسلمين بتأليف هذه الجمعية وخدمتها العالية للإسلام والمسلمين حتى جاء تاجرائد الهند الأخيرة بما أحزن قلوبنا وأبكى عيوننا من وقوع الشقاق بين العلماء المؤلفين لهذه الجمعية، فأواه ، الى متى يفتك في هذه الامة الحسد والخلاف الفضل الا كبر في تأليف الجمعية ونجاحها للشيخ شبلي النعماني فهو العالم المصلح الذي تشهد له تصانيفه وآثاره، فبسميه وجدت، وبهمته أثبت واستقرت، ووقفت بها الامة فأمدها، والحكومة فساعدتها ، وقد حسده على ما آتاه الله من فضله بعض العلماء الذين أعوزهم مثل علمه وعقله، وأعياءهم مثل عمله وسعيه ، فلجأوا الى السلاح الذي أهلك هذه الامة وهو الخلاف الذي يكبره ويمده الحسد والبغى دوما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم اليينات بضايينهم ، فانهموه بالاعتزال وترك الصلاة ، كآتهم من قبل المصلحان العظيمان في هذه البلاد، وقاوموه فيما يتوخاه من تسهيل أساليب التعليم الاسلامي كما قاوم امثالهم امثاله من المصلحين ، منتصرين للكتب المعقدة التي أفوها ، هذا مجمل ما بلغنا من أمر هذه الجمعية فنسأل الله تعالى أن ينزع ما في قلوب الحاسدين من غل ، ويطهرهم من الحسد والبغى ، فيتذكروا أن في الخلاف والتفرق الهلاك ، وفي التآلف والتعاون النجاة والسعادة ، فحسب هذه الامة ما فعل فيها الخلاف من إضعافها وتمزيقها وإزالة عزها وسلطانها، الي متي الى متي، انما يتذكر أولو الالباب

﴿ خاتمة السنة الثالثة عشرة ﴾

تمت السنة الثالثة عشرة للمنار بحمد الله وتوفيقه وقد كتبنا ثلاثة أرباع هذا المجلد في القسطنطينية تارة في فنادة وتارة في المراكب البخارية التي تجول في زقاقها (البوسفور) ولم يتيسر لنا تصحيح أكثر ما كتبناه فكان الغلط فيه كثيرا وقد وضعنا جداول المهم مما عثرنا عليه منه ونشرناه في الأجزاء الماضية، ولشقيقنا السيد صالح والسيد حسين ما في الأجزاء الثمانية الأولى من التقاريط وقد ذيل كل منهما ما كتبه بامضائه. وهما اللذان اختارا بعض الرسائل التي جاءت المنار أو وردت في بعض الصحف. ولما بعض الهوامش كالتعريف بأصحاب الرسائل أو القصائد التي نشرت في تلك الأجزاء وكتفسير بعض الألفاظ وخبران في آخر ص ٣٩٢ كتب هذا باسم المنار، وتنبه في آخر ص ٦٩٦ نشر خطأ ولا حاجة إليه

أما الانتقاد على المنار فلم يرد إلينا شيء منه على شرطنا في هذا العام إلا ذكرناه وبينما عندنا فيه فن أرسل شيئا من ذلك ولم يره فليذكرنا به أو ليعده إلينا لعله فقد أوهمت إدارة المجلة لإرساله إلينا ونحن في سفرنا. وندعو أهل العلم والاخلاص إلى تعاهدنا بالانتقاد والنصيحة عندما يجدون ما يوجب ذلك، ونحن على وعدنا بنشر تقدم، فن غاب المنار أو خطأه ولم يكتب ذلك إليه فهو فاسق مقتاب، لا قاصد لبيان الحق والصواب، وأما المشتركون فالماطلون منهم كانوا أشد مطالاً وأقل وقاء في هذه السنة التي غبنا أكثر شهرورها وقد انتدب أحد الانجاد المجاد في تونس لتحصيل حقوق المنار من المشتركين والحق أن الكثيرين منهم ومن غيرهم بعض العذر بما ألفوا وتعودوا من عدم دفع المال، إلا بالالحاح في السؤال، ونحن قد أكرمناهم أن نلج عليهم، ووكنا الأمر إلى مروءتهم، وما كل أحد يخطر بباله هذا فالتقصير منا أكثر، واللوم علينا أكبر، وفي الختام نسأل الله تعالى دوام التوفيق والاخلاص وله الأمر من قبل ومن بعد، وصلاة وسلام على المرسلين، ونحمة ورضوان على المصلحين، والحمد لله رب العالمين

منشي المنار ومحوره

محمد رشيد رضا

هذا
وقتها
وضعا
السيد
فأما
وله
الجزء
يحيى
وذلك
فقد
من لا
تقدم
ولها
في التي
المثل
ووسن
الامر
كبر
فيل
فقد

22367

For Reference

Not to be taken from this room

NO. 705

